البداية والنهاية

للحافظ عماد الدِّين أبى الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القُرَشىّ الدِّمَشْقىّ
٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق
الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى

بالتعاون مع
مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر

الجزء السابع عشر

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
☎ ٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٢٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ☎ ٣٢٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة


البداية والنهاية



بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ستٍّ وستّمائةٍ

في المحَرَّمِ[1] وصَل نَجْمُ الدينِ خَليلٌ شيخُ الحنَفيةِ مِن دمشقَ إلى بغدادَ في الرَّسْليّةِ عن العادلِ، ومعه هَدايا كثيرةٌ، وتَناظَر هو وشيخُ النِّظاميةِ مَجْدُ الدينِ يَحْيَى بنُ الربيعِ في مسألةِ وجوبِ الزكاةِ في مالِ اليَتيمِ والمجْنونِ، وأخَذ الحنَفيُّ يَسْتَدِلُّ على عدمِ وجوبِها، فاعْتَرَض عليه الشافعيُّ، فأجاد كلٌّ منهما في الذي أوْرَدَه، ثم خُلِع على الحنفيِّ وأصحابِه بسببِ الرسالةِ، وكانت المُناظَرةُ بحَضْرةِ نائبِ الوزيرِ ابنِ أمسينا[2].

وفي يومِ السبتِ خامسِ جُمادَى الآخِرةِ وصَل الجَمالُ يونُسُ بنُ بَدْرانَ المِصْريُّ رئيسُ الشافعيةِ بدمشقَ إلى بغدادَ في الرَّسْليّةِ عن المِلكِ العادلِ، فتلَقَّاه الجيشُ مع حاجبِ الحُجّابِ، ودخَل معه ابنُ أخي صاحبِ إرْبِلَ مُظَفَّرِ الدينِ كُوكُبُرى[3]، والرسالةُ تَتَضَمَّنُ الاعْتِذارَ عن صاحبِ إرْبِلَ، والسؤالَ في الرِّضَا عنه، فأُجِيب إلى ذلك.

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٨٤، والجامع المختصر لابن الساعي ٩/ ٢٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣.

(٢) في م: «شكر».

(٣) في الأصل، م: «كوكرى». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٤.

وفيها مَلك العادلُ الخابورَ ونَصِيبِينَ، وحاصَر مدينةَ سِنْجارَ[1] مدةً، فلم يَتَمَكَّنْ منها، ثم صالحَ صاحبَها، ورجَع عنها.

وممن تُوفِّىَ فيها من المشاهيرِ والأعيانِ:

القاضى الأسعدُ بنُ مَمَّاتِى: أبو المكارمِ أسعدُ بنُ الخَطِيرِ أبى سعيدٍ مُهَذَّبِ ابنِ مِينَا[2] بنِ زكريا بنِ أبى قُدامةَ بنِ أبى مَليحٍ مَمَّاتِى المصرىُّ، الكاتبُ الشاعرُ، أسْلَم فى الدولةِ الصَّلاحِيَّةِ، وتوَلَّى نظَرَ الدَّواوِينِ بمصرَ مدةً.

قال ابنُ خَلِّكانَ[3]: له فَضائلُ عَديدةٌ، ومُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ، ونظَم سِيرةَ صلاحِ الدينِ وكتابَ «كَليلةَ ودِمْنةَ»، وله دِيوانُ شعرٍ، ولما توَلَّى الوزيرُ ابنُ شُكْرٍ هرَب منه إلى حلبَ، فمات بها فى هذه السنةِ وله ثنتان وستون سنةً، فمِن شعرِه فى ثَقيلٍ رآه[4] بدمشقَ:

حكى نهْرَيْن ما فى الأر ... ضِ مَن يَحْكِيهما أبَدَا
حكى فى خَلْقِه ثَوْرَى ... وفى أخلاقِه بَرَدَى[5]

أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ السلامِ اللَّمْغانىُّ[6]، أحدُ الأعيانِ مِن الحَنَفيةِ ببغدادَ، سمِع الحديثَ، ودرَّس بجامعِ

---

(١) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة. معجم البلدان ٣/ ١٥٨.

(٢) فى الأصل، ص: «سينا». وانظر ترجمته فى: معجم الأدباء ٦/ ١٠٠، وإنباه الرواة ١/ ٢٣١، والتكملة لوفيات النقلة للمنذرى ٣/ ٢٨٩، ووفيات الأعيان ١/ ٢١٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٠١، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥١.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢١٠.

(٤) فى الأصل، م: «زاره».

(٥) ثورى وبردى: نهران بدمشق. معجم البلدان ١/ ٥٥٦، ٩٣٨.

(٦) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٨٨، والجامع المختصر ٩/ ٢٩٥، والجواهر المضية ٣/ ٦٢٠، وتاريخ =

السلطانِ ، وكان مُعْتَزِليًا فى الأصولِ ، بارعًا فى الفروعِ ، اشْتَغل على أبيه وعمِّه ، وأتْقَن الخِلافَ وعلمَ المُناظَرةِ ، وقارَب التسعين ، رحمه اللَّهُ .

أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ[1] ، المعروفُ بابنِ الخُراسانىِّ ، المُحَدِّثُ الناسخُ ، كتَب كثيرًا مِن الحديثِ ، وجمَع خُطَبًا له ولغيرِه ، وخطُّه جيدٌ مشهورٌ ، رحمه اللَّهُ تعالى .

أبو المَواهِبِ مَعْتوقُ بنُ مَنيعِ بنِ مَواهِبَ ، الخطيبُ البَغْدادىُّ[2] ، قرَأ النحوَ واللغةَ على ابنِ الخَشَّابِ [٩/٣٣٥ظ] ، وجمَع خُطَبًا كان يَخْطُبُ منها ، وكان شيخًا فاضلًا أديبًا ، له دِيوانُ شعرٍ ، فمنه قولُه :

ولا تَرْجُو الصَّداقةَ مِن عدوٍّ يُعادِى نفسَه سرًّا وجَهْرا
فلو أجْدَتْ مَوَدَّتُه انْتِفاعًا لكان النَّفْعُ منه إليه أحْرى[3]

ابنُ خَرُوفٍ شارحُ « كتابِ سِيبَوَيْهِ »: علىُّ بنُ محمدِ بنِ يوسُفَ ، أبو الحسنِ ابنُ خَرُوفٍ الأنْدَلُسىُّ النَّحْوىُّ[4] ، شرَح « سِيبَوَيْهِ » ، وقدَّمه إلى صاحبِ المغربِ فأعْطاه ألفَ دينارٍ ، وشرَح « جُمَلَ الزَّجَّاجىِّ » ، وكان ينْتَقِلُ فى البلادِ ، ولا

= الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٨.

(١) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٩٣، والجامع المختصر ٩/ ٢٩٦، والوافى بالوفيات ١/ ١٤٥.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٩٧، والجامع المختصر ٩/ ٢٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣١.

(٣) فى م : « أجرا » .

(٤) معجم الأدباء ١٥/ ٧٥، وإنباه الرواة ٤/ ١٨٦، والجامع المختصر ٩/ ٣٠٦ وفيه : « ابن خروفة الأندلسى » ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٥ وفيه : « على بن محمد بن على » ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٣٩، وجاءت وفاته فى وفيات الأعيان وسير أعلام النبلاء فى سنة عشر وستمائة ، وفى تاريخ الإسلام جاء فى وفيات سنة تسع وستمائة .

يَسْكُنُ إلا فى الخاناتِ ، ولم يَتَزَوَّجْ قطُّ ولا تَسَرَّى[(١)] ، وقد تغَيَّر عقلُه فى آخرِ عمرِه ، فكان يَمْشِى فى الأسْواقِ مَكْشوفَ الرأسِ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن خمسٍ وثمانين سنةً .

أبو عليٍّ يَحْيَى بنُ الربيعِ بنِ سليمانَ بنِ حرَّازٍ الواسطىُّ ثم البغدادىُّ[(٢)] ، اشْتَغَل بالنِّظاميةِ على ابنِ[(٣)] فَضْلانَ ، وأعاد عنده[(٤)] ، وسافَر إلى محمدِ بنِ يحيى ، فأخَذ عنه طريقتَه فى الخِلافِ ، ثم عاد إلى بغدادَ ، ثم صار مُدَرِّسًا بالنِّظاميةِ ، وناظرًا فى أوقافِها ، وقد سمِع الحديثَ ، وكانت لديه علومٌ كثيرةٌ ، ومعرفةٌ حسنةٌ بالمذهبِ ، وله تَفْسيرٌ فى أربعِ مُجَلَّداتٍ كان يُدَرِّسُ منه ، واخْتَصر « تاريخَ الخطيبِ » و « الذَّيْلَ » عليه لابنِ السَّمْعانىِّ ، وقارَب الثمانين . رحمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ الأثيرِ صاحبُ « جامعِ الأُصولِ » و « النِّهايةِ » : المُبارَكُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الكَريمِ بنِ عبدِ الواحدِ ، مَجْدُ الدينِ أبو السَّعاداتِ الشَّيْبانىُّ الجَزَرىُّ الشافعىُّ المعروفُ بابنِ الأَثِيرِ[(٥)] ، وهو أخو الوزيرِ الأفضلِ ضِياءِ الدينِ نصرِ اللَّهِ ، وأخو الحافظِ عِزِّ الدينِ أبى الحسنِ علىٍّ صاحبِ « الكاملِ فى

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « ولذلك علة تغلب على طباع الأراذل » .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٠٦، والذيل على الروضتين ص ٦٩، والجامع المختصر ٩/ ٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٩٣.

(٣) سقط من : م .

(٤) أعاد عنده : المعيد : من ألقاب أرباب الوظائف من العلماء ، وهو ثانى رتبة المدرِّس ، وأصل موضوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس ثم انصرف ، أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ؛ ليفهموه ويحسنوه . انظر صبح الأعشى ٥/ ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

(٥) معجم الأدباء ١٧/ ٧١، وإنباه الرواة ٣/ ٢٥٧، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٠٨، والذيل على الروضتين ص ٦٨، والجامع المختصر ٩/ ٢٩٩، ووفيات الأعيان ٤/ ١٤١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٢٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٦٦.

التاريخِ » . وُلِدِ أبو السَّعاداتِ المباركُ فى أحدِ الرَّبِيعَيْن سنةَ أربعِ وأربعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وقرَأ القرآنَ الكريمَ ، وأتْقَن علومَه وحَرَزَ علومًا جَمَّةً ، وكان مُقامُه بالمَوْصِلِ ، وقد جمَع فى سائرِ العلومِ كُتُبًا مُفيدةً ، منها « جامعُ الأُصولِ » السِّتةِ ؛ « المُوَطَّأُ » و « الصَّحِيحان » و « سننُ أبى داودَ » و « النَّسائىِّ » و « التِّرمذىِّ » ، ولم يَذْكُرِ ابنَ ماجه فيها ، وله كتابُ « النِّهايةِ فى غريبِ الحديثِ » ، وله « شرحُ مسندِ الشافعىِّ » و « التَّفسيرُ » فى أربعِ مُجَلَّداتٍ ، وغيرُ ذلك فى فُنونٍ شَتَّى .

وكان ، رحمه اللَّهُ ، مُعَظَّمًا عندَ مُلوكِ المَوْصِلِ ، فلما آل الملكُ إلى نورِ الدينِ أرْسَلان شاه بنِ مَسْعودِ بنِ مودودِ بنِ زَنْكِى ، أرْسَل إليه مَملوكَه لُؤْلُؤًا يَعرِضُ عليه أن يَسْتَوْزِرَه فأبَى ، فركِب السلطانُ إليه بنفسِه فامْتَنع أيضًا ، وقال له : قد كَبِرَت سِنِّى ، واشْتَهَرْتُ بنَشْرِ العلمِ ، ولا يَصْلُحُ هذا الأمرُ إلا بشىءٍ مِن العَسْفِ والظلمِ ، ولا يَلِيقُ بى ذلك . فأعْفاه .

قال أبو السَّعاداتِ[1] : كنتُ أَقْرَأُ علمَ العربيةِ على سعيدِ بنِ الدَّهَّانِ ، وكان يَأْمُرُنى بصَنْعَةِ الشعرِ ، فكنتُ لا أَقْدِرُ عليه ، فلما تُوُفِّى الشيخُ رأيتُه فى بعضِ الليالى ، فأمَرنى بذلك ، فقلتُ : ضَعْ لى مثالًا أَعْمَلُ عليه . فقال :

* جُبِ الفلا مُدْمِنًا إنْ فاتَك الظَّفَرُ *

فقلتُ أنا :

* وخُدَّ خَدَّ الثَّرَى والليلُ مُعْتَكِرُ *

---

(١) الجامع المختصر ٩/ ٣٠٠.

فالعِزُّ فى صَهَواتِ الخيلِ مَرْكَبُهُ والمجدُ يُنْتِجُه الإسْراءُ والسَّهَرُ

فقال : أحْسَنْتَ . ثم اسْتَيْقَظْتُ ، فأتْمَمْتُ عليها نحوًا مِن عشرين بيتًا .

كانت وفاتُه فى سَلْخِ ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ عن ثنتين وستين سنةً ، [٩/٣٣٦و] رحمه اللَّهُ . وقد ترْجَمه أخوه فى « الكاملِ[(١)] » فقال : كان عالمًا فى عِدَّةِ علومٍ ؛ منها الفقهُ وعلمُ الأُصولِ والنحوُ والحديثُ واللغةُ ، وله تصانيفُ مَشْهورةٌ فى التَّفْسيرِ والحديثِ والفقهِ والحسابِ وغريبِ الحديثِ ، وله رَسائلُ مُدَوَّنةٌ ، وكان كاتبًا مُفْلِقًا يُضْرَبُ به المَثَلُ ، ذا دِينٍ مَتِينٍ ولُزومِ طريقٍ مُسْتقيمٍ ، رحِمه اللَّهُ ورضى عنه ، فلقد كان مِن مَحاسِنِ الزمانِ .

قال ابنُ الأثيرِ[(٢)] : **وفيها تُوُفِّى :**

المجدُ المُطَرِّزِىُّ النحوىُّ الخُوارَزْمىُّ[(٣)] ، كان إمامًا فى النحوِ ، له فيه تَصانيفُ حَسَنةٌ .

قال أبو شامةَ[(٤)] : **وفيها تُوُفِّى الملكُ المُغيثُ فَتْحُ الدينِ عمرُ بنُ الملكِ العادلِ** ، ودُفِن بتُرْبةِ أخيه المُعَظَّمِ بسَفْحِ قاسِيُونَ .

والملكُ المُؤَيَّدُ مسعودُ بنُ صلاحِ الدينِ[(٥)] بمدينةِ رأسِ العينِ ، فحُمِل إلى

---

(١) فى الأصل ، م : « الذيل » . وانظر الكامل ٢٨٨/١٢ .

(٢) الكامل ١٢/ ٢٨٨.

(٣) معجم الأدباء ١٩/ ٢١٢، وإنباه الرواة ٣/ ٣٣٩، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٦٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٩١، والجواهر المضية ٣/ ٥٢٨. وفى هذه المصادر أنه توفى سنة عشر وستمائة .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٦٧.

(٥) الكامل ١٢/ ١٧١، والذيل على الروضتين ص ٦٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٠.

حلبَ ، فدُفِن بها .

وفيها تُوُفِّى الفخرُ الرازىُّ المتكلِّمُ ، صاحبُ التفسيرِ والتصانيفِ : محمدُ ابنُ عمرَ بنِ الحسينِ بنِ علىٍّ القُرَشىُّ التَّيمىُّ البَكْرىُّ الإمامُ ، أبو عبدِ اللَّهِ وأبو المعالى المعروفُ بالفخرِ الرازىِّ[1] ، ويقالُ له : ابنُ خَطيبِ الرَّىِّ . الفقيهُ الشافعىُّ أحدُ المشاهيرِ بالتَّصانيفِ الكبارِ والصِّغارِ نحوِ مِن مائتَىْ مُصَنَّفٍ ؛ فمن ذلك « التَّفْسيرُ » الحافلُ و « المَطالِبُ العاليةُ » و « المَباحثُ المَشْرِقِيَّةُ[2] » و « الأَرْبَعين » ، و « شرحُ الإشاراتِ » ، وغيرُها فى علمِ الكلامِ ومذاهبِ الأوائلِ وأقوالِ الناسِ ، [3] وله فى[3] أصولِ الفقهِ « المَحْصولُ » وغيرُه ، وصنَّف ترجمةَ الشافعىِّ فى مُجَلَّدٍ مُفِيدٍ ، وفيه غَرائِبُ[4] ، ويُنْسَبُ إليه أشياءُ عَجيبةٌ ، وقد استقصيتُ ترْجَمَتَه فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » ، وقد كان مُعَظَّمًا عندَ مُلوكِ الخُوارَزْميةِ وغيرِهم ، وبُنِيَت له مَدارِسُ كثيرةٌ فى بُلدانٍ شَتَّى ، وملَك مِن الذهبِ العَيْنِ ثمانين ألفَ دينارٍ ، وغيرَ ذلك مِن الأَمْتِعةِ والمَراكِبِ والأثاثِ والملابسِ ، وكان له خمسون مَمْلوكًا مِن التُّركِ ، وقد كان يعقِدُ مجلسَ الوعظِ فيَحْضُرُ عندَه المُلوكُ والوُزراءُ والعلماءُ والأُمراءُ والفُقهاءُ والعامَّةُ والغَوْغاءُ ، وكانت له عِباداتٌ وأوْرادٌ ، وقد وقَع بينه وبينَ الكَرَّاميةِ فى أوقاتٍ شتَّى ، فكان يُبْغِضُهم ويُبْغِضُونه ويبالغُ فى ذمِّهم ويُبالِغون فى الحَطِّ عليه ، وقد ذكَرْنا طرَفًا مِن ذلك فيما تقدَّم ، وكان مع غَزارةِ

---

(١) الجامع المختصر ٩/ ٣٠٦، والذيل على الروضتين ص ٦٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٤٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢١١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٨١، وطبقات المفسرين ٢/ ٢١٣.

(٢) فى م: « الشرقية »، وفى ص: « الشريفة ». وانظر كشف الظنون ٢/ ١٥٧٧.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) بعده فى م: « لا يوافق عليها ».

علمِه وتَبَحُّرِه فى فنِّ الكلامِ يقولُ : مَن لزِم مذهَبَ العَجائزِ كان هو الفائزَ . وقد ذكَرْتُ وصيَّتَه عندَ موتِه ، وأنه رجَع فيها إلى طريقةِ السَّلَفِ وتسليمِ ما ورَد على الوجهِ المرادِ اللائقِ بجَلالِ اللَّهِ تعالى .

وقال الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامَةَ فى « الذيْلِ »[1] فى ترجمتِه : كان يَعِظُ ويَنالُ مِن الكَرَّاميةِ ، ويَنالون منه سبًّا وتَكْفيرًا ، وقيل : إنهم وضَعوا عليه مَن سَقاه السُّمَّ فمات ففرِحوا بموتِه ، وكانوا يَرْمُونه بالكبائرِ . قال : وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ ، ولا كلامَ فى فضلِه ، وإنما[2] الشَّناعاتُ عليه قائمةٌ بأشياءَ منها ؛ أنه كان يَقولُ : قال محمدٌ التازىُّ[3] - يعنى العربىَّ ، يُريدُ النبىَّ ﷺ[4] - وقال محمدٌ الرازىُّ . يعنى نفسَه ، ومنها أنه كان يُقَرِّرُ الشُّبْهةَ مِن جهةِ الخُصومِ بعباراتٍ كثيرةٍ ، ويُجيبُ عن ذلك [٣٣٦/٩ظ] بأدنى إشارةٍ . قال : وبلَغنى أنه خلَّف مِن الذهبِ العينِ ثمانينَ ألفَ دينارٍ غيرَ ما كان يَمْلِكُه مِن الدَّوابِّ والثيابِ والعَقارِ والآلاتِ ، وخلَّف ولدَيْن ، أخَذ كلُّ واحدٍ منهما أربعين ألفَ دينارٍ . وكان ابنُه الأكبرُ قد تجَنَّد فى حياتِه وخدَم السلطانَ محمدَ بنَ تِكِش .

وقال ابنُ الأثيرِ فى « الكاملِ »[5] : وفيها تُوُفِّى فخرُ الدين أبو الفضلِ محمدُ ابنُ عمرَ بنِ خَطيبِ الرَّىِّ ، الفقيهُ الشافعىُّ صاحبُ التَّصانيفِ المَشْهورةِ فى[6]

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٦٨.

(٢) فى م : « ولا فيما كان يتعاطاه ، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعًا زائدًا وليس ذلك من صفة العلماء ولهذا وأمثاله كثرت » .

(٣) فى الأصل : « اليارى » ، وفى م : « البادى » .

(٤) بعده فى م : « نسبة إلى البادية » .

(٥) الكامل ٢٨٨/١٢.

(٦) فى النسخ : « و » . والمثبت من الكامل .

الفقهِ والأصولَيْن[1] وغيرِه، وكان إمامَ الدنيا فى عصرِه. وبلَغَنى أن مولدَه سنةَ ثلاثٍ وأربعين وخمسِمائةٍ.

ومِن شعرِه قولُه:

إليك إلهَ الخَلْقِ وَجْهى ووِجْهتى ... وأنت الذى أَدْعُوكَ فى السرِّ والجَهْرِ
وأنت غِياثى عندَ كلِّ مُلِمَّةٍ ... وأنت مَعاذِى فى حَياتى وفى قَبْرى

وروَى ذلك ابنُ الساعى[2] عن ياقوتٍ الحَمَوىِّ، عن ابنٍ لفخرِ الدينِ عنه، وبه قال: أنشدنا:

تَتِمَّةُ أبوابِ السَّعادةِ للخَلْقِ ... بذِكْرِ جَلالِ الواحدِ الأحدِ الحقِّ
مُدَبِّرِ كلِّ المُمْكِناتِ بأسْرِها ... ومُبْدِعِها بالعدلِ والقَصْدِ والصِّدْقِ
أُجِلُّ جَلالَ اللَّهِ عن شِبْهِ خلقِه ... وأَنْصُرُ هذا الدينَ فى الغربِ والشرقِ
إلهٌ عظيمُ الفضلِ والعدلِ والعُلَا ... هو المُرْشِدُ المُغْوِى هو المُسْعِدُ المُشْقِى

ومما كان يُنْشِدُه [3]فى بعضِ مصنَّفاتِه[4]:

نهايةُ إقدامِ العقولِ عِقالُ ... وأكثرُ سَعْيِ العالَمين ضلالُ[3]
وأرْواحُنا فى وَحْشةٍ مِن جُسومِنا ... وحاصلُ دُنْيانا أذًى ووَبالُ
ولم نَسْتَفِدْ مِن بحثِنا طولَ عمرِنا ... سوى أنْ جمَعْنا فيه قِيلَ وقالوا

ثم يقولُ[5]: لقد اخْتَبَرْتُ الطُّرُقَ الكلامية والمَناهِجَ الفلسفيةَ فلم أَجِدْها

---

(١) فى الأصل، م: «الأصول».
(٢) الجامع المختصر ٩/ ٣٠٧.
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٠.
(٥) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠١.

تَرْوِى غَليلًا ولا تَشْفِى عَليلًا ، ورأيْتُ أقربَ الطرقِ طريقةَ القرآنِ ، أَقْرَأُ فى الإثباتِ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] وفى النَّفْيِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] .

ثم دخَلت سنةُ سبعٍ وستّمائةٍ

ذكَر الشيخُ شهابُ الدينِ فى «الذيلِ»[1] أن فى هذه السنةِ تمَالأت مُلوكُ الجَزيرةِ؛ صاحبُ الموصلِ وصاحبُ سِنْجارَ وصاحبُ إِرْبِلَ و[2]معهم ابنُ أخيه[2] الظاهرُ صاحبُ حلَبَ وملكُ الرومِ أيضًا، على مُخالفةِ العادلِ ومُنابَذتِه ومُقاتَلتِه واصْطِلامِ الملكِ مِن يدِه، وأن تَكونَ الخُطْبةُ فى بلادِهم بذلك للملكِ كيخُسرو[3] ابنِ قليج أَرْسَلان صاحبِ الرومِ، وأرْسَلوا إلى الكُرْجِ ليَقْدَموا لحصارِ خِلاطَ وأخذِها من يدِ الملكِ الأوْحَدِ نجمِ الدينِ أيوبَ بنِ العادلِ، ووعَدهم النصرَ والمُعاونةَ عليه - قلتُ: وهذا بَغْىٌ وعُدْوانٌ يَنْهَى اللَّهُ عنه - فأقْبَلَت الكُرْجُ بملِكِهم إيوانى[4]، فحاصَروا خِلاطَ، فضاق بهم الأَوْحَدُ ذَرْعًا، وقال: هذا يومٌ عَصيبٌ. فقدَّر اللَّهُ تعالى أن فى يومِ الاثنين تاسعَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ اشْتَدَّ حِصارُهم للبلدِ، وأقْبَل ملكُهم إيوانى وهو راكبٌ على جَوادِه وهو سَكْرانُ، فسقَط به جَوادُه فى بعضِ الحُفَرِ التى قد أُعِدَّت مَكِيدةً حولَ البلدِ، فبادَر إليه رجالُ البلدِ، فأخَذوه أسيرًا حَقيرًا، فأُسْقِط فى أيدى الكُرْجِ، فلما أُوقِف بينَ يدى الأوحدِ أطْلَقه ومنَّ عليه، وأكرمه وأحْسَن إليه، وفاداه على مائتىْ[5] ألفِ دينارٍ وألفَىْ

(١) الذيل على الروضتين ص ٧٥، ٧٦.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى م: «كنجر». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٩.

(٤) فى الذيل على الروضتين: «إيواى».

(٥) كذا فى الأصل، م، وفى ص: «مائة»، وفى الذيل على الروضتين، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١: «ثمانين».

أسيرٍ مِن المسلمين، وتَسْليمِ إحدى وعشرين [٩/٣٣٧و] قَلْعةً مُتاخِمةً لبلادِ الأوْحدِ، وأن يُزَوِّجَ ابنتَه مِن أخيه الملكِ الأشرفِ موسى، وأن يَكونَ عَوْنًا له على مَن يُحارِبُه. فأجابه إلى ذلك كلِّه، فأُخِذَت الأيْمانُ منه بذلك، وبعَث الأوحدُ إلى أبيه يَسْتَأْذِنُه فى ذلك كلِّه، والعادلُ نازلٌ بظاهرِ حَرّانَ فى أشدِّ حَيرةٍ مما قد دهَمه مِن الأمرِ الفَظيعِ، فبينَما هو كذلك إذ أتاه هذا الأمرُ الهائلُ والتدبيرُ من عزيزٍ حكيمٍ، (١لم يكنْ فى بالِه ولا فى حسابِه١)، فكاد يَذْهَلُ فرحًا وسرورًا، وأجاز جميعَ ما فعَله ولدُه، وطارَت الأخبارُ بما وقَع بينَ الملوكِ، فخضَعوا وذلُّوا عندَ ذلك، وأرْسَل كلٌّ منهم يَعْتَذِرُ مما نُسِب إليه، ويُحِيلُ على غيرِه، فقبِل منهم اعْتذاراتِهم، وصالَحهم صلحًا أكيدًا، واسْتَقْبَل الملكُ عقدًا جديدًا. ووفَّى ملكُ الكُرْجِ للأوحدِ بجميعِ ما شرَطه عليه، وتزوَّج الأشرفُ ابنتَه. ومِن غريبِ ما ذكَره الشيخُ أبو شامَةَ فى هذه الكائنةِ أن قِسِّيسَ الملكِ كان حَزّاءً[٢] يَنْظُرُ فى النجومِ، فقال للملكِ قبلَ ذلك بيومٍ: اعْلَمْ أنك تَدْخُلُ غدًا إلى قَلْعةِ خِلاطَ ولكن بزِىٍّ غيرِ زِيِّك أذانَ العصرِ. فوافَق دخولُه إليها أسيرًا وقتَ أذانِ العصرِ.

ذكرُ وفاةِ صاحبِ الموصلِ نُورِ الدِّينِ[٣]

أرْسَل الملكُ نُورُ الدينِ شاه بنُ عِزِّ الدينِ مسعودِ بنِ قُطْبِ الدِّينِ مَودودِ بنِ

(١ - ١) فى م: «لا من حولهم ولا من قوتهم ولا كان فى بالهم».

(٢) سقط من: م.

(٣) الكامل ١٢/ ٢٩١، ومرآة الزمان ٨/٥٤٦ (القسم الثانى)، وبغية الطلب ٣/ ٣٨١، والذيل على الروضتين ص ٧٠، ووفيات الأعيان ١/ ١٩٣، ٥/ ٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٤١.

زَنْكِي صاحبُ المَوْصِلِ يَخْطُبُ ابنةَ السلطانِ الملكِ العادلِ ، وأرْسَل وكيلَه لقَبولِ العَقدِ على ثلاثين ألفَ دينارٍ . فاتَّفَق موتُ نورِ الدينِ ووكيلُه فى أثناءِ الطريقِ ، فعُقِد العَقدُ بعدَ وفاتِه ، رحِمه اللَّهُ ، وقد أثْنَى عليه ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه » كثيرًا وشكَر منه ومِن عدلِه وشَهامتِه ، وهو أعلمُ به ، وذكَر أن مدةَ مُلْكِه سبعَ عشْرَةَ سنةً وأحدَ عشَرَ شهرًا . وأمَّا أبو المُظَفَّرِ السِّبْطُ فإنه قال : كان جبارًا ظالمًا بَخيلًا سَفَّاكًا للدماءِ . فاللَّهُ أعلمُ . وقام فى الملكِ مِن بعدِه ولدُه القاهرُ عِزُّ الدينِ مسعودٌ ، وجعَل لابنِه عمادِ الدينِ زَنْكِي - وكان الأصغرَ - بعضَ البلادِ ، وجعَل تَدْبيرَ مَمْلكتِه إلى غُلامِه بدرِ الدينِ لُؤْلُؤٍ الذى صار المُلْكُ إليه فيما بعدُ كما سيأتى .

قال أبو شامَةَ[1] : وفى سابعِ شوالٍ شُرِع فى عِمارةِ المُصَلَّى ؛ بُنِى له أربعُ جُدُرٍ مُشْرِفةٍ ، وجُعِل له أبوابٌ صَوْنًا لمكانِه مِن الميتاتِ ونزولِ القَوافِلِ ، وجُعِل فى قِبْلتِه مِحْرابٌ مِن حِجارةٍ ومِنبرٌ مِن حجارةٍ ، وعُقِدَت فوقَ ذلك قُبَّةٌ ، ثم فى سنةِ ثلاثَ عشْرَةَ عُمِل فى قبلتِه رِواقان ، وعُمِل له مِنبرٌ مِن خشبٍ ، ورُتِّب له خَطيبٌ راتِبٌ وإمامٌ راتِبٌ ، ومات العادلُ ولم يَتِمَّ الرِّواقُ الثانى منه ، وذلك كلُّه على يدِ الوزيرِ صفِيِّ الدينِ بنِ شُكْرٍ . قال : وفى [2]حادىَ عشرَ[2] شوالٍ من هذه السنةِ جُدِّدَت أبوابُ الجامعِ الأُمَوِيِّ مِن ناحيةِ بابِ البَريدِ بالنُّحاسِ الأصفرِ ، ورُكِّبَت فى أماكنِها .

وفى شوالٍ أيضًا شُرِع فى إصلاحِ الفَوَّارةِ والشاذِرْوانِ والبِرْكةِ وعُمِل عندَها مسجدٌ ، وجُعِل له إمامٌ راتبٌ ، وأولُ مَن توَلَّاه رجلٌ يقالُ له : النفيسُ المِصْرىُّ .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٧٦.
(٢ - ٢) فى الأصل، م : « ثانى » . وانظر المصدر السابق .

وكان يقالُ له : بُوقُ الجامعِ . لِطِيبِ صوتِه إذا قرَأ على الشيخِ أبى منصورٍ الضَّريرِ المُصَدِّرِ ، فيَجْتَمِعُ عليه الناسُ الكثيرُ .

وفى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ تَوَجَّهَت مَراكِبُ مِن عَكَّا [٩/٣٣٧ظ] فى البحرِ إلى ثَغْرِ دِمْياطَ وفيها[1] ملِكُ قُبْرُصَ المُسَمَّى البالَ[2] ، لعنه اللَّهُ ، فدخَل الثَّغْرَ ليلًا ، وأغار على بعضِ البلادِ ، فقتَل وسبَى وغنِم ، وكرَّ راجعًا ، فركِب مَراكبَه ، فلم يُدْرِكْه الطَّلَبُ . وقد تقَدَّمَت له سابقةٌ بمثلِها قبلَ هذه ، وهذا شيءٌ لم يَتَّفِقْ لغيرِه .

وفى هذه السنةِ عاثَت الفِرنْجُ بنَواحى القدسِ الشريفِ ، فبرَز إليهم الملكُ المُعَظَّمُ فى عساكرِه ، وجلَس الشيخُ شمسُ الدِّينِ أبو المُظَفَّرِ بنُ قِزْغُلى الحنَفىُّ ، وهو سِبْطُ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ ابنُ ابنتِه رابعةَ ، وهو صاحبُ « مِرْآةِ الزمانِ » وكان فاضلًا فى فنونٍ كثيرةٍ ، حسَنَ الشَّكْلِ ، طيبَ الصوتِ ، وكان يَتَكَلَّمُ فى الوَعْظِ جيدًا ، وتُحِبُّه العامَّةُ على صِيتِ جَدِّه ، وقد رحَل مِن بغدادَ ، فنزَل دمشقَ وأكْرَمه مُلوكُها ، ووَلِى التَّداريسَ الكبارَ بها ، وكان يَجْلِسُ كلَّ يومِ سبتٍ عندَ بابِ مَشْهَدِ علىٍّ زَيْنِ العابدِين إلى الساريةِ التى يَجْلِسُ عندَها الوُعَّاظُ فى زمانِنا هذا ، فكان يَكْثُرُ الجمعُ عندَه حتى يَكُونوا مِن بابِ الناطِفانيِّين إلى بابِ المَشْهَدِ وإلى بابِ الساعاتِ غيرَ الوُقوفِ ، فَحُزِرَ جمعُه فى بعضِ الأيامِ بثلاثين ألفًا مِن الرجالِ والنساءِ ، وكان الناسُ يَبِيتُون ليلةَ السبتِ بالجامعِ فى الصيفِ - ويتركون البَساتينَ والفرحَ - فى خَتَماتٍ وأذْكارٍ لتحْصِيلِ الأماكنِ بميعادِه ، فإذا فرَغ مِن

---

(١) أى فى المراكب .

(٢) فى الأصل : « البان » ، وفى م : « إليان » . وانظر الذيل على الروضتين ص ٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٣.

وَعْظِه خرَجوا إلى بساتينِهم، وليس لهم كلامٌ إلا فيما قال يومَهم ذلك[1].

ويَحْضُرُ عندَه الأكابرُ، حتى الشيخُ تاجُ الدينِ أبو اليُمْنِ الكِنْدىُّ كان يَجْلِسُ فى القُبَّةِ التى عندَ بابِ المشهدِ هو ووالى البلدِ المُعْتَمِدُ ووالى البَرِّ ابنُ ثميرك[2] وغيرُهم. فلما جلَس يومَ السبتِ خامسَ ربيعِ الأولِ بالجامعِ - كما ذكَرْنا - حثَّ الناسَ على الجِهادِ، وأمَر بإحضارِ ما كان قد تحَصَّل عندَه مِن شُعورِ التائِبين، وقد عمِل منه شِكالاتٍ[3] يَحْمِلُها الرجالُ، فلمَّا رآها الناسُ ضجُّوا ضَجَّةً واحدةً، وتباكَوا بُكاءً كثيرًا، وقطَعوا مِن شُعورِهم نحوَها، فلمَّا انْقَضى المجلِسُ، نزَل عن المِنبرِ، فتلَقَّاه الوالى مُبارِزُ الدِّينِ المُعْتَمِدُ إبراهيمُ، وكان مِن خِيارِ الناسِ، فمشى بينَ يديه إلى بابِ الناطفانِيِّين يَعْضُدُه حتى ركِب فرسَه، والناسُ بين يديه ومِن خلفِه، فخرَج مِن بابِ الفرجِ وبابِ المُصَلَّى، ثم ركِب مِن الغدِ فى الناسِ إلى الكُسْوةِ[4]، ومعه خَلائقُ كثيرون بنيةِ الجهادِ ببلادِ القدسِ، وكان مِن جملةِ مَن معه ثلاثُمائةٍ مِن أهلِ زَمَلُكَا[5] بالعُدَدِ التامَّةِ. قال: فجِئْنا عقبةَ أَفِيقَ، والطيرُ لا يتَجاسَرُ أن يَطِيرَ مِن خوفِ الفِرنْجِ، فلما وصَلْنا نابُلُسَ تلَقَّانا المُعَظَّمُ. قال: ولم أَكُنِ اجْتَمَعْتُ به قبلَ ذلك، فلمَّا رأَى الشِّكالاتِ مِن شُعورِ التائِبين جعَل يُقَبِّلُها، ويُمَرِّغُها على وجهِه ويَبْكِى. وعمِل أبو المُظَفَّرِ مِيعادًا بنابُلُسَ، وحثَّ على الجهادِ، وكان يومًا مشهودًا، ثم ساروا صُحبةَ المُعَظَّمِ إلى ناحيةِ بلادِ

---

(1) بعده فى م: «أجمع يقولون: قال الشيخ، وسمعنا من الشيخ. فيحثهم ذلك على العمل الصالح والكف عن المساوئ».

(2) فى م: «تميرك»، وفى ص: «يميرك».

(3) الشكال: العقال. اللسان (ش ك ل).

(4) الكسوة: قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٧٥.

(5) زملكا: قرية بغوطة دمشق. معجم البلدان ٢/ ٩٤٥.

الفِرنْجِ ، فقتَلوا خلقًا ، وخرَّبوا أماكنَ كثيرةً ، وغنِموا وعادوا سالمين ، وشرَع المُعَظَّمُ فى تَحْصينِ جبلِ الطُّورِ وبنَاءِ قَلْعةٍ فيه ؛ ليَكونَ أَلْبًا على الفِرنْجِ ، فغرِم أموالًا كثيرةً فى ذلك ، فبعَثت الفِرنْجُ إلى العادلِ يَطْلُبونَ منه الأمانَ والمُصالحَةَ ، فهادَنهم وبطَلَت تلك العِمارةُ ، وضاع [٩/٣٣٨و] ما كان المُعَظَّمُ غَرِم عليها .

ومن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ أبو عمرَ بانى المدرسةِ بسَفْحِ قاسيونَ للقُرّاءِ ، رحِمه اللَّهُ[(١)] .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قُدامةَ ، الشيخُ الصالحُ أبو عمرَ المَقْدِسىُّ ، بانى المدرسةِ التى يُقْرَأُ فيها القرآنُ بسفحِ قاسيونَ ، وهو أخو مُوَفَّقِ الدينِ عبدِ اللَّهِ ابنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قُدامةَ ، وكان الشيخُ أبو عمرَ أسَنَّ منه ؛ لأنه وُلِد سنةَ ثمانٍ وعشرين وخمسِمائةٍ بقريةِ الساويا ، وقيل : بجَمَّاعِيلَ[(٢)] . وهو ربَّى الشيخَ مُوَفَّقَ الدينِ ، وأحْسَن إليه وزوَّجه ، وكان يَقومُ بمَصالحِه ، [(٣)]وهو الذى قدِم بهم من تلك البلادِ[(٣)] فنزَلوا بمسجدِ أبى صالحٍ ثم انْتَقلوا منه إلى السَّفْحِ ، وليس به مِن العِمارةِ سوى دَيْرِ الحَوْرانىِّ ، قال : فقيل لنا : الصالحيُّون . نسبةً إلى مسجدِ أبى صالحٍ ، لا أنّا صالحون ، وسُمِّيَت هذه البُقْعةُ مِن ذلك الحينِ بالصالحيَّةِ نسبةً إلينا . فقرَأ الشيخُ أبو عمرَ القرآنَ على رِوايةِ أبى عمرٍو ، وحفِظ « مُخْتَصَرَ الخِرَقىِّ » فى الفقهِ ، وهو الذى شرَحه أخوه ، فكتَب شرحَه بيدِه ، وكتَب « تَفْسيرَ البَغَوىِّ » ،

---

(١) مرآة الزمان ٨/٥٤٦ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٢٦، والذيل على الروضتين ص ٧١، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٦٦، والوافى بالوفيات ٢/ ١١٦، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٥٢.

(٢) جماعيل : قرية فى جبل نابلس من أرض فلسطين . معجم البلدان ٢/ ١١٣.

(٣ - ٣) فى م : « فلما قدم من الأرض المقدسة » .

و « الحِلْيَةَ » لأبى نُعَيم ، و « الإبانَةَ » لابنِ بَطَّةَ ، وكتَب مَصاحِفَ كثيرةً للناسِ ولأهلِه لا بأُجْرةٍ ، وكان كثيرَ العبادةِ والتَّهَجُّدِ ، يَصومُ الدهرَ ، (١) حسنَ الشكلِ ، نحيلَ الجسمِ ، عليه أنوارُ العبادةِ (١) ، لا يَزالُ مُتَبَسِّمًا ، وكان يَقْرَأُ كلَّ يومٍ سُبْعًا بينَ الظهرِ والعصرِ ، ويُصَلِّى الضُّحَى ثمانىَ رَكَعاتٍ يَقْرَأُ فيهن ألفَ مرةٍ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، وكان يَزورُ مَغارةَ الدمِ (٢) فى كلِّ يومِ اثنينِ وخميسٍ ، ويَجْمَعُ فى طريقِه الشِّيحَ ، فيُعْطِيه الأراملَ والمَساكِينَ ، ومهما تهَيَّأ له مِن فُتوحٍ وغيرِه يُؤْثِرُ به أهلَه والمَساكينَ ، وكان مُتَقَلِّلًا فى المَلْبَسِ ، وربما مضَت عليه مدةٌ لا يَلْبَسُ فيها سَراوِيلَ ولا قميصًا ، ويَقْطَعُ مِن عِمامتِه قِطَعًا يَتَصَدَّقُ بها ، أو فى تَكْميلِ كفَنِ من يعوزُ كفنُه ، وكان هو وأخوه وابنُ خالِهم الحافظُ عبدُ الغنىِّ وأخوه الشيخُ العِمادُ لا يَنْقَطِعون عن غَزاةٍ يَخْرُجُ فيها الملكُ صلاحُ الدينِ إلى بلادِ الفِرنْجِ ، وقد حضَروا معه فتحَ القدسِ الشريفِ وغيرِها ، وجاء الملكُ العادلُ أبو بكرٍ يومًا إلى خيمتِهم لزيارةِ الشيخِ أبى عمرَ ، وهو قائمٌ يُصَلِّى ، فما قطَع صلاتَه ولا أوْجَزها ، بل اسْتَمَر فيها ، وهو الذى شرَع فى بناءِ الجامعِ أولًا بمالِ رجلٍ من الناسِ فنفِد ما كان بيدِه ، وقد ارْتَفع البناءُ قامَةً ، فبعَث صاحبُ إرْبِلَ الملكُ المُظَفَّرُ كُوكُبُرى (٣) مالًا فكمَل ، وولِى خَطابتَه الشيخُ أبو عمرَ ، فكان يَخْطُبُ به وعليه لِباسُه الضَّعيفُ ، وعليه أنْوارُ الخَشْيةِ والتَّقْوى (٤) ، وإنما كان المنبرُ الذى فيه ثلاثَ مَراقٍ ، والرابعةُ للجُلوسِ كما كان المِنْبرُ النبوىُّ .

(١ - ١) سقط من : م .
(٢) مغارة الدم مشهورة بأنها المكان الذى قتل قابيل أخاه هابيل عندها . انظر ما تقدم فى ١/ ٢١٩.
(٣) سقط من : ص . وفى الأصل ، م : « كوكرى » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٥.
(٤) بعده فى م : « والخوف من الله عز وجل ، والمسك كيف خبأته ظهر عليك وبان » .

وقد حكَى أبو المُظَفَّرِ أنه حضَر يومًا عندَه الجُمُعةَ ، وكان الشيخُ عبدُ اللَّهِ اليُونِينيُّ[1] حاضِرًا هناك ، فلما انْتَهَى الشيخُ أبو عمرَ إلى الدعاءِ للسلطانِ قال : اللهم أَصْلِحْ عبدَك الملكَ العادلَ سيفَ الدينِ أبا بكرِ بنَ أيوبَ . فنهَض الشيخُ عبدُ اللَّهِ وترَك الجُمُعةَ ، فلما فرَغْنا ذهَبْتُ إليه فقلتُ له : ماذا نقَمْتَ ؟ فقال : يقولُ لهذا الظالمِ : العادلَ ؟! فبينَما نحن فى الحديثِ إذ أقْبَل الشيخُ [٩/٣٣٨ظ] أبو عمرَ ومعه رَغيفٌ وخِيارتان ، فكسَر ذلك وقال : الصلاةُ . ثم قال : قال النبىُّ ﷺ : « بُعِثْتُ فى زمنِ الملكِ العادلِ كِسْرَى »[2] . فتبَسَّم الشيخُ عبدُ اللَّهِ ، ومدَّ يدَه فأكَل ، فلمَّا قام الشيخُ أبو عمرَ قال لى : يا سيدَنا ، ما ذا إلا رجلٌ صالحٌ . قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[3] : كان الشيخُ عبدُ اللَّهِ مِن الصالحين الكبارِ ، وقد رأيْتُه ، وكانت وفاتُه بعدَ أبى عمرَ بعشرِ سنيـنَ ، فلم يُسامِحِ الشيخَ أبا عمرَ فى تَساهُلِه مع وَرَعِه ، ولعله كان مُسافِرًا لا جمعةَ عليه ، وعُذْرُ الشيخِ أبى عمرَ أن هذا قد جرَى مَجْرَى الأعلامِ ؛ العادلِ ، الكاملِ ، الأشرفِ ، ونحوِه ، كما يقالُ : سالمٌ ، وغانمٌ ، ومسعودٌ ، ومحمودٌ . وقد يَكونُ المسمَّى بذلك على الضدِّ من هذه الأسماءِ[4] ،

---

(١) فى الأصل ، ص ، والذيل على الروضتين : « اليونانى » ، وفى م : « البوتانى » . واليونينى نسبة إلى قرية من قرى بعلبك يقال لها : يُونِين . وستأتى ترجمته فى صفحة ١٠٢ .

(٢) ذكره البيهقى فى الشعب (٥١٩٥) مبطلا له بلفظ : « ولدت فى زمن الملك العادل » يعنى أنوشروان . وذكره العجلونى فى كشف الخفا بلفظ : « بعثت فى زمن الملك العادل » . والحديث باطل لا أصل له (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٩٩٧) . وسيأتى كلام المصنف عليه قريبا .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٧٢ .

(٤) بعده فى م : « فلا يكون سالما ولا غانما ولا مسعودا ولا محمودا ، وكذلك اسم العادل ونحوه من أسماء الملوك وألقابهم والتجار وغيرهم كما يقال : شمس الدين وبدر الدين وعز الدين وتاج الدين ونحو ذلك قد يكون معكوسا على الضد والانقلاب ومثله الشافعى والحنبلى وغيرهم ، وقد تكون أعماله ضد ما كان عليه إمامه الأول من الزهد والعبادة ونحو ذلك » .

وكذلك إطلاقُ العادلِ ونحوِه قد دخَل إطلاقُه على المشركِ[1] ، فهذا أولى .

قلتُ : هذا الحديثُ الذى احْتَجَّ به الشيخُ أبو عمرَ لا أصلَ له ، وليس هو فى شيءٍ مِن الكتبِ المَشْهورةِ ، وعجَبًا له ولأبى المُظَفَّرِ ، ثم لأبى شامةَ فى قَبولِ هذا وأخْذِه عنه مُسَلَّمًا ! واللَّهُ أعلمُ .

ثم شرَع أبو المُظَفَّرِ فى ذكرِ مناقبِ أبى عمرَ وكَراماتِه ، وما رآه هو وغيرُه مِن أحوالِه الصالحةِ ، قال : وكان على مذهبِ السَّلَفِ الصالحِ ، حسَنَ العقيدةِ ، مُتَمَسِّكًا بالكتابِ والسنةِ والآثارِ المَرْوِيةِ ، يُمِرُّها كما جاءَت مِن غيرِ طَعْنٍ على أئمةِ الدينِ وعلماءِ المسلمين ، ويَنْهَى عن صُحْبةِ المُبْتَدِعِين ، ويَأْمُرُ بصُحْبةِ الصالحين[2] . قال : ربما أنْشَدنى لنفسِه فى ذلك[3] :

أُوصِيكمُ بالقولِ فى القرآنِ ... بقولِ أهلِ الحقِّ والإتْقانِ
ليس بمَخْلوقٍ ولا بفانِ ... لكنْ كلامُ الملكِ الدَّيَّانِ
آياتُه مُشْرِقةُ المعانى ... مَتْلُوَّةٌ للَّهِ باللسانِ
مَحْفوظةٌ فى الصَّدرِ والجَنانِ ... مَكتوبةٌ فى الصُّحْفِ بالبَنانِ
والقولُ فى الصِّفاتِ يا إخْوانى ... كالذاتِ والعلمُ مع البَيانِ
إمْرارُها مِن غيرِ ما كُفْرانِ ... مِن غيرِ تَشْبيهٍ ولا عُطْلانِ[4]

قال : وأنْشَدنى لنفسِه :

ألم يَكُ مَلْهاةً عن اللَّهْوِ أننى ... بدا لىَ شَيْبُ الرأسِ والضَّعْفُ والألَمْ

---

(١) فى الأصل ، م : « المشترك » . وانظر مصدر التخريج .
(٢) بعده فى م : « الذين هم على سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين » .
(٣) الذيل على الروضتين ص ٧٤.
(٤) فى الأصل ، ص : « عدوان » .

أَلَمَّ بىَ الخَطْبُ الذى لو بَكَيْتُه حياتىَ حتى يَذْهَبَ الدمعُ لم أُلَمْ

قال : ومرِض أيامًا ، فلم يَتْرُكْ شيئًا مما كان يَعْمَلُه مِن الأَوْرادِ ، حتى كانت وفاتُه وقتَ السَّحَرِ فى ليلةِ الثلاثاءِ التاسعِ والعشرين مِن ربيعِ الأولِ ، فغُسِّل بالدَّيْرِ ، وحُمِل إلى مَقْبَرتِه فى خَلْقٍ كثيرٍ لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ عز وجل ، ولم يَبْقَ أحدٌ مِن الدولةِ والأمراءِ والعلماءِ والقُضاةِ وغيرِهم إلا حضَر جِنازتَه ، وكان يومًا مشهودًا ، وكان الحرُّ شَديدًا ، فأظَلَّت الناسَ سَحابةٌ مِن الحرِّ كان يُسْمَعُ منها كدَوِىِّ النحلِ ، وكاد الناسُ يَنْتَهِبون أكْفانَه ، وقد رثاه الشعراءُ بمَراثٍ حَسَنةٍ ، ورُئِيَتْ له مَناماتٌ صالحةٌ ، رحِمه اللَّهُ ، وترَك مِن الأولادِ ثلاثةَ ذكورٍ[(1)] ؛ عمرُ ، وبه كان يُكَنَّى ، والشَّرَفُ عبدُ اللَّهِ ، [(2)] وقد ولِى الخَطابةَ بعدَ أبيه ، وهو والدُ العِزِّ ، و[(3)] أحمدُ ، ولما تُوُفِّى الشَّرَفُ عبدُ اللَّهِ[(2)] صارَت الخَطابةُ لأخيه شمسِ الدينِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عمرَ ، وكان مِن أولادِ أبيه الذُّكورِ ، وكان له مِن الإناثِ بناتٌ كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] . [٣٣٩/٩و] قال : وقبرُه فى طريقِ مَغارةِ الجوعِ فى الزُّقاقِ المُقابِلِ لدَيْرِ الحَوْرانىِّ . رحِمه اللَّهُ وإيانا .

ابنُ طَبَرْزَدَ شيخُ الحَديثِ : عمرُ بنُ محمدِ بنِ مُعَمَّرِ بنِ يحيى المعروفُ بأبى حفصِ بنِ طَبَرْزَدَ البغدادىُّ الدارَقَزِّىُّ[(4)] ، وُلِد سنةَ عشرٍ[(5)] وخمسِمائةٍ ،

---

(١) كذا فى النسخ . والصحيح أنهم أربعة كما سيأتى وكما فى مرآة الزمان والذيل على الروضتين .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ص ٧٤ .

(٤) الكامل ١٢/ ٢٩٥ ، ومرآة الزمان ٥٣٨/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٣٤ ، والذيل على الروضتين ص ٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥٠٧/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٥٩ .

(٥) فى م : « خمس عشرة » .

وسمِع الكثيرَ وأَسْمَع، وكان خَليعًا ظَريفًا ماجنًا، وكان يُؤَدِّبُ الصِّبْيانَ بدارِ القَزِّ[1]، قدِم مع حنبلِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُكبِّرِ[2] إلى دمشقَ، فسمِع أهلُها عليهما، وحصَل لهما أموالٌ، وعادا إلى بغدادَ، فمات حَنْبلٌ سنةَ ثلاثٍ، وتأَخَّر هو إلى هذه السنةِ[3]، فمات فيها وله سبعٌ وتسعون سنةً، وترَك مالًا جيدًا، ولم يَكُنْ له وارثٌ إلا بيتُ المالِ، ودُفِن ببابِ حربٍ.

السلطانُ الملكُ العادلُ أرْسَلان شاه نورُ الدينِ [4]**أبو الحارثِ أرسلان شاه ابنُ عزِّ الدينِ مسعودِ بنِ قطبِ الدينِ مَودودِ بنِ زَنْكِي**[4] صاحبُ الموصلِ، وهو ابنُ أخي نورِ الدينِ الشَّهيدِ، وقد ذكَرْنا مِن سِيرتِه في الحوادثِ ما فيه كفايةٌ، وكان شافعيَّ المذهبِ، ولم يَكُنْ بينَهم شافعيٌّ سواه، وبنَى للشافعيةِ مدرسةً عظيمةً بالموصلِ، وبها تُرْبتُه، قال ابنُ خلِّكانَ[5]: وكانت وفاتُه ليلةَ الأحدِ التاسعَ والعشرين من رجبٍ مِن هذه السنةِ.

ابنُ سُكَيْنةَ: عبدُ الوهّابِ بنُ عليٍّ[6] **ضِياءُ الدِّينِ أبو محمدٍ المعروفُ بابنِ سُكَيْنةَ الصُّوفيُّ**، كان يُعَدُّ مِن الأَبْدالِ، سمِع الكثيرَ، وأسْمعَ ببلادٍ شَتَّى، وكان مولِدُه في سنةِ تسعَ عشْرةَ وخمسِمائةٍ، وكان صاحبًا للشيخِ أبي الفرجِ بنِ

---

(١) دار القز: محلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء. معجم البلدان ٢/ ٥٢٢.
(٢) المكبِّر: من يبلِّغ تكبير الإمام إلى الناس إذا كثروا. انظر الأنساب ٥/ ٣٧٢.
(٣) بعده في م: «في تاسع شهر رجب».
(٤ - ٤) سقط من: م.
(٥) وفيات الأعيان ١/ ١٩٣.
(٦) بعده في الأصل، ص: «بن». وانظر ترجمته في: الكامل ١٢/ ٢٩٥، والذيل على الروضتين ص ٧٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٢، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٥٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٣٢٤. وجاءت كنيته في المصادر - عدا الذيل على الروضتين - «أبو أحمد».

الجَوْزِيِّ مُلازِمًا لمجْلِسِه ، وكان يومُ جنازتِه مشهودًا ؛ لكثرةِ ما كان فيه مِن الخاصَّةِ والعامَّةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

مُظَفَّرُ بنُ شاشيرَ[1] **الواعظُ الصُّوفيُّ البغداديُّ** ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وعشرين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، وكان يَعِظُ في الأَعْزِيَةِ والمساجدِ والقُرَى ، وكان ظَرِيفًا مَطْبوعًا ، قام إليه إنسانٌ وهو يَعِظُ فقال له فيما بينَه وبينَه : أنا مَريضٌ جائعٌ . فقال : احْمَدْ ربَّك فقد عُوفِيتَ . واجْتاز على قَصَّابٍ يَبِيعُ لحمًا ضعيفًا ، وهو يقولُ : أين مَن حلَف لا يُغْبَنُ[2] ؟ فقال له : حتى تُحْنِثَه ؟! قال : وعَمِلْتُ مرةً مَجْلسًا ببَعْقُوبَا[3] ، فجعَل هذا يَقولُ : عندى للشيخِ نِصْفِيَّةٌ . وهذا يَقولُ مثلَه ، حتى عدُّوا نحوًا مِن خمسين نِصْفِيةً . فقلتُ في نفسي : اسْتَغْنَيْتُ الليلةَ ، فأَرْجِعُ إلى البلدِ تاجرًا . فلما أَصْبَحْتُ إذا صُبْرَةٌ مِن شَعيرٍ في المسجدِ ، فقيل : هذه النِّصافى . وإذا هى مِكْيَلَةٌ يُسَمُّونها النِّصافىَ . وعمِلْتُ مرةً مجلسًا بباجِسْرا[4] ، فجمَعوا لى شيئًا لا أَدْرِى ما هو ، فلما أَصْبَحْنا إذا شىءٌ مِن صُوفِ الجَواميسِ وقُرونِها ، فقام رجلٌ يُنادِى عليها : كم في صوفِ الشيخِ وقرونِه ؟ فقلتُ : لا حاجةَ لى بهذا ، وأنتم في حِلٍّ منه . ذكَره أبو شامةَ[5] .

---

(١) في الأصل : « شاشير » ، وفى م : « ساسير » . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٨/٥٥٣ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٣٧، والذيل على الروضتين ص ٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٨٢.

(٢) يغبن : يغلب في البيع . انظر الوسيط (غ ب ن) .

(٣) بعقوبا : قرية كبيرة كالمدينة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من أعمال طريق خراسان ، وهى كثيرة الأنهار والبساتين . معجم البلدان ١/ ٦٧١.

(٤) في م : « بياصرا » . وباجسرا : بُلَيْدة في شرقى بغداد بينها وبين حلوان ، على عشرة فراسخ من بغداد . معجم البلدان ١/ ٤٥٤.

(٥) الذيل على الروضتين ص ٧٧.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] والعادلُ مُقيمٌ على الطُّورِ لعِمارةِ حصنِه ، وجاءت الأخْبارُ مِن بلادِ المغربِ بأن ابنَ[2] عبدِ المؤْمِنِ قد كسَر الفِرَنْجَ بطُلَيْطُلَة كَسْرةً عظيمةً ، وربما فتَح البلدَ عَنْوَةً ، وقتَل منهم خلقًا عظيمًا .

وفيها كانت زَلْزلةٌ عظيمةٌ شديدةٌ هدَمَت بمصرَ والقاهرةِ دُورًا [٩/٣٣٩ ظ] كثيرةً ، وكذلك بمدينةِ الكَرَكِ والشَّوْبَكِ هدَمَت مِن قَلْعتِها أبْراجًا ، ومات خلقٌ كثيرٌ مِن الصِّبْيانِ والنِّسْوانِ تحتَ الهَدْمِ . ورُئِى دُخانٌ نازلٌ مِن السماءِ إلى الأرضِ [3]فيما بينَ المغربِ والعشاءِ عندَ قبرِ عاتكةَ غربىَّ دِمشقَ[3] .

وفيها أظْهَرَت الباطنيةُ الإسلامَ ، وأقامَت الحدودَ على مَن يتَعاطَى الحَرَامَ ، وبنَوُا الجوامعَ والمساجدَ ، وكتَبوا إلى إخْوانِهم بالشامِ بمصيابَ[4] وأمثالِها بذلك ، وكتَب زعيمُهم جَلالُ الدينِ إلى الخليفةِ يُعْلِمُه بذلك ، وقَدِمت أُمَّةٌ منهم إلى بغدادَ لأجلِ الحجِّ فأُكْرِموا وعُظِّموا بسببِ ذلك ، ولكن لما كانوا بعَرَفاتٍ ظُفِر[5]

---

(١) الكامل ٢٩٦/١٢ - ٢٩٩، ومرآة الزمان ٥٥٥/٨ - ٥٥٧ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ٧٧ - ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤ - ٣٦.

(٢) سقط من : الأصل، م .

(٣ - ٣) كذا فى النسخ . وفى الذيل : « فيما ين الغرب والقبلة بنواحى أرض عاتكة ظاهر دمشق وقت العصر » .

(٤) سقط من : ص . وفى الأصل : « بمصيات » ، وفى م : « بمضات » . ومصياب : حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس ، وبعضهم يقول : مصياف . معجم البلدان ٤/ ٥٥٦.

(٥) فى الأصل : « ظهر » . قال الأخفش : تقول العرب : ظفر عليه . بمعنى ظفر به . اللسان (ظ ف ر) .

واحدٌ منهم على قريبٍ لأميرِ مكةَ قَتادةَ الحسينيّ، فقتَله ظانًّا أنه قَتادةُ، فثارَت فِتْنةٌ بيـنَ سُودانِ مكةَ ورَكْبِ العراقِ، ونُهِب الرَّكْبُ، وقُتِل منهم خَلْقٌ كثيرٌ.

وفيها اشْتَرَى الملكُ الأشْرَفُ جَوْسَقَ الريسِ مِن النَّيْرَبِ[1] مِن ابنِ عمِّه الظافرِ[2] خَضِرِ بنِ صلاحِ الدينِ، وبناه بناءً حسَنًا، وهو المُسَمَّى فى زمانِنا بالدهشةِ[3].

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الشيخُ عِمادُ الدينِ محمدُ بنُ يُونُسَ الفَقيهُ الشافعىُّ المَوْصِلىُّ[4]، صاحبُ التَّصانيفِ والفُنونِ الكثيرةِ، كان رئيسَ الشافعيةِ بالموصلِ، وبُعِث رسولًا إلى بغدادَ بعدَ موتِ نُورِ الدينِ أرْسَلان، وكان عندَه وَسْوَسةٌ كثيرةٌ فى الطَّهارةِ، وكان يُعامِلُ فى الأمْوالِ بمسألةِ العِينةِ[5] - ولو عكَس الأمرَ لكان خيرًا له - فلقِيه يومًا قَضِيبُ البانِ[6] المُوَلَّهُ، فقال له: يا شيخُ، بلَغَنى عنك أنك تَغْسِلُ العُضْوَ مِن

---

(١) الجوسق: القصر الصغير. والحصن. والنيرب: قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين. معجم البلدان ٤/ ٨٥٥.

(٢) فى الأصل: «الطاهر»، وفى م: «الظاهر». وانظر الوافى بالوفيات ١٣/ ٣٢٩.

(٣) فى ص: «بالرسة».

(٤) الكامل ١٢/ ٢٩٨، ومرآة الزمان ٨/ ٥٥٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٦٨، والذيل على الروضتين ٨٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٠٩.

(٥) بعده فى الأصل، م: «كما قيل: تصفون البعوض من شرابكم وتستربطون الجمال بأحمالها». والعينة: هو أن يبيعَ من رجلٍ سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به. النهاية ٣/ ٣٣٣.

(٦) هو أبو عبد الله الحسين بن أبى القاسم بن الحسين، من أهل الموصل، كان من المعمرين، له كرامات تحكى عنه مشهورة يتداولها الناس تنافى العقل والشرع، توفى سنة نيف وسبعين. انظر تاريخ إربل ١/ ٣٧١.

أعْضائِك بأباريقَ من الماءِ ، فلم لاتَسْتَنْظِفُ اللُّقْمةَ التى تَأْكُلُها (١ليَسْتَنْظِفَ قَلْبُك وباطِنُك١) ؟! ففهِم الشيخُ ما أشار إليه وترَك المعاملةَ ، وكانت وفاتُه بالموصلِ فى رجبٍ عن ثلاثٍ وسبعين سنةً .

ابنُ حَمْدونَ تاجُ الدينِ أبو سعيدٍ الحسنُ بنُ محمدِ بنِ حَمْدونَ[٢] ، (٣ولدُ٣) صاحبِ « التَّذْكِرةِ الحَمْدونيةِ » ، كان فاضلًا بارِعًا ، اعْتَنَى بجمعِ الكتبِ المَنْسوبةِ وغيرِها ، وولَّاه الخليفةُ المارَسْتانَ العَضُدىَّ ، وكانت وفاتُه بالمَدائنِ ، وحُمِل إلى مَقابرِ قريشٍ .

وفيها تُوفِّى صاحبُ الرومِ خُسْرُوشاه بنُ قِلِيج[٤] **أَرَسْلان** ، وقام بالملكِ بعدَه ولدُه كَيْكاوسُ ، فلما تُوفِّى فى سنةِ خمسَ عشْرةَ ملَك أخوه كَيْقُباذُ .

صارمُ الدينِ بُزْغُشُ العادلىُّ[٥] ، نائبُ القلعةِ بدمشقَ ، مات فى صفَرٍ ، ودُفِن بتُرْبتِه غربىَّ الجامعِ المُظَفَّرىِّ ، وهو الذى نفَى الحافظَ عبدَ الغنىِّ المَقْدِسىَّ إلى مصرَ ، وبينَ يديه كان عَقْدُ المجلسِ ، (١وكان فى جملةِ مَن قام عليه ابنُ الزَّكِىِّ والخَطيبُ الدَّوْلعىُّ ، وقد تُوُفُّوا أربعتُهم وغيرُهم ممَّن قام عليه ، واجْتَمَعوا عندَ ربِّهم الحكَمِ العدلِ سبحانَه١) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) معجم الأدباء ٩/ ١٨٤، والكامل ١٢/ ٢٩٩، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٥٧، والذيل على الروضتين ٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩١، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٢١.

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٤) فى م : « قلج » ، وفى ص : « مليح » . وانظر مصدرى ترجمته ؛ الذيل على الروضتين ص ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٢.

(٥) الذيل على الروضتين ص ٨٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٠، والمقفى الكبير ٢/٤١١ وفيه وفى نهاية الأرب : « برغش » . وانظر تبصير المنتبه ٤/ ١٤٨٩، وتاج العروس (برغش) .

الأميرُ فَخْرُ الدينِ سركسُ[1] ، ويقالُ له : جِهَارْكَسُ . أحدُ أمراءِ الدولةِ الصَّلاحيةِ ، وإليه تُنْسَبُ قِبابُ سركسَ بالسَّفْحِ تُجاهَ تُرْبةِ خاتون ، وبها قبرُه . قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : وهو الذى بنَى القَيْسارِيَّةَ الكبرى بالقاهرةِ المَنْسوبةَ إليه ، وبنَى فى أعلاها مسجدًا مُعَلَّقًا ورَبْعًا ، وقد ذكَر جَماعةٌ من التُّجَّارِ أنهم لم يرَوْا لها نَظيرًا فى البُلْدانِ فى حسنِها وعِظَمِها وإحكامِ بنائِها . قال : وجِهارْكَسُ بمعنى أربعةِ أنفسٍ .

[٩/٣٤٠و] قلتُ : وقد كان نائبًا للعادلِ على بانِياسَ و[3]تِبنِينَ وهُونِينَ[3] ، فلما تُوُفِّى ترَكَ ولدًا صغيرًا ، فأقَرَّه العادلُ على ما كان يَلِيه أبوه ، وجعَل له مُدَبِّرًا وهو الأميرُ صارمُ الدينِ خطلبا[4] التِّبْنِينىُّ ، ثم اسْتَقَلَّ بها بعدَ موتِ الصبىِّ إلى سنةِ خمسَ عشْرةَ .

الشيخُ الكبيرُ المُعَمَّرُ الرُّحْلةُ أبو القاسمِ أبو بكرٍ أبو الفتحِ منصورُ بنُ عبدِ المُنْعِمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ الفضلِ الفُرَاوىُّ[5] النَّيْسابورىُّ ، سمِع أباه وجدَّ أبيه وغيرَهما ، وعنه ابنُ الصَّلاحِ وغيرُه ، وكانت وفاتُه بنَيْسابورَ فى شَعْبانِ هذه

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٨١.

(٢) مرآة الزمان ٨/٥٥٨ (القسم الثانى) وفيه : « شركس » ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٨٩، والذيل على الروضتين ص ٧٩، ووفيات الأعيان ١/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٠.

(٣ - ٣) فى م : « تينين وهوبين » . وتبنين : بلدة فى جبال بنى عامر ، المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور . وهونين : بلد فى جبال عاملة ، مطل على نواحى مصر . معجم البلدان ١/ ٨٢٤، ٤/ ٩٩٦.

(٤) فى م : « قطلبا » ، وفى ص : « خطبا » .

(٥) فى الأصل ، ص : « الفزارى » . والفراوى نسبة إلى فراوة : بليدة من أعمال نَسا . معجم البلدان ٣/ ٨٦٦، وانظر ترجمته فى : ذيل تاريخ بغداد ١٥/ ٣٥٣، ومرآة الزمان ٨/٧٥٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٨٠، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٧١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٢.

السنةِ عن خمسٍ وثمانين سنةً .

قاسمُ الدينِ التُّرْكُمانيُّ العُقَيْبِيُّ[1] ، والدُ والى البلدِ[2] ، كانت وَفاتُه فى شوالٍ من هذه السنةِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٨٠.
(٢) أى دمشق . كما فى الذيل .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وستّمائةٍ

فيها[1] اجْتَمَع العادلُ وأولادُه ؛ الكاملُ والمُعَظَّمُ والفائزُ بدِمْياطَ مِن بلادِ مصرَ فى مُقاتَلةِ الفِرنْجِ ، فاغْتَنَم غَيْبَتَهم سامةُ[2] الجبَلىُّ أحدُ أكابرِ الأمراءِ ، وكانت بيدِه قَلْعةُ عجلونَ وكَوْكَبٍ ، فساق مُسْرعًا إلى الشامِ ليَسْتَلِمَ البلدين ، فأرْسَل العادلُ فى إثْرِه ولدَه المُعَظَّمَ صاحبَ الشامِ فسبَقه إلى القدسِ الشريفِ ، وحمَل إليه ، فرسَم عليه فى كنيسةِ صِهْيونَ ، وكان شيخًا كبيرًا قد أصابه النِّقْرِسُ ، فشرَع يَرُدُّه إلى الطاعةِ بالمُلاطَفةِ ، فلم يَنْفَعْ فيه ، فاسْتَوْلَى على حَواصلِه وأمْلاكِه وأموالِه ، وأرْسَله فاعتقَله بقلعةِ الكَرَكِ ، وكان قِيمةُ ما أخَذ منه قريبًا مِن ألفِ ألفِ دينارٍ ، مِن ذلك دارُه وحَمَّامُه داخلَ بابِ السَّلامةِ ، ودارُه هى التى جعَلها البادَرائىُّ مَدْرسةً للشافعيةِ ، وخرَّب حصنَ كَوْكَبٍ ، ونُقِلَت حَواصلُه إلى حصنِ الطُّورِ الذى اسْتَجَدَّه العادلُ وولدُه المُعَظَّمُ .

وفيها عُزِل الوزيرُ صفىُّ الدينِ بنُ شُكْرٍ ، واحْتِيط على أموالِه ونُفِى إلى الشرقِ ، وهو الذى كان قد كتَب إلى الديارِ المِصْريةِ بنَفْيِ الحافظِ عبدِ الغنىِّ إلى المغربِ ، فتُوُفِّى الحافظُ قبلَ أن يَصِلَ كتابُه ، وكتَب اللَّهُ عز وجل بنفيِه إلى الشرقِ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٣٠٠، ومرآة الزمان ٨/٥٦٠ - ٥٦٣ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٨٠ - ٨٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٧ - ٣٩.

(٢) كذا فى النسخ وتاريخ الإسلام . وفى الكامل ومرآة الزمان والذيل : « أسامة » .

وفيها اسْتَوْلَى صاحبُ قُبْرُسَ ، لعَنه اللَّهُ ، على مدينةِ أَنْطاكِيَةَ ، فحصَل بسببِه شرٌّ عظيمٌ ، وتمكَّن مِن الغاراتِ على بلادِ المسلمين ، لاسيما على التَّراكمين الذين حولَ بلدةِ أَنْطاكِيَةَ ؛ قتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وغنِم مِن أغْنامِهم شيئًا كثيرًا ، فقدَّر اللَّهُ عز وجل ، أن أمْكَنهم منه فى بعضِ الأَوْديةِ ، فقتَلوه وطافوا برأسِه فى تلك البلادِ كلِّها ، ثم أرْسَلوه إلى الملكِ العادلِ بالديارِ المِصريةِ ، فطِيفَ به هنالك ، وهو الذى كان قد أغار على بلادِ مصرَ مِن ثَغْرِ دِمْياطَ مرتين ، فقتَل وسبَى .

وفى ربيعٍ الأولِ منها **تُوُفِّى الملكُ الأوْحدُ نَجْمُ الدينِ أيوبُ بنُ العادلِ**[1] صاحبُ خِلاطَ ، يقالُ : إنه قد سفَك الدماءَ ، وأساء السِّيرةَ إلى أهلِها ، فقصَف اللَّهُ عمرَه ، ووليَها بعدَه أخوه الملكُ الأشْرَفُ موسى بنُ العادلِ ، وكان محمودَ السِّيرةِ ، جيِّدَ السَّريرةِ ، فأحْسَن إليهم ، فأَحَبُّوه كثيرًا .

وفيها تُوُفِّى فَقيهُ الحرمِ الشريفِ بمكةَ ، محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ أبى الصَّيْفِ اليَمَنىُّ[2] ، رحِمه اللَّهُ .

وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ القَفْصىُّ[3] المُقْرِئُ المحدِّثُ ، كتَب كثيرًا ، وسمِع الكثيرَ ، ودُفِن بمقابرِ الصُّوفيةِ ، [٩/٣٤٠ظ] رحِمه اللَّهُ .

---

(١) مرآة الزمان ٨/٥٦٠ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٨١، ونهاية الأرب ٢٩/ ٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٢٧، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦.

(٢ - ٢) فى ص : «الضيف الضبى» . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٣٠٠، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٤٦.

(٣) مرآة الزمان ٨/٥٦١ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٦، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٢٤.

أبو الفتحِ محمدُ بنُ سعدِ بنِ محمدِ الدِّيباجيُّ[1] ، مِن أهلِ مَرْوَ ، له كتابُ « المُحَصَّلِ » فى شَرْحِ « المُفَصَّلِ » للزَّمَخْشَرِيِّ فى النحوِ ، وكان ثقةً عالماً ، سمِع الحديثَ ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ عن ثنتين وتسعين سنةً .

الشيخُ الصالحُ الزاهدُ العابدُ [2]**أبو الثناءِ**[2] **محمودُ بنُ عثمانَ بنِ مَكارِمَ النَّعّالُ الحَنْبليُّ** ، له عِباداتٌ ومُجاهَداتٌ وسِياحاتٌ ، وبنَى رِباطًا ببابِ الأَزَجِ[3] يَأْوِى إليه أهلُ العلمِ مِن المَقادسةِ وغيرِهم ، وكان يُؤْثِرُهم ويُحْسِنُ إليهم ، وقد سمِع الحديثَ ، وقرَأ القرآنَ ، وكان يَأْمُرُ بالمعروفِ ويَنْهَى عن المُنْكَرِ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد جاوَز الثمانين .

---

(١) إنباه الرواة ٣/ ١٣٩، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٧، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤٥، والوافى بالوفيات ٣/ ٨٩.

(٢ - ٢) فى النسخ : « أبو البقاء » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ مرآة الزمان ٥٦٢/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٥، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤٨، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٦٣.

(٣) باب الأزج : محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار فى شرقى بغداد . معجم البلدان ١/ ٢٣٢.

ثم دخَلت سنةُ عشْرٍ وستّمائةٍ

فيها[(1)] أمَر العادلُ أيامَ الجُمَعِ بوَضْعِ سلاسِلَ على أفْواهِ الطُّرُقِ إلى الجامعِ لئلا تَصِلَ الخُيولُ إلى قريبِ الجامعِ صيانةً للمسلمين عن التَّأذِّى بهم ، والتضييقِ عليهم .

وفيها وُلِد الملكُ العزيزُ[(2)] بنُ الظاهِرِ[(2)] غازى صاحبِ حلَبَ ، وهو والدُ الملكِ الناصرِ صاحبِ دمشقَ واقفِ الناصريَّتَيْن[(3)] الذى أسَره هلاوونُ ملكُ التَّتارِ .

وفيها قُدِم بالفيلِ مِن الديارِ المصريةِ ، فحُمِل هديةً إلى صاحبِ[(4)] الكُرْجِ ، فتعَجَّب أهلُ دِمشقَ منه ، ومِن بديعِ خِلقَتِه .

وفيها قدِم الملكُ الظافِرُ خَضِرُ بنُ السلطانِ صلاحِ الدينِ مِن حلَبَ لقصدِ الحجِّ ، فتلَقَّاه الناسُ ، وأكْرَمه ابنُ عمِّه المُعَظَّمُ صاحبُ دِمشقَ ، فلما لم يَبْقَ بينَه وبينَ مكةَ إلا مَراحِلُ يَسيرةٌ تلَقَّته حاشيةُ الكاملِ صاحبِ مصرَ ، وصدُّوه عن الدُّخولِ إلى مكةَ ، وقالوا : إنما جئتَ لأخذِ اليمنِ . فقال لهم : قيِّدونى وذَرُونى

---

(1) الكامل ١٢/ ٣٠١، ٣٠٢، ومرآة الزمان ٨/ ٥٦٤ - ٥٦٩ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٤٠ - ٤٢.

(٢ - ٢) فى الأصل، م : «للظاهر».

(3) بعده فى م : «داخل دمشق إحداهما داخل باب الفراديس والأخرى بالسفح ذات الحائط الهائل والعمارة المتينة التى قيل: إنه لا يوجد مثلها إلا قليلا وهو». والناصريتان هما المدرسة الناصرية البرانية والناصرية الجوانية. انظر الدارس ١/ ١١٥ - ١١٧.

(4) سقط من: الأصل، ص، والذيل على الروضتين. والمثبت موافق لما فى تاريخ الإسلام.

أَقْضِى المَناسِكَ . فقالوا : ليس معنا مَرْسومٌ وإنما أُمِرْنا بردِّك وصَدِّك . فهمَّ طائفةٌ مِن الناسِ بقتالِهم ، فخاف مِن وُقوعِ فتنةٍ ، فتحَلَّل مِن حجِّه ، ورجَع إلى الشامِ ، وتأَسَّف الناسُ على ما فُعِل به ، وتَباكَوْا مِن أجلِه لمّا ودَّعهم ، تقَبَّل اللَّهُ منه .

وفيها وصَل كتابٌ مِن بعضِ فُقهاءِ الحَنَفيةِ بخُراسانَ إلى الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدىِّ يُخْبرُ فيه أن السلطانَ خُوارَزْم شاه محمدَ بنَ تِكِش تنَكَّر فى ثلاثةِ نفرٍ ، ودخَل بلادَ التَّتَرِ ليَكْشِفَ أخْبارَهم بنفسِه ، فأنْكَروهم فقبَضوا عليهم ، فضرَبوا منهم اثنين حتى ماتا ، ولم يُقِرَّا بما جاءُوا إليه ، واسْتَوْثَقوا مِن الملكِ وصاحبِه أسْرًا ، فلما كان فى بعضِ الليالى هرَبا ، ورجَع السلطانُ إلى مُعَسْكَرِه ، [1] فعاد إلى مَمْلَكتِه .

قلتُ : وهذه المكاتبةُ غيرُ ما تقدَّم مِن [1] أسْرِه فى المعركةِ مع ابنِ مسعودٍ الأميرِ ، واللَّهُ أعلمُ .

[2] وفيها ظهَرت بلاطةٌ وهم يَحْفِرون فى خندقِ حلبَ ، فوُجِد تحتَها مِن الذهبِ خمسةٌ وسبعون رَطْلًا ، ومِن الفضةِ خمسةٌ وعشرون بالرَّطْلِ الحَلَبىِّ [2] .

وفيها تُوُفِّى :

مدرسُ مَشْهدِ أبى حَنيفةَ وشيخُ الحنفيةِ ببغدادَ ، **الشيخُ أبو الفَضْلِ أحمدُ بنُ مسعودِ بنِ علىٍّ التُّرْكُستانىُّ** [3] ، وكان إليه المَظالمُ ، ودُفِن بالمَشْهدِ المذكورِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) الكامل ١٢/ ٣٠٢، والذيل على الروضتين ص ٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٧، والوافى بالوفيات ٨/ ١٧٨، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٦٢، والجواهر المضية ١/ ٣٣١.

والشيخُ (١)أبو محمدٍ(١) إسماعيلُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ فخرُ الدينِ الحَنْبلىُّ ، ويُعْرَفُ بابنِ الماشطةِ ، ويقالُ له : الفخرُ . غلامُ ابنِ المَنِّىِّ . له تَعْليقةٌ فى الخِلافِ ، وكانت له حَلْقةٌ بجامعِ الخليفةِ ، وكان يَلِى النظرَ فى قَرايا الخليفةِ ، ثم عزَله ، فلزِم بيتَه فقيرًا لا شىءَ له إلى [٣٤١/٩و] أن مات ، رحِمه اللَّهُ ، وكان ولدُه محمدٌ مُدَبِّرًا شيطانًا مَرِيدًا ، كثيرَ الهِجاءِ والسِّعايةِ بالناسِ إلى أولياءِ الأمرِ بالباطلِ ، فقُطِع لسانُه ، وحُبِس إلى أن مات .

والوزيرُ مُعِزُّ الدينِ أبو المَعالى سعيدُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ حَدِيدةَ[٢] ، مِن سُلالةِ الصَّحابىِّ قُطْبَةَ بنِ عامرِ بنِ حَدِيدةَ الأنْصارِىِّ ، ولِى الوِزارةَ للناصرِ فى سنةِ أربعٍ وثمانين ، ثم عزَله عن سِفارةِ ابنِ مَهْدىٍّ ، فهرَب إلى مَراغةَ[٣] ، ثم عاد بعدَ ابنِ مَهْدىٍّ ، فأقام ببغدادَ مُعَظَّمًا مُحْتَرَمًا ، وكان كثيرَ الصَّدَقاتِ والإحسانِ إلى الناسِ ، رحِمه اللَّهُ .

وسَنْجَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ الناصرىُّ الخَلِيفِىُّ[٤] ، كانت له أموالٌ كثيرةٌ وأمْلاكٌ وإقْطاعاتٌ مُتَّسِعةٌ ، وكان مع ذلك بخيلًا ذَليلًا ساقطَ النفسِ ، اتَّفَق أنه خرَج أميرَ

(١ - ١) فى م : « أبو الفضل بن » . وانظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ص ٨٤، ٨٥، ومرآة الزمان ٥٦٥/٨ (القسم الثانى) ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٠، والوافى بالوفيات ٩/ ١٥٧، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٦٦.

(٢) الكامل ١٢/ ٣٠٢، والذيل على الروضتين ص ٨٥، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٦٤، ٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٨٠.

(٣) فى ص : « مغارة » . ومراغة : بلد بأذربيجان . تاج العروس (م ر غ) .

(٤) فى م ، ص : « الخليفتى » . وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ٨٥، ومرآة الزمان ٥٦٨/٨ (القسم الثانى) ، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٧٤.

الحاجَّ فى سنةِ تسعٍ وثمانين وخمسِمائةٍ ، فاعْتَرَضه بعضُ الأعْرابِ فى نفرٍ يَسيرٍ ، وكان مع سَنْجَرَ خمسُمائةِ فارسٍ ، فدخَله الذُّلُّ مِن الأعْرابىِّ ، فطلَب منه الأعْرابىُّ خمسين ألفَ دينارٍ ، فجباها سَنْجَرُ مِن الحَجيجِ ، ودفَعها إليه ، فلما عاد إلى بغدادَ أخَذ الخليفةُ منه خمسين ألفَ دينارٍ ، ودفَعها إلى أصحابِها وعزَله ، وولَّى طاشْتِكِين مكانَه .

وقاضى السَّلَّامِيَّةِ ظَهِيرُ الدينِ أبو إسْحاقَ إبراهيمُ بنُ نصرِ بنِ عَسْكَرٍ(1) ، الفقيهُ الشافعىُّ الأديبُ ، ذكَره العِمادُ فى «الخريدةِ» وابنُ خَلِّكانَ فى «الوَفَياتِ» ، وأثْنَى عليه ، وأنْشَد مِن شعرِه فى شيخِ زاويةٍ وأصحابِه ، فقال :

ألا قُلْ لمكِّىٍّ قولَ النَّصوحِ فحقُّ النَّصِيحةِ أن تُسْتَمَعْ
متى سمِع الناسُ فى دينِهمْ بأن الغِنا سُنَّةٌ تُتَّبَعْ
وأن يَأْكُلَ المرءُ أكلَ البَعيرِ ويَرْقُصَ فى الجَمْعِ حتى يَقَعْ
ولو كان طاوِى الحَشا جائعًا لمَا دار مِن طَرَبٍ واسْتَمَعْ
وقالوا سكِرْنا بحُبِّ الإلهِ وما أسْكَر القومَ إلا القِصَعْ
كذاك الحَميرُ إذا أخْصَبَت يُنَقِّزُها(2) رِيُّها والشِّبَعْ(3)

وتاجُ الأُمَناءِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ

---

(1) تاريخ إربل ١/ ٣٩٥، وخريدة القصر ٢/٣٤٦ (قسم شعراء الشام)، ووفيات الأعيان ١/ ٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٦١.

(2) فى الأصل، م: «يهيجها». والنَّقز: الوثب والقفز فى مكان واحد. انظر اللسان (ن ق ز).

(3) بعده فى الأصل، م:

«تراهم يهزوا لحاهم إذا ترنم حاديهم بالبدع
فيصرخ هذا وهذا يئن ويس لو تليت ما انصدع»

عَساكرَ[1] ، مِن بيتِ الحديثِ والرِّوايةِ ، وهو أكبرُ مِن أخَوَيه زَيْنِ الأُمَناءِ والفخرِ عبدِ الرحمنِ ، سمِع عمَّيه الحافظَ أبا القاسمِ والصائنَ ، وكان صديقًا للشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدىِّ ، وكانت وفاتُه يومَ الأحدِ ثانى رجبٍ ، ودُفِن قِبْلِىَّ مِحْرابِ مسجدِ القدمِ .

وتاجُ العُلا النَّسَّابةُ الحلَبىُّ الحَسَنىُّ[2] ، اجْتَمَع بآمِدَ بالشيخِ أبى الخطابِ ابنِ دِحْيةَ ، وكان يُنْسَبُ إلى دِحْيةَ الكَلْبىِّ ، فقال له تاجُ العُلَا : إن دِحْيةَ لم يُعْقِبْ . فرماه ابنُ دِحْيةَ بالكذبِ فى مَسائلِه المَوصليةِ .

قال ابنُ الأثيرِ فى « الكاملِ »[3] : وفى المحُرَّمِ منها تُوُفِّى **المُهَذَّبُ الطَّبيبُ المَشْهورُ وهو علىُّ بنُ أحمدَ بنِ هَبَلٍ**[4] **المَوصلىُّ** ، سمِع الحديثَ ، وكان أعلمَ أهلِ زمانِه بالطبِّ ، وله فيه تَصْنيفٌ حسنٌ ، وكان كثيرَ الصَّدقةِ ، حسَنَ الأخلاقِ .

[5] **ابنُ خروفٍ** شارحُ « سيبَوْيهِ » و « جُمَلِ الزَّجاجىِّ » ، هو **أبو الحسنِ علىُّ ابنُ محمدِ بنِ علىٍّ الحَضْرَمىُّ الأندلسىُّ الإشبيلىُّ** ، أحدُ المشاهيرِ فى هذه الصناعةِ ، وكتبُه تدلُّ على تَقدُّمِه وعلمِه وفضلِه ، وكان شيخَه فيها ابنُ طاهرٍ ، المعروفُ بالخِدَبِّ الأندلسىِّ[5] .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٨٦، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٧٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٤.

(٢) فى الأصل، م: «الحسينى». وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٧٣، ولسان الميزان ١/ ٤٤٩.

(٣) الكامل ١٢/ ٣٠٢.

(٤) فى النسخ: «مقبل». والمثبت من الكامل. وانظر ترجمته فى؛ إنباه الرواة ٢/ ٢٣١، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٥١، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٤٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٧٧.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م. وتقدمت ترجمته فى صفحة ٧ فى وفيات سنة ست وستمائة.

الجُزُوليُّ صاحبُ المُقَدِّمةِ المُسَمَّاةِ بـ « القانونِ » : هو أبو موسى عيسى بنُ عبدِ العزيزِ الجُزُوليُّ[1] - بطنٌ مِن البَرْبَرِ - **ثم اليَزْدَكْتَنِيُّ**[2] **النحويُّ المغربيُّ**[3] ، مُصَنِّفُ المُقَدِّمةِ المشهورةِ البَديعةِ ، وقد شرَحها هو وتَلامِذتُه ، وكلُّهم يَعْتَرِفون بتَقْصيرِهم عن [٩/ ١٣٤١ظ] فهمِ مُرادِه في أماكنَ كثيرةٍ منها ، قدِم ديارَ مصرَ ، وأخَذ عن ابنِ بَرِّى ، ثم عاد إلى بلادِه ، وولِى خَطابةَ مَرَّاكُشَ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، وقيل : قبلَها . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) إنباه الرواة ٢/ ٣٧٨، ووفيات الأعيان ٣/٤٨٨ - ٤٩١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٦٣. وذكر فيه فى وفيات سنتى سبع وستمائة، وعشر وستمائة ص ٢٦٣، ٣٨١.

(٢) فى الأصل: « البردكننى »، وفى م : « البردكينى » ، وفى ص : « اليزدكنبى » . وفى سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام : « اليزذكنتى » ، والمثبت من وفيات الأعيان ؛ فقد ضبطه ابن خلكان بالحروف فقال : بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى فخذ من جزولة .

(٣) فى م : « المصرى » .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى عشْرَةَ وستّمائةٍ

فيها[1] أرْسَل الملكُ خُوارَزْم شاه أميرًا مِن أخِصَّاءِ أمرائِه عندَه، وكان قبلَ ذلك سيروانًا، فصار أميرًا خاصًّا، فبعَثه في جيشٍ، ففتَح له كَرْمانَ ومَكْرانَ، وإلى حدودِ بلادِ السِّنْدِ، وخُطِب لخُوارَزْم شاه بتلك النواحِى، وكان خُوارَزْم شاه لا يُصَيِّفُ إلا بنَواحى سَمَرْقَنْدَ خوفًا مِن التَّتارِ أصحابِ كَشْلى خان أن يَتَوَثَّبوا على أطرافِ بلادِه التى تُتاخِمُهم.

قال أبو شامةَ[2]: وفيها شُرِع فى تَبْليطِ داخلِ الجامعِ[3]، وبدَءوا بناحيةِ السَّبْعِ الكبيرِ[4]، وكانت أرضُ الجامعِ قبلَ ذلك حُفَرًا وجُوَرًا[5]. فاسْتَراح الناسُ بتَبْليطِه.

وفيها وُسِّع الخندقُ مما يلِى القَيْمازِيَّةَ، فأُخْرِبَت دورٌ كثيرةٌ هناك، وحَمَّامُ قايمازَ وفُرْنٌ كان وَقْفًا على دارِ الحديثِ النُّوريةِ وغيرُ ذلكَ.

وفيها بنَى المُعَظَّمُ الفُنْدُقَ المَنْسوبَ إليه بناحيةِ قبرِ عاتكةَ ظاهرَ بابِ الجابيةِ.

---

(١) الكامل ١٢/٣٠٣ - ٣٠٥، ومرآة الزمان ٨/٥٦٩ - ٥٧١ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ٨٦ - ٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥ - ٧.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٨٦.

(٣) بعده فى الأصل، م: «الأموى».

(٤) السَّبع: مكان فى المسجد الأموى، جُعِل لدراسة القرآن الكريم. مختصر تاريخ دمشق ١/٢٧٢ - ٢٧٤.

(٥) الجور: جمع الجُورة، وهى الحفرة وما انخفض من الأرض. محيط المحيط (ج و ر).

وفيها أخَذ المُعَظَّمُ قَلْعةَ صَرْخَدَ مِن ابنِ قَرَاجا ، وعوَّضه عنها ، وسلَّمها إلى مَمْلوكِه عزِّ الدينِ أَيْبَك المُعَظَّميِّ ، فثبتَت فى يدِه إلى أن انْتَزَعها منه نَجْمُ الدينِ أيوبُ سنةَ أربعٍ وأربعين .

وفيها حجَّ الملكُ المُعَظَّمُ بنُ العادلِ ، رِكِب مِن الكَرَكِ على الهُجُنِ فى حادى عشَرَ ذى القَعْدةِ ، ومعه ابنُ مُوسَك ومملوكُه أيبك عِزُّ الدينِ أُستاذُ دارِه وخَلْقٌ ، فساروا على طريقِ تَبوكَ والعَلاءِ ، وبنى المعظَّمُ[1] البِرْكَةَ المَنْسوبةَ إليه ، ومَصانعَ أُخَرَ . فلما قدِم المدينةَ النبويةَ تلقَّاه صاحبُها سالمٌ ، وسلَّم إليه مَفاتيحَها ، وخدَمه خدمةً تامةً ، وأما صاحبُ مكةَ قَتادةُ[2] ، فلم يَرْفَعْ به رأسًا ، ولهذا لما قضَى نُسُكَه ، وكان قارنًا ، وأنْفَق فى المجاوِرين ما حمَله إليهم مِن الصَّدَقاتِ ، وكرَّ راجعًا اسْتَصْحَب معه سالمًا صاحبَ المدينةِ ، وشكا إلى أبيه عندَ رأسِ الماءِ ما لقِيه مِن صاحبِ مكةَ ، فأَرْسَل العادلُ مع سالمٍ جيشًا يَطْرُدون صاحبَ مكةَ عنها ، فلما انْتَهَوا إليها هرَب منهم فى الأَوْديةِ والجبالِ والبَرارىِّ ، وقد أثَّر المُعَظَّمُ فى هذه السنةِ بطريقِ الحجازِ آثارًا حسَنةً ، أثابه اللَّهُ تعالى وتقبَّل منه آمين .

وفيها تَعامَل أهلُ دمشقَ بالقَراطيسِ[3] السُّودِ العادِليَّةِ ، ثم بطَلَت بعدَ ذلك وفَنِيت .

وفيها مات صاحبُ اليمنِ ابنُ سيفِ الإسلامِ ، فتولَّاها سليمانُ بنُ شاهِنْشاه ابنِ تَقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ باتفاقِ الأمراءِ عليه ، فأَرْسَل العادلُ إلى

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ص : « قاسم بن عزيز » .

(٣) القراطيس : نوع من الفلوس النحاسية أو الدراهم الملفوفة على شكل إصبع . معجم دوزى .

ابنِه الكاملِ أن يُرْسِلَ ولدَه أقسيسَ بنَ الكَاملِ إليها ، فأرْسَله فتمَلَّكها وظلَم بها وفتَك ، وقتَل مِن الأشرافِ نحوًا مِن ثمانِمائةٍ ، وأما ممَّن عداهم فكثيرٌ ، وكان مِن أفْجَرِ الملوكِ وأكْثرِهم فسْقًا وأقلِّهم حَياءً ، وقد ذُكِرَ عنه ما تَقْشَعِرُّ منه الأبْدانُ ، وتُنْكِرُه القلوبُ ، نَسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ .

ومِمن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ وغيرِهم :

إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ بَكْروسٍ، الفقيهُ الحَنْبلىُّ[1] ، أفْتَى وناظَر وعَدَّلَ عندَ الحُكَّامِ ، ثم انْسَلَخ مِن هذا كلِّه ، وصار شُرْطيًّا ببابِ النوبىِّ[2] ، يَضْرِبُ الناسَ ويُؤْذِيهم غايةَ الأَذَى ، ثم بعدَ ذلك كلِّه [٩/٣٤٢و] ضُرِب إلى أن مات ، وأُلْقى فى دِجْلَةَ ، وفرِح الناسُ بموتِه ، وقد كان أبوه رجلًا صالحًا .

الرُّكْنُ عبدُ السلامِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ الشيخِ عبدِ القادرِ[3] ، كان أبوه صالحًا ، وكان هو مُتَّهَمًا بالفَلسفةِ ومُخاطَبةِ النُّجومِ ، ووُجِد عندَه كتبٌ فى ذلك ، وقد ولِى عدةَ وِلاياتٍ ، ويقالُ لمثلِه :

نِعْمَ الجُدودُ ولكن بئس ما نسَلوا

رأَى أبوه عليه يومًا ثوبًا بُخاريًّا فقال : سمِعْنا بالبُخارِىِّ ومسلمٍ ، فأمّا بُخارِىٌّ وكافرٌ فهذا شىءٌ عجَبٌ . وكان مُصاحِبًا لأبى القاسمِ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٥٧٠ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٠١، والذيل على الروضتين ص ٨٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٦٦.

(٢) فى الأصل ، م : «النوى» . وباب النوبى ببغداد .

(٣) الكامل ١٢/ ٣٠٥، ومرآة الزمان ٨/٥٧١ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٠٩، والذيل على الروضتين ص ٨٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٢، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٢٩، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٧١.

الجَوْزىُّ ، وكان الآخَرُ مُدبرًا فاسقًا ، وكانا يَجْتَمِعان على الشَّراب والمُرْدانِ ، قبَّحهما اللَّهُ .

أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ محمودِ بنِ المُبارَكِ البَزّازُ[1] ، المعروفُ بابنِ الأَخْضَرِ ، البغداديُّ المُحَدِّثُ المُكْثِرُ الحافظُ المُصَنِّفُ المُحَرِّرُ ، له كتبٌ مُفيدةٌ مُتْقَنةٌ ، وكان مِن الصالحين ، وكان يومُ جِنازتِه يومًا مشهودًا .

[2]**الحافظُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الأَنْجَبِ** [3]**أبى المكارمِ**[3] **المُفَضَّلِ اللَّخْمىُّ المَقْدسىُّ** ، ثم الإسْكَنْدَرانىُّ المالكىُّ ، سمِع السِّلَفىَّ وعبدَ الرَّحيمِ المُنْذِرىَّ ، وكان مُدَرِّسًا للمالكيةِ بالإسْكندريةِ ، ونائبَ الحُكْمِ بها ، ومِن شعرِه قولُه :

أيا نفسُ بالمأثورِ عن خيرِ مُرْسَلٍ ... وأصحابِه والتابعين تَمَسَّكِى
عساكِ إذا بالَغْتِ فى نشرِ دينِه ... بما طاب مِن نَشْرٍ[4] له أن تُمَسَّكى
وخافى غدًا يومَ الحسابِ جَهَنَّمًا ... إذا لَفَحَت[5] نِيرانُها أن تَمَسَّكى

تُوُفِّى بالقاهرةِ فى هذه السنةِ . قاله ابنُ خَلِّكانَ[6][2] .

(١) الكامل ١٢/ ٣٠٥، وذيل تاريخ بغداد ١٥/ ٢٥٧، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٣٥، والذيل على الروضتين ص ٨٨، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١١٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٤.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) فى الأصل : « بن » . وانظر ترجمته فى التكملة لوفيات النقلة ٤/ ١١٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٩.

(٤) فى م : « عرف » .

(٥) فى الأصل، وسير أعلام النبلاء : « نفحت » . وانظر وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٢.

(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٢.

ثم دخلت سنة ثنتَىْ عشْرةَ وستّمائةٍ

فيها[1] شُرِع فى بناءِ المدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ بدمشقَ، وفيها عُزِل القاضى الزكىُّ بنُ محيى الدينِ بنِ الزَّكِىِّ، وفُوِّض الحكمُ إلى القاضى جمالِ الدينِ بنِ الحَرَسْتانىِّ، وهو ابنُ [2]ثنتين وتسعين[2] سنةً، فحكَم بالعدلِ، وقضَى بالحقِّ، ويقالُ: إنه كان يَحْكُمُ بالمدرسةِ المُجاهِديةِ التى عندَ القَوَّاسِين.

وفيها أبْطَل العادلُ ضَمانَ الخمرِ والقِيانِ، جزاه اللَّهُ خيرًا، فزالَ عن الناسِ شرٌّ كثيرٌ.

وفيها حاصَر الأميرُ قَتادةُ صاحبُ مكةَ المدينةَ النبويَّةَ ومَن بها، وقطَع نخيلًا كثيرًا، فقاتَله أهلُها، فكرَّ خاسئًا حسيرًا، وكان صاحبُ المدينةِ بالشامِ فى خدمةِ العادلِ، فطلَب منه النجدةَ على أميرِ مكةَ قتادةَ، فأرْسَل معه جيشًا، فأسْرَع فى الأَوْبَةِ، فمات فى أثناءِ الطريقِ، فاجْتَمَع شملُ الجيشِ على ابنِ أخيه جَمَّازٍ، فقصَد مكةَ، فالْتَقاه أميرُها بالصَّفْراءِ، فاقْتَتلوا قِتالًا عظيمًا، فَهُزِمَ المكِّيُّون، وغنِم منهم الأميرُ جَمَّازٌ شيئًا كثيرًا، وهرَب قَتادةُ إلى اليَنْبُعِ، فساروا إليه، فحصَروه بها، وضيَّقوا عليه فيها.

وفيها أغارَت الفِرْنْجُ على بلادِ الإسماعيليةِ، فقتَلوا ونهَبوا وسبَوا.

---

(1) الكامل ١٢/٣٠٦ - ٣١٢، ومرآة الزمان ٨/٥٧٢ - ٥٧٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ٨٩ - ٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٨ - ١١.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «ثمانين أو تسعين».

وفيها أخَذ ملكُ الرومِ كَيْكَاوس مدينةَ أَنْطاكِيَةَ مِن أيدى الفِرِنْجِ ، ثم أخَذها منه ابنُ لاوُن ملكُ الأرْمَنِ ، ثم أخذها منه إبْرَنْسُ[1] طَرابُلُسَ .

[2]وفيها ملَك السلطانُ خُوارَزْم شاه محمدُ بنُ تِكِش مدينةَ غَزْنَة بغيرِ قِتالٍ[2] .

وفيها كانت وَفاةُ الملكِ المعظمِ أبى الحســنِ علىِّ بنِ الخليفةِ الناصرِ لدينِ اللّهِ ، [3]الذى كانَ قد جعلَه [٩/٣٤٢ ظ] ولىَّ عهدِه من بعدِه ، وعزَل عن ذلك أخاه الأكبرَ[3] ، ولما تُوُفِّى حزِن الخليفةُ عليه حُزْنًا عظيمًا ، وكذلك الخاصَّةُ والعامَّةُ لكثرةِ صَدَقاتِه وإحسانِه إليهم ، ولم يَبْقَ بيتٌ ببغدادَ إلا حزِنوا عليه ، وكان يومُ جِنازتِه يومًا مشهودًا ، وناح أهلُ البلدِ عليه ليلًا ونَهارًا ، ودُفِن عندَ جَدَّتِه بالقربِ مِن قبرِ مَعْروفٍ الكَرْخِىِّ ، وكانت وفاتُه يومَ الجمعةِ العشرين مِن ذى القَعْدةِ ، وصُلِّى عليه بعدَ الصلاةِ[4] . وفى هذا اليومِ قُدِمَ برأسِ مَنْكَلى - الذى كان قد عصَى على الخليفةِ وعلى أُستاذِه - إلى بغدادَ فطِيف به فيها ، ولم تتمَّ فرحتُه ذلك اليومَ لتنغيصِها بموتِ ولدِه ولىِّ العهدِ ، والدنيا لا تَسُرُّ بقَدْرِ ما تَضُرُّ ، وترَك ولدَيْن وهما ؛ المُؤَيَّدُ أبو عبدِ اللّهِ الحسنُ ، والمُوَفَّقُ أبو الفضلِ يحيى .

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحافظُ عبدُ القادرِ الرُّهَاوِىُّ[5] : عبدُ القادرِ بنُ عبدِ اللّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ ،

---

(١) فى الأصل ، م : « إبريس » ، وفى الذيل على الروضتين : « أبوس » . ولعله البرنس ، وهو الأمير .
(٢ - ٢) سقط من : ص .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) فى م : « صلاة العصر » .
(٥) تاريخ إربل ١/ ١٣١، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ١٧١، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٦٠،=

أبو محمدٍ ، الحافظُ الكبيرُ المحدِّثُ المخرِّجُ المفيدُ المحرِّرُ المتْقِنُ البارعُ المُصَنِّفُ المُفِيدُ ، كان مَوْلًى لبعضِ المَواصِلةِ ، وقيل : لبعضِ الحَرَّانِيِّين . اشْتَغل بدارِ الحديثِ بالمَوْصِلِ ، ثم انْتَقل إلى حَرَّانَ ، وقد رحَل إلى بُلدانٍ شَتَّى ، وسمِع الكثيرَ مِن المشايخِ شرقًا وغربًا ، وأقام بحَرَّانَ إلى أن تُوُفِّى بها فى هذه السنةِ ، وكان مولدُه فى سنةِ ستٍّ وثلاثين وخمسِمائةٍ ، وكان دَيِّنًا صالحًا خيِّرًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى بمنِّه وكرمِه .

الوَجِيهُ الأعْمَى ، أبو بكرٍ المُبارَكُ بنُ سعيدِ بنِ الدَّهَّانِ النَّحْوِيُّ الواسطِيُّ المُلَقَّبُ بالوَجيهِ[1] ، وُلِد بواسِطٍ ، وقدِم بغدادَ ، فاشْتَغل بعلمِ العَرَبيةِ والنحوِ ، فأتْقَن ذلك ، وحفِظ شيئًا كثيرًا مِن أشعارِ العربِ ، وسمِع الحديثَ ، وكان حَنْبَليًّا فانْتَقَل إلى مذهبِ أبى حَنيفةَ ، ثم صار شافعيًّا ، وولِى تَدْريسَ النحوِ بالنِّظاميةِ ، وفيه يقولُ الشاعرُ[2] :

أَلَا مُبْلِغًا عنى الوَجيهَ رِسالةً ... وإن كان لا تُجْدِى لديه[3] الرَّسائلُ

تَمَذْهَبْتَ للنُّعمانِ بعدَ ابنِ حَنْبلٍ ... وذلك لَمَّا أعْوَزَتْك المآكلُ

وما اخترتَ رأىَ الشافعىِّ تديُّنًا ... ولكنما تَهْوَى الذى هو حاصلُ

= والذيل على الروضتين ص ٩٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٧١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٠٧.

(١) معجم الأدباء ١٧/ ٥٨، والكامل ١٢/ ٣١٢، وإنباه الرواة ٣/ ٢٥٤، ومرآة الزمان ٨/ ٥٧٣ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٧٨، والذيل على الروضتين ص ٩٠، ووفيات الأعيان ٤/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٥.

(٢) هو أبو البركات محمد بن أبى الفرج التكريتى . وتقدمت الأبيات فى ١٦/ ٧٢٦ فى ترجمته ضمن وفيات سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

(٣) فى م، ص : «إليه» .

وعما قليلٍ أنت لا شكَّ صائرٌ إلى مالكٍ [(١] فافْطِنْ لِمَا أنا[١)] قائلُ

[(٢]وقد ذكرناه فى سنةِ تسعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ[٢)] .

وكان يَحْفَظُ شيئًا كثيرًا مِن الحِكاياتِ والأمْثالِ والمُلَحِ، ويَعْرِفُ العربيةَ والتُّرْكيةَ والعَجَميةَ والرُّوميةَ والحَبَشيةَ والزِّنْجِيةَ، وكان له يدٌ طُولَى فى نَظْمِ الشعرِ، فمِن ذلك قولُه[(٣)] :

ولو وقَعَت[(٤)] فى لُجَّةِ البحرِ قَطْرةٌ مِن المُزْنِ يومًا ثم شاء لمازَها[(٥)]

ولو ملَك الدنيا فأضْحَى مُلُوكُها عبيدًا له فى الشرقِ والغربِ ما زها

وقولُه فى التَّجْنِيسِ أيضًا[(٦)] :

أطَلْتَ مَلامى فى اجْتِنابى لِمَعْشرٍ طَغامٍ لِئامٍ جُودُهمْ غيرُ مُرْتَجَى

ترَى بابَهمْ لا باركَ اللَّهُ فيهمُ على طالبِ المعروفِ إنْ جاء مُرْتَجَا[(٧)]

حمَوْا مالَهم والدِّينُ والعِرْضُ منهمُ مُباحٌ فما يَخْشَوْن مِنْ [(٨]هجوِ مَنْ[٨)] هَجَا

إذا شرَع الأجْوادُ فى الجُودِ مَنْهَجًا لهم شرَعوا فى البُخْلِ سبعين مَنْهَجًا

وله مَدائحُ حسَنةٌ وأشعارٌ رائقةٌ، ويبتكرُ معانىَ فائقةً، وربما عارَض شعرَ

(١ - ١) فى الأصل: «فانظر لما أنت»، وفى م: «فانظر إلى ما أنت».
(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.
(٣) الأبيات فى معجم الأدباء ١٧/ ٦٠.
(٤) فى م: «وقفت».
(٥) مازها: مَيَّزَها. انظر المحيط (م ى ز).
(٦) معجم الأدباء ١٧/ ٦٧.
(٧) هذا البيت سقط من: م. ومرتجٌ: مغلق. اللسان (ر ت ج).
(٨ - ٨) فى م: «عاب أو».

البُحْتُرِىِّ بما يُقارِبُه ويُدانِيه .

قالوا[1] : وكان لا يَغْضَبُ قطُّ . تراهَن جماعةٌ مع واحدٍ أنه كان له [٩/٣٤٣و] كذا وكذا إن أغضبه ، فجاء إليه فسأله عن مسألةٍ فى العربيةِ فأجابه فيها ، فقال له السائلُ : أخْطَأْتَ أيُّها الشيخُ . فأعاد عليه الجوابَ بعبارةٍ أخرى ، [2]فقالَ له : أخطأتَ أيضًا . وأعاد ثالثةً بعبارةٍ أخرى[2] ، فقال له : كذَبْتَ ، ولعلَّك قد نسِيتَ النحوَ . فقال له الوَجيهُ : أيُّها الرجلُ ، فلعلك لم تَفْهَمْ ما أَقولُ لك . فقال : بلى ، ولكنك تُخْطِئُ . فقال له : فقلْ ما عندَك لنَسْتَفيدَه منك . فأَغْلَظ له السائلُ فى القولِ ، فتبَسَّم ضاحِكًا ، وقال له الوجيهُ : إن كنتَ راهَنْتَ فقد غُلِبْتَ ، إنما مَثَلُك فى هذا كمثلِ البقَّةِ - يعنى الناموسةَ - سقَطَت على ظهرِ الفيلِ ، فلما أرادت أن تَطِيرَ قالت له : اسْتَمْسِكْ ، فإنى أريدُ أن أَطِيرَ . فقال لها الفيلُ : ما أَحْسَسْتُ بكِ حينَ وقَعْتِ علىَّ ، فما أَحْتاجُ أن أَسْتَمْسِكَ إذا طِرْتِ . كانت وفاتُه رحِمه اللَّهُ تعالى فى شعبانَ ، ودُفِن بالوَرْدِيةِ[3] .

[4]**أبو الفتوحِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ المباركِ**[5] ، التاجرُ المعروفُ بابنِ الجَلاجِلىِّ ، كانَ يسكنُ بدارِ الخلافةِ ببغدادَ ، قرأ القرآنَ على الرواياتِ ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، ورحَل إلى البلْدانِ المتباينةِ ، بلَغ ثلاثًا وستين سنةً ، وكانت وفاتُه بالقدْسِ الشَّريفِ فى رمضانَ . رحمه اللَّهُ[4] .

---

(١) معجم الأدباء ١٧/ ٦٤، ٦٥.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) الوردية : مقبرة ببغداد . معجم البلدان ٤/ ٩٢٠.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، م .

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٨٢، والذيل على الروضتين ص ٩٩ - وذكره فى وفيات السنة الآتية - ، والعبر ٥/ ٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٢، والمقفى الكبير للمقريزى ٦/ ٣٢٨. وستأتى له ترجمة فى السنة الآتية .

أبو محمدِ عبدُ العزيزِ بنُ المَعالى[1] **بنِ غَنيمةَ بنِ الحسنِ**، المعروفُ بابنِ مَنِينا، وُلِد سنةَ خمسَ عشْرةَ وخمسِمائةٍ، وسمِع الكثيرَ وأسْمعَه، وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ عن سبعٍ وتسعينَ سنةً[2].

الشيخُ الفقيهُ كمالُ الدينِ مَوْدودُ بنُ الشاغوريِّ الشافعيُّ[3]، كان يُقْرِئُ بالجامعِ الأُمَويِّ الفِقْهَ، ويشرَحُ «التَّنْبيهَ» للطلبةِ، ويتأنَّى فى تفهيمِهم حتى يَفْهَموا احْتِسابًا، تُجاهَ المَقْصورةِ. ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ شَماليَّ قبورِ الشُّهداءِ، وعلى قبرِه شعرٌ ذكَره أبو شامةَ. واللَّهُ تعالى أعلمُ.

---

(١) فى م: «أبى المعالى»، وانظر ترجمته فى: المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٢٥٧، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٠٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٠٧.

(٢) لم تذكر المصادر سِنَّه وقت وفاته، وفيها أنه ولد سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٩.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثَ عشْرَةَ وستّمائةٍ[1]

قال أبو شامةَ[2] : فيها أُحْضِرَت الأَوْتادُ الخَشَبُ الأربعةُ لأجلِ قُبَّةِ نَسْرِ الجامعِ ، طولُ كلِّ واحدٍ اثنان وثلاثون ذراعًا بالنَّجَّارِ .

وفيها شُرِع فى تَحريرِ خَنْدقِ بابِ السِّرِّ المُقابلِ لدارِ الطُّعْمِ العَتيقةِ إلى جانبِ باناسَ[3] - قلتُ : وهى إصْطَبْلُ السلطانِ اليومَ - وقد نقَل السلطانُ المُعَظَّمُ بنفسِه الترابَ ، ومَماليكُه تَحْمِلُ بينَ يديه على القَرَبوسِ[4] القِفافَ مِن الترابِ ، فيُفْرِغونها فى المَيْدانِ الأخضرِ ، وكذلك أخوه الصالحُ إسماعيلُ ومَماليكُه ، يَعْمَلُ هذا يومًا وهذا يومًا .

وفيها وقَعت فتنةٌ بينَ أهلِ الشاغورِ وأهلِ العُقَيْبةِ ، اقْتَتلوا بالرَّحْبةِ والصَّيارِفِ ، فركِب الجيشُ مُلْبَسًا ، وجاء السلطانُ المُعَظَّمُ بنفسِه ، فحبَس رءوسَهم .

وفيها رُتِّب بالمُصَلَّى خَطيبٌ مُستقلٌّ ، وأولُ مَن باشَرها الصَّدْرُ مُعِيدُ الفَلَكِيَّةِ ، ثم خطَب بعدَه بَهاءُ الدينِ بنُ أبى اليُسْرِ ، ثم بنو حَسَّانَ ، وإلى الآنَ .

---

(١) الكامل ١٢/٣١٣ - ٣١٥، ومرآة الزمان ٨/ ٥٧٤، ٥٧٥ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٩٢، ٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢ - ١٤.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٩٢.

(٣) فى الأصل : « بانياس » . وباناس : نهر بدمشق . معجم البلدان ١/ ٤٨٢.

(٤) القربوس : حِنْو السَّرْج ، وحنو السرج : كل عود معوج من عيدانه . اللسان (قربس) ، (ح ن و) .

وفيها تُوُفِّى صاحبُ حلَبَ الملكُ الظاهرُ غازى بنُ السلطانِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ[1] ، وكان مِن خِيارِ الملوكِ وأسَدِّهم سِيرةً ، ولكن كان فيه عَسْفٌ ، ويُعاقِبُ على الذنبِ سريعًا شديدًا ، وكان يُكْرِمُ العلماءَ والشعراءَ والفقراءَ ، أقام فى الملكِ ثلاثين سنةً ، وحضَر كثيرًا مِن الغَزَواتِ مع أبيه ، وكان ذَكِيًّا ، له رأىٌ جيدٌ ، وعِبارةٌ سادَّةٌ ، وفِطْنةٌ حسنةٌ ، وعُمِّر أربعًا وأربعين سنةً ، ولمّا حضَرَتْه الوفاةُ جعَل المُلْكَ مِن بعدِه لولدِه المَلِكِ العزيزِ غِياثِ الدينِ محمدٍ وهو ابنُ ثلاثِ سنينَ ، وقد كان له أولادٌ كبارٌ ، ولكنه عَهِد إلى هذا من بينِهم لأنه [٩/ ٣٤٣ظ] كان مِن بنتِ عمِّه العادلِ ، وأخوالُه الأشرفُ والمُعَظَّمُ والكاملُ وجدُّه العادلُ لا يُنازِعونه ، وهكذا وقَع سواءً ؛ بايَع له جدُّه العادلُ وخالُه الأشرفُ صاحبُ حَرّانَ والرُّها وخِلاطَ ، وهمَّ المُعَظَّمُ بنَقْضِ ذلك فلم يَتَّفِقْ له ذلك ، وقام بتَدْبيرِ مملكتِه الطَّواشِى شِهابُ الدينِ طُغْريل الرومىُّ الأبيضُ ، وكان دَيِّنًا عاقلًا عادلًا .

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ والمشاهيرِ :

الشيخُ تاجُ الدينِ أبو اليُمْنِ زيدُ بنُ الحسنِ بنِ زيدِ بنِ الحسنِ بنِ سعيدِ ابنِ عِصْمةَ[2] ، الشيخُ الإمامُ العلّامةُ ، وَحيدُ عصرِه ونسيجُ وَحْدِه ، تاجُ الدينِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٣١٣، ومرآة الزمان ٨/٥٧٩ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٢٤، والذيل على الروضتين ص ٩٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٧٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٥٨.

(٢) معجم الأدباء ١١/ ١٧١، وإنباه الرواة ٢/ ١٠، ومرآة الزمان ٨/٥٧٥ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٩٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٤١، والوافى بالوفيات ١٥/ ٥٠، والجواهر المضية ٢/ ٢١٦، وطبقات القراء ١/ ٢٩٣.

أبو اليُمْنِ الكِنْدىُّ ، وُلِد ببغدادَ ونشَأ بها ، واشْتَغل وحصَّل ، ثم قدِم دمشقَ فأقام بها ، وفاق أهلَ زمانِه شرقًا وغربًا فى النَّحْوِ والعربيةِ وغيرِ ذلك مِن فنُونِ العلمِ ، وعلوِّ الإسنادِ وحُسْنِ الطَّريقةِ والسِّيرةِ وصحةِ العَقيدةِ والسَّريرةِ ، وانْتَفَع به علماءُ عصرِه ، وأثْنَوْا عليه ، وخضَعوا له . وكان حَنْبليًّا ، ثم صار حَنَفيًّا . وكان مولدُه فى اليومِ الخامسِ والعشرين مِن شعبانَ سنةَ عشرين وخمسِمائةٍ ، فقرَأ القرآنَ بالرِّواياتِ وله عشْرُ سنينَ ، وسمِع الكثيرَ مِن الحديثِ العالى على الشيوخِ الثِّقاتِ ، وعُنِى بذلك ، وتعَلَّم العربيةَ واللغةَ ، واشْتَهَر بذلك ، ثم صار إلى الشامِ فى سنةِ ثلاثٍ وستين وخمسِمائةٍ ، وسكَن مصرَ ، واجْتَمَع بالقاضى الفاضلِ ، ثم انْتَقَل إلى دمشقَ ، فسكَن بدرْبِ العجَمِ منها ، وحظِى عندَ الملوكِ والوُزراءِ والأُمراءِ ، وترَدَّد إليه العلماءُ والكبراءُ والملوكُ وأبناؤُهم ، كان الأفضلُ بنُ صلاحِ الدينِ - وهو صاحبُ دمشقَ - يَتَرَدَّدُ إلى منزلِه وأخوه المُحَسِّنُ ، وكذلك المُعَظَّمُ فى أيامِه على مُلْكِ دمشقَ ، يَنْزِلُ إليه إلى دَرْبِ العجمِ يَقْرأُ عليه فى « المُفَصَّلِ » للزَّمَخْشَرىِّ ، وكان المُعَظَّمُ يُعْطِى لمَن حَفِظ « المُفَصَّلَ » ثلاثين دينارًا جائزةً ، وكان يَحْضُرُ مجلسَه بدربِ العجَمِ جميعُ المُصَدَّرين بالجامعِ ، كالشيخِ عَلَمِ الدينِ السَّخاوىِّ ، ويحيى بنِ مُعْطى ، والوَجيهِ البَوْنِىِّ ، والفَخْرِ التُّرْكىِّ وغيرِهم ، وكان القاضى الفاضلُ فى أيامِه يُثْنِى عليه كثيرًا .

قال السَّخاوىُّ[1] : كان عندَه مِن العلومِ ما لا يُوجَدُ عندَ غيرِه ، ومِن العَجَبِ أن سِيبَوَيْهِ ، وقد شَرَحتُ عليه « كتابَه » ، كان اسمَه عمرٌو ، واسمُ الشيخِ أبى اليُمْنِ زيدٌ ، فقلتُ فى ذلك :

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٥، ٩٦.

لم يَكُنْ فى عهدِ عمرٍو مثلُهُ　　　وكذا الكِنْدىُّ فى آخِرِ عصرِ

فـهـمـا زيـدٌ وعـمـرٌو إنمـا　　　بُنِى النحوُ على زيدٍ وعمرِو

قال أبو شامةَ[1] : وهذا كما قال فيه ابنُ الدَّهَّانِ المَذْكورُ فى سنةِ ثنتين وتسعين وخمسِمائةٍ :

يا زيدُ زادك ربى مِن مَواهِبِهِ　　　نِعَمًا يُقَصِّرُ عن إدراكِها الأَمَلُ

النحوُ أنت أحَقُّ العالَمين به　　　أليس باسمِك فيهِ يُضْرَبُ المثَلُ

وللسَّخاوىِّ فيه قصيدةٌ حَسَنةٌ ، وكذلك أَثْنَى عليه غيرُ واحدٍ ، منهم أبو المُظَفَّرِ سِبْطُ ابنِ الجَوْزِىِّ فقال[2] : قرَأْتُ عليه ، وكان حسَنَ العقيدةِ ، ظَريفَ الخُلُقِ طَريفًا ، لا يَسْأَمُ الإنسانُ مِن مجُالَستِه ، وله النَّوادِرُ العَجيبةُ ، والخَطُّ المَليحُ ، والشـــعرُ الرائقُ ، وله دِيـوانٌ كبيرٌ ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنين سادسَ شوالٍ من هذه السنةِ ، وله ثلاثٌ وتسعون سنةً وشهرٌ وستةَ عشَرَ يومًا ، وصُلِّى [٣٤٤/٩و] عليه بجامعِ دِمشقَ ، ثم حُمِل إلى الصالحيةِ ، فدُفِن بها .

وكان قد وقَف كتبًا نَفيسةً - وهى سبعُمائةٍ وأحدٌ وستون مُجَلَّدًا - على مُعْتَقِه نَجيبِ الدينِ ياقوتٍ ، ثم على ولدِه مِن بعدِه ، ثم على العلماءِ فى الحديثِ والفقهِ واللغةِ وغيرِ ذلك ، وجُعِلَتْ فى خِزانةٍ كبيرةٍ بمَقْصورةِ ابنِ سِنانٍ الحَنَفيةِ المُجاوِرةِ لمَشْهدِ علىٍّ زَيْنِ العابدِين ، ثم إن هذه الكتبَ تفرَّقَت ، وأُبِيعَ كثيرٌ منها ، ولم يَبْقَ بالخزانةِ المُشارِ إليها إلّا القليلُ وهى بمقصورةِ الحَنَفيةِ[3] ، وكانت قديمًا يقالُ لها : مَقصورةُ ابنِ سِنانٍ . وقد ترَك الشيخُ تاجُ الدينِ رحِمه اللَّهُ نِعمةً وافرةً ،

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) مرآة الزمان ٨/ ٥٧٦، ٥٧٧ (القسم الثانى) .

(٣) فى النسخ : « الحلبية » . والمثبت موافق لما تقدم من السياق .

وأموالًا جزيلةً ، ومَماليكَ مُتَعَدِّدةً مِن التركِ ، وقد كان رَقيقَ الحاشيةِ ، حسَنَ الأخلاقِ ، يُعامِلُ الطلَبَةَ مُعاملةً حسَنةً ، فلما كبِر ترَك القيامَ لهم ، وأنْشأ اعتذارًا[1] :

تركْتُ قيامى للصَّديقِ يَزُورُنى ... ولا ذنبَ لى إلا الإطالةُ فى عمرى

فإن بلَغوا مِن عشرٍ تسعين نصفَها ... تَبَيَّنَ فى تركِ القِيامِ لهم عُذْرى

وقد أسلَفْنا شيئًا من قِيلِه فى قتلِ عُمارةَ اليَمَنيِّ فى الدولةِ الصَّلاحِيةِ ، فى سنةِ تسعٍ وستين وخمسِمائةٍ ، وهو فى غايةِ القوةِ والفصاحةِ والجِناسِ ، وقد أَوْرَدَ ابنُ الساعى فى ترجمتِه من « تاريخِه » أشعارًا حسنةً ، فمن ذلك قولُه يَمْدَحُ الملكَ المُظَفَّرَ شاهِنْشاه :

وِصالُ الغَوانى كان أرْوَى وأرْوَجا ... وعصرُ التَّدانى كان أبْهَى وأبْهَجا

ليالىَ كان العمرُ أحْسنَ شافعٍ ... تولَّى وكان اللهوُ أوْضَحَ مَنْهَجا

بدا الشَّيْبُ فانْجابَت طَماعِيَةُ الصِّبا ... وقُبِّح لى ما كان يَسْتَحْسِنُ الحِجَا[2]

بُلَهْنِيَةٌ[3] ولَّت كأن لم أَكُنْ بها ... بها أَجْتَلِى وجهَ النَّعيمِ مُسَرَّجَا

ولا اخْتَلْتُ فى بُرْدِ الشبابِ مُجَرِّرًا ... ذُيولىَ إعجابًا به وتَبَرُّجَا

أُغازِلُ[4] غَيْداءَ المَعاطفِ طَفْلَةً ... وأَغْيَدَ معسولَ المَراشفِ أَدْعَجا[5]

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٨.

(٢) الطماعية : الطمع . والحجا : العقل . اللسان (ط م ع) ، (ح ج و) .

(٣) البلهنية : سعة العيش . لسان العرب (بلهن) .

(٤) فى الأصل ، م : « أعارك » .

(٥) غيداء المعاطف : المرأة المتثنية من اللين . والمعاطف : الأعطاف أى الجنبان . والطفلة : الناعمة . والدعج : شدة سواد العين وبياضها مع اتساعها . انظر اللسان (غ ى د) (ع ط ف) (ط ف ل) ، والوسيط (د ع ج) .

تَقَضَّتْ لياليها بطِيبٍ كأنه ... لتقصيرِه منهن يَخْتَطِفُ الدُّجى

فإنْ أُمْسِ مكروبَ الفؤادِ حزينَهُ ... أُعاقِرُ مِن دَنٍّ[1] الصَّبابةِ منهجًا

وحيدًا على أنى بفضْلى مُتَيَّمٌ ... مَرُوعًا بأعداءِ الفضائلِ مُزعَجا

فيا رُبَّ ذى وُدٍّ سَرَرْتُ وسَرَّنى ... وأَبهجْتُه بالصالحاتِ وأَبْهَجا

ويا رُبَّ نادٍ قد شَهِدتُ وماجِدٍ ... شدَهْتُ[2] [3]وخَصْمٍ رُعْتُهُ[3] فتَلَجْلَجا

صَدَعْتُ بفَضْلِي نَقْصَهُ فترَكْتُهُ ... وفى قلبِه شَجْوٌ وفى حَلْقِه شَجَى

كأنَّ بَيانى[4] فى مسامِعِ حُسَّدِى ... وقد ضَمَّ أبكارَ المعانى وأَدْرَجا

حسامُ تقيِّ الدينِ فى كلِّ مارقٍ ... يَقُدُّ إلى الأرضِ الكَمِيَّ المدَجَّجا

وقال يَمْدَحُ أخاه عزَّ الدينِ فَرُّخْشاه بنَ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ[5] :

هل أنتَ راحمُ عَبْرةٍ وتَدَلُّهِ[6] ... ومُجيرُ صَبٍّ عندَ ما منه دُهِي

هيهاتَ يَرْحَمُ قاتلٌ مقتولَه ... وسِنانُه فى القلبِ غيرُ مُنَهْنَهِ[7]

مَن بَلَّ[8] من داءِ الغرامِ فإننى ... مُذْ حلَّ بى مرضُ الهوَى لم أَنْقَهِ

إنى بُلِيتُ بحبِّ أَغْيَدَ ساحرٍ ... بلِحاظِه رَخْصِ البَنانِ بَرَهْرَهِ[9]

---

(١) فى الأصل: « دون »، وفى م: « در ». والدن: وعاء ضخم للخمر ونحوه. الوسيط (د ن ن).

(٢) فى الأصل، م: « شهدت ». وشَدَهَ: أدهش وحَيَّر. انظر اللسان (ش د هـ).

(٣ - ٣) فى م: « دعوته ».

(٤) فى الأصل، م: « ثنائى ».

(٥) الأبيات فى بغية الطلب ٩/ ١٨١، والوافى بالوفيات ١٥/ ٥٥، ضمن قصيدة أبياتها تسعة وأربعون بيتا، أوردها بكمالها صاحب بغية الطلب، واقتصر المصنف على إيراد أبيات الغزل من القصيدة.

(٦) فى م: « مدله »، وفى المصدرين السابقين: « توله ». والتدله: ذهاب العقل من الهوى. اللسان (د ل هـ).

(٧) النَّهْنَهة: الكفّ. والمُنَهْنَهُ: المكفوف. اللسان (نهنه).

(٨) بلَّ: برأ وصَحَّ. الوسيط (ب ل ل).

(٩) البَرَهْرَهُ: الأبيض الناعم. القاموس المحيط (ب ر هـ).

أَبْغِى شفاءَ تَدَلُّهى مِن دَلِّهِ ... ومتى يَرِقُّ مُدَلَّلٌ لِمُدَلَّهِ

كم آهةٍ لى فى هواه وأَنَّةٍ ... لو كان يَنْفَعُنى عليه تَأَوُّهِى

[٩/ ٣٤٤ظ] ومَآرِبٍ فى وَصْلِهِ لو أنها ... تُقْضَى لكانت عندَ مَبْسِمِه الشَّهِى

يا مُفْرَدًا بالحسنِ إنك مُنْتَهٍ ... فيه كما أنَا فى الصَّبابةِ منتهِى

قد لام فيك معاشرٌ أفأَنْتَهِى[1] ... باللومِ عن حبِّ الحياةِ وأنت هِى

أَبْكِى لديه فإن أَحَسَّ بلَوْعةٍ ... وتَشَهُّقٍ أَوْمَا بطَرْفٍ مُقَهْقِهِ

أنا مِن محاسنِه وحالى عندَهُ ... حيرانُ بينَ تَفَكُّرٍ وتَفَكُّهِ

ضِدّانِ قد جُمعا بلفظٍ واحدٍ ... لى فى هواهُ بمعنَيَين موجَّهِ

أو لستُ ربَّ فضائلٍ لو حاز أدْ ... ناها وما أَزْهَى بها غيرى زُهِى

والذى أنْشَده الشيخُ تاجُ الدينِ فى قتلِ عُمارةَ اليَمَنىِّ، حينَ كان مالأ الكَفَرةَ والمُلْحِدين على قتلِ الملكِ صلاحِ الدينِ وعَوْدِ دولةِ الفاطمِيِّين، فظهَر على أمرِه، فصُلِب مع مَن صُلِب فى سنةِ تسعٍ وستين وخمسِمائةٍ[2] :

عُمارةُ فى الإسلامِ أبْدَى خِيانةً ... وحالَف فيها بِيعةً وصَلِيبَا

وأمْسَى شَرِيكَ الشِّركِ فى بُغْضِ أحمدٍ ... وأصْبَح فى حُبِّ الصَّليبِ صَليبَا

وكان خبيثَ المُلْتقَى إن عَجَمْتَه[3] ... تَجِدْ منه عُودًا فى النِّفاقِ صَليبَا

سيَلْقَى غدًا ما كان يَسْعَى لأجلِه ... ويُسْقَى صديدًا فى لَظَى وصَلِيبَا[4]

وله أيضًا :

---

(١) فى م: «كى أنتهى».

(٢) تقدمت الأبيات فى ١٦/ ٤٧٩.

(٣) عجمته : امتحنته واختبرته . الوسيط (ع ج م).

(٤) هذا البيت سقط من: م.

صَحِبْنا الدهرَ أيامًا حِسانًا نَعومُ بهن فى اللَّذاتِ عَوْمَا
وكانت بعدَ ما ولَّت كأنِّى لدى نُقْصانِها حُلمًا ونَوْمَا
أناخ بِىَ المَشِيبُ فلا براحٌ وإن أوْسَعْتُه عَتْبًا ولَوْمَا
نَزِيلٌ لا يَزالُ على التَّنائى يَسُوقُ إلى الرَّدَى يومًا فيومَا
وكنتُ أَعُدُّ لى عامًا فعامًا فصِرْتُ أَعُدُّ لى يومًا فيومَا

العِزُّ محمدُ بنُ الحافظِ عبدِ الغنىِّ المَقْدسىُّ(١) ، وُلِد سنةَ ستٍّ وستين وخمسِمائةٍ ، وأسْمَعه والدُه الكثيرَ ، ورحَل بنفسِه إلى بغدادَ ، وقرَأ بها « مسندَ أحمدَ » ، وكانت له حَلْقةٌ بجامعِ دمشقَ ، وكان مِن أصحابِ المَلِكِ المُعَظَّمِ ، وكان صالحًا دَيِّنًا وَرِعًا حافظًا ، رحِمه اللّٰهُ ورحِم أباه .

أبو الفتوحِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ المُبارَكِ الجَلاجِلىُّ البغدادىُّ(٢) ، سمِع الكثيرَ ، وكان يَتَرَدَّدُ فى الرَّسْليةِ بينَ الخليفةِ والملكِ الأشْرَفِ بنِ العادلِ ، وكان عاقلًا دَيِّنًا ثقةً صَدوقًا .

الشريفُ أبو جعفرٍ يَحْيَى بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ أبى زيدٍ العَلَوىُّ الحَسَنىُّ(٣) ، نَقيبُ الطالبِيِّين بالبصرةِ بعدَ أبيه ، كان شيخًا أدِيبًا فاضلًا عالمًا بفُنونٍ كثيرةٍ ، لا سيما بالأنسابِ وأيامِ العربِ وأشعارِها ،

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٥٢، والذيل على الروضتين ص ٩٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٦٥، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٦٦، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٩٠.

(٢) تقدمت ترجمته فى وفيات السنة الماضية .

(٣) فى م : « الحسينى » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/ ٥٨١ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٤١، والذيل على الروضتين ص ١٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٧٦.

يَحْفَظُ كثيرًا منها، وكان مِن جلساءِ الخليفةِ الناصرِ، ومِن لَطيفِ شعرِه قولُه:

لِيَهْنِكَ سمعٌ لا يُلائِمُه العَذْلُ   وقلبٌ قريحٌ لا يَمَلُّ ولا يَسْلُو
كأنَّ علىَّ الحُبَّ أَمْسَى فَريضةً   فليس لقلْبى غيرُه أبدًا شُغْلُ
وإنى لأَهْوَى الهَجْرَ ما كان أصلُهُ   دَلالًا ولولا الهَجْرُ ما عذُب الوَصْلُ
وأمّا إذا كان الصُّدودُ مَلالةً   فأيْسَرُ ما همَّ الحبيبُ به القَتْلُ

أبو علىٍّ مَزْيَدُ بنُ علىِّ بنِ مَزْيَدٍ المَعْروفُ بابنِ الخَشْكَرِىِّ[1]، الشاعرُ المشهورُ، مِن أهلِ النُّعْمانيةِ، جمَع لنفسِه ديوانًا، أوْرَد له ابنُ الساعى قطعةً مِن شعرِه، فمِن ذلك قولُه:

سألْتُكِ يومَ النَّوَى نَظْرةً   فلم تَسْمَحى خَفَرًا لا سَلَمْ
وأَعْجَبُ كيف تَقُولِين لا   ووجْهُك قد خُطَّ[2] فيه نعَمْ
أَمَا النونُ يا هذه حاجبٌ   أَمَا العينُ عينٌ أمَا الميمُ فَمْ

أبو الفضلِ رشوانُ بنُ منصورِ بنِ رشوانَ الكردىُّ[3]، **المعروفُ بالنقفِ**، [٩/٣٤٥و] وُلِد بإرْبِلَ، وخدَم جُنْديًّا، وكان أديبًا شاعرًا، وخدَم مع الملكِ العادلِ، ومِن شعرِه قولُه:

سَلى عنى الصَّوارمَ والرِّماحا   وخيلًا تَسْبِقُ الهُوجَ الرِّياحا
وأُسْدًا جيشُها سُمْرُ العَوالى[4]   إذا ما الأُسْدُ حاوَلَت الكِفاحا

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٩١، ١٢٧، والمشتبه ص ٥٨٣، وتبصير المنتبه ٤/ ١٢٧٢. وفى المصدرين الأخيرين: «اليشكرى». وانظر فى ذلك مقدمة تكميل إكمال الإكمال لابن الصابونى ص ٢٠.

(٢) فى الأصل: «خطر»، وفى ص: «خلط».

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٤) العوالى: جمع العالية،وهى النصف الذى يلى السِّنان من قناة الرمح. الوسيط (ع ل و).

فإني ثابتٌ عقلًا ولُبًّا إذا ما صائحٌ في الحربِ صاحَا
وأُوردُ مُهجتي لُجَجَ المَنايا إذا ماجَت ولم أَخفِ الجِراحَا
وكم ليلٍ سَهِرْتُ وبِتُّ فيهِ أُراعِي النَّجْمَ أَرْتَقِبُ الصَّباحَا
وكم في فَدْفَدٍ فَرَسِي ونِضْوِي[1] بقائلةِ الهَجيرِ غدا وراحَا
لِعَينِكِ في العجاجةِ ما أُلاقي وأَثْبُتُ في الكَريهةِ لا بَراحا

محمدُ بنُ يحيى بنِ هِبَةِ اللّهِ، أبو نصرٍ النحّاسُ الواسطيُّ[2]، كتَب إلى السِّبْطِ[3] مِن شعرِه:

وقائلةٍ لمَّا عَمَرْتُ وصار لي ثمانون عامًا عِشْ كذا وابْقَ واسلَمِ
ودُمْ وانْتَشِقْ رُوحَ الحياةِ فإنه لَأَطْيَبُ مِن بيتٍ بصَعْدَةَ مُظلِمِ
فقلتُ لها عُذْرى لديكِ مُمهَّدٌ ببيتِ زهيرٍ فاعْلَمى وتعَلَّمِى
سَئِمْتُ تَكاليفَ الحياةِ ومَن يَعِشْ ثمانين حولًا لا مَحالةَ يَسْأَمِ[4]

---

(١) الفدفد: الفلاة التي لا شيء بها. والنضو: الدابة التي هَزَلتها الأسفار وأذهبت لحمها. اللسان (ن ض و).

(٢) الذيل على الروضتين ص ٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٧١ - وفيه: «النخاس» بالخاء المعجمة - والوافي بالوفيات ٥/ ١٩٩.

(٣) أي سبط ابن الجوزي. كما في الذيل على الروضتين.

(٤) شرح ديوان زهير ص ٢٩.

ثم دخلت سنة أربعَ عشْرَة وستّمائةٍ[1]

فى ثالثِ المحرمِ كمَل تبْليطُ داخلِ الجامعِ الأُمَوىِّ ، وجاء المُعْتَمِدُ مُبارِزُ الدينِ إبراهيمُ المُتَوَلِّى بدمشقَ ، فوضَع آخِرَ بَلاطةٍ منه بيدِه وكانت عندَ بابِ الزيادةِ[2] ، فرَحًا بذلك .

وفيها زادت دِجْلةُ بغدادَ زيادةً عظيمةً ، وارْتَفع الماءُ حتى ساوَى السورَ[3] إلا مِقدارَ أُصْبُعين ، ثم طفَح الماءُ مِن فوقِه[4] ، وأيْقَن الناسُ بالهَلَكةِ ، واسْتَمَرَّ ذلك سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حسُومًا ، ثم مَنَّ اللَّهُ تعالى فتَناقَص الماءُ ، وذهَبَتِ الزيادةُ ، وقد بقِيَت بغدادُ تُلولًا ، وتهَدَّمَت أكثرُ البِناياتِ[5] ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها درَّس بالنِّظاميةِ محمدُ بنُ يحيى بنِ فَضْلانَ ، [6]وحضَر عندَه القُضاةُ والأعيانُ[6] .

---

(١) الكامل ٣١٦/١٢ - ٣٣٢، ومرآة الزمان ٥٨١/٨ - ٥٨٦ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٠٠ - ١٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٥ - ١٨.

(٢) فى الذيل على الروضتين، وهو المصدر المنفرد بذكر ذلك؛ أنه وضع البلاطة بحضرة مقصورة الحصر.

(٣) فى الأصل، م: «القبور».

(٤) لم يُذكر ذلك فى المصادر تصريحًا، ولكن ذلك لازم استمراره سبع ليالٍ وثمانية أيام.

(٥) جاءت عبارته فى مرآة الزمان: «وبقيت بغداد من الجانبين تلولا لا أثر لها». وقد علق الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام عقبها قائلًا: «هذا من خسف أبى المظفر - يعنى سبط ابن الجوزى مصنف المرآة - فهو مجازف».

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى مرآة الزمان وذيل الروضتين، وهما المصدران اللذان ذكرا ذلك.

وفيها سار الصَّدْرُ بنُ حَمُّوَيْهِ فى الرَّسْلِيَّةِ إلى بغدادَ مِن العادلِ إلى الخليفةِ.

وفيها قدِم ولدُه الفَخْرُ من الكاملِ إلى أخيه المُعَظَّمِ يَخْطُبُ منه ابنتَه على ابنِه أَقْسِيسَ صاحبِ اليمنِ، فعُقِد العَقْدُ بدمشقَ على صَداقٍ هائلٍ.

وفيها قدِم السلطانُ علاءُ الدينِ خُوارَزْم شاه محمدُ بنُ تِكِش إلى هَمَذَانَ[1] قاصدًا إلى بغدادَ فى أربعِمائةِ ألفٍ، وقيل: فى ستِّمائةِ ألفٍ. فاسْتَعَدَّ له الخَليفةُ، واسْتَخْدَم الجُيوشَ الكثيرةَ، وأرْسَل إلى الخليفةِ يَطْلُبُ منه أن يَكونَ بينَ يدَيْه على قاعدةِ مَن تَقَدَّمَه مِن المُلوكِ السَّلاجِقةِ، وأن يُخْطَبَ له ببغدادَ على منابرِها، فلم يُجِبْه الخليفةُ إلى ذلك، وأرْسَل إليه الشيخَ شِهابَ الدينِ السُّهْرَوَرْدِيَّ، فلما وصَل إليه شاهَد عندَه مِن العَظَمةِ وكَثْرةِ المُلوكِ بينَ يديه، وهو جالسٌ فى خَركاه مِن ذهبٍ على سَريرٍ ساذَجٍ[2] وعليه قَباءٌ بُخاريٌّ ما يُساوِى خمسةَ دراهمَ، وعلى رأسِه جِلْدةٌ ما تُساوِى درهمًا[3]، فسلَّم فلم يَرُدَّ عليه مِن الكِبْرِ، ولم يَأْذَنْ له فى الجلوسِ، فقام إلى جانبِ السَّريرِ، وأخَذ فى خُطْبةٍ هائلةٍ، فذكَر فيها فضلَ بنى العباسِ وشرَفَهم، وأوْرَد حديثًا فى النَّهْيِ عن أذاهم، والتُّرْجُمانُ يُعِيدُ على الملكِ، فقال الملكُ: أمَّا ما ذكَرْتَ [٩/٣٤٥ظ] مِن فضلِ الخليفةِ فإنه ليس كذلك، ولكنى إذا قدِمْتُ بغدادَ أقَمْتُ مَن يَكونُ بهذه الصفاتِ، وما ذكَرْتَ مِن النَّهْيِ عن أذاهم، فإنى لم أُوذِ منهم أحدًا، ولكنَّ الخليفةَ فى سُجونِه منهم طائفةٌ كثيرةٌ

---

(١) فى النسخ: «همدان». والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) فى الأصل: «سادح»، وفى م، ص: «ساج». والمثبت من مرآة الزمان والذيل وتاريخ الإسلام. ولم تُذكر فى الكامل لاختصاره القصة. والساذج: الخالص غير المشوب وغير المنقوش. معرب، فارسيته: ساده. انظر الوسيط (س ذ ج).

(٣) فى المرآة والذيل وتاريخ الإسلام؛ أن القباء يساوى خمسة دراهم والجلدة تساوى درهما. ولم يذكر فى الكامل ذلك.

يَتَناسَلون فى السُّجونِ ، فهو الذى آذَى بنى العباسِ . ثم تركه ، ولم يَرُدَّ عليه جوابًا بعدَ ذلك ، وانْصَرف السُّهْرَوَرْدىُّ راجعًا ، وأرْسَل اللّهُ تعالى على الملكِ وجُنْدِه ثَلْجًا عظيمًا ثلاثةَ أيامٍ حتى طمَّ الخَرَاكى والخيامَ ، ووصَل إلى رءوسِ الأعلامِ ، وتقَطَّعَت أيدى رجالٍ وأرجلُهم ، وعمَّهم مِن البلاءِ العظيمِ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، فردَّهم اللّهُ خائبين ، والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين .

وفيها انْقَضَت الهُدْنةُ التى كانت بينَ العادلِ والفِرِنْجِ ، واتَّفَق قدومُ العادلِ مِن الديارِ المصريةِ ، فاجْتَمع هو وولدُه المُعَظَّمُ ببَيْسانَ ، فرَكبَت الفِرِنْجُ مِن عَكّا ومَقَدَّمُهم وصُحْبتُهم مُلوكُ السَّواحلِ كلُّهم ، وساقوا كلُّهم قاصِدِين مُغافَصةَ[1] العادلِ ، فلما أحَسَّ بهم فر منهم لكثرةِ جُيوشِهم وقلةِ مَن كان معه ، فقال له ابنُه المُعَظَّمُ : إلى أين يا أبتِ ؟ فشتَمه أبوه بالعَجَميةِ ، وقال له : أقْطَعْتَ الشامَ مَماليكَك ، وترَكْتَ [2]مَن يَنْفَعُنى مِن[2] أبناءِ الناسِ . فتوَجَّه العادلُ إلى دمشقَ ، وكتَب إلى واليها المُعْتَمِدِ ليُحَصِّنَها مِن الفِرِنْجِ ، ويَنْقُلَ إليها مِن الغَلّاتِ مِن دارَيّا[3] إلى القلعةِ ، ويُرْسِلَ الماءَ على أراضى دارَيّا ، وقصرِ حَجّاجٍ[4] والشّاغورِ ، ففزِع الناسُ مِن ذلك ، وابْتَهلوا إلى اللّهِ بالدُّعاءِ ، وكثُر ضجيجُهم بالجامعِ ، وأقْبَل السُّلطانُ ، فنزَل بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، وأرْسَل إلى مُلوكِ الشرقِ ليَقْدَموا لقِتالِ الفِرِنْجِ ، فكان أولَ مَن قدِم صاحبُ حِمْصَ أسَدُ الدينِ شِيرْكُوه ، فتلَقّاه الناسُ ، فدخَل مِن بابِ الفَرَجِ ، وجاء فسلَّم على ستِّ الشامِ بدارِها عندَ المارَسْتانِ ، ثم عاد إلى دارِه ، ولما قدِم

---

(١) غافصه : أخذه على غرة فركبه بمساءة . اللسان (غ ف ص).

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

(٣) داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة . معجم البلدان ٢/٥٣٦ .

(٤) قصر حجاج : محلة كبيرة فى ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق ، منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان ٤/١١٠ .

أَسَدُ الدينِ سُرِّى عن الناسِ وأمِنوا فلما أصْبَح توَجَّه إلى السلطانِ بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، وأما الفِرِنْجُ فإنهم وردوا إلى بَيْسانَ ، فنهَبوا ما كان بها مِن الغَلَّاتِ والدَّوابِّ ، وقتَلوا وأسروا شيئًا كثيرًا ، وكذلك عاثوا فى الأرضِ فَسادًا يَقْتُلون ويَنْهَبون ويَسْبُونَ ما بينَ بَيْسانَ إلى بانِياسَ ، وخرَجوا إلى أراضى الجَوْلانِ إلى نَوى[1] وخِسْفِينَ[2] وغيرِ ذلك من الأراضى ، وسار الملكُ المُعَظَّمُ ، فنزَل على عقبةِ اللبنِ بينَ القدسِ ونابُلُسَ خوفًا على القدسِ الشريفِ ، ثم حاصَر الفِرِنْجُ حصنَ الطُّورِ حِصارًا هائلًا ، ومانَع عنه الذين به مِن الأبطالِ مُمانَعةً هائلةً ، ثم كرَّ الفِرِنْجُ راجِعِين إلى عَكَّا[3] ، وجاء الملكُ المُعَظَّمُ إلى الطُّورِ ، فخلَع على الأمراء الذين به ، وطيَّب نُفوسَهم ، ثم اتَّفَق هو وأبوه على هدمِه كما سيَأْتى .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ العِمادُ أخو الحافظِ عبدِ الغنىِّ ، أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِ الواحدِ ابنِ علىِّ بنِ سُرورٍ ، الشيخُ عمادُ الدينِ المَقْدِسِىُّ[4] ، كان أصْغَرَ مِن أخيه الحافظِ عبدِ الغنىِّ بسنتين ، وقدِم معهم إلى دمشقَ سنةَ إحدى وخمسين وخمسِمائةٍ ، ورحَل إلى بغدادَ مرتين ، وسمِع الحديثَ ، وكان عابدًا زاهدًا وَرِعًا ،

---

(١) نوى : بليدة من أعمال حوران ، وقيل : هى قصبتها . بينها وبين دمشق منزلان . انظر معجم البلدان ٨١٥/٤ .

(٢) خسفين : قرية من أعمال حوران بعد نوى فى طريق مصر ، بين نوى والأردن ، وبينها وبين دمشق خمسة عشر فرسخًا . معجم البلدان ٢/ ٤٤٣.

(٣) بعده فى م : « ومعهم الأسارى من المسلمين » .

(٤) مرآة الزمان ٥٨٦/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٠٠/٤ ، والذيل على الروضتين ص ١٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤٧/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٨٢ ، والوافى بالوفيات ٤٩/٦ ، وعنده « إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور » ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٩٣.

كثيرَ الصلاةِ ، كثيرَ الصِّيامِ ؛ يَصومُ [٣٤٦/٩و] يومًا ويُفْطِرُ يومًا ، وكان فَقيهًا مُفْتِيًا ، له كتابُ « الفُرُوقِ »[(١)] ، وصنَّف أحْكامًا ولم يُتِمَّه ، وكان يَؤُمُّ بمِحْرابِ الحَنابلةِ مع الشيخِ المُوَفَّقِ ، وإنما كانوا يُصَلُّون بغيرِ مِحْرابٍ ، ثم وُضِع المِحْرابُ فى سنةِ سبعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، وكان يَؤُمُّ بالناسِ فيه لقَضاءِ الفَوائتِ ، وهو أولُ مَن فعَل ذلك . صلَّى المغربَ ذاتَ ليلةٍ وكان صائمًا ، ثم رجَع إلى بيته بدمشقَ ، فأفْطَر ثم مات فجأةً ، فصلَّى عليه بالجامعِ الأمويِّ الشيخُ المُوَفَّقُ عندَ مُصَلَّاهم ، ثم صعِدوا به إلى السَّفْحِ ، وكان يومًا مشهودًا مِن كثرةِ الخَلْقِ . قال سِبْطُ ابنِ الجَوزيِّ[(٢)] : كان الخَلقُ مِن الكهفِ إلى مَغارةِ الدمِ إلى المَيْطورِ[(٣)] ، لو بُذِر السِّمْسِمُ ما وقَع إلا على رءوسِ الناسِ[(٤)] ، فلما رجَعْتُ تلك الليلةَ فكَّرْتُ فيه[(٥)] وقلتُ : كان هذا رجلًا صالحًا ربَّما أنه نظَر إلى ربِّه حينَ وُضِع فى لَحْدِه . ومرَّ بذِهْنى أبياتُ الثَّوْرىِّ التى أنْشَدها بعدَ موتِه فى المَنامِ فقال :

نظَرْتُ إلى ربى كِفاحًا وقال لى ... هَنيئًا رِضاىَ عنك يا بنَ سعيدِ
فقد كنتَ قَوَّامًا إذا أقبلَ الدُّجى ... بعَبْرةِ مُشْتاقٍ وقَلْبِ عَميدِ
فدونَك فاخْتَرْ أىَّ قَصْرٍ أرَدْتَه ... وزُرْنى فإنى منك غيرُ بَعيدِ

ثم قلتُ : أَرْجو أن يَكونَ العِمادُ رأَى ربَّه كما رآه سفيانُ الثَّوْرىُّ . فنِمْتُ

---

(١) فى النسخ : « الفروع » . والمثبت من مصادر ترجمته ، عدا المرآة والتكملة والوافى فلم تتعرض لذكر ذلك .

(٢) مرآة الزمان ٥٨٨/٨ ، ٥٨٩ (القسم الثانى) .

(٣) الميطور : من قرى دمشق . معجم البلدان ٧١٦/٤ .

(٤) الذى فى مرآة الزمان أنه « لو رمى عليهم الإنسان الإبرة لما ضاعت » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٠٥ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١٠٤/٢ .

(٥) بعده فى م : « وفى جنازته وكثرة من شهدها » .

فرأَيْتُ الشيخَ العِمادَ فى النومِ وعليه حُلَّةٌ خَضْراءُ، وعِمامةٌ خَضْراءُ، وهو فى مكانٍ مُتَّسِعٍ كأنه رَوْضةٌ، وهو يَرْقَى فى دَرَجٍ مُتَّسِعةٍ[1]، فقلتُ: يا عِمادَ الدينِ، كيف بِتَّ فإنى واللَّهِ مُفكِّرٌ فيك؟ فنظَر إلىَّ وتبَسَّم على عادَتِه[2]، ثم قال:

رأيْتُ إلهى حينَ أُنْزِلْتُ حُفْرتى … وفارَقْتُ أصحابى وأهلى وجِيرَتى

وقال جُزِيتَ الخيرَ عنى فإننى … رَضِيتُ فها عَفْوى لديك ورَحْمتى

دأَبْتَ زمانًا تأْمُلُ الفوزَ[3] والرِّضا … فوُقِّيتَ نِيرانى ولُقِّيتَ جَنَّتى

قال: فانتَبَهْتُ وأنا مَذْعورٌ، وكتَبْتُ الأبياتَ.

القاضى جمالُ الدينِ بنُ الحَرَسْتانىِّ: عبدُ الصَّمَدِ بنُ محمدِ بنِ أبى الفَضْلِ، أبو القاسمِ الأنصارىُّ بنُ الحَرَسْتانىِّ[4]، قاضى القُضاةِ بدمشقَ، وُلِد سنةَ عشرين وخمسِمائةٍ، وكان أبوه مِن أهلِ حَرَسْتا[5]، فنزَل داخلَ بابِ تُومَا، وأَمَّ بمسجدِ الزَّيْنَبىِّ، ونشَأ ولدُه هذا نَشْأةً حسَنةً، سمِع الحديثَ الكثيرَ، وشارَك الحافظَ ابنَ عَساكرَ فى كثيرٍ مِن شُيوخِه، وكان يَجْلِسُ لإسْماعِ الحديثِ بمَقْصورةِ الخَضِرِ، وعندَها كان يُصَلِّى دائمًا، لا تَفوتُه الجَماعةُ بالجامعِ، وكان

---

(١) فى المرآة: « مرتفعة ». وانظر الذيل على الروضتين ص ١٠٥، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٠٥، وعندهما كما فى المرآة. وفى تاريخ الإسلام ص ١٨٢: « عرفات ».

(٢) بعده فى م: « التى كنت أعرفه فيها فى الدنيا ».

(٣) فى م: « العفو ».

(٤) مرآة الزمان ٥٨٩/٨ (القسم الثانى) وعنده « أبو القاسم الحرستانى ». والمعروف « ابن الحرستانى » كما أثبته الحافظ ابن كثير وكما فى المصادر الآتية: التكملة لوفيات النقلة ٣٠٣/٤، والذيل على الروضتين ص ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٨٠/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٠٣، والوافى بالوفيات ٤٥١/١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ١٩٦/٨.

(٥) حرستا: قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق، على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ. معجم البلدان ٢٤١/٢.

منزلُه بالحُوَيْرَةِ[(١)] ، ودرَّس بالمُجاهِدية ، وعُمِّر دهْرًا طويلًا على هذا القَدَمِ الصالحِ ، وناب فى الحكمِ عن ابنِ أبى عَصْرونَ ، ثم ترَك ذلك ولزِم بيتَه وصلاتَه بالجامعِ ، ثم عَزَل العادلُ القاضىَ ابنَ الزَّكِىِّ [(٢)] الطاهرَ بنَ محيى الدينِ محمدِ بنِ علىٍّ القرشىَّ ، وألْزَم القاضِىَ جمالَ الدينِ بنَ الحَرَسْتانىِّ هذا بولايةِ القضاءِ[(٢)] ، وله ثنتان وتسعون سنةً ، وأعْطاه تَدْريسَ العَزيزيةِ . وأخَذ التَّقَوِيَّةَ أيضًا مِن ابنِ الزَّكِىِّ ، وولَّاها فَخرَ الدينِ بنَ عَساكرَ . قال ابنُ عبدِ السَّلامِ : وما رأيْتُ أحدًا أفقهَ مِن ابنِ الحَرَسْتانىِّ ، كان يَحْفَظُ « الوسيطَ » للغَزَّالىِّ . وذكَر غيرُ واحدٍ أنه كان مِن أعْدَلِ القُضاةِ وأقْومِهم بالحقِّ ، لا تأْخُذُه فى اللَّهِ لَوْمةُ لائمٍ ، وكان ابنُه عِمادُ الدينِ يَخْطُبُ بجامعِ دمشقَ ، وولِى مَشْيَخةَ الأشْرَفيةِ يَنوبُ عنه ، وكان القاضى جمالُ الدينِ يَجْلِسُ للحكمِ بمدرستِه المُجاهِديةِ ، [٩/٣٤٦ظ] وكان السلطانُ قد أرسل إليه طَرَّاحةً ومَسْنَدًا لأجلِ أنه شيخٌ كبيرٌ ، وكان ابنُه يَجْلِس بيـنَ يديه ، فإذا نهض أبوه جلَس هو مكانَه ، ثم إنه عزَل ابنَه عن نِيابتِه لشىءٍ بلَغه عنه ، واسْتَناب شمسَ الدينِ بنَ الشِّيرازىِّ ، وكان يَجْلِسُ تُجاهَه فى شرقىِّ الإيوانِ ، واسْتَناب أيضًا معه شمسَ الدينِ بنَ سَنِىِّ[(٣)] الدولةِ ، [(٤)] وبُنِيَت له دكةٌ فى الزاويةِ القبليةِ بغَرْبِ المدرسةِ[(٤)] ، واسْتَناب شرفَ الدينِ بنَ المَوْصِلىِّ الحَنَفىَّ ، فكان يَجْلِسُ فى مِحْرابِ

---

(١) فى م : « بالحورية » ، وفى الوافى : « الجويرة » . والمثبت موافق لما فى مرآة الزمان والذيل على الروضتين وسير أعلام النبلاء ، ولم تذكر هذه التفاصيل سائر المصادر . والحويرة : تصغير الحارة ؛ حارة بدمشق . انظر تاج العروس (ح ى ر) .

(٢ - ٢) فى م : « وألزم هذا بالقضاء » .

(٣) فى م : « سنا » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٧ .

(٤ - ٤) سقط من : م . وفى الأصل : « ويثبت له ذكر فى الرواية الغربية القبلية من المدرسة » ، وفى ص : « وبنيت له دكة فى الزاوية » ثم بياض قدر كلمتين ثم « مدرسته » . والمثبت من الذيل على الروضتين والوافى بالوفيات . ولم تذكر هذه التفاصيل فى سائر المصادر .

المَدْرسةِ ، واسْتَمَرَّ حاكمًا سنتين وسبعةَ[1] أشهرٍ ، ثم كانت وفاتُه يومَ السبتِ رابعَ ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ وله خمسٌ وتسعون سنةً ، وصُلِّى عليه بجامعِ دمشقَ ، ثم دُفِن بسَفْحِ قاسِيونَ .

الأميرُ بدرُ الدينِ محمدُ بنُ أبى القاسمِ بنِ محمدٍ الهَكّاريُّ[2] ، بانى المدرسةِ التى بالقدسِ ، وكان مِن خِيارِ الأُمراءِ ، يَتَمَنَّى الشَّهادةَ دائمًا ، فقتَلَتْه الفِرِنْجُ بحصنِ الطُّورِ هذه السنةَ ، ونُقِل إلى القدسِ الشريفِ فدُفِن بتربتِه بماملا ، وتربتُه تُزارُ إلى الآن ، رحِمه اللَّهُ .

الشُّجاعُ محمودٌ[3] **المعروفُ بالدِّماغِ**[4] ، كان مِن أصدقاءِ العادلِ يُضْحِكُه ، فحصَّل أموالًا جَزيلةً ، كانت دارُه داخلَ بابِ الفَرَجِ[5] ، فجعَلَتْها زوجتُه عائشةُ مَدْرَسةً للشافعيةِ والحنفيةِ ، ووقَفَت عليها أوْقافًا دارَّةً . رحِمها اللَّهُ .

الشيخةُ الصالحةُ العابدةُ الزاهدةُ ، شيخةُ العالماتِ بدمشقَ ، وتُلقَّبُ بدُهنِ اللَّوْزِ[6] .

---

(١) فى م : « أربعة » .

(٢) مرآة الزمان ٥٩٢/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٠٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٢٠ ، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٥٠ ، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٢١ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٠٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٢١ ، والسلوك ١٨٨/١ (القسم الأول) ، وشذرات الذهب ٥/ ٦١ .

(٤) فى الأصل ، م : « بابن الدماغ » . وفى ص : « بابن الدباغ » وكذا جاء اسمه فى السلوك : « ابن الدباغ » والمثبت من سائر المصادر .

(٥) فى م : « الفرنج » .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٠٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٩٥ .

وفيها توفِّيت بنتُ بوريحانَ[1] ، وهي آخرُ بناتِه وفاةً ، وجعَلَت أموالَها وَقْفًا على تُرْبةِ أختِها بنتِ صفيةَ[2] المشهورةِ[3] .

(١) في الأصل ، م : « نورنجان » ، وفي ص : « بورنجان » . والمثبت من مصدر ترجمتها ؛ الذيل على الروضتين ص ١٠٨.

(٢) في الأصل : « العصيية » ، وفي م : « العصبة » ، وفي ص : « العصبية » . والمثبت من الذيل على الروضتين .

(٣) هنا ينتهي الجزء الثالث من النسخة المصرية المشار لها بـ « ص » .

ثم دخلت سنة خمس عشْرةَ وستّمائةٍ

استهَلَّت[1] والعادلُ نازلٌ بمَرْجِ الصُّفَّرِ لمُناجزةِ الفِرنْجِ، وأمَر ولدَه المُعَظَّمَ بتَخْريبِ حصنِ الطُّورِ، فخَرَّبه ونقَل ما فيه مِن آلاتِ الحربِ إلى البُلْدانِ خوفًا مِن الفِرنْجِ.

وفى ربيعِ الأولِ نزَلَت الفِرنْجُ على دِمْياطَ، وأخَذوا بُرْجَ السِّلْسِلةِ فى جُمادَى الأولى، وكان حصنًا مَنيعًا، وهو قُفْلُ بلادِ مصرَ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وفيها الْتَقَى المُعَظَّمُ والفِرنْجُ على القَيْمُونِ[2]، فكسَرهم وقتَل منهم خلقًا، وأسَر مِن الدَّاوِيَّةِ[3] مائةً، فأدْخَلَهم إلى القدسِ مُنَكَّسَةً أعْلامُهم.

وفيها جرَت خُطوبٌ كثيرةٌ ببلدِ المَوْصلِ بسببِ موتِ مُلوكِها أولادِ قَرَا أَرْسَلان واحدًا بعدَ واحدٍ، وتغَلَّب غلامُ أبيهم بدرُ الدينِ لُؤْلُؤٌ على الأمورِ، (4ويُذكَرُ أنَّه هو الذى كان يقتُلُهم فى الباطنِ ليَستحوذَ هو على الأمورِ4)، فاللَّهُ أعلمُ.

وفيها أقْبَل ملكُ الرومِ (5كَيْكاوسُ بنُ كَيْخُسْرو5) يريدُ أخْذَ مَمْلكةِ حلَبَ،

---

(1) الكامل ١٢/٣٣٣ - ٣٥٣، ومرآة الزمان ٨/٥٩٢ - ٥٩٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٠٨ - ١١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٩ - ٢٤.

(2) القيمون: حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين. معجم البلدان ٤/ ٢١٨.

(3) انظر: نهاية الأرب ٢٩/ ٨٣. الحاشية.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥ - ٥) فى م: «كيكاريس سنجر».

وساعَده على ذلك الأفضلُ بنُ صلاحِ الدينِ صاحبُ سُمَيْساطَ ، فصدَّه عن ذلك الملكُ الأشرفُ موسى بنُ العادلِ ، وقهَر ملكَ الرومِ ، وكسَر جيشَه ، وردَّه خائبًا .

وفيها تملَّك الأشْرفُ مدينةَ سِنْجارَ مُضافًا إلى ما بيدِه مِن المَمالكِ هنالك .

وفيها تُوُفِّى السلطانُ الملكُ العادلُ أبو بكرِ بنُ أيوبَ[1] ، فأخَذَت الفِرِنْجُ ، لعَنهم اللَّهُ ، ثغرَ دِمْياطَ ، [2]ثم رَكِبوا[2] ، وقصَدوا بلادَ مصرَ مِن ثَغْرِ دِمْياطَ ، فحاصَروه مدةَ أربعةِ أشهرٍ ، والكاملُ محمدٌ مقابلُهم يُقاتِلُهم ويُمانِعُهم ويَصُدُّهم عما يُريدونه ، فتمَلَّكوا على المسلمين بُرْجَ السِّلْسِلةِ ، وهو كالقُفْلِ على ديارِ مصرَ ، وصِفَتُه فى وسطِ جَزيرةٍ فى النيلِ عندَ انتهائِه إلى البحرِ ، ومن هذا البرجِ إلى دِمْياطَ - وهو على شاطئِ البحرِ وحافةِ النيلِ - سلسلةٌ ، ومنه إلى الجانبِ الآخَرِ وعليه الجسرُ - سلسلةٌ أخرى ؛ ليمْنَعَ دخولَ المَراكِبِ مِن البحرِ إلى النيلِ ، فلا يُمكِنُ الدُّخولُ ، فلما ملَكَت الفِرِنْجُ هذا البُرْجَ شقَّ ذلك على المسلمين بديارِ مصرَ وغيرِها ، وحينَ وصَل الخبرُ إلى الملكِ العادلِ وهو بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، تأوَّه لذلك تأوُّهًا شديدًا ، ودقَّ بيدِه على صدرِه أسَفًا وحُزْنًا ، ومرِض مِن ساعتِه مرضَ الموتِ لأمرٍ يُريدُه اللَّهُ عز وجل ، فلما كان يومُ الجمعةِ سابعُ جُمادَى الآخِرةِ تُوُفِّى رَحِمه اللَّهُ بقريةِ عالِقين[3] ، فجاء ولدُه المُعَظَّمُ إليه مُسْرِعًا ، فجمَع حَواصلَه ، وأرْسَله فى

---

(١) الكامل ١٢/ ٣٥٠، ومرآة الزمان ٥٩٤/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٢٦، والذيل على الروضتين ص ١١١، ووفيات الأعيان ٥/ ٧٤، ونهاية الأرب ٢٩/ ٨٢، وسير أعلام ٢٢/ ١١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٨.

(٢ - ٢) فى الأصل: «قد تقدم أنه لما أراد الفرنج مغافصته وهو جاء من الديار المصرية عند بيسان فر منهم ونزل بمرج الصفر وأرسل إلى العساكر من الجزيرة وغيرهم لتقدم [٣٤٧/٩و] عليه حتى يناجز بهم الفرنج وذلك عند انقضاء هذه الهدنة فركبت الفرنج من السواحل من عكا وانضاف إليهم من شاء اللَّه من عساكرهم البحرية».

(٣) عالقين: قرية بظاهر دمشق. وفيات الأعيان ٥/ ٧٨.

مِحَفَّةٍ[1] ، ومعه خادمٌ بصفةِ أن السلطانَ مَريضٌ ، وكلما جاء أحدٌ مِن الأمراءِ ليُسَلِّمَ على السلطانِ بلَّغهم عنه الطَّواشِى ، يعنى لضعفِ السلطانِ عن الردِّ عليهم ، فلما انْتُهِى به إلى القلْعةِ المنصورةِ دُفِن بها مدةً ، ثم حُوِّل إلى تربتِه بمدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ ، وقد كان الملكُ سيفُ الدينِ أبو بكرِ بنُ أيوبَ بنِ شاذِى مِن خِيارِ الملوكِ وأَجْودِهم سِيرةً وأحسنِهم سريرةً ، دَيِّنًا عاقلًا صَبورًا وَقورًا ، أبْطَل المُحَرَّماتِ والخمورَ والمَعازفَ مِن ممالكِه كلِّها ، وقد كانت مُمْتَدَّةً مِن أقْصى بلادِ مصرَ واليمنِ والشامِ والجَزيرةِ إلى هَمَذانَ كلِّها ، أخَذها بعدَ أخيه صلاحِ الدينِ ، رحِمهما اللَّهُ وسوى حلَبَ ، فإنه أقرَّها بيدِ ابنِ أخيه الظاهرِ غازى ؛ لأنه زوجُ ابنتِه صَفِيةَ الستِّ خاتون . وكان رحمه اللَّهُ حَليمًا صَفوحًا ، صَبورًا على الأَذَى ، كثيرَ الجِهادِ بنفسِه ، وحضَر مع أخيه مواقفَه كلَّها أو أكثرَها ، وله فى تلك الأيامِ اليدُ البيضاءُ ، وكان رحِمه اللَّهُ ماسِكَ اليدِ ، لكنه أنْفَق فى عامِ الغَلاءِ بمصرَ أموالًا عظيمةً جدًّا ، وتصَدَّق على أهلِ الحاجةِ مِن أبناءِ الناسِ وغيرِهم شيئًا كثيرًا ، ثم فى العامِ بعدَه فى الفَناءِ كفَّن ثلاثَمائةِ[2] ألفِ إنسانٍ مِن الغُرَباءِ ، وكان كثيرَ الصَّدقةِ فى أيامِ مرضِه ، حتى كان يَخْلَعُ جَميعَ ما عليه ويَتَصَدَّقُ به وبمَرْكوبِه[3] ، وكان كثيرَ الأكلِ ، مُمَتَّعًا بصحتِه وعافيتِه مع كثرةِ صيامِه ، يَأْكُلُ فى اليومِ الواحدِ أَكَلاتٍ جيدةً ، ثم بعدَ هذا يَأْكُلُ وقتَ النومِ رَطْلًا بالدمشقيِّ مِن الحَلْوَى السُّكَّريةِ اليابسةِ ، وكان يَعْتَرِيه مرضٌ فى أنفِه فى زمانِ الوَرْدِ ، وكان لا يَقْدِرُ على الإقامةِ بدمشقَ حتى يَفْرُغَ زمنُ الوردِ ، فكان يُضْرَبُ له الوطاقُ[4] بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، ثم

---

(١) المحفة : الهودج لا قبة له . الوسيط (ح ف ف) .

(٢) فى م : « مائة » .

(٣) بعده فى الأصل : « وما تحته » .

(٤) الوطاق : الخيمة الكبيرة التى تعد للعظماء . محيط المحيط (و ط ق) .

يَدْخُلُ البلدَ بعدَ ذلك . وتُوُفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، عن خمسٍ وسبعين سنةً .

[٣٤٧/٩ظ] وكان له مِن الأولادِ جَماعةٌ ؛ محمدٌ الكاملُ صاحبُ مصرَ ، وعيسى المُعَظَّمُ صاحبُ دمشقَ ، وموسى الأشْرَفُ صاحبُ الجَزيرةِ وخِلاطَ وحَرَّانَ وغيرِ ذلك ، والأوْحَدُ أيوبُ ومات قبلَه ، والفائزُ إبراهيمُ ، والمُظَفَّرُ غازى صاحبُ الرُّهَا ، والعَزيزُ عثمانُ ، والأمْجَدُ حسنٌ ، وهما شقيقا المُعَظَّمِ ، والمغيثُ محمودٌ ، والحافظُ أرْسَلان صاحبُ جَعْبَرٍ[1] ، والصالحُ إسماعيلُ ، والقاهرُ إسحاقُ ، ومُجِيرُ الدينِ يَعقوبُ ، وقُطْبُ الدينِ أحمدُ ، وخَليلٌ ، وكان أصغرَهم ، وتَقِىُّ الدينِ عباسٌ ، وكان آخِرَهم وفاةً ، بقِى إلى سنةِ ستين وستِّمائةٍ ، وكان له بناتٌ أشهرُهن السِّتُّ صَفِيةُ خاتون زوجةُ الظاهرِ غازى صاحبِ حلَبَ وأُمُّ الملكِ العزيزِ والدِ الناصرِ يوسُفَ الذى مَلك دمشقَ ، وإليه تُنْسَبُ الناصِرِيَّتان بدمشقَ والجبلِ ، وهو الذى قتَله هُولاوُو كما سيأْتى .

صفةُ أخْذِ الفِرِنْجِ دِمْياطَ[2] لما انتَهى الخبرُ بموتِ العادلِ إلى ابنِه محمدٍ الكاملِ ، وهو بثَغْرِ دمياطَ مرابطٌ الفِرِنْجَ ، أضْعَف ذلك أعْضادَ المسلمين وفشِلوا ، ثم بلَغ الكاملَ خبرٌ آخَرُ أن الأميرَ أحمدَ بنَ علىٍّ بنِ المَشْطوبِ ، وكان أكبرَ أميرٍ بمصرَ ، قد أراد أن يُبايِعَ للفائزِ عِوَضًا عن الكاملِ ، فساق وحدَه جَريدةً من دمياطَ قاصدًا إلى مصرَ لاسْتِدْراكِ هذا الخَطْبِ الجَسيمِ ، ولما فقَده الجيشُ مِن بينِهم انْحَلَّ نِظامُهم ، واعْتَقَدوا أنه قد حدَث أمرٌ أكبرُ مما بلَغهم ، فركِبوا وراءَه ، فدخَلَت الفِرِنْجُ حينئذٍ بأمانٍ إلى الديارِ المصريةِ ، واسْتَحْوَذوا على مُعَسْكرِ الكاملِ وأثقالِه وحواصلِ الجيشِ ، فوقَع أمرٌ عظيمٌ جدًّا ، وذلك بتقديرِ العزيزِ العليمِ ، ودخَل

---

(١) جعبر : قلعة على الفرات . معجم البلدان ٢/ ٨٤.

(٢) الكامل ٣٢٣/١٢ - ٣٢٦.

الكاملُ مصرَ ، فلم يَقَعْ مما ظنَّه شيءٌ ، وهرَب منه ابنُ المَشْطوبِ إلى الشامِ ، ثم ركِب فى الجيشِ إلى الفِرنْجِ ، فإذا الأمرُ قد تزايدَ وقد تمكَّنوا هنالك مِن البُلْدانِ ، وقتَلوا خَلْقًا ، وغنِموا شيئًا كثيرًا ، وعاثَت هناك أعرابٌ على أموالِ الناسِ بيلادِ دمياطَ ، فكانوا أضَرَّ على المسلمين مِن الفِرنْجِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، فنزَل الكاملُ تُجاهَهم يُمانِعُهم عن دخولِهم إلى القاهرةِ ومصرِهم بعدَ أن كان يمانِعُهم عن دخولِ الثَّغْرِ ؛ وكتَب إلى إخوتِه يَسْتَحِثُّهم ويَسْتَنْجِدُ بهم ، ويقولُ : الوَحَاءَ الوَحَاءَ[1] ، العَجَلَ العَجَلَ ، أدْرِكوا المسلمين قبلَ أن تَملِكَ الفِرنْجُ جميعَ الديارِ المصريةِ . فأقْبَلَت العَساكرُ الإسلاميةُ عندَ ذلك إليه مِن كلِّ مكانٍ ، وكان أولَ مَن قدِم عليه أخوه الأشْرَفُ موسى صاحبُ الجزيرةِ ، بيَّض اللَّهُ وجهَه ، ثم المُعَظَّمُ ، وكان مِن أمرِهم مع الفِرنْجِ ما سنَذْكُرُ بعدَ هذه السنةِ .

وفيها ولِى حِسْبةَ بغدادَ الصاحبُ مُحْيى الدينِ يوسُفُ بنُ الشيخِ أبى الفرجِ ابنِ الجوزىِّ ، وهو مع ذلك يَعْمَلُ مِيعادَ الوَعْظِ على قاعدةِ أبيه ، وشُكِرَتْ مُباشَرتُه للحِسْبةِ .

وفيها فُوِّض إلى المُعَظَّمِ النظرُ فى التُّرْبةِ البَدْريةِ تُجاهَ الشِّبْلِيَّةِ عندَ الجِسْرِ الذى على ثَوْرا[2] ، ويقالُ له : جِسْرُ كُحَيْلٍ . وهى مَنسوبةٌ إلى [3]بدرِ الدينِ[3] حسنِ بنِ الدايةِ ، كان هو وإخوتُه مِن أكابرِ أمراءِ نُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى .

قلتُ[4] : وقد جُعِلَت فى حدودِ الأربعين [٣٤٨/٩و] وستِّمائةٍ جامعًا فيه خطبةُ يومِ الجُمُعةِ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها أرْسَل السلطانُ عَلاءُ الدينِ محمدُ بنُ تِكِش إلى الملكِ العادلِ وهو مُخَيِّمٌ

---

(١) الوحاء : العجلة والإسراع . المحيط (و ح ى) .

(٢) ثورا : اسم نهر عظيم بدمشق . معجم البلدان ١/ ٩٣٨.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) سقط من : م .

بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، فردَّ إليه مع الرسولِ خَطيبَ دمشقَ جمالَ الدين محمدَ بنَ عبدِ الملكِ الدَّوْلَعيَّ ، واسْتُنيب عنه فى الخَطابةِ الشيخُ المُوَفَّقُ عمرُ بنُ يوسفَ خطيبُ بيتِ الآبارِ ، فأقام ببيتٍ فى العَزِيزيةِ[1] يُباشِرُ عنه ، حتى قدِم موتُ العادلِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفيها تُوُفِّى الملكُ القاهرُ صاحبُ المَوْصلِ ، فأُقِيم ابنُه الصغيرُ مكانَه ، ثم قُتِل ، وتشَتَّت شَمْلُ البيتِ الأتابَكيِّ ، وتغَلَّب على الأمورِ الأميرُ بدْر الدينِ لُؤْلُؤٌ غلامُ أبيهم نورِ الدينِ أرْسَلان .

وفيها كان عودُ الوزيرِ صَفِيِّ الدينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ شُكْرٍ مِن [2]آمِدَ إلى دمشقَ[2] بعدَ موتِ العادلِ ، فعمِل فيه الشيخُ عَلَمُ الدينِ السخاوىُّ مَقامةً يَمْدَحُه فيها ويبالغُ فى شكرِه ، وقد ذكَروا أنه كان مُتواضِعًا يُحِبُّ[3] الفُقهاءَ ، ويُسَلِّمُ على الناسِ إذا اجْتاز بهم وهو راكبٌ فى أُبَّهةِ وِزارتِه ، ثم إنه نُكِب فى هذه السنةِ ، وذلك أن الكاملَ هو الذى كان سببَ طَرْدِه وإبعادِه ، كتَب إلى أخيه المُعَظَّمِ فيه ، فاحْتاط على أموالِه وحَواصلِه ، وعزَل ابنَه عن النَّظَرِ بالدَّواوينِ ، وقد كان يَنوبُ عن أبيه فى مدةِ غَيْبتِه .

وفى رجبٍ من هذه السنةِ أعاد المُعَظَّمُ ضَمانَ القِيانِ والخُمورِ وغيرِ ذلك مِن الفَواحِشِ والمُنْكَراتِ التى كان أبوه قد أبْطَلها ، بحيث إنه لم يَكُنْ أحدٌ يَتَجاسَرُ أن يَنْقُلَ خمرًا إلى دمشقَ إلا بالحيلةِ الخَفِيةِ[4] ، واعتذَر المعظَّمُ فى صنعِه هذا المُنْكَرَ بقلةِ الأموالِ على الجُنْدِ ، واحْتياجِهم إلى النَّفَقاتِ فى قتالِ الفِرنْجِ .

---

(١) العزيزية : مدرسة بناها العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين. انظر الدارس ١/ ٣٨٢، ٥٤٩.

(٢ - ٢) فى م : « بلاد الشرق » .

(٣) بعده فى م : « الفقراء و » .

(٤) بعده فى م : « فجزى اللَّه العادل خيرا ولا جزى المعظم خيرا على ما فعل » .

(١وما استشعر أنَّ١) هذا الصَّنيعَ يُدِيلُ عليهم الأعداءَ، ويُمَكِّنُ فيهم الداءَ(٢).

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن المشاهيرِ والأعيانِ:

(٣**السلطانُ الملكُ العادلُ أبو بكرِ بنُ أيوبَ**، كما تقدَّم٣).

القاضى شَرَفُ الدِّينِ أبو طالبٍ عبدُ اللهِ بنُ زَيْنِ القُضاةِ عبدِ الرحمنِ بنِ سُلْطانِ بنِ يَحْيَى (٤بنِ علىٍّ القرشىُّ الدمشقىُّ(٥)، من بنى عمِّ ابنِ الزكىِّ، وكان أولَ من درَّس بالشاميةِ البرّانيةِ وبالرَّواحيةِ أيضًا، وناب فى الحكمِ عن ابنِ عمِّه محيى الدينِ بنِ الزكىِّ. وتوفِّى فى شعبانَ من هذه السنةِ، ودفِن عند مسجدِ القدمِ.

أبو سليمانَ داودُ بنُ أبى الغنائمِ أحمدَ بنِ يحيى المُلْهَمىُّ٤) الضَّريرُ البَغْدادىُّ(٦)، كان يُنْسَبُ إلى علمِ الأَوائلِ(٧)، ولكنه كان يَتَستَّرُ بمذهبِ الظاهريةِ؛ ولهذا قال فيه ابنُ الساعى: الداوُدِىُّ مذهبًا، المَعَرِّىُّ أدبًا واعْتِقادًا،

(١ - ١) فى م: «وهذا من جهله وقلة دينه وعدم معرفته بالأمور فإن».

(٢) بعده فى م: «ويثبط الجند عن القتال فيولون بسببه الأدبار وهذا مما يدمر ويخرب الديار ويديل الدول كما فى الأثر: «وإذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى. وهذا ظاهر لا يخفى على فطن».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) فى م: «اللخمى».

(٥) مرآة الزمان ٥٩٤/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٣٩، والذيل على الروضتين ص ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٤٢، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٢٦٧.

(٦) معجم الأدباء ١١/ ٩٣، ومرآة الزمان ٥٩٣/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣١٠، والذيل على الروضتين ص ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٣٧، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٨٤، والوافى بالوفيات ١٣/ ٤٥٨.

(٧) ليس هو ذلك العلم الذى يتعرف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب، والذى هو من فروع التواريخ والمحاضرات ولكن غالب الظن أنه علم الأوائل الماضين من اليونانيين وغيرهم من الأمم أصحاب علوم الفلسفة والمنطق والنجوم والموسيقى والحيل والكيمياء وغير ذلك. انظر مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/ ٥٦.

ومِن شعرِه قولُه :

إلى الرحمنِ أَشْكُو ما أُلاقى غَداةَ غَدَوا على هُوجِ النِّياقِ
سألْتُكُمُ بمَن زمَّ المَطايا[1] أَمَرُّ بكم أَمَرُّ مِن الفِراقِ
وهل داءٌ[2] أَشَدُّ مِن التَّنائى وهل عيشٌ أَلَذُّ مِن التَّلاقى

قاضى قُضاةِ بَغدادَ عِمادُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ بنُ الحسينِ بنِ الدَّامَغانىُّ الحنفىُّ[3] ، سمِع الحديثَ ، وتفَقَّه على مذهبِ أبى حَنيفةَ ، وولِى القَضاءَ ببغدادَ مرتين نحوًا من سَبْعَ عَشْرةَ سنةً ، وكان مَشكورَ السيرةِ ، عارفًا بالحِسابِ والفَرائضِ وقِسْمةِ التَّرِكاتِ .

[٣٤٨/٩ظ] **أبو اليُمْنِ نجاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَبَشىُّ الشَّرَابىُّ**[4] **نَجْمُ الدينِ**[5] ، مولى الخَليفةِ الناصرِ ، وكان لا يُفارِقُ الخليفةَ ، وكان يُسَمَّى سَلْمانَ دارِ الخِلافةِ ، وقد وجَد عليه الخليفةُ وَجْدًا عظيمًا ، وكان يومُ جِنازتِه يومًا مشهودًا ، كان بينَ يدى النعْشِ مائةُ بقرةٍ وألفُ شاةٍ وأحمالٌ مِن التمرِ والخبزِ والماوَرْدِ ، وقد صلَّى عليه الخليفةُ بنفسِه تحتَ التاجِ ، وتصَدَّق عنه بعشَرةِ آلافِ دينارٍ على المَشاهِدِ ،

---

(١) زم المطايا : خطم الإبل . انظر اللسان (ز م م) .
(٢) فى م : « ذل » .
(٣) ذيل تاريخ بغداد (المختصر المحتاج إليه) ١٥/ ٢١٤، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٤٠، والذيل على الروضتين ص ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٤١، والعبر ٥/ ٥٦، والوافى بالوفيات ١٧/ ١٣٧، والجواهر المضية ٢/ ٣٠١.
(٤) فى الأصل : « السراى » ، وفى م : « السودانى » ، والمثبت من مصادر ترجمته ؛ مرآة الزمان ٨/ ٦٠٠ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١١٣، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٧.
والشرابى : نسبة إلى الشراب ، الذى يصنع الشراب ويحفظه . انظر الأنساب ٣/ ٤١١.
(٥) فى الذيل على الروضتين وتاريخ الإسلام : « الدولة » .

ومثلِها على المجُاوِرين بالحرمَيْن ، وأعْتَق مَماليكَه ، وأوقف عنه خمسَمائةِ مجلدٍ .

أبو المُظَفَّرِ محمدُ بنُ عُلْوانَ بنِ مُهاجِرِ بنِ عليِّ بنِ مُهاجِرٍ المَوْصليُّ[1] ، تفَقَّه بالنِّظاميةِ ، وسمِع الحديثَ ، ثم عاد إلى الموصلِ ، فساد أهلَ وقتِه ، وتقَدَّم فى الفتْوَى والتَّدْريسِ بمدرسةِ بدرِ الدينِ لُؤْلُؤٍ وغيرِها ، وكان صالحًا دَيِّنًا ، رحِمه اللَّهُ .

أبو الطيِّبِ رِزْقُ اللَّهِ [2]بنُ يحيى بنِ رزقِ اللَّهِ بنِ يحيى بنِ خَليفةَ بنِ سليمانَ[3] بنِ رزقِ اللَّهِ[2] بنِ غانمِ بنِ غَنَّامٍ الماحُوزيُّ[4] ، المحُدِّثُ الجَوَّالُ الرَّحَّالُ الثقةُ الحافظُ الأديبُ الشاعِرُ .

أبو العباسِ أحمدُ بنُ برنقشَ[5] بنِ عبدِ اللَّهِ العِماديُّ ، كان مِن أمراءِ سِنْجارَ ، وكان أبوه مِن مَوالى الملكِ عِمادِ الدينِ زَنْكِى صاحبِها ، وكان أحمدُ هذا أديبًا[6] شاعرًا ، ذا مالٍ جَزيلٍ وأملاكٍ كثيرةٍ ، وقد احتاط على أموالِه قُطْبُ الدينِ محمدُ بنُ عمادِ الدينِ زَنْكِى ، وأوْدَعه سجنًا ، فنُسِى فيه ، ومات كَمَدًا ، ومِن شعرِه :

تقولُ وقد ودَّعْتُها ودموعُها ... على نحرِها[7] مِن خشيةِ البَيْنِ تَلْتَقى

مضَى أكثرُ العمرِ الذى كان نافعًا ... رُوَيْدَك فاعْمَلْ صالحًا فى الذى بَقِى

---

(1) الكامل ١٢/ ٣٥٤، وذيل تاريخ بغداد ١٥/ ٥٩، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٨٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : تاريخ إربل ١/ ٢١٩، وتكملة إكمال الإكمال ص ١٥٢.

(3) فى تاريخ إربل : « سلطان » .

(4) فى م : « التأخدرى » .

(5) فى م : « برتكش » .

(6) فى م : « دينا » .

(7) فى م : « خدها » .

ثم دخلت سنة ستَّ عشْرَة وستّمائةٍ

فيها[1] أمَر الشيخُ مُحْيى الدينِ بنُ الجوزىِّ مُحْتَسِبُ بغدادَ بإزالةِ المُنْكَراتِ وكسْرِ المَلاهى ، ففُعِل ذلك فى مستهَلِّ هذه السنةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ظهورُ جِنْكِزْخان وجنودِه وعبورُهم نهرَ جَيْحونَ ، وفيها عبَرَت التَّتارُ نهرَ جَيْحونَ صُحْبةَ ملكِهم جِنْكِزْخان مِن بلادِهم ، وكانوا يَسْكُنون جبالَ طمغاجَ مِن أرضِ الصينِ ، ولُغَتُهم مُخالِفةٌ للغةِ سائرِ التَّتارِ ، وهم مِن أشجعِهم وأصبرِهم على القتالِ ، وسببُ دخولِهم أن جِنْكِزْخان بعَث تُجَّارًا له ، ومعهم أموالٌ كثيرةٌ إلى بلادِ خُوارَزم شاه يَتَبَضَّعون له ثيابًا للكُسْوةِ ، فكتَب نائبُها إلى السلـطانِ خُـوارَزْم شاه يَذْكُرُ له ما معهم مِن كثرةِ الأموالِ ، فأرْسَل إليه بقَتْلِهم وبأخْذِ ما معهم ، ففعَل ذلك ، فغَضِب عندَ ذلك جِنْكِزْخان وأرْسَل يَتَهَدَّدُ خُوارَزْم شاه ، فأشار[2] مَن أشار على خُوارَزْم شاه بالمَسيرِ إليهم ، فسار إليهم وهم فى شُغْلٍ بقتالِ كشلى خان ، فنهَب خُوارَزْم شاه أموالَهم ، وسبَى ذَرارِيَّهم وأطفالَهم ، فأقْبَلوا إليه مَحْرُوبين ، فاقْتَتلوا معه أربعةَ أيامٍ قتالًا لم يُسْمَعْ بمثلِه ، أولئك يُقاتِلون عن حَريمِهم ، والمسلمون عن أنفسِهم ، يَعْلَمون أنهم متى وَلَّوا اسْتَأْصَلوهم ، فقُتِل مِن

---

(١) الكامل ١٢/٣٥٤ - ٣٥٧، ومرآة الزمان ٨/٦٠١ - ٦٠٦ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١١٥ - ١١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٥ - ٣٣.

(٢) فى م: «ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلا جيدا، فلما تهدده أشار».

الفريقَيْن خلقٌ كثيرٌ ، حتى إن الخيولَ كانت تَزْلَقُ فى الدماءِ ، وكان جملةُ مَن قُتِل مِن المسلمين نحوًا مِن عشرين ألفًا ، ومِن التَّتارِ أضْعافُ ذلك ، ثم تَحاجَز الفريقان ، وولَّى كلٌّ منهم إلى بلادِه ، ولجأ خُوارِزْم شاه [٣٤٩/٩و]وأصحابُه إلى بُخارَى وسَمَرْقَنْدَ ، فحصَّنها وبالَغ فى كثرةِ مَن ترَك فيها مِن المقاتِلةِ ، ورجَع خوارَزْم شاه ليُجَهِّزَ الجيوشَ الكثيرةَ ، فقصَدَت التَّتارُ بُخارَى وبها عشرون ألفَ مُقاتِلٍ ، فحاصَرها جِنْكِزْخان ثلاثةَ أيامٍ ، فطلَب منه أهلُها الأمانَ فأمَّنَهم ، ودخَلَها فأحْسَن السِّيرةَ فيهم مَكْرًا وخَديعةً ، وامْتَنَعَت عليه القَلْعةُ ، فحاصَرها واسْتَعْمل[1] أهلَ البلدِ فى طَمِّ خَنْدقِها ، فكانت التَّتارُ يَأْتون بالمَنابرِ والرَّبَعاتِ[2] ، فيَطْرَحونها فى الخَنْدقِ يَطُمُّونه بها ، ففتَحها قَسْرًا فى عشَرةِ أيامٍ ، فقتَل كلَّ مَن كان بها ، ثم عاد إلى البلدِ فاصْطَفَى أموالَ تُجَّارِها ، وأباحَها لجندِه ، فقتَلوا مِن أهلِها خلقًا لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ عز وجل ، وأسَروا الذريةَ والنساءَ ، وفعَلوا بهن[3] الفَواحشَ بحَضْرةِ أهلِيهن ، فمِن الناسِ مَن قاتَل دونَ حَريمِه حتى قُتِل ، ومنهم مَن أُسِر فعُذِّب بأنواعِ العذابِ ، وكثُر البكاءُ والضجيجُ بالبلدِ[4] ، ثم ألْقَت التَّتارُ النارَ فى دُورِ بُخارَى ومدارِسِها ومساجدِها ، فاحْتَرَقَت حتى صارت بَلاقعَ خاويةً على عُروشِها ، ثم كرُّوا راجعين عنها قاصِدِين سَمَرْقَنْدَ ، فكان مِن أمرِهم فيها ما سيأتى ذكرُه فى السنةِ الآتيةِ .

وفى مُسْتَهَلِّ هذه السنةِ خُرِّب سُورُ بيتِ المقدسِ - عمَّـــره اللَّهُ بذكرِه -

---

(١) فى الأصل : « أشغل » .

(٢) الربعات : جمع الرَّبْعَة ، وهى المصحف مجزأ ثلاثين جزءا . الوسيط (ر ب ع) .

(٣) فى م : « معهن » .

(٤) بعده فى م : « من النساء والأطفال والرجال » .

(١) أَمَر بذلك السلطانُ المعظَّمُ خوفًا من استيلاءِ الفِرنجِ عليه ، بعدَ مَشورةِ مَن أشار بذلك ؛ فإن الفِرنجَ إذا تمكنوا من ذلك جعلوه (١) وسيلةً إلى أخذِ الشامِ جميعِه ، فشرَع فى تَخْريبِ السورِ فى أولِ يومٍ من المُحَرَّمِ ، فهرَب منه أهلُه خوفًا مِن الفِرنجِ أن يَهْجُموا عليهم ليلًا أو نهارًا ، وترَكوا أموالَهم وأثقالَهم ، وتمزَّقوا فى البلادِ كلَّ مُمَزَّقٍ ، حتى قيل : إنه أُبيع القِنطارُ من الزيتِ بعشَرةِ دراهمَ ، ورَطلُ النُّحاسِ بنصفِ درهمٍ ، وضجَّ الناسُ وابْتَهَلوا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ عندَ الصخرةِ وفى الأقْصى (٢) . وقال بعضُهم يَهْجُو المُعَظَّمَ فى ذلك :

فى رجبٍ حلَّل المُحَرَّمْ (٣) وأُخْرِب القدسُ فى المُحَرَّمْ

وفيها اسْتَحْوَذَت الفِرنجُ ، لعَنهم اللَّهُ ، على مدينةِ دِمْياطَ ، ودخَلُوها بالأمانِ ، فغدَروا بأهلِها ، وقتَلوا رجالَها ، وسبَوْا نساءَها وأطفالَها ، وفجَروا بالنساءِ ، وبعَثوا بمنبرِ الجامعِ والرَّبَعاتِ ورءوسِ القتلى إلى الجَزائرِ ، وجعَلوا الجامعَ كَنيسةً ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

وفيها تَغَيَّظَ السلطانُ المُعَظَّمُ على القاضى زَكيِّ الدينِ بنِ مُحْيِى الدينِ بنِ الزَّكيِّ قاضى البلدِ ؛ وسببُه أن عمتَه سِتَّ الشامِ بنتَ أيوبَ كانت قد مرِضَت فى دارِها التى جعَلَتْها بعدَها مدرسةً ، فأرْسَلت إلى القاضى لتُوصِيَ إليه ، فذهَب إليها

(١ - ١) فى الأصل : « وذلك عن أمر السلطان المعظم عيسى بن العادل بعد مشورة من أشار عليه بذلك منهم أخوه العزيز عثمان بن العادل وأستاذ داره عز الدين أيبك أن يخرباه خوفا من استيلاء الفرنج عليه فى غيبته فيتمكنون فيه ويستقرون ويجعلون ذلك » .

(٢) بعده فى م : « وهى أيضًا فعلة شنعاء من المعظم مع ما أظهر من الفواحش فى العام الماضى » .

(٣) فى م ، ومرآة الزمان ، والذيل على الروضتين : « الحميا » . والحميا : بلوغ الخمر من شاربها . اللسان (ح م ى) . والمحرم : كناية عن الخمر .

بشهودٍ معه ، فكتَب الوصيةَ كما قالت ، فقال المُعَظَّمُ : يَذْهَبُ إلى عمتى بغيرِ إذنى ، ويَسْمَعُ هو والشهودُ كلامَها ؟! واتَّفَق أن القاضىَ طلَب مِن جابِى العَزيزيةِ حسابَها ، وضرَبه بينَ يديه بالمَقارِعِ ، وكان المُعَظَّمُ يُبْغِضُ هذا القاضىَ مِن أيامِ أبيه [٣٤٩/٩ظ] العادلِ ، فعندَ ذلك أرْسَل المُعَظَّمُ إلى القاضى بِبُقْجةٍ فيها قَباءٌ وكَلُّوتةٌ[1] ؛ القَباءُ أبيضُ والكَلُّوتةُ صفراءُ . وقيل : بل كانا حَمْراوَين مُدَرَّنَيْن[2] ، وحلَف الرسولُ عن السلطانِ لَيَلْبَسَنَّهما ويَحْكُمُ بينَ الخُصومِ فيهما ، وكان مِن [3]لُطْفِ اللَّهِ[3] أن جاءَته الرسالةُ بهذا وهو فى دِهْليزِ دارِه التى ببابِ البَريدِ ، وهو مُنْتَصِبٌ للحكمِ ، فلم يَقْدِرْ إلا أن لَبِسَهما وحكَم فيهما ، ثم دخَل دارَه ، واسْتَقْبل مرضَ موتِه ، فكانت وفاتُه فى صفرٍ مِن السنةِ التى بعدَها ، وكان الشرفُ بنُ عُنَيْنٍ الزُّرَعِىُّ الشاعرُ قد أظْهَر التَّعَبُّد والنُّسُكَ ، ويقالُ : إنه اعْتَكَف بالجامعِ أيضًا . فأرْسَل إليه المُعَظَّمُ بخمرٍ ونَرْدٍ لِيَشْتَغِلَ بهما ، فكتَب إليه ابنُ عُنَيْنٍ :

يا أيُّها الملكُ المُعَظَّمُ سُنَّةً ... أحْدَثْتَها تَبْقَى على الآبادِ
تَجْرِى الملوكُ على طريقِك بعدَها ... خَلْعُ القُضاةِ وتُحْفةُ الزُّهَّادِ

وقد كان نُوَّابُ ابنِ الزَّكِىِّ أربعةً ؛ شمسُ الدينِ بنُ الشِّيرازىِّ إمامُ مشهدِ علىٍّ ، كان يَحْكُمُ به فى الشُّبَّاكِ ، وربما برَز إلى طرَفِ الرِّواقِ تُجاهَ البَلاطةِ السوداءِ ، وشمسُ الدينِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ ، كان يَحْكُمُ فى الشُّبَّاكِ الذى فى

---

(١) الكلوتة بتشديد اللام : لفظة فارسية معناها الطاقية الصغيرة من الصوف المضربة بالقطن ، كانت غطاء الرأس فى الدولتين الأيوبية والمملوكية ، وكانت شارة الأمراء يلبسونها بغير عمامة فوقها ، ولها كلاليب تعقد تحت الذقن . انظر : النجوم الزاهرة ٣٣٠/٧ حاشية (١) . والسلوك ٤٩٣/١ حاشية (١) .
(٢) فى الأصل : « مدرين » .
(٣ - ٣) فى الأصل : « الإلطاف به » .

الكَلَّاسةِ[(1)] تُجاهَ تُرْبةِ الملكِ صلاحِ الدينِ عندَ بابِ[(2)] الغزّاليّةِ ، وجمالُ[(3)] الدينِ المصريُّ وكيلُ بيتِ المالِ ، كان يَحْكُمُ فى الشُّبَّاكِ الكَماليِّ بمشهدِ عثمانَ ، وشرفُ الدينِ الموصليُّ الحنفيُّ كان يَحْكُمُ بالمدرسةِ الطَّرْخانيَّةِ بجَيْرونَ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

سِتُّ الشامِ ، واقفةُ المَدْرستَيْن البَرَّانيَّةِ والجَوَّانيَّةِ ، **الخاتون الجليلةُ ستُّ الشامِ بنتُ أيوبَ بنِ شاذِى**[(4)] ، أختُ الملوكِ وعمةُ[(5)] أولادِهم ، كان لها مِن الملوكِ المَحارِمِ خمسةٌ وثلاثون ملكًا ، منهم شقيقُها المُعَظَّمُ تُورنشاه بنُ أيوبَ صاحبُ اليمنِ ، وهو مَدْفونٌ عندَها فى تُرْبَتِها فى القبرِ القِبْليِّ مِن الثلاثةِ ، وفى الأوسطِ منها زوجُها وابنُ عمِّها ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ أسدِ الدينِ شِيرِكُوه بنِ شاذِى صاحبُ حِمصَ ، وكانت قد تزَوَّجَته بعدَ أبى ابنِها حُسامِ الدينِ (6)محمدِ بنِ(6) عمرَ بنِ لاجِينَ ، وهى وابنُها حُسامُ الدينِ (6)محمدُ بنُ(6) عمرَ فى القبرِ الثالثِ ، وهو الذى يَلِى مكانَ الدرسِ ، ويقالُ للتُّرْبةِ والمدرسةِ : الحُساميةُ . نسبةً إلى ابنِها هذا حُسامِ الدينِ (6)محمدِ بنِ(6) عمرَ بنِ لاجِينَ[(7)] ، وكانت ستُّ الشامِ مِن أكثرِ

---

(1) الكلاسة : مدرسة جانب الجامع الأموى جهة الشمال بناها نور الدين الشهيد . الدارس ١/ ٤٤٧.

(2) سقط من : م . والغزالية مدرسة تنسب للشيخ نصر المقدسى والشيخ أبى حامد الغزالى . انظر الدارس ١/ ٤١٣.

(3) فى م : « كمال » . وانظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٥٧.

(4) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٤٢١، ومرآة الزمان ٨/ ٦٠٦ (القسم الثانى) والذيل على الروضتين ص ١١٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٠.

(5) سقط من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م . وتقدمت ترجمته فى ١٦/ ٦٣٩.

(7) بعده فى م : « وكان من أكابر العلماء عند خاله صلاح الدين » .

النساءِ صَدَقةً وإحسانًا إلى الفقراءِ والمحَاويجِ ، وكانت تَعْمَلُ فى كلِّ سنةٍ فى دارِها بألوفٍ مِن الذهبِ أَشْرِبةً وأدْوِيةً وعَقاقيرَ وغيرَ ذلك ، وتُفَرِّقُه على الناسِ . وكانت وفاتُها يومَ الجمعةِ آخِرَ النهارِ السادسَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ فى دارِها التى جعَلْتَها مدرسةً ، [1]وهى عندَ المارَسْتانِ ، وهى[1] الشامية الجَوَّانيةُ ، ونُقِلَت منها إلى تُرْبتِها بالشاميةِ البَرَّانيةِ ، وكانت جِنازتُها عظيمةً حافلةً ، رحِمها اللَّهُ .

أبو البَقاءِ صاحبُ « الإعرابِ » و « اللُّبابِ » : عبدُ اللَّهِ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، الشيخُ أبو البَقاءِ العُكْبَرِىُّ الضَّريرُ النحوىُّ الحَنْبلىُّ[2] ، صاحبُ « إعرابِ القرآنِ العزيزِ » وكتابِ « اللُّبابِ » فى النحوِ ، وله حَواشٍ على « المَقاماتِ » و « مُفَصَّلِ الزَّمَخْشَرىِّ » و « دِيوانِ المُتَنَبِّى » وغيرُ ذلك ، وله فى الحسابِ وغيرِه ، وكان صالحًا دَيِّنًا ، مات وقد قارَب الثمانين ، رحِمه اللَّهُ ، وكان إمامًا فى اللغةِ [3]والحسابِ والنحوِ[3] ، فَقيهًا مُناظِرًا عارِفًا بالأصلَيْن والفقهِ ، وحكَى القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] عنه أنه ذكَر فى شرحِ « المَقاماتِ » [٩/٣٥٠و] أن عَنْقاءَ مُغْرِبًا[5] كانت تَأْتى إلى جبلٍ شاهقٍ عندَ أصحابِ الرَّسِّ ، فربما اخْتَطَفَت بعضَ أولادِهم ، فشكَوْها إلى نبيِّهم حَنظلةَ بنِ صَفْوانَ ، فدعا عليها فهلَكَت . قال : وكان وجْهُها كوجهِ الإنسانِ ، وفيها شَبَهٌ مِن كلِّ طائرٍ . وذكَر الزَّمَخْشَرىُّ فى كتابِ « ربيعِ الأبرارِ »[6]

(١ - ١) سقط من : الأصل . وانظر الدارس ١/ ٣٠١.

(٢) إنباه الرواة ٢/ ١١٦، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٧٨، والذيل على الروضتين ص ١١٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٠٩.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٠١.

(٥) سميت مغربا ، لإبعادها بما تذهب به . المصدر السابق .

(٦) انظر المصدر السابق ٣/ ١٠٢.

أنها كانت فى زمنِ موسى لها أربعةُ أجْنِحةٍ مِن كلِّ جانبٍ ، ووجهٌ كوجهِ الإنسانِ ، وفيها شَبَهٌ كثيرٌ مِن سائرِ الحيواناتِ ، وأنها تأَخَّرَت إلى زمنِ خالدِ بنِ سِنانٍ العَبْسىِّ الذى كان فى الفَتْرةِ ، فدعا عليها فهلَكَت . وذكَر ابنُ خَلِّكانَ[1] أن المُعِزَّ الفاطمىَّ جِىء إليه بطائرٍ غريبِ الشكلِ جدًّا مِن الصَّعيدِ يقالُ له : عَنْقاءُ مُغْرِبٌ .

قلتُ : وكلٌّ واحدٍ مِن خالدِ بنِ سِنانٍ وحَنْظلةَ بنِ صَفْوانَ كان فى زمنِ الفَتْرةِ ، وكان صالحًا ، ولم يَكُنْ نبيًّا ، لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « أنا أوْلَى الناسِ بعيسى ابنِ مريمَ ؛ لأنه ليس بينى وبينَه نبىٌّ » . وقد تقَدَّم ذلك[2] .

الحافظُ عِمادُ الدينِ أبو القاسمِ علىُّ بنُ الحافظِ بَهاءِ الدينِ أبى محمدٍ القاسمِ بنِ الحافظِ الكبيرِ أبى القاسمِ علىِّ بنِ الحسنِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ عَساكرَ الدمشقىُّ[3] ، سمِع الكثيرَ ، ورحَل فمات ببغدادَ فى هذه السنةِ ، ومِن لَطيفِ شعرِه قولُه فى المِرْوَحةِ[4] :

ومِروَحةٍ تُروِّحُ كلَّ همٍّ ... ثلاثةَ أشهرٍ لابدَّ منها
حَزِيرانٌ وتمُّوزٌ وآبٌ ... وفى أيْلُولَ يُغْنِى اللَّهُ عنها

ابنُ الدَّوامىِّ الشاعرُ[5] ، وقد أوْرَد ابنُ الساعى قطعةً صالحةً مِن شعرِه .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١٠١.

(٢) تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٢٤، ٥٢٥.

(٣) الكامل ١٢/ ٣٥٧، وتاريخ إربل ١/ ٢٣٥، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٨٤، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٠٧، والوافى بالوفيات ٢١/ ٣٩١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٩٦.

(٤) البيتان فى تاريخ إربل.

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٨٦، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٩٠.

وسعيدُ[1] بنُ الرَّزَّازِ[2] ، وكان أحدَ المُعَدِّلِين ببغدادَ ، وسمِع « البُخاريَّ » مِن أبى الوَقْتِ .

وأبو سعيدٍ محمدُ بنُ محمودِ بنِ [3]**محمدِ بنِ محمدِ بنِ**[3] **عبدِ الرحمنِ ،** المَرْوَزىُّ الأصلِ الهَمَذانىُّ المَوْلِدِ البَغْدادىُّ المَنْشَأَ والوفاةِ ، كان حسَنَ الشكلِ ، كاملَ الأوصافِ ، له خطٌّ حسنٌ ، ويَعْرِفُ فنونًا كثيرةً مِن العلومِ ، شافعىَّ المذهبِ ، ويَتَكَلَّمُ فى مسائلِ الخِلافِ ، حسَنَ الأخلاقِ ، ومِن شعرِه قولُه :

أَرَى قِسَمَ الأَرزاقِ أعجبَ قِسمةٍ ... لذى دَعَةٍ [4]مُثْرٍ ومُكْدٍ بِه الكَدُّ[4]

وأحمقُ ذو مالٍ وأحمقُ مُعْدَمٌ ... وعقلٌ بلا حظٍّ وعقلٌ له جَدُّ

يَعُمُّ الغِنَى والفقرُ ذا الجهلِ والحِجَا ... ولِلَّهِ مِن قبلُ الأمورُ ومِن بعدُ

أبو زكريا يحيى بنُ القاسمِ بنِ المُفَرِّجِ[5] **بنِ دِزعِ بنِ الخَضِرِ الشافعىُّ ، الشيخُ تاجُ الدينِ التَّكْرِيتىُّ ،** قاضيها ، ثم درَّس بنِظاميةِ بغدادَ ، وكان مُتْقِنًا لعلومٍ كثيرةٍ ؛ منها التفسيرُ والفقهُ والأدبُ والنحوُ واللغةُ ، وله المُصَنَّفاتُ فى ذلك كلِّه ،

---

(١) فى النسخ : « أبو سعيد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٦٩، وذيل تاريخ بغداد (المختصر المحتاج إليه) ١٥/ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٢، والعبر ٥/ ٦١.

(٢) فى م: « الوزان » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٤٠٥، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٢٠، والوافى بالوفيات ١/ ٢١٢. وفيه وفى الذيل على الروضتين : محمد بن محمد ...» .

(٤ - ٤) فى م : « ومكدية لذى كد » . ويقال : أكدى الرجل : ألح فى المسألة .

(٥) فى النسخ : « الفرج » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ معجم الأدباء ٢٠/٢٩ - وفيه : « وَرَع » - ومرآة الزمان ٨/ ٦٠٨، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٤١٠، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٢٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٥٦، وطبقات المفسرين للداودى ٢/ ٣٧٣.

وجمَع لنفسِه تاريخًا حسنًا، ومِن شعرِه قولُه[1]:

لابدَّ للمرءِ مِن ضِيقٍ ومِن سَعَةٍ ... ومِن سُرورٍ يُوافِيه ومِن حَزَنِ
واللَّهُ يَطْلُبُ منه شُكْرَ نعمتِهِ ... ما دام فيها ويَبْغِى الصبرَ فى المِحَنِ
فكُنْ مع اللَّهِ فى الحالَيْن مُعْتَنِقًا ... فرضَيْك هذين فى سرٍّ وفى عَلَنِ
فما على شدةٍ يَبْقَى الزمانُ [2]فكُنْ ... جَلْدًا ولا[2] نعمةٌ تَبْقَى على الزمنِ

ومن ذلك قولُه:

لو كان قاضى الهَوَى علىَّ ولِى ... ما جار فى الحكمِ مَن علىَّ ولِى
يا يوسفىَّ الجمالِ عبدُك[3] لَمْ ... تَبْقَ له حِيلةٌ مِن الحِيَلِ
إنْ كان قُدَّ القَميصُ مِن دُبُرٍ ... ففيك قُدَّ الفؤادُ مِن قُبُلِ

صاحبُ «الجَواهِرِ» الشيخُ الإمامُ العلامةُ جَلالُ[4] الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ نَجْمِ بنِ شاسِ بنِ نِزارِ بنِ عَشائرَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ شاسٍ الجُذامىُّ السَّعْدىُّ، الفقيهُ المالكىُّ، مُصَنِّفُ كتابِ «الجَواهِرِ الثَّمينةِ فى مذهبِ عالمِ المدينةِ»، وهو مِن أكثرِ الكتبِ فَوائدَ فى الفُروعِ، رتَّبه على طريقةِ «الوَجيزِ» للغَزَّالىِّ. قال ابنُ خَلِّكانَ[5]: وفيه دَلالةٌ على غَزارةِ علمِه وفَضْلِه، والطائفةُ المالكيةُ بمصرَ عاكفةٌ عليه لحسنِه وكَثْرةِ فَوائدِه، وكان مُدَرِّسًا بمصرَ، وتوفِّى بدِمْياطَ.

---

(1) الأبيات فى طبقات الشافعية.
(2 - 2) فى الأصل، م: «يكن ولا على».
(3) فى م: «عندك».
(4) فى م: «جمال». وانظر ترجمته فى: التكملة لوفيات النقلة 4/ 394، والذيل على الروضتين ص 120، ووفيات الأعيان 3/ 61، ونهاية الأرب 29/ 100، وسير أعلام النبلاء 22/ 98، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 611 - 620) ص 296، وشجرة النور الزكية ص 165.
(5) وفيات الأعيان 3/ 61.

[١٠/١ظ] ثم دخَلَت سنةُ سبعَ عشْرَةَ وستّمائةِ[*]

فى هذه السنةِ[١] عمَّ البَلاءُ ، وعظُم العَزاءُ بجِنْكِزْخان المُسَمَّى بتَمُوجين[٢] ، لعَنه اللَّهُ تعالى ، وبمن معه مِن التَّتارِ ، قبَّحهم اللَّهُ أجمعين ، واسْتَفْحَل أمرُهم ، وامتدَّ إفْسادُهم مِن أقصى بلادِ الصينِ إلى أن وصَلوا إلى بلادِ العراقِ وما حولَها حتى انْتَهَوْا إلى إِرْبِلَ وأعمالِها ، فملَكوا فى سنةٍ واحدةٍ ، وهى هذه السنةُ ، سائرَ المَمالكِ إلا العراقَ والجَزيرةَ والشامَ ومصرَ ، وقهَروا جميعَ الطَّوائفِ التى بتلك النَّواحى ؛ الخُوارَزْميةِ والقَفجاقِ والكُرْجِ واللَّانِ والخَزَرِ وغيرِهم ، وقتَلوا فى هذه السنةِ مِن المسلمين وغيرِهم فى بُلْدانٍ مُتعددةٍ كبارٍ وصغارٍ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، وبالجملةِ فلم يَدْخُلوا بلدًا إلا قتَلوا جميعَ مَن فيه مِن المُقاتِلةِ والرجالِ ، وكثيرًا مِن النساءِ والأطفالِ ، وأتْلَفوا ما فيه بالنَّهْبِ إن احْتاجوا إليه ، وبالحَريقِ إن لم يَحْتاجوا إليه ، حتى إنهم كانوا يَجْمَعون الحَريرَ الكثيرَ الذى يَعْجِزون عن حملِه ، فيُطْلِقون فيه النارَ فيُحْرَقُ وهم يَنْظُرون إليه ، ويُخَرِّبون المَنازِلَ ، وما عجَزوا عن تَخْريبِه أحرقوه ، وأكثرُ ما يُحَرِّقون المساجدُ والجَوامعُ ، لعَنهم اللَّهُ تعالى ، وكانوا يَأْخُذون الأُسارَى مِن المسلمين ، فيُقاتِلون بهم ، ويُحاصِرون بهم ، وإن لم يَنْصَحوا فى القِتالِ قتَلوهم .

(*) من هنا بداية الجزء العاشر من مخطوطة المكتبة الأحمدية والمشار إليها بـ (الأصل) ، والجزء التاسع لم ينته وسينتهى فى صفحة ١١١ وقد اعتمدنا فى الفروق على الجزء العاشر .

(١) الكامل ٣٥٨/١٢ - ٤٠٠ ، ومرآة الزمان ٦٠٨/٨ - ٦١١ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٢١ - ١٢٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٤ - ٥٢ .

(٢) فى الأصل : « تمرجى » .

وقد بسَط ابنُ الأثيرِ فى «كاملِه»[1] خبرَهم فى هذه السنةِ بَسْطًا حسَنًا مُفَصَّلًا، وقدَّم على ذلك كلامًا هائلًا فى تعظيمِ هذا الخَطْبِ العَجيبِ، قال: فنقولُ: هذا فصلٌ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ الحادثةِ العُظْمَى والمُصيبةِ الكبرى التى عقِمَت الأيامُ والليالى عن مثلِها، عمَّت الخَلائقَ، وخصَّت المسلمين، فلو قال قائلٌ: إن العالَمَ منذ خلَق اللَّهُ آدمَ وإلى الآنَ، لم يُبتَلَوْا بمثلِها. لَكان صادقًا؛ فإن التَّواريخَ لم تتضَمَّنْ ما يُقارِبُها ولا ما يُدانيها، ومِن أعظمِ ما يَذْكُرون مِن الحوادثِ ما فعَل بُخْتُنَصَّرَ ببنى إسرائيلَ مِن القتلِ وتَخْريبِ البيتِ المقدَّسِ، وما البيتُ المقدَّسُ بالنسبةِ إلى ما خرَّب هؤلاءِ الملاعينُ من البلادِ، التى كلُّ مدينةٍ منها أضعافُ البيتِ المقدَّس؟! وما بنو إسرائيلَ بالنسبةِ إلى مَن قتَلوا؟ فإن أهلَ مدينةٍ واحدةٍ ممَّن قتَلوا أكثرُ مِن بنى إسرائيلَ، ولعل الخلقَ لا يَرَوْن مثلَ هذه الحادثةِ إلى أن يَنْقَرِضَ العالَمُ وتَفْنَى الدنيا إلا يأجوجَ ومأجوجَ، وأما الدَّجَّالُ فإنه يُبْقِى على مَن اتَّبَعه ويُهْلِكُ مَن خالَفه، وهؤلاء لم يُبْقُوا على أحدٍ، بل قتَلوا الرجالَ والنساءَ والأطفالَ، وشقُّوا بُطونَ الحَوامِلِ، وقتَلوا الأَجِنَّةَ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العليِّ العظيمِ، لهذه الحادثةِ التى اسْتَطار شرَرُها وعمَّ ضرَرُها، وسارَت فى البلادِ كالسَّحابِ اسْتَدْبَرَتْه الريحُ، فإن قومًا خرَجوا مِن أطرافِ الصينِ، فقصَدوا بلادَ تُرْكِسْتانَ مثلَ كاشْغَرَ وبَلَاسَاغُونَ[2]، ثم منها إلى بلادِ ما وراءَ النهرِ مثلَ سَمَرْقَنْدَ وبُخارَى وغيرِهما، فيَمْلِكونها [١٠/٢و] ويَفْعَلون بأهلِها ما نَذْكُرُه، ثم تَعْبُرُ طائفةٌ منهم إلى خُراسانَ، فيَفْرُغون منها مُلْكًا وتَخْريبًا وقَتْلًا ونهْبًا، ثم يُجاوِزُونها إلى الرَّىِّ وهَمَذانَ وبلدِ الجبلِ وما فيه مِن البلادِ إلى

---

(١) الكامل ٣٥٨/١٢ - ٣٩٨.

(٢) فى الأصل: «بلاد ساعون».

حَدِّ العراقِ ، ثم يَقْصِدون بلادَ أذْرَبيجانَ وأَرّانَ[1] ، ويُخَرِّبونها ويَقْتُلون أكثرَ أهلِها ، ولم يَنْجُ إلا الشَّريدُ النادرُ فى أقلَّ مِن سنةٍ ، هذا ما لم يُسْمَعْ بمثلِه .

ثم سارُوا إلى دَرْبَنْد شَرْوانَ ، فملكوا مدنَه ، [2]ولم يَسْلَمْ غيرُ قلعَتِه التى بها ملِكُهم ، وعبَروا عندَها[2] إلى بلدِ اللّانِ واللَّكْزِ[3] ، ومَن فى ذلك الصُّقْعِ مِن الأممِ المختلفةِ[4] ، فأوْسَعوهم قتلًا ونهْبًا وتَخْرِيبًا ، ثم قصَدوا بلادَ قَفْجاقَ ، وهم مِن أكثرِ التركِ عددًا ، فقتَلوا كلَّ مَن وقَف لهم ، وهرَب الباقون إلى الغِياضِ ، وملكوا عليهم بلادَهم . وسارت طائفةٌ أخرى إلى غَزْنةَ وأعمالِها وما يُجاوِرُها مِن بلادِ الهندِ وسِجِسْتانَ وكَرْمانَ ، ففعَلوا فيها مثلَ أفعالِ هؤلاء وأشَدَّ .

هذا ما لم يَطْرُقِ الأسْماعَ مثلُه ، فإن الإسْكَنْدرَ الذى اتَّفَق المُؤَرِّخون على أنه ملَك الدنيا ، لم يَمْلِكْها فى سنةٍ واحدةٍ ، إنما ملكها فى نحوِ عشْرِ سنينَ ، ولم يَقْتُلْ أحدًا ، بل رضِى مِن الناسِ بالطاعةِ ، وهؤلاء قد ملكوا أكثرَ المَعْمورِ مِن الأرضِ وأطْيَبَه وأحْسَنَه عِمارةً وأكثرَه أهلًا ، وأعْدَلَهم أخْلاقًا وسِيرةً فى [5]نحوِ سنةٍ ، ولم يَتَّفِقْ لأحدٍ مِن أهلِ البلادِ التى لم يَطْرُقوها بقاءٌ إلا وهو خائفٌ مُتَرَقِّبٌ[5] وصولَهم ، وهم مع ذلك يَسْجُدون للشمسِ إذا طلَعَت ، ولا يُحرِّمون شيئًا ، ويأْكُلون ما وجَدوه مِن الحَيَواناتِ والمَيْتاتِ ، لعَنهم اللَّهُ تعالى .

قال : وإنما اسْتَقام لهم هذا الأمرُ لعدمِ المانعِ ؛ لأن السلطانَ خُوارَزْم شاه محمدًا كان قد قتَل الملوكَ مِن سائرِ المَمالكِ ، واستقلَّ بالأمورِ ، فلما انْهَزم منهم

---

(١) فى م ، والكامل : « أرانية » . وانظر معجم البلدان ١/ ١٨٣.

(٢ - ٢) فى الأصل : « ثم » .

(٣) فى الأصل : « البلغر » . واللكز : بليدة خلف الدربند تتاخم خزران . معجم البلدان ٤/ ٣٦٤.

(٤) بعده فى الأصل : « الألسن والألوان » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

فى العامِ الماضى ، وضعُف عنهم ، وساقوا وَراءَه فهرَب ، فلا يُدْرَى أين ذهَب ، وهلَك فى بعضِ جَزائرِ البحرِ ، خلَت البلادُ ، ولم يَبْقَ لها مَن يَحْمِيها ، لِيَقْضِىَ اللَّهُ أمرًا كان مفعولًا ، وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمورُ.

ثم شرَع فى تَفْصيلِ ما ذكَره مُجْمَلًا ، فذكَر أولًا ما قدَّمْنا ذكرَه فى العامِ الماضى مِن بعثِ جِنْكِزْخان أولئك التُّجّارَ بمالٍ له يأتونه بثمنِه كُسْوةً ولِباسًا ، وأخَذَ خُوارَزْم شاه تلك الأموالَ ، فحنِق عليه جِنْكِزْخان ، وأرْسَل يتهدَّدُه ، فسار إليه خُوارَزْم شاه بنفسِه وجُنودِه ، فوجَد التَّتارَ مَشْغولِين بقتالِ كَشْلِى خان ، فنهَب أثْقالَهم ونساءَهم وأطفالَهم ، فرجَعوا وقد انْتَصرُوا على عدوِّهم ، وازْدادوا حَنَقًا وغيظًا ، فتواقَعوا هم وإياه مع ابنِ جِنْكِزْخان ثلاثةَ أيامٍ ، فقُتِل مِن الفريقَيْن خلقٌ كثيرٌ ، ثم تَحاجَزوا ، ورجَع خُوارَزْم شاه إلى أطرافِ بلادِه ، فحصَّنها ثم كرَّ راجعًا إلى مقرِّ ملكِه وهى مدينةُ خُوارَزْم ، فأقْبَل جِنْكِزْخان ، فحصَر بُخارَى كما ذكَرْنا ، فافْتَتَحها صُلْحًا ، وغدَر بأهلِها حين افْتَتَح قلْعتَها قهْرًا ، وقتَل الجميعَ ، وأخَذ الأموالَ ، وسبَى النِّساءَ والأطفالَ ، وخرَّب الدُّورَ والمَحالَّ ، وقد كان بها عشرون ألفَ مُقاتِلٍ ، فلم يُغْنِ عنهم شيئًا ، ثم سار منها إلى سَمَرْقَنْدَ ، فحاصَرها فى أوَّلِ محرَّمٍ هذه السنةِ ، وبها خمسون ألفَ مُقاتِلٍ مِن الجندِ فنكَلوا ، وبرَز إليهم سبعون ألفًا مِن العامَّةِ ، فقُتِل الجَميعُ فى ساعةٍ واحدةٍ ، وألْقَى إليه الخمسون ألفًا السَّلَمَ ، فسلَبهم سلاحَهم ، وما يَمْتَنِعون به ، وقتَلَهم فى ذلك اليومِ ، واسْتَباح البلدَ ، فقتَل الجميعَ ، وأخَذ الأموالَ ، وسبىَ الذُّرِّيَّةَ ، وحرَّقه وترَكه بَلاقعَ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، [٢/١٠ظ] وأقام ، لعَنه اللَّهُ ، هنالك وأرْسَل السَّرايا إلى البُلْدانِ ، فأرْسَل سَريةً إلى بلادِ خُراسانَ ، وتُسَمِّيها التَّتارُ المُغَرِّبةَ ، وأرْسَل أخرى وراءَ خُوارَزْم شاه ، وكانوا عشرين ألفًا ، قال : اطْلُبوه فأدْرِكوه ولو تعَلَّق بالسماءِ .

فساقوا فى طلبِه ، فأدْرَكوه وبينَهم وبينَه نهرُ جَيْحونَ ، وهو آمِنٌ بسببِه ، فلم يَجِدوا سُفُنًا ، فعمِلوا لهم أحْواضًا يَحْمِلون عليها الأسْلِحةَ ، ويُرْسِلُ أحدُهم فرسَه ، ويَأْخُذُ بذنبِها ، فتَجُرُّه الفرسُ بالماءِ ، وهو يَجُرُّ الحوضَ الذى فيه سلاحُه ، حتى صاروا كلُّهم فى الجانبِ الآخرِ ، فلم يَشْعُرْ بهم خُوارَزْم شاه إلا وقد خالَطوه ، فهرَب منهم إلى نَيْسابورَ ، ثم منها إلى غيرِها ، وهم فى أثَرِه لا يُمْهِلونه حتى يَجْمَعَ لهم ، فصار كلما أتَى بلدًا ليَجْتَمِعَ فيه عَساكرُه يُدْرِكونه ، فيَهْرُبُ منهم ، حتى ركِب فى بحرِ طَبَرِسْتانَ ، وسار إلى قلعةٍ فى جَزيرةٍ فيه ، وكانت فيها وفاتُه ، وقيل : إنه لا يُعْرَفُ بعدَ رُكوبِه فى البحرِ ما كان مِن أمرِه ، بل ذهَب فلا يُدْرَى أين ذهَب ولا كيفَ سلَك ، ولا إلى أىِّ مَفَرٍّ هرَب . وملَكت التَّتَرُ حَواصلَه ، فوجَدوا فى خِزانتِه عشَرةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، وألفَ حِمْلٍ مِن الأَطْلَسِ[1] ، وعشرين ألفَ فرسٍ وبَغْلٍ ، ومِن الغِلْمانِ والجَوارِى والخيامِ شيئًا كثيرًا ، وكان له عشَرةُ آلافِ مَملوكٍ ، كلُّ واحدٍ مثلُ مَلِكٍ ، فتَمَزَّق ذلك كلُّه فى أقلَّ من سنةٍ ، وقد كان خُوارَزْم شاه فَقيهًا حَنَفيًّا فاضِلًا ، له مُشارَكاتٌ فى فُنونٍ مِن العلمِ ، يَفْهَمُ جيدًا ، وقد ملَك بلادًا مُتَّسِعةً ومَمالكَ مُتَعددةً إحدى وعشرين سنةً وشهورًا ، ولم يَكُنْ بعدَ مُلوكِ بنى سَلْجُوقَ أكبرُ حُرْمةً ولا أعْظَمُ مُلْكًا منه ؛ لأنه إنما كانت هِمَّتُه فى الملكِ لا فى اللَّذَّاتِ والشَّهَواتِ ، ولهذا قهَر المُلوكَ بتلك الأراضى ، وأحَلَّ بالخِطَا[2] بأسًا شديدًا ، حتى لم يَبْقَ ببلادِ خُراسانَ وما وراءَ النهرِ وكذلك عراقِ العَجَمِ وغيرِها مِن المَمالكِ سلطانٌ سواه ، وجميعُ البلادِ تحتَ يَدِ نُوَّابِه . ثم ساروا إلى مازَنْدَرانَ ، وقِلاعُها مِن أمْنَعِ القِلاعِ ، بحيث إن المسلمين لم

(١) الأطلس : ثوب من حرير منسوج ، ليس بعربى . تاج العروس (ط ل س) .
(٢) الخِطَا : جنس من الترك ، بلادهم فى متاخمة بلاد الصين . صبح الأعشى ٤/ ٤٨٣ .

يَفْتَتِحوها إلا فى سنةِ تسعين فى أيامِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، ففتَحها هؤلاء فى أيْسَرِ مدةٍ ، ونهَبوا ما فيها ، وقتَلوا أهاليَها ، وسبَوْا وأحْرَقوا ، ثم ترَحَّلوا عنها نحوَ الرَّىِّ ، فوجَدوا فى الطريقِ أمَّ خُوارَزْم شاه ، ومعها أموالٌ عظيمةٌ جدًّا ، فأخَذوها وفيها من كلِّ غَريبٍ ونَفيسٍ مما لم يُشاهَدْ مثلُه مِن الجَواهِرِ وغيرِها ، ثم قصَدوا الرَّىَّ فدخَلوها على حينِ غَفْلةٍ مِن أهلِها ، فقتَلوهم ونهبوهم وسبَوهم وأسروهم ، ثم ساروا إلى هَمَذانَ ، فملَكوها ثم إلى زَنْجانَ[1] ، فقتَلوا وسبَوْا ، ثم قصَدوا قَزْوينَ فنهَبوها، وقتَلوا مِن أهلِها نحوًا مِن أربعين ألفًا ، ثم تيَمَّموا بلادَ أَذْرَبيجانَ ، فصالَحهم ملكُها أُوزْبَكُ بنُ البَهْلَوانِ على مالٍ حمَله إليهم ؛ لشُغْلِه بما هو فيه مِن السُّكْرِ وارْتِكابِ السَّيئاتِ والانْهِماكِ على الشَّهَواتِ ، فترَكوه وساروا إلى مُوقانَ[2] ، فقاتَلهم الكُرْجُ فى عشرةِ آلافِ مُقاتِلٍ ، فلم يَقِفوا بينَ أيديهم طَرْفةَ عينٍ حتى انْهَزَمَت الكُرْجُ ، [3]وقتلت التتارُ منهم خلقًا كثيرًا ، ثم قصَدوا تَفْليسَ وهى أكبرُ مدنِ الكُرْجِ وَاجتمعت عندَ ذلك الكُرْجُ[3] [٣/١٠و] فأقْبَلوا إليهم بحَدِّهم وحَديدِهم ، فكسَرَتهم التَّتارُ مرةً ثانيةً أقْبَحَ كَسرةٍ وأشْنَعَها . وههنا قال ابنُ الأثيرِ[4] : ولقد جرَى لهؤلاء التَّترِ ما لم يُسْمَعْ بمثلِه مِن قَديمِ الزمانِ وحَديثِه ؛ طائفةٌ تَخْرُجُ مِن حُدودِ الصينِ لا تَنْقَضِى عليهم سنةٌ حتى يَصِلَ بعضُهم إلى حدودِ بلادِ أَرْمينيَةَ مِن هذه الناحيةِ ، ويُجاوِزون العراقَ مِن ناحيةِ هَمَذانَ ، وتاللَّهِ لا أَشُكُّ أن مَن يَجِىءُ بعدَنا إذا بَعُد العَهْدُ ، ويرَى هذه الحادثةَ مَسْطورةً يُنْكِرُها ويَسْتَبْعِدُها ، والحقُّ بيدِه ، فمتى اسْتَبْعَد ذلك فلْيَنْظُرْ أننا سطَّرْنا [5]نحن وكلُّ مَن جمَع التاريخَ فى أزمانِنا هذه[5]

---

(١) فى الأصل : « فرغان » وانظر الكامل ١٢/ ٣٧٤.

(٢) موقان : ولاية بأذربيجان فيها قرى ومروج كثيرة . انظر معجم البلدان ٤/ ٦٨٦.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) الكامل ١٢/ ٣٧٥.

(٥ - ٥) سقط من الأصل .

فى وقتٍ كلُّ مَن فيه يَعْلَمُ هذه الحادثةَ ، قد اسْتَوَى فى معرفتِها العالِمُ والجاهلُ لشُهْرتِها ، يسَّر اللَّهُ للمسلمين والإسلامِ مَن يَحْفَظُهم ويَحُوطُهم ، فلقد دُفِعوا مِن العدوِّ إلى عظيمٍ ، ومِن الملوكِ المسلمين إلى مَن لا تتَعَدَّى هِمَّتُه بطنَه وفرجَه ، وقد عُدِم سلطانُ المسلمين خُوارَزْم شاه .

قال[1] : وانْقَضَت هذه السنةُ وهم فى بلادِ الكُرْجِ ، فلما رأَوْا منهم مُمانَعةً ومُقاتَلةً يَطولُ عليهم بها المَطالُ عدَلوا إلى غيرِهم ، وكذلك كانت عادتُهم ، فساروا إلى تِبْرِيزَ ، فصالَحهم أهلُها بمالٍ . قال : ثم ساروا إلى مَراغةَ ، فحصَروها ونصَبوا عليها المَجانِيقَ ، وتترَّسوا بالأُسارَى مِن المسلمين ، وعلى البلدِ امرأةٌ - و « لن يُفْلِحَ قومٌ ولَّوْا أمرَهم امرأةً »[2] - ففتَحوا البلدَ بعدَ أيامٍ ، وقتَلوا مِن أهلِه خلقًا لا يَعْلَمُ عِدَّتَهم إلا اللَّهُ عز وجل ، وغنِموا منه شيئًا كثيرًا ، وسبَوْا وأسَروا على عادتِهم ، لعَنهم اللَّهُ لَعْنةً تدخُلُ معهم نارَ جَهَنَّمَ ، وقد كان الناسُ يَخافون منهم خوفًا عظيمًا جدًّا حتى إنه دخَل رجلٌ منهم إلى دَرْبٍ مِن هذه البلدةِ وبه مائةُ رجلٍ لم يَسْتَطِعْ واحدٌ منهم أن يَتَقَدَّمَ إليه ، وما زال يَقْتُلُهم واحدًا بعدَ واحدٍ حتى قتَل الجميعَ ، ولم يَرْفَعْ منهم أحدٌ يدَه إليه ، ونهَب ذلك الدَّرْبَ وحدَه . ودخَلَت امرأةٌ منهم فى زِيِّ رجلٍ إلى بيتٍ فقتَلَت كلَّ مَن فى ذلك البيتِ وحدَها ، ثم اسْتَشْعَر أسيرٌ معها أنها امرأةٌ ، فقتَلها ، لعَنها اللَّهُ .

ثم قصَدوا مدينةَ إِرْبِلَ ، فضاق المسلمون لذلك ذَرْعًا ، وقال أهلُ تلك النَّواحى : هذا أمرٌ عَصيبٌ . وكتَب الخليفةُ إلى أهلِ الموصلِ والملكِ الأشرفِ صاحبِ الجزيرةِ يقولُ : إنى قد جهَّزْت عَسْكرًا ، فكُونوا معه لقتالِ هؤلاء التَّترِ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٣٧٧.

(٢) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٣١.وبمعناه فى ٦/ ٤٨٨.

فأرْسَل الأشْرَفُ يَعْتَذِرُ إلى الخليفةِ بأنه مُتَوَجِّهٌ نحوَ أخيه الكاملِ إلى الديارِ المصريةِ بسببِ ما قد دَهَم المسلمين هناك مِن الفِرنْجِ ، وأخْذِهم دِمْياطَ التى قد أشْرَفوا بأخْذِهَا على أخْذِ الديارِ المصريةِ قاطبةً ، وكان أخوه المُعَظَّمُ قد قدِم عليه إلى حَرَّانَ يَسْتَنْجِدُه لأخيهما الكاملِ ليَتَحاجَزوا الفِرنْجَ بدِمْياطَ ، وهو على أُهْبَةِ المَسيرِ إلى الديارِ المصريةِ ، فكتَب الخليفةُ إلى مُظَفَّرِ الدينِ صاحبِ إرْبِلَ ليَكونَ هو المُقَدَّمَ على العَساكرِ التى يَبْعَثُها الخليفةُ ، وهى عشَرةُ آلافِ مُقاتِلٍ ، فلم يَقْدَمْ عليه منهم غيرُ ثمانِمائةِ فارسٍ ، ثم تفَرَّقوا قبلَ أن يَجْتَمِعوا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ولكنْ سلَّم اللَّهُ بأن صرَف هِمَّةَ التَّتارِ إلى ناحيةِ هَمَذانَ ، فصالَحهم أهلُها ، وترَك التَّتَرُ عندَهم شِحْنةً[1] ، ثم اتَّفَقوا على شِحْنتِهم ، فرجَعوا إليهم ، فحاصَروهم [٣/١٠ظ] حتى فتَحوها قَسْرًا ، وقتَلوا أهلَها عن آخِرِهم ، ثم ساروا إلى أَذْرَبِيجانَ ، ففتَحوا أَرْدَبِيلَ ، ثم تِبْرِيزَ ، ثم إلى بَيْلقانَ[2] ، فقتَلوا مِن أهلِها خلقًا كثيرًا وجَمًّا غفيرًا ، وحرَّقوها ، وكانوا يَفْجُرون بالنساءِ ، ثم يَقْتُلونهن ويَشُقُّون بُطونَهن عن الأَجِنَّةِ .

ثم عادوا إلى بلادِ الكُرْجِ[3] ، وقد اسْتَعَدَّت لهم الكُرْجُ ، فاقْتَتَلوا معهم ، فكسَروهم أيضًا كَسْرةً فَظيعةً ، ثم فتَحوا بُلْدانًا كثيرةً يَقْتُلون أهلَها ، ويَسْبُون نساءَها ، ويَأْسِرون مِن الرجالِ ما يُقاتِلون بهم الحُصونَ ، يَجْعَلونهم بينَ أيديهم تُرْسًا يَتَّقون بهم الرَّمْىَ وغيرَه ، ومَن سلِم منهم قتَلوه بعدَ انْقِضاءِ الحربِ ، ثم ساروا إلى بلادِ اللَّانِ والقَفْجاقِ ، فاقْتَتَلوا معهم قتالًا عظيمًا ، فكسَروهم وقصَدوا

---

(١) الشحنة : رئيس الشرطة . المعجم الذهبى ص ٣٦٩. وشحنة الكورة : من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان . اللسان (ش ح ن) .

(٢) بيلقان : مدينة قرب الدربند الذى يقال له باب الأبواب ، تعد فى أرمينية الكبرى . معجم البلدان ١/ ٧٩٧.

(٣) الكامل ١٢/ ٣٨٣.

أكبرَ مَدائنِ القَفجاقِ ، وهى مدينةُ سُوداقَ[(١)] ، وفيها مِن الأمْتِعةِ والثِّيابِ والتَّجائرِ مِن البُرْطاسِيِّ والقُنْدُزِ والسِّنجابِ[(٢)] شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، ولجأَت القَفجاقُ إلى بلادِ الرُّوسِ ، وكانوا نصارَى ، فاتَّفَقوا معهم على قتالِ التَّترِ ، فالْتَقَوْا معهم ، فكسَرَتهم التَّتارُ كَسْرةً فَظيعةً منكرةً جدًّا ، ثم ساروا نحوَ بُلْغارَ[(٣)] فى حُدودِ العشرين وستِّمائةٍ ، ففرَغوا مِن ذلك كلِّه ، ثم عادوا إلى نحوِ ملكِهم جِنْكِزْخان ، لعَنه اللَّهُ وإياهم . هذا ما فعَلَتْه هذه السَّريةُ المُغَرِّبةُ ، وكان جِنْكِزْخان قد أرْسَل سريةً فى هذه السنةِ إلى (٤)تِرْمذَ فأخَذتْها(٤) ، وأخرى إلى فَرْغانةَ فملكوها ، وجهَّز جيشًا آخرَ نحوَ خُراسانَ ، فحاصَروا بَلْخَ ، فصالَحهم أهلُها ، وكذلك صالَحوا مُدُنًا كثيرةً أخرى ، حتى انْتَهَوْا إلى الطالَقانِ ، فأعْجَزَتْهم قلْعتُها ، وكانت حصينةً ، فحاصَروها ستةَ أشهرٍ حتى عجَزوا ، فكتَبوا إلى جِنْكِزْخان ، فقدِم بنفسِه ، فحاصَرها أربعةَ أشهرٍ أخرى حتى فتَحها قَهْرًا ، ثم قتلوا مَن فيها ومَن فى البَلدِ بكمالِه من الخاصةِ والعامةِ ، ثم قصَدوا مدينةَ مَرْوَ مع جِنْكِزْخانَ ، وقد عَسْكَر بظاهرِها نحوٌ مِن مائتَىْ ألفِ مُقاتِلٍ مِن العَرَبِ وغيرِهم ، فاقْتَتَلوا معهم قتالًا عظيمًا حتى انْكَسَر المسلمون ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ثم حصَروا البلدَ خمسةَ أيامٍ ، واسْتَنْزَلوا نائبَها خَديعةً ، ثم غدَروا به وبأهلِ البلدِ ، فقتَلوهم وغنِموهم

---

(١) فى الأصل : « قفجاق » . وسوداق على بحر الخزر ، وهو بحر قزوين . انظر الكامل ١٢/ ٣٨٦.
(٢) البرطاسى والقندز والسنجاب : أنواع من الفراء ، الأول ينسب إلى برطاس وهى اسم أمة لهم ولاية واسعة تعرف بهم ، وهم متاخمون للخزر .

والقندز - والقندس - والسنجاب حيوانات يتخذ من جلدهما الفراء . انظر معجم البلدان ١/ ٥٦٧، وحياة الحيوان الكبرى ١/ ٥٧٥، ٢/ ٢٣١.

(٣) فى م « بلقار » . وبلغار : مدينة الصقالبة ضاربة فى الشمال شديدة البرد . معجم البلدان ١/ ٧٢٢.
(٤ - ٤) فى م : « كلانة » . وكلاهما صواب ؛ لأنه أرسل سرايا ؛ إحداها إلى بلاد فرغانة وأخرى إلى ترمذ ، والثالثة إلى كلانة . انظر الكامل ١٢/ ٣٨٩.

وسبَوهم، وعاقَبوهم بأنواعِ العذابِ[(1)]، حتى إنهم قتَلوا منهم فى يومٍ واحدٍ سبعَمائةِ ألفِ إنسانٍ، ثم ساروا إلى نَيْسابورَ، ففعَلوا فيها قريبًا مما فعَلوا بأهلِ مَرْوَ، ثم إلى طُوسَ، فقتَلوا وخرَّبوا مَشْهَدَ علىٍّ بنِ موسى والرشيدِ وترَكوه خَرابًا، (2) ثم ساروا إلى هَراةَ فقتلوا خلقًا واستنابوا عليها (2)، ثم ساروا إلى غَزْنَةَ، فقاتَلهم جَلالُ الدينِ بنُ خُوارَزْم شاه فكسَرهم، (2) فعادوا إلى هَراةَ، فإذا أهلُها قد نَقَضُوا، فقتَلوهم عن آخرِهم (2)، ثم عادوا إلى ملكِهم جِنْكِزْخان، لعَنه اللَّهُ وإياهم، وأرْسَل جِنْكِزْخان طائفةً أخرى إلى مدينةِ خُوارَزْم، فحاصَروها حتى فتَحوا البلدَ قهرًا، فقتَلوا مَن فيها قتلًا ذَريعًا، ونهَبوها وسبَوْا أهلَها، وأرْسَلوا الجِسْرَ الذى يَمْنَعُ ماءَ جَيْحونَ عنها، فغرِقَت دُورُها، وهلَك جميعُ أهلِها. ثم عادوا إلى ملكِهم جِنْكِزْخان وهو مُخَيِّمٌ على الطالَقانِ، [٤/١٠و] فجهَّز منهم طائفةً إلى غَزْنَةَ، فاقْتَتل معهم جَلالُ الدينِ بنُ خُوارَزْم شاه، فكسَرهم جَلالُ الدينِ كَسْرةً عظيمةً، واسْتَنْقَذ منهم خلقًا مِن أُسارَى المسلمين، ثم كتَب إلى جِنْكِزْخان يَطْلُبُ منه أن يَبْرُزَ بنفسِه لقتالِه، فقصَده جِنْكِزْخان فتَواجَها، وقد تفرَّق على جَلالِ الدينِ بعضُ جيشِه، ولم يَبْقَ بُدٌّ مِن القتالِ، فاقْتَتلوا ثلاثةَ أيامٍ لم يُعْهَدْ مثلُها قبلَها مِن قتالِهم، ثم ضعُف أصحابُ السلطانِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزم شاه، فذهَبوا فركِبوا فى بحرِ الهندِ، فسارَت التَّتارُ إلى غَزْنَةَ، فأخَذوها بلا كُلْفةٍ ولا مُمانَعةٍ، كلُّ هذا أو أكثرُه وقَع فى هذه السنةِ.

وفى هذه السنةِ أيضًا ترَك الأشْرَفُ موسى بنُ العادلِ لأخيه شِهابِ الدينِ

---

(1) فى الأصل: «المثلاث».

(2 - 2) سقط من: م.

غازى مُلْكَ خِلاطَ ومَيَّافارِقِينَ وبلادَ أَرْمِينِيَة (١ وحانى ١) ، واعْتاض بالرُّهَا وسَرُوجَ ، وذلك لاشْتِغالِه عن حِفْظِ تلك النَّواحِى بمُساعدةِ أخيه الكاملِ ونُصْرتِه على الفِرِنْجِ ، لعَنهم اللّٰهُ .

وفى المُحَرمِ منها[٢] هبَّت رياحٌ ببغدادَ ، وجاءت بُروقٌ ، وسُمِعَت رُعودٌ شديدةٌ ، وسقَطَت صاعقةٌ بالجانبِ الغربىِّ على المَنارةِ المُجاوِرةِ (٣ لغروِ معين ٣) فثلَمَتها ، ثم أُصْلِحَت ، وغارت الصاعقةُ فى الأرضِ .

وفى هذه السنةِ نُصِب مِحْرابُ الحَنابلةِ بالرِّواقِ الثالثِ الغربىِّ مِن جامعِ دمشقَ بعدَ مُمانَعةٍ مِن بعضِ الناسِ لهم ، ولكن ساعَدهم بعضُ الأُمراءِ فى نَصْبِه لهم ، وهو الأميرُ رُكْنُ الدينِ المُعَظَّمىُّ ، وصلَّى فيه الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ بنُ قُدامةَ .

قلتُ : ثم رُفِع فى حدودِ سنةِ ثلاثين وسبعِمائةٍ ، وعُوِّضوا عنه بالمِحْرابِ الغربىِّ عندَ بابِ الزِّيارةِ ، كما عُوِّض الحَنَفيةُ عن مِحْرابِهم الذى كان فى الجانبِ الغربىِّ مِن الجامعِ بالمحرابِ المُجَدَّدِ لهم شرقىَّ بابِ الزِّيارةِ ، حينَ جُدِّد الحائطُ الذى هو فيه فى الأيامِ التَّنْكُزِية ، على يدى ناظرِ الجامعِ تقىِّ الدينِ بنِ مراجلَ ، أثابه اللّٰهُ تعالى ، كما سيأتى بيانُه فى موضعِه إن شاء اللّٰهُ تعالى .

وفيها قتَل صاحبُ سِنْجارَ أخاه ، فملَكها مُسْتَقِلًّا بها الملكُ الأشْرَفُ بنُ العادلِ .

وفيها نافَق الأميرُ عمادُ الدينِ بنُ المَشْطوبِ على الملكِ الأشْرَفِ ، وكان قد

(١ - ١) سقط من : م ، وفى الأصل « رحاى » . والمثبت من الكامل . وحانى : مدينة بديار بكر . انظر معجم البلدان ٢/ ١٨٨.

(٢) هذا الخبر والخبر التالى لم نقف لهما على مصدر .

(٣ - ٣) كذا فى الأصل . وفى م : « لعون ومعين» .

آواه ، وحفِظه مِن أذى أخيه الكاملِ له حينَ أراد أن يُبايِعَ للفائزِ ، ثم إنه سعَى فى الأرضِ فَسادًا فى بلادِ الجزيرةِ ، فسجَنه الأشرفُ حتى مات كَمَدًا وذُلًّا وعُرْيًا[(1)] .

وفيها أوْقَع الكاملُ بالفِرِنْجِ الذين على دِمْياطَ بأْسًا شديدًا ، فقتَل منهم عشَرةَ آلافٍ ، وأخَذ خُيولَهم وأموالَهم . ولِلَّهِ الحمدُ .

وفيها عزَل المُعَظَّمُ المُعْتَمِدَ مبارزَ الدينِ إبراهيمَ عن وِلايةِ دمشقَ ، وولَّاها للعزيزِ خَليلٍ ، ولما خرَج الحاجُّ إلى مكةَ ، شرَّفها اللَّهُ تعالى ، كان أميرَهم المُعْتَمِدُ ، فحصَل به خيرٌ كثيرٌ ، وذلك أنه كفَّ عَبيدَ مكةَ عن نهبِ الحاجِّ بعدَ قَتْلِهم أميرَ حاجِّ العراقِيِّين آقْباشَ الناصِرىَّ ، وكان مِن أكبرِ الأمراءِ عندَ الخليفةِ الناصرِ ، وأخَصِّهم عندَه ؛ وذلك لأنه قدِم معه بخِلَعٍ للأميرِ حسنِ[(2)] بنِ أبى عَزيزٍ قتادةَ بنِ إدْريسَ بنِ مُطاعنِ بنِ عبدِ الكريمِ العَلَوىِّ الحَسَنىِّ[(3)] الزَّيْدىِّ بولايتِه لإمْرةِ مكةَ بعدَ أبيه ، وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ ، فنازَع فى ذلك راجحٌ ، وهو أكبرُ أولادِ قتادةَ ، وقال : لا يَتأمَّرُ عليها غيرى . فوقَعت فتنةٌ أفْضَى الحالُ إلى قتلِ آقْباشَ غَلَطًا . وقد كان قَتادةُ مِن أكابرِ الأشْرافِ [١٠/٤ظ] الحَسَنِيِّين الزَّيْدِيِّين ، وكان عادلًا مُنْصِفًا مُنَعَّمًا ، نِقْمةً على عَبيدِ مكةَ والمُفْسِدِين بها ، ثم عكَس هذا السَّيْرَ ، فظلَم وجدَّد المُكوسَ ، ونهَب الحاجَّ غيرَ مرةٍ ، فسلَّط اللَّهُ عليه ولدَه حسنًا ، فقتَله وقتَل عمَّه وأخاه أيضًا ، فلهذا لم يُمْهِلِ اللَّهُ حسنًا هذا ، بل سلَبه الملكَ ، [(4)]وشرَّده فى البلادِ ، وقيل : بل قُتِل كما ذكَرْنا[(4)] . وكان قتادةُ شيخًا

---

(١) فى م : « عذابا » .

(٢) فى م : « حسين » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٢٣.

(٣) سقط من : الأصل . وفى الذيل على الروضتين : « الحسينى » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

طويلًا مَهيبًا لا يَخافُ مِن أحدٍ مِن الخلفاءِ ولا المُلوكِ ، ويَرَى أنه أحَقُّ بالأمرِ مِن كلِّ أحدٍ ، وكان الخليفةُ يَوَدُّ لو حضَر عندَه ليُكرِمَه ، وكان يَأْبى مِن ذلك ويَمْتنِعُ منه أشَدَّ الامْتِناعِ ، ولم يَفِدْ إلى أحدٍ قطُّ ، ولا ذلَّ لخليفةٍ ولا ملكٍ ، وكتَب إليه الخليفةُ مرةً يَسْتَدْعِيه ، فكتَب إليه[1] :

وِلِى كفٌّ ضِرغامٍ أُذِلُّ ببَطْشِها ... وأَشْرِى بها بينَ الوَرَى وأَبِيعُ
وكلُّ[2] ملوكِ الأرضِ تَلْثُمُ ظهرَها ... وفى وسْطِها للمُجْدِبين[3] رَبيعُ
أأَجْعَلُها تحتَ الرَّحَى ثم أَبْتَغِى ... خَلاصًا لها إنى إذًا لَرَقيعُ
وما أنا إلا المِسْكُ فى كلِّ بُقْعةٍ ... يَضُوعُ وأمَّا عندَكم فيَضِيعُ

وقد بلَغ قتادةُ مِن السِّنِّ سبعين سنةً ، وقد ذكَر ابنُ الأثيرِ وفاتَه فى سنةِ ثمانى عشْرةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الملكُ الفائزُ غِياثُ الدينِ إبراهيمُ بنُ العادلِ[4] ، كان قد انْتَظَم له الأمرُ فى الملكِ بعدَ أبيه ، على الديارِ المصريةِ على يدى الأميرِ عمادِ الدينِ بنِ المَشْطوبِ ، لولا أن الكاملَ تَدارَك ذلك سريعًا ، ثم أرْسَله أخوه فى هذه السنةِ إلى أخيهما الأشْرَفِ موسى يَسْتَحِثُّه فى سرعةِ المَسيرِ إليهم بسببِ الفِرنْجِ ، فمات بينَ سِنْجارَ

---

(١) الأبيات فى مرآة الزمان ٦١٨/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٦٠.

(٢) فى م : تظل . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٢٣.

(٣) فى الأصل : « للمجتدين » . وفى حاشية الأصل : « للممحلين » .

(٤) مرآة الزمان ٦١٠/٨ (القسم الثانى) والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٤٠، والذيل على الروضتين ١٢٢، ونهاية الأرب ١٠٧/٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٣٠، والوافى بالوفيات ٦/ ١٢٥.

والمَوْصِلِ ، وقيل : إنه سُمَّ . فرُدَّ إلى سِنْجارَ ، فدُفِن بها ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

شيخُ الشيوخِ صَدْرُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ شيخِ الشيوخِ عمادِ الدينِ عمرَ[1] بنِ حَمُّوَيْهِ الجُوَيْنيُّ ، مِن بيتِ رِياسةٍ وإمْرةٍ عندَ بنى أيوبَ ، وقد كان صدرُ الدينِ هذا فقيهًا فاضلًا ، درَّس بالشافعيِّ ، وبمشهدِ الحسينِ ، وولِى مَشْيَخةَ سعيدِ السُّعَداءِ والنظرَ فيها ، وكانت له حُرْمةٌ وافرةٌ عندَ الملوكِ ، أرْسَله الكاملُ إلى الخليفةِ يَسْتَنْصِرُه على الفِرنْجِ ، فمات بالموصلِ بالإسْهالِ ، ودُفِن بها عندَ قَضيبِ البانِ[2] عن ثلاثٍ وسبعين سنةً .

صاحبُ حَماةَ الملكُ المنصورُ محمدُ بنُ الملكِ المُظَفَّرِ تقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ[3] ، وكان فاضلًا ، له تاريخٌ فى عشْرِ مُجَلَّداتٍ سمَّاه « المِضْمارَ » ، وكان شجاعًا فارسًا ، فقام بالملكِ بعدَه ولدُه الناصرُ قِليجُ أرْسَلان ، ثم عزَله عنها الكاملُ ، وحبَسه حتى مات ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وولَّى أخاه المُظَفَّرَ ابنَ المنصورِ .

صاحبُ آمِدَ ، الملكُ الصالحُ ناصرُ الدينِ محمودُ بنُ محمدِ بنِ قَرَا أَرْسَلان بنِ أُرْتُقَ[4] ، وكان شجاعًا مُحِبًّا للعلماءِ، وكان مُصاحِبًا للأشْرفِ

---

(١) فى الأصل ،م : « محمود » ، وفى الذيل على الروضتين ص ١٢٥: « محمد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٧٦، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٥٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٩٦.

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٨ حاشية «٦» .

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٤١، والذيل على الروضتين ص ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٧٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ١١٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٥٩.

(٤) فى الأصل : «أيوب » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٤١٢، ذكره ابن الأثير فى حوادث =

موسى بنِ العادلِ يَجِيءُ إلى خدمتِه مِرارًا ، وملَك بعدَه ولدُه الملِكُ المسعودُ[1] ، وكان بَخيلًا فاسقًا ، [2]فأخَذ الكاملُ آمِدَ[2] وحبَسه بمصرَ ثم أطْلَقه ، فأخَذ أموالَه ، وسار إلى التَّتارِ ، [3]فأخِذت منه[3] .

الشيخُ عبدُ اللَّهِ اليُونِينيُّ[4] المُلَقَّبُ أسدَ الشامِ ، رحِمه اللَّهُ ورضِي عنه ، مِن قريةٍ ببعْلَبَكَّ يقالُ لها : يُونِينُ . وكانت له زاويةٌ يُقصَدُ فيها للزيارةِ ، وكان مِن الصالحين الكبارِ المشهورين بالعبادةِ والرياضةِ والأمرِ بالمعروفِ والنهْيِ عن المنكرِ ، له هِمَّةٌ عاليةٌ فى الزهدِ والوَرَعِ ، بحيث إنه كان لا يَقْتَنى شيئًا ، ولا يَمْلِكُ [١٠/٥و] مالًا ولا ثيابًا ، بل يَلْبَسُ عارِيَّةً ، ولا يَتجاوزُ قميصًا فى الصيفِ ، وفَرْوَةً فوقَه فى الشتاءِ ، وعلى رأسِه قُبَّعًا مِن جلودِ المَعْزِ ، شَعْرُه إلى ظاهرٍ ، وكان لا يَنْقَطِعُ عن غَزاةٍ مِن الغَزَواتِ ، ويَرْمِى عن قوسٍ زنتُه ثمانون رَطْلًا ، وكان يُجاوِرُ فى بعضِ الأحيانِ بجبلِ لُبنانَ ، ويَأْتى فى الشتاءِ إلى عُيونِ الفاسريا[5] فى سَفْحِ الجبلِ المُطِلِّ على قريةِ دُومةَ شرقىَّ دِمشقَ ؛ لأجلِ سُخونةِ الماءِ ، فيَقْصِدُه الناسُ للزيارةِ هناك ، ويَجِيءُ تارةً إلى دمشقَ ، فيَنْزِلُ بسَفْحِ قاسِيونَ عندَ المَقادِسةِ[6] ، وكانت له أحوالٌ

= ووفيات سنة تسع عشرة وستمائة ، والذيل على الروضتين ص ١٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٨٢ وذكره ضمن وفيات سنة ثمان عشرة وستمائة ص ٤٣٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ١١١.

(١) فى الأصل : «السعيد» .

(٢ - ٢) فى م : «فأخذه مع الكامل» .

(٣ - ٣) فى الأصل : «فأحدث فتنة» .

(٤) فى الأصل ، ونهاية الأرب ٢٩/ ١١١ : «اليونانى» . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٦١٢/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٢٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٣٨، ونهارية الأرب ٢٩/ ١١١، والوافى بالوفيات ٣١٦/١٧.

(٥) فى م : «العاسريا» ، وفى مرآة الزمان : «الفاسرب» .

(٦) فى م : «القادسية» .

ومُكاشَفاتٌ صالحةٌ ، وكان يقالُ له : أسدُ الشامِ .

حكَى الشيخُ أبو المُظَفَّرِ سِبْطُ ابنِ الجوزىِّ[1] عن القاضى جمالِ الدينِ يَعْقوبَ الحاكمِ بكَرَكِ البِقاعِ ، أنه شاهَد مرةً الشيخَ عبدَ اللَّهِ وهو يَتَوَضَّأُ مِن ثَوْرا[2] عندَ الجِسْرِ الأبيضِ ، إذ مرَّ نَصْرانىٌّ ومعه حِمْلُ بَغْلٍ خَمْرًا ، فعثَرت الدابَّةُ عندَ الجسرِ فسقَط الحِمْلُ فرأَى الشيخَ وقد فرَغ مِن وُضوئِه ، ولا يَعْرِفُه ، واسْتَعان به على رفعِ الحِمْلِ ، فاسْتَدْعانى الشيخُ فقال : تعالَ يا فَقيهُ فتُساعِدَنا على تَحْميلِ ذلك الحِمْلِ على الدابَّةِ . وذهَب النصرانىُّ ، فتعَجَّبْتُ[3] مِن ذلك ، وتبِعْتُ الحِمْلَ وأنا ذاهبٌ إلى المدينةِ ، فانْتَهَى به إلى العُقَيْبَةِ[4] ، فأَوْرَده إلى الخَمَّارِ بها ، فإذا هو خَلٌّ ، فقال له الخَمَّارُ : ويْحَك ! هذا خَلٌّ . فقال النَّصْرانىُّ : أنا أَعْرِفُ مِن أين أُتِيتُ . ثم ربَط الدابةَ فى الخانِ ، ورجَع إلى الصالحيةِ ، فسأَل عن الشيخِ ، فعرَفه فجاء إليه ، فأسْلَم على يديه .

وله أحْوالٌ وكَراماتٌ كثيرةٌ جدًّا ، وكان لا يقومُ لأحدٍ دخَل إليه ، ويقولُ : إنما يقومُ الناسُ لربِّ العالمين . وكان الأمْجَدُ إذا دخَل عليه جلَس بينَ يديه ، فيقولُ له : يا مُجَيْدُ[5] ، فعَلْتَ كذا وكذا . ويَأْمُرُه بما يَأْمُرُه ، ويَنْهاه عما يَنْهاه عنه ، وهو يَمْتَثِلُ جميعَ ما يقولُه له ؛ وما ذاك إلا لصدقِه فى زهدِه ووَرَعِه وطريقِه ، وكان يَقْبَلُ الفُتوحَ ، ولا يَدَّخِرُ منه شيئًا لغدٍ ، وإذا اشْتَدَّ جُوعُه أخَذ مِن ورقِ

---

(١) مرآة الزمان ٦١٣/٨ (القسم الثانى) .

(٢) ثورا : بالفتح والقصر ، اسم لنهر عظيم بدمشق . معجم البلدان ٩٣٨/١.

(٣) فى الأصل : « فتعجب » .

(٤) فى م : « العقبة » .

(٥) فى م : « أمجد » . وانظر الخبر فى تاريخ الإسلام ص ٣٤٢ .

اللَّوْزِ ، ففرَكه واستَفَّه ، وشرِب فوقَه الماءَ الباردَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى وأكْرَم مَثْواه .

وذكَروا أنه كان يَحُجُّ فى بعضِ السِّنينَ فى الهَواءِ ، وقد وقَع هذا لطائفةٍ كثيرةٍ مِن الزُّهَّادِ وصالحى العُبّادِ ، ولم يَبْلُغْنا هذا عن أحدٍ مِن أكابرِ العلماءِ ، وأولُ مَن يُذكرُ عنه هذا حَبيبٌ العَجَميُّ ، وكان مِن أصحابِ الحسنِ البصريِّ ، ثم مَن بعدَه مِن الصالحين ، رحمةُ اللَّهِ تعالى عليهم أجْمَعين .

فلما كان يومُ جمعةٍ مِن عشرِ ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ صلَّى الشيخُ[1] عبدُ اللَّهِ اليُونِينيُّ صلاةَ[2] الجمعةِ بجامعِ بَعْلَبَكَّ ، وكان قد دخَل الحَمَّامَ يومَئذٍ قبلَ الصلاةِ وهو سَوِيٌّ صحيحٌ ، فلما انْصَرَف مِن الصلاةِ قال لِلشيخِ داودَ المُؤَذِّنِ وكان يُغَسِّلُ المَوْتَى : انْظُرْ كيف تكونُ غدًا . ثم صعِد الشيخُ إلى زاويتِه ، فبات يَذْكُرُ اللَّهَ تعالى تلك الليلةَ ، ويَتَذَكَّرُ أصحابَه ومَن أحْسَن إليه ولو بأدْنَى شىءٍ ، ويَدْعُو لهم ، فلما دخَل وقتُ الصبحِ صلَّى بأصحابِه ، ثم اسْتَنَد يَذْكُرُ اللَّهَ تعالى وفى يدِه مِسْبَحتُه ، فمات وهو كذلك [٥/١٠ظ] جالسٌ لم يَسْقُطْ ، ولم تَسْقُطِ السُّبْحةُ مِن يدِه ، فلما انْتَهَى الخبرُ إلى الملكِ الأمْجَدِ صاحبِ بَعْلَبَكَّ ، جاء إليه ، فعايَنه كذلك فقال : لو بنَيْنا عليه بُنْيانًا وهو هكذا ؛ ليُشاهِدَ الناسُ منه آيةً . فقيل له : ليس هذا مِن السنةِ . فنُحِّى وغُسِّل وكُفِّن ، وصُلِّى عليه ، ودُفِن تحتَ اللَّوْزَةِ التى كان يَجْلِسُ تحتَها يَذْكُرُ اللَّهَ تعالى ، رحِمه اللَّهُ ونوَّر ضَريحَه .

وكانت وفاتُه يومَ السبتِ ، وقد جاوَز ثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى وأكرَم مَثْواه ، وكان الشيخُ محمدٌ الفَقيهُ اليُونِينيُّ مِن جملةِ تَلامذِه ، وممَّن يَلوذُ به ، وهو

---

(١) فى م : « الصبح » .

(٢) فى م : « وصلاة » .

جَدُّ هؤلاء المشايخِ بمدينةِ بَعْلَبَكَّ .

أبو عبدِ اللّهِ[1] الحسينُ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ[1] المجلىُّ[2] المَوْصِلىُّ ، ويُعْرَفُ بابنِ الجُهَنىِّ ، شابٌّ فاضلٌ ، ولِى كِتابةَ الإنْشاءِ لبدرِ الدينِ لُؤْلُؤٍ زعيمِ الموصلِ ، ومِن شعرِه :

نفسى فداءُ الذى فكَّرْتُ فيه وقد ... غدَوْتُ أَغْرَقُ فى بحرٍ مِن العَجَبِ

يَبْدُو بليلٍ على صُبْحٍ على قمرٍ ... على قَضيبٍ على وهمٍ على كَثَبِ

(١) بعده فى الأصل : « بن » ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) فى الأصل : « المحلى » .

ثم دخَلت سنةُ ثمان عشْرةَ وستّمائةٍ

فيها[1] اسْتَوْلَت التَّتارُ على كثيرٍ مِن البُلْدانِ كمَراغَةَ[2] وهَمَذانَ وأَرْدَبِيلَ وتِبْرِيزَ وكَنْجَةَ[3]، وقتَلوا أهاليَها، ونهَبوا ما فيها، واسْتَأْسَروا ذَراريَّها، واقْتَرَبوا مِن بغدادَ، فانْزَعَج الخليفةُ من ذلك، وحصَّن بغدادَ، واسْتَخْدَم الأَجْنادَ، وقنَت الناسُ فى الصَّلواتِ والأَوْرادِ.

وفيها قهَروا الكُرْجَ واللَّانَ، ثم قاتَلوا القَفْجاقَ[4]، فكسَروهم، وكذلك الرُّوسُ، ويَنْهَبون ما قدَروا عليه من أموالِ هؤلاء ويَسْبون ذراريَّهم ونساءَهم.

وفيها سار المُعَظَّمُ إلى أخيه الأشرفِ، فاسْتَعْطَفه على أخيه الكاملِ، وكان فى نفسِه مَوْجِدةٌ عليه، فأزالها وسارا جميعًا نحوَ الديارِ المصريةِ لمُعاونةِ الكاملِ على الفِرِنْجِ الذين قد أخَذوا ثَغْرَ دِمْياطَ، واسْتَحْكَم أمرُهم هنالك مِن سنةِ أربعَ عشْرةَ، وعُرِض عليهم فى بعضِ الأوقاتِ أن يُرَدَّ إليهم بيتُ المقدسِ وجميعُ ما كان صلاحُ الدينِ فتَحه مِن بلادِ الساحلِ، ويَتْرُكوا دِمْياطَ، فامْتَنعوا مِن ذلك،

---

(١) الكامل ١٢/٤٠١ - ٤٠٥، ومرآة الزمان ٨/٦١٨ - ٦٢٣ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٢٨ - ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٣ - ٥٧.

(٢) فى م: «بكلادة». ومراغة: بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان. معجم البدان ٤/ ٤٧٦.

(٣) كنجة: مدينة عظيمة، وهى قصبة بلاد أرّان، وأهل الأدب يسمونها جنزة وكنجة من نواحى لُرستان بين خوزستان وأصبهان. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٠٨.

(٤) فى م: «القبجاق».

ولم يَفْعَلوا ، فقدَّر اللَّهُ تعالى أنهم ضاقَت عليهم الأقْواتُ ، فقدِم عليهم مَراكِبُ فيها مِيرةٌ لهم ، فأخَذها الأُسطولُ البحْريُّ ، وأُرْسِلَت المياهُ على أراضى دِمْياطَ مِن كلِّ ناحيةٍ ، فلم يُمْكِنْهم بعدَ ذلك أن يَتَصَرَّفوا فى أنفسِهم ، وحصَرهم المسلمون مِن الجهةِ الأخرى حتى اضْطَرُّوهم إلى أضيقِ الأماكن ، فعندَ ذلك أنابوا إلى المُصالَحَةِ بلا مُعاوَضةٍ ، فجاء مُقَدَّموهم إليه ، وعندَه أخواه المُعَظَّمُ عيسى وموسى الأشْرَفُ ، وكانا قائمَيْن بينَ يديه ، وكان يومًا مشهودًا وأمْرًا محمودًا ، فوُقِّع الصُّلْحُ على ما أراد الكاملُ محمدٌ ، بيَّض اللَّهُ وجهَه ، وملوكُ الفِرِنْجِ والعَساكرُ كلُّها واقفةٌ بحضرتِه ، ومدَّ سِماطًا عظيمًا ، فاجْتَمَع عليه المؤمنُ والكافرُ والبَرُّ والفاجرُ ، وقام راجحٌ الحِلِّىُّ الشاعرُ فأنْشَد :

هَنيئًا فإنَّ السعدَ راح مُخَلَّدَا ... وقد أنجَز الرحمنُ بالنصرِ مَوْعِدَا
حَبانَا إلهُ الخلقِ فتحًا بَدَا لنا ... مُبِينًا وإنْعامًا وعِزًّا مُؤَبَّدَا
تهَلَّل وجهُ الدهرِ بعدَ قُطوبِه ... وأصْبَح وجهُ الشِّرْكِ بالظلمِ أسْوَدَا
ولما طغَى البحرُ الخِضَمُّ بأهلِه الطُّ ... غاةِ وأضْحَى بالمَراكبِ مُزْبِدَا
أقام لهذا [١٠/٦و] الدينِ مَن سلَّ عَزْمَه ... صَقيلًا كما سُلَّ الحُسامُ مُجَرَّدَا
فلم يَنْجُ إلا كلُّ شِلْوٍ مُجَدَّلٍ ... ثوى منهمُ أو مَن تَراه مُقَيَّدَا
ونادَى لسانُ الكونِ فى الأرضِ رافعًا ... عَقيرتَه فى الخافِقَيْن ومُنْشِدَا
أعُبَّادَ عيسى إن عيسى وحِزْبَه ... وموسى جميعًا يَخْدُمون محمدَا

قال أبو شامَةَ[1] : وبلَغَنى أنه أشار عندَ ذلك إلى المُعَظَّمِ عيسى والأشْرَفِ

(١) الذيل على الروضتين ص ١٣٠.

موسى والكاملِ محمدٍ . قال : وهذا مِن أحْسَنِ شىءٍ اتَّفَق . وكان ذلك يومَ الأربعاءِ تاسعَ عشَرَ رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وتراجَعَت الفِرِنْجُ إلى عَكَّا وغيرِها من البلدانِ ، ورجَع المُعَظَّمُ إلى الشامِ ، واصْطَلَح الأشْرَفُ والكاملُ على أخيهما المُعَظَّمِ .

وفيها ولَّى المِلكُ المُعَظَّمُ قَضاءَ دمشقَ لجمالِ الدينِ المِصْرىِّ الذى كان وَكيلَ بيتِ المالِ بها ، وكان فاضلًا بارعًا ، يَجْلِسُ فى كلِّ يومِ جُمُعةٍ قبلَ الصلاةِ بالعادليَّةِ وبعدَ فراغِها لإثْباتِ المَحاضِرِ ، ويَحْضُرُ عندَه فى المدرسةِ جميعُ الشهودِ مِن كلِّ المَراكزِ حتى يَتَيَسَّرَ على الناسِ إثْباتُ كتبِهم فى الساعةِ الواحدةِ ، جزاه اللَّهُ خيرًا .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

ياقوتٌ الكاتبُ المَوصِلِىُّ[1] ، رحِمه اللَّهُ ، أمينُ الدينِ ، المَشْهورُ بطريقةِ ابنِ البَوَّابِ . قال ابنُ الأثيرِ[2] : لم يكنْ فى زمانِه مَن يُقارِبُه فى خطِّه ، وكانت لديه فَضائلُ جَمَّةٌ ، والناسُ مُتَّفِقون على الثَّناءِ عليه ، وكان نِعْمَ الرجلُ ، وقد قال فيه نَجيبُ الدينِ الواسطىُّ قَصيدةً يمدحُه بها :

جامعٌ شاردَ العلومِ ولولا ... ه لَكانت أمُّ الفَضائلِ ثَكْلَى
ذو يَراعٍ تخافُ زُبْيَتَه[3] الأُسْـ ... ـدُ وتَعْنُو له الكَتائبُ ذُلًّا

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٠٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ٣١٢، ووفيات الأعيان ٦/ ١١٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٣٤، ومرآة الجنان ٤/ ٤٢.

(٢) الكامل ١٢/ ٤٠٥.

(٣) فى م : « ريقته » . وفى مصدر ترجمته : « سطوته » .

وإذا افْـتَـرَّ ثـغـرُه عـن سـوادٍ | فى بياضٍ فالبِيضُ والسُّمْرُ خَجْلى
أنت بدرٌ والكاتبُ ابنُ هلالٍ | كـأبيـه لا فـخـرَ فيمَـن تـوَلَّـى
إن يَكُـــنْ أوَّلًا فإنـــك بالتَّفْـــ | ـضيلِ أَوْلَى فقد سبَقْتَ وصَلَّى[1]

جلالُ الدينِ الحسنُ[2] ، مِن أولادِ الحسنِ بنِ الصَّبَّاحِ مُقَدَّمِ الإسْماعيليةِ ، وكان قد أظْهَر فى قومِه شعائرَ الإسلامِ ، وحفْظَ الحُدودِ والمُحَرَّماتِ والقيامَ فيها بالزَّواجرِ الشرعيةِ .

الشيخُ الصالحُ شِهابُ الدينِ محمدُ بنُ خَلَفِ بنِ راجحٍ المَقْدسيُّ[3] ، **الحَنْبليُّ الزاهدُ العابدُ الناسكُ** ، كان يَقْرأُ على الناسِ يومَ الجمعةِ الحديثَ النبويَّ ، وهو جالسٌ على أسفلِ مِنْبرِ الخَطابةِ بالجامعِ المُظَفَّرىِّ ، وقد سمِع الكثيرَ ، ورحَل وحفِظ « مَقاماتِ الحَريرىِّ » فى خمسين ليلةً ، وكانت له فُنونٌ كثيرةٌ ، وكان ظَريفًا مَطْبوعًا ، رحِمه اللَّهُ .

والخطيبُ مُوَفَّقُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ عمرُ بنُ يوسفَ بنِ يحيى بنِ عمرَ بنِ كاملٍ المَقْدِسىُّ[4] ، خَطيبُ بيتِ الآبارِ ، وقد ناب بدمشقَ عن الخطيبِ جمالِ الدينِ الدَّوْلعىِّ حينَ سار فى الرسليةِ إلى خُوارَزْم شاه ، حتى عاد .

المُحَدِّثُ البارعُ تَقىُّ الدينِ أبو طاهرٍ إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُحسنِ

---

(١) صلى : تلا السابقَ . القاموس المحيط (ص ل ى) .
(٢) الكامل ١٢/ ٤٠٥، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٩٨، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٣١، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٩٨.
(٣) مرآة الزمان ٦٢٢/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٥١، والذيل على الروضتين ص ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١٩، والوافى بالوفيات ٣/ ٤٥، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٢٤.
(٤) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٧٦، والذيل على الروضتين ص ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١٥.

ابنِ الأنماطيِّ[1] ، قرأ الحديثَ ، ورحَل وكتبه ، وكان حسنَ الخطِّ مُتْقِنًا فى علومِ الحديثِ ، حافظًا له ، وكان الشيخُ تقيُّ الدينِ بنُ الصَّلاحِ يُثْنى عليه ويَمْدَحُه ، وكانت كتبُه بالبيتِ الغَرْبِيِّ مِن الكَلَّاسةِ الذى كان للملكِ المُحَسِّنِ بنِ صلاحِ الدينِ ، ثم أُخِذ مِن ابنِ الأنماطيِّ وسُلِّم إلى الشيخِ عبدِ الصَّمَدِ الدكائيِّ ، واستَمَر بيدِ أصحابِه بعدَ ذلك ، وكانت وفاتُه بدمشقَ ، ودُفِن بمقابرِ الصُّوفيةِ ، وصَلَّى عليه بالجامعِ الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ ، وبباب النصرِ الشيخُ فَخْرُ الدينِ بنُ عساكرَ ، وبالمَقْبَرَةِ قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ المِصْرِيُّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو الغَيْثِ شُعَيْبُ بنُ أبى طاهرِ بنِ كُلَيْبِ بنِ مُقْبِلٍ[2] الضَّريرُ [١٠/٦٦ظ] الفَقيهُ الشافعيُّ ، أقام ببغدادَ إلى أن تُوُفِّى ، وكانت لديه فَضائلُ وله رَسائلُ ، ومِن شعرِه قولُه :

إذا كنتُمُ للناسِ أهلَ سِياسةٍ ... فسُوسوا كِرامَ الناسِ بالجُودِ والبَذْلِ
وسُوسُوا لِئامَ الناسِ بالذُّلِّ يَصْلُحوا ... عليه فإن الذلَّ أصْلَحُ للنَّذْلِ

أبو العِزِّ مُشرَّفُ[3] **بنُ عليِّ بنِ أبى جعفرِ بنِ كاملٍ الخالِصيُّ المُقْرِئُ الضَّريرُ الفَقيهُ الشافعيُّ** ، تفَقَّه بالنِّظاميةِ ، وسمِع الحديثَ ورواه ، وأنْشَد عن الحسنِ بنِ عمرٍو الحلَبِيِّ :

---

(١) مرآة الزمان ٦٢٢/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٣١، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ١١٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٤٣.
(٢) الوافى بالوفيات ١٦/ ١٦٣، ونكت الهميان ص ١٦٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥١.
(٣) فى النسختين : « شرف » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٣٥٨، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٧١.

تَمَثَّلْتُمُ لِى والدِّيارُ بَعيدةٌ فخُيِّلَ لى أن الفُؤادَ لكم مَغْنَى
وناجاكمُ قلْبى على البُعْدِ بيننا فأوحَشْتم لفظًا وآنسْتُمُ مَعْنَى

أبو سليمانَ داودُ بنُ إبراهيمَ الجِيلىُّ[1] ، أحدُ المُعِيدين بالمدرسةِ النِّظاميةِ ، ومما أنْشَده .

أيا جامعًا أمْسِكْ عَنانَك مقصرًا فإنَّ مَطايا الدَّهرِ تَكْبُو وتُقْصِرُ
ستَقْرَعُ سِنًّا أو تَعَضُّ نَدامةً يَدَيكَ[2] إذا خان الزمانُ وتُبصِرُ
ويَلْقاكَ رُشْدٌ بعدَ غَيِّك واعظٌ ولكنَّه يَلْقاك والأمرُ مُدْبِرُ

أبو المُظَفَّرِ عبدُ الوَدودِ بنُ محمودِ بنِ المباركِ بنِ عليِّ بنِ المباركِ بنِ الحسنِ[3] ، الواسطىُّ الأصلِ البغدادىُّ الدارِ والمَوْلِدِ ، كمالُ الدينِ المعروفُ والدُه بالمُجيرِ ، تفقَّه على أبيه ، وقرأ عليه عِلْمَ الكلامِ ، ودرّس بمدرستِه عندَ بابِ الأَزَجِ ، ووكَّله الخليفةُ الناصرُ ، واشْتَهر بالدِّيانةِ والأمانةِ ، وباشَر مَناصِبَ كِبارًا ، وحجَّ مِرارًا عديدةً ، وكان مُتواضِعًا حسنَ الأخلاقِ ، وكان يقولُ :

وما ترَكَتْ ستٌّ وستون حِجَّةً لنا حُجَّةً أن نَرْكَبَ اللهوَ مَرْكَبا

وكان يُنْشِدُ :

العلمُ يَأْتى كلَّ ذى خفضٍ ويَأْبَى كلَّ آبى
كالماءِ يَنْزِلُ فى الوِها دِ وليس يَصْعَدُ فى الرَّوابى

---

(١) فى الأصل : «بن منذر الحنبلى» ، وفى م : «بن مندار الجبلى» . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المختصر المحتاج إليه ١٥/ ١٨٢، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٠٠، والوافى بالوفيات ١٣/ ٤٦٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٤٤.

(٢) سقط من : م .

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١١، والوافى بالوفيات ١٩/ ٢٨٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣١٧.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة

فيها[1] نُقِل تابوتُ العادلِ مِن القلعةِ إلى تُرْبتِه بالعادليةِ الكبيرةِ ، فصُلِّى عليه أولًا تحتَ النَّسْرِ بالجامعِ الأُمَوىِّ ، ثم جاءوا به إلى التُّرْبةِ المذْكورةِ ، فدُفِن بها ، ولم تَكُنِ المدرسةُ كمَلت بعدُ ، وقد تَكامَل بناؤُها فى [2]السنةِ الآتيةِ[2] أيضًا ، وذكَر الدرسَ بها القاضى جَمالُ الدينِ المصرىُّ ، وحضَر عندَه السلطانُ المُعَظَّمُ ، فجلَس فى الصَّدْرِ ، وعن شمالِه القاضى ، وعن يمينِه جمالُ[3] الدينِ الحَصِيرىُّ[4] شيخُ الحنَفيةِ ، وكان فى المجلسِ الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ الصَّلاحِ إمامُ السلطانِ ، والشيخُ سيفُ الدينِ الآمِدىُّ إلى جانبِ المُدَرِّسِ ، وإلى جانبِه شمسُ الدينِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ ، ويَلِيه النَّجْمُ خَليلٌ قاضى العَسْكَرِ ، وتحتَ الحَصِيرىِّ شمسُ الدينِ ابنُ الشِّيرازىِّ ، وتحتَه مُحْيى الدينِ بنُ الزَّكِىِّ ، وفيه خَلْقٌ مِن الأعيانِ والأكابرِ ، وفيهم فخرُ الدينِ بنُ عساكرَ .

وفيها أرْسَل الملكُ المُعَظَّمُ الصدرَ البَكْرِىَّ[5] مُحْتَسِبَ دِمشقَ إلى جَلالِ الدينِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٠٦ - ٤١٢، ومرآة الزمان ٨/ ٦٢٣، ٦٢٤ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٣١ - ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٨ - ٦١.

(٢ - ٢) فى م : « هذه السنة » . وانظر الدارس ١/ ٣٦٠، ٣٦١.

(٣) فى الأصل ، م : « صدر » . والمثبت من الذيل على الروضتين وتاريخ الإسلام . ولم يذكر ذلك فى المصدرين الآخرين .

(٤) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل : « الحصرى » .

(٥) فى م : « الكشهنى » .

ابنِ خُوارَزْم شاه يَسْتَعِينُه على أخويه الكاملِ والأشرفِ اللذين قد تَمالآ عليه، فأجابه إلى ذلك بالسمعِ والطاعةِ، ولما عاد البكريُّ أضاف إليه مَشْيَخَةَ الشُّيوخِ.

وحجَّ فى هذه السنةِ الملكُ المَسْعودُ أَقْسِيسُ بنُ الكاملِ صاحبُ اليمنِ، فبدَت منه أفعالٌ ناقصةٌ [١٠/٧و] بالحرَمِ الشريفِ مِن سُكْرٍ ورَشْقٍ حَمامِ المسجدِ بالبُنْدُقِ مِن أعلى قُبَّةِ زَمْزَمَ، وكان إذا نام فى دارِ الإمارةِ يُضْرَبُ الطائفون بالمَسْعَى بأطرافِ السيوفِ لئلا يُشَوِّشوا عليه وهو نَوِمٌ سَكِرٌ، قبَّحه اللَّهُ تعالى، ولكن كان مع هذا كلِّه مَهيبًا مُحْتَرَمًا، والبلادُ به آمِنةٌ مُطْمَئنةٌ، وقد كان يَرْفَعُ سَنْجَقَ[1] أبيه يومَ عرَفةَ على سَنْجَقِ الخليفةِ، فجرى بسببِ ذلك فتْنةٌ عظيمةٌ، وما مُكِّنَ مِن طُلوعِه وصُعودِه إلى الجبلِ إلا فى آخِرِ النهارِ بعدَ جَهْدٍ جَهيدٍ.

وفيها كان بالشامِ جَرادٌ كثيرٌ أكَل الزرعَ والثمارَ والأشجارَ.

وفيها وقَعَت حُروبٌ كثيرةٌ بينَ القَفجاقِ والكُرْجِ، وقتالٌ كثيرٌ بسببِ ضيقِ بلادِ القَفْجاقِ عليهم.

وفيها ولِى قَضاءَ القُضاةِ ببغدادَ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ فَضْلانَ[2]، ولبِس الخِلْعةَ فى [3]دارِ نائبِ[3] الوزارةِ مُؤَيِّدِ الدينِ محمدِ بنِ محمدٍ القُمِّيِّ[4] بحَضْرةِ الأعْيانِ والكُبَراءِ، وقُرِئَ تَقْليدُه بحَضْرتِهم، وساقه ابنُ الساعى بحُروفِه.

---

(١) السنجق: اللواء. الوسيط (سنجق).

(٢) فى م: «فلان».

(٣ - ٣) فى م: «باب دار».

(٤) فى م: «القيمق». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٦، والوافى بالوفيات ١/ ١٤٧.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

عبدُ القادرِ بنُ داودَ ، أبو محمدٍ الواسطىُّ[1] ، الفَقيهُ الشافعىُّ المُلَقَّبُ بالمحبِّ ، استقَلَّ بالنِّظاميةِ دَهْرًا ، واشْتَغل بها ، وكان فاضلًا دَيِّنًا صالحًا ، ومما أنْشَده مِن الشعرِ قولُه :

الفَرْقَدانِ[2] كلاهما شهِدا له … والبدرُ ليلةَ تِمِّهِ بسُهادِهِ

دَنِفٌ[3] إذا اعتبَق الظلامُ تَضرَّمَتْ … نارُ الجَوَى فى صدرِه وفؤادِهِ

فجَرَتْ مدامعُ جَفنِه فى خدِّه … مِثلَ المَسيلِ يَسِيلُ مِن أطوادِهِ[4]

شوقًا إلى مُضْنِيهِ لم أَرَ هكذا … مشتاقَ مُضْنِى جسمِه ببِعادِهِ

ليت الذى أضناه سِحْرُ جُفُونِه … قبل المماتِ يكونُ من عُوَّادِه

أبو طالبٍ يحيى بنُ علىٍّ اليعقوبىُّ[5] ، **الفقيهُ الشافعىُّ** ، أحدُ المُعِيدين[6] ببغدادَ ، كان شيخًا مَليحَ الشَّيْبةِ ، جَميلَ الوجهِ ، كان يَلِى بعضَ الأوْقافِ ، ومما أنْشَده لبعضِ الفُضلاءِ :

لَحَمْلُ تِهامةٍ وجبالِ أُحْدٍ … وماءُ البحرِ يُنْقَلُ بالزَّبيلِ[7]

ونقلُ الصخرِ فوقَ الظهرِ يومًا[8] … لَأهونُ من مجالسةِ الثقيلِ

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٥٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٧٩.

(٢) الفَرْقَد : نجم قريب من القطب الشمالى ثابت الموقع تقريبًا ، ولذا يهتدى به ، وهو المسمى : النجم القطبى ، وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه ؛ وهما فرقدان . الوسيط (فرقد) .

(٣) دنِف المريض : اشتد مرضه وأشفى على الموت . الوسيط (د ن ف) .

(٤) فى م : « أطواره » . والأطواد : جمع طَوْد ، وهو الجبل العظيم . انظر الوسيط (ط و د) .

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١١٢ .

(٦) فى الأصل : « المتعبدين » .

(٧) الزبيل : القُفَّة . انظر اللسان (ز ب ل) .

(٨) فى م : « عريا » .

ولبعضِهم أيضًا ، (١ وهو مما أنْشَده المذكورُ ١) :

وإذا مضَى للمَرْءِ مِن أعوامِه خمسون (٢) وهْوَ إلى التُّقَى لا يَجْنَحُ
عكَفَتْ عليه المخْزِياتُ بقولِها حالَفْتَنا فأقِمْ كذا لا تَبْرَحُ
وإذا رأى الشيطانُ غُرَّةَ وجهِه حيَّا وقال فَدَيْتُ من لا يُفْلِحُ

اتَّفَق أنه طُولِب بشيءٍ مِن المالِ ، فلم يَقْدِرْ عليه ، فاسْتَعْمل شيئًا مِن الأفْيُونِ المِصْرىِّ ، فمات مِن يومِه ، ودُفِن بالوَرْدِيةِ .

وفيها تُوُفِّى **قُطْبُ الدينِ بنُ** (٣) **العادلِ** بالفيومِ ، ونُقِل إلى القاهرةِ .

وفيها تُوُفِّى إمامُ الحَنابلةِ بمكةَ **الشيخُ نصرُ بنُ أبى الفرجِ المعروفُ بابنِ الحُصْرىِّ** (٤) ، جاوَر بمكةَ مدةً (٥) ، ثم ساقَته المَنِيَّةُ إلى اليمنِ ، فمات بها فى هذه السنةِ ، وقد سمِع الحديثَ مِن جماعةٍ مِن المَشايخِ .

وفيها فى ربيعٍ الأولِ تُوُفِّى بدمشقَ **الشِّهابُ عبدُ الكريمِ بنُ نَجْمِ** (٦ **بنِ الحنبلىِّ** ٦) ، أخو البَهاءِ والناصحِ ، وكان فَقيهًا مُناظِرًا بَصيرًا بالمُحاكَماتِ ، وهو الذى أخْرَج مسجدَ الوزيرِ مِن يدِ الشيخِ عَلَمِ الدينِ السَّخاوىِّ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) بعده فى الأصل : « حجة » .
(٣) سقط من : م . وقد جاء الاسم عند صاحب المرآة « قطب الدين العادلى » . وفى الحاشية جاءت « العادل » بدل « العادلى » . والمثبت من الأصل هو الصواب والموافق لما ذكر فى الذيل على الروضتين . انظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٦٢٥/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٣٣ .
(٤) المختصر المحتاج إليه ٣٦٨/١٥ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٤١/١٩ ، والتكملة لوفيات النقلة ١٠١/٥ ، والذيل على الروضتين ص ١٣٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٦٣/٢٢ ، وتذكرة الحفاظ ١٣٨٢/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٦٦ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١٣٠/٢ ، وغاية النهاية ٣٣٨/٢ .
(٥) بعده فى م : « لم يسافر » .
(٦ - ٦) فى م : « النيلى » . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ١٠٤/٥ ، والذيل على =

ثم دخَلَت سنةُ عشرين وستِّمائةٍ

فيها[1] عاد الأشْرفُ موسى بنُ العادلِ مِن عندِ أخيه الكاملِ صاحبِ مصرَ إلى الشامِ ، فتلَقَّاه أخوه المُعَظَّمُ ، وقد فهِم [١٠/٧ظ] أنهما تَمالآ عليه ، فبات ليلةً بدمشقَ ، وسار مِن آخِرِ الليلِ ، ولم يَشْعُرْ أخوه بذلك ، فسار إلى بلادِه ، فوجَد أخاه الشِّهابَ غازى الذى اسْتَنابه على خِلاطَ ومَيَّافارِقِينَ قد قوِى رأسُه ، وكاتَبه المُعَظَّمُ وصاحبُ إرْبِلَ ، وحسَّنوا له مُخالفةَ الأشرفِ ، فكتَب إليه الأشرفُ يَنْهاه عن ذلك ، فلم يَقْبَلْ ، فجمَع له العَساكرَ ليُقاتِلَه .

وفيها سار أَقْسِيسُ الملكُ المسعودُ صاحبُ اليمنِ بنُ الكاملِ مِن اليمنِ إلى مكةَ ، شرَّفها اللَّهُ تعالى ، فقاتَله حسنُ بنُ قَتادةَ ببطنِ مكةَ بينَ الصَّفا والمَرْوةِ ، فهزَمه أَقْسِيسُ وشرَّده ، واسْتَقَلَّ بمُلكِ مكةَ مع اليمنِ ، وجرَت أمورٌ فَظيعةٌ ، وتشَرَّد حسنُ بنُ قَتادةَ قاتلُ أبيه وعمِّه وأخيه فى تلك الشِّعابِ والأوْديةِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ بنُ قُدامةَ المقدسىُّ[2] ، مصنِّفُ « المُغْنى » فى الفقهِ ،

= الروضتين ص ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٥٢، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٢، وشذرات الذهب ٥/ ٨٥.

(١) الكامل ٤١٣/١٢ - ٤١٨، ومرآة الزمان ٦٢٥/٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٣٣، ١٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٦٢.

(٢) المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٢١٢، ومرآة الزمان ٦٢٧/٨ (القسم الثانى) والتكملة لوفيات النقلة =

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ[1] بنِ قدامةَ، الشيخُ موفقُ الدينِ أبو محمدٍ المقدسيُّ، إمامٌ عالمٌ بارعٌ، لم يَكُنْ في عصرِه بل ولا قبلَ دهرِه بمدةٍ، أفقهُ منه، وُلِد بجَمَّاعِيلَ في شعبانَ سنةَ إحدى وأربعين وخمسِمائةٍ، وقدِم مع أهلِه إلى دمشقَ في سنةِ إحدى وخمسين، وقرَأ القرآنَ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ، ورحَل مرتين إلى العراقِ؛ إحداهما في سنةِ إحدى وستين مع ابنِ خالتِه[2] الحافظِ عبدِ الغنيِّ، والأخرى سنةَ سبعٍ وستين، وحجَّ في سنةِ ثلاثٍ وسبعين، وتفَقَّه ببغدادَ على مذهبِ الإمامِ أحمدَ، وبرَع وأفْتَى وناظَر، وتبَحَّر في فُنونٍ كثيرةٍ، مع زُهْدٍ وعِبادةٍ، ووَرَعٍ وتَواضُعٍ، وحسنِ أخلاقٍ، وجُودٍ وحَياءٍ وحُسنِ سَمْتٍ، ونورٍ وبَهاءٍ، وكَثْرةِ تِلاوةٍ وصلاةٍ وصيامٍ وقيامٍ، وطريقةٍ حسنةٍ واتِّباعٍ للسَّلَفِ الصالحِ، وكانت له أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ، وقد قال الشافعيُّ[3]، رحِمه اللَّهُ تعالى: إن لم يَكُنِ العلماءُ العاملون[4] أوْلياءَ اللَّهِ فلا أعْلَمُ للَّهِ وليًّا.

وكان يَؤُمُّ الناسَ للصلاةِ في مِحْرابِ الحَنابلةِ هو والشيخُ العِمادُ، فلما تُوُفِّي

= ٥/ ١٥٨، والذيل على الروضتين ص ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٨٣، وفوات الوفيات ٢/ ١٥٨، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٣.

(١) بعده في فوات الوفيات: «بن أحمد».

(٢) في الأصل: «عمته»، وفي م: «عمه». وفي سير أعلام النبلاء: «خاله». والمثبت من تاريخ الإسلام وفوات الوفيات والوافي بالوفيات وذيل طبقات الحنابلة، وهي المصادر التي ذكرت النسبة بينهما. وما في السير تحريف، وانظرأيضًا تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ٤٤٣.

(٣) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي ٢/١٥٥ بسنده عن الشافعي، بلفظ «الفقهاء» بدلًا من «العلماء».

(٤) في م: «العاقلون».

العِمادُ اسْتَقَلَّ هو بالوَظيفةِ ، فإن غاب صلَّى عنه أبو سليمانَ[١] عبدُ الرحمنِ بنُ الحافظِ عبدِ الغنيِّ ، وكان يَتَنَفَّلُ بينَ العِشاءَيْن بالقربِ مِن مِحْرابِه ، فإذا صلَّى العشاءَ انْصَرَف إلى منزلِه بدربِ الدَّوْلَعيِّ بالرَّصيفِ ، وأخَذ معه مِن الفُقراءِ مَن تيسَّر ؛ يَأْكُلون معه مِن طعامِه ، وكان مَنْزِلُه الأصْليُّ بقاسِيونَ ، فيَنْصَرِفُ فى بعضِ الليالى بعدَ العشاءِ إلى الجبلِ ، فاتَّفَق[٢] فى بعضِ الليالى أن خطَف رجلٌ عِمامتَه ، وكان فيها كاغِدٌ فيه رَمْلٌ[٣] ، فقال له الشيخُ : خذ الكاغِدَ ، وألْقِ العِمامةَ . فظنَّ الرجلُ أن فى الكاغدِ مالًا ، فأخَذه وألْقَى العِمامةَ ، [٤]فأخَذَها الموفقُ ثم ذهَب[٤] . وهذا يَدُلُّ على ذَكاءٍ مُفْرِطٍ واسْتِحْضارٍ حسَنٍ فى الساعةِ الراهنةِ ، حتى خلَّص عِمامتَه مِن يدِه بتَلَطُّفٍ .

وله مُصَنَّفاتٌ عَديدةٌ مَشْهورةٌ ، منها « المُغْنى » فى شرحِ « مختصرِ[٥] الخِرَقيِّ » فى عشَرةِ مُجَلَّداتٍ ، و « الكافى »[٦] فى [٧]أربعةِ مُجَلَّداتٍ[٧] و « المُقْنِعُ » للحفظِ ، و « الرَّوْضةُ » فى أصولِ الفقهِ ، وغيرُ ذلك مِن التَّصانيفِ المُفيدةِ ، وكانت وفاتُه فى يومِ عيدِ الفِطْرِ فى هذه السنةِ ، وقد بلَغ الثمانين ، وكان يومَ سبتٍ ، وحضَر جِنازتَه خَلْقٌ كثيرٌ ، ودُفِن بتربتِه المشهورةِ ، ورُئِيَت له مَناماتٌ

---

(١) بعده فى م : « بن الحافظ » .

(٢) انظر الذيل على الروضتين ص ١٤٠، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٦.

(٣) عبارة مصدرى التخريج أوضح ، ففيهما أنه كان يجعل فى عمامته ورقة مصرورة فيها رمل يرمل به ما يكتبه للناس .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥) زيادة من : م .

(٦) فى م : « الشافى » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، م :« مجلدين » . والمثبت من مصادر ترجمته ، عدا مرآة الزمان والتكملة والذيل على الروضتين فلم تذكر ذلك .

صالحةٌ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وكان له أولادٌ ذُكورٌ وإناثٌ ، فماتوا فى حياتِه . ولم يُعْقِبْ منهم سوى ابنِه عيسى ولدَيْن ، ثم ماتا وانْقَطَع نَسْلُه ، قال أبو المُظَفَّرِ [١٠/٨و] السِّبطُ[١] : نقَلْتُ مِن خطِّ الشيخِ مُوَفَّقِ الدينِ :

لا تَجْلِسَنَّ ببابِ مَن يَأْبَى عليك دخولَ[٢] دارِهْ
وتقولُ حاجاتى إليـ ـه يَعوقُها[٣] إن لم أُدارِهْ
واتْرُكْه واقْصِدْ ربَّها تُقْضَى وربُّ الدارِ كارِهْ

ومما أنْشَده الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ لِنفسِه[٤] ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ورضِى عنه قولُه :

أَبَعْدَ بياضِ الشعرِ أعمرُ مَسْكَنًا سوى القبرِ إنى إن فعَلْتُ لَأَحْمقُ
يُخَبِّرُنى شَيْبى بأنىَ مَيِّتٌ وَشيكًا ويَنْعانى إلىَّ فيَصْدُقُ
يُخَرِّقُ عُمْرى كلَّ يومٍ وليلةٍ فهل (٥أَسْتَطيعُ رَقْعَ٥) ما يَتَخَرَّقُ
(٦كأنى بجسمى[٧] فوقَ نَعْشى[٨] مُمَدَّدًا فمِن ساكتٍ أو مُعْوِلٍ يَتَحَرَّقُ٦)

---

(١) ذكره عنه أبو شامة فى الذيل على الروضتين ص ١٤١، ١٤٢، ولم نجده فى نسخة مرآة الزمان المطبوعة التى بين أيدينا .

(٢) فى م : « وصول » .

(٣) فى الأصل : « أعوقها » .

(٤) انظر مرآة الزمان ٨/ ٦٣٠ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٤١.

(٥ - ٥) فى الأصل : « يستطع رفوًا » ، وفى م : « مستطاع رقع » ، وفى الذيل على الروضتين : « مستطيع رفو » . والمثبت من مرآة الزمان .

(٦ - ٦) فى الأصل :

« كأنى بقوم يتبعون جنازتى وأعينهم تذرى الدموع وتدفق »

(٧) فى مرآة الزمان : « بنفسى » .

(٨) فى الذيل : « نعش » .

إذا سُئِلوا[1] عنى أجابوا وعوَّلوا وأدْمُعُهم تَنْهَلُّ هذا المُوَفَّقُ

وغُيِّبْتُ فى صَدْعٍ مِن الأرضِ ضَيِّقٍ وأُودِعْتُ [2]لَحْدًا فوقَه الصَّخْرُ[2] مُطْبَقُ

ويَحْثُو علىَّ التُّربَ أوْثَقُ صاحبٍ ويُسْلِمُنى للقبرِ[3] مَن هو مُشْفِقُ

[4]فيا ربِّ كُنْ لى مُؤْنِسًا يومَ وَحْشَتى فإنى بما أَنْزَلْتَه لَمُصَدِّقُ[4]

وما ضرَّنى أنى إلى اللَّهِ صائرٌ ومَن هو مِن أهلى أبَرُّ وأرْفَقُ

فخرُ الدينِ بنُ عَساكرَ[5] : **عبدُ الرحمنِ** [6]**بنُ محمدِ**[6] **بنِ الحسَنِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ عَساكرَ، فخرُ الدينِ أبو منصورٍ الدمشقىُّ**، شيخُ الشافعيةِ بها، وأمُّه أسْماءُ بنتُ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ طاهرٍ القريشيةُ[7] - المعروفُ والدُها بأبى البَرَكاتِ بنِ الرانىِّ[8]، وهو الذى جدَّد مسجدَ القَدَمِ فى سنةِ سبعَ عشْرةَ وخمسِمائةٍ، وبه قبرُه وقبرُها[9]، ودُفِن هناك طائفةٌ كبيرةٌ مِن العلماءِ - وهى أختُ آمِنةَ والدةِ القاضى مُحْيى الدينِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الزَّكِىِّ.

---

(1) فى الذيل: «سألوا».

(2 - 2) فى مرآة الزمان: «فى لحد به الترب».

(3) فى مرآة الزمان: «للترب».

(4 - 4) سقط من: الأصل.

(5) مرآة الزمان 8/630 (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة 5/152، والذيل على الروضتين ص 136، ووفيات الأعيان 3/135، وسير أعلام النبلاء 22/187، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 611 - 620) ص 500، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى 8/177.

(6 - 6) سقط من: م.

(7) فى م: «القدسية».

(8) فى الأصل: «المرار»، وفى م: «المران». والمثبت من الذيل على الروضتين، ولم تذكره سائر المصادر.

(9) ليس فى الذيل على الروضتين - وهو المصدر الوحيد من المصادر الذى ذكَر اسم الأم والجد وبقية القصة - تصريح بأن هناك قبرها، اللهم إلا إذا كان المصنف استفاد ذلك من قوله فى الذيل: لأن به - =

اشْتَغل الشيخُ فخرُ الدينِ مِن صِغَرِه بالعلمِ الشَّريفِ على شيخِه قُطْبِ الدينِ مسعودِ النَّيسابوريِّ، وتَزَوَّج بابنتِه، ودرَّس مكانَه بالجاروخيةِ[1]، وبها كان يَسْكُنُ فى إحدى القاعتَيْن اللتين أنْشَأهما، وبها تُوُفِّى غربيَّ الإيوانِ، ثم تولَّى تَدْريسَ الصَّلاحيَّةِ الناصريَّةِ بالقدسِ الشريفِ، ثم ولَّاه العادلُ تَدْريسَ التَّقَويَّةِ[2]، وكان عندَه أعْيانُ الفُضَلاءِ، ثم تفرَّغ[3]، فلزِم المُجاوَرةَ فى الجامعِ فى البيتِ الصغيرِ إلى جانبِ مِحرابِ الصَّحابةِ، يَخْلُو فيه للعِبادةِ والمُطالَعةِ والفَتاوَى، وكانت الفتاوى تَفِدُ إليه مِن الأقْطارِ، وكان كثيرَ الذكرِ، حسنَ السَّمْتِ، وكان يَجْلِسُ تحتَ قُبَّةِ النَّسْرِ فى كلِّ يومِ اثنين وخميسٍ مكانَ عمِّه لإسْماعِ الحديثِ بعدَ العصرِ، فيُقْرَأُ عليه «دَلائلُ النبوةِ» وغيرُه، وكان يَحْضُرُ مَشْيَخَةَ دارِ الحديثِ النُّوريةِ، ومَشْهَدَ ابنِ[4] عُرْوةَ أولَ ما فتِح، وقد اسْتَدْعاه الملكُ العادلُ بعدَ ما عزَل قاضيَه زكيَّ الدينِ[5]، فأجْلَسه إلى جانبِه وقتَ السِّماطِ، وسأَل منه أن يَلىَ

= يعنى مسجد القدم - قبر جده لأمه ومن سلف من بيته. فأخذ المصنف رحمه الله ذلك من قوله: «ومن سلف من بيته».

(١) فى م: «بالحاروجية». وكذا تأتى فى الموضع القادم فى م. والجاروخية: مدرسة للشافعية داخل بابى الفرج والفراديس، لصيقة المدرسة الإقبالية الحنفية شمالى الجامع الأموى والظاهرية الجوانية. قال ابن شداد: بانيها جاروخ التركمانى يلقب بسيف الدين. انظر الدارس ١/ ٢٢٥.

(٢) التقوية: مدرسة للشافعية أيضًا ومن أجلِّ مدارس دمشق، داخل باب الفراديس شمالى الجامع شرقى الظاهرية والإقباليتين، بانيها فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب. المصدر السابق ١/ ٢١٦.

(٣) عبارته فى الذيل على الروضتين - وهو الذى ذكر ذلك وحده -: «وكان إذا فرغ من التدريس يظل بجامع دمشق فى البيت الصغير بمقصورة الصحابة يخلو فيه للعبادة ... ثم يرجع إلى مكانه والناس معتكفون عليه». وهى لا تفيد التفرغ المطلق - كما فى عبارة الأصل وم هنا - لكن مجرد فراغ بعد انتهاء تدريسه فى المدرسة.

(٤) فى الذيل: «أبى». وانظر ما يأتى فى ترجمة ابن عروة هذا.

(٥) هو زكى الدين الطاهر بن محيى الدين، كما فى الذيل على الروضتين، وهو المصدر الوحيد الذى ذكر ذلك.

القَضاءَ بدمشقَ ، فقال : حتى أَسْتَخِيرَ اللَّهَ تعالى . ثم امْتَنع مِن ذلك ، فشقَّ على السلطانِ امْتناعُه ، وهمَّ أن يُؤْذِيَه ، فقيل له : احْمَدِ اللَّهَ الذى فى بلادِك مثلُ هذا . ولما تُوُفِّى العادلُ ، وأعاد ابنُه المُعَظَّمُ الخُمورَ أنْكَر عليه الشيخُ فخرُ الدينِ ، فبقِى فى نفسِه منه ، فانْتَزَع منه تَدْريسَ (١ الصَّلاحيَّةِ التى بالقدسِ وتدريسَ ١) التَّقَوِيةِ ، ولم يَبْقَ معه سوى الجاروخيةِ ودارِ الحديثِ النُّوريةِ ، ومَشْهَدِ ابنِ عُرْوَةَ[٢] . وكانت وفاتُه يومَ الأربعاءِ بعدَ العصرِ[٣] عاشرَ رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وله خمسٌ وستون سنةً ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، وكان يومًا مشهودًا ، وحُمِلت جِنازتُه إلى مَقابرِ الصُّوفيةِ ، فدُفِن بها ، فى أولِها قريبًا مِن قبرِ شيخِه قُطْبِ الدينِ مسعودٍ .

ابنُ عُرْوةَ[٤] (٥ **شرفُ الدينِ** ٥) **محمدُ بنُ عُروةَ** [١٠/٨ظ] **المَوْصِلىُّ** ، المَنْسوبُ إليه مَشْهَدُ ابنِ عُرْوةَ - (١ ويقول الناسُ : مشهدُ عروةَ ١) - بالجامعِ الأُمَوىِّ ؛ لأنه أولُ مَن فتَحه ، وكان مَشْحونًا بالحَواصلِ الجامعيةِ ، وبنَى فيه البِرْكةَ ، ووقَف فيه على الحديثِ دَرْسًا ، ووقَف خَزائنَ كتبٍ فيه ، وكان مُقيمًا بالقُدْسِ الشريفِ ، ولكنه كان مِن خَواصِّ أصحابِ الملكِ المُعَظَّمِ ، فانْتَقَل إلى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الذيل على الروضتين . وهو المصدر الوحيد الذى ذكر توليه التدريس بتلك المدارس ، وبدار الحديث والمشهد - أنه لم يبق بيده إلا المدرسة الجاروخية . فلعلَّ قصده فى الذيل أنه لم يبق بيده من المدارس .

(٣) نقل صاحب الذيل على الروضتين عمن حضر وفاة الفخر أنه توفى بعد صلاته الظهر ثم ذكر وفاته مرة أخرى فقال : « وكانت وفاته آخر يوم الأربعاء » . وقد نقل الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام القول الأول لصاحب الذيل على الروضتين . وباقى المصادر لم تذكر الوقت الذى مات فيه أثناء اليوم .

(٤) مرآة الزمان ٦٣٢/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٤.

(٥ - ٥) فى م : « سيف الدين » .

دمشقَ حينَ خرّب سُورُ بيتِ المقدسِ إلى أن تُوُفّى بها ، وقبرُه عندَ قِبابِ أتابَك طغتِكِين قِبْلِيَّ المُصَلَّى ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ أبو الحسنِ الرُّوزْبَهارىُّ[1] ، دُفِن بالمكانِ المَنسوبِ إليه بينَ السورين عندَ بابِ الفَراديسِ .

الشيخُ عبدُ الرحمنِ اليَمَنىُّ[2] كان مُقيمًا بالمَنارةِ الشرقيةِ ، كان صالحًا زاهدًا وَرِعًا ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيةِ .

الرئيسُ عِزُّ الدينِ المُظَفَّرُ بنُ أسْعَدَ بنِ حَمْزَةَ التَّميمىُّ بنُ القَلانسىِّ[3] ، أحدُ رُؤساءِ دمشقَ[4] وكُبَرائِها ، وجدُّه أبو يَعْلَى حمزةُ ، له تاريخٌ ذيَّل به على ابنِ عَساكرَ[5] ، وقد سمِع عِزُّ الدينِ هذا الحديثَ مِن الحافظِ أبى القاسمِ ابنِ عساكرَ وغيرِه ، ولزِم مُجالَسةَ الكِنْدىِّ[6] وانْتَفَع به .

الأميرُ الكبيرُ أحدُ حُجّابِ الخَليفةِ ، محمدُ بنُ سليمانَ[7] **بنِ قتلمش بنِ**

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٨. والدراس ٢/ ١٥٠، ١٥١ ووقع عنده : «الروزنهارى» .

(٢) فى الأصل : «الذى» . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٦٣١/٨ (القسم الثانى) وعنده «عبد الله» بدل «عبد الرحمن» ، والذيل على الروضتين ص ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٠٣.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٣٥.

(٤) فى الذيل على الروضتين أنه أحد رؤساء الشام .

(٥) فى الذيل أنه صاحب ذيل التاريخ لملوك الشام إلى آخر زمنه .

(٦) هو الشيخ تاج الدين الكندى ، كما فى الذيل .

(٧) معجم الأدباء ٢٠٥/١٨ وعنده «قطرمش» ، وكنيته «أبو نصر» ، والذيل على الروضتين ص ١٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٠٨ وعنده «قترمش» ، والوافى بالوفيات ٣/ ١٢٥، وبغية الوعاة ١١٥/١ وعنده مثل ما فى تاريخ الإسلام .

تُرْكانْشاه، أبو[1] منصورِ السَّمَرْقَنْدىُّ، وكان مِن أولادِ الأُمراءِ، وولِى حاجبَ الحُجَّابِ بالدِّيوانِ العَزيزِ الخَليفَتىِّ، وكان يَكْتُبُ جيدًا جدًّا، وله مَعْرِفةٌ حَسَنةٌ بعلومٍ كثيرةٍ، منها الأدبُ وعلومُ الرِّياضةِ، وعُمِّر دهرًا، وله شعرٌ حسنٌ، ومن شعرِه قولُه[2]:

سئِمْتُ تَكاليفَ هذى الحياةِ ... وكرِّ[3] الصباحِ بها والمَساءْ

وقد كنتُ كالطفلِ فى عقلِه[4] ... قليلَ الصَّوابِ كثيرَ الهُراءْ

أنامُ إذا كنتُ فى مجلسٍ ... وأَسْهَرُ عندَ دُخولِ الغِناءْ

وقصَّر خَطوِىَ قيدُ[5] المَشيبِ ... وطال على ما عنَانى عناءْ

وغُودِرْتُ كالفَرْخِ فى عُشِّه ... وخلَّفْتُ حُلْمى وراءَ وراءْ

وما جَرَّ ذلك غيرُ البقاءِ ... فكيف [6]ترى فعلَ سوءِ[6] البَقاءْ

وله أيضًا:

إلهى يا كثيرَ العَفْوِ غَفْرًا[7] ... لِما أسْلَفْتُ فى زمنِ الشبابِ

فقد سوَّدْتُ بالآثامِ وجهًا ... ذليلًا خاضعًا لك فى الترابِ

فبَيِّضْه بحسنِ العَفْوِ عنى ... وسامِحْنى وخَفِّفْ مِن حسابى[8]

---

(١) فى م: «بن».

(٢) انظر الذيل على الروضتين ص ١٣٥، والوافى بالوفيات ٣/ ١٢٥.

(٣) فى م: «كذا».

(٤) فى الأصل: «غفلة».

(٥) فى الأصل: «قبل».

(٦ - ٦) فى الأصل: «ترى بسوء فعل»، وفى م: «بدا سوء فعل»، وفى الوافى: «ترى سوء فعل». والمثبت من الذيل على الروضتين.

(٧) فى م: «عفوا».

(٨) فى م: «عذابى».

ولما تُوُفِّى (١صُلِّى عليه بالنِّظامية١)، ودُفِن بالشُّونيزيَّةِ.

ورآه بعضُهم فى المَنامِ فقال: ما فعَل بك ربُّك؟ فقال:

تحاشَيْتُ[٢] اللِّقاءَ لسُوءِ فِعْلى وخوفًا فى المَعادِ مِن النَّدامَهْ
فلما أنْ قدِمْتُ على إلهى وحاقَقَ فى الحسابِ على قُلامَهْ
وكان العدلَ أن أَصْلَى جَحيمًا تعَطَّفَ بالمكارمِ والكَرامَهْ
ونادانى لسانُ العفْوِ منه ألا يا عبدُ تَهْنِيك السَّلامَهْ

أبو علىٍّ الحسنُ بنُ أبى المَحاسِنِ[٣] زُهْرَةَ بنِ الحسنِ[٤] بنِ زُهْرَةَ العَلَوىُّ الحُسَيْنىُّ الحلَبىُّ، نَقيبُ الأشْرافِ بها، كان لديه فَضْلٌ وعلمٌ بالأدبِ والعربيةِ وأخبارِ الناسِ والتَّواريخِ والسِّيَرِ والحَديثِ، حافظًا للقرآنِ المَجيدِ، وله شعرٌ جيدٌ، فمنه قولُه[٥]:

قد رأيْتُ المَعْشوقَ وهْو مِن الهَجْـ ـرِ بحالٍ تَنْبُو النَّواظِرُ عنهُ
أثَّر الدهرُ فيه آثارَ سَوْءٍ وأدالَتْ يدُ الحوادثِ منهُ
عاد مُسْتبْذَلًا ومُسْتَبْدِلًا عِزًّا بذُلٍّ كأنَّه لم يَصُنْهُ

أبو علىٍّ يحيى (٦بنُ محمدِ بنِ علىٍّ٦) بنِ المُبارَكِ بنِ الجَلَاجِلىِّ[٧]، مِن أبناءِ

(١ - ١) زيادة من: الأصل، م. ليست فى مصادر الترجمة.

(٢) فى الأصل: «تخافيت».

(٣) بغية الطلب ٥/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٧٧، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٨.

(٤) فى الأصل، م: «على». والمثبت من مصادر الترجمة.

(٥) انظر بغية الطلب ٥/ ٣٩٠.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته: المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٣٩٤، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٥.

(٧) فى الأصل: «الخلاخلى».

التُّجّارِ ، سمِع الحديثَ ، وكان جميلَ الهيئةِ ، يَسْكُنُ بدارِ الخِلافةِ ، وكان عندَه [١٠/٩و] عِلمٌ ، وله شعرٌ حسَنٌ ، فمنه قولُه :

خيرُ إخوانِك المُشارِكُ فى المُرِّ ... وأينَ الشريكُ فى المُرِّ أينا

الذى إن شهِدْتَ سَرَّك فى القو ... مِ وإن غِبْتَ كان أُذْنًا وعَيْنَا

مثلُ (١سرِّ العِقْيانِ١) إنْ مسَّه النا ... رُ (٢جلاه الجِلاءُ٢) فازْداد زَيْنَا

وأخو السَّوْءِ إن (٣يَغِبْ عنك يَشْنَكْ ... وإن يَحْتَضِرْ٣) يَكُنْ ذاك شَيْنَا

جَيْبُه غيرُ ناصحٍ ومُناه ... أن يصيبَ الخليلُ إفْكًا ومَيْنا

(٤فاخْشَ منه٤) ولا تلَهَّفْ عليه ... إنَّ (٥غُرْمًا له٥) كنَقْدِك دَيْنَا

(١ - ١) فى م : « العقيق » . وسر العقيان : السر من كل شيء : أكرمه وخالصه . والعقيان : ذهب متكاثف فى مناجمه ، خالص مما يَخْتَلِط به من الرمال والحجارة . الوسيط (س ر ر) ، (ع ق ى) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « جلاوه بالجلاء » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « تغيب عنه يشرك وإن تحضر » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « فاصر منه » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « صزما عليه » .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] وصَلَت سَريةٌ مِن جهةِ جِنْكِزْخان غيرُ الأَوَّلَتَيْن إلى الرَّىِّ ، وكانت قد عُمِّرَتْ قليلًا ، فقتَلوا أهلَها أيضًا ، ثم ساروا إلى ساوَهْ[2] ، ثم إلى قُمَّ وقاشانَ[3] ، ولم تَكونا طُرِقتا إلَّا هذه المرةَ ، ففعَلوا بها مثلَ ما تقَدَّم مِن القتلِ والسَّبْيِ ، ثم ساروا إلى هَمَذانَ ، فقتَلوا أيضًا وسبَوْا ، ثم ساروا خلفَ الخُوارَزْميةِ إلى أَذْرَبِيجانَ ، فكَبَسوهم[4] وقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا ، فهرَبوا منهم إلى تِبْرِيزَ ، فلَحِقوهم وكتَبوا إلى ابنِ البَهْلَوانِ : إن كنتَ مُصالِحًا لنا فابْعَثْ إلينا بالخُوارَزْميةِ ، وإلَّا فأنت مثلُهم . فقتَل منهم خلقًا ، وأرْسَل برُءُوسِهم إليهم ، مع تُحَفٍ وهَدايا [5]كثيرةٍ ، هذا كلُّه وإنما كانت هذه السَّريةُ ثلاثةَ آلافٍ ، والخُوارَزْميةُ وأصحابُ البَهْلَوانِ[5] أضعافَ أضْعافِهم ، ولكنْ ألْقَى اللَّهُ تعالى عليهم الخِذْلانَ والفشَلَ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون .

وفيها ملَك غِياثُ الدينِ بنُ[6] خُوارَزْم شاه بلادَ فارسَ مع ما فى يدِه مِن

---

(١) الكامل ١٢/٤١٩ - ٤٢٤، ومرآة الزمان ٨/ ٦٣٢، ٦٣٣ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٤٢ - ١٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٥ - ٧.

(٢) ساوه : مدينة بين الرى وهمذان . معجم البلدان ٣/ ٢٤.

(٣) فى م : «قاسان» . ذكر ياقوت البلدين قاسان وقاشان ، وأن قاشان مدينة قرب أصبهان ،وأنها تُذكر مع قم . انظر معجم البلدان ٤/ ١٣، ١٥.

(٤) فى م : «فكسروهم» .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) سقط من : الأصل .

مَمْلكةِ أصْفَهانَ وهَمَذانَ .

وفيها اسْتَعاد الملكُ الأشْرَفُ مدينةَ خِلاطَ مِن أخيه شِهابِ الدينِ غازى ، وكان قد جعَلها إليه مع جميعِ بلادِ أرْمِينِيَةَ ومَيَّافارِقِينَ وحانى[1] وجبلِ جُورَ[2] ، وجعَله ولىَّ عهدِه مِن بعدِه ، فلمَّا عصَى عليه وتَشَعَّبَ[3] دِماغُه بما[4] كتَب إليه المُعَظَّمُ مِن تَحْسينِه له مُخالفتَه ، فرِكب إليه وحاصَره بخِلاطَ ، فسُلِّمَتْ إليه ، وامْتَنع أخوه فى القلعةِ ، فلما كان الليلُ نزَل إلى أخيه مُعْتَذِرًا ، فقبِل عُذْرَه ولم يُعاقِبْه ، بل أقَرَّه على مَيَّافارِقِينَ وحدَها ، وكان صاحبُ إِرْبِلَ والمُعَظَّمُ مُتَّفِقَيْن مع الشِّهابِ غازى على الأشْرفِ ، فكتَب الكاملُ إلى أخيه المُعَظَّمِ يَتَهَدَّدُه ، لئن ساعَد على الأشرفِ (٥لَيَأْخُذَنَّ بلادَه٥) ، وكان بدرُ الدينِ لُؤْلُؤٌ صاحبُ الموصلِ مع الأشرفِ ، فرِكب إليه صاحبُ إِرْبِلَ ، فحاصَره بسببِ قلةِ جُنْدِه ؛ لأنه أرْسَلَهم إلى الأشرفِ حينَ نازَل خِلاطَ ، فلمَّا انْفَصَلَت الأمورُ على ما ذَكَرْنا ندِم صاحبُ إِرْبِلَ والمُعَظَّمُ بدمشقَ أيضًا .

وفيها أرْسَل المُعَظَّمُ ولدَه الناصرَ داودَ إلى صاحبِ إِرْبِلَ تَقْوِيةً[6] على مُخالفةِ الأشْرفِ ، وأرْسَل صُوفيًّا مِن السُّمَيْساطِيَّةِ[7] يقالُ له : الملقُ . إلى جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه - وكان قد أخَذ أَذْرَبِيجانَ فى هذه السنةِ ، وقوِى جَأْشُه - يَتَّفِقُ معه

---

(١) فى الأصل، م: « جاى ». والمثبت من الكامل. وانظر معجم البلدان ٢/ ١٨٨.

(٢) فى الأصل، م: « حور ». والمثبت من الكامل، وانظر معجم البلدان ٢/ ١٤٦.

(٣) فى م: « تشغب ».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥ - ٥) فى م: « ليأخذنه وبلاده ».

(٦) الذى فى مرآة الزمان والذيل على الروضتين وتاريخ الإسلام أن المعظم بعث ولده داود إلى صاحب إربل رهينةً.

(٧) فى م: « الشميساطية ».

على أخيه الأشرفِ ، فوعَدَه النصرَ والرِّفادةَ .

وفيها قدِم الملكُ المسعودُ أَقْسِيسُ[1] صاحبُ اليمنِ على أبيه الكاملِ بالديارِ المصريةِ ، ومعه شيءٌ كثيرٌ مِن الهَدايا والتُّحَفِ ، مِن ذلك مائتا خادمٍ وثلاثةُ أفْيِلَةٍ هائلةٍ ، وأحْمالُ عُودٍ ونَدٍّ ومِسْكٍ وعَنْبَرٍ ، وخرَج أبوه الكاملُ لتَلَقِّيه ، ومِن نِيَّةِ أَقْسِيسَ أن يَنْتَزِعَ الشامَ مِن يدِ عمِّه المُعَظَّمِ .

وفيها كمَل عِمارةُ دارِ الحديثِ الكامليةِ بمصرَ ، وولِى مشيختَها الحافظُ أبو الخَطَّابِ بنُ دِحيةَ الكَلْبيُّ ، وكان مِكْثارًا ، كثيرَ الفنونِ ، وعندَه فَوائدُ وعَجائبُ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ القادسيُّ[2] **الضَّريرُ الحَنْبليُّ** ، والدُ صاحبِ « الذيْلِ على تاريخِ ابنِ الجَوْزيِّ » ، وكان القادسيُّ هذا يُلازِمُ حُضورَ مجلسِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزيِّ ويُزْهِرُه ؛ لما يَسْمَعُه مِن الغَرائبِ ، ويقولُ : واللَّهِ إن ذا مَليحٌ . [١٠/٩٨ظ] فاسْتَقْرَض منه الشيخُ مرةً عشَرةَ دَنانيرَ ، فلم يُعْطِه ، وصار يَحْضُرُ ولا يَتَكَلَّمُ ، فقال الشيخُ مرةً : هذا القادسيُّ لا يُقْرِضُنا شيئًا ، ولا يقولُ : واللَّهِ إن ذا مَليحٌ . رحِمهم اللَّهُ تعالى ، وقد طُلِب القادسيُّ مرَّةً إلى دارِ المُسْتَضِيءِ ليُصَلِّىَ بالخليفةِ التَّراويحَ ، فقيل له والخليفةُ يَسْمَعُ : ما مَذْهَبُك ؟ فقال : حَنبليٌّ . فقيل[3] له : لا تُصَلِّ بدارِ الخِلافةِ وأنت حَنْبليٌّ . فقال : أنا حَنْبليٌّ ، ولا أُصَلِّى

---

(١) فى الذيل على الروضتين : « أطسيس » . ولم يتعرض لذكره فى الكامل .
(٢) هنا وفيما يأتى : فى الأصل : « الفارسى » . وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ١٤٣، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٥٤ .
(٣) فى م : « فقال » .

بكم . فقال الخليفةُ : اتْرُكوه ، لا يُصَلِّي بنا إلَّا هو . (١فصلَّى بهم١) .

أبو الكَرَمِ المُظَفَّرُ بنُ المُبارَكِ بنِ أحمدَ (٢بنِ محمدٍ٢) البَغْداديُّ الحَنَفيُّ ، شيخُ مَشْهدِ أبي حَنيفةَ وغيرِه ، ولِيَ الحِسْبةَ بالجانبِ الغربيِّ مِن بغدادَ ، وكان فاضلًا دَيِّنًا[٣] شاعرًا ، ومِن شعرِه قولُه :

فصُنْ بجَميلِ الصبرِ نفسَك واغْتَنِمْ ... شريفَ المَزايا لا يَفُتْك ثوابُها

تَعِشْ[٤] سالمًا والقولُ فيك مُهَذَّبٌ ... كريمًا وقد هانت عليك صِعابُها

وتَنْدَرِجُ الأيامُ والكلُّ ذاهبٌ ... يَمُرُّ[٥] ويَفْنَى عَذْبُها وعَذابُها

وما الدهرُ إلا مَرُّ يومٍ وليلةٍ ... وما العمرُ إلَّا طَيُّها وذَهابُها

وما الحَزْمُ إلَّا (٦في إخاءِ٦) عَزيمةٍ ... فنَيْلُ[٧] المعالي صَفْوُها ولُبابُها

ودَعْ عنك إلمامَ[٨] الأماني فإنه ... سيُسْفِرُ يومًا غيُّها وصَوابُها

محمدُ بنُ أبي الفرجِ (٩بنِ مَعالي٩) بنِ بَرَكَةَ ، الشيخُ فخرُ الدينِ أبو المَعالي

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته في : التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٧٩، والجواهر المضية ٣/ ٤٨٨.

(٣) في الأصل : « أديبا » .

(٤) في م : « وعش » .

(٥) في م : « قليل » .

(٦ - ٦) في الأصل : « ادخار » .

(٧) في م : « وفيك » .

(٨) في م : « أحلام » .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر الترجمة : المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٩٦، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٩٠، وفيه : « ابن أبي المعالي » ، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٧٨، والوافي بالوفيات ٤/ ٣١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ١١٤.

المَوْصلىُّ ، قدِم بغدادَ ، واشْتَغل بالنِّظاميةِ ، وأعاد بها ، وكانت له مَعْرفةٌ بالقِراءاتِ ، وصنَّف كتابًا فى مَخارجِ الحُروفِ ، وأسْنَد الحديثَ ، وله شعرٌ لَطيفٌ .

أبو بكرِ بنُ حلبةَ المَوَازِينىُّ البغدادىُّ[(1)] ، كان فَرْدًا فى علمِ الهَنْدسةِ وصناعةِ المَوازِينِ ، يَخْتَرِعُ أشياءَ غريبةً[(2)] عَجيبةً ، مِن ذلك أنه ثقَب حَبَّةَ خَشْخاشٍ سبعةَ ثُقوبٍ ، وجعَل فى كلِّ ثَقْبٍ شَعرةً ، وكانت له حُظْوةٌ عندَ الدولةِ .

أحمدُ بنُ جعفرِ (3)بنِ أحمدَ(3) بنِ محمدٍ ، أبو العباسِ الدُّبَيْثىُّ[(4)] **البَيِّعُ الواسطىُّ** ، شيخٌ أديبٌ فاضلٌ ، له نَظْمٌ ونَثْرٌ ، عارفٌ بالأخبارِ والسِّيَرِ ، وعندَه كتبٌ جيدةٌ كثيرةٌ ، وله شرحُ قَصيدةٍ لأبى العَلاءِ المَعَرِّىِّ فى ثلاثِ مُجَلَّداتٍ ، وقد أوْرَد له ابنُ الساعى شعرًا حسنًا فَصيحًا حُلْوًا ، لذيذًا فى السمعِ ، لَطيفًا فى القلبِ .

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) زيادة من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٧٩، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٨٣، وفوات الوفيات ١/ ٦٢، وفيه وفى الوافى أنه توفى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وهى سنة ميلاده فى التكملة .

(٤) فى الأصل : « الزينبى »، وفى م : « الدبيبى » . والمثبت من مصادر ترجمته .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وستمائة

فيها[1] عاثت الخُوارَزْمية حينَ قدِموا مع جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه مِن بلادِ غَزْنةَ مَقْهورِين مِن التَّتارِ إلى بلادِ خُوزِسْتانَ ونَواحى العراقِ، فأفْسَدوا فيه، وحاصَروا مُدنَه، ونَهَبوا قُراه.

وفيها اسْتَحْوَذ جَلالُ الدينِ بنُ خُوارَزْم شاه على بلادِ أَذْرَبِيجانَ وكثيرٍ مِن بلادِ الكُرْجِ، وكَسَرَ الكُرْجَ، وهم فى سبعين ألفَ مُقاتِلٍ، فقتَل منهم عشرين ألفًا مِن المُقاتلةِ، واسْتَفْحل أمرُه جدًّا، وعظُم شأنُه، وفتَح تَفْلِيسَ، فقتَل منها ثلاثين ألفًا. وزعَم أبو شامةَ[2] أنه قتَل مِن الكُرْجِ سبعين ألفًا فى المعركةِ، وقتَل مِن تَفْلِيسَ تَمامَ المائةِ ألفٍ، وقد اشْتَغَل بهذه الغزوةِ عن قصدِ بَغدادَ، وذلك أنه لما حاصَر دَقوقَا (٣سبَّه أهلُها٣)، ففتَحها قَهْرًا، وقتَل مِن أهلِها خلقًا كثيرًا، وخرَّب سورَها، وعزَم على قصدِ [١٠/١٠و] الخَليفةِ ببغدادَ؛ لأنه فيما زعَم عَمِل على أبيه حتى هلَك، واسْتَوْلَت التَّترُ على البلادِ، وكتَب إلى المُعَظَّمِ بنِ العادلِ يَسْتَدْعِيه لقتالِ الخليفةِ، ويُحرِّضُه على ذلك، فامْتَنَع المُعَظَّمُ مِن ذلك، ولما علِم الخَليفةُ بقصدِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه بغدادَ انْزَعَج لذلك، وحصَّن بغدادَ، واسْتَخْدَم

---

(١) الكامل ٤٢٥/١٢ - ٤٤٩، ومرآة الزمان ٦٣٤/٨ - ٦٣٩ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٤٤ - ١٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨ - ١٢.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٤٤. وفيه أنه قَتل فى فتح تفليس سبعين ألفا. وهو خطأ، والصواب ثلاثون ألفًا. كما فى مرآة الزمان.

(٣ - ٣) فى الأصل: «سنة».

الجُيوشَ والأجْنادَ ، وأنْفَق فى الناسِ ألفَ ألفِ دينارٍ ، وكان جَلالُ الدينِ قد بعَث جيشًا إلى الكُرْجِ ، فكَتَبوا[1] إليه أن أدْرِكْنا قبلَ أن نَهْلِكَ عن آخرِنا ، وبغدادُ ما تَفوتُ . فسار إليهم وكان مِن أمرِه ما ذَكَرْناه .

وفيها كان غَلاءٌ شديدٌ بالعراقِ والشامِ بسببِ[2] قلةِ الأمطارِ وانْتِشارِ الجَرادِ ، ثم أعْقَب ذلك فَناءٌ كثيرٌ بالعراقِ والشامِ أيضًا ، مات بسببِه خلقٌ كثيرٌ فى البُلْدانِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفاةُ الخليفةِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ وخلافةُ ابنِه الظاهرِ[3]

لما كان يومُ الأحدِ آخرُ يومٍ مِن شهرِ رمضانَ المُعَظَّمِ مِن هذه السنةِ تُوُفِّى الخليفةُ الناصرُ لدينِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ المُسْتَضِىءِ بأمرِ اللَّهِ (٤أبى محمدٍ الحسنِ بنِ المستَنْجِدِ باللَّهِ٤) أبى المُظَفَّرِ يوسُفَ بنِ المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ (٥أبى العباسِ٥) أحمدَ بنِ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ أبى القاسمِ

---

(١) فى الأصل : « فبعثوا » .
(٢) لم نجد سبب الغلاء فيما بين أيدينا من مصادر .
(٣) الكامل ١٢/ ٤٣٨ - ٤٤٤، وانظر ترجمة الناصر فى :المختصر المحتاج إليه ١٥/ ١٠٢، ومرآة الزمان ٨/ ٦٣٥ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٤٠، والذيل على الروضتين ص ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨٣، والوافى بالوفيات ٦/ ٣١٠.
(٤ - ٤) سقط من : الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته ، ومما سيأتى صفحة ٢٦٣ .
(٥ - ٥) فى م : « أبى عبد اللَّه » .

عبدِ اللَّهِ بنِ الذخيرةِ (١ محمدِ بنِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ أبى جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ القادرِ باللَّهِ أبى العباسِ ١) أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ أبى الفضلِ جعفرِ بنِ المُعْتَضِدِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ المُوَفَّقِ أبى أحمدَ محمدِ بنِ المتوكِّلِ على اللَّهِ جعفرِ بن المعتصمِ باللَّهِ أبى إسحاقَ محمدِ بنِ هارونَ الرشيدِ بنِ المَهْدىِّ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ أبى جعفرٍ المَنْصورِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ الهاشمىُّ العباسىُّ ، أميرُ المؤمنين ، وُلِد ببغدادَ عاشرَ رَجبٍ سنةَ ثلاثٍ وخمسين وخمسِمائةٍ ، وبُويِع له بالخِلافةِ بعدَ موتِ أبيه سنةَ خمسٍ وسبعين ، وتُوُفِّى فى هذه السنةِ وله مِن العمرِ تسعٌ وستون سنةً وشهران وعشرون يومًا ، وكانت مدةُ خِلافتِه سبعًا وأربعين سنةً إلا شهرًا ، ولم يَقُمْ أحدٌ مِن الخلفاءِ العباسيين فى الخِلافةِ هذه المدةَ الطويلةَ ، ولم تَطُلْ مدةُ أحدٍ مِن الخُلفاءِ مُطْلقًا أكثرَ مِن المُسْتَنْصِرِ العُبَيدىِّ ، أقام بمصرَ حاكمًا بها ستين سنةً ، وقد انْتَظَم فى نسبِه أربعةَ عشَرَ خليفةً وولىَّ عهدٍ على ما رأيْتَ ، وبقيةُ الخُلفاءِ العباسِيِّين كلُّهم مِن أعمامِه وبنى عمِّه ، وكان مرضُه قد طال به ، وجُمهورُه مِن عَسارِ البولِ ، مع أنه قد كان يُجْلَبُ له الماءُ مِن مَراحلَ عن بغدادَ لِيَكونَ أصْفَى ، وشُقَّ ذَكَرُه مراتٍ بسببِ ذلك ، ولم يُغْنِ عنه هذا الحَذَرُ[٢] شيئًا ، وكان الذى ولِى غَسْلَه مُحْيِى الدينِ يوسفُ بنُ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ ، وصُلِّى عليه ودُفِن فى دارِ الخِلافةِ ، ثم نُقِل إلى التُّرَبِ مِن الرُّصافةِ فى ثانى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وكان يومًا مَشْهودًا .

قال ابنُ الساعى : أما سِيرتُه فقد تقَدَّمَت فى الحَوادثِ . وأما ابنُ الأثيرِ فى

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) فى الأصل : « الحدث »

« كامِله » فإنه قال[1] : وبقى الناصرُ لدينِ اللَّهِ ثلاثَ سنين عاطلًا عن الحركةِ بالكُليةِ ، وقد ذهَبَت إحدى عينيه ، والأخرى يُبْصِرُ بها إبْصارًا ضَعيفًا ، وآخِرُ الأمْرِ أصابه دوسنطارية عشرين يومًا ومات ، ووزَر له عِدَّةُ وُزراءَ ، وقد تقَدَّم ذكرُهم ، ولم يُطْلِقْ فى أيامِ مرضِه ما كان أحْدَثَه[2] مِن الرسومِ الجائرةِ ، وكان قَبيحَ السِّيرةِ فى رَعيتِه ظالمًا لهم ، فخُرِّب فى أيامِه العراقُ ، وتفرَّق أهلُه فى البلادِ ، وأخَذ أموالَهم وأمْلاكَهم ، وكان يَفْعَلُ الشىءَ وضدَّه ؛ فمِن ذلك أنه عمِل دُورَ الإفْطارِ فى رمضانَ ودُورًا لضِيافةِ الحُجَّاجِ ، ثم أبْطَل ذلك ، وكان قد أسْقَط [١٠/١٠ظ] مُكوسًا ثم أعادها ، وجعَل جُلَّ همِّه فى رَمْىِ البُنْدُقِ ، والطُّيورِ المَناسِيبِ ، وسَراوِيلاتِ الفُتُوَّةِ .

قال ابنُ الأثيرِ[3] : وإن كان ما يَنْسِبُه العَجَمُ إليه صحيحًا مِن أنه هو الذى أطْمَع التَّتارَ فى البلادِ وراسَلَهم ، فهو الطامَّةُ الكبرى التى يَصْغُرُ عندَها كلُّ ذنبٍ عظيمٍ .

قلتُ : وقد ذُكِر عنه أشْياءُ غَريبةٌ ؛ مِن ذلك أنه كان يَقولُ للرسلِ الوافِدين عليه : فعَلْتُم فى مكانِ كذا كذا وكذا ، وفى الموضع الفُلانىِّ كذا . حتى ظَنَّ بعضُ الناسِ أو أكثرُهم أنه كان يُكاشَفُ ، أو أن جِنِّيًّا يَأْتِيه بذلك[4] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٤٠.

(٢) فى الأصل : « أخذه » .

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٤٤٠.

(٤) رجح هذا الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٥/ ١٩٦، ١٩٧.

خلافةُ الظاهرِ بنِ الناصرِ[1]

لما تُوُفِّى الخَليفةُ الناصرُ لدينِ اللَّهِ كان قد عهِد إلى ابنِه أبى نصرٍ محمدٍ هذا، ولقَّبه بالظاهرِ، وخُطِب له على المَنابرِ، ثم عزَله عن ذلك بأخيه علىٍّ، فتُوُفِّى فى حياةِ أبيه سنةَ ثنتَىْ عشْرةَ، فاحْتاج إلى إعادةِ هذا إلى وِلايةِ العهدِ، فخُطِب له ثانيًا، فحينَ تُوُفِّى أبوه بُويِع له بالخِلافةِ، وعمرُه يومَئذٍ ثنتان وخمسون سنةً، فلم يَلِ الخلافةَ أحدٌ مِن بنى العباسِ أسَنُّ منه، وكان عاقلًا وَقورًا دَيِّنًا عادلًا مُحْسِنًا، ردَّ مَظالمَ كثيرةً، وأسْقَط مُكوسًا كان قد أحْدَثها أبوه، وسار فى الناسِ سِيرةً حَسنةً، حتى قيل: إنه لم يَكُنْ بعدَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أعْدَلُ منه لو طالَت مدتُه. لكنه لم يَحُلْ عليه الحَوْلُ، بل كانت مدتُه تسعةَ أشهرٍ، أسْقَط الخَراجَ الماضىَ عن الأراضى التى قد تعَطَّلَت، ووضَع عن أهلِ بلدةٍ واحدةٍ - وهى بعْقوبا - سبعين ألفَ دينارٍ كان أبوه قد زادَها عليهم فى الخَراجِ، وكانت صَنْجَةُ المَخْزَنِ تَزِيدُ على صَنْجَةِ البلدِ نصفَ دينارٍ فى كلِّ مائةٍ إذا قبَضوا، وإذا أَقْبَضوا دفَعوا بصَنْجةِ البلدِ، فكتَب إلى الدِّيوانِ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١: ٦] فكتَب إليه بعضُ الكُتَّابِ يقولُ: يا أميرَ المؤمنين، إن تَفاوُتَ هذا عن العامِ الماضى خمسةٌ وثلاثون ألفًا. فأرْسَل يُنْكِرُ عليه ويقولُ: هذا يُتْرَكُ وإن كان تَفاوُتُه ثلاثَمائةِ ألفِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٤١، ومرآة الزمان ٨/ ٦٣٦ (القسم الثانى)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١.

وخمسين ألفًا . رحِمه اللَّهُ تعالى .

وأمَر القاضىَ أن كلَّ مَن ثبَت له حقٌّ بطريقٍ شرعىٍّ يُوصَلُ إليه بلا مُراجَعةٍ ، وأقام فى النَّظَرِ على الأموالِ الحشريةِ[1] رجلًا صالحًا ، واسْتَخْلَص على القَضاءِ الشيخَ العَلَّامةَ عِمادَ الدينِ أبا صالحٍ نصرَ بنَ عبدِ الرَّزَّاقِ بنِ الشيخِ عبدِ القادرِ الجيلىِّ ، الحنبلىَّ ، فى يومِ الأربعاءِ ثامنِ ذى الحِجَّةِ ، وكان مِن خِيارِ المسلمين ومِن خيارِ القُضاةِ العادِلين ، رحِمهم اللَّهُ أجمعين . ولما عُرِض عليه القَضاءُ لم يَقْبَلْه إلا بشرطِ أن يُوَرِّثَ ذَوِى الأرْحامِ ، فقال : أعْطِ كلَّ ذى حَقٍّ حقَّه ، واتَّقِ اللَّهَ ولا تَتَّقِ سِواه . وكان مِن عادةِ أبيه أن يَرْفَعَ إليه حُرَّاسُ الدُّروبِ فى كلِّ صَباحٍ بما كان عندَهم فى المَحالِّ مِن الاجْتماعاتِ الصالحةِ والطالحةِ ، فلما ولِى الظاهرُ أمَر بتَبْطيلِ ذلك كلِّه وقال : أىُّ فائدةٍ فى كشفِ أحْوالِ الناسِ وهَتْكِ أسْتارِهم ؟! فقيل له : إن ترْكَ ذلك يُفْسِدُ الرَّعيةَ . فقال : نحن [١٠/١١و] نَدْعُو اللَّهَ لهم أن يُصْلِحَهم . وأطْلَق مَن كان فى السجونِ مُعْتَقَلًا على الأموالِ الدِّيوانيةِ ، وردَّ عليهم ما كان اسْتُخْرِج منهم قبلَ ذلك مِن المَظالمِ ، وأرْسَل إلى القاضى بعشَرةِ آلافِ دينارٍ يُوَفِّى بها دُيونَ مَن فى سجونِه مِن المَدِينين الذين لا يَجِدون وَفاءً . وفرَّق فى العُلماءِ بقيةَ المائةِ ألفٍ[2] ، وقد لامَه بعضُ الناسِ فى هذه التَّصَرُّفاتِ فقال : إنما فتَحْتُ الدُّكانَ بعدَ العصرِ ، فذَرُونى أَعْمَلْ صالحًا وأَفْعَلِ الخيرَ ، فكم مِقْدارُ ما بَقِيتُ أَعِيشُ ؟ ولم تَزَلْ هذه سِيرتَه حتى تُوُفِّى فى العامِ الآتى كما سيَأْتى . ورَخُصَت الأسْعارُ فى أيامِه ، وقد كانت قبلَ ذلك فى غايةِ الشدَّةِ والغَلاءِ ، حتى إنه فيما حكَى ابنُ

---

(١) فى م : « الجردة » . وانظر ما تقدم فى ١٥/ ٢٨٧.

(٢) ذلك أنه تصدق وأنفق فى ليلة الفطر أو النحر - على خلاف ما فى الكامل والسير - مائة ألف دينار على العلماء وأهل الدين . انظر الكامل ١٢/٤٤٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٦٥.

الأثيرِ[1] - أُكِلَت الكِلابُ والسَّنانِيرُ والمَيْتَاتُ ببلادِ الجَزيرةِ والموصلِ ، فزال ذلك فى أيامِه ، وللَّهِ الحمدُ ، وكان هذا الخَليفةُ الظاهرُ حسَنَ الشكلِ ، مَليحَ الوجهِ ، أبْيضَ مُشْرَبًا حُمْرةً ، حُلْوَ الشَّمائلِ ، شَديدَ القُوَى .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أبو الحسنِ عليٌّ - الملقبُ بالملكِ الأفضلِ - نورُ الدين بنُ السلطانِ صَلاحِ الدينِ يوسُفَ بنِ أيوبَ[2] ، كان ولىَّ عهدِ أبيه ، وقد ملَك دمشقَ بعدَه مدةَ سنتين ، ثم أخَذَها منه عمُّه العادلُ ، ثم كاد أن يَمْلِكَ الديارَ المصريةَ بعدَ أخيه العَزيزِ عثمانَ ، فأخَذَها منه أيضًا عمُّه العادلُ أبو بكرٍ ، ثم اقْتَصرَ على صَرْخَدَ ، فأخَذها منه عمُّه العادلُ ، ثم آلَ به الحالُ أن ملَك سُمَيْساطَ ، وبها تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وكان فاضلًا شاعرًا ، جيدَ الكِتابةِ ، ونُقِل إلى مدينةِ حلَبَ فدُفِن بظاهرِها ، رحمه اللَّهُ تعالى . وقد ذكَر ابنُ خَلِّكانَ[3] أنه كتَب إلى الخليفةِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ يَشْكو إليه عمَّه أبا بكرٍ وأخاه عثمانَ ، وكان الناصرُ شِيعيًّا مثلَه فقال :

مولاىَ إن أبا بكرٍ وصاحِبَه ... عثمانَ قد غصَبا بالسيفِ حقَّ علِى
وهْو الذى كان قد ولَّاه والدُه ... عليهما فاسْتقام الأمرُ حينَ وَلِى
فخالَفاه وحَلَّا عَقدَ بَيْعتِه ... والأمْرُ بينَهما والنصُّ فيه جَلِى
فانْظُرْ إلى حظِّ هذا الإسمِ كيف لَقِى ... مِن الأواخِرِ ما لاقَى مِن الأُوَلِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٤٧.

(٢) الكامل ١٢/ ٤٢٨، ومرآة الزمان ٨/٦٣٧ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٠٨، والذيل على الروضتين ص ١٤٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤١٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٢٣.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤٢٠.

الأميرُ سيفُ الدينِ عليُّ بنُ الأميرِ عَلَمِ الدينِ بنِ سليمانَ بنِ جَنْدَرٍ[1] ، وكان مِن أكابرِ الأمراءِ بحلَبَ ، وله الصَّدَقاتُ الكثيرةُ ، ووقَف بها مدرستَيْن ؛ إحداهما على الشافعيةِ ، والأخرى على الحنَفيةِ ، وبنَى الخاناتِ والقَناطرَ وغيرَ ذلك مِن سُبُلِ الخَيْراتِ والغَزَواتِ ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ عليٌّ الكُرْديُّ المُوَلَّهُ[2] المقيمُ بظاهرِ بابِ الجابيةِ . قال الشيخُ أبو شامةَ[3] : وقد اختَلفوا فيه ؛ فبعضُ الدَّماشِقةِ يَزْعُمُ أنه كان صاحبَ كَراماتٍ ، وأنْكَر ذلك آخرون وقالوا : ما رآه أحدٌ يُصَلِّى (٤ولا يَصومُ٤) ولا لبس مَداسًا ، بل كان يَدوسُ النَّجاساتِ ، (٥ويَدْخُلُ المسجدَ على حالِه٥) . وقال آخرون : كان له تابعٌ مِن الجِنِّ يَتَحَدَّثُ على لسانِه .

وحكَى السِّبْطُ[6] عن امرأةٍ قالت : جاء خبرٌ عن أمى باللَّاذِقِيَّةِ أنها ماتت ، وقال لى بعضُهم : إنها لم تَمُتْ . قالت : فمَررتُ به وهو قاعدٌ عندَ المَقابرِ ، فوقَفْتُ عندَه ، فرفَع رأسَه وقال : ماتت ماتت ، أيْشٍ تَعْمَلين ؟ فكان كما قال .

قال : وحكَى لى عبدُ اللَّهِ صاحبى قال : جئتُ[7] يومًا وما كان معى شىءٌ ،

---

(١) فى الأصل : « حيدر » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/ ٦٣٧، (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٤٥. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١٩.

(٢) مرآة الزمان ٦٣٨/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٢٦.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٤٦.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) فى الأصل : « ويبول على ثيابه » وانظر الذيل على الروضتين ص ١٤٦.

(٦) مرآة الزمان ٦٣٨/٨ (القسم الثانى) .

(٧) فى م : « صبحت » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٤٦.

فاجْتَزْتُ به ، فدفَع إلىَّ نصفَ درهمٍ وقال : يَكْفِى هذا للخبزِ والعَنبريسِ[(1)] .

قال : ودخَل يومًا على الخَطيبِ جَمالِ[(2)] الدينِ الدَّوْلَعِىِّ فقال له : يا شيخُ علىُّ ، قد أكَلْتُ اليومَ كُسَيْراتٍ يابسةً ، وشرِبْتُ عليها الماءَ ، فكفَتْنى . فقال له الشيخُ [١٠/١١ظ] علىٌّ الكُرْدىُّ : وما تَطْلُبُ نفسُك شيئًا آخرَ غيرَ هذا ؟ قال : لا . فقال : يا مِسْكينُ ، مَن يَقْنَعْ بكِسْرةٍ يابسةٍ يَحْبِسْ نفسَه فى هذه المَقْصورةِ[(3)] ، ولا يَقْضِى ما فرَضَه اللَّهُ عليه مِن الحجِّ !

الفَخْرُ ابنُ تَيْمِيَّةَ محمدُ بنُ أبى القاسمِ بنِ محمدٍ ، الشيخُ فخرُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ بنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانىُّ[(4)] ، عالِمُها (٥ ومُفْتِيها ٥) وخَطيبُها وواعِظُها ، اشْتَغَل على مذهبِ الإمامِ أحمدَ ، وبرَع فيه وبرَز وحصَّل ، وجمَع تَفْسيرًا حافلًا فى مُجَلَّداتٍ كثيرةٍ ، وله الخُطَبُ المَشهورةُ المَنسوبةُ إليه ، وهو عمُّ الشيخِ مَجْدِ الدينِ صاحبِ « المُنْتَقَى » فى الأحْكامِ ، قال أبو المُظَفَّرِ سِبْطُ ابنِ الجَوْزِىِّ[(6)] : سمِعْتُه يومَ جمعةٍ بعدَ الصلاةِ وهو يَعِظُ الناسَ يُنْشِدُ :

أحْبابَنا قد نذَرَتْ مُقْلتى ... ما تَلْتَقِى بالنومِ أو[(7)] نَلْتَقِى
رِفْقًا بقلبٍ مُغْرَمٍ واعْطِفوا ... على سِقامِ الجسدِ المُحْرَقِ

---

(١) فى م : « الفت بدبس » ، وفى الذيل على الروضتين : « السعتربس » . والمثبت موافق لما فى مرآة الزمان .
(٢) فى الأصل : « كمال » .
(٣) بعده فى الأصل : « ويحصر نفسه هذا الحصر » .
(٤) التكملة لوفيات النقلة ٥/٢٠٦، والذيل على الروضتين ص ١٤٦، ووفيات الأعيان ٤/٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣٣.
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦) الذيل على الروضتين ص ١٤٦.
(٧) فى الأصل : « إذ » .

كم تَمْطُلونى بليالى اللِّقا قد ذهَب العمرُ ولم نَلْتَقِ

وقد ذكَرْنا أنه قدِم بغدادَ حاجًّا بعدَ وفاةِ شيخِه أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ، ووعَظ بها فى مكانِ شيخِه[1].

الوزيرُ ابنُ شُكْرٍ، صَفِىُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ عبدِ الخالقِ ابنِ شُكْرٍ[2]، وُلِد بالديارِ المصريةِ بدَمِيرةَ[3] بينَ مصرَ والإسْكَنْدَريةِ سنةَ أربعين وخمسِمائةٍ، ودُفِن بتربتِه عندَ مدرستِه بمصرَ، وقد وزَر للملكِ العادلِ، وعمِل أشْياءَ[4] فى أيامِه، منها تَبْليطُ جامعِ دمشقَ، وأحاط سُورَ المُصَلَّى عليه، وعمِل الفَوَّارةَ ومسجدَها وعِمارةَ جامعِ المِزَّةِ، وقد نُكِب وعُزِل سنةَ خمسَ عشْرةَ وستِّمائةٍ، وبقِى مَعْزولًا إلى هذه السنةِ، وكانت فيها وفاتُه، وقد كان مَشْكورَ السِّيرةِ، ومنهم مَن يقولُ: كان ظالمًا. فاللَّهُ أعلمُ.

أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ المُظَفَّرِ بنِ إبراهيمَ بنِ علىٍّ، المَعْروفُ بابنِ البَرْنىِّ، الواعظُ البغدادىُّ[5]، أخَذ الفَنَّ عن شيخِه أبى الفرجِ بنِ الجَوْزىِّ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ، ومِن شعرِه قولُه فى الزهدِ:

---

(١) فى م: «وعظه».

(٢) مرآة الزمان ٦٧٧/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٣٤، والذيل على الروضتين ص ١٤٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠٩، والوافى بالوفيات ٣٢٧/١٧.

(٣) دميرة: قرية كبيرة بمصر قرب دمياط، وهما دميرتان إحداهما تقابل الأخرى على شاطىء النيل فى طريق من يريد دمياط. ومصر: الفسطاط. معجم البلدان ٢/ ٦٠٢، ٣/ ٨٩٦.

(٤) فى الأصل: «أنشاء».

(٥) تاريخ إربل ١/ ١٥٥، وتكملة الإكمال لابن نقطة ١/ ٣٧٦، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٩، والوافى بالوفيات ١٤٧/٦، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٤٩.

ما هذه الدنيا بدارِ مَسَرَّةٍ … فتخَوَّفى مَكْرًا لها وخِداعَا

بينا الفَتَى فيها يُسَرُّ بنفسِه … وبمالِه يَسْتَمْتِعُ اسْتِمْتاعَا

حتى سقَته مِن المَنِيَّةِ شَرْبةً … وحَمَته منه[1] بعدَ ذاك رَضاعَا

فغدا بما كسَبَت يداه رَهينةً … لا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَراه دِفاعَا

لو كان يَنْطِقُ قال مِن تحتِ الثَّرَى … فلْيُحْسِنِ العملَ الفتى ما اسطاعَا

البَهاءُ السِّنْجارىُّ، أبو السَّعاداتِ أَسْعَدُ بنُ يحيى[2] بنِ موسى، الفَقيهُ الشافعىُّ الشاعرُ، قال ابنُ خَلِّكانَ[3] : كان فقيهًا، وتكَلَّم فى الخِلافِ، إلا أنه غلَب عليه الشعرُ، فأجاد فيه، واشْتَهَر به، وخدَم به الملوكَ، وأخَذ منهم الجَوائزَ، وطاف البلادَ، وله دِيوانٌ بالتُّرْبةِ الأشْرَفيةِ بدمَشْقَ، ومِن رَقيقِ شعرِه ورائقِه قولُه :

وهَواكَ ما خطَر السُّلُوُّ ببالِه … ولأنتَ أعْلَمُ فى الغَرامِ بحالِه

ومتى وشَى واشٍ إليك بأنَّه … سالٍ هَواكَ فذاك مِن عُذَّالِه

أوليس للكَلِفِ المُعَنَّى شاهدٌ … مِن حالِه يُغْنِيك عن تَسْآلِه

جدَّدْتَ ثوبَ سَقامِه وهتَكْتَ سَتْـ … ـرَ غرامِه وصرَمْتَ حبلَ وِصالِه

وهى قصيدةٌ طويلةٌ امْتَدَح فيها قاضىَ القضاةِ كمالَ الدينِ الشَّهْرَزُورىَّ .

وله :

لـلَّـهِ أيَّـامـى عـلـى رامـةٍ … وطِيبُ أوْقاتى على حاجِرِ

---

(١) فى م : « فيه » .

(٢) فى النسخ « محمد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٤٠١، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٠٥، وبغية الطلب ٤/ ٧١، ووفيات الأعيان ١/ ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٢٩.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢١٤.

تَكادُ لِلشُّرعةِ فى مَرِّها أَوَّلُها يَعْثُرُ بالآخِرِ

وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن تسعين سنةً .

عثمانُ بنُ عيسى بنِ دِرْباسِ بنِ فَيْرِ[1] **بنِ جَهْمِ بنِ عُبْدُوسٍ الهذْبانىُّ الماَرَانىُّ ضِياءُ الدينِ**، أخو القاضى صَدْرِ الدينِ عبدِ الملكِ حاكمِ الديارِ [١٠/ ١٢و] المصريةِ فى الدولةِ الصَّلاحيةِ ، وضِياءُ الدينِ هذا هو شارحُ « المُهَذَّبِ » ، وصَل فيه إلى كتابِ الشَّهاداتِ فى نحوٍ مِن عشرين مُجَلَّدًا ، وشرَح « اللُّمَعَ » فى أصولِ الفقهِ و « التَّنْبيهَ » للشِّيرازىِّ ، وكان بارعًا عالمًا بالمذهبِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو الحسنِ علىُّ بنُ الحسنِ الرازىُّ ثم البغدادىُّ الواعظُ[2] ، عندَه فَضائلُ ، وله شعرٌ حسنٌ ، فمنه قولُه فى الزُّهدِ :

اسْتَعِدِّى يا نفسُ للموتِ واسْعَىْ لِنَجاةٍ فالحازمُ المُسْتَعِدُّ

قد تبَيَّنْتِ أنه ليس للحىِّ خُلودٌ ولا مِن الموتِ بُدُّ

إنما أنت مُسْتَعِيرةُ ما سو فَ تَرُدِّين والعَوارِى تُرَدُّ

أنتِ تَسْهِين والحوادثُ لا تَسْـ ـهو وتَلْهِين والمَنايا تَجِدُّ

---

(١) فى م : « قسر » . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٣٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٩٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٣٧، ومرآة الجنان ٤/ ٣.

وجاءت وفاته فى هذه المصادر سنة ثنتين وستمائة ، ولعل المصنف أراد أن يترجم لابنه إبراهيم بن عثمان ، فهو الذى توفى فى هذه السنة ، أى سنة ثنتين وعشرين وستمائة .

وانظر ترجمة ابنه فى : التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٤٧، وتاريخ إربل ١/ ٢١٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٨.

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

لا تُرَجّى البَقاءَ فى مَعْدِنِ المو ... تِ [(١]ودارٍ حُتُوفُها لك[١)] وِرْدُ

أىُّ مُلْكٍ فى الأرضِ أم أىُّ حظٍّ ... لامْرِئٍ حظُّه مِن الأرضِ لَحْدُ

كيف يَهْوَى امرُؤٌ لَذاذةَ أيّـ ... ـامٍ عليه الأنفاسُ فيها تُعَدُّ

أبو محمدٍ عبدُ اللّهِ بنُ أحمدَ بنِ [(٢]الزيتونىِّ البوازيجىِّ[٢)] ثم البغدادىُّ، شيخٌ فاضلٌ، له رِوايةٌ، ومما أنْشَدَه:

ضيَّقَ العذرَ فى الضراعةِ أنَّا ... لو قنِعْنا بقَسْمِنا لَكَفانا

ما لنا نَعْبُدُ العِبادَ إذا كا ... ن إلى اللّهِ فَقْرُنا وغِنانا

أبو الفضلِ عبدُ الرحيمِ بنُ [(٣]نصرِ اللّهِ[٣)] بنِ علىِّ بنِ منصورِ بنِ الكَيَّالِ الواسطىُّ، مِن بيتِ الفِقْهِ والقَضاءِ، وكان أحدَ المُعَدِّلين ببغدادَ، ومِن شعرِه:

فتَبًّا لدنيا لا يَدُومُ نَعيمُها ... تَسُرُّ يَسيرًا ثم تُبْدِى المَساوِيَا

تُرِيك جمالًا[(٤)] فى النِّقابِ وزُخْرُفًا ... وتُسْفِرُ عن شَوْهاءَ طَخْياءَ عامِيَا

ومِن ذلك قولُه:

إن كنتُ بعدَ الظاعنين[(٥)] تسامَحَتْ ... بالغمضِ[(٦)] أجفانى فما أجْفانى

أو كنتُ مِن بعدِ الأَحِبَّةِ ناظرًا ... حُسْنًا بإنسانى[(٧)] فما أنسانى

(١ - ١) فى م: «ولا أرضًا بها لك».

(٢ - ٢) فى الأصل «الرموى التواريجى»، وفى م: «الرسوى البواريجى». والمثبت من مصادر ترجمته؛ التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١٢، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٦٢.

(٣ - ٣) فى الأصل: «نصر». ولم نجد له ترجمة.

(٤) فى م: «رُواءً». والرواء: المنظر الحسن.

(٥) فى م: «الطاعنين».

(٦) فى م: «بالفحص».

(٧) الإنسان هنا: إنسان العين، وهو المِثال الذى يُرَى فى السواد. اللسان (أ ن س).

الـدهـرُ مـغـفـورٌ لـه زَلَّاتُـهُ إن حاد[1] أَوْطانى على أوطانى

أبو علىٍّ الحسنُ بنُ علىِّ بنِ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ عَمَّارِ بنِ فِهْرِ بنِ وقاحِ الياسِرىُّ[2] ، نسبةً إلى عمَّارِ بنِ ياسرٍ ، شيخٌ بغدادىٌّ فاضلٌ ، له مُصَنَّفاتٌ فى التفسيرِ والفَرائضِ ، وله خُطَبٌ ورَسائلُ وأشْعارٌ حسَنةٌ ، وكان مَقْبولَ الشَّهادةِ عندَ الحُكَّامِ .

أبو بكرٍ[3] **محمدُ بنُ يوسُفَ بنِ الطَّبَّاخِ الواسطىُّ البغدادىُّ الصوفىُّ** ، باشَر بعضَ الوِلاياتِ ببغدادَ ، ومما أنْشَدَه :

مـا وهَـب الـلَّـهُ لامْـرِئٍ هِـبَـةً أحْـسَـنَ مِـن عـقـلِـه ومِـن أدبِـهْ
هما[4] جمالُ الفتى فإن فُقِدا فـفَـقْـدُه لـلـحـيـاةِ أجْـمَـلُ بـهْ

ابنُ يونُسَ شارحُ « التَّنْبيهِ »[5] أبو الفضلِ أحمدُ بنُ الشيخِ العلّامةِ كمالِ الدينِ أبى الفتحِ موسى بنِ يونسَ بنِ محمدِ بنِ مَنَعَةَ بنِ مالكِ بنِ محمدِ بنِ سعدِ ابنِ سعيدِ بنِ عاصمِ بنِ عابدِ بنِ كعبِ بنِ قيسِ بنِ إبراهيمَ الإرْبِلىُّ الأصلِ ، ثم الموصلىُّ ، مِن بيتِ العلمِ بها والرِّياسةِ ، اشْتَغل على أبيه فى فُنونِه وعُلومِه ، فبرَع وتقَدَّم ودرَّس ، وشرَح كتابَ « التَّنْبيهِ » ، واخْتَصر « إحْياءَ علومِ الدينِ » للغَزَّالىِّ

---

(١) فى م : « عاد » .
(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠٤ ، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٦٨ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٦٥ .
(٣) بعده فى الأصل : « بن » . وانظر ترجمته فى تاريخ إربل ١/ ١٩٧ .
(٤) فى م : « نعما » .
(٥) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢١٧ ، ووفيات الأعيان ١/ ١٠٨ - وجاء نسبه تاما ، وفيه : « عائد » بدل « عابد » - وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٤ ، ومرآة الجنان ٤/ ٢٥٠ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٩ ، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥٧٢ .

مرتَيْن صغيرًا وكبيرًا ، وكان يُدَرِّسُ منه .

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : وقد ولِي بإِرْبِلَ مدرسةَ الملكِ المُظَفَّرِ بعدَ موتِ والدى فى سنةِ عشرٍ وستِّمائةٍ ، وكنتُ أَحْضُرُ عندَه وأنا صغيرٌ ، ولم أَرَ أحدًا يُدَرِّسُ مثلَه ، ثم صار إلى بلدِه سنةَ سبعَ عشْرةَ ، ومات فى يومِ الاثنين الرابعِ والعشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ عن سبعٍ وأربعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) وفيات الأعيان ١/١٠٨.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] الْتَقى الملكُ جَلالُ الدينِ بنُ خُوارَزْم شاه الخُوارَزْميُّ مع الكُرْجِ، فكسَرهم كَسْرةً عظيمةً، وصمَد إلى أكبرِ مُعاقَلَتِهم تَفْلِيسَ، ففتَحها عَنْوةً، وقتَل مَن فيها مِن الكَفَرَةِ، وسبَى ذَراريَّهم، [2]ولم يَتَعَرَّضْ لأحدٍ مِن المسلمين الذين كانوا بها[2]، واسْتَقَرَّ مُلْكُه عليها، وقد كان الكُرْجُ أخَذوها مِن المسلمين فى سنةِ خمسَ عشْرةَ وخمسِمائةٍ، وهى بأيديهم إلى الآنَ حتى اسْتَنْقَذها منهم جَلالُ الدينِ هذا، فكان فتحًا عظيمًا، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

وفيها سار إلى خِلاطَ ليَأْخُذَها مِن نائبِ الملكِ الأشْرفِ، فلم يتَمَكَّنْ مِن أخْذِها، وقاتَله أهلُها [١٠/١٢ظ] قِتالًا عظيمًا، فرجَع عنهم بسببِ اشْتِغالِه بعِصيانِ نائبِه بمدينةِ كَرْمانَ وخلافِه له، فسار إليه[3] وترَكهم.

وفيها اصْطَلَح الملكُ الأشْرَفُ مع أخيه المُعَظَّمِ، وسار إليه إلى دمشقَ، وقد كان المُعَظَّمُ مُمالِئًا عليه مع جَلالِ الدينِ وصاحبِ إِرْبِلَ وصاحبِ مارِدِينَ وصاحبِ الرومِ، وكان مع الأشرفِ أخوه الكاملُ وصاحبُ الموصلِ بدرُ الدينِ لُؤْلُؤٌ، ثم اسْتَمال أخاه المُعَظَّمَ إلى ناحيتِه فقَوَّى جانبَه.

---

(١) الكامل ١٢/٤٥٠ - ٤٦٨، ومرآة الزمان ٨/٦٢٩ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٤٧، ١٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣ - ١٩.

(٢ - ٢) فى الكامل ١٢/ ٤٥١: «ووصل إلى المسلمين الذين بها بعض الأذى من قتل ونهب وغيره».

(٣) فى م: «إليهم».

وفيها كان قتالٌ كبيرٌ بينَ بِرِنْسِ[1] أَنْطاكِيَةَ وبينَ الأَرْمَنِ، وجرَت خُطوبٌ كثيرةٌ بينَهم.

وفيها أَوْقَع الملكُ جَلالُ الدينِ بالتُّرْكمانِ الإيوانيةِ بأْسًا شديدًا، وكانوا يَقْطَعون الطريقَ على المسلمين.

وفيها قدِم مُحْيِى الدينِ يوسُفُ بنُ الشيخِ جَمالِ الدينِ بنِ الجَوْزِيِّ مِن بغدادَ فى الرَّسْليةِ إلى الملكِ المُعَظَّمِ بدمشقَ، ومعه الخِلَعُ والتَّشاريفُ لأولادِ العادلِ مِن الخليفةِ الظاهرِ بأمرِ اللَّهِ، ومَضْمونُ الرسالةِ نَهْيُه عن مُوالاةِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه، فإنه خارجيٌّ، (2)مِن عَزْمِه(2) قِتالُ الخليفةِ وأَخْذُ بغدادَ منهم، فأجابه إلى ذلك، ورَكِب القاضى مُحْيِى الدينِ بنُ الجَوْزِيِّ إلى الملكِ الكاملِ بالديارِ المصريةِ، وكان ذلك أولَ قُدومِه إلى الشامِ ومصرَ، وحصَل له جَوائزُ كثيرةٌ مِن الملوكِ، منها كان بناءُ المدرسةِ الجَوْزيةِ بالنَّشّابِين بدمشقَ.

وفيها ولِى تَدْريسَ الشِّبْليةِ بالسَّفْحِ شمسُ الدينِ يوسفُ[3] بنُ قِزْغْلى سِبْطُ ابنِ الجَوْزِيِّ بمرسومِ الملكِ المُعَظَّمِ، وحضَر عندَه أولَ يومٍ القُضاةُ والأَعْيانُ.

وفاةُ الخليفةِ الظاهرِ بأمرِ اللَّهِ[4] وخِلافةُ ابنِه المُسْتَنْصِرِ

كانت وفاةُ الخليفةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى، يومَ الجمعةِ ضُحَى الثالثَ عشَرَ مِن

---

(1) فى الأصل: «افريس»، وفى م: «إبرنش». والمثبت من الكامل ١٢/ ٤٦٤، وتاريخ الإسلام ص ١٥.

(٢ - ٢) فى الأصل: «حين عزم على».

(٣) فى م: «محمد».

(٤) الكامل ١٢/ ٤٥٦، ومرآة الزمان ٦٤٢/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٧٣، =

رجبٍ مِن هذه السنةِ ، أَعْنى سنةَ ثلاثٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، ولم يَعْلَمِ الناسُ بموتِه إلا بعدَ الصلاةِ ، فدعا له الخُطَباءُ يومَئذٍ على المنابرِ على عادتِهم ، وكانت خلافتُه تسعةَ أشهرٍ [(١)] وأربعةَ عشَرَ يومًا [(١)] ، وعمْرُه ثنتان وخمسون سنةً ، وكان مِن أجْوَدِ بنى العباسِ سِيرةً ، وأَحْسَنِهم سَريرةً ، وأكثرِهم عَطاءً ، وأحْسنِهم مَنْظَرًا ورُواءً [(٢)] ، ولو طالت مدتُه لصَلَحت الأمةُ صَلاحًا كثيرًا على يديه ، ولكنْ أحَبَّ اللَّهُ تَقْريبَه وإزْلافَه لديه ، فاختار له ما عندَه وأجزَل له إحْسانَه ورِفْدَه ، وقد ذكَرْنا ما اعْتَمَده فى أولِ وِلايتِه مِن إطلاقِ الأموالِ الدِّيوانيةِ ، وردِّ المَظالمِ ، وإسْقاطِ المُكوسِ ، وتَخْفيفِ الخَراجِ عن الناسِ ، وأداءِ الدُّيونِ عمَّن عجَز عن قضائِها ، والإحْسانِ إلى العلماءِ والفقراءِ ، وتَوْليةِ ذَوِى الدِّيانةِ ، وقد كان كتَب كتابًا لوُلاةِ الرعيةِ ، فيه : بسم اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، اعْلَموا أنه ليس إمْهالُنا إهمالًا ، ولا إغْضاؤُنا احْتِمالًا [(٣)] ، ولكن لِنَبْلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملًا ، وقد غفَرْنا لكم ما سلَف مِن إخرابِ البلادِ ، وتَشْريدِ الرَّعايا ، وتَقْبيحِ الشُّنْعَةِ [(٤)] ، وإظهارِ الباطلِ الجلَىِّ فى صورةِ الحقِّ الخفَىِّ حِيلةً ومَكيدةً ، وتَسْميةِ الاسْتِئْصالِ والاجْتِياحِ اسْتيفاءً واسْتِدْراكًا ، لأغْراضٍ انْتَهَزْتُم فُرَصَها ، مُخْتَلَسةً مِن بَراثنِ ليثٍ باسلٍ ، وأنْيابِ أسدٍ مَهيبٍ ، تتَّفِقون [(٥)] بألفاظٍ مختلفةٍ على مَعنًى واحدٍ ، وأنتم أُمَناؤُه وثِقاتُه ،

= والذيل على الروضتين ص ١٤٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٦٥، والوافى بالوفيات ٢/ ٩٥.

(١ - ١) فى الكامل « وأربعة وعشرين يومًا » .

(٢) فى الأصل : « رؤيا » .

(٣) كذا فى الأصل، م . وفى الكامل ١٢/ ٤٥٦: « إغفالًا » .

(٤) فى الأصل : « الشيعة » ، وفى م : « الشريعة » . والمثبت من الكامل ١٢/ ٤٥٧.

(٥) فى الأصل : « تتقون » ، وفى م : « تنفقون » . والمثبت من الكامل.

فتُمِيلون رأيَه إلى هَواكم ، وتَمْزُجون[1] باطلَكم بحقِّه ، فيُطِيعُكم وأنتم له عاصُون ، ويُوافِقُكم وأنتم له مُخالِفون ، والآن قد بدَّل اللَّهُ بخوفِكم أمْنًا ، وبفقرِكم غِنًى ، وبباطلِكم حقًّا ، ورزَقكم سُلْـطانًا يُقِيلُ العَثْرةَ ، ولا يُؤاخِذُ [١٣/١٠و] إلا مَن أصرَّ ، ولا يَنْتقِمُ إلا ممَّن استَمرَّ ، يَأْمُرُكم بالعدلِ وهو يُرِيدُه منكم ، ويَنْهاكم عن الجَوْرِ وهو يَكْرَهُه لكم ، يخَافُ اللَّهَ تعالى فيُخَوِّفُكم مَكْرَه ، ويَرْجُو اللَّهَ تعالى ويُرَغِّبُكم فى طاعتِه ، فإن سلَكْتُم مَسالِكَ خُلَفاءِ اللَّهِ فى أرضِه وأُمَنائِه على خلقِه ، وإلا هلَكْتُم ، والسلامُ .

ووُجِد فى دارِه رِقاعٌ مَخْتومةٌ [2](لم تُفْتَحْ ، فيها سِعاياتٌ إليه بسببِ أُناسٍ كثيرةٍ مِن الوُلاةِ وغيرِهم)[2] ، لم يَفْتَحْها سَتْرًا للناسِ ودَرْءًا عن أعْراضِهم ، رحِمه اللَّهُ .

وقد خلَّف مِن الأولادِ عشَرةً ذكورًا وإناثًا ، منهم ابنُه الأكبرُ الذى بُويِع له بالخِلافةِ مِن بعدِه أبو جعفرٍ المنصورُ ، ولُقِّب بالمُسْتَنْصِرِ باللَّهِ ، وغسَّله محمدٌ الخَيَّاطُ الواعِظُ ، ودُفِن فى دارِ الخِلافةِ ، ثم نُقِل إلى التُّرَبِ مِن الرُّصافةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

خلافةُ المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ العباسىّ أميرِ المؤمنين أبى جعفرٍ مَنْصورِ بنِ الظاهرِ محمدِ بنِ الناصرِ أحمدَ

بُويِـع بالخلافةِ يومَ مات أبوه يومَ جمعةٍ ثالثَ عشَرَ رجبٍ مِن هذه السنةِ ، سنةَ ثلاثٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، اسْتَدْعَوْا به مِن التاجِ ، فبايَعه الخاصَّةُ والعامَّةُ مِن

---

(١) فى الكامل : « تمرجون » . وهما بمعنًى .
(٢ - ٢) سقط من : م .

أهلِ الحَلِّ والعَقْدِ، وكان يومًا مشهودًا، وكان عمرُه يومَئذٍ خمسًا وثلاثين سنةً وخمسةَ أشهرٍ وأحدَ عشَرَ يومًا، وكان مِن أحسنِ الناسِ شكلًا وأبْهاهم مَنْظَرًا، وهو كما قال القائلُ:

كأن الثُّرَيَّا عُلِّقَت فى جَبينِهِ وفى خدِّه الشِّعْرَى وفى وجهِه القمرْ

وفى نسَبِه الشريفِ خمسةَ عشَرَ خليفةً، منهم خمسةٌ مِن آبائِه، وَلُوا نَسَقًا، وتلَقَّى هو الخِلافةَ عنهم وِراثةً كابرًا عن كابرٍ، وهذا شىءٌ لم يَتَّفِقْ لأحدٍ مِن الخلفاءِ قبلَه، وسار فى الناسِ كسِيرةِ أبيه الظاهرِ فى الجُودِ وحسنِ السِّيرةِ والإحْسانِ إلى الرَّعِيَّةِ، وبنَى المدرسةَ الكبيرةَ المُسْتَنْصِرِيةَ التى لم تُبْنَ مدرسةٌ فى الدنيا مثلُها، وسيأتى بيانُ ذلك فى مَوْضعِه، إن شاء اللَّهُ تعالى، واسْتَمَرَّ أرْبابُ الوِلاياتِ الذين كانوا فى عهدِ أبيه على ما كانوا عليه، ولما كان يومُ الجمعةِ المُقبلةِ خُطِب للإمامِ المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ على المَنابرِ، ونُثِر الذهبُ والفضةُ عندَ ذكرِ اسمِه، وكان يومًا مشهودًا، وأنْشَد الشعراءُ المَدائحَ والمَراثِىَ، وأُطْلِقَت لهم الخِلَعُ والجَوائزُ.

وقدِم رسولٌ مِن صاحبِ المَوْصلِ يومَ غُرَّةِ شعبانَ مع الوزيرِ ضِياءِ الدينِ أبى الفتحِ نصرِ اللَّهِ بنِ الأَثيرِ، فيها التَّهْنِئةُ والتَّعْزِيةُ بعبارةٍ فَصيحةٍ بليغةٍ.

ثم إن المُسْتَنْصِرَ باللَّهِ كان يُواظِبُ على حُضورِ الجمعةِ راكبًا ظاهرًا للناسِ، وإنما معه خادِمان و(1) رَكْب دارٍ(1)، وخرَج مرةً وهو راكبٌ، فسمِع ضَجَّةً عظيمةً، فقال: ما هذا؟ فقيل له: التَّأْذِينُ. فترَجَّل عن فرسِه، وسَعى ماشيًا، ثم

(1 - 1) فى م: «راكب دار». والركب دار واحد الركب دارية، وهم الذين يحملون غاشية السرج بين يدى الخليفة عند الركوب فى المواكب. انظر صبح الأعشى 4/7، 12.

صار يُدْمِنُ المَشْىَ إلى الجمعةِ رَغْبةً فى التَّواضُعِ والخُشوعِ ، ويَجْلِسُ قريبًا مِن الإمامِ ، ويَسْتَمِعُ الخُطْبةَ ، ثم أُصْلِح له المُطْبِقُ ، فكان يَمْشِى منه إلى الجمعةِ ، وركِب فى الثانى والعشرين مِن شعبانَ رُكوبًا ظاهرًا للناسِ عامَّةً ، ولما كانت أولُ ليلةٍ مِن رمضانَ تصَدَّق بصَدَقاتٍ كثيرةٍ مِن الدقيقِ والغَنَمِ والنَّفَقاتِ على العلماءِ والفُقراءِ والمَحاوِيجِ ، إعانةً لهم على الصِّيامِ ، وتَقْويةً لهم على القيامِ .

وفى يومِ السابعِ والعشرين مِن رمضانَ نُقِل تابوتُ أبيه الظاهرِ مِن دارِ الخِلافةِ إلى التُّرَبِ مِن الرُّصافةِ ، وكان يومًا مشهودًا ، وبعَث الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ يومَ العيدِ صَدَقاتٍ كثيرةً وإنْعامًا جَزيلًا إلى الفُقهاءِ والصُّوفيةِ وأئمةِ المَساجِدِ ، [١٠/١٣ظ] على يدى مُحْيِى الدينِ بنِ الجَوْزىِّ .

وذكَر ابنُ الأَثيرِ(١) أنه كانت زَلْزلةٌ عظيمةٌ فى هذه السنةِ ، هدَمت شيئًا كثيرًا مِن القُرَى والقِلاعِ ببلادِهم . وذكَر أنه ذبَح رجلٌ شاةً ببلدِهم ، فوجَد لحمَها مُرًّا حتى رأسَها وأَكارِعَها (٢ومَعاليقَها وجميعَ أجزائِها٢) .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الخليفةُ الظاهرُ كما تقدَّم .

الجَمالُ المصرىُّ يونُسُ بنُ بَدْرانَ بنِ فَيْروزَ ، جَمالُ الدينِ المِصْرىُّ(٣) ، قاضى القُضاةِ بدِمشقَ فى هذا الحينِ ، اشْتَغل وحصَّل وبرَع ، واخْتَصَر كتابَ « الأُمِّ »

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٦٧، ٤٦٨.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

(٣) مرآة الزمان ٨/ ٦٤٣ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٦٠، والذيل على الروضتين ص ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٧٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٦٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٤٤٧.

للإمامِ الشافعىِّ ، وله كتابٌ مُطَوَّلٌ فى الفَرائضِ ، وولِى تَدْريسَ الأمينيةِ بعدَ التَّقِىِّ الضَّريرِ الذى قتَل نفسَه ، ولَّاه إياها الوزيرُ صفىُّ الدينِ بنُ شُكْرٍ ، وكان مُعْتَنِيًا بأمرِه ، ثم ولِى وِكالةَ بيتِ المالِ بدمشقَ ، (1)وتَرَسَّل إلى الملوكِ والخلفاءِ عن صاحبِ دمشقَ، ثم ولَّاه المُعَظَّمُ قَضاءَ القُضاةِ بدمشقَ(1) بعدَ عزلِه الزَّكِىَّ بنَ الزَّكِىِّ ، وولَّاه تَدْريسَ العادليةِ الكبيرةِ حينَ كمَل بناؤُها ، فكان أولَ مَن درَّس بها ، وحضَر عندَه الأعْيانُ كما ذكَرْنا . وكان يَقولُ أولًا درسًا فى التَّفْسيرِ حتى أكْمَل التَّفسيرَ إلى آخرِه ، ثم توفِّى عقِبَ ذلك ، ويقالُ : درَّس الفقهَ بعدَ التفسيرِ . وكان يَعْتَمِدُ فى أمرِ إثباتِ السِّجلَّاتِ اعتمادًا حسنًا ، وهو أنه كان يَجْلِسُ فى كلِّ يومِ جمعةٍ بُكْرةً ويومَ الثلاثاءِ ، ويَسْتَحْضِرُ عندَه فى إيوانِ العادليةِ جميعَ شُهودِ البلدِ ، ومَن كان له كتابٌ يُثْبِتُه حضَر واسْتَدْعَى شُهودَه ، فأدَّوْا على الحاكمِ ، وثبَت ذلك سريعًا ، وكان يَجْلِسُ كلَّ يومِ جمعةٍ بعدَ العصرِ فى الشُّبَّاكِ الكَمالىِّ بمشهدِ عثمانَ ، فيَحْكُمُ حتى يُصَلِّىَ المغربَ ، وربما مكَث حتى يُصَلِّىَ العِشاءَ أيضًا ، وكان كثيرَ المُذاكرةِ للعلمِ ، كثيرَ الاشْتِغالِ ، حسَنَ الطريقةِ ، لم يُنْقَمْ عليه أنه أخَذ شيئًا لأحدٍ .

قال أبو شامةَ[2] : وإنما كان يُنْقَمُ عليه أنه كان يُشِيرُ على بعضِ الوَرَثةِ بمُصالحةِ بيتِ المالِ ، وأنه اسْتَناب ولدَه التاجَ محمدًا ، ولم يَكُنْ مَرْضِىَّ الطريقةِ ، وأما هو فكان عَفيفًا فى نفسِه نَزِهًا مَهيبًا . قال أبو شامةَ[2] : وكان يَدَّعِى أنه قُرَشِىٌّ شَيْبِىٌّ ، فتَكَلَّم الناسُ فيه بسببِ ذلك ، وتَوَلَّى القَضاءَ بعدَه شمسُ الدينِ

(1 - 1) سقط من : الأصل .

(2) الذيل على الروضتين ص ١٤٨ .

أحمدُ بنُ الخَليليِّ الخُوَيِّيُّ[1] .

قلتُ : وكانت وفاتُه فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن فى دارِه التى فى رأسِ دَرْبِ الرَّيْحانِ مِن ناحيةِ الجامعِ ، ولتُرْبتِه شُبَّاكٌ شرقِيَّ المدرسةِ الصَّدْرِيةِ اليومَ ، وقد قال فيه ابنُ عُنَيْنٍ ، وكان هَجاه[2] :

ما قصَّر المِصْرىُّ فى فعلِهِ إذ جعَل التُّرْبةَ[3] فى دارِهِ
[4]أراح للأحْياءِ[4] مِن رَجْمِهِ وأبْعَد[5] الأمواتَ مِن نارِهِ

المُعْتَمِدُ والى دِمشقَ المُبارِزُ إبراهيمُ[6] ، المَعْروفُ بالمُعْتَمِدِ والى دمشقَ ، وكان مِن خِيارِ الوُلاةِ وأعَفِّهم وأحسَنِهم سِيرةً وأجْودِهم سَريرةً ، أصلُه مِن الموصلِ ، وقدِم الشامَ ، فخدَم فَرُّخْشاه بنَ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ ، ثم اسْتَنابه البَدْرُ مَوْدودٌ أخو فَرُّخْشاه ، وكان شِحْنةَ دمشقَ ، فحُمِدَت سِيرتُه فى ذلك ، ثم صار هو شِحْنةَ دمشقَ أربعين سنةً ، فجرَت فى أيامِه عَجائبُ وغَرائبُ ، وكان كثيرَ السَّتْرِ على ذَوِى الهَيئاتِ ، ولا سيما مَن كان مِن أبناءِ[7] الناسِ وأهلِ البُيوتاتِ . واتَّفَق فى أيامِه أن رجلًا حائِكًا كان له ابنٌ صغيرٌ ، فى آذانِه حَلَقٌ ، فعدا عليه رجلٌ مِن جيرانِهم ، فقتَله غِيلةً ، وأخَذ ما عليه مِن الحُلِيِّ ، ودفَنه فى بعضِ المَقابرِ ،

---

(١) فى الأصل : « النحوى » ، وفى م : « الجوينى » . والمثبت من الذيل على الروضتين .
(٢) ديوان ابن عنين ص ٢٣٨.
(٣) فى الديوان : « الحفرة » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « أراح الأحياء » ، وفى الديوان : « فخلّص الأحياء » .
(٥) فى الديوان : « خلص » .
(٦) مرآة الزمان ٦٣٩/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٠- وفيه : «المبارك » - وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١- ٦٣٠) ص ١٤٦، والوافى بالوفيات ١٥١/٦ .
(٧) فى الأصل : « بنات » .

فاشْتَكَوْا عليه فلم يُقِرَّ بشيءٍ ، وتألَّمت والدتُه مِن ذلك ، وسألَت زوجَها أن يُطَلِّقَها ، فطلَّقها ، فذهَبَت إلى ذلك الرجلِ الذى قتلَ ولدَها ، وسألَته أن يَتَزَوَّجها ، وأظْهَرَت له أنها قد أحَبَّتْه فتزوَّجها ، ومكَثَت عندَه حِينًا ، ثم سألَته فى بعضِ الأوقاتِ [١٤/١٠و] عن ولدِها الذى اشْتَكَوْا عليه بسببِه ، فقال : نعم ، أنا قتَلْتُه . فقالت : أَشْتَهِى أن تُرِيَنى قبرَه حتى أَنْظُرَ إليه . فذهَب بها إلى قبرِ خشخاشةٍ[(١)] ، ففتَحه فنظَرَت إلى ولدِها ، فاسْتَعْبَرَت وقد أخَذَت معها سِكِّينًا أعَدَّتها لهذا اليومِ ، فضرَبَته حتى قتَلَته ، ودفَنَته مع ولدِها فى ذلك القبرِ ، فجاء أهلُ المَقْبَرةِ ، فحمَلوها إلى الوالى المُعْتَمِدِ هذا ، فسألَها فذكَرَت له خبرَها ، فاسْتَحْسَن ذلك منها ، وأطْلَقَها وأحْسَن إليها[(٢)] .

وحكَى هو للسِّبْطِ قال[(٣)] : بينما أنا يومًا خارجٌ مِن بابِ الفرجِ ، فإذا برجلٍ يَحْمِلُ طَبْلًا وهو سَكْرانُ ، فأمَرْتُ به فضُرِب الحَدَّ ، وأمَرْتُهم فكسَروا الطَّبْلَ ، وإذا رِكوةٌ كبيرةٌ خمرًا فشقُّوها ، وكان العادلُ قد منَع أن يُعْصَرَ خمرٌ ويُحْمَلَ إلى دمشقَ شىءٌ منه بالكليةِ ، فكان الناسُ يَتَحَيَّلون بأنواعِ الحِيَلِ ولَطائفِ المكْرِ . قال السِّبْطُ : فسألْتُه : مِن أين علِمْتَ أن فى الطَّبْلِ شيئًا . فقال : رأيتُه يَمْشِى وتَرْجُفُ ساقاه ، فعرَفْتُ أنه يَحْمِلُ شيئًا ثقيلًا فى الطَّبْلِ .

وله مِن هذا الجِنْسِ غَرائبُ ، وقد عزَله المُعَظَّمُ ، وكان فى نفسِه منه ، وسجَنه فى القلْعةِ نحوًا مِن خمسِ سنينَ ، ونادَى عليه فى البلدِ ، فلم يَجِئْ أحدٌ ذكَر أنه

---

(١) فى م : « خشنكاشة » . والخَشخاشة : مكان يدفن فيه الجماعة من الناس .

(٢) بعده فى الأصل : « ورجعت إلى زوجها الأول » والذى فى المصادر أنه كان قد مات قبل أن تقتل زوجها الثانى .

(٣) مرآة الزمان ٦٤٠/٨ القسم الثانى .

أخَذ منه حَبَّةَ خَرْدَلٍ ، ولما مات ، رحِمه اللَّهُ ، دُفِن فى تربتِه المجُاوِرةِ لمدرسةِ أبى عمرَ مِن شامِها (١ قِبليَّ السوقِ ١) ، وله عندَ تُرْبتِه مسجدٌ يُعْرَفُ به ، رحِمه اللَّهُ .

واقفُ الشِّبْليةِ التى بطريقِ الصالحيةِ ، شِبْلُ الدولةِ كافورٌ الحُساميُّ(٢) ، نسبةً إلى حُسامِ الدينِ محمدِ بنِ لاچِينَ وَلَدِ ستِّ الشامِ ، وهو الذى كان مُسْتَحِثًّا على عِمارةِ الشاميةِ البَرَّانيةِ لمَوْلاتِه ستِّ الشامِ ، وهو الذى بنَى الشِّبْليةَ للحَنَفيةِ والخانْقاه على الصُّوفيةِ إلى جانبِها ، وكانت منزلَه ، ووقَف القَناةَ والمَصْنعَ والسَّاباطَ ، وفتَح للناسِ طَريقًا مِن عندِ المقبرةِ غربيَّ الشاميةِ البَرَّانيةِ إلى طريقِ عينِ الكِرْشِ ، ولم يَكُنِ الناسُ لهم طريقٌ إلى الجبلِ مِن هناك ، إنما كانوا يَسْلُكون مِن عندِ مسجدِ الصَّفِيِّ بالعُقَيبةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وكانت وفاتُه فى رجبٍ ، ودُفِن فى تربتِه التى كانت مدرسةً ، وقد سمِع الحديثَ على الكِنْدىِّ وغيرِه .

واقفُ الرَّواحِيَّةِ بدمشقَ وحَلَبَ ، أبو القاسمِ هِبةُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ المعروفُ بابنِ رَواحةَ(٣) ، كان أحدَ التُّجّارِ وذَوِى الثَّروةِ والمُعَدِّلين بدمشقَ ، وكان فى غايةِ الطولِ والعرضِ ، ولا لحيةَ له ، وقد ابْتَنَى المدرسةَ الرَّواحِيةَ داخلَ بابِ الفَرادِيسِ ووقَفها على الشافعيةِ ، وفوَّض نظرَها وتَدْريسَها إلى الشيخِ تَقِيِّ الدينِ بنِ الصَّلاحِ الشَّهْرَزُورىِّ ، وله بحَلَبَ مدرسةٌ أخرى مثلُها ، وقد انْقَطَع فى آخرِ عمرِه فى المدرسةِ التى بدمشقَ ، وكان يَسْكُنُ البيتَ الذى فى

(١ - ١) فى الأصل : « قبل الشرق » .

(٢) مرآة الزمان ٨/٦٤٢ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٦٤.

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٥/٢٢٧، والذيل على الروضتين ص ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣٨، والدارس ١/ ٢٦٥. وجاءت وفاته فى التكملة وتاريخ الإسلام سنة ثنتين وعشرين وستمائة .

إيوانِها مِن الشرقِ ، ورغِب فيما بعدُ أن يُدْفَنَ فيه إذا مات ، فلم يُمَكَّنْ مِن ذلك ، بل دُفِن بمقابرِ الصوفيةِ ، وبعدَ وفاتِه شهِد مُحْيِى الدينِ بنُ عَرَبِى الطائىُّ ، وتَقِىُّ الدينِ خَزْعَلٌ النَّحْوىُّ المصرىُّ المَقْدسىُّ ثم الدمشقىُّ إمامُ مَشْهَدِ علىٍّ ، شهِدا على ابنِ رَواحةَ بأنه عزَل الشيخَ تَقِىَّ الدينِ عن هذه المدرسةِ ، فجرَت خُطوبٌ طَويلةٌ ، ولم يَنْتَظِمْ ما رامُوه ، ومات خَزْعَلٌ فى هذه السنةِ أيضًا ، فبطَل ما سلكوه .

أبو محمدٍ محمودُ بنُ مَوْدودِ بنِ محمودِ بنِ بَلْدِجِى الحَنَفىُّ الموصلىُّ[1] ، وله بها [١٠/١٤ظ] مدرسةٌ تُعْرَفُ به ، وكان مِن أبناءِ التُّرْكِ ، وصار مِن مَشايخِ العلماءِ الحنفيةِ ، وله دِينٌ مَتينٌ ، وشعرٌ حسنٌ جيدٌ ، فمنه قولُه :

مَـن ادَّعَـى أن لـه حـالـةً تُـخْـرِجُـه عن مَـنْـهَـجِ الشَّـرْعِ
فـلا تَـكُـونَـنَّ لـه صـاحِـبًـا فـإنـه خُـرْءٌ[2] بـلا نَـفْـعِ

كانت وفاتُه بالموصلِ فى السادسِ والعشرين مِن جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ ، وله نحوٌ مِن ثمانين سنةً رحِمه اللَّهُ تعالى .

ياقوتٌ ويقالُ له : يعقوبُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، نَجيبُ الدينِ[3] ، مولى الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدىِّ . وقد وقَف عليه الشيخُ الكتبَ التى بالخِزانةِ بالزاويةِ الشرقيةِ الشَّماليةِ مِن جامعِ دمشقَ ، وكانت سبعَمائةٍ وأحدًا وستين مُجَلَّدًا ، ثم على ولدِه مِن بعدِه ، ثم على العلماءِ ، فتمَحَّقَت هذه الكتبُ ، وبِيع أكثرُها ، وقد كان ياقوتٌ هذا لديه فَضيلةٌ وأدبٌ وشعرٌ جيدٌ ، وكانت وفاتُه ببغدادَ فى مُسْتَهَلِّ رجبٍ ، ودُفِن بمقبرةِ الخَيْزُرانِ بالقربِ مِن مشهدِ أبى حَنيفةَ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) الجواهر المضية ٣/ ٤٥٢.
(٢) فى الأصل : «ضر» . والخرء : العَذِرة . اللسان (خ ر أ) .
(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] كاتَب عامَّةُ أهلِ تَفْلِيسَ الكُرْجَ ، فجاءوا إليهم فدخَلُوها ، فقتَلوا العامَّةَ والخاصَّةَ ، ونهَبوا وسبَوْا وخرَّبوا وأحْرَقوا ، وخرَجوا على حَمِيَّةٍ[2] ، وبلَغ ذلك جَلالَ الدينِ ، فسار سريعًا ليُدْرِكَهم ، فلم يُدْرِكْهم .

وفيها قتَلَت الإسْماعيليةُ أميرًا كبيرًا مِن نُوَّابِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه ، فسار إلى بلادِهم ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وخرَّب مدينتَهم ، وسبَى ذَراريَّهم ، ونهَب أموالَهم ، وقد كانوا ، قبَّحهم اللَّهُ ، مِن أكبرِ العَوْنِ على المسلمين لمَّا قدِم التَّتارُ إلى الناسِ ، وكانوا أضَرَّ على الناسِ منهم .

وفيها تَواقَع جَلالُ الدينِ وطائفةٌ كبيرةٌ مِن التَّتارِ ، فهزَمهم وأَوْسَعَهم قتلًا وأسْرًا ، وساق وراءَهم أيامًا ، فقتَلهم حتى وصَل إلى الرَّيِّ ، فبلَغه أن طائفةً قد جاءوا لقَصْدِه ، فأقام يَنْتَظِرُهم ، فكان مِن أمرِه وأمْرِهم ما سيَأْتى فى سنةِ خمسٍ وعشرين .

وفيها دَخَلَت عَساكرُ الملكِ الأشرفِ إلى بلادِ أَذْرَبِيجانَ ، فملَكوا منها مُدُنًا كثيرةً ، وغَنِموا أموالًا جَزيلةً ، وخرَجوا معهم بزوجةِ الملكِ جَلالِ الدينِ بنتِ طُغْرُل ، وكانت تُبْغِضُه وتُعادِيه ، فأنْزَلوها مدينةَ خِلاطَ ، وسيَأْتى ما كان مِن خبرِهم فى السنةِ الآتيةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) الكامل ٤٦٩/١٢ - ٤٧٤، ومرآة الزمان ٦٤٣/٨ - ٦٥٢ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٥١، ١٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٠ - ٢٤.
(٢) أى خرجوا منهزمين. انظر اللسان (ح م ا).

وفيها قدِم رسولُ الأنْبرُورِ ملكِ الفِرنْجِ بالبحرِ إلى المُعَظَّمِ يَطْلُبُ منه ما كان فتَحه عمُّه الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ مِن بلادِ السَّواحلِ ، فأغْلَظ له المُعَظَّمُ فى الجوابِ ، وقال له : قل لصاحِبك ما عندى إلا السيفُ . واللَّهُ أعلمُ .

وفيها جهَّز الأَشْرَفُ أخاه شِهابَ الدينِ غازى إلى الحجِّ فى مَحْمِلٍ[1] عظيمٍ يحْمِلُ ثَقَلَه[2] ستُّمائةِ جملٍ ، ومعه خمسون هَجينًا ، على كلِّ هَجينٍ مَمْلوكٌ ، فسار مِن ناحيةِ العراقِ ، وجاءَتْه هَدايا الخَليفةِ إلى أثناءِ الطريقِ ، وعاد على طَريقِه التى حجَّ منها .

وفيها ولِى قَضاءَ القُضاةِ ببغدادَ نَجْمُ الدينِ أبو المَعالى عبدُ الرحمنِ بنُ مُقْبِلٍ الواسطىُّ ، وخُلِع عليه كما هى عادةُ الحكامِ ، وكان يومًا مشهودًا .

وفيها كان غلاءٌ شديدٌ ببلادِ الجَزيرةِ ، وقلَّ اللحمُ ، حتى حكَى ابنُ الأثيرِ[3] أنه لم يُذْبَحْ بمدينةِ الموصلِ فى بعضِ الأيامِ سوى خروفٍ واحدٍ فى زمنِ الربيعِ .

قال : وسقَط فيها عاشرَ آذارَ ثلجٌ كثيرٌ بالجزيرةِ والعراقِ مرتين ، فأهْلَك الأزْهارَ وغيرَها . قال : وهذا شىءٌ لم يُعْهَدْ مثلُه ، والعَجَبُ كلُّ العَجَبِ مِن العراقِ مع كثرةِ حرِّه كيف [١٠/١٥و] وقَع فيه مثلُ هذا .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

جِنْكِزْخان[4] ، السلطانُ الأعظمُ عندَ التَّتارِ ، والدُ ملوكِهم اليومَ ، الذى

---

(١) فى الأصل : « تجمل » .

(٢) الثَقَل : متاع المسافر وحشمه .

(٣) الكامل ١٢/ ٤٧٣.

(٤) بعده فى الأصل : « ملك التتار وهو جد ملوكهم اليوم » ، وانظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ٢٤٣/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٨٦، ومسالك الأبصار ٣٨/٣، والوافى بالوفيات ١١/ ١٩٧، والنجوم الزاهرة ٢٦٨/٦، وصبح الأعشى ٤/ ٣٠٥، ودائرة المعارف الإسلامية ٣٧٩/١٢.

يَنْتَسِبون إليه ، يقولون : مَن عظَّم القان إنما يُرِيدُ هذا المَلِكَ . وهو الذى وضَع لهم « اليَاسَاقَ »[1] التى يَتَحاكَمون إليها ، ويَحْكُمون بها ، وأَكْثَرُها مُخالِفٌ لشَرائعِ اللَّهِ تعالى وكتبِه ، وإنما هو شيءٌ اقْتَرَحه مِن عندِ نفسِه ، وتبِعوه فى ذلك ، وقد كانت أمُّه تَزْعُمُ أنها حملَت به مِن شُعاعِ الشمسِ ، فلهذا لا يُعْرَفُ له أبٌ ، والظاهرُ أنه مَجْهولُ النَّسَبِ ، وقد رأيْتُ مُجَلَّدًا جمَعه الوزيرُ ببغدادَ عَلاءُ الدينِ الجُوَيْنِىُّ فى ترجمتِه[2] ، فذكَر فيه سِيرتَه ، وما كان يَشْتَمِلُ عليه مِن العقلِ[3] السِّياسىِّ والكرمِ والشَّجاعةِ والتَّدبيرِ الجيدِ للمُلْكِ والرَّعايا والحروبِ ، فذكَر أنه كان فى ابْتِداءِ أمْرِه خَصِيصًا عندَ الملكِ أُزْبَك خان[4] ، وكان إذ ذاك شابًّا حسنًا ، وكان اسمُه أولًا تمرجى[5] ، ثم لما عظُم سمَّى نفسَه جِنْكِزْخان ، وكان هذا الملكُ قد قرَّبه وأدْناه ، فحسَده عُظماءُ الملكِ ، ووشَوْا به إليه حتى أَخْرَجوه عليه وهمَّ بقَتْلِه ، ولم يَجِدْ له طَرِيقًا فى ذنبٍ يَتَسَلَّطُ به عليه ، فهو فى ذلك إذ تغَضَّب الملكُ على مَمْلوكَيْن صغيرَيْن فهرَبا منه ، ولَجَأَ إلى جِنْكِزْخان ، فأكْرَمَهما وأحْسَن إليهما ، فأخْبَراه بما يُضْمِرُه الملكُ أُزبَك خان مِن قتلِه والهمِّ به ، فأخَذ حِذْرَه [6]وتحيز بدولةٍ[6] واتَّبَعَه طَوائفُ مِن التَّتارِ ، وصار كثيرٌ مِن أصحابِ أُزْبَك خان يَنْفِرون إليه ، ويَفِدون عليه ، فيُكْرِمُهم ويُعْطِيهم حتى قوِيَت شَوْكتُه ، وكثُرَت

---

(١) فى م : « السياسا » . قال صاحب تاج العروس (ى س ق) : يساق كسحاب ، وربما قيل يسق ، بحذف الألف ، والأصل فيه : يساغ بالغين المعجمة ، وربما خفف فحذف ، وربما قلب قافا ، وهى كلمة تركية يعبر بها عن وضع قانون المعاملة .

(٢) انظر مسالك الأبصار ٤١/٣ ، وصبح الأعشى ٣٠٦/٤ .

(٣) فى الأصل : « الفعل » .

(٤) فى الأصل هنا وفيما يأتى : « أرتك خان » .

(٥) كذا فى الأصل ، م . وفى السير وصبح الأعشى : « تمرجين » . وفى الكامل ١٢/ ٣٦١، ومسالك الأبصار ٣/ ٤٣، ودائرة المعارف : « تموجين » . ولم تذكره بقية المصادر .

(٦ - ٦) فى الأصل : « تحذر منه ومن دولته » .

جنودَه ، ثم حارَب بعدَ ذلك أُزْبَك خان ، فظفِر به وقتَله ، واسْتَحْوَذ على مَمْلكتِه ومُلْكِه ، وانْضاف إليه عُدَدُه وعَدَدُه ، وعظُم أمرُه ، وبعُد صِيتُه ، وخضَعَت له قَبائلُ التُّرْكِ ببلادِ طمغاجَ كلِّها ، حتى صار يَرْكَبُ فى نحوِ ثمانِمائةِ ألفِ مُقاتِلٍ ، وأكبرُ القَبائلِ قبيلتُه التى هو من أصلِها يقالُ لها : قيات[1] . ثم أقْرَبُ القَبائلِ إليه بعدَهم قبيلتان كبيرتا العددِ ، وهما [2]أويرات وقنقورات[2] .

وكان يَصْطادُ مِن السنةِ ثلاثةَ[3] أشهرٍ ، والباقى للحربِ والحكمِ . قال الجُوَيْنىُّ : وكان يَضْرِبُ الحَلْقةَ يَكونُ ما بينَ طَرَفَيْها ثلاثةَ أشهرٍ ، ثم تَتَضايَقُ فيَجْتَمِعُ فيها مِن أنواعِ الحَيَواناتِ شىءٌ كثيرٌ لا يُحَدُّ كَثْرةً .

ثم نشِبَت الحربُ بينَه وبينَ الملكِ جَلالِ الدينِ خُوارَزْم شاه صاحبِ بلادِ خُراسانَ والعراقِ وأَذْرَبيجانَ وغيرِ ذلك من الأقاليمِ والممالكِ ، فقهَره جِنْكِزْخان وكسَره وغلَبه ، واسْتَحْوَذ على سائرِ بلادِه هو بنفسِه وبأولادِه فى أيْسَرِ مُدَّةٍ كما ذكَرْنا ذلك فى الحَوادثِ ، وكان ابْتِداءُ مُلْكِ جِنْكِزْخان فى سنةِ تسعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ ، وكان قِتالُه لخُوارَزْم شاه فى حدودِ سنةِ ستَّ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، ومات خُوارَزْم شاه فى سنةِ سبعَ عشْرةَ كما ذكَرْنا ، فاسْتَحْوَذ حينَئذٍ على المَمالكِ بلا مُنازِعٍ ولا مُمانِعٍ ، وكانت وَفاتُه فى سنةِ أربعٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، فجعَلوه فى تابوتٍ مِن حَديدٍ وربَطوه بسَلاسلَ وعلَّقوه بينَ جبَلَيْن هنالك ، وأما كتابُه « الياساق »[4] فإنه يُكْتَبُ فى مُجَلَّدَيْن بخطٍّ غَليظٍ ، ويُحْمَلُ على بَعيرٍ

---

(١) فى الأصل : « قياب » ، وفى م : « قيان » . والمثبت من مسالك الأبصار وصبح الأعشى .
(٢ - ٢) فى م : « أزان وقنقوران » .
(٣) فى الأصل : « ستة » . وانظر مسالك الأبصار ٣/ ٤٦ .
(٤) فى م : « الياسا » .

معظمٍ عندَهم ، وقد ذكَر بعضُهم عنه أنه كان يصْعَدُ جبلًا ، ثم يَنْزِلُ ، ثم يَصْعَدُ ، ثم يَنْزِلُ حتى يُعْيِيَ ويقَعَ مَغْشِيًّا عليه ، ويَأْمُرُ مَن عندَه أن يَكْتُبَ ما يُلْقَى على لسانِه حينَئذٍ ، فإن كان هذا هكذا فالظاهرُ أن الشيطانَ كان [١٠/١٥ظ] يَنْطِقُ على لسانِه بما فيها .

وذكَر الجُوَيْنِيُّ أن بعضَ عُبَّادِهم كان يَصْعَدُ الجبالَ فى البَرْدِ الشديدِ للعِبادةِ ، فسمِع قائلًا يقولُ له : إنا قد ملَّكْنا جِنْكِزْخان وذُريته وجهَ الأرضِ . قال الجُوَيْنِيُّ : فمَشايخُ المَغولِ يُصَدِّقون بهذا ، ويَأْخُذُونه مُسَلَّمًا .

ثم ذكَر الجُوَيْنِيُّ شيئًا من « الياساق »[1] ، من ذلك ؛ أنه مَن زنَى قُتِل ، مُحْصَنًا كان أو غيرَ مُحْصَنٍ ، وكذلك مَن لاط قُتِل ، ومَن تعَمَّد الكذِبَ قُتِل ، ومَن سحَرَ قُتِل ، ومَن تجَسَّس قُتِل ، ومَن دخَل بينَ اثنين يَخْتَصِمان فأعان أحدَهما قُتِل ، ومَن بال فى الماءِ الواقفِ قُتِل ، ومَن انْغَمَسَ فيه قُتِل ، ومَن أطْعَم أسِيرًا أو سقاه أو كساه بغيرِ إذنِ أهلِه قُتِل ، ومَن وجَد هاربًا ولم يَرُدَّه قُتِل ، ومَن رمَى إلى أحدٍ شيئًا مِن المأْكولِ قُتِل ، بل يُناوِلُه مِن يدِه إلى يدِه ، ومَن أطْعَم أحدًا شيئًا فلْيأْكُلْ منه أولًا ، ولو كان [2]المُطْعِمُ أميرًا لأسيرٍ[2] ، ومَن أكَل ولم يُطْعِمْ مَن عندَه قُتِل ، ومَن ذبَح حيوانًا ذُبِح مثلَه ، بل يَشُقُّ جوفَه ، ويَتَناوَلُ قلبَه بيدِه يَسْتَخْرِجُه مِن جوفِه أولًا .

وفى هذا كلِّه مُخالَفةٌ لشَرائعِ اللَّهِ المُنَزَّلةِ على عبادِه الأنْبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ، فمَن ترَك الشرعَ المُحْكَمَ المُنَزَّلَ على محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ خاتمِ الأنبياءِ ،

---

(١) انظر مسالك الأبصار ٣/٤٣، ٤٤، وصبح الأعشى ٤/٣١٠ - ٣١٢.

(٢ - ٢) فى م : « المطعوم أميرا لا أسيرا » .

وتحاكم إلى غيره مِن الشَّرائعِ المَنسوخةِ كفر ، فكيف بمَن تحاكم إلى « الياساقِ »[(1)] وقدَّمها عليه ؟! [(2)] مَن فعَل [(2)] ذلك كفَر بإجماعِ المسلمين . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

ومِن آدابِهم الطاعةُ لسلطانِهم غايةَ الاسْتِطاعةِ ، وأن يَعْرِضوا عليه أبْكارَهم الحِسانَ ليَخْتارَ لنفسِه ، ومَن شاء مِن حاشيتِه ما شاء منهن ، ومِن شأنِهم أن يُخاطِبوا الملكَ باسمِه ، ومَن مرَّ بقومٍ يأكُلون فله أن يأْكُلَ معهم بغيرِ اسْتِئْذانٍ ، ولا يَتَخطَّى مَوْقِدَ النارِ [(3)] ولا طَبَقَ الطعامِ ، ولا يقِفُ على أُسْكُفَّةِ الخَرْكاه[(4)] ، ولا يَغْسِلون ثيابَهم حتى يَبْدُوَ وَسخُها[(5)] ، ولا يُكَلِّفون العُلماءَ مِن كلٍّ ما ذُكِر شيئًا مِن الجِناياتِ ، ولا يَتعَرَّضون لمالِ ميتٍ [(3)] ، وقد ذكَر عَلاءُ الدينِ الجُوَيْنيُّ طرَفًا كبيرًا مِن أخبارِ جِنْكِزْخان ومَكارمَ كان يَفْعَلُها لسَجِيَّتِه وما أدَّاه إليه عقلُه ، وإن كان مُشْرِكًا باللَّهِ يَعْبُدُ معه غيرَه ، وقد قتَل مِن الخَلائقِ ما لا يَعْلَمُ عددَهم إلا الذى خلَقهم ، ولكن كان البَداءةُ مِن خُوارَزْم شاه ، فإنه لما أرْسَل جِنْكِزْخان تُجَّارًا مِن جهتِه معهم بَضائعُ كثيرةٌ مِن بلادِه ، فانْتَهَوا إلى إيرانَ ، فقتَلهم نائبُها مِن جهةِ خُوارَزْم شاه ، وهو والدُ زوجتِه[(6)] كَشْلى خان ، وأخَذ جميعَ ما كان معهم ،

---

(١) فى م : « الياسا » .
(٢ - ٢) فى الأصل : « من بعد » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) الأسكفة : عتبة الباب . والخركاه : الخيمة الكبيرة . الوسيط (س ك ف) ، والمعجم الذهبى ص ٢٣٧.
(٥) أى لا يغسلون ثيابهم البتة .
(٦) فى م : « زوجة » .

فأرْسَل جِنْكزْخان إلى خُوارَزْم شاه يَسْتَعْلِمُه هل وقَع هذا الأمرُ عن رِضًا منه أو أنه لم يَعْلَمْ به فأنكَره، وقال له فيما أرْسَل إليه: مِن المَعْهودِ مِن الملوكِ أن التُّجّارَ لا يُقْتَلون؛ لأنهم عِمارةُ الأقاليمِ، وهم الذين يَحْمِلُون إلى الملوكِ التُّحَفَ والأشْياءَ النَّفِيسةَ، ثم إن هؤلاء التُّجارَ كانوا على دِينِك، فقتَلهم نائبُك، فإن كان أمرًا (١) أنكرْتَه، وإلا طلَبْنا بدمائِهم (١). فلما سمِع خُوارَزْم شاه ذلك مِن رسولِ جِنْكِزْخان لم يَكُنْ له جوابٌ سِوَى أنه أمَر بضربِ عنقِه، فأساء التَّدْبيرَ، وقد كان خرِف وكبِرَت سنُّه، وقد ورَد الحديثُ: «اتْرُكوا التُّرْكَ ما ترَكوكم» (٢). فلما بلَغ ذلك جِنْكِزْخان تجهَّز لقتالِه وأخْذِ بلادِه، فكان بقَدَرِ اللَّهِ تعالى ما كان مِن الأمورِ التى لم يُسْمَعْ بأغربَ منها ولا أبْشَعَ.

فممَّا ذكَره الجُوَيْنىُّ عنه أنه قدَّم له بعضُ الفَلَّاحِين بالصيدِ ثلاثَ بِطِّيخاتٍ، [١٠/١٦و] فلم يَتَّفِقْ أن عندَ جِنْكِزْخان أحدًا مِن الخَزَنْدارِيةِ (٣)، فقال لزوجتِه خاتون: أَعْطِيه هذين القُرْطَيْن اللذين فى أُذُنَيك. وكان فيهما جَوْهَرتان نَفيستان جدًّا، فشحَّت المرأةُ بهما وقالت: (٤) انْظرْ إلى غيرِه فإنَّ هذا لا يدرِى ما هما. فقال لها: ادفعيهما إليه فإنهما لا يبيتان هذه الليلةَ إلا عندَك، وهذا الرجلُ لا يُمْكِنُنا أن ندَعَه يذهبُ عنا (٤) مُقَلْقَلَ الخاطرِ، وربما لا يحصُلُ له شىءٌ بعدَ هذا، وإن هذين لا يُمْكِنُ أنَّ أحدًا إذا اشْتَراهما إلا جاء بهما إليك. فانْتَزَعَتْهما فدفَعَتْهما إلى الفَلَّاحِ، فطار عقلُه بهما، وذهَب بهما، فباعَهما لبعضِ التُّجّارِ بألفِ دينارٍ،

(١ - ١) فى م: «أمرت به طلبنا بدمائهم وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك».
(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٠٢)، والنسائى (٣١٧٦). حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٦١٥).
(٣) الخزانة دار: رئيس الصندوق. المعجم الذهبى ص ٢٣٨.
(٤ - ٤) فى م: «أنظره إلى غد فقال: إنه يبيت هذه الليلة».

ولم يَعْرِفْ قِيمتَهما ، فحمَلهما التاجرُ إلى الملكِ ، فردَّهما على زوجتِه ، ثم أنْشَد الجُوَيْنيُّ عندَ ذلك :

ومَن قال إن البحرَ والقَطْرَ أشبها نَدَاه[1] فقد أثْنَى على البحرِ والقَطْرِ

قال : واجْتاز يومًا فى سوقٍ ، فرأَى عندَ بَقَّالٍ عُنَّابًا ، فأعْجَبه لونُه ومالت نفسُه إليه ، فأمَرَ الحاجبَ أن يَشْتَرِيَ منه ببالسٍ ، فاشْتَرَى الحاجبُ منه بربعِ بالسٍ ، فلما وضَعه بينَ يديه أعْجَبه وقال : هذا كلُّه ببالسٍ ؟! فقال : وبقى منه هذا . وأشار إلى ما بقِى معه مِن المالِ ، فغضِب وقال : متى يَجِدُ مَن يَشْتَرِى منه مثلى ؟ تَمِّموا له عشَرةَ بَوالسَ .

قالوا : وأهْدَى له رجلٌ جامَ[2] زُجاجٍ مِن مَعْمولِ حَلَبَ ، فاسْتَحْسَنه جِنْكِزْخان ، فوهَّن أمرَه عندَه بعضُ خَواصِّه ، وقال : خُونْدُ[3] ، هذا زُجاجٌ لا قيمةَ له . فقال : أليس قد حمَله مِن بلادٍ بَعيدةٍ حتى وصَل إلينا سالمًا ؟ أعْطُوه مائتَىْ بالسٍ .

وقيل له : إن فى هذا المكانِ كَنْزًا عظيمًا ، فلو فتَحْتَه أخَذْتَ منه مالًا كثيرًا . فقال : الذى فى أيْدِينا يَكْفِينا ، ودَعُوا هذا يَفْتَحُه الناسُ ويَأْكُلونه ، فهم أحَقُّ به منا . ولم يَتَعَرَّضْ له[4] .

---

(١) فى الأصل : « يداه » .

(٢) الجام : إناء للشراب أو الطعام من فضة أو نحوها . الوسيط (ج و م) .

(٣) الخوند : الأمير . المعجم الذهبى ص ٢٤٨.

(٤) جاء فى حاشية م : وجد بهامش التركية مانصه : « هذا منقول عن ابنه قان الذى قام مقامه ، ولعله هو الصحيح ؛ لأن قان هذا المنسوب إلى الكرم الجِبِلِّى العظيم والسخاء المفرط ، ويحكى عنه حكايات عظيمة فى هذا الشأن ، وأما أبوه جنكزخان فإنه متوسط فى الجود ، بل وفى سائر سجاياه وأخلاقه وأفعاله إلا فى أمر سفك الدماء قبحه الله تعالى » .

قال : واشْتَهَر عن رجلٍ فى بلادِه أنه يَقولُ : أنا أَعْرِفُ مَوْضِعَ كَنْزٍ ، ولا أَقولُه إلا للقان . وألحَّ عليه الأُمراءُ أن يُعْلِمَهم ، فلم يَفْعَلْ ، فذكَروا ذلك للقان ، فأحْضَره على خيلِ الأولاقِ - يعنى البريدَ - سريعًا ، فلما حضرَ إلى بينِ يديه سأَله عن الكَنْزِ ، فقال : إنما كنتُ أَقولُ ذلك حِيلةً لِأرَى وجهَك . فلما رأَى تَغَيُّرَ كلامِه غضِب وقال له : قد حصَل لك ما طلبتَ فارجعْ إلى موضعِك . وأمَر بردِّه سالمًا ، ولم يُعْطِه شيئًا . قال الجوينىُّ : وهذا غريبٌ .

قال : وأهْدَى له إنسانٌ رُمَّانةً ، فكسَرها وفرَّق حبَّها على الحاضِرين ، ثم أمَر له بعددِ حَبِّها بَوالسَ ، ثم أنْشَد عندَ ذلك :

فلذاك تَزْدَحِمُ الوُفودُ ببابِه مثلَ ازْدِحامِ الحَبِّ فى الرُّمَّانِ

قال : وقدِم عليه رجلٌ كافرٌ يقولُ : رأيْتُ فى النوم جِنْكِزْخان يقولُ : قُلْ لأبى يَقْتُلُ المسلمين . فقال له : هذا كذبٌ . وأمَر بقتلِه[1] .

قال : وأمَر بقتلِ ثلاثةٍ قد قضَت « الياسَقُ » بقتلِهم ، فإذا امرأةٌ تَبْكِى وتَلْطِمُ . فقال : ما هذه ؟ أحْضِروها . فقالت : هذا ابنى ، وهذا أخى ، وهذا زوجى . فقال : اخْتارِى واحدًا منهم حتى أُطْلِقَه لك . فقالت : الزوجُ يَجِىءُ مثلُه ، والابنُ كذلك ، والأخُ لا عِوَضَ له . فاسْتَحْسَن ذلك منها ، وأطْلَق الثلاثةَ لها .

قال : وكان يُحِبُّ المُصارِعِين وأهلَ الشُّطارةِ ، وقد اجْتَمَع عندَه منهم جماعةٌ ، فذُكِر له إنسانٌ بخُراسانَ ، فأحْضَره ، فصرَع جميعَ مَن عندَه ، فأكْرَمه وأعْطاه ، وأطْلَق له بنتًا مِن بناتِ المغولِ[2] حَسْناءَ ، فمكَثَت عندَه مدةً لا يَتَعَرَّضُ

---

(١) من المعروف أن جنكزخان لا يعرف له أب كما تقدم . وجاء فى حاشية «م» أن هذا الخبر فيه تخليط ، وأن الصحيح أن هذا حصل لابن جنكزخان .

(٢) فى م : «الملوك» .

لها ، فاتَّفَق مَجيئُها (١) زائرةَ بيتَ القانِ (١) ، فجعَل السلطانُ يُمازِحُها ويقولُ : كيف رأيْتِ المُسْتَغْرِبَ ؟ فذكَرَت أنه لم يَقْرَبْها ، فتعَجَّب مِن ذلك وأحْضَره فسأله عن ذلك فقال : يا خُونْدُ ، أنا إنما حظِيتُ [١٠/١٦ظ] عندَك بالشَّطارةِ ، ومتى قرِبْتُها نقَصَت مَنْزِلتى عندَك (٢) .

قال : ولما احْتُضِر أوْصَى أولادَه بالاتِّفاقِ وعدمِ الافْتِراقِ ، وضرَب لهم فى ذلك الأمْثالَ ، وأحْضَر بين يديه نُشَّابًا ، ويأخذُ السهمَ فيُعْطيه الواحدَ منهم ، فيَكْسِرُه ، ثم أحْضَر حُزْمةً أخرى ودفَعها مجْموعةً إليهم ، فلم يُطِيقوا كسْرَها . فقال : هذا مَثَلُكم إذا اجْتَمَعْتُم واتَّفَقْتُم ، وذلك مَثَلُكم إذا انْفَرَدْتُم واخْتَلَفْتُم .

قال : وقد كان له عِدَّةُ أولادٍ ذُكورٍ وإناثٍ منهم أربعةٌ هم عُظماءُ الأولادِ ؛ وأكبرُهم تولى ، و (٣) هم ؛ تولى (٣) وباتو وبركة وتركجار ، وكان كلٌّ منهم له وَظيفةٌ عندَه . ثم تكلَّم الجُوَيْنيُّ على ملكِ ذريتِه إلى زمانِ هُولاكو خان ، وهو يقولُ فى اسمِه : باذْشاه (٤) زاده هولاكو . وذكَر ما وقَع فى زمانِه مِن الأَوابدِ والأمورِ المُزْعِجةِ ، كما بسَطْنا فى الحوادثِ . واللَّهُ أعلمُ .

السلطانُ الملكُ المُعَظَّمُ ، عيسى بنُ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ (٥) ، ملكُ

(١ - ١) فى م : « إلى الأردوا » .

(٢) بعده فى م : « فقال لا بأس عليك ، وأحضر ابن عم له وكان مثله فأراد أن يصارع الأول فقال السلطان أنتما قرابة ولا يليق هذا بينكما وأمر له بمال جزيل » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « هرتول » ، وفى م : « هريول » . والمثبت من مسالك الأبصار ٣/ ٤٧، ٤٨، وصبح الأعشى ٤/ ٣٠٨. والذى فى المصادر أنه خلف أربعة أولاد ذكورا .

(٤) فى م : « ياذشاه » . وانظر دائرة المعارف الإسلامية ٥/ ٥٩٣.

(٥) مرآة الزمان ٨/٦٤٤ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٣١٧، والذيل على الروضتين ص ١٥٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٩٤، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٠٣، والجواهر المضية ٣/ ٦٨٢.

دمشقَ والشامِ ، كانت وفاتُه يومَ الجمعةِ سَلْخَ ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ ، وكان اسْتِقلالُه بملكِ دمشقَ لما تُوُفِّى أبوه سنةَ خمسَ عشْرةَ ، وكان شُجاعًا عاقلًا فاضلًا ، اشْتَغل فى الفقهِ على مذهبِ أبى حَنيفةَ على الحَصِيرىِّ مدرسِ النُّوريةِ ، وفى اللغةِ والنحوِ على الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدىِّ ، وكان مَحْفوظُه « مُفَصَّلَ الزَّمَخْشَرىِّ » ، وكان يُجِيزُ مَن حَفِظه بثلاثين دينارًا ، وكان قد أمَر أن يُجْمَعَ له كتابٌ فى اللغةِ يَشْمَلُ « صِحاحَ الجَوْهرىِّ » ، و « الجَمْهرَةَ » لابنِ دُرَيْدٍ و « التَّهْذيبَ » للأَزْهَرىِّ وغيرَ ذلك ، وأمَر أن يُرَتَّبَ له « مسندُ الإمامِ أحمدَ » ، وكان يُحِبُّ العلماءَ ويُكْرِمُهم ، ويَجْتَهِدُ فى مُتابَعَةِ الخيرِ ، ويقولُ : أنا على عَقيدةِ الطَّحاوىِّ . وأَوْصَى عندَ وفاتِه أن لا يُكَفَّنَ إلا فى البَياضِ ، وأن يُلْحَدَ له ، ويُدْفَنَ فى الصحراءِ ، ولا يُبْنَى عليه ، وكان يقولُ : واقعةُ دِمْياطَ أَدَّخِرُها عندَ اللَّهِ تعالى ، وأَرْجُو أن يَرْحَمَنى بها . يعنى أنه أبْلَى فيها بَلاءً حَسَنًا - رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد جُمِع له مِن الشجاعةِ [1]والسماحةِ[1] والبَراعةِ والعلمِ ومَحَبةِ أهلِه ، وكان يَجِىءُ فى كلِّ يومِ جمعةٍ إلى تُرْبةِ والدِه ، فيَجْلِسُ قليلًا ، ثم إذا ذكَر المُؤَذِّنون يَنْطَلِقُ إلى تربةِ عمِّه صلاحِ الدينِ ، فيُصَلِّى فيها الجمعةَ ، وكان قليلَ التَّعاظُمِ ؛ يَرْكَبُ فى بعضِ الأَحْيانِ وحدَه ، ثم يَلْحَقُه بعضُ غِلْمانِه سَوْقًا ، وقال فيه بعضُ أصحابِه ، وهو مُحِبُّ الدينِ بنُ أبى الشُّعودِ البغدادىُّ[2] :

لئن غُودِرَتْ تلك المحاسنُ فى الثَّرَى ... بوالٍ فما وَجْدى عليك ببالِ
ومُذْ غِبْتَ عنى ما ظَفِرْتُ بصاحبٍ ... أخى ثِقةٍ إلا خطَرْتَ ببالى

وملَك دمشقَ بعدَه ولدُه الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ ، وبايَعه الأُمراءُ .

(١ - ١) سقط من : م .
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٥٢.

أبو المَعالى[1] أسعدُ بنُ يَحْيَى بنِ موسى بنِ منصورِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ وهبٍ الفَقيهُ الشافعىُّ السِّنجارىُّ ، شيخٌ أديبٌ فاضلٌ خَيِّرٌ ، له نَظْمٌ ونَثْرٌ ظَريفٌ ، وله نَوادِرُ حَسَنةٌ ، وجاوَز التسعين ، قد اسْتَوْزَره صاحبُ حَماةَ فى وقتٍ ، وله شعرٌ رائقٌ أوْرَد منه ابنُ الساعى قطعةً جيدةً ، فمِن ذلك قولُه :

وهَواك ما خطَر السُّلُوُّ ببالِهِ ... وَلأنت أعلمُ فى الغَرامِ بحالِهِ
فمتى وشَى واشٍ إليك بأنه ... سالٍ هَواك فذاك مِن عُذّالِه
أو ليس للكَلِفِ[2] المُعَنَّى شاهدٌ ... مِن حالِه يُغْنِيك عن تَسْآلِه
جدَّدْتَ ثوبَ سَقامِه وهتَكْتَ سِتْـ ... ـرَ غَرامِه وصرَمْتَ حبلَ وِصالِه
يا للعَجائبِ مِن أسيرٍ دأْبُه ... يَفْدِى الطَّليقَ [١٠/١٧و] بنفسِه وبمالِه

وله أيضًا :

لامَ العَواذِلُ فى هَواك فأكْثَروا ... هَيْهاتَ مِيعادُ السُّلُوِّ المَحْشَرُ
جهِلوا مكانَك فى القلوبِ فطوَّلوا[3] ... لو أنهم وجَدوا كوَجْدِىَ أقْصَروا
صَبْرًا على عَذْبِ الهَوَى وعَذابِه ... وأخو الهَوَى أبدًا يُلامُ ويُعْذَرُ

أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ حَمْدانَ الطِّيبىُّ[4] ، المعروفُ بالصائنِ ، أحدُ المُعِيدِين بالنِّظاميةِ ، ودرَّس بالثِّقَتِيَّةِ[5] ، وكان عارفًا

---

(١) كذا فى الأصل ، م . وتقدمت ترجمته فى صفحة ١٤٢ ، وفيها وفى مصادر ترجمته : «أبو السعادات» .

(٢) فى م : «للدنف» .

(٣) فى م : «وحاولوا» .

(٤) الوافى بالوفيات ١٨/ ٢٣٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٩٨ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٧٥ .

(٥) فى الأصل : «بالنعيبة» ، وفى م : «الثقفية» . والمدرسة الثقتية ببغداد نسبة إلى بانيها ثقة الدولة أبى الحسن على بن محمد الدوينى . انظر الكامل ١١/ ٢٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٠١ .

بالمَذْهَبِ والفَرائضِ والحِسابِ ، صنَّف شرحًا « للتَّنْبيهِ » ، ذكَره ابنُ الساعى .

أبو النَّجْمِ محمدُ بنُ القاسمِ بنِ [1]هِبَةِ اللَّهِ[1] التَّكْرِيتيُّ ، الفقيهُ الشافعيُّ ، تفقَّه ببغدادَ على أبى القاسمِ بنِ فَضْلانَ ، ثم أعاد بالنِّظاميةِ ، ودرَّس فى غيرِها ، وكان يَشْتَغِلُ كلَّ يومٍ عشرين درسًا ، وليس له دَأْبٌ إلا الاشْتِغالُ وتِلاوةُ القرآنِ ليلًا ونَهارًا ، وكان بارعًا ، كثيرَ العلومِ ، قد أتْقَن المَذْهَبَ والخِلافَ ، وكان يُفْتِى فى مسألةِ الطلاقِ الثلاثِ بواحدةٍ ، فتغَيَّظ عليه قاضى القُضاةِ أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ ابنُ الحسينِ الدَّامَغانىُّ ، فلم يَسْمَعْ منه ، ثم أُخْرِج إلى تَكْرِيتَ ، فأقام بها ، ثم اسْتُدْعِىَ إلى بغدادَ ، فعاد إلى الاشْتِغالِ ، وأعاده قاضى القُضاةِ نصرُ بنُ عبدِ الرزاقِ إلى إعادتِه بالنِّظاميةِ ، وعاد إلى ما كان عليه مِن الاشْتِغالِ والفَتْوَى والوَجاهةِ إلى أن تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وهذا ذكَره ابنُ الساعى .

(١ - ١) فى الأصل : « عبد اللّه » وانظر ترجمته فى : تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢١٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٣٩.

ثم دخَلت سنةُ خمسٍ وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] كانت حروبٌ كثيرةٌ بينَ جَلالِ الدينِ والتَّتارِ ، كسَروه غيرَ مَرَّةٍ ، ثم بعدَ ذلك كلِّه كسَرهم كَسْرةً عَظيمةً ، وقتَل منهم خلقًا وأُمَمًا لا يُحْصَوْن كثرةً ، وكان هؤلاء التَّتارُ قد انْفَردوا وعصَوْا على جِنْكِزْخان ، فكتَب ابنُ[2] جِنْكِزْخان إلى جَلالِ الدينِ يقولُ : إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبْعَدْناهم ، ولكن ستَرَى منا ما لا قِبَلَ لك به .

وفيها قدِمَت طائفةٌ كبيرةٌ مِن الفِرنْجِ مِن ناحيةِ صِقِلِّيَّةَ ، فنزَلوا عَكًّا وصُورَ ، وحمَلوا على مدينةِ صَيْدا ، فانْتَزَعوها مِن أيدى المسلمين ، وغزَوها[3] وقوِيَت شَوْكتُهم ، وجاء الأنبِرُور ملكُ جزيرةِ قُبْرُسَ ، ثم سار ، فنزَل مدينةَ عَكًّا فخاف المسلمون[4] ، وباللَّهِ المستعانُ .

ورَكِب الملكُ الكاملُ محمدُ بنُ العادلِ صاحبُ مصرَ إلى بيتِ المقدسِ فدخَله ، ثم سار إلى نابُلُسَ ، فخاف الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ مِن عمِّه الكاملِ ، فكتَب إلى عمِّه الأشْرفِ ، فقدِم عليه جَريدةً[5] ، وكتَب إلى أخيه الكاملِ يَسْتَعْطِفُه ، ويَكُفُّه عن ابنِ أخيه ، فأجاب الكاملُ بأنى إنما جئْتُ لحفظِ بيتِ

---

(١) الكامل ١٢/٤٧٥ - ٤٨١، والذيل على الروضتين ص ١٥٢ - ١٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٥ - ٣١.

(٢) سقط من : م.

(٣) فى م : « عبروها ».

(٤) بعده فى م : « من شره ».

(٥) فى الأصل : « جزيرة » . والجريدة : خيل لا رجالة فيها . الوسيط (ج ر د) .

المقدسِ وصَوْنِه عن الفِرنْجِ الذين يُريدون أخْذَه ، وحاشَى للَّهِ أن أُحاصِرَ أخى أو ابنَ أخى ، وبعدَ أن جئتَ أنت إلى الشام ، فأنت تحفَظُها ، وأنا راجعٌ إلى الديارِ المصريةِ . فخشِى الأشرفُ وأهلُ الشامِ[1] إن رجَع الكاملُ أن تَمْتَدَّ أطْماعُ الفِرنْجِ إلى بيتِ المقدسِ ، فركِب الأشْرَفُ إلى أخيه الكاملِ ، فثبَّطه عن الرجوعِ ، وأقاما جميعًا هنالك ، جزاهما اللَّهُ تعالى خيرًا ، يَحْفَظان جَنابَ بيتِ المقدسِ عن الفِرنْجِ ، لعَنهم اللَّهُ تعالى . واجْتَمَع إلى الملكِ[2] جماعةٌ مِن مُلوكِهم ، كأخيه الأشرفِ وأخيهما الشِّهابِ غازى بنِ العادلِ وأخيهم الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ ، وصاحبِ حِمْصَ أسدِ الدينِ شِيركُوه بنِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ شيركوه ، وغيرِهم ، واتَّفَقوا كلُّهم على نَزْعِ الناصرِ داودَ عن مُلْكِ دمشقَ وتَسْليمِها [١٠/١٧ظ] إلى الأشرفِ موسى ؛ [3]لأجلِ حفظِ الشامِ من الفِرنْجِ ، وسيأتى تنفيذُ ذلك فى السنةِ المُسْتَقْبلةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى[3] .

وفيها عُزِل الصَّدْرُ البكْرِىُّ[4] عن حِسْبةِ دمشقَ ومَشْيَخةِ الشيوخِ ، ووُلِّى فيهما[5] اثنان غيرُه .

قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[6] : وفى أوائلِ رجبٍ **تُوُفِّى الشيخُ الفقيهُ الصالحُ أبو الحسنِ علىُّ بنُ المَرَّاكُشىِّ** ، المُقيمُ بالمدرسةِ المالكيةِ ، ودُفِن بالمَقْبَرةِ التى وقَفها الرئيسُ[7] خليلُ بنُ زُويزانَ قِبْلىَّ مَقابرِ الصُّوفيةِ ، وكان أولَ مَن دُفِن بها .

---

(١) فى م : « دمشق » .

(٢) بعده فى الأصل : « العادل » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « التكريتى » . وانظر المصادر المتقدمة .

(٥) فى م : « فيها » .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٥٣ .

(٧) فى م : « الزين » . وانظر المصدر السابق .

ثم دخلت سنة ستٍّ وعشرين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ[1] وملوكُ بنى أيوبَ مُفْتَرِقون مُخْتَلِفون ، قد صاروا أحْزابًا وفِرقًا ، وقد اجْتمع ملوكُهم إلى الكاملِ محمدٍ صاحبِ مصرَ ، وهو مُقيمٌ بنَواحى القدسِ الشريفِ ، فقويَت نفوسُ الفِرنْجِ ، لعَنهم اللَّهُ ، بكثرتِهم بمَن وفَد إليهم مِن البحرِ ، وبموتِ المُعَظَّمِ واخْتِلافِ مَن بعدَه مِن الملوكِ ، فطَلَبوا مِن المسلمين أن يَرُدُّوا إليهم ما كان الناصرُ صَلاحُ الدينِ أخَذه منهم ، فوقَعَت المُصالحَةُ بينَهم وبينَ الملوكِ على أن يَرُدُّوا لهم بيتَ المقدسِ وحدَه ، وتَبْقَى بأيديهم بقيةٌ ، فتسَلَّموا القدسَ الشريفَ ، وكان المُعَظَّمُ قد هدَم أسْوارَه ، فعظُم ذلك على المسلمين جدًّا ، وحصَل بسببِ ذلك وَهْنٌ شديدٌ وإرْجافٌ عظيمٌ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . ثم قدِم الكاملُ ، فحاصَر دمشقَ ، وضيَّق على أهلِها ، فقطَع الأنهارَ ، ونُهِبَت الحَواضِرُ[2] ، وغلَت الأسعارُ ، ولم يَزَلْ بالجنودِ حولَها حتى أخْرَج منها ابنَ أخيه صلاحَ الدينِ الملكَ الناصرَ داودَ بنَ المُعَظَّمِ ، على أن يُقِيمَ مَلِكًا بمدينةِ الكَرَكِ والشَّوْبَكِ ونابُلُسَ [3]وقَرايَا من[3] الغَوْرِ والبَلْقاءِ ، ويكونَ الأميرُ عِزُّ الدينِ أَيْبَك أُستاذُ دارِ المُعَظَّمِ صاحبَ صَرْخَدَ ، ثم تَقايَض الأشرفُ وأخوه الكاملُ ، فأخَذ الأشرفُ دمشقَ وأعْطَى أخاه حَرّانَ والرُّهَا ورأسَ العَيْنِ والرَّقَّةَ

---

(١) الكامل ٤٨٢/١٢ - ٤٨٨، ومرآة الزمان ٦٥٣/٨ - ٦٥٩ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٥٤ - ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٢ - ٣٥.

(٢) فى م : «الحواصل» .

(٣ - ٣) فى م : «برا ما بين» .

وسَرُوجَ ، ثم سار الكاملُ فحاصَر حَماةَ ، وكان صاحبُها الملكُ المنصورُ بنُ تَقِيِّ الدينِ عُمرَ قد تُوُفِّى ، وعهِد بالأمرِ مِن بعدِه إلى أكبرِ ولدِه المُظَفَّرِ محمدٍ ، وهو زوجُ بنتِ الكاملِ ، فاستَحْوَذ على حَماةَ أخوه صلاحُ الدينِ قِلِيج أرْسَلان ، فحاصَره الكاملُ حتى أنْزَله مِن قلعتِها ، وسلَّمها إلى أخيه المُظَفَّرِ محمدٍ ، ثم سار فتسَلَّم البلادَ التى قايَض بها عن دمشقَ مِن أخيه الملكِ الأشرفِ كما ذكَرْنا ، وكان الناسُ بدمشقَ قد اشْتَغَلوا بعلمِ الأَوائلِ[1] فى أيامِ الملكِ الناصرِ داودَ ، وكان يُعانى ذلك ، وربما[2] نسَبه بعضُهم إلى نوعٍ مِن الانْحِلالِ . فاللَّهُ أعلمُ . فنادَى الملكُ الأشْرفُ بالبُلْدانِ أن لا يَشْتَغِلَ الناسُ بذلك ، وأن يَشْتَغِلوا بعلمِ التَّفسيرِ والحديثِ والفقهِ ، وكان سيفُ الدينِ الآمِدىُّ مُدَرِّسًا بالعَزِيزيةِ ، فعزَله عنها ، وبقِى مُلازِمًا منزلَه حتى مات فى سنةِ إحدى وثلاثين كما سيأْتى .

وفيها كان الناصرُ داودُ قد أضاف إلى قاضى القُضاةِ شمسِ الدينِ بنِ الخُوَيِّىِّ[3] القاضىَ مُحيِىَ الدينِ [4]أبا الفضائلِ[4] يَحْيَى بنَ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الزَّكِىِّ ، فحكَم أيامًا بالشُّبَّاكِ ، شرقىَّ بابِ الكَلَّاسةِ ، ثم صار يَحْكُمُ بدارِه ، مُشارِكًا لابنِ الخُوَيِّىِّ[3] .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(١) انظر ما تقدم صفحة ٧٦ حاشية (٨) .

(٢) فى م : « قديما » .

(٣) فى م : « الخولى » . وانظر المشتبه ١/ ١٩٣، وتبصير المنتبه ١/ ٣٧٦.

(٤ - ٤) سقط من : م . وفى الأصل : « أبا المعالى » . والمثبت من الذيل على الروضتين . وأبو المعالى كنية أبيه محيى الدين محمد بن على بن يحيى بن على . انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٦/ ١٥٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٢٩.

أبو يوسُفَ يعقوبُ بنُ صابرٍ الحَرَّانيُّ ثم البغداديُّ المَنْجَنيقيُّ[1] ، كان فاضلًا [١٠/١٨و] فى فنِّه، وشاعرًا مُطَبِّقًا، لطيفَ الشِّعرِ، حَسنَ المعانى، وقد أوْرَد له ابنُ الساعى قطعةً صالحةً، ومِن أحْسنِ ما أوْرَد له قَصيدةٌ فيها تَعْزيةٌ عظيمةٌ لجميعِ الناسِ، وهى قولُه:

هل لمَن يَرْتَجِى[2] البَقاءَ خلودُ ... وسِوَى اللّٰهِ كلُّ شىءٍ يَبِيدُ

والذى كان مِن ترابٍ وإنْ عا ... ش طويلًا للترابِ يَعودُ

فمَصيرُ الأنامِ طُرًّا إلى ما ... صار فيه آباؤُهم والجُدودُ

أينَ حَوّاءُ أينَ آدمُ إذ فا ... تَهمُ الخُلْدُ والثَّوَى والخُلودُ

أينَ هابيلُ أينَ قابيلُ إذ هـ ... ـذا لهذا مُعانِدٌ وحَسودُ

أينَ نوحٌ ومَن نَجَا مَعه بالـ ... ـفُلْكِ والعالمون طُرًّا فَقيدُ

أَسْلَمَتْه الأيامُ كالطفلِ للمو ... تِ ولم يُغْنِ عمرُه المَمْدودُ

أينَ عادٌ بل أينَ جنةُ عادٍ ... أم تَرَى أينَ صالحٌ وثَمودُ

أينَ إبراهيمُ الذى شاد بيتَ الـ ... ـلَّـهِ فهْو المُعَظَّمُ المَقْصودُ

حسَدوا يُوسُفًا أخاهمْ فكادو ... هُ وماتَ الحسودُ[3] والمَحْسودُ

وسليمانُ فى النُّبوَّةِ والمُلْـ ... ـكِ قضَى مثلَ ما قضَى داودُ

فغدَوْا بعدَ ما أُطِيعَ لِذا الخَلْـ ... ـقُ وهذا له أُلِينَ الحَديدُ

وابنُ عِمْرانَ بعدَ آياتِه التسـ ... ـعِ وشقٌّ الخِضَمِّ فهْو صَعيدُ

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٣٦١، ووفيات الأعيان ٧/ ٣٥، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٢٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٧١.

(٢) فى الأصل: «يُرَجِّى».

(٣) فى م: «الحاسد».

والمسيحُ ابنُ مريمٍ وهْو رُوحُ الــــــــــلَّهِ كادت تَقْضِى عليه اليهودُ

وقضى سيدُ النَّبِيِّين والهادى إلى الحقِّ أحمدُ المحْمودُ

وبنوه وآلُه الطاهرون الزُّهْرُ صلَّى عليهمُ المَعْبودُ

ونجومُ السماءِ مُنْتَثِراتٌ بعدَ حينٍ وللهواءِ رُكودُ

ولنارِ الدنيا التى تُوقِدُ الصَّخْـرَ خُمودٌ وللمياهِ جُمودُ

وكذا للثَّرَى غَداةَ يَؤُمُّ النَّـاسَ منها تَزَلْزُلٌ وهُمودُ

هذه الأُبَّهاتُ[1] نارٌ وتُرْبٌ وهَواءٌ رَطْبٌ وماءٌ بَرودُ

سوف تَفْنَى كما فنِينا فلا يَبْـقَى مِن الخلقِ والدٌ ووَليدُ

لا الشَّقىُّ الغَوِىُّ مِن نُوَبِ الأيَّـامِ يَنْجو ولا السعيدُ الرَّشيدُ

ومتى سَلَّتِ المَنايا سيوفًا فالمَوالى حَصيدُها والعَبيدُ

الملكُ المسعودُ أَقْسِيسُ بنُ الكاملِ صاحبُ اليمنِ[2]، وقد ملَك مكةَ من سنةِ تسعَ عشْرةَ، فأحْسَن بها المَعْدَلةَ، ونفَى الزَّيْديَّةَ منها، وأمِنَت الطُّرُقاتُ والحُجَّاجُ، ولكنه كان مُسْرِفًا على نفسِه، فيه عَسْفٌ وظلمٌ أيضًا. وكانت وفاتُه بمكةَ، ودُفِن [3]بباب المَعْلَى[3].

محمدٌ السَّبتىُّ النَّجَّارُ[4]، كان يَعُدُّه بعضُهم مِن الأبدالِ، قال أبو شامةَ:

---

(١) فى م: «الأمهات».

(٢) مرآة الزمان ٦٥٨/٨ (القسم الثانى) والذيل على الروضتين ص ١٥٨، ونهاية الأرب ١٥٧/٢٩، وسير أعلام النبلاء ٣٣١/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٧٣.

وجاء اسمه فى الذيل على الروضتين «أطسيس». قال ابن خلكان ٧٨/٥، ٧٩ فى ترجمة العادل: أطسيس، بفتح الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر السين المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم سين ثانية وهى كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم، والناس يقولون: أقسيس بالقاف، وصوابه بالطاء.

(٣ - ٣) كذا فى الأصل، م. وفى المصادر: «بالمعلى».

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٥٧.

وهو الذى بنَى المسجدَ غربىَّ دارِ الوكالةِ[1] عن يَسارِ المارِّ فى الشارعِ ، مِن مالِه ، ودُفِن بالجبلِ . وكانت جِنازتُه مَشْهودةً . رحِمه اللَّهُ تعالى .

العبَّادىُّ الشاعرُ : أبو الحسنِ علىُّ بنُ سالمِ بنِ يزبك بنِ محمدِ بنِ مُقَلَّدٍ[2] ، **العَبَّادىُّ الشاعرُ** ، مِن الحَدِيثةِ ، قدِم بغدادَ مِرارًا ، وامْتَدَح المُسْتَنصِرَ[3] وغيرَه ، وكان فاضلًا كثيرَ التَّغَزُّلِ .

أبو الفتوحِ نصرُ بنُ علىٍّ البَغْدادىُّ[4] ، الفَقيهُ الشافعىُّ ، ويُلَقَّبُ بثَعْلبٍ ، اشْتَغَل فى المذهبِ والخِلافِ ، ومِن شعرِه قولُه :

جِسْمى معى غيرَ أن الرُّوحَ عندَكمُ فالجسمُ فى غُرْبةٍ والرُّوحُ فى وَطَنِ
فلْيَعْجَبِ الناسُ منِّى أنَّ لى بدنًا لا رُوحَ فيه ولى رُوحٌ بلا بَدَنِ

أبو الفضلِ جِبْريلُ بنُ منصورِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ جِبْريلَ بنِ الحسنِ بنِ غالبِ ابنِ يَحْيى بنِ مُوسى بنِ يَحْيى بنِ الحسنِ بنِ غالبِ بنِ الحسنِ بنِ عمرِو بنِ الحسنِ بنِ النُّعمانِ بنِ المنذرِ[5] ، المَعْروفُ بابنِ زُطِينا البَغْدادىُّ ، كان كاتبَ الدِّيوانِ بها ، أسْلَم ، وكان نَصْرانيًّا ، فحسُن إسلامُه ، وكان مِن أفْصَحِ الناسِ [١٠/١٨ظ] وأبْلَغِهم مَوْعظةً ، فمِن ذلك قولُه : خيرُ أوقاتِك ساعةٌ صَفَتْ للَّه ، وخلَصَت[6] مِن الفِكْرةِ لغيرِه والرَّجاءِ لسواه ، وما دُمْتَ فى خدمةِ السلطان ، فلا تَغْتَرَّ بالزمان ، اكْفُفْ كفَّك ، واصْرِفْ طَرْفَك ، وأَكْثِرْ صومَك ، وأَقْلِلْ نومَك[7] ،

---

(١) فى م : « الزكاة » . وفى الذيل : « الركوة » . وانظر الدارس ٢/ ٣٠٦.
(٢) فوات الوفيات ٢١/ ١٢٦، وليس فيه : « بن يزبك » .
(٣) فى م : « المستظهر » . وهو خطأ، فإن المستظهر العباسى توفى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة .
(٤) الوافى بالوفيات ١١/ ١٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٣٦.
(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٤٧.
(٦) فى الأصل : « جلت » .
(٧) بعده فى م : « يؤمنك » .

واشْكُرْ ربَّك ، يُحْمَدْ أمْرُك .

وقال : زادُ المسافرِ مُقَدَّمٌ على رَحيلِه ، فأَعِدَّ الزادَ تَبْلُغِ المُرادَ .

وقال : إلى متى تَتمادَى فى الغَفْلة ؟ كأنك قد أمِنْتَ عَواقبَ المُهْلة ، عمرُ اللهوِ مضَى ، وعمرُ الشَّبيبةِ انْقَضَى ، وما حصَلْتَ مِن ربِّك على ثقةٍ بالرِّضا ، وقد انْتَهَى بك الأمرُ إلى سنِّ التَّخاذُل ، وزمنِ التَّكاسُل ، وما حظِيتَ بطائل .

وقال : رُوحُك تَخْضَع ، وعينُك لا تَدْمَع ، وقلبُك لا يَخْشَع ، ونَفْسُك [(1)]لا تَشْبَع[(1)] ، وتَظْلِمُ نفسَك وأنت لها تَتَوَجَّع ، وتُظْهِرُ الزهدَ فى الدنيا وفى المالِ تَطْمَع ، وتَطْلُبُ ما ليس لك بحقٍّ وما وجَب عليك مِن الحقِّ لا تَدْفَع ، وتَرُومُ فضلَ ربِّك وللماعونِ تَمْنَع ، وتَعِيبُ نفسَك الأمَّارةَ وهى عن اللهوِ لا تَرْجِع ، وتُوقِظُ الغافِلِين بإنْذارِك وتَتناوَمُ عن سهمِك وتَهْجَع ، وتَخُصُّ غيرَك بخيرِك ونفسَك الفَقيرةَ لا تَنْفَع ، وتَحُومُ على الحقِّ وأنت بالباطلِ مُولَع ، وتَتَعَثَّرُ فى المَضايقِ وطريقُ[(2)] النجاةِ مَهْيَع[(3)] ، وتَتَهَجَّمُ على الذنوبِ وفى المجْرِمين تَشْفَع ، [(4)]وتَرْكَنُ إلى دارِ السلامةِ وأنت بالعَطْبِ مُرَوَّع ، وتَحْرِصُ على زيادةِ الاكتسابِ وحسابُك فى كِفْلِ غيرِك يُوضع[(4)] ، وتُظْهِرُ القَناعةَ بالقليلِ وبالكثيرِ لا تَشْبَع ، وتُعَمِّرُ الدارَ الفانيةَ ودارُك الباقيةُ خَرابٌ بَلْقَع ، وتَسْتَوْطِنُ فى منزلِ رَحيلٍ كأنَّك إلى ربِّك لا تَرْجِع ، وتَظُنُّ أنك بلا رَقيبٍ وأعمالُك إلى المُراقِبِ تُرْفَع ، وتُقْدِمُ على الكبائرِ وعن الصغائرِ تَتَوَرَّع ، وتُؤَمِّلُ الغُفْرانَ وأنت عن الذنوبِ لا تُقْلِع ، وتَرَى

(1 - 1) فى م : « تجشع » .

(2) فى م : « طرق » .

(3) المهيع من الطرق : البَيِّن . الوسيط (هـ ى ع) .

(4 - 4) سقط من : م .

الأهْوالَ مُحِيطةٌ بك وأنت فى مَيْدانِ اللَّهْوِ تَرْتَع، وتَسْتَقْبِحُ أفعالَ الجُهَّالِ وبابَ الجهلِ تَقْرَع، وقد آن لك أن تَأْنَفَ مِن التَّعَسُّفِ[1] وعن الدَّنايا تَتَرَفَّع، وقد سار المُخِفُّون وتخَلَّفْتَ فماذا تَتَوَقَّع؟

وقد أوْرَد له ابنُ الساعى شعرًا حسَنًا؛ فمنه:

إن سَهِرَت عينُك فى طاعةٍ ... فذاك خيرٌ لك مِن نومِ

أَمْسُك قد فات بعِلَّاتِه ... فاسْتَدْرِكِ الفائتَ فى اليومِ

وله:

إن ربَّما هَداك بعدَ ضَلالٍ ... سُبُلَ الرُّشْدِ[2] مُسْتَحِقُّ العِبادةْ

فتَعَبَّدْ له تَجِدْ منه عِتْقًا ... واسْتَدِمْ فضلَه بطُولِ الزَّهادَةْ

[3]وله:

إذا تعَفَّفْتَ عن حَرامٍ ... عُوِّضْتَ بالطَّيِّبِ الحَلالِ

فاقْنَعْ تَجِدْ فى الحَرامِ حِلًّا ... فضلًا مِن اللَّهِ ذى الجَلالِ[3]

---

(1) فى م: «التعنيف».

(2) سقط من: الأصل.

(3 - 3) سقط من: الأصل.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وعشرين وستّمائةٍ

فيها[(١)] كانت وَقْعةٌ عظيمةٌ بينَ الأشرفِ موسى بنِ العادلِ وبينَ جَلالِ الدينِ ابنِ خُوارَزْم شاه الخُوارَزْميِّ ، وكان سببَها أن جَلالَ الدينِ كان قد أخَذ مدينةَ خِلاطَ فى العامِ[(٢)] الماضى ، وخرَّبها وشرَّد أهلَها ، وحارَبه عَلاءُ[(٣)] الدينِ كيْقُباذُ[(٤)] ملكُ الرومِ ، وأرْسَل إلى الأشرفِ يَسْتَحِثُّه على القدومِ عليه ولو جَريدةً وحدَه ، فقدِم الأشرفُ فى طائفةٍ كثيرةٍ مِن عسكرِ دمشقَ ، وانْضاف إليه عسكرُ بلادِ الجَزيرةِ ومَن بقِى مِن عَسْكرِ خِلاطَ[(٥)] ، فكانوا خمسةَ آلافِ مُقاتِلٍ صَلِيبَةً[(٦)] ، معهم العُدَّةُ الكاملةُ ، والخُيولُ الهائلةُ ، فالْتَقَوْا مع جَلالِ الدينِ بأذْرَبِيجانَ ، وهو فى عشرين

---

(١) الكامل ٤٨٩/١٢ - ٤٩٤، ومرآة الزمان ٦٥٩/٨ - ٦٦٣ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٨، ١٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٦ - ٤١.

(٢) سقط من : م . والذى ذكر أن جلال الدين أخذ خلاط فى العام الماضى هو الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٥ ضمن حوادث سنة ست وعشرين وستمائة ، وذكر هناك أن جلال الدين لم يزل يجدّ فى حصار خلاط حتى افتتحها آخر العام ، أما فى أحداث هذه السنة - السابعة والعشرين - فقد نقل الحافظ الذهبى فيها أقوال أبى شامة وسبط ابن الجوزى والموفق البغدادى ، أما أصحاب المصادر الأخرى فقد ذكروا أنه افتتحها فى هذا العام ، حدَّد صاحبا مرآة الزمان والكامل أن ذلك كان فى جمادى الأولى ، ولم يسم فى الذيل على الروضتين الشهر الذى وقع فيه ذلك ، وأما ما اتفقت عليه جميع المصادر فهو أنه قد حاصر خلاط من العام الماضى .

(٣) فى الأصل : « عماد » .

(٤) فى الأصل : « ليعتاد » .

(٥) لم تذكر المصادر أن الأشرف استصحب معه من بقى من عسكر خلاط ، إلا أن قصد المصنف أعمال خلاط ، ففى الكامل أن الخوارزمى لما انهزم هو ومن معه « عادوا إلى أذربيجان فنزلوا عند مدينة خوى ، ولم يكونوا قد استولوا على شىء من أعمال خلاط سوى خلاط » .

(٦) الصليبة : الشديدة القوية : انظر الوسيط (ص ل ب) .

ألفَ مُقاتِلٍ ، فلم يَقُمْ لهم ساعةً [١٩/١٠و] واحدةً ، ولا صبَر ، بل تَقَهْقَر وانْهَزم واتَّبَعوهم على الأثَرِ ، ولم يَزالوا فى أثرِهم إلى مدينةِ خُوَىٍّ[1] ، وعاد الأشرفُ إلى مدينةِ خِلاطَ ، فوجَدها خاويةً على عُروشِها ، فمهَّدها وأطَّدَها ، ثم تَصالَح هو وجَلالُ الدينِ ، وعاد إلى مُسْتَقَرِّ مُلْكِه بدمَشقَ ، حرَسها اللَّهُ تعالى وإياه .

وفيها تسَلَّم الملكُ الأشرفُ قلعةَ بَعْلَبَكَّ مِن الملكِ الأمْجدِ بَهْرام شاه بعدَ حِصارٍ طَويلٍ ، ثم اسْتَخْلَف على دمشقَ أخاه الصالحَ إسماعيلَ ، ثم سار إلى الشرقِ[2] بسببِ أن جَلالَ الدينِ الخُوارَزْمىَّ اسْتَحْوَذ على بلادِ خِلاطَ ، وقتَل مِن أهلِها خلقًا كثيرًا ، ونهَب أموالًا كثيرةً ، فالْتَقَى معه الأشرفُ رَأْسًا هائلًا ، واقتَتلوا قتالًا عظيمًا ، فهزَمه الأشْرفُ هزيمةً مُنْكَرةً ، وهلَك مِن الخُوارَزْميةِ خلقٌ كثيرٌ ، ودُقَّت البَشائرُ فى البلادِ فرَحًا بنُصْرةِ الأشرفِ على الخُوارَزْميةِ ، فإنهم كانوا لا يَفْتَحون بلدًا إلا قتَلوا مَن فيه ونهَبوا أموالَه ، فكسَرهم اللَّهُ تعالى ، وقد كان الأشْرفُ رأَى النبىَّ ﷺ فى المَنامِ قبلَ الوَقْعةِ ، وهو يقولُ له : يا موسى ، أنت مَنْصورٌ عليهم . ولما فرَغ مِن كَسْرِهم عاد إلى بلادِ خِلاطَ ، فرمَّ شَعَثَها ، وأصْلَح ما كان فسَد منها .

ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ الشامِ فى هذه السنةِ ، ولا فى التى قبلَها ، وكذا فيما قبلَها أيضًا ، فهذه ثلاثُ سنينَ لم يَسِرْ مِن الشامِ حاجٌّ إلى الحجازِ .

وفيها أخَذَت[3] الفِرِنْجُ جَزيرةَ مَيُورْقَةَ[4] وقتَلوا بها خلقًا ، وأسَروا آخَرين ، فقدِموا

---

(١) لم تذكر المصادر تتبع الأشرف موسى للخوارزمى وجيشه إلى خوى . وخوى : بلد مشهور من أعمال أذربيجان . انظر معجم البلدان ٢/ ٥٠٢.

(٢) فى م : « الأشرف » .

(٣) بعده فى الأصل : « من » .

(٤) فى م : « سورقة » . وميورقة : جزيرة فى شرقى الأندلس . معجم البلدان ٤/ ٧٢٠.

بهم إلى الساحلِ ، فاسْتَقْبَلَهم المسلمون ، فأَخْبَروا بما جرَى عليهم مِن الفِرَنْجِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

زَيْنُ الأُمَناءِ الشيخُ الصالحُ أبو البَرَكَاتِ[1] الحسنُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ ابنِ هِبةِ اللَّهِ ، زَيْنُ الأُمَناءِ ، ابنُ عَساكرَ الدِّمشقيُّ الشافعيُّ ، سمِع الحديثَ على عمَّيه الحافظِ أبى القاسمِ والصائنِ وغيرِ واحدٍ ، وعُمِّر وتفَرَّد بالرِّوايةِ[2] ، وجاوَز الثمانين بنحوٍ مِن ثلاثِ سنينَ ، وأُقْعِد فى آخِرِ عمرِه ، فكان يُحْمَلُ فى مِحَفَّةٍ إلى الجامعِ وإلى دارِ الحديثِ النُّوريَّةِ لإسماعِ الحديثِ ، وانْتَفَع الناسُ به مدةً طويلةً ، ولما تُوُفِّى حضَر الناسُ جِنازتَه ، ودُفِن عندَ أخيه الشيخِ فخرِ الدينِ بنِ عَساكرَ بمقابرِ الصُّوفيةِ . رحِمهما اللَّهُ تعالى .

الشيخُ بيرمُ المارِدِينيُّ[3] ، كان صالحًا مُنْقَطِعًا مُحِبًّا للعُزْلةِ عن الناسِ ، وكان مُقيمًا بالزَّاويةِ الغَربيةِ مِن الجامعِ ، [4]وهى التى يقالُ لها : الغَزَّاليةُ[4] . وتُعْرَفُ بزاويةِ الدَّوْلَعيِّ وبزاويةِ القُطْبِ النَّيْسابوريِّ ، وبزاويةِ الشيخِ[5] نصرِ المَقْدسيِّ . قاله الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ . وكان يومُ جِنازتِه يومًا مَشْهودًا ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ[6] . رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) بعده فى م : « بن » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٦٦٣/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٣٨٦، والذيل على الروضتين ص ١٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٨٠، والوافى بالوفيات ٢٥٣/١٢ وعنده « الحسن بن محمد ابن هبة الله » ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٤١.

(٢) إضافة من المصنف ، فلم تذكر المصادر تفرده بالرواية .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٥٨.

(٤ - ٤) زيادة من الأصل، م . ليست فى مصدر الترجمة .

(٥) بعده فى م : « أبى » .

(٦) فى الذيل على الروضتين أنه دُفن شرقى مقبرة ابن شيت على تل هناك .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وعشرين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] والملكُ الأشرفُ موسى بنُ العادلِ ببلادِ الجَزيرةِ مَشْغولٌ بإصلاحِ ما كان جَلالُ الدينِ الخُوارَزْميُّ قد أَفْسَده مِن بلادِه[2] . وقد قدِمَت التّتارُ فى هذه السنةِ إلى الجَزيرةِ وديارِ بكرٍ ، فعاثوا بالفَسادِ يمينًا وشمالًا ، فقتَلوا ونهَبوا وسبَوْا ، على عادتِهم ، خذَلهم اللّهُ تعالى .

وفيها رُتِّب إمامٌ بمشهدِ أبى بكرٍ مِن جامعِ دمشقَ ، وصُلِّيَت فيه الصَّلواتُ الخمسُ .

وفيها درَّس الشيخُ تَقىُّ الدِّينِ بنُ الصَّلاحِ الشَّهْرَزُورىُّ الشافعىُّ بالمدرسةِ الشاميةِ الجَوَّانيةِ جِوارَ المارَسْتانِ فى جُمادَى الأُولى منها .

وفيها درَّس [3]الناصحُ بنُ الحَنْبلىِّ[3] بالصاحبةِ[4] بسفحِ قاسِيونَ التى أَنْشَأَتْها

---

(١) الكامل ١٢/٤٩٥ - ٥٠٥، ومرآة الزمان ٨/٦٦٥ - ٦٦٧ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٥٩ - ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٢ - ٤٥.

(٢) لم يُذكر ذلك فى المصادر ، ولكن لعل المصنف رحمه اللّه اعتبره امتدادا لما ذُكر فى السنة الماضية - السابعة والعشرين - فإن ذِكْر المصنف - فيما يأتى - قدوم التتار إلى الجزيرة وديار بكر وإفسادهم فيهما قد يتعارض مع ذلك ، ولا تعارض ، فالجزيرة هى جزيرة أقور تشتمل على ديار مضر ، وديار بكر بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة . ومن أمهات مدنها حسران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك . انظر معجم البلدان ٢/ ٧٢. وبذا يتبين أنها منطقة كبيرة ، كان التتر يغيرون على بعضها فقط ، كما فصَّله ابن الأثير وغيره سنة ثمان وعشرين.

(٣ - ٣) فى الأصل : « بن الناصر » ، وفى م : « الناصر بن » . والمثبت من مرآة الزمان وتاريخ الإسلام . وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٤.

(٤) فى م : « بالصالحية » . وفى تاريخ الإسلام : « الصاحبية » . والمثبت من الأصل صحيح أيضًا ، فقد ذكرت بـ« الصاحبة » و« الصاحبية » ؛ انظر الدارس ٢/ ٧٩، ٨٠، ٨٢.

الخاتونُ ربيعةُ بنتُ أيوبَ أختُ ستِّ الشَّامِ .

وفيها حبَس الملكُ الأشرفُ الشيخَ عليًّا الحَرِيرىَّ [١٠/١٩ظ] بقلعةِ عَزَّتا .

وفيها كان غَلاءٌ شديدٌ بديارِ مصرَ وبلادِ الشامِ وحلَبَ والجَزيرةِ بسببِ قلةِ المياهِ السَّماويةِ والأرضيةِ ، فكانت هذه السنةُ كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥، ١٥٦] .

وذكَر ابنُ الأثيرِ[(١)] كلامًا طويلًا مَضْمونُه خروجُ طائفةٍ مِن التَّتارِ مرةً أخرى مِن بلادِ ما وراءَ النهرِ ، وكان سببَ قُدومِهم هذه السنةَ أن الإسْماعيليةَ كتَبوا إليهم يُخْبِرونهم بضعفِ أمرِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه ، وأنه عادَى جميعَ الملوكِ حولَه حتى الخليفةَ ، وأنه قد كسَره الأشرفُ بنُ العادلِ مرتين ، وكان جَلالُ الدينِ قد ظهَرت منه أفعالٌ ناقصةٌ تَدُلُّ على قلةِ عقلِه ، وذلك أنه تُوُفِّى له غُلامٌ خَصِيٌّ يقالُ له : قلجٌ[(٢)] . وكان يُحِبُّه ، فوجَد عليه وَجْدًا عظيمًا بحيث إنه أمَر الأُمراءَ أن يَمْشُوا فى جِنَازتِه ، فمشَوْا فَراسخَ إلى تربتِه ، وأمَر أهلَ البلدِ أن يَخرُجوا بحُزْنٍ وتَعْدادٍ عليه ، فتوانَى بعضُهم فى ذلك ، فهمَّ بقتلِهم حتى تَشَفَّع فيهم بعضُ الأمراءِ ، ثم لم يسمَحْ بدفنِ قلجٍ ، فكان يُحْمَلُ معه فى مِحَفَّةٍ ، وكلما أُحْضِر بينَ يديه طَعامٌ يقولُ : احْمِلوا هذا إلى قلجٍ .فقال له بعضُهم : أيُّها الملكُ ، قد مات قلجٌ . فأمَر بضربِ عنقِه فقُتِل ، فكانوا بعدَ ذلك يقولون : قَبِلَه[(٣)] وهو يُقَبِّلُ

---

(١) الكامل ١٢/٤٩٥ - ٥٠٠.

(٢) هنا وفيما يأتى فى الأصل : « فلح » .

(٣) أى قَبِل قلجٌ الطعامَ.

الأرضَ ويقولُ : هو الآن أصْلَحُ مما كان . يعنى أنه مَريضٌ وليس بميتٍ ، فيَجِدُ الملكُ راحةً بذلك ؛ مِن قلةِ عقلِه ودينِه ، قبَّحه اللَّهُ تعالى .

فلما جاءت التَّتارُ اشْتَغل بهم ، وأمَر بدفنِ قلجٍ ، وهربَ مِن بينِ أيديهم ، وامْتَلأ قلبُه خوفًا منهم ، وجعل كلما سار إلى قُطْرٍ لحِقوه إليه ، وخرَّبوا ما اجْتازوا به مِن الأقاليمِ والبُلْدانِ ، حتى انْتَهوا إلى الجزَيرةِ ، وجاوَزوها إلى سِنْجارَ وماردِينَ وآمِدَ ، يُفْسِدون ما قدَروا عليه قتْلًا وأسْرًا ونهبًا ، وتمَزَّق شملُ جَلالِ الدينِ ، وتفرَّق عنه جيشُه ، فصاروا شَذَرَ مَذَرَ ، وبُدِّلوا بالأمنِ خوفًا ، وبالعِزِّ ذُلًّا ، وبالاجتماعِ تَفْريقًا ، فسبحانَ مَن بيدِه الملكُوتُ[1] ! وانْقَطَع خبرُ جَلالِ الدينِ فلا يُدْرَى أين سلَك ولا أين ذهَب ، وتمكَّنَت التَّتارُ مِن الناسِ فى سائرِ البلادِ لا يَجِدون مَن يَمْنَعُهم ولا مَن يَرْدَعُهم ، وألْقَى اللَّهُ تعالى الوَهْنَ والضَّعْفَ فى قلوبِ الناسِ منهم ، كانوا كثيرًا ما يَقْتُلون الناسَ ، فيقولُ المسلمُ : لا باللَّهِ ، لا باللَّهِ . فكانوا يَلْعَبون على الخيلِ ، ويُغَنُّون ويُحاكُون الناسَ : لا باللَّهِ لا باللَّهِ . وهذه طامَّةٌ عُظْمَى وداهيةٌ كبرى ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون .

وحجَّ الناسُ فى هذه السنةِ مِن الشامِ ، وكان فيمن خرَجَ الشيخُ تَقِىُّ الدينِ أبو عمرٍو بنُ الصَّلاحِ ، ثم لم يَحُجَّ الناسُ بعدَ هذه السنةِ أيضًا لكثرةِ الحروبِ والخوفِ مِن التَّتَرِ والفِرنْجِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها[2] تَكامَل بناءُ المدرسةِ التى بسُوقِ العَجَمِ مِن بغدادَ ، المَنْسوبةِ إلى إقْبالٍ الشَّرابِىِّ ، وحضَر الدرسَ بها ، وكان يومًا مشهودًا ، واجْتمع فيها جميعُ المُدَرِّسينِ

---

(١) فى م : «الملك لا إله إلا هو» .

(٢) هذا الخبر لم نجده فى مصادر التخريج ، وانظر الدارس ١/ ١٥٩، ١٦٠ فقد نقل مصنفه هذا الخبر من ابن كثير .

والمُفْتِين[1] ببغدادَ ، وعمِل بصَحْنِها قِبابَ الحلْواءِ ، فحُمِل منها إلى جميعِ المدارسِ والرُّبُطِ ، ورتَّب فيها خمسةً وعشرين فقيهًا لهم الجَوامكُ[2] الدارَّةُ فى كلِّ شهرٍ ، والطعامُ فى كلِّ يومٍ والحلواتُ فى أوقاتِ المَواسمِ ، والفَواكِهُ فى زمانِها ، وخلَع على المُدَرِّسِ [٢٠/١٠و] والمُعِيدِين والفُقهاءِ يومئذٍ ، وكان وقتًا حسَنًا ، تقَبَّل اللَّهُ تعالى منه .

وفيها سار الأشْرفُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ القاضى الفاضلِ فى الرَّسْليةِ[3] عن الكاملِ محمدٍ صاحبِ مصرَ إلى الخليفةِ المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ ببغدادَ ، فأُكْرِم وأُعِيد مُعَظَّمًا .

وفيها دخَل الملكُ المُظَفَّرُ أبو سعيدٍ كوكُبُرى بنُ زَيْنِ الدينِ صاحبُ إرْبِلَ إلى بغدادَ ، ولم يَكُنْ دخَلَها قطُّ ، فتلَقَّاه المَوْكِبُ ، وشافَهه الخليفةُ بالسلامِ مرتين فى وقتَيْن ، وكان ذلك شرفًا له ، غبَطه به سائرُ ملوكِ الآفاقِ ، وسألوا أن يُهاجِروا ليَحْصُلَ لهم مثلُ ذلك ، فلم يُمَكَّنوا لحفظِ الثُّغورِ ، ورجَع إلى مملكتِه مُعَظَّمًا مُكَرَّمًا .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

ابنُ مُعْطِى النَّحْوىُّ[4] : **يحيَى بنُ مُعطِى بنِ عبدِ النُّورِ النحوىُّ** ، صاحبُ

---

(١) لعلَّ صوابه « المعيدين » كما سيأتى .

(٢) الجوامك : المرتبات . انظر صبح الأعشى ٣/ ٥١٩، والمعجم الذهبى ص ١٩٨.

(٣) هذا الخبر لم نجده فى مصادر التخريج ، وقد ذكره صاحب الوافى بالوفيات فى ترجمة ابن الفاضل هذا ٧/ ٥٧.

(٤) معجم الأدباء ٢٠/ ٣٥، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٤٣٩، والذيل على الروضتين ص ١٦٠، ووفيات الأعيان ٦/ ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٣١، والجواهر المضية ٣/ ٥٩٢. وقد جاء فى التكملة ووفيات الأعيان والجواهر « يحيى بن عبد المعطى » . أما فى كتابى الحافظ الذهبى السير والتاريخ فقد عنونه فى الأول « ابن معطى » ثم فصل اسمه فقال : « بن عبد المعطى » . وعكَس فى كتابه الثانى . وهو مشهورٌ بالاثنين . ينظر مقدمة كتابه « الفصول الخمسون » .

« الألفيةِ » وغيرِها مِن المُصَنَّفاتِ النَّحْويةِ المفيدةِ ، ويُلَقَّبُ بزَيْنِ الدينِ ، أخَذ عن الكِنْدىِّ[1] وغيرِه ، ثم سافَر إلى مصرَ ، فكانت وفاتُه بالقاهرةِ فى مُسْتَهَلِّ ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وشهِد جِنازتَه الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ ، وكان قد رحَل[2] إلى مصرَ فى هذه السنةِ ، وحَكَى أن الملكَ الكاملَ شهِد جِنازتَه أيضًا ، وأنه دُفِن قريبًا مِن قبرِ المُزَنىِّ بالقَرافةِ[3] فى طريقِ الشافعىِّ عن يَسْرةِ المارِّ . رحِمه اللَّهُ .

الدَّخْوارُ الطَّبيبُ [4] **واقفُ الدَّخْواريةِ** [4] **مهذَّبُ الدينِ عبدُ الرحيمِ بنُ علىِّ ابنِ حامدٍ** ، المعروفُ بالدَّخْوارِ ، شيخُ الأطِبَّاءِ بدمشقَ ، وقد وقَف دارَه بدربِ العَميدِ بالقربِ مِن الصاغةِ العَتيقةِ على الأطِبَّاءِ بدمشقَ المحروسةِ مدرسةً لهم ، وكانت وفاتُه فى صفرٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، وعلى قبرِه قُبَّةٌ على أعْمِدةٍ فى أصلِ الجبلِ شرقىَّ الركنيةِ[5] ، وقد ابْتُلِى بستةِ أمْراضٍ مُتَعاكِسةٍ ، منها

---

(1) هو تاج الدين أبو اليُمْن زيد بن الحسن بن زيد الكندى البغدادى المقرئ النحوى اللغوى الحنفى ، توفى سنة ثلاث عشرة وستمائة . انظر ما تقدم فى صفحة ٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤.

(2) أى كان أبو شامة رحل إلى مصر ، وهو الذى حكى شهود الكامل جنازة ابن معطى ، كما سيذكر المصنف . انظر الذيل على الروضتين ص ١٦٠.

(3) القرافة : خِطَّة بالفسطاط من مصر كانت لبنى غصن بن سيف بن وائل من المعافر ، وقرافة بطن من المعافر نزلوها فسميت بهم ، وهى مقبرة أهل مصر ، وبها أبنية جليلة ومحالّ واسعة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين وترب الأكابر . انظر معجم البلدان ٤/ ٤٨.

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر ترجمته فى مرآة الزمان ٦٧٢/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٩، وعيون الأنباء ص ٧٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٧، والوافى بالوفيات ١٨/ ٣٨٣، ووفاته عنده سنة سبع وعشرين وستمائة .

(5) فى م : « الركنية » . وهذه العبارة من قوله « وقف داره بدرب العميد » إلى هنا ، لم نجدها فى المصادر ولكن نقلها عن المصنف صاحب الدارس ١٢٨/٢. وجاء عنده « درب العجل» بدل « درب العميد »والثانية - درب العميد - المثبتة من الأصل، م توافق ما فى سير أعلام النبلاء ٣١٧/٢٢.

ريحُ اللَّقْوةِ[1] ، وكان مولدُه سنةَ خمسٍ وستين وخمسِمائةٍ ، وكان عمرُه ثلاثًا وستين سنةً .

قال ابنُ الأثيرِ[2] : وفيها تُوُفِّى :

القاضى أبو غانمِ بنُ العَديمِ الشيخُ الصالحُ ، وكان مِن المُجْتَهِدين فى العبادةِ والرياضةِ ، والعامِلِين بعلمِهم ، ولو قال قائلٌ : إنه لم يَكُنْ فى زمانِه أعبدُ منه . لكان صادقًا ، فرضِى اللَّهُ تعالى عنه وأرْضَاه ، فإنه مِن جماعةِ شُيوخِنا ، سمِعْنا عليه الحديثَ ، وانْتَفَعْنا برؤيتِه وكلامِه .

قال : وفيها أيضًا فى الثانى عشَرَ مِن ربيعِ الأولِ تُوُفِّى صديقُنا **أبو القاسمِ [3]عبدُ المجيدِ[3] بنُ العَجَمىِّ الحلَبىُّ** ، وهو وأهلُ بيتِه مُقَدَّمو السُّنَّةِ بحلَبَ ، وكان رجلًا ذا مُروءةٍ غَزيرةٍ ، وخُلُقٍ حسنٍ ، وحِلْمٍ وافرٍ ورِياسةٍ كثيرةٍ ، يُحِبُّ إطعامَ الطعامِ ، وأحَبُّ الناسِ إليه مَن أكَل طعامَه ، [4]ويُقَبِّلُ يَدَه[4] ، وكان يَلْقَى أضْيافَه بوجهٍ مُنْبَسِطٍ ، ولا يَقْعُدُ عن إيصالِ راحةٍ وقَضاءِ حاجةٍ ، فرحِمه اللَّهُ تعالى رحمةً واسعةً .

قلتُ : وهذا آخرُ ما وُجِد مِن « الكاملِ فى التاريخِ » للحافظِ عزِّ الدينِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ الأثيرِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِ الكَريمِ بنِ أبى السَّعاداتِ بنِ كرمٍ[5] المَوْصلىُّ ،

---

(١) اللقوة : داء يَعْرِض للوجه يَعْوَجُّ منه الشِّدق . انظر الوسيط (ل ق و) .

(٢) الكامل ١٢/ ٥٠٥. وعنده : « ابن عنائم » .

(٣ - ٣) فى الأصل « عبد الحميد » .

(٤ - ٤) فى الكامل : « ويقبل بره » . وقد جاءت الكلمة الأولى فى الأصل مضبوطةً كما أثبتناها . فاللَّه تعالى أعلم .

(٥) فى م : « كريم » . وانظر ترجمته فى الطبقات السنية ١/ ٢٠٧. واسمه عنده « أبو إسحاق الموصلى إبراهيم بن عبد الكريم بن أبى الغارات » . وترجمته مختصرة جدا . وذكره من شراح القدورى صاحبُ كشف الظنون ٢/ ١٦٣٢. واسمه عنده « أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم الموصلى » .

أحدُ الفُقهاءِ الحنَفِيين، شرَح قطعةً كبيرةً مِن «القُدُورىِّ»، وكتَب الإنْشاءَ لصاحبِها بدرِ الدينِ لؤْلؤٍ، ثم اسْتقال مِن ذلك، وكان فاضلًا شاعرًا، ومِن شعرِه:

دعُوه كما شاء الغَرامُ يَكونُ فلسْتُ وإن خان العُهودَ أَخُونُ
ولِينوا له فى قولِكمْ ما استَطَعْتُمُ عسى قلبُه القاسى علىَّ يَلِينُ
وبُثُّوا صَباباتى إليه وكرِّروا حَديثى عليه والحديثُ شُجونُ
[١٠/٢٠ظ] بنفسى الأُلَى بانوا عن العينِ خُفْيَةً[1] وحبُّهمُ فى القلبِ ليس يَبينُ
وسَلُّوا [2]على العشاقِ يومَ[2] تحمَّلوا سيوفًا لها وُطْفُ[3] الجفونِ جفونُ

المجدُ البَهْنَسىُّ[4] وزيرُ الملكِ الأشْرفِ، ثم عزلَه وصادَره، ولما تُوُفِّى دُفِن بتربتِه التى أنْشَأها بسفحِ قاسِيونَ، وجعَل كتبَه بها وَقْفًا، وأجْرَى عليها أوْقافًا جيدةً دارَّةً.

جَمالُ الدولةِ خليلُ بنُ زُوَيْزانَ[5]، رئيسُ قصرِ حَجَّاجٍ، كان كيِّسًا ذا مُروءةٍ، له صَدَقاتٌ كثيرةٌ، وله زيارةٌ فى مَقابرِ الصُّوفيةِ مِن ناحيةِ القِبْلةِ، ودُفِن

---

(١) فى م: «حصة».
(٢ - ٢) فى الأصل: «عن العشاق قوم».
(٣) الوُطْف: جمع أوْطَف، وهو الجَفنُ الكثير الشعر.
(٤) مرآة الزمان ٨/٦٧١ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٤٢٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٣، والوافى بالوفيات ١١/ ٢٦٥، والمقفى الكبير ٣/ ١٤١.
(٥) فى الأصل: «دويران». وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٨/٦٧٣ (القسم الثانى) وعنده «جمال الدولة بن زورتات»، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٤ واسمه كاملًا «جمال الدولة خليل بن إسماعيل بن على بن علوان بن زويزان»، والوافى بالوفيات ١٣/٣٩٤ وعنده مثل ما فى تاريخ الإسلام إلا أنه لقَّبه «كمال الدولة».

بتربتِه عندَ مسجدِ فلوس[1] ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الملكُ الأمْجَدُ واقفُ المدرسةِ الأمْجَديةِ بالشرفِ .

وفيها كانت وفاةُ **الأمجدِ بَهْرام شاه بنِ فَرُخشاه بنِ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ**[2] صاحبِ بَعْلَبَكَّ بعدَه[3] لم يَزَلْ حتى قَدِم الأشرفُ موسى بنُ العادلِ إلى دمشقَ فمَلَكها فى سنةِ ستٍّ وعشرين ، فانتَزَع من يدِه بَعْلَبَكَّ فى سنةِ سبعٍ وعشرين ، وأسْكَنه عندَه بدمشقَ فى دارِ أبيه[4] ، فلمَّا كان فى شهرِ شَوالٍ مِن هذه السنةِ عدا عليه مَملوكٌ مِن مَماليكِه تُرْكىٌّ ، فقتَله ليلًا ، وكان قد اتَّهَمه بحِياصَةٍ[5] له وحبَسه ، فتغَلَّب عليه فى بعضِ الليالى فقتَله ، وقُتِل المَملوكُ بعدَه ، ودُفِن الأمْجَدُ فى تربتِه التى إلى جانبِ تُرْبةِ أبيه فى الشَّرَفِ الشَّمالىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقد كان شاعرًا فاضلًا ، له دِيوانُ شعرٍ ، وقد أوْرَد له ابنُ الساعى قطعةً جيدةً مِن شعرِه الرائقِ الفائقِ ، وترْجَمْتُه فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » ، ولم يَذْكُرْه أبو شامةَ فى « الذَّيْلِ » ، وهذا عَجيبٌ منه . ومما أوْرَد له ابنُ السَّاعى قولُه فى شابٍّ رآه يَقْطَعُ قُضْبانَ بانٍ ، فأنْشأ على البَديهةِ يقولُ :

مَن لى بأهْيفَ قال حينَ عَتَبْتُه ... فى قَطْعِ كلِّ قضيبِ بانٍ رائقِ

---

(1) فى م : « قلوس » . وانظر الدارس ٢/ ٢٤٧.

(2) مرآة الزمان ٨/ ٦٦٦ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٠٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٠٤.

(3) سقط من : م . والمقصود أنه صاحب بعلبك بعد أبيه فرخشاه .

(4) المذكور فى المرآة وتاريخ الإسلام والوافى أنه قدم دمشق وأقام بها ، وفى السير أنه تحول إلى دمشق ونزل بداره داخل باب النصر . ولم يتعرض لذكر ذلك فى نهاية الأرب . والعبارة التى ذكرها المصنف هنا تبين أن الأشرف موسى أسكنه عنده فى دار أبيه - أبى الأشرف موسى - بدمشق .

(5) فى م : « فى صاحبة » . والحياصة : المِنْطَقَة ، وكانت معظم المناطق من الفضة المطلية بالذهب ، وربما جُعِلت من الذهب . انظر صبح الأعشى ٤/ ٤٠.

تحكى شمائلَه الرَّشَاءُ[1] إذا انثنى ... ريَّانَ بين جداولٍ وحدائقِ

سرقَتْ غصونُ البانِ لينَ شَمَائِلى ... فقطعتُها والقطعُ حدُّ السارقِ

ومِن شعرِه قولُه :

يُؤَرِّقُنى حنينٌ وادِّكارُ ... وقد خَلَتِ المرابِعُ والدِّيارُ

تناءَى الظَّاعنونَ ولى فؤادٌ ... يسير مع الهَوَادِجِ حيثُ ساروا

حنينٌ مثلما شاءَ التَّنائِى ... وشوقٌ كلَّما بَعُدَ المزارُ

ولَيْلى[2] بَعْدَ بينِهِمُ طويلٌ ... فأينَ مَضَتْ ليالىَّ القِصارُ

وقد حكَم السُّهادُ على جُفُونى ... تساوَى الليلُ عندِى والنَّهارُ

سُهادِى بعدَ نأيِهِمُ كثيرٌ ... ونومى بعدما رحلوا غِرارُ[3]

فمَنْ ذا يستعيرُ لنا عُيونًا ... تنامُ [4]وهل ترى[4] عينًا تُعَارُ

فلا [5]ليلى له[5] صبحٌ منيرٌ ... ولا وَجْدى [6]يقال له[6] عِثارُ

وكم من قائلٍ والحىُّ غادٍ ... يُحجِّبُ ظُعْنَه النَّقْعُ المثارُ

وُقوفُك فى الدِّيارِ وأنتَ حىٌّ ... وقد رحَل الخليطُ عليك عارُ

وله[7] :

كم يذهبُ هذا العُمْرُ فى الخُسرانِ ... ما أغْفَلَنى فيه وما أنسانى

---

(١) فى الأصل : « الرشاق » والرشاء : الرَّشَأُ ، وهو ولد الظبية إذا قَوِى وتحرَّك ومشى مع أمه . وإنما مُدَّ هنا لمراعاة الوزن . انظر الوسيط (ر ش أ) .

(٢) فى م : « ليل » .

(٣) فى الأصل : « غزار » . وغرار : قليل . انظر الوسيط (غ ر ر) .

(٤ - ٤) فى الأصل : « من رأى » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « عينى لها » .

(٦ - ٦) فى الأصل : « له سكن » .

(٧) بعده فى م : « دوبيت » . وانظر البيتين فى مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثانى) .

ضيَّعتُ زمانى كلَّه في لعبٍ يا عُمرُ فَهَل بعدَك عمرٌ ثانى

وقد رآه بعضُهم[1] فى المَنامِ فقال له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال :

كنتُ مِن ذنبى[2] على وَجَلٍ زال عنِّى ذلكَ الوَجَلُ

أَمِنَتْ نَفْسِى بَوَائِقَها عِشْتُ لما[3] مِتُّ يا رَجُلُ

رحِمه اللَّهُ ، وعفا عنه .

[١٠/٢١و] **جَلالُ الدينِ تِكِش ، وقيل : محمودُ بنُ عَلاءِ الدينِ خُوارَزْم شاه محمدِ بنِ تِكِش الخُوارَزْمىُّ**[4] ، وهم مِن سُلالةِ طاهرِ بنِ الحسينِ ، وتِكِش جدُّهم هو الذى أزال دولةَ السَّلْجوقيةِ . كانت التَّتارُ قد قهَروا أباه حتى شرَّدوه فى البلادِ ، فمات ببعضِ جَزائرِ البحرِ ، ثم ساقوا وراءَ جَلالِ الدينِ هذا حتى مزَّقوا عَساكرَه شَذَرَ مَذَرَ ، وتفرَّقوا عنه أيْدِى سَبَا ، وانْفَرد هو وحدَه ، فلقِيه فلَّاحٌ مِن قريةٍ بأرضِ مَيَّافارِقِين ، فأنْكَره لِمَا عليه مِن الجَواهرِ والذهبِ ، وعلى فرسِه ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا ملكُ الخُوارَزْميةِ . وكانوا قد قتَلوا للفلاحِ أخًا ، فأنْزَله وأظْهَر إكْرامَه ، فلما نام قتَله بفأسٍ كانت عندَه ، وأخَذ ما عليه ، فبلَغ الخبرُ إلى شهابِ الدينِ غازى بنِ العادلِ ، صاحبِ مَيَّافارِقِين فاسْتَدْعَى بالفلاحِ ، فأخَذ ما كان عليه مِن الجَواهرِ والحُلِيِّ ، وأخَذ الفرسَ أيضًا ، وكان الملكُ الأشْرَفُ يقولُ[5] : هو سدٌّ بينَنا وبينَ التَّتارِ ، كما أن السدَّ بينَنا وبينَ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ .

---

(١) انظر مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثانى) .

(٢) فى م : « دينى » .

(٣) فى الأصل : « بما » .

(٤) مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثانى) ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٠٧، ودول الإسلام ٢/ ١٣٤، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٥٣.

(٥) انظر مرآة الزمان ٨/ ٦٧١.

ثم دخلت سنة تسعٍ وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] عُزِل القاضِيان بدمشقَ ؛ شمسُ الدينِ بنُ الخُوَيِّيِّ وشمسُ الدينِ بنُ سَنيِّ الدولةِ ، [2]وولِي قَضاءَ القُضاةِ[2] عمادُ الدينِ بنُ الحَرَسْتانيِّ[3] ، ثم عُزِل فى سنةِ إحدى وثلاثين ، وأُعِيد شمسُ الدينِ بنُ سَنيِّ الدولةِ ، كما سيأْتى .

وفى سابعَ عشَرَ شوَّالِها عزَل الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ وزيرَه مُؤَيِّدَ الدينِ محمدَ بنَ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ القُمِّيَّ ، وقبَض عليه وعلى أخيه حسنٍ وابنِه فخرِ الدينِ أحمدَ بنِ محمدٍ القُمِّيِّ وأصحابِهم وحُبِسوا ، واسْتَوْزَر الخليفةُ مكانَه أُستاذَ الدارِ شمسَ الدينِ أبا الأزْهَرِ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ الناقدِ ، وخلَع عليه خِلْعةً سَنيَّةً ، وفرِح الناسُ بذلك .

وقد أقْبَلَت طائفةٌ مِن التَّتارِ ، فوصَلوا إلى شَهْرَزُورَ ، فندَب الخليفةُ صاحبَ إِرْبِلَ مُظَفَّرَ الدينِ كُوكُبُرى بنَ زَيْنِ الدينِ ، وأضاف إليه عساكرَ مِن عندِه ، فساروا نحوَهم ، فهرَبَت منهم التَّتارُ ، ولِلَّهِ الحمدُ ، وأقاموا فى مُقابَلتِهم مدةَ شهورٍ ، ثم تمرَّض مُظَفَّرُ الدينِ ، وعاد إلى بلدِه إِرْبِلَ ، وتراجَعَت العساكرُ[4] إلى بلادِها .

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٧٣ - ٦٧٥ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٠، ١٦١، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٦٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٦، ٤٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

(٣) فى م : «الخرستانى». انظر معجم البلدان ٢/ ٢٤١.

(٤) فى م : «التتار».

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

ابنُ نُقْطَةَ الحافظُ : محمدُ بنُ عبدِ الغنيِّ بنِ أبى بكرٍ البَغْدادىُّ ، أبو بكرٍ ابنُ نُقْطةَ ، الحافظُ المحَدِّثُ الفاضلُ[1] ، صاحبُ الكتابِ النافعِ المُسَمَّى بـ« التَّقْييدِ » فى تراجمِ رُواةِ الكتبِ والمَشاهيرِ مِن المُحَدِّثين ، وكان أبوه فَقيهًا فقيرًا مُنْقَطِعًا فى بعضِ مساجدِ بغدادَ ، يُؤْثِرُ أصحابَه بما يَحْصُلُ له ، ونشَأ ولدُه هذا ، فعُنى بعلمِ الحديثِ وسماعِه والرِّحْلةِ فيه إلى الآفاقِ شرقًا وغربًا ، حتى برَز فيه على الأقْرانِ ، وفاق أهلَ ذلك الزمانِ والأَوانِ ، وُلِد سنةَ تسعٍ[2] وسبعين وخمسِمائةٍ ، وتُوُفِّى يومَ الجمعةِ الثانى والعشرين مِن صفرٍ مِن هذه السنةِ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

الجَمالُ عبدُ اللَّهِ بنُ الحافظِ عبدِ الغنىِّ المَقْدسىُّ[3] ، كان فاضلًا كريمًا حَيِيًّا ، سمِع الكثيرَ ، ثم خالَط الملوكَ وأبناءَ الدنيا ، فتغَيَّرَت أحْوالُه ، ومات ببُسْتانِ ابنِ شُكْرٍ عندَ الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ ، وهو الذى كفَّنه ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو علىٍّ الحسنُ[4] **بنُ أبى بكرٍ** [١٠/٢١ظ] **المُبارَكِ بنِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ**

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٧١، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٦٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٨٢.

(٢) فى الأصل: « سبع »، وفى تاريخ الإسلام، والوافى بالوفيات « نيف »، وفى سير أعلام النبلاء: « ولد بعد السبعين ».

(٣) مرآة الزمان ٨/ ٦٧٤ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٤، والذيل على الروضتين ص ٦٧٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٤٥، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٩٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٨٥.

(٤) فى الأصل، م: « الحسين ». والمثبت من مصادر ترجمته: التكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٥، وذكر وفاته فيه فى سنة تسع وستمائة، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١- ٦٣٠) ص ٣٤١، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢١٢، والجواهر المضية ٢/ ٧٨.

ابنِ يحيى بنِ المُسَلَّمِ[1] الزَّبِيدىُّ ثم البغدادىُّ ، كان شيخًا صالحًا فَقيهًا[2] حَنَفيًّا فاضلًا ، ذا فُنونٍ كثيرةٍ ؛ مِن ذلك علمُ الفَرائضِ والعَروضِ ، وله فيه أُرْجُوزةٌ حسنةٌ ، انْتَخَب منها ابنُ الساعى مِن كلِّ بحرٍ بيتَيْن ، وسرَد ذلك فى « تاريخِه » .

أبو الفتحِ مسعودُ بنُ إسماعيلَ[3] بنِ علىِّ بنِ موسى السَّلْماسىُّ ، فَقيهٌ أديبٌ شاعرٌ ، له تَصانيفُ ، وقد شرَح « المَقاماتِ » و « الجُمَلَ » فى النحوِ ، وله خُطَبٌ وأشعارٌ حسنةٌ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنصارىُّ فخرُ الدينِ بنُ الشِّيرَجىِّ[4] الدمشقىُّ ، أحدُ المُعَدِّلين بها ، وُلِد سنةَ تسعٍ وأربعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، وكان يَلِى دِيوانَ الخاتون ستِّ الشامِ بنتِ أيوبَ ، وفوَّضَت إليه أمْرَ أوقافِها .

قال السِّبْطُ[5] : وكان ثقةً أمينا كَيِّسًا مُتواضِعًا . قال : وقد وزَر ولدُه شَرَفُ الدينِ للناصرِ داودَ مدةً يَسيرةً ، وكانت وفاةُ فخرِ الدينِ[6] فى يومِ عيدِ الأَضْحَى ، ودُفِن بمَقابرِ بابِ الصغيرِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى وعفا عنه .

---

(١) فى الأصل : « سلم » .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى الأصل : « بن أبى على بن مسعود » . ولم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر ، ولعله فى تاريخ ابن الساعى الكبير .

(٤) فى الأصل : « السيرجى » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٦٧٥/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٤١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٩٤، والمقفى الكبير للمقريزى ٦/ ١٥٧.

(٥) مرآة الزمان ٦٧٥/٨ (القسم الثانى) .

(٦) ذُكر فى التكملة لوفيات النقلة ، وتاريخ الإسلام ، والمقفى الكبير ، أن وفاته سنة سبع وعشرين وستمائة .

حُسامُ[1] **بنُ غُزِّى بنِ يونُسَ ، عِمادُ الدينِ أبو المَناقِبِ المَحَلِّىُّ**[2] **المِصْرِىُّ ثم الدِّمشقىُّ** ، كان شيخًا صالحًا فاضلًا فَقيهًا شافعيًّا حسَنَ المُحاضَرةِ ، وله أشعارٌ حسنةٌ .

قال أبو شامةَ[3] : وله فى « مُعْجَمِ القُوصىِّ » ترجمةٌ حسنةٌ ، وذكَر أنه تُوُفِّى عاشرَ ربيعِ الآخِرِ[4] ، ودُفِن بمَقابرِ الصُّوفيةِ .

قال السِّبْطُ[5] : وكان مُقيمًا بالمدرسةِ الأَمِينيةِ ، وكان لا يأْكُلُ لأحدٍ شيئًا ولا للسلطانِ ، بل إذا حضَر طعامًا كان معه فى كُمِّه شىءٌ يأْكُلُه ، وكان لا يزالُ معه ألفُ[6] دينارٍ على وسَطِه . وحَكَى عنه قال : خلَع علىَّ الملكُ العادلُ ليلةً طَيْلَسانًا ، فلما خرَجْتُ مشَى بينَ يدىَّ نَفَّاطٌ[7] يَحْسَبُنى القاضىَ ، فلما وصَلْتُ إلى بابِ البريدِ عندَ دارِ سيفٍ خلَعْتُ الطَّيْلَسانَ ، وجعَلْتُه فى كُمِّى ، وتباطَأْتُ فى المشىِ ، فالْتَفَت فلم يَرَ وراءَه أحدًا ، فقال لى : أين القاضى ؟ فأشَرْتُ إلى ناحيةِ النُّوريةِ[8] ، وقلتُ : ذهَب إلى دارِه . فلما أسْرَع إلى ناحيةِ النُّوريةِ هَرْوَلْتُ إلى المدرسةِ

---

(١) فى الأصل : « العماد الحلى الشاعر حسام » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٦٧٢ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٢ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٠ ، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٥٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٤٠ ، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٤٩ .

(٢) فى الأصل : « الحلى » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٠ .

(٤) ذكرت وفاته سنة ثمان وعشرين فى مرآة الزمان ٨/ ٦٧٢ ، ٦٧٣ (القسم الثانى) ، وذكر فيها قولًا أنه توفى فى سنة تسع وعشرين وستمائة .

(٥) مرآة الزمان ٨/٦٧٢ (القسم الثانى) .

(٦) فى مرآة الزمان : « ألفا » .

(٧) فى الأصل ، م : « تعاط » . والمثبت من مرآة الزمان وفيه : « وإذا بنفاط قائم وبيده مشعل » . والنفاط : بائع النفط . الوسيط (ن ف ط) .

(٨) وهى المدرسة النورية التى بناها نور الدين محمود بن زنكى .

الأمِينيةِ ، واسْتَرَحْتُ منه .

قال ابنُ الساعى : كان مولدُه سنةَ ستين وخمسِمائةٍ ، وخلَّف أموالًا كثيرةً ، ورِثتْها عَصَبتُه . قال : وكانت له مَعْرِفةٌ حسنةٌ بالأخبارِ والتَّواريخِ وأيامِ الناسِ ، مع دينٍ وصَلاحٍ ووَرَعٍ ، وأوْرَد له مِن شعرِه قولَه[1] :

قيل لى مَن [2]هَوِيتَ قد[2] عبَث الشَّعْـ ـرُ بخدَّيه قلتُ ما ذاك عارُهْ
[3]جَمْرُ خَدَّيْه[3] أحْرقتْ عنبرَ الخا لِ فمن ذلك الدُّخَانِ عِذارُهْ

وقولَه :

شَوْقى إليكمْ دونَ أشواقِكم لكنَّه لابدَّ ما يُشْرَحُ
لأننى عن قَلْبِكمْ غائبٌ وأنتمُ فى القلبِ لم[4] تَبْرَحُوا

أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ الجارودِ المارانىُّ[5] ، الفَقيهُ الشافعىُّ ، أحدُ الفُضلاءِ ، ولِى القَضاءَ بإرْبِلَ ، وكان ظريفًا خَليعًا ، وكان مِن مَحاسنِ الأيامِ ، وله أشْعارٌ رائقةٌ ومَعانٍ فائقةٌ ، فمِن شِعْرِه قولُه[6] :

[7]مَشيبٌ أتَى وشبابٌ[7] رحَلْ [8]فحَلَّ العَناءُ به[8] حيث حلّْ

---

(١) انظر البيتين فى تاريخ الإسلام ، والوافى بالوفيات .
(٢ - ٢) فى تاريخ الإسلام والوافى بالوفيات : « تحبه » .
(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « حمرة الخد » .
(٤) فى م : « لن » .
(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٧٣، والوافى بالوفيات ٤/ ١٧٢، والمقفى الكبير ٦/ ٣٣١.
(٦) انظر الأبيات فى المقفى الكبير ٦/ ٣٣٢.
(٧ - ٧) فى الأصل : « شبت أنا وشبابى » .
(٨ - ٨) فى الأصل : « أحد العناء به » ، وفى م : « أحل العناية » . والمثبت من المقفى الكبير .

(١وعمرٌ(٢) تَقَضَّى بلا(٣) طاعةٍ   فويحكِ يا نفسُ ما(٤) ذا الزَّلَلْ(١)

وذَنبُكِ جَمٌّ ألا فارْجِعي   وعُودى فقد حان وقتُ الأَجَلْ

ودِيني الإلهَ ولا تُقصِرى   ولا يَخْدَعَنَّكِ طولُ الأمَلْ

(١فما لكِ غيرُ التُّقَى مُستعَدٌّ   ولا صاحبٌ غيرُ حُسنِ العملْ(١)

أبو الثَّناءِ محمودُ بنُ زاكى(٥) **بنِ** [١٠/٢٢و] **عليِّ بنِ يحيى الطائيُّ الرَّقِّيُّ**، نَزيلُ إرْبِلَ، ووليَ النَّظرَ بها للملكِ مُظَفَّرِ الدينِ، وكان شيخًا أديبًا فاضلًا، ومِن شعرِه قولُه:

وأَهْيفُ ما الخَطِّيُّ إلا قَوامُهُ   وما الغُصنُ إلا ما يُثَنِّيه لِينُهُ

وما الدِّعْصُ(٦) إلا ما تَحَمَّل خَصْرُهُ   وما النَّبْلُ إلا ما تَرِيشُ جُفونُهُ

وما الخمرُ إلا ما يُرَوِّقُ ثَغْرُهُ   وما السِّحْرُ إلا ما تُكِنُّ عيونُهُ

وما الحسنُ إلا كُلُّه فمَنِ الذى   إذا ما رآه لا يَزيدُ جنونُهُ

ابنُ مُعْطِى النَّحْوىُّ يحيى، ترْجَمه أبو شامةَ فى السنةِ الماضيةِ(٧)، وهو أضْبَطُ؛ لأنه شهِد جِنازتَه بمصرَ، وأما ابنُ الساعى فإنه ذكَره فى هذه السنةِ،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل: «عمرى».

(٣) فى المقفى الكبير: «ولا».

(٤) فى المقفى الكبير: «كم».

(٥) فى م: «رالى». ولم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر، ولعله فى تاريخ ابن الساعى.

(٦) الدُّعص: قطعة من الرمل مستديرة. الوسيط (د ع ص).

(٧) تقدمت ترجمته فى صفحة ١٨٦. ضمن وفيات السنة الماضية كما ذكر المصنف، ولم يذكر هناك أنه أورده تبعا لأبى شامة.

وقال : إنه كان حَظِيًّا عندَ الكاملِ محمدٍ صاحبِ مصرَ، وإنه كان قد نظَم أُرْجوزةً فى القِراءاتِ السبعِ، ونظَم أَلْفاظَ «الجَمْهرةِ»، وكان قد عزَم على نَظْمِ «صِحاحِ الجَوْهرىِّ».

سنةُ ثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] باشَر خَطابةَ بغدادَ ونِقابةَ العباسِيِّين العَدْلُ مجدُ الدينِ أبو القاسمِ هبةُ اللَّهِ ابنُ [2]عبدِ اللَّهِ[2] المَنْصوريُّ[3]، وخُلِع عليه خِلْعةٌ سَنِيَّةٌ، وكان فاضلًا قد صحِب الفُقراءَ والصُّوفيةَ، وتَزَهَّد بُرْهةً مِن الزمانِ، فلما دُعِى إلى هذا الأمرِ أجاب سريعًا، وأَقْبَلَت عليه الدنيا بزَهْرتِها، وخدَمه الغِلْمانُ الأتراكُ، ولبِس لِباسَ المُتْرَفِين، وقد عاتَبه بعضُ تَلامذتِه[4] بقَصيدةٍ طويلةٍ، وعنَّفه على ما صار إليه، وقد سرَدها ابنُ الساعى بطُولِها فى «تاريخِه».

وفيها سار القاضى مُحْيِى الدينِ يوسُفُ بنُ الشيخِ جَمالِ الدينِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ فى الرِّسْليةِ مِن الخليفةِ إلى الكاملِ محمدٍ صاحبِ مصرَ، ومعه كتابٌ هائلٌ فيه تَقْليدُه المُلْكَ، وفيه أَوامرُ كثيرةٌ مَليحةٌ مِن إنشاءِ الوزيرِ [5]نَصيرِ الدينِ[5] أحمدَ بنِ الناقدِ، سرَده ابنُ الساعى أيضًا بكَمالِه[6]. وقد كان الكاملُ مُخَيِّمًا بظاهرِ آمِدَ مِن أعمالِ الجَزيرةِ، قد افْتَتَحها بعدَ حِصارٍ طويلٍ، وهو مسرورٌ بما نال مِن مُلْكِها.

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٧٥ - ٦٧٧ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ٦٦٥، ونهاية الأرب ٢٩/١٧٠ - ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٨ - ٥٢.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «المعصورى».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥ - ٥) فى م: «نصر الدين». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/١٠٨.

(٦) وذكره أيضا النويرى فى نهاية الأرب ٢٩/١٧٤ - ١٨٩.

وفيها فُتِحَت دارُ الضِّيافةِ ببغدادَ للحَجيجِ حينَ قدِموا مِن حجِّهم ، وأُجْرِيَت عليهم النَّفقاتُ والكَساوِى والصِّلاتُ . ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها سارَت العَساكرُ المُسْتَنْصِريةُ صُحْبَةَ الأميرِ شرفِ[1] الدينِ [2]أبى الفَضائلِ إقبالِ الخاصِّ[2] المُسْتَنْصِرىِّ إلى مدينةِ إرْبِلَ وأعمالِها ، وذلك لمَرَضِ مَلِكِها مُظَفَّرِ الدينِ كُوكُبْرى بنِ زَيْنِ الدينِ ، وأنه ليس له مِن بعدِه مِن يَمْلِكُ البلادَ ، فحينَ وصَلها الجيشُ منَعَه أهلُ البلدِ ، فحاصَروه حتى افْتَتَحوه عَنْوةً فى السابعَ عشَرَ مِن شوالٍ فى هذه السنةِ ، وجاءَت البَشائرُ بذلك ، فضُرِبَت الطُّبولُ ببغدادَ بسببِ ذلك ، وفرِح أهلُها ، وكُتِب التَّقليدُ عليها لإقبالٍ المذكورِ ، فرتَّب فيها المَناصِبَ ، وسار فيها سِيرةً جيدةً ، وامْتَدَح الشُّعراءُ هذا الفتحَ مِن حيثُ هو ، وكذلك مدَحوا فاتحَها إقبالًا ، ومِن أحسنِ ما قال بعضُهم :

يا يومَ سابعَ عشْرَ شوالٍ الذى	رُزِق السعادةَ أولًا وأخيرًا
هُنِّيتَ فيه بفتحِ إرْبِلَ مِثْلَما	هُنِّيتَ فيه وقد جَلَسْتَ وَزيرًا

يعنى أن الوزيرَ نَصِيرَ الدينِ بنَ العَلْقَمىِّ ، كان قد وزَر فى مثلِ هذا اليومِ مِن العامِ الماضى .

وفى مُسْتَهَلِّ رمضانَ مِن هذه السنةِ شُرِع فى عِمارةِ دارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ بدمشقَ ، وكانت قبلَ ذلك دارًا للأميرِ قايمازَ ، وبها حمامٌ فهُدِمَت ، وبُنِيَتِ الدارُ عِوَضَها .

---

(1) فى م : « سيف » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٠ .

(٢ - ٢) فى الأصل : « إقبال » .

وقد ذكَر السِّبْطُ[1] فى هذه السنةِ أن فى ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ فُتِحَت دارُ الحديثِ الأشْرَفيةُ المُجاوِرةُ لقلعةِ دمشقَ، وأمْلَى بها الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ الصلاحِ الحديثَ، ووقَف عليها الأشْرَفُ الأوقافَ، و[2] بها نَعْلُ النبىِّ ﷺ. قال: وسمِع الأشْرَفُ «صحيحَ البخارىِّ» فى هذه السنةِ على الزَّبيدىِّ. قلتُ: وكذا سمِعوا عليه بالدارِ وبالصالحيةِ.

قال[3]: وفيها فتَح الكاملُ آمِدَ وحصنَ كَيْفًا، ووجَد عندَ مَلِكِها خمسَمائةِ حُرَّةٍ للفِراشِ، فعذَّبه الأشرفُ عذابًا أليمًا.

قال[4]: وفيها قصَد صاحبُ ماردِينَ وجيشُ بلادِ الرومِ الجَزيرةَ، فقتَلوا [١٠/٢٢ظ] وسبَوْا، وفعَلوا ما لم يَفْعَلْه التَّتارُ بالمسلمين.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن المَشاهيرِ:

أبو القاسمِ علىُّ بنُ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ[5] كان شيخًا ظريفًا لطيفًا، سمِع الكثيرَ، وعمِل صناعةَ الوَعْظِ مدةً، ثم ترَك ذلك، وكان يَحْفَظُ شيئًا كثيرًا مِن الأخبارِ والنَّوادرِ والأشعارِ، وُلِد سنةَ إحدى وخمسين وخمسِمائةٍ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ، وله تسعٌ وسبعون سنةً.

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٦٧٦، ٦٧٧ (القسم الثانى).

(٢) بعده فى م: «جعل».

(٣) المصدر السابق ٨/ ٦٧٥، ٦٧٦.

(٤) المصدر السابق ٨/٦٧٧.

(٥) المصدر السابق ٨/ ٦٧٨، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٧٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٤ وفيه «أبو الحسن»، والوافى بالوفيات ٢١/ ٢٢٣.

وقد ذكَر السِّبْطُ[(١)] وفاةَ **الوزيرِ صَفِيِّ الدينِ** [(٢]**عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ**[٢)] **بنِ شُكْرٍ** فى هذه السنةِ، وأثْنَى عليه وعلى مَحَبتِه للعلمِ وأهلِه، وأن له مُصَنَّفًا سماه «البَصائرَ»، وأنه تغَضَّب عليه العادلُ، ثم ترَضَّاه الكاملُ، وأعاده إلى وِزارتِه وحُرْمتِه[(٣)]، ودُفِن بمدرستِه المشهورةِ بمصرَ. وذكَر أن أصلَه مِن قريةٍ يقالُ لها: دَمِيرَةُ، بمصرَ.

الملكُ ناصرُ الدينِ محمدُ[(٤)] **بنُ عِزِّ الدينِ مسعودِ بنِ نُورِ الدينِ أرْسَلان شاه بنِ قُطْبِ الدينِ مَوْدودِ بنِ عمادِ الدينِ**[(٥)] **زَنْكِى آقْسُنْقُرَ**، صاحبُ الموصلِ، كان مولدُه فى سنةِ ثلاثَ عشْرةَ وستِّمائةٍ، وقد أقامه بدرُ الدينِ لؤلؤٌ صورةً حتى تمكَّن أمرُه، وقَوِيَتْ شوكتُه، ثُم حجَر عليه، فكان لا يَصِلُ إلى أحدٍ مِن الجَوارى ولا شىءٍ مِن السَّراريِ، حتى لا يُعْقِبَ، وضيَّق عليه فى الطعامِ والشرابِ، فلمَّا تُوُفِّى جدُّه لأمِّه مُظَفَّرُ الدينِ كُوكُبُرِى صاحبُ إِرْبِلَ، منَعه حينَئذٍ مِن الطعامِ والشرابِ ثلاثةَ عشَرَ يومًا، حتى مات كَمَدًا وجُوعًا وعَطَشًا، رحِمه اللَّهُ تعالى، وكان مِن أحسنِ الناسِ صُورةً، وهو آخرُ ملوكِ المَوْصلِ مِن البيتِ الأتابَكيِّ.

---

(١) مرآة الزمان ٦٧٧/٨ (القسم الثانى). وقد تقدمت ترجمة صفى الدين فى وفيات سنة ثنتين وعشرين وستمائة.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) مرآة الزمان ٥٩٨/٨ (القسم الثانى). حوادث سنة خمس عشرة وستمائة. ولكن لم يتعرض السبط لذكر دفنه؛ وقد ذكر المصنف فى ترجمته المتقدمة أنه دفن بتربته عند مدرسته بمصر، وكذا جاء بذيل الروضتين ص ١٤٧، وفى التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٣٤، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٣٠. أنه دُفن برباطه الذى أنشأه بالقرب من مدرسته.

(٤) فى م: «محمود». وانظر وفيات الأعيان ٢٠٨/٥، ٣٩١.

(٥) بعده فى م: «بن». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٨٩.

القاضى شرفُ الدينِ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ[1] أحدُ مَشايخِ الحَنَفيةِ، وله مُصَنَّفاتٌ فى الفَرائضِ وغيرِها، وهو ابنُ خالةِ القاضى شمسِ الدينِ بنِ الشِّيرازىِّ الشافعىِّ[2]، وكلاهما كان يَنوبُ عن ابنِ الزَّكىِّ وابنِ الحَرَسْتانىِّ، وكان يُدَرِّسُ بالطَّرْخانيةِ، وبها مَسْكَنُه، فلما أرْسَل إليه المُعَظَّمُ أن يُفْتِىَ بإباحةِ نَبيذِ التمرِ وماءِ الرُّمَّانِ امْتَنَع مِن ذلك، وقال: أنا على مذهبِ محمدِ بنِ الحسنِ فى ذلك، والروايةُ عن أبى حَنيفةَ شاذَّةٌ[3]، ولا يَصِحُّ حديثُ ابنِ مسعودٍ فى ذلك، ولا الأثرُ عن[4] عمرَ أيضًا. فغضِب عليه المُعَظَّمُ، وعزَله عن التَّدْريسِ، وولَّاه لتلميذِه الزَّيْنِ بنِ العَتَّالِ، وأقام الشيخُ بمنزلِه حتى مات، رحِمه اللَّهُ تعالى.

قال أبو شامةَ[5]: وفى هذه السنةِ تُوُفِّى جماعةٌ مِن السَّلاطينِ؛ منهم **المُغيثُ** ابنُ المُغيثِ بنِ العادلِ، **والعزيزُ عثمانُ** بنُ العادلِ، **ومُظَفَّرُ الدينِ** صاحبُ إرْبِلَ (6 وغيرُهم 6).

قلتُ: أما صاحبُ إرْبِلَ فهو: **الملكُ المُظَفَّرُ أبو سعيدٍ كُوكُبُرى**[7] **بنُ زَيْنِ**

---

(1) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٢١، والوافى بالوفيات ٩/ ٦٦، والجواهر المضية ١/ ٣٩٠، والمقفى الكبير ٢/ ٧١، والمنهل الصافى ٢/ ٣٧٧.

(2) ليس فى المصادر ذِكْر أنه ابن خالة القاضى هذا، ولا ذكر نيابته هو وابن خالته هذا، عن ابن الزكى وابن الحرستانى. ولعله عند ابن الساعى.

(3) لفظه فى الجواهر: «إباحتها إنما هى رواية النوادر». وفى المقفى: «وإباحته إنما هى رواية عن أبى حنيفة». وبعده عندهما ما معناه: أنه قد صح عن أبى حنيفة، أنه ما شَرِبه قط.

(4) بعده فى الأصل: «ابن». ثم بياض بقدر كلمة.

(5) الذيل على الروضتين ص ١٦١.

(6 - 6) سقط من: م.

(7) فى الأصل: «كوكرى». وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٨/ ٦٨٠ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٨٤، ووفيات الأعيان ٤/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٠٢.

الدينِ عليِّ بنِ بُكْتِكِين[1] أحدُ الأجْوادِ والساداتِ الكُبَراءِ والملوكِ الأمجادِ ، له آثارٌ حسنةٌ ، وقد عمَّر الجامعَ المُظَفَّرِىَّ بسفحِ قاسِيونَ ، وكان قد همَّ بسِياقةِ الماءِ إليه مِن ماءِ بَرْزَةَ[2] ، فمنَعه المُعَظَّمُ مِن ذلك ، واعْتَل بأنه قد يَمُرُّ على مقابرِ المسلمين بالسُّفوحِ ، وكان يَعْمَلُ المَوْلدَ الشريفَ فى ربيعِ الأولِ ، ويَحتفِلُ به احْتفالًا هائلًا ، وكان مع ذلك شهْمًا شُجاعًا[3] بطلًا عاقلًا عالمًا عادلًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد صنَّف الشيخُ أبو الخَطَّابِ بنُ دِحْيةَ له مجلدًا فى المولدِ النبوىِّ سمَّاه « التَّنْويرَ فى مولدِ [4]السراجِ المنيرِ[4] » ، فأجازه على ذلك بألفِ دينارٍ . وقد طالت مدتُه فى المُلْكِ فى زمانِ الدولةِ الصَّلاحيةِ ، وقد كان مُحاصِرًا مدينةَ عَكَّا ، وإلى هذه السنةِ ، محمودَ السِّيرةِ والسَّريرةِ .

قال السِّبْط[5] : حكَى بعضُ مَن حضَر سِماطَ المُظَفَّرِ فى بعضِ المَوالدِ أنه مَدَّ فى ذلك السِّماطِ خمسةَ آلافِ رأسٍ شَوِىٍّ[6] ، [١٠/٢٣و] وعشَرةَ آلافِ دَجاجةٍ ، ومائةَ[7] ألفِ زُبْدِيةٍ ، وثلاثين ألفَ صَحْنِ حَلْوَى . قال : وكان يَحْضُرُ عندَه فى المولدِ أعْيانُ العلماءِ والصُّوفيةِ ، فيَخْلَعُ عليهم ، ويُطلِقُ لهم ، ويَعْمَلُ للصُّوفيةِ سَماعًا مِن الظهرِ إلى الفجرِ ، ويَرْقُصُ معهم بنفسِه ، وكانت له دارُ ضِيافةٍ للوافِدِين مِن أىِّ جهةٍ على أىِّ صفةٍ ، وكانت صَدَقاتُه فى جميعِ القُرَبِ والطاعاتِ على الحرمَيْن وغيرِهما ، ويَسْتَفِكُّ مِن الفِرنْجِ فى كلِّ سنةٍ خلقًا مِن

---

(١) فى الأصل : « تكشكين » ، وفى م : « تبكتكين » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٢) فى م : « بذيرة » . وانظر معجم البلدان ١/ ٥٦٣.

(٣) بعده فى م : « فاتكا » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « البشير النزير » ، والمثبت من وفيات الأعيان ، وسيأتى اسم الكتاب على الصواب فى ترجمة ابن دحية فى صفحة ٢٢٥ .

(٥) مرآة الزمان ٨/ ٦٨١ - ٦٨٣ (القسم الثانى) .

(٦) فى م : « مشوى » . والشَّوِىّ : الشِّوَاءُ . انظر اللسان (ش و ى) .

(٧) بعده فى الأصل : « فرس ومائة » .

الأُسارَى ، حتى قيل : إن جملةَ مَن اسْتَفَكَّ مِن أيديهم ستون ألفَ أسيرٍ . قالت زوجتُه ربيعةُ خاتون بنتُ أيوبَ - وقد زوَّجه إياها أخوها صلاحُ الدينِ ، لَمَّا كان معه على عَكَّا - قالت : كان قميصُه لا يُساوى خمسةَ دَراهمَ [(١] مِن خامٍ [١)] ، فعاتَبْتُه فى ذلك فقال : لُبْسى ثوبًا بخمسةٍ ، وأَتَصَدَّقَ بالباقى خيرٌ مِن أن أَلْبَسَ ثوبًا مُثَمَّنًا [(٢)] ، وأَدَعَ الفقيرَ والمِسْكينَ . وكان يَصْرِفُ على المولدِ فى كلِّ سنةٍ ثلاثَمائةِ ألفِ دينارٍ ، وعلى دارِ الضِّيافةِ فى كلِّ سنةٍ مائةَ ألفِ دينارٍ ، وفى ثمنِ الأُسارَى فى كلِّ سنةٍ مائتى [(٣)] ألفِ دِينارٍ ، وعلى الحرمَيْن والمياهِ بدَرْبِ الحِجازِ ثلاثين ألفَ دينارٍ ، سوى صَدَقاتِ السِّرِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وكانت وفاتُه بقلعةِ إرْبِلَ ، وأَوْصَى أن يُحمَلَ إلى مكةَ ، فلم يَتَّفِقْ ، فدُفِن بمشهدِ علىٍّ .

والملكُ العزيزُ عثمانُ بنُ العادلِ [(٤)] ، وهو شَقيقُ المُعَظَّمِ ، كان صاحبَ بانياسَ وتلك [(٥)] الحُصونِ التى هنالك ، وهو الذى بنَى الصُّبَيْبَةَ [(٦)] ، وكان عاقلًا قليلَ الكلامِ ، مُطِيعًا لأخيه المُعَظَّمِ ، ودُفِن عندَه . وكانت وفاتُه يومَ الاثنين عاشرَ رمضانَ ببُسْتانِه الناعمةِ مِن بيتِ لِهْيَا ، سامَحه اللَّهُ تعالى .

ابنُ عُنَيْنٍ الشاعرُ ، أبو المَحاسِنِ محمدُ بنُ [(٧] نَصرِ اللَّهِ بنِ مكارمٍ [٧)] بنِ الحسنِ

(١ - ١) سقط من : م . وفى الأصل : « من فرسى عليط » . والمثبت من مرآة الزمان .

(٢) فى مرآة الزمان : « بعشرة دارهم » .

(٣) فى مرآة الزمان : « مائة » .

(٤) مرآة الزمان ٦٧٨/٨ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٣، ومرآة الجنان ٤/ ٦٩.

(٥) فى م : « تملك » .

(٦) فى م : « المعظمية » . والصبيبة : قلعة بين بانياس وتبنين وهونين . العبر ٥/ ١١٩.

(٧ - ٧) فى الأصل : « منصور بن مكارم » وفى م : « نصر الدين بن نصر » . والمثبت من مصادر ترجمته : معجم الأدباء ١٩/ ٨١، ومرآة الزمان ٦٩٦/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٥٧، =

ابنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ غالبِ الأنصاريُّ، المعروفُ بابنِ عُنَيْنٍ، قال ابنُ الساعى : أصلُه مِن الكوفةِ ، ووُلِد بدمشقَ ونشَأ بها ، وسافَر عنها سنين ، فجاب الأقْطارَ والبلادَ شرقًا وغربًا ، ودخَل الجَزيرةَ وبلادَ الرومِ والعراقَ وخُراسانَ وما وراءَ النهرِ والهندَ واليمنَ والحِجازَ ومصرَ وبغدادَ ، ومدَح أكثرَ أهلِ هذه البلادِ ، وحصَّل أمْوالًا جَزيلةً ، وكان ظَريفًا شاعِرًا مُطَبِّقًا مشهورًا ، حسنَ الأخلاقِ ، جَميلَ المُعاشَرةِ . وقد رجَع إلى بلدِه دمشقَ ، فكان بها حتى مات فى هذه السنةِ ، فى قولِ ابنِ الساعى . وأمَّا السِّبْطُ وغيرُه فإنهم أرَّخوا وفاتَه فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين ، وقد قيل : إنه مات فى سنةِ إحدى وثلاثين . فاللَّهُ أعلمُ . والمَشهورُ أن أصلَه مِن حَوْرانَ من مدينةِ زُرْعَ ، وكانت إقامتُه بدمشقَ فى الجَزيرةِ قِبليَّ الجامعِ ، وكان هَجَّاءً ، له قُدرةٌ على ذلك ، وصنَّف كتابًا سمَّاه « مِقْراضَ الأعْراضِ » ، يشْتَمِلُ على نحوٍ مِن خمسِمائةِ بيتٍ ، قلَّ مَن سلِم مِن الدَّماشِقةِ مِن شرِّه ، ولا الملكُ صلاحُ الدينِ ولا أخوه العادلُ ، وقد كان يُزَنُّ[(1)] بتركِ الصلواتِ المكتوبةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد نفاه الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ إلى الهندِ ، فامْتَدَح ملوكَها ، وحصَّل أموالًا جَزيلةً ، وصار إلى اليمنِ ، فيُقالُ : إنه وزَر لبعضِ ملوكِها ، ثم عاد فى أيامِ العادلِ إلى دمشقَ ، ولما ملَك المُعَظَّمُ استَوْزَره ، فأساء السِّيرةَ ، واسْتقال هو مِن تِلْقاءِ نفسِه فعزَله ، وكان قد كتَب إلى الدَّماشِقةِ مِن بلادِ الهندِ[(2)] :

= ووفيات الأعيان ٥/ ١٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤١١، والوافى بالوفيات ٥/١٢٢ - ١٢٧.

(١) يزن : يُتَّهم . انظر القاموس المحيط (ز ن ن) .

(٢) ديوان ابن عنين ص ٩٤ .

فَعَلامَ أبْعَدْتُمْ أخا ثقةٍ لم يَجْتَرِمْ[1] ذنبًا ولا سَرَقَا

انْفُوا المُؤَذِّنَ مِن بلادِكمُ إن كان يُنفَى كلُّ مَن صَدَقا

ومما هجا به الملكَ الناصرَ صلاحَ الدينِ، رحِمه اللَّهُ تعالى[2]:

سلطانُنا أعْرَجٌ وكاتبُه ذو عَمَشٍ [١٠/٢٣ظ] والوزيرُ مُنحدِبُ[3]

والدَّوْلَعِيُّ الخطيبُ مُعْتَكِفٌ وهْو على قِشْرِ بيضةٍ يَثِبُ

ولابنِ باقا وعْظٌ يَغُرُّ[4] به النـ ـاسَ وعبدُ اللَّطيفِ مُحْتَسِبُ

وصاحبُ الأمرِ خُلْقُه شَرِسٌ وعارِضُ الجيشِ داؤُه عَجَبُ

وقال فى الملكِ العادلِ سيفِ الدينِ، رحِمه اللَّهُ تعالى[5]:

إن سلطانَنا الذى نَرْتَجِيه واسعُ المالِ ضَيِّقُ الإنْفاقِ

هو سيفٌ كما يقالُ ولكنْ قاطعٌ للرُّسومِ والأرْزاقِ

وقد حضَر مرةً مجلسَ الفخرِ الرازىِّ بخُراسانَ وهو على المنبرِ يَعِظُ الناسَ، فجاءت حَمامةٌ خلفَها جارحٌ، فألْقَت نفسَها على الفخرِ الرازىِّ كالمُسْتَجيرةِ به، فأنْشَأ ابنُ عُنَيْنٍ يقولُ[6]:

جاءت سليمانَ الزمانِ حمامةٌ والموتُ يَلْمَعُ مِن جَناحَىْ خاطفِ

---

(١) فى م: «يقترف».

(٢) الديوان ص ٢١٠، ٢١١. بتقديم وتأخير فى الأبيات.

(٣) فى م: «أحدب».

(٤) فى م: «يغش».

(٥) الديوان ص ٢٣٩ (الجزء المستدرك).

(٦) الديوان ص ٩٥.

قَرِمٌ[1] لواه الجوعُ حتى ظلُّه ... [2]بإزائِه يَجْرِى بقلبٍ واجِفِ[2]

مَن أعْلَم الوَرْقاءَ أن مَحَلَّكم ... حَرَمٌ وأنك مَلْجأٌ للخائفِ

الشيخُ شِهابُ الدينِ السُّهْرَوَرْدىُّ[3] ، صاحبُ « عَوارفِ المَعارِفِ » ، عمرُ ابنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَمُّوَيْهِ[4] ، واسمُه عبدُ اللَّهِ البَكْرىُّ البغدادىُّ ، شِهابُ الدينِ أبو حَفْصٍ السُّهْرَوَرْدىُّ ، شيخُ الصُّوفيةِ ببغدادَ ، وكان مِن كبارِ الصالحين وساداتِ المسلمين ، وترَدَّد فى الرَّسْليةِ بينَ الخُلَفاءِ والملوكِ مِرارًا ، وحصَلَت له أموالٌ جَزيلةٌ ، ففرَّقها بينَ الفُقراءِ والمُحتاجِين ، وقد حجَّ مرةً وفى صُحْبتِه خلقٌ مِن الفقراءِ لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ ، عز وجل ، وكانت فيه مُروءةٌ وإغاثةٌ للمَلْهوفين وإعانةٌ للمحتاجين ، وأمْرٌ بمعروفٍ ونَهْىٌ عن منكرٍ ، وكان يَعِظُ وعليه ثيابُ البِذْلةِ ، قال مرةً هذا البيتَ :

ما فى الصحابِ أخو وَجْدٍ نُطارِحُه ... [5]حديثَ نَجْدٍ ولا صَبٌّ نُجارِيه[5]

[6]وجعل يُكَرِّرُه ويَتواجَدُ[6] ، فقام[7] شابٌّ - [8]عليه قَباءٌ وكَلُّوتَةٌ - من[8]

---

(1) قرم : قَرِم اللحمَ ، وإليه : اشتدت شهوته إليه ، فهو قَرِم . الوسيط (ق ر م) .

(2 - 2) فى الأصل : « من سجنه يمشى بقلب خائف » . وفى م : « بإزائه بقلب واجف » . والمثبت من الديوان .

(3) تاريخ إربل 1/ 192 ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد 19/ 209 ، ومرآة الزمان 8/ 679 (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة 6/ 121 ، والذيل على الروضتين ص 163 ، ووفيات الأعيان 3/ 446 ، ونهاية الأرب 29/ 192 ، وسير أعلام النبلاء 22/ 373 ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 631 - 640) ص 112 ، وتذكرة الحفاظ 4/ 1458 ، وميزان الاعتدال 2/ 266 ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى 8/ 338 ، وطبقات الأولياء ص 262 .

وجاءت وفاته فى المصادر السابقة - عدا مرآة الزمان ونهاية الأرب - فى سنة ثنتين وثلاثين وستمائة .

(4) فى الأصل : « عربه » ، وفى م : « حمويه » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(5 - 5) فى م : « إلا محب له فى الركب محبوب » .

(6 - 6) سقط من : م .

(7) فى الأصل : « فبادات » . ولعله : « فباداه » ، أى كاشفه وجاهره .

(8 - 8) فى م : « وكان فى المجلس فأنشده » .

(١) الحاضرين فقال : يا شيخُ ، كم تَشْطَحُ وتَنْتَقِصُ بالقومِ ، واللَّهِ إن فيهم من لا يَرْضَى أن يُجارِيَك ، ولا يصلُ فَهْمُك إلى ما يقولُ ! هلا أنشدْتَ :

ما في الصِّحابِ وقد سارت حُمُولُهمُ إلا مُحِبٌّ له في الركبِ مَحْبُوبُ (١)

كأنما يُوسفٌ في كلِّ راحِلَةٍ والحَيُّ في كلِّ بَيْتٍ منه يَعْقُوبُ

فصاح الشيخُ ، ونزَل عن المنبر ، وقصَد الشابَّ ليعتذرَ إليه فَلم يَجدْه ، ووجَد مكانه حُفْرَةً فيها دمٌ كثيرٌ من كثرةِ ما كان يَفْحَصُ برجْلَيْه عند إنشادِ الشيخِ البيتَ .

وقد ذكَر ابنُ خَلِّكانَ أشياءَ كثيرةً مِن أناشيدِه ، وأثْنَى عليه خيرًا ، وأنه تُوُفِّى في هذه السنةِ وله ثلاثٌ وتسعون سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ الأثيرِ مُصَنِّفُ « الغابةِ » و « الكاملِ » : هو الإمامُ العَلَّامةُ عِزُّ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبى الكرمِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ عبدِ الواحدِ الشَّيْبانيُّ الجَزَرىُّ المَوصليُّ ، المعروفُ بابنِ الأثيرِ (٢) ، مُصَنِّفُ كتابِ « الغابةِ في أسماءِ الصَّحابةِ » ، وكتابِ « الكاملِ في التاريخِ » وهو مِن أحْسنِها حَوادثَ ، ابْتدأه مِن المُبْتَدَأ إلى سنةِ ثمانٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، وقد كان يَتَرَدَّدُ إلى بغدادَ ، وكان خَصِيصًا عندَ ملوكِ الموصلِ ، ووزَر لبعضِهم كما تقَدَّم بيانُه ، وأقام بها في

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٧٤، والذيل على الروضتين ص ١٦٢ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٣، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٩٩، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٣٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٩٩.

وجاءت وفاته في الذيل على الروضتين في سنة إحدى وثلاثين وستمائة : وسيترجم له المصنف كذلك فيها .

آخرِ عمرِه مُوَقَّرًا مُعَظَّمًا إلى أن تُوُفِّى بها فى شعبانَ من هذه السنةِ ، عن خمسٍ وسبعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ . وأما أخوه مجْدُ الدينِ أبو السَّعاداتِ المُبارَكُ فهو مُصَنِّفُ كتابِ « جامعِ الأصولِ » وغيرِه ، وأخوهما الوزيرُ ضِياءُ الدينِ أبو الفتحِ نصرُ اللَّهِ كان وزيرًا للملكِ الأفضلِ عليِّ بنِ الناصرِ فاتحِ بيتِ المقدسِ ، صاحبِ دمشقَ كما تقدَّم . وجَزيرةُ ابنِ عمرَ قيل : إنها مَنْسوبةٌ إلى رجلٍ يقالُ له : عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ . مِن أهلِ بَرْقَعِيدَ[1] ، وقيل : بل هى مَنْسوبةٌ إلى ابنَىْ عمرَ ، وهما أوْسٌ وكاملٌ ابنا عمرَ بنِ أوسٍ التَّغْلبيِّ ، فاللَّهُ أعلمُ . حرَّر ذلك القاضى [١٠/٢٤و] ابنُ خلكانَ رحِمه اللَّهُ .

ابنُ المُسْتَوْفِى الإرْبِلىُّ ، مباركُ بنُ أحمدَ بنِ مُبارَكِ بنِ مَوْهوبِ بنِ غَنيمةَ بنِ غالبٍ ، العلَّامَةُ شرفُ الدينِ أبو البَرَكاتِ اللَّخْمىُّ الإرْبِلىُّ[2] ، كان إمامًا فى علومٍ كثيرةٍ ؛ كالحديثِ وأسماءِ الرجالِ والأدبِ والحسابِ ، وله مُصَنفاتٌ كثيرةٌ وفَضائلُ غَزيرةٌ ، وقد بسَط ترجمتَه القاضى شمسُ الدينِ بنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ » ، فأجاد وأفاد ، رحِمهم اللَّهُ .

---

(١) برقعيد : بليدة فى طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين . معجم البلدان ١/ ٥٧١.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٢٢، ووفيات الأعيان ٤/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٥١.
وجاءت وفاته فى المصادر السابقة فى سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ولم يذكر فى سنة وفاته خلاف .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وثلاثين وستّمائةٍ

وفيها[1] عمَّر الأشرفُ مسجدَ جَرَّاحٍ ظاهرَ بابِ الصَّغيرِ .

وفيها قدِم رسولُ الأَنْبرورِملكِ الفِرِنْجِ إلى الأشرفِ ومعه هَدايا ؛ منها دُبٌّ أبيضُ ، شعرُه مثلُ شعرِ الأسدِ ، ذكَروا أنه يَنْزِلُ إلى البحرِ ، فيُخرِجُ السمكَ فيَأْكُلُه ، ومنها طاووسٌ أبيضُ أيضًا .

وفيها كمَلت عِمارةُ القَيْساريةِ التى هى قِبليَّ النَّحّاسِين ، وحُوِّل إليها سوقُ الصاغةِ ، وشغَر سوقُ اللُّؤْلؤِ الذى كان فيه الصاغةُ العَتيقةُ عندَ الحَدّادِين .

وفيها جُدِّدَت الدَّكاكِينُ التى بالزيادةِ .

قلتُ : وقد جُدِّدَت شرقيَّ هذه الصاغةِ الجديدةِ قَيْســـارِيَّتان فى زمانِنا ، وسكَنها الصُّوّاغُ وتُجّارُ الذهبِ والجوهرِ ، وهما حسَنتان ، والجميعُ وقْفُ الجامعِ المعمورِ .

وفيها كمَل بِناءُ المدرسةِ المُسْتَنْصِرِيةِ ببغدادَ ، ولم تُبْنَ مدرسةٌ قبلَها مثلُها ، ووُقِفَت على المَذاهبِ الأربعةِ ؛ مِن كلِّ طائفةٍ اثنان وستُّون فقيهًا ، وأربعةُ مُعِيدِين ، ومدرسٌ لكلِّ مَذْهبٍ ، وشيخُ حديثٍ ، وقارِئان ، وعشَرةُ مُسْتَمِعِين ،

---

(١) مرآة الزمان ٦٨٤/٨ - ٦٩٣ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦١، ١٦٢، ونهاية الأرب ١٩٨/٢٩ - ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٥ - ٩.

وشيخُ طبٍّ ، وعشَرةٌ مِن المسلمين يَشْتَغِلون بعلمِ الطبِّ ، ومكتبٌ للأيتامِ ، وقُرِّر للجميعِ مِن الخبزِ واللحمِ والحلْوَى والنَّفقةِ ما فيه كِفايةٌ وافرةٌ لكلِّ واحدٍ . ولما كان يومُ الخميسِ خامسُ رجبٍ حُضِرت الدروسُ بها ، وحضَر الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ باللَّهِ بنفسِه الكريمةِ وأهلِ دولتِه مِن الأمراءِ والوُزراءِ والقُضاةِ والفُقهاءِ والصوفيةِ والشعراءِ ، ولم يَتَخلَّفْ أحدٌ مِن هؤلاء ، وعُمِل سِماطٌ عظيمٌ بها ، أكَل منه الحاضِرون ، وحُمِل منه إلى سائرِ دُروبِ بغدادَ مِن بُيوتاتِ الخَواصِّ والعَوامِّ ، وخُلِع على جميعِ المُدَرِّسين بها والحاضِرين فيها ، وعلى جميعِ الدولةِ والفُقهاءِ بها والمعيدِين[1] ، وكان يومًا مشهودًا ، وأمرًا محمودًا ، وأنْشَدَت الشُّعراءُ الخليفةَ المَدائحَ الفائقةَ والقَصائدَ الرائقةَ ، وقد ذكَر ذلك ابنُ الساعى فى « تاريخِه » مُطَوَّلًا مَبْسوطًا شافيًا كافيًا وافيًا ، وقُرِّر لتَدْريسِ الشافعيةِ بها الشيخُ الإمامُ العلامةُ محيى الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ فضلانَ ، وللحنفيةِ الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ رَشيدُ الدينِ أبو حَفْصٍ عمرُ[2] بنُ محمدٍ الفَرْغانىُّ ، وللحَنابلةِ الشيخُ الإمامُ العلامةُ الرئيسُ مُحْيى الدينِ يوسفُ بنُ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ ، ودرَّس عنه يومَئذٍ ابنُه عبدُ الرحمنِ نيابةً لغَيْبتِه فى بعضِ الرسالاتِ إلى الملوكِ ، ودرَّس للمالكيةِ يومَئذٍ الشيخُ الصالحُ العالمُ أبو الحسن المَغْرِبىُّ المالكىُّ نِيابةً أيضًا حتى يُعَيَّنَ شيخٌ غيرُه ، ووُقِفَت فيها خِزانةُ كتبٍ لم يُسْمَعْ بمثلِها فى كثرتِها وحسنِ نُسخِها وجودةِ الكتبِ المَوْقوفةِ بها . وكان المُتَوَلِّىَ لعمارةِ هذه المدرسةِ مُؤَيِّدُ الدينِ أبو طالبٍ محمدُ بنُ العَلْقمىِّ الذى وزَر بعدَ ذلك ، وقد كان إذ ذاك أُستاذَ دارِ الخلافةِ ،

---

(١) فى الأصل : « المعتبرين » .

(٢) فى الأصل : « عز الدين » . وانظر ترجمته فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١١٦، والجواهر المضية ٢/ ٦٦٢.

وخُلِع عليه يومَئِذٍ وعلى الوزيرِ نَصِيرِ الدينِ خلعةً . ثم عُزِل مدرسُ الشافعيةِ فى رابعَ عشَرَ ذى القَعْدةِ بقاضى القُضاةِ أبى المعالى عبدِ الرحمنِ بنِ مُقْبِلٍ ، مُضافًا إلى ما بيدِه مِن القَضاءِ ، وذلك بعدَ وفاةِ مُحْيى الدينِ بنِ فَضْلانَ [١٠/٢٤ظ] ، وقد ولِى القَضاءَ مدةً ، ودرَّس بالنِّظاميةِ وغيرِها ، ثم عُزِل ، ثم رُضِى عنه ، ثم درَّس بالمُسْتَنْصِريةِ كما ذكَرْنا ، فلما تُوُفِّى ولِيها بعدَه ابنُ مُقْبِلٍ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ :

السيفُ الآمِدىُّ أبو الحسنِ علىُّ بنُ أبى علىٍّ بنِ محمدِ بنِ سالمٍ التَّغْلِبىُّ(١) ، الشيخُ سيفُ الدينِ الآمِدىُّ ، ثم الحَمَوىُّ ، ثم الدِّمشقىُّ ، صاحبُ المُصَنَّفاتِ فى الأصْلَيْن وغيرِ ذلك ، مِن ذلك « أبْكارُ الأفكارِ » فى الكلامِ ، و « دَقائقُ الحَقائقِ » فى الحِكْمةِ ، و « إحكامُ الأحكامِ » فى أصولِ الفقهِ ، وكان حَنْبلىَّ المذهبِ ، فصار شافعيًّا أُصوليًّا مَنْطِقيًّا جَدَليًّا خِلافيًّا ، وكان حسنَ الأخلاقِ ، سَليمَ الصدرِ ، كثيرَ البُكاءِ ، رَقيقَ القلبِ ، وقد تكَلَّموا فيه بأشْياءَ ، اللَّهُ تعالى أعلمُ بصحتِها ، والذى يَغْلِبُ على الظَّنِّ أنه ليس لغالبِها صحةٌ ، وقد كانت ملوكُ بنى أيوبَ كالمُعَظَّمِ والكاملِ يُكْرِمونه ، وإن كانوا لا يُحِبُّونه كثيرًا ، وقد فوَّض إليه الملكُ المُعَظَّمُ تَدْريسَ العَزيزيةِ ، فلما ولِى الأشْرَفُ دمشقَ عزَله عنها ، ونادَى فى المَدارسِ أن لا يَشْتَغِلَ أحدٌ بغيرِ التَّفْسيرِ والحديثِ والفقهِ ، ومَن اشْتَغَل بعلومِ الأوائلِ نفَيْتُه ، فأقام الشيخُ سيفُ الدينِ بمنزلِه إلى أن تُوُفِّى بدمشقَ فى صفرٍ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٩١ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٩٠، والذيل على الروضتين ص ١٦١، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٥٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٤، ودول الإسلام ٢/ ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٧٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠٦.

من هذه السنةِ ، ودُفِن بتربتِه بسَفْحِ قاسِيونَ .

وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] أنه اشْتَغل ببغدادَ على الشيخِ أبى الفتحِ نصرِ بنِ فِتْيانَ بنِ المَنِّىِّ الحنبلىِّ ، ثم انْتَقل إلى مذهبِ الشافعىِّ ، فأخَذ عن ابنِ فَضْلانَ وغيرِه ، وحفِظ طريقةَ الشريفِ فى الخلافِ وزَوائدَ طريقةِ أسْعَدَ الميهَنىِّ ، ثم انْتَقل إلى الشامِ[2] ، [3]واشْتَغل بعلومِ المعقولِ[3] ، ثم إلى الديارِ المصريةِ ، فأعاد بمدرسةِ الشافعيةِ بالقَرَافةِ الصغرى ، وتصَدَّر بالجامعِ الظافرىِّ ، واشْتَهَر فضلُه ، وانْتَشَرَت فَضائلُه ، فحسَده أقْوامٌ ، فسعَوْا به ، وكتَبوا خُطوطَهم باتِّهامِه بمذهبِ الأوائلِ والتَّعْطيلِ والانْحِلالِ ، فطلَبوا مِن بعضِهم أن يُوافِقَهم ، فكتَب[4] :

حسَدوا الفتى إذ لم يَنالوا سعْيَهُ ... فالقومُ[5] أعْداءٌ له وخُصومُ

وانْتَقل الشيخُ سيفُ الدينِ إلى حَماةَ ، ثم تحَوَّل إلى دمشقَ ، فدرَّس بالعَزيزيةِ ، ثم عُزِل عنها ، ولزِم بيتَه إلى أن مات فى هذه السنةِ ، وله ثمانون عامًا ، رَحِمه اللَّهُ تعالى ، وعفا عنه .

واقفُ الرُّكْنيةِ الحنفيةِ الأميرُ الكبيرُ رُكْنُ الدينِ مَنْكُورِس الحنفىُّ الفَلَكىُّ[6] ، غلامُ فَلَكِ الدينِ أخى الملكِ العادلِ ؛ لأنه واقفُ الفَلَكيةِ ، كما تقَدَّم ، وكان هذا الرجلُ مِن خِيارِ الأمراءِ ، يَنْزِلُ فى كلِّ ليلةٍ وقتَ السَّحَرِ إلى

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣.

(٢) فى الأصل : « دمشق » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) أى من طلبوا منه أن يوافقهم هو الذى كتب .

(٥) فى الأصل : « والناس » .

(٦) مرآة الزمان ٦٩١/٨ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٨٧.

الجامعِ وحدَه بطَوَّافةٍ ، ويُواظِبُ على حضورِ الصَّلَواتِ فيه مع الجماعةِ ، وكان قليلَ الكلامِ ، كثيرَ الصَّدَقاتِ ، وقد بنَى المدرسةَ الرُّكْنية بسفحِ قاسِيونَ ، ووقَف عليها أوقافًا كثيرةً ، وعمِل عندَها تُرْبةً ، وحينَ تُوُفِّى بقريةِ جَرُودَ[1] حُمِل إليها ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الإمامُ العالمُ رَضيُّ الدِّينِ أبو داودَ[2] سليمانُ بنُ المُظَفَّرِ بنِ غَنائمَ الجيليُّ الشافعيُّ ، أحدُ فُقهاءِ الشافعيةِ ببغدادَ والمفتين فيها والمشتغلينَ للطلبةِ مدةً طويلةً ، له كتابٌ فى المذهبِ نحوٌ مِن خمسةَ عشَرَ مجلدًا ، يَحْكى فيه الوجوهَ الغريبةَ والأقوالَ المُسْتَغْرَبَةَ ، وكان لطيفًا ظريفًا ، تُوُفِّى رحِمه اللَّهُ يومَ الأربعاءِ ثالثَ ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ ببغدادَ .

[3]**والحافظُ أبو الحسنِ بنُ الأثيرِ** الشَّيخُ [١٠/٢٥و] عزُّ الدِّينِ أبو الحسنِ عليُّ ابنُ محمدِ بنِ [4]محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ[4] ، الجزَرِيُّ الموصليُّ ، صاحبُ التصانيفِ الفائقةِ منها كتابُ « الكاملِ فى التاريخِ » من أحسنِ الكتبِ فى هذا الفنِّ وأبسطِها فى الحوادثِ ، وأمَّا وفياتُه فليست مبسوطةً بسطَ حوادثِه ، وبالجملةِ فهو من عيونِ التواريخِ وأمتعِها ، وله من المصنفاتِ المشهورةِ[3] .

الشيخُ طَيٌّ المصريُّ[5] ، أقام مـــدةً بالشـــــامِ فى زاويةٍ له بدمشـــقَ

---

(١) فى م : « حدود » . وجرود من إقليم مَعْلُولا من أعمال غوطة دمشق . معجم البلدان ٢/ ٦٥.

(٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٦٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٢٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ١٤٨.

(٣ - ٣) سقط من : م ، وتقدمت ترجمته فى وفيات السنة الفائتة .

(٤ - ٤) فى الأصل : « عبد الرحيم » . والمثبت مما تقدم من ترجمته .

(٥) مرآة الزمان ٨/٦٨٦ (القسم الثانى) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٦٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٥.

(1) عندَ الرحْبةِ التى يُباعُ فيها الصَّناديقُ عندَ دارِ بنى القَلانِسىِّ، شرقىَّ حمامِ سامةَ (1)، وكان ظريفًا كَيِّسًا زاهدًا، يَتَرَدَّدُ إليه الأكابرُ، ودُفِن بزاويتِه المذكورةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الشيخُ عبدُ اللَّهِ الأَرْمَنِىُّ[2]، أحدُ العُبَّادِ الزُّهَّاد الذين جابوا البلاد، وسكَنوا البَرارىَّ والجبالَ والوِهاد، واجْتَمَعوا بالأَقْطابِ والأَبْدالِ والأَوْتاد، وممَّن كانت له الأَحْوالُ والمُكاشَفات، والمُجاهَدات والسِّياحات، فى سائرِ النَّواحى والجِهات، وقد قرَأ القرآنَ فى بدايتِهِ، وحفِظ «القُدُورىَّ» على مذهبِ أبى حَنيفةَ، ثم اشْتَغل بالمُعامَلاتِ والرِّياضاتِ، ثم أقام فى آخرِ عمرِه بدمشقَ حتى مات بها، ودُفِن بسَفْحِ قاسِيونَ.

وقد حُكِى عنه أشياءُ حسنةٌ، منها أنه قال[3]: اجْتَزْتُ مرةً فى السِّياحةِ ببلدةٍ، فطالَبَتنى نفسى بدخولِها، فآلَيْتُ أن لا أَسْتَطْعِمَ منها بطعامٍ، ودخَلْتُها فمرَرْتُ برجلٍ غَسَّالٍ، فنظَر إلىَّ شزْرًا، فخِفْتُ منه، وخرَجْتُ مِن البلدِ هاربًا، فلحِقنى ومعه طعامٌ فقال: كُلْ فقد خرَجْتَ مِن البلدِ. فقلتُ له: وأنت فى هذا المَقامِ وتَغْسِلُ الثِّيابَ فى الأسْواقِ؟! فقال: لا تَرْفَعْ رأسَك، ولا تَنْظُرْ إلى شىءٍ مِن عملِك، وكُنْ عبدًا للَّهِ، ولو اسْتَعْمَلك فى الحُشِّ[4] فارْضَ به. ثم قال:

(1 - 1) سقط من: م.

(2) فى الأصل: «الأرموى». وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٦٨٦/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ١١٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ٣٦٧/٢٢ بدون ترجمة، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٧٠، والعبر ٥/ ١٢٥، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٩٥، ومرآة الجنان ٤/ ٧٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٥. ووقع فى السير والعبر: «الأرموى»، وفى مرآة الجنان: «الأرمونى».

(3) مرآة الزمان ٦٨٨/٨ (القسم الثانى).

(4) فى الأصل: «الحيش»، وفى مرآة الزمان: «الخشن». والحش: الكنيف. الوسيط (ح ش ش).

ولو قلتَ[1] لى مُتْ قلتُ سَمْعًا وطاعةً وقلتُ لداعى الموتِ أهلًا ومَرْحَبا

وقال[2] : اجْتَزْتُ مرةً فى سِياحتى براهبٍ فى صَوْمَعةٍ فقال لى : يا مسلمُ ، ما أقْرَبُ الطرقِ عندَكم إلى اللَّهِ عز وجل ؟ قلتُ : مُخالفةُ النفسِ . قال : فردَّ رأسَه إلى صَوْمعتِه ، فلما كنتُ بمكةَ زمنَ الحجِّ إذا رجلٌ يُسَلِّمُ علىَّ عندَ الكعبةِ ، فقلتُ : مَن أنت ؟ فقال : أنا الراهبُ . قلتُ : بمَ وصَلْتَ إلى هاهنا ؟ قال : بالذى قلتَ لى . وفى روايةٍ أنه قال له : عرَضْتُ الإسلامَ على نفسى فأبَتْ . فعلِمْتُ أنَّه حقٌّ ، فأسْلَمْتُ وخالَفْتُها . فأفْلَح وأنْجَح .

قال[3] : وبينا أنا ذاتَ ليلةٍ بجبلِ لُبْنانَ إذا حراميةُ[4] الفِرِنْجِ ، فأخَذونى فقيَّدونى وشدُّوا وَثاقى ، فكنتُ عندَهم تلك الليلةَ فى أضيقِ حالٍ ، فلما كان النهارُ شرِبوا وناموا ، فبينا أنا مَوثوقٌ إذا حراميةُ[4] المسلمين قد أقْبَلوا نحوَهم ، فأنْبهتُهم فلجَئوا إلى مَغارةٍ هنالك ، فسلِموا مِن أولئك المسلمين ، فقالوا : كيف فعَلْتَ هذا وقد كان خَلاصُك على أيديهم ؟ فقلتُ : إنكم أطْعَمْتُمونى ، فكان مِن حقِّ الصُّحْبةِ أن لا أَغُشَّكم . فعرَضوا علىَّ شيئًا مِن مَتاعِ الدنيا ، فأبَيْتُ وأطْلَقونى .

وحكَى السِّبْطُ قال[5] : زُرْتُه مرةً وهو ببيتِ المقدسِ ، وكنتُ قد أكَلْتُ سمكًا مالحًا ، فلما جلَسْتُ عندَه أخَذَنى عطَشٌ شديدٌ ، وإلى جانبِه إبْريقٌ فيه ماءٌ

---

(١) فى «م» «قيل» .

(٢) مرآة الزمان ٨/ ٦٨٩، ٦٩٠ (القسم الثانى) .

(٣) المصدر السابق ٨/ ٦٨٨، ٦٨٩ .

(٤) فى الأصل : «حراسة» .

(٥) المصدر السابق ٦٨٩/٨ .

باردٌ ، فجعَلْتُ أَسْتَحْيِى منه ، فمد يدَه إلى الإبْرِيقِ وقد احْمَرَّ وجهُه ، وناوَلَنى وقال : خُذْ ، كم تُكاسِرُ[1] . فشرِبْتُ .

وذكَر[2] أنه لما ارْتَحَل مِن بيتِ المقدسِ كان سورُها بعدُ قائمًا حديدًا[3] على عِمارةِ الملكِ صلاحِ الدينِ قبلَ أن يُخَرِّبَه المُعَظَّمُ ، فوقَف لأصْحابِه يُوَدِّعُهم ، ونظَر إلى السورِ وقال : كأنى بالمَعاوِلِ وهى تَعْمَلُ فى هذا السورِ عما قريبٍ . فقيل له : مَعاوِلُ المسلمين أو الفِرِنْجِ ؟ فقال : بل مَعاوِلُ المسلمين . وكان [١٠/٢٥ظ] كما قال .

وقد ذُكِرَت له أحْوالٌ كثيرةٌ حسنةٌ ، ويقالُ : إن أصلَه أرْمَنِىٌّ ، وإنه أسْلَم على يدى الشيخِ عبدِ اللَّهِ اليُونِينىِّ . وقيل : بل أصلُه رُومىٌّ مِن قُونِيَةَ ، وإنه قدِم على الشيخِ عبدِ اللَّهِ اليُونِينىِّ ، وعليه بُرْنُسٌ كبَرانسِ الرُّهْبانِ ، فقال له : أسْلِمْ[4] . فقال : أسْلَمْتُ لربِّ العالمين . وكانت أمُّه دايَةَ امرأةِ الخليفةِ ، وقد جرَت له كائنةٌ غريبةٌ ، فسلَّمه اللَّهُ بسببِ ذلك ، وعرَفه الخليفةُ فأطْلَقه .

---

(١) يقال : كَسَر من برد الماء وحره : فتر . وكل من عجز عن شىء فقد انكسر عنه ، وكل شىء فتر عن أمر يعجز عنه يقال فيه : انكسر . انظر اللسان (ك س ر) .

(٢) مرآة الزمان ٦٨٩/٨ (القسم الثانى) .

(٣) فى (م) : « جديدًا » .

(٤) فى م : « أسلمت » .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] خرّب الملكُ الأشْرَفُ موسى بنُ العادلِ ، خانَ الزِّنْجاريِّ الذى كان بالعُقَيْبةِ ، فيه خَواطئُ وخُمورٌ ومُنْكَراتٌ متعددةٌ ، فهدَمه وأمَر بعِمارةِ جامعٍ مكانه سُمِّى جامعَ التَّوْبةِ ، تقَبّل اللَّهُ تعالى منه .

وفيها تُوُفِّى القاضى بَهاءُ الدينِ يوسُفُ بنُ رافعِ بنِ تَميمِ بنِ شَدَّادٍ الحَلَبىُّ[2] ، أحدُ رؤسائِها مِن بيتِ العلمِ والسِّيادةِ ، له علمٌ بالتَّواريخِ وأيامِ الناسِ وغيرِ ذلك ، وقد سمِع الكثيرَ وحدَّث .

والشيخُ شِهابُ الدينِ عبدُ السلامِ بنُ المُطَهِّرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَصْرونَ الحَلَبىُّ[3] أيضًا ، كان فَقيهًا زاهدًا عابدًا ، وكانت له نحوٌ مِن عشرين سُرِّيَّةً ، وكان شيخًا يُكْثِرُ مِن الجِماعِ ، فاعْتَرَتْه أمراضٌ مختلفةٌ فأتْلَفَته ، ومات بدمشقَ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، وهو والدُ قُطْبِ الدينِ وتاجِ الدينِ .

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٩٣، ٦٩٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، ١٦٣، ونهاية الأرب ٢٩/٢٠٧ - ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠ - ١٢.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٢٨، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ووفيات الأعيان ٧/ ٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٣٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٦٠.

(٣) مرآة الزمان ٨/٦٩٢ (القسم الثانى) ، فى وفيات سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٢٥، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠٣، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٣٦.

والشيخُ الإمامُ العالمُ صائنُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ الجِيلىُّ الشافعىُّ[1] ، أحدُ الفُقهاءِ المُفْتِين المُشْتَغِلين بالمدرسةِ النِّظاميةِ ببغدادَ ، وله شرحٌ على « التَّنْبيهِ » للشيخِ أبى إسحاقَ ، تُوُفِّى فى ربيعٍ الأولِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

والشيخُ الإمامُ العالمُ الخطيبُ الأديبُ ، أبو محمدٍ حَمْدُ بنُ حُمَيدِ بنِ محمودِ بنِ حُمَيْدِ بنِ أبى الحسنِ بنِ أبى الفرجِ بنِ مِفْتاحٍ التَّميمىُّ الدُّنَيْسِرىُّ[2] ، الخطيبُ بها والمُفْتِى لأهلِها ، الفَقيهُ الشافعىُّ ، تفقَّه ببغدادَ بالنِّظاميةِ ، ثم عاد إلى بلدِه المشارِ إليها ، وقد صنَّف كتبًا . وأنْشَد عنه ابنُ الساعى [3]سماعًا منه[3] :

روَت لى أحاديثَ الغَرامِ صَبابَتى ... بإسنادِها عن بانةِ العلَمِ الفَرْدِ
وحدَّثَنى مَرُّ النَّسيمِ عن الحِمَى ... عن الدَّوْحِ عن وادى الغَضَا عن رُبَى نَجدِ
بأن غرامى والأَسى قد تلازَما ... فلنْ يَبْرَحا حتى أُوَسَّدَ فى لَحْدِى

وقد أرَّخ الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ فى « الذَّيْلِ »[4] وفاةَ الشِّهابِ السُّهْرَوَرْدىِّ صاحبِ « عَوارِفِ المَعارِفِ » فى هذه السنةِ ، وذكَر أن مولدَه فى سنةِ تسعٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ ، وأنه جاوَز التِّسْعين . وأما السِّبْطُ فإنه أرَّخ وفاتَه فى سنةِ ثلاثين كما تقدَّم .

قاضى القُضاةِ بحَلَبَ أبو المَحاسِنِ يوسُفُ بنُ رافعِ بنِ تَميمِ بنِ عُتْبةَ بنِ محمدٍ الأَسَدىُّ الموصلىُّ الشافعىُّ[5] ، كان رجلًا فاضلًا أديبًا مُقْرِئًا ، ذا وَجاهةٍ

---

(١) الوافى بالوفيات ١٨/ ٥٢٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٥٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٣٧٣، ولسان الميزان ٤/ ٣٤.
(٢) الوافى بالوفيات ١٣/ ١٥٦، وبغية الوعاة ١/ ٥٤٦.
(٣ - ٣) سقط من : الأصل.
(٤) الذيل على الروضتين ص ١٦٣.
(٥) تقدمت ترجمته فى هذه السنة ، وهو تكرار.

عندَ الملوكِ ، أقام بحَلَبَ ، وولِى القَضاءَ (١ونظَر الأوقافَ ١) بها ، وله تَصانيفُ وشعرٌ ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ الفارِضِ[٢] ناظِمُ التائيةِ فى السُّلوكِ على طريقةِ المُتَصَوِّفةِ المَنْسُوبين إلى الاتِّحادِ[٣] ، هو أبو حفصٍ عمرُ بنُ أبى الحسنِ علىِّ بنِ المُرْشِدِ بنِ علىٍّ ، الحَمَوىُّ الأصْلِ ، المِصْرىُّ المولدِ والدارِ والوَفاةِ ، كان أبوه يَكْتُبُ فروضَ النساءِ والرجالِ ، وقد تكَلَّم فيه غيرُ واحدٍ مِن مشايخِنا بسببِ قصيدتِه المشارِ إليها ، وقد ذكَره شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهبىُّ فى « مِيزانِه »[٤] وحطَّ عليه . مات فى هذه السنةِ وقد قارَب السِّتِّين[٥] .

(١ - ١) سقط من : م.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٣٥، وتكملة إكمال الإكمال ص ٢٧٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢١٠.

(٣) فى الأصل : « الإلحاد » . و « الاتحاد » هو ما يعرف فى عصرنا بوحدة الوجود. نعوذ باللَّه من الضلال !

(٤) ميزان الاعتدال ٣/ ٢١٤.

(٥) فى الأصل : « التسعين » . وفى م : « السبعين . والمثبت موافق لما فى مصادر الترجمة ؛ حيث ذكرت أنه توفى وله ست وخمسون عامًا.

(1) ثم دخلت سنة ثلاثٍ وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[2] قطَع الكاملُ وأخوه الأشْرَفُ الفُراتَ، وأصْلَحا ما كان أفْسَده جيشُ الرومِ مِن بلادِهما، وخرَّب الكاملُ قلعةَ الرُّهَا، وأحَلَّ بدُنَيْسِرَ بأسًا شديدًا، وجاء كتابُ بدرِ الدينِ صاحبِ الموصلِ بأن التتارَ[3] أقْبَلوا بمائةِ طُلْبٍ، كلُّ طُلْبٍ بخمسِمائةِ فارسٍ، فرجَع المِلكان إلى دمشقَ سريعًا، وعاد جيشُ الرومِ إلى بلادِهما بالجَزيرةِ، وأعادوا الحِصارَ كما كان، ورجَعَت التَّتارُ عامَهم ذلك إلى بلادِهم. واللَّهُ تعالى أعلمُ (1).

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ والمَشاهيرِ:

ابنُ عُنَيْنٍ الشاعرُ، وقد تقَدَّمَت ترجمتُه فى سنةِ ثلاثين.

ابنُ دِحيةَ، أبو الخَطَّابِ عمرُ بنُ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ [١٠/٢٦و] **فَرْحِ**[4]

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) مرآة الزمان ٨/٦٩٥ - ٦٩٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ١٦٤، ونهاية الأرب ٢٩/٢١١ - ٢١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٣ - ١٦.

(٣) فى م: «الروم». والمثبت من مرآة الزمان وتاريخ الإسلام.

(٤) فى م: «فرج». انظر تبصير المنتبه ٣/١٠٧٢. وانظر ترجمته فى المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٩/٢٠٥، ومرآة الزمان ٨/٦٩٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ووفيات الأعيان ٣/٤٤٨، ونهاية الأرب ٢٩/٢١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٥٧، وميزان الاعتدال ٣/١٨٦، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٤٥١.

ابنِ خلفِ بنِ قُومِسَ بنِ مَزْلالِ بنِ مَلَّالِ[1] بنِ بدرِ بنِ أحمدَ بنِ دِحْيةَ بنِ خَليفةَ الكَلْبىُّ [2]المَغربىُّ السَّبْتِىُّ ، كان قاضِيَها ثمَّ صار إلى مِصْرَ[2] ، الحافظُ شيخُ الديارِ المصريةِ فى الحديثِ ، وهو أولُ مَن باشَر مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ الكامليةِ بها . قال السِّبْطُ[3] : وقد كان كابنِ عُنَيْنٍ فى ثَلْبِ المسلمين والوَقيعةِ فيهم ، ويَتَزَيَّدُ فى كلامِه ، فترَك الناسُ الرِّوايةَ عنه وكذَّبوه ، وقد كان الكاملُ مُقْبِلًا عليه ، فلما انْكَشَف له حالُه أخَذ منه دارَ الحديثِ وأهانه ، وتُوُفِّى فى ربيعٍ الأولِ بالقاهرةِ ، ودُفِن بقَرافةِ مصرَ .

وقد قال الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ : وللشيخِ السَّخاوىِّ فيه أبْياتٌ حَسنةٌ .

وقال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] بعدَ سِياقِ نسبِه كما تقدَّم ، وذكَر أنه كتَبه مِن خطِّه ، قال : وذكَر أن أمَّه أمَةُ الرحمنِ بنتُ أبى عبدِ اللَّهِ بنِ أبى البَسَّامِ موسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ جعفرِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، فلهذا كان يَكْتُبُ بخطِّه : ذو النَّسَبَيْن ، بينَ دِحْيةَ والحسينِ ، رضِى اللَّهُ عنهما .

قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : وكان مِن أعْيانِ العلماءِ ومَشاهيرِ الفُضلاءِ ، مُتْقِنًا لعلمِ الحديثِ وما يَتَعَلَّقُ به ، عارفًا بالنحوِ واللغةِ وأيامِ العربِ وأشعارِها ، اشْتَغل ببلادِ المغربِ ، ثم رحَل إلى الشامِ ، ثم إلى العراقِ ، واجْتاز بإرْبِلَ سنةَ أربعٍ وستِّمائةٍ ،

---

(١) فى الأصل ، م : « بلال » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) مرآة الزمان ٦٩٨/٨ (القسم الثانى) .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٩ .

فوجَد ملِكَها المُعَظَّمَ مُظَفَّرَ الدينِ بنَ زَيْنِ الدينِ يَعْتَنى بالمولدِ النَّبوىِّ ، فعمِل له كتابَ « التَّنْويرِ فى مولدِ السِّراجِ المُنيرِ » وقرَأه عليه بنفسِه ، فأجازه بألفِ دينارٍ . قال : وقد سمِعْناه على الملكِ المُعَظَّمِ فى ستةِ مَجالسَ فى سنةِ خَمْسٍ[1] وعشرين وستِّمائةٍ .

قلتُ : وقد وقَفْتُ على هذا الكتابِ ، وكتَبْتُ منه أشياءَ حسَنةً مُفيدةً .

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : وكان مولدُه فى سنةِ أربعٍ وأربعين وخمسِمائةٍ . وقيل : ستٍّ أو سبعٍ[3] وأربعين وخمسِمائةٍ . وتُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وكان أخوه أبو عمرٍو عثمانُ قد باشَر بعدَه دارَ الحديثِ الكامليةَ بمصرَ ، وتُوُفِّى بعدَه بسنةٍ .

قلتُ : وقد تكَلَّم الناسُ فيه بأنواعٍ مِن الكلامِ ، ونسَبه بعضُهم إلى وَضْعِ حديثٍ فى قَصْرِ صلاةِ المغربِ ، وكنتُ أَوَدُّ أن أَقِفَ على إسنادِه لنَعْلَمَ كيف رجالُه ، وقد أجْمَع العلماءُ - كما ذكَره ابنُ المُنْذِرِ[4] وغيرُه - على أن المغربَ لا يُقْصَرُ .

(5) وقد وقفتُ على جزءٍ جمَعه المحدِّثُ المُتْقِنُ المُفيدُ أبو صادقٍ محمدُ بنُ الحافظِ أبى الحسينِ يحيى بنِ علىٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ القُرَشِىُّ العُطارِدِىُّ فى ترجمةِ شيخِه أبى الخطّابِ بنِ دِحْيَةَ هذا ، جمَع فيه أقوالَ الناسِ فى ثَلْبِه والكلامِ فى مَرْباه ومَنْشَئِه واشتِغالِه وطَلَبِه ، وذكر بعضُهم أنه ولِى القضاءَ بسبتةَ ، فاللَّهُ أعلمُ ، (5)

---

(1) فى م : « ست » .
(2) وفيات الأعيان ٣/ ٤٥٠.
(3) فى م : « تسع » . والذى فى المصادر : « ثمان » .
(4) الإجماع ص ٩.
(٥ - ٥) سقط من : م .

(١) وذكَر طعْنَ الناسِ فى ادِّعائِه نسبه إلى دِحْيَةَ الكَلْبِىِّ ، وأنه انقطَع نَسْلُه مِن بعدِ ثلاثِمائةٍ ، وأَنشَد لابنِ عُنَيْنٍ فيه - قائلِ البيتين الشهيرَيْنِ وهما - قولُه[٢] :

دِحْيَةُ لم يُعْقِبْ فكم تَفْتَرى[٣] إليه بالبُهتانِ والإفكِ
ما صحَّ عندَ الناسِ شىءٌ سوى أنَّك مِن كلبٍ بلا شكِّ

وإن مِن أقبحِ ما رأيتُه فى هذا الجزءِ ما ذكَره عن شيخِه الحافظ المؤرِّخ ابنِ النَّجارِ[٤] ، عن الحافظِ علىِّ بنِ المُفَضَّلِ أنه قال : اجتمعتُ أنا وابنُ دِحْيَةَ فى مجلسِ السلطانِ ، فسألنى السلطانُ عن حديثٍ فأَجَبْتُه فيه ، فقال لى : مَن رواه ؟ فلم يَحْضُرْنى إسنادُه (٥)فانفَصَلنا ، فاجتَمع بى ابنُ دِحْيَةَ وقال لى : يافقيهُ ، لمّا سأَلَك السلطانُ عن إسنادِ ذاك الحديثِ ، لم لم تذكرْ له أىَّ إسنادٍ شئتَ ؟ فإنه ومَن حضَر مجلسَه لا يعلمون(٥) هل هو صحيحٌ أم لا فعظمتَ فى أعينِهم . فعلمتُ أنه يَتَهاونُ بأمورِ الدِّينِ ، جَرِئٌ على الكَذِبِ .

ثم قال : وحدَّثنى الفقيهُ تقىُّ الدينِ عبيدُ بنُ محمدِ بنِ [١٠/٢٦ظ] عباسٍ الإسْعِرْدِىُّ ، عن شيخِنا الفقيهِ الإمامِ العالمِ أوحدِ الأنامِ مُفْتى المسلمين بهاءِ الدينِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ هِبَةِ اللّهِ بنِ سلامةَ بنِ المُسَلَّمِ اللَّخْمِىِّ ، يعنى ابنَ الجُمَّيْزِىِّ ، أنه قال : كان السلطانُ المَلِكُ الكاملُ قد خرَج إلى الشامِ ، فخرَج أبو الخطّابِ عمرُ ابنُ دِحْيَةَ معه ، وولدُ الشيخِ مُعِينِ الدينِ بنِ شيخِ الشيوخِ ، فحَضَرت صلاةُ(١)

(١ - ١) سقط من : م .
(٢) ديوان ابن عنين ص ٢٢٠.
(٣) فى الديوان :« تنتمى » .
(٤) المستفاد من تاريخ بغداد ١٩/ ٢٠٨.
(٥ - ٥) فى الأصل : « فلما لم يدرون » . والمثبت من المستفاد .

[1] المغربِ ، فقدَّم السلطانُ ابنَ دِحْيَةَ فصَلّى بهم المغربَ ، فلمّا أن فرَغ مِن الصلاةِ ، قال ابنُ شيخِ الشيوخِ : ما أعلمُ أحدًا مِن الأَئِمَّةِ يُجَوِّزُ قَصْرَ صلاةِ المغربِ فى السَّفَرِ . فقال ابنُ دِحْيَةَ : كيف لا وقد أخبرَنا فلانٌ عن فلانٍ . وسرَد إسنادَه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قصَر المغربَ فى السفرِ . فلم يُجِبِ ابنُ شيخِ الشيوخِ ومكَث على حالِه .

قلتُ : هذا وضعٌ فاحشٌ مخالِفٌ لما أجمَع عليه العلماءُ ، كما ذكره ابنُ المنذرِ وغيرُه ، ومثلُ هذا الإسنادِ لا يُحْفَظُ ؛ لأنَّ سامِعَه لم يَضْبِطْه ، وواضِعُه لا يَقْدِرُ على إعادَتِه ثانيًا ، واللَّهُ أعلمُ [1] .

الحاجرىُّ الشاعرُ [2] ، صاحبُ الدِّيوانِ المشهورِ ، وهو عيسى بنُ سَنْجَرَ بنِ بَهْرامَ بنِ جِبْرِيلَ بنِ خُمارْتِكِين بنِ طَاشْتِكِين الإرْبلىُّ ، شاعرٌ مُطَبِّقٌ ، ترْجَمه ابنُ خَلِّكانَ ، وذكَر أشْياءَ مِن شعرِه كثيرةً ، وذكَر أنه كان صاحبَهم ، وأنه كتَب إلى أخيه ضِياءِ الدينِ عيسى يَسْتَوْحِشُ منه :

اللَّهُ يَعْلَمُ ما أبْقَى سوى رَمَقٍ ... منى فِراقُك يا مَن قُرْبُه الأمَلُ
فابْعَثْ كتابَك واسْتَوْدِعْه تَعْزيةً ... فربما مِتُّ شوقًا قبلَ ما يَصِلُ

وذكَر له فى الخالِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى :

ومُهَفْهَفٍ مِن شَعْرِه وجَبينِه ... أمْسَى الوَرَى فى ظُلْمةٍ وضِياءِ
لا تُنْكِروا الخالَ الذى فى خَدِّه ... كلُّ الشقيقِ بنقطةٍ سوداءِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٥٠١، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١١٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٠.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] حاصَرت التَّتارُ إرْبِلَ بالمَجانِيقِ، ونقَبوا الأسوارَ حتى فتحوها عَنْوةً، فقتَلوا أهلَها وسبَوْا ذَراريَّهم، وامْتَنَعَت عليهم القلعةُ، وفيها[2] النائبُ مِن جهةِ الخليفةِ، فدخَل فصلُ الشتاءِ، فأقْلَعوا عنها، وانْشَمَروا إلى بلادِهم، وقيل: إن الخليفةَ جهَّز لهم جيشًا، فانهَزَم التَّتارُ.

وفيها اسْتَخْدَم الصالحُ أيوبُ بنُ الكاملِ صاحبُ حصنِ كَيْفا الخُوارَزْميةَ الذين تبَقَّوا مِن جيشِ جَلالِ الدينِ، وانْفَصَلوا عن الرُّوميِّ، فقوِى جَأْشُ الصالحِ أيوبَ.

وفيها طلَب الأشرفُ موسى بنُ العادلِ مِن أخيه الكاملِ الرَّقَّةَ؛ لتَكونَ قوةً له وعَلَفًا لدوابِّه إذا جاز الفُراتَ مع أخيه فى البَواكِيرِ، فقال الكاملُ: أما يَكْفِيه أن معه دمشقَ مملكةَ بنى أميةَ؟ فأرْسَل الأشرفُ الأميرَ فَلَكَ الدينِ بنَ المَسِيرِىِّ إلى الكاملِ فى ذلك، فأغْلَظ له فى الجوابِ، وقال: أَيْشِ يَعْمَلُ بالمُلْكِ؟ يَكْفِيه عِشْرتُه للمَغانى وتعلُّمُه لصناعتِهم. فغضِب الأشرفُ عندَ ذلك وتنَمَّرَ، وبدَت الوَحْشةُ بينَهما، وأرْسَل الأشرفُ إلى حَماةَ وحَلَبَ وبلادِ الشرقِ، فحالَف أولئك الملوكَ على أخيه الكاملِ، فلو طال عُمرُ الأشرفِ لَأَفْسَد المُلْكَ على أخيه؛ وذلك لكثرةِ ميلِ الملوكِ إليه؛ لكرمِه وشجاعتِه وشُحِّ أخيه الكاملِ، ولكنه أدْرَكَته مَنِيَّتُه فى أولِ السنةِ الداخِلةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٩٩ - ٧٠٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٤، ١٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٧ - ١٩.

(٢) بعده فى الأصل: «قتلوا».

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الملكُ العزيزُ بنُ[1] **الظاهرِ صاحبُ حلَبَ ، محمدُ بنُ السلطانِ الملكِ الظاهرِ غِياثِ الدينِ غازى بنِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ** [١٠/٢٧و] فاتحِ القدسِ الشريفِ ، وهو وأبوه وابنُه الناصرُ أصحابُ مُلْكِ حلبَ مِن أيامِ الناصرِ ، وكانت أمُّ العَزيزِ الخاتون بنتَ الملكِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، وكان حسَنَ الصورةِ ، كريمًا عَفيفًا ، تُوُفِّى وله من العُمرِ أربعٌ وعشرون سنةً ، وكان مُدَبِّرَ دولتِه الطَّواشى شِهابُ الدينِ ، وكان مِن الأمراءِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقام فى المُلْكِ بعدَه ولدُه الناصرُ صلاحُ الدينِ يوسُفُ .

صاحبُ الرومِ كَيْقُباذ الملكُ عَلاءُ الدينِ[2] ، صاحبُ بلادِ الرومِ ، كان مِن أَعْدَلِ[3] الملوكِ وأحْسَنِهم سِيرةً ، وقد زوَّجه العادلُ ابنتَه وأوْلَدَها ، وقد اسْتَوْلى على بلادِ الجَزيرةِ فى وقتٍ ، وأخَذ أكْثَرَها مِن يدِ الكاملِ محمدٍ ، وكسَر الخُوارَزْمِيةَ مع الأشرفِ موسى ، رحِمَهما اللَّهُ .

الناصحُ الحَنْبلِىُّ[4] ، فى ثالثِ المُحَرَّمِ تُوُفِّى الشيخُ ناصحُ الدينِ عبدُ الرحمنِ ابنُ نَجْمِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ الشِّيرازىُّ ، وهم يَنْتَسِبون إلى سعدِ

---

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٧٠٣/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٥، والمختصر فى أخبار البشر ١٥٨/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٥، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢١٧، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٠٦.

(٢) مرآة الزمان ٧٠٣/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٠.

(٣) فى م : « أكابر » .

(٤) مرآة الزمان ٨/ ٧٠٠ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٩٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٩٦، والوافى بالوفيات ١٨/ ٢٩١، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣.

ابنِ عُبادةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وُلِد الناصحُ سنةَ أربعٍ وخمسين وخمسِمائةٍ ، وقرَأ القُرآنَ ، وسمِع الحديثَ ، وكان يَعِظُ فى بعضِ الأحْيانِ . وقد ذكَرْنا قبلُ أنه وعَظ فى حياةِ الشيخِ الحافظِ عبدِ الغنىِّ ، وهو أولُ مَن درَّس بالصالِحيةِ التى بالجبلِ ، وله بُنَيَّت ، وله تَصانيفُ . وقد اشْتَغل على ابنِ المَنِّىِّ ببغدادَ ، وكان فاضلًا صالحًا ، وكانت وفاتُه بالصالِحيةِ ، ودُفِن هناك ، رحِمه اللَّهُ .

الكَمالُ بنُ مُهاجِرٍ التاجرُ[1] ، كان كثيرَ الصَّدَقاتِ والإحْسانِ إلى الناسِ ، مات فَجأَةً فى جُمادَى الأولى بدمشقَ ، فدُفِن بقاسِيونَ ، واسْتَحْوَذ الأشْرَفُ على أموالِه ، فبلَغَت التَّرِكةُ قريبًا مِن ثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ ، مِن ذلك سُبْحةٌ فيها مائةُ حبةٍ[2] ، كلٌّ واحدةٍ مثلُ بيضةِ الحَمامةِ .

الشيخُ الحافظُ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ دِحْيةَ[3] ، أخو الحافظِ أبى الخَطَّابِ بنِ دِحْيةَ ، كان قد ولِى دارَ الحديثِ الكامليةَ حينَ عُزِل أخوه عنها ، حتى تُوُفِّى فى عامِه هذا ، وكان نَدَر[4] فى صناعةِ الحديثِ أيضًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

القاضى عبدُ الرحمنِ التَّكْريتىُّ[5] ، الحاكمُ بالكَرَكِ ، ومُدَرِّسُ مدرسةِ الزَّبَدانىِّ ، فلما أُخِذَت أوقافُها سار إلى القدسِ ، ثم إلى دمشقَ ، فكان يَنوبُ بها عن القُضاةِ ، وكان فاضلًا نَزِهًا عَفيفًا دَيِّنًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى ورضِى عنه .

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٠٣ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٤، والوافى بالوفيات ٤/ ١٧٢.

(٢) بعده فى م : « لؤلؤ » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٠٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٢، والوافى بالوفيات ١٩/ ٤٧٩، وبغية الوعاة ٢/ ١٣٣.

(٤) ندر : تقدم وقل وجود نظيره . الوسيط (ن د ر) .

(٥) مرآة الزمان ٨/ ٧٠٢، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٩٥، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٤٢.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ الأشرفِ ، ثم أخيه الكاملِ ، أما **الأشرفُ موسى بنُ العادلِ**[2] بانى دارِ الحديثِ الأشرفيةِ وجامعِ التَّوْبةِ وجامعِ جَرَّاحٍ ، فإنه تُوُفِّى فى يومِ الخميسِ رابعِ المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ ، بالقلعةِ المنصورةِ ، ودُفِن بها حتى نَجِزَت تربتُه التى بُنِيَت له شمالىَّ الكَلَّاسةِ ، ثم حُوِّل إليها ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، فى جُمادَى الأولى ، وقد كان ابْتِداءُ مرضِه فى رجبٍ مِن [3]السنةِ الماضيةِ[3] ، واخْتَلَفَت عليه الأدْواءُ حتى كان الجَرائِحىُّ يُخْرِجُ العِظامَ مِن رأسِه ، وهو يُسَبِّحُ اللَّهَ عز وجل ، فلما كان آخرُ السنةِ تزايدَ به المرضُ واعْتَراه إسهالٌ مُفْرِطٌ ، فخارَت قوتُه ، فشرَع فى التَّهَيُّؤِ للقاءِ اللَّهِ تعالى ، فأعْتَق مائتَى غلامٍ وجاريةٍ ، ووقَف دارَ فَرُّخْشاه التى يقالُ لها : دارُ السعادةِ . وبستانَه بالنَّيْرَبِ على ابنتِه[4] ، وتصَدَّق بأموالٍ جَزيلةٍ ، وأحْضَر له كفنًا كان قد أعَدَّه مِن ملابسِ الفُقراءِ والمشايخِ الذين لقِيهم مِن الصالحين . وقد كان رحِمه اللَّهُ ، شَهْمًا شُجاعًا كريمًا جَوادًا مُحِبًّا للعلمِ وأهلِه ، ولا سيَّما لأهلِ الحديثِ ، ومقادِسة الصالحيةِ ، وقد بنَى لهم دارَ حديثٍ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٠٤ - ٧١٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٥ - ١٦٧، ونهاية الأرب ٢٩/٢١٨ - ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٠ - ٢٦.

(٢) مرآة الزمان ٨/٧١١ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٤٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٣٠، ونهاية الأرب ٢٩/٢١٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦٨.

(٣ - ٣) فى الأصل : « هذه السنة » .

(٤) فى م : « ابنيه » .

بالسَّفْحِ ، وبالمدينةِ للشافعيةِ أخرى ، وجعَل فيها نَعْلَ النبيِّ ﷺ الذى ما زال [١٠/٢٧ظ] حريصًا على تحصيلهِ مِن النَّظَّامِ ابنِ أبى الحَديدِ التاجرِ ، وقد كان النَّظَّامُ ضَنينًا به ، فعزَم الأشرفُ على أخذِ قطعةٍ منه ؛ خوفًا مِن أن يَذْهَبَ بالكليةِ ، فقدَّر اللَّهُ موتَ ابنِ أبى الحَديدِ بدمشقَ ، فأَوْصَى للملكِ الأشرفِ به ، فجعَله الأشرفُ بدارِ الحديثِ ، ونقَل إليها كتبًا سَنِيَّةً نفيسةً ، وبنَى جامعَ التَّوْبةِ بالعُقَيبةِ ، وقد كان خانًا للزِّنْجارىِّ ، فيه مِن المُنْكَراتِ شىءٌ كثيرٌ ، وبنَى مسجدَ القصبِ وجامعَ جَرَّاحٍ ومسجدَ دارِ السَّعادةِ ، وقد كان مولدُه فى سنةِ ستٍّ وسبعين وخمسِمائةٍ ، ونشَأ بالقدسِ الشريفِ بكَفالةِ الأميرِ فخرِ الدينِ عثمانَ الزِّنْجارىِّ ، وكان أبوه يُحِبُّه ، وكذلك أخوه المُعَظَّمُ ، ثم اسْتَنابه أبوه على مدنٍ كثيرةٍ بالجَزيرةِ ؛ منها الرُّهَا وحَرَّانُ ، ثم اتَّسَعَت مَمْلكتُه حتى ملَك خِلاطَ ، وكان مِن أعَفِّ الناسِ وأحْسَنِهم سِيرةً وسَريرةً ، لا يَعْرِفُ غيرَ نسائهِ وجواريه ، مع أنه كان يُعانى الشرابَ ، وهذا مِن أعجبِ الأمورِ .

حكَى السِّبْطُ عنه قال[(١)] : كنتُ يومًا بهذه المَنْظَرةِ مِن خِلاطَ إذ دخَل الخادمُ فقال : بالبابِ امرأةٌ تَسْتأْذِنُ . فدخَلَتْ فإذا صورةٌ لم أَرَ أحْسَنَ منها ، وإذا هى ابنةُ الملكِ الذى كان بخِلاطَ قبلى ، فذكَرَت أن الحاجبَ عَلِيًّا قد اسْتَحْوَذ على قريةٍ لها ، وأنها قد احْتاجت إلى بيوتِ الكِراءِ ، وأنها إنما تتَقَوَّتُ مِن عملِ النُّقوشِ للنساءِ ، فأمَرْتُ بردِّ ضَيْعَتِها إليها ، وأمَرْتُ لها بدارٍ تَسْكُنُها ، وقد كنتُ قمتُ لها حينَ دخَلَت ، وأجْلَسْتُها بينَ يدىَّ ، وأمَرْتُها بسترِ وجهِها حينَ أسْفَرَت عنه ، ومعها عجوزٌ ، فحين قضَيْتُ شُغْلَها قلتُ لها : انْهَضى على اسمِ اللَّهِ تعالى .

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧١١، ٧١٢ (القسم الثانى) .

فقالت العجوزُ : يا خَوَنْدُ ، إنما جاءت لتَحْظَى بخدمتِك هذه الليلةَ . فقلتُ : مَعاذَ اللَّهِ ، لا يَكونُ هذا . واسْتَحْضَرْتُ فى ذِهْنى ابنتى ربما يُصِيبُها نَظيرُ ما أصاب هذه ، فقامت وهى تقولُ : ستَرك اللَّهُ مثلَ ما ستَرْتَنى . وقلتُ لها : مهما كان لك مِن حاجةٍ فأَنْهِيها إلىَّ أَقْضِها لك . فدعَت لى وانْصَرَفَت . فقالت لى نفسى : ففى الحَلالِ مَنْدوحةٌ عن الحرامِ ، فتَزَوَّجْها . فقلتُ : واللَّهِ لا كان هذا أبدًا ، أين الحَياءُ والكرمُ والمُروءةُ ؟!

قال : ومات مَملوكٌ مِن مَماليكى ، وترَك ولدًا ليس يَكونُ فى الناسِ بتلك البلادِ أحسنُ شبابًا ولا أحْلَى شكلًا منه ، فأحْبَبْتُه وقرَّبْتُه ، وكان مَن لا يَفْهَمُ أمْرى يَتَّهِمُنى به ، فاتَّفَق أنه عدا على إنسانٍ ، فضرَبه حتى قتَله ، فاشْتَكى عليه إلىَّ أولياءُ المقتولِ ، فقلتُ : أثْبِتوا أنه قتَله . فأَثْبَتوا ذلك ، وحاجَفَتْ عنه مَماليكى ، وأرادوا إرْضاءَهم بعَشْرِ دِياتٍ ، فلم يَقْبَلوا ، ووقَفوا لى فى الطريقِ وقالوا : قد أثْبَتْنا أنه قتَله . فقلتُ : خُذوه . فتَسَلَّموه ، فأخذوه فقتَلوه ، ولو طلَبوا منى مُلْكى فِداءً لَدَفَعْتُه إليهم ، ولكننى استحييتُ مِن اللَّهِ تعالى أن أُعارِضَ شرعَه بحظِّ نَفْسى . رحِمه اللَّهُ تعالى .

ولما ملَك دمشقَ فى سنةِ ستٍّ وعشرين وستِّمائةٍ نادَى مُنادِيه بها أن لا يَشْتَغِلَ أحدٌ مِن الفُقهاءِ بشىءٍ مِن العلومِ سوى الحديثِ والتَّفْسيرِ والفقهِ ، ومَن اشْتَغَل فى المَنْطِقِ وعلومِ الأوائلِ[(1)] نُفِى مِن البلدِ . وكان البلدُ به فى غايةِ الأمنِ والعدلِ ، وكثرةِ الصَّدَقاتِ والخَيْراتِ ؛ كانت القَلْعةُ لا تُغْلَقُ فى ليالى رمضانَ [٢٨/١٠و] كلِّها ، وصُحونُ الحَلاواتِ خارجةٌ منها إلى الجامعِ والخَوانقِ والرُّبُطِ

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ٧٦ حاشية (٨) .

والصالحيةِ ، إلى الصالحين والفُقراءِ والرُّؤساءِ وغيرِهم ، وكان أكثرُ جُلوسِه بمسجدِ أبى الدَّرْداءِ الذى جدَّده وزَخْرَفه بالقلعةِ ، (١ وكان مَيمُونَ النَّقيبةِ ١) ، ولم تُكْسَرْ له رايةٌ قطُّ ، وقد استَدْعى الزَّبيديَّ مِن بغدادَ حتى سمِع هو والناسُ عليه « صحيحَ البخاريِّ » وغيرَه ، وكان له مَيْلٌ كثيرٌ إلى الحديثِ وأهلِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى . ولما تُوُفِّى رآه بعضُهم فى المنامِ وعليه ثيابٌ خُضْرٌ ، وهو يَطيرُ مع جَماعةٍ مِن الصالحين ، فقالوا له : ما هذا وقد كنتَ تُعانِى الشَّرابَ فى الدنيا ؟ فقال : ذاك البدنُ الذى كنا نَفْعَلُ به ذاك عندَكم فى الدنيا ، وهذه الرُّوحُ التى كنا نُحِبُّ بها هؤلاء فهى معهم . وقد صدَق ، رحِمه اللَّهُ ؛ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « المَرْءُ مع مَن أحَبَّ »[٢] .

وقد كان أوْصَى بالملكِ بعدَه لأخيه الصالحِ إسماعيلَ ، فلما تُوُفِّى أخوه ركِب فى أُبَّهةِ المُلْكِ ، ومشَى الناسُ بينَ يديه ، وركِب إلى جانبِه صاحبُ حِمْصَ وعزُّ الدينِ أيْبَك المُعَظَّمىُّ حاملُ الغاشيةَ[٣] على رأسِه ، ثم إنه صادَر جماعةً مِن الدَّماشِقةِ الذين قيل عنهم : إنهم مع الكاملِ . منهم (٤ العَلَمُ تَعاسِيفُ ٤) وأوْلادُ ابنِ مُزْهِرٍ ، وحبَسهم ببُصْرَى ، وأطْلَق الحَريرىَّ مِن قلعةِ عَزَّتا ، وشرَط

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) أخرجه البخارى (٦١٦٨ - ٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤٠ ، ٢٦٤١) ، عن ابن مسعود وأبى موسى عند كليهما .

(٣) الغاشية : هى غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تُحمل بين يدى الملك عند الركوب فى المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها . صبح الأعشى ٤/ ٧.

(٤ - ٤) فى الأصل : « المعلم بعاسف » ، وفى م : « العالم تعاسيف » ، وفى مرآة الزمان : « العلم يوسف » . والمثبت من نهاية الأرب وتاريخ الإسلام . وهو قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغنى بن مسافر الأَصْفُونىّ . يُنْعَت بالعَلَم ، كنيته أبو المعالى ويُعْرَف بتعاسيف . ولد سنة أربع وستين وخمسمائة بأصفون من صعيد مصر وتوفى سنة تسع وأربعين وستمائة . انظر ترجمته فى الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ص ٤٦٩ ، وحسن المحاضرة ١/ ٥٤٢.

عليه أن لا يَدْخُلَ دمشقَ ، ثم قدِم الكاملُ مِن مصرَ ، وانْضاف إليه الناصرُ داودُ صاحبُ الكَرَكِ ونابُلُسَ والقدسِ ، فحاصَروا دِمشقَ حِصارًا شديدًا ، وقد حصَّنها الصالحُ إسماعيلُ ، وقُطِعَتِ المياهُ ، وردَّ الكاملُ ماءَ برَدَى إلى ثَوْرَا ، وأُحْرِقَت العُقَيْبَةُ وقصرُ حَجَّاجٍ ، فافْتَقَر خَلْقٌ كثيرٌ ، واحْتَرَق آخرون ، وجرَت خُطوبٌ كثيرةٌ، ثم آل الحالُ فى آخِرِ جُمادَى الأولى إلى أن سلَّم الصالحُ إسماعيلُ دمشقَ إلى أخيه الكاملِ ، على أن له بَعْلَبَكَّ وبُصْرَى ، وسكَن الأمْرُ ، وكان الصُّلحُ بينهما على يدى القاضى مُحْيى الدينِ يوسفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجَوْزىِّ ؛ اتَّفَق أنه كان بدمشقَ قد قدِم فى رَسْليةٍ مِن جهةِ الخليفةِ إلى دمشقَ ، فجزاه اللَّهُ تعالى خيرًا . ودخَل الكاملُ دمشقَ ، وأطْلَق الفَلَكَ بنَ المَسِيرىِّ مِن سجنِ الحيَّاتِ بالقلْعةِ الذى كان أوْدَعه فيه الأشْرَفُ ، ونقَل الأشْرَفَ إلى تربتِه ، وأمَر الكاملُ فى يومِ الاثنينِ سادسِ جُمادَى الآخِرةِ أئمةَ الجامعِ أن لا يُصَلِّىَ أحدٌ منهم المغربَ سوى الإمامِ الكبيرِ ؛ لِمَا كان يَقَعُ مِن التَّشْويشِ والاخْتِلافِ بسببِ اجْتماعِهم فى وقتٍ واحدٍ ، ولَنِعْمَ ما فعَل ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقد فُعِل هذا فى زمانِنا فى صلاةِ التَّراويحِ ، اجْتَمَع الناسُ على قارئٍ واحدٍ ، وهو الإمامُ الكبيرُ فى المِحْرابِ المُقَدَّمِ عندَ المنبرِ ، ولم يَبْقَ به إمامٌ حينئذٍ سوى الذى بالحلَبيةِ عندَ مشهدِ علىٍّ ، ولو تُرِك لكان حسنًا . واللَّهُ أعلمُ .

ذكرُ وفاةِ المَلِكِ الكَامِلِ محمدِ بنِ العادلِ[1]

تملَّك الكاملُ دمشقَ مدةَ شهرين ، ثم أخذته أمْراضٌ مختلِفةٌ ، مِن ذلك

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٠٥ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٧٠، والذَّيل على الروضتين ص ١٦٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٧٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٥٤، والوافى بالوفيات ١/ ١٩٣.

سُعالٌ وإسْهالٌ ونَزْلةٌ فى حلقِه ، ونِقْرِسٌ فى رِجليه ، فاتَّفَق موتُه فى بيتٍ صغيرٍ مِن دارِ القَصَبةِ ، وهو البيتُ الذى تُوُفِّى فيه عمُّه الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ ، ولم يَكُنْ عندَ الكاملِ أحدٌ حالَ موتِه مِن شدةِ هَيْبتِه ، بل دخَلوا فوجَدوه ميتًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقد كان مولدُه فى سنةِ ثلاثٍ[1] وسبعين وخمسِمائةٍ ، وكان أكبرَ أولادِ العادلِ بعدَ مَوْدودٍ ، وإليه أوْصَى العادلُ ؛ لعلمِه بثباتِه ، وكَمالِ عقلِه ، ووُفُورِ معرفتِه ، وقد كان جيدَ الفَهْمِ ، يُحِبُّ العلماءَ ، ويَسْأَلُهم أسئلةً مُشْكِلةً ، وله كلامٌ جيدٌ على « صحيحِ مسلمٍ » ، وكان ذكِيًّا ، مَهِيبًا ، ذا بأسٍ شديدٍ ، عادلًا مُنْصِفًا ، له حُرْمةٌ وافرةٌ ، وسَطْوةٌ قويةٌ ، ملَك مصرَ ثلاثين سنةً كاملةً ، [٢٨/١٠ظ] وكانت الطُّرقاتُ فى زمانِه آمِنةً ، والرعايا مُتَناصِفةً ، لا يَتَجاسَرُ أحدٌ أن يَظْلِمَ أحدًا ، شنَق جماعةً مِن الأَجْنادِ أخَذوا شَعيرًا لبعضِ الفَلَّاحِين بأرضِ آمِدَ ، واشْتَكى إليه بعضُ الرِّكْبداريةِ أن أُستاذَه اسْتَعْمَله ستةَ أشهرٍ بلا أُجرةٍ ، فأَحْضَر الجُنْدىَّ ، وأَلْبَسه ثيابَ الرِّكْبداريةِ ، وأَلْبَس الرِّكْبدارَ ثيابَ الجُنْدىِّ ، وأمَر الجُنْدىَّ أن يَخْدُمَ الرِّكْبدار ستةَ أشهرٍ على هذه الهيئةِ ، ويَحْضُرَ الرِّكْبدارُ المَوْكِبَ والخِدْمةَ حتى يَنْقَضِىَ الأَجَلُ ، فتأَدَّب الناسُ بذلك غايةَ الأدبِ ، رحمه اللَّه تعالى . وكانت له اليدُ البَيْضاءُ فى ردِّ ثَغْرِ دِمْياطَ إلى المسلمين بعدَ أن اسْتَحْوَذ عليه الفِرِنْجُ ، لعَنهم اللَّهُ ، فرابَطهم أربعَ سنينَ ، حتى اسْتَنْقذه منهم ، وكان يومُ أَخْذِه له واسْتِرْجاعِه إياه يومًا مشهودًا ، كما ذكرناه مُفَصَّلًا ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وكانت وفاتُه فى ليلةِ الخميسِ الثانى والعشرين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بالقلعةِ حتى كمَلَت تربتُه التى بالحائطِ الشمالىِّ مِن الجامعِ ذاتُ الشُّبَّاكِ

---

(١) فى م : « ست » .

الذى هناك قريبًا مِن مَقْصورةِ ابنِ سِنانٍ ، وهى الكِنْديةُ التى عندَ الحَلَبيةِ ، نُقِلَ إليها ليلةَ الجمعةِ الحادى والعشرين مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ .

ومِن شعرِه يَسْتَحِثُّ أخاه الملكَ الأشْرَفَ مِن بلادِ الجَزيرةِ حينَ كان مُحاصَرًا بدِمْياطَ[1] :

يا مُسْعِفى إن كنتَ حقًّا مُسْعِفى	فارْحَلْ بغيرِ تَقَيُّدٍ وتوَقُّفِ
واطْوِ المَنازلَ والديارَ ولا تُنِخْ	إلا على بابِ المَليكِ الأشْرفِ
قَبِّلْ يديهِ لا عدِمْتَ وقُلْ له	عنِّى بحُسْنِ تعَطُّفٍ وتلَطُّفِ
إن تَأْتِ[2] صِنْوَك عن قريبٍ تَلْقَه	ما بينَ حدِّ مُهَنَّدٍ ومُثَقَّفِ
أو تُبْطِ عن إنْجادِه فلقاؤُه	يومَ القيامةِ فى عِراضِ الموقفِ

ذِكْرُ ما جرَى بعدَه

كان قد عهِد لولدِه العادلِ - وكان صغيرًا - بالديارِ المصريةِ وبالبلادِ الشاميّةِ[3] ، ولولدِه الصالحِ أيوبَ ببلادِ الجَزيرةِ ، فأمْضَى الأُمراءُ ذلك ، فأما دِمشقُ فاختَلَف الأُمراءُ بها فى الملكِ الناصرِ داودَ بنِ المُعَظَّمِ ، والملكِ الجَوَادِ مُظَفَّرِ الدينِ يونُسَ بنِ مَوْدودِ بنِ العادلِ ، فكان مَيْلُ عِمادِ الدينِ بنِ الشيخِ إلى الجَوَادِ ، وآخرون إلى الناصرِ ، وكان نازلًا بدارِ أُسامةَ ، فانْتَظَم أمرُ الجَوَادِ ، وجاءت الرسالةُ إلى الناصرِ أنِ اخْرُجْ مِن البلدِ ، فرَكِب مِن دارِ أُسامةَ ، والعامَّةُ (٤من دارِه٤) إلى

---

(١) الأبيات فى تاريخ الإسلام ص ٢٥٦.

(٢) فى الأصل : « يأت » ، وفى م : « مات » . والمثبت من تاريخ الإسلام .

(٣) فى م : « الدمشقية » .

(٤ - ٤) فى م : « وراءه » .

القَلْعةِ لا يَشُكُّون فى وِلايتِه الملكَ ، فسلَك نحوَ القَلْعةِ ، فلما جاوَز العِمادية عطَف برأسِ فرسِه نحوَ بابِ الفرجِ ، فصرَخَت العامةُ : لا ، لا ، لا . فسار حتى نزَل القابونَ عندَ وَطْأةِ بَرْزَةَ[1] . فعَزَم بعضُ الأمراءِ الأشْرَفيةِ على مَسْكِه ، فساق فبات بقصرِ أمِّ حَكيمٍ ، وساقوا وراءَه ، فتقَدَّم إلى عَجْلونَ ، فتحَصَّن بها وأمِن .

وأمَّا الجَوَادُ فإنه ركِب فى أُبَّهةِ المُلْكِ ، وأنْفَق الأموالَ والخِلَعَ على الأمراءِ . قال السِّبْطُ[2] : فرَّق ستةَ آلافِ ألفِ دينارٍ وخمسةَ آلافِ خِلْعةٍ ، وأبْطَل المُكوسَ والخُمورَ ، ونفَى الخَواطئَ ، واسْتَقَر ملكُه بدمشقَ ، واجْتَمَع عليه الأُمراءُ الشاميون والمِصْريون ، ورحَل الناصرُ داودُ مِن عَجْلونَ نحوَ غَزَّةَ وبلادِ السواحلِ ، فاسْتَحْوَذ عليها ، فركِب الجَوَادُ فى طلبِه ، ومعه العَساكرُ الشاميةُ والمصريةُ ، وقال للأشْرَفيةِ : كاتِبوه وأطْمِعوه . فلما وصَلَت إليه كتبُهم طمِع فى مُوافقتِهم ، فرجَع فى سبعِمائةِ راكبٍ إلى نابُلُسَ ، فقصَده الجَوَادُ وهو نازلٌ على جينينَ ، والناصرُ على سَبَسْطِيَةَ[3] ، فهرَب الناصرُ ، فاسْتَحْوَذوا على حَواصِلِه [١٠/٢٩و] وأثْقالِه ، فاسْتَغْنَوْا بها ، وافْتَقَر بسببِها فَقْرًا مُدْقِعًا ، ورجَع الناصرُ إلى الكَرَكِ جَريدةً قد سُلِب أموالَه وأثْقالَه ، وعاد الجَوَادُ إلى دمشقَ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا .

وفيها اخْتَلَفت الخُوارَزْميةُ على الملكِ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ بنِ الكاملِ صاحبِ حصن كَيْفًا وتلك النَّواحِى ، وعزَموا على القبضِ عليه ، فهرَب منهم ، ونهَبوا أموالَه وأثْقالَه ، ولجَأ إلى سِنْجارَ ، فقصَده بدرُ الدينِ لؤلؤٌ صاحبُ الموصلِ

---

(١) القابون : موضع بينه وبين دمشق ميل واحد فى طريق القاصد إلى العراق . وبرزة : قرية من غوطة دمشق . انظر معجم البلدان ١/ ٥٦٣، ٤/ ٥.

(٢) مرآة الزمان ٧٠٨/٨ (القسم الثانى) .

(٣) جينين : بليدة بين نابلس وبيسان ، من أرض الأردن . وسبسطية ، بلدة من نواحى فلسطين ، بينها وبين بيت المقدس يومان ، وهى من أعمال نابلس ، معجم البلدان ٣/ ٣٣.

ليُحاصِرَه ويأْخُذَه فى قفصٍ إلى الخليفةِ ، وكان أهلُ تلك الناحيةِ يَكْرَهون مُجاوَرتَه لكِبْرِه وقوةِ سَطْوتِه ، فلم يَبْقَ إلى أخذِه إلا القليلُ ، فكاتَب الخُوارَزْمية ، واسْتَنْجَد بهم ، وخضع لهم ووعَدهم بأشياءَ كثيرةٍ ، فقدِموا إليه جَرائدَ ليَمْنَعوه مِن البدرِ لؤلؤٍ ، فلما أحَسَّ بهم لؤلؤٌ هرَب منهم ، فاسْتَحْوَذوا على أموالِه وأثقالِه ، فوجَدوا فيها شيئًا كثيرًا لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، ورجَع إلى بلدِه الموصلِ جَريدةً خائبًا ، وسَلِم الصالحُ أيوبُ مما كان فيه مِن الشدةِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

(1) **الخطيبُ الدَّوْلعيُّ** (1) **محمدُ بنُ زيدِ بنِ ياسِينَ** ، الخطيبُ جمالُ الدينِ الدَّوْلَعيُّ ، نِسبةً إلى قريةٍ بأرضِ (2) الموصلِ ، وقد ذكَرْنا ذلك عندَ ترجمةِ عمِّه عبدِ الملكِ بنِ ياسينَ الخَطيبِ بدمشقَ أيضًا (3) ، وكان مُدَرِّسًا بالغَزَّاليةِ مع الخَطابةِ ، وقد منَعه المُعَظَّمُ فى وقتٍ عن الفتوى ، فعاتَبه السِّبْطُ فى ذلك ، فاعْتَذَر بأن شيوخَ بلدِهم أشاروا بذلك عليه ، لكثرةِ أخطائِه فى فَتاويه ، وكان شديدَ المُواظَبةِ على الوَظيفةِ لا يكادُ يُفارِقُ بيتَ الخَطابةِ ، ولم يَحُجَّ قطُّ مع أنه كانت له أموالٌ كثيرةٌ ، وقَف مدرسةً بجَيْرون ، وقد ولِى الخَطابةَ بعدَه أخٌ له ، وكان جاهلًا ، ولم يَسْتَقِرَّ فيها ، وتولَّاها الكَمالُ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ طَلْحةَ النَّصيبيُّ ، وولِى تَدْريسَ الغَزَّاليةِ الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ .

(1 - 1) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/ ٧١٠ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٥٨، والذيل على الروضتين ص ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦٣، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٢٧.

(2) فى م : « بأصل » .

(3) تقدمت ترجمته فى ١٦/ ٧١٨، فى وفيات سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

القاضى شمسُ الدينِ بنُ الشِّيرازىِّ :

محمدُ بنُ هِبَةِ اللَّهِ (١ **بنِ محمدِ بنِ هبةِ اللَّهِ** ١) **بنِ مَمِيلٍ**[٢] **الشيخُ أبو نصرِ بنُ الشِّيرازِىِّ** ، وُلِد سنةَ تسعٍ وأربعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ على الحافظِ بنِ عَساكرَ وغيرِه ، واشْتَغل فى الفقهِ ، وأفْتَى ودرَّس بالشاميةِ البَرَّانيةِ ، وناب فى الحكمِ عدةَ سنين ، وكان فقيهًا عالمًا فاضلًا كيِّسًا ، حسنَ الأخلاقِ ، عارفًا بالأخْبارِ وأيَّامِ العربِ والأشعارِ ، كريمَ الطِّباعِ ، حَميدَ الآثارِ ، وكانت وفاتُه ليلةَ[٣] الخميسِ ثالثِ جُمادَى الآخِرةِ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

القاضى شمسُ الدينِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ يحيى ، أبو البركاتِ بنُ هبةِ اللَّهِ بنِ الحسنِ الدِّمشقىُّ قاضيها[٤] ، كان عالمًا عَفيفًا فاضلًا عادِلًا مُنْصِفًا نَزِهًا ، كان الملكُ الأشْرَفُ يقولُ : ما ولِى دمشقَ مثلُه . وقد ولِى الحكمَ ببيتِ المقدسِ مدَّةً ، وناب بدمشقَ عن القُضاةِ ، ثم اسْتَقَلَّ بالحكمِ ، وكانت وفاتُه يومَ الأحدِ سادسَ ذى القَعْدةِ ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، وتأسَّف الناسُ عليه ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وتَوَلَّى[٥] بعدَه الشيخُ شمسُ الدِّينِ بنُ الخُوَيِّىِّ .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٧٠٩ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦١، والوافى بالوفيات ٥/١٥٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٠٦، وغاية النهاية ٢/ ٢٧٤.

(٢) فى م : « جميل » . قال التاج السبكى : مميل بفتح الميم ، ومعناه محمد .

(٣) فى م : « يوم » .

(٤) مرآة الزمان ٨/٧١٧، (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٧٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٥٨، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٤٧.

(٥) فى م : « توفى » . وهو تحريف .

(1) ابنُ الأستاذِ (1) القاضى زَيْنُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عُلْوانَ الأسَدىُّ، عُرِف بابنِ الأُستاذِ الحلَبىِّ، قاضيها بعدَ بَهاءِ الدينِ بنِ شَدَّادٍ، وكان رَئيسًا عالمًا فاضلًا، حسَنَ الخُلُقِ والسَّمْتِ، وكان أبوه من الصالحين الكِبارِ، رحِمهم اللَّهُ تعالى.

(2) الشَّيخُ الصالحُ المُعَمَّرُ، أبو بكرٍ محمدُ بنُ مسعودِ بنِ بَهْرُوزِ البَغْدادىُّ (3)، ظهَر سَماعُه مِن أبى الوَقْتِ فى سنةِ خمسَ عشْرةَ وستِّمائةٍ، فانثال الناسُ عليه يَسْمَعون منه، وتفَرَّد بالروايةِ عنه فى الدنيا بعدَ الزَّبيدىِّ وغيرِه، تُوُفِّى ليلةَ السبتِ التاسعِ والعشرين مِن شعبانَ، رحِمه اللَّهُ تعالى (2).

الأميرُ الكبيرُ المُجاهِدُ المُرابِطُ صارمُ الدينِ خَطْلَبَا بنُ عبدِ اللَّهِ (4)، مملوكُ سَرْكَس (5) ونائبُه بعدَه مع ولدِه على تِبْنِينَ وتلك الحُصونِ، وكان كثيرَ الصَّدَقاتِ والإحسانِ، ودُفِن مع أستاذِه بقبابِ سَرْكَس (5)، وهو الذى بناها بعدَ أستاذِه، وكان خَيِّرًا، قليلَ الكلامِ، كثيرَ الغَزْوِ، مُرابِطًا مدةَ سنينَ، رحِمه اللَّهُ تعالى، وعفا عنه بمنِّه وكرمِه.

(1 - 1) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: التكملة لوفيات النقلة 6/ 273، والذيل على الروضتين ص 166، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 631 - 640) ص 239، والوافى بالوفيات 17/ 246، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى 8/ 155، والمقفى الكبير 4/ 423.

(2 - 2) سقط من: الأصل.

(3) التكملة لوفيات النقلة 6/ 275، وسير أعلام النبلاء 23/ 30، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 631 - 640) ص 259، والوافى بالوفيات 5/ 24.

(4) مرآة الزمان 8/ 705، ونهاية الأرب 29/ 237، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 631 - 640) ص 237، والوافى بالوفيات 13/ 347.

(5) فى م: «شركس».

ثم دخَلَتْ سنةُ ستٍّ وثلاثِين وستّمائةٍ

فيها[1] قبَض الملكُ الجَوَادُ على الصَّفيِّ بنِ مَرْزوقٍ ، وصادَره بأربعِمائةِ [١٠/ ٢٩ظ] ألفِ دينارٍ ، وحبَسه بقلعةِ حِمْصَ ، فمكَث ثلاثَ سنينَ لا يَرَى الضوءَ ، وقد كان ابنُ مَرْزوقٍ قبلَ ذلك يُحسِنُ إلى الجوادِ إحْسانًا كثيرًا .

وسلَّط الجَوادُ خادمًا لزوجتِه يقالُ له : الناصحُ . فصادَر الدَّماشقةَ ، وأخَذ منهم نحوًا مِن ستِّمائةِ ألفِ دينارٍ ، ومسَك الأميرَ عِمادَ الدينِ بنَ الشيخِ الذى كان سببَ تَمْليكِه دمشقَ ، ثم خاف مِن أخيه فخرِ الدينِ بنِ الشيخِ الذى بديارِ مصرَ ، وقلِق مِن مُلْكِ دمشقَ ، وقال : أَيْشِ أَعْمَلُ بالملكِ ؟ بازٌ وكلبٌ أحَبُّ إلىَّ مِن هذا . ثم خرَج إلى الصيدِ ، وكاتَب الصالحَ نَجْمَ الدينِ أيوبَ بنَ الكاملِ ، فتقايَضا مِن حصنِ كَيفًا وسِنْجارَ وما يَتْبَعُ ذلك إلى دمشقَ ، فملَك الصالحُ أيوبُ دمشقَ ، ودخَلها فى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ ، والجَوَادُ بينَ يديه بالغاشيةِ ، [2]ثم حمَلها المظفَّرُ صاحبُ حَماةَ ، وكان يومًا مشهودًا ، ثم نزَل الجوادُ بدار السعادةِ[2] ، وندِم على ما كان منه ، فأراد أن يَسْتَدْرِكَ الفائتَ ، فلم يَتَّفِقْ له ، وخرَج مِن دمشقَ ، والناسُ يَلْعَنونه فى وجهِه ؛ بسببِ ما أسْداه إليهم مِن المُصادَراتِ ، وأرْسَل إليه الصالحُ أيوبُ ليَرُدَّ إلى الناسِ أموالَهم ، فلم يَلْتَفِتْ إليه ، وسار وبقِيَت فى ذمتِه .

---

(١) مرآة الزمان ٧١٨/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٣٨- ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٧.

(٢ - ٢) سقط من : م.

ولما اسْتَقَرَّ الصالحُ فى ملكِ مصرَ، كما سيأتى، حبَس الناصحَ الخادمَ، فمات فى أسْوَأَ حالةٍ، مِن القِلَّةِ والقَمْلِ، جَزاءً وِفاقًا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وفيها ركِب الصالحُ أيوبُ مِن دمشقَ فى رمضانَ قاصدًا الديارَ المصريةَ؛ ليَأْخُذَها مِن ابنِ أخيه العادلِ لصِغَرِه، فنزَل بنابُلُسَ واسْتَوْلَى عليها، وأخْرَجها مِن يدِ الناصرِ داودَ، وأرْسَل إلى عمِّه الصالحِ إسماعيلَ صاحبِ بَعْلَبَكَّ ليَقْدَمَ عليه ليَكونَ فى صحبتِه إلى الديارِ المصريةِ، وكان قد جاء إليه إلى دمشقَ (١ وبايَعَه ١)، فجعَل يُسَوِّفُ به، ويَعْمَلُ عليه، ويُحالِفُ الأُمراءَ بدمشقَ ليَكونَ ملكَهم، ولا يَتَجاسَرُ أحدٌ مِن الصالحِ أيوبَ لجَبَروتِه أن يُخْبِرَه بذلك، وانْقَضَت السنةُ، وهو مُقيمٌ بنابُلُسَ يَسْتَدْعيه إليه، وهو يُماطِلُه.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

جمالُ الدينِ الحَصِيرىُّ الحَنَفىُّ، محمودُ بنُ أحمدَ[٢]، العَلَّامةُ جمالُ الدينِ الحَصِيرىُّ شيخُ الحَنَفيةِ بدمشقَ، ومُدَرِّسُ النُّوريةِ، أصلُه مِن قريةٍ يُقالُ لها: حَصِيرُ. مِن مُعامَلةِ بُخارَى، تفَقَّه بها، وسمِع الحديثَ الكثيرَ، وصار إلى دمشقَ، فانْتَهَت إليه رياسةُ الحَنَفيةِ بها، لاسِيَّما فى أيامِ المُعَظَّمِ، كان يَقْرَأُ عليه «الجامعَ الكبيرَ»، وله عليه شَرْحٌ، وكان يَحْتَرِمُه ويُعَظِّمُه ويُكْرِمُه، وكان رحِمه اللَّهُ تعالى، غَزيرَ الدَّمْعةِ، كثيرَ الصَّدقاتِ، عاقلًا نَزِهًا عَفيفًا، تُوُفِّى يومَ الأحدِ

(١ - ١) فى م: «ليبايعه».

(٢) مرآة الزمان ٨/ ٧٢٠ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٨٨، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٠٨، والجواهر المضية ٣/ ٤٣١.

ثامنَ صفَرٍ ، ودُفِن بمقابرِ الصُّوفيةِ ، تغَمَّده اللَّهُ برحمتِه آمينَ . تُوُفِّى وله تسعون سنةً ، وأولُ درسِه فى النُّوريةِ فى سنةِ إحدى عشْرةَ وستِّمائةٍ ، بعدَ الشَّرَفِ داودَ الذى توَلَّاها بعدَ البُرْهانِ مسعودٍ أولِ مُدَرِّسيها ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

الأميرُ عِمادُ الدينِ عمرُ بنُ شيخِ الشيوخِ صَدْرِ الدينِ علىِّ بنِ حَمُّوَيْهِ[1] ، كان سببًا فى وِلايةِ الجَوَادِ دمشقَ ، ثم سار إلى مصرَ ، فلامَه صاحبُها العادلُ ، فقال : الآن أَرْجِعُ إلى دمشقَ ، وآمُرُ الجَوَادَ بالمَسيرِ إليك ، على أن تَكونَ له إسْكَنْدَرِيَّةُ عِوَضَ دمشقَ ، فإن امْتَنَع عزَلْتُه عنها ، وكنتُ أنا نائبَك فيها . فنهاه أخوه فخرُ الدينِ بنُ الشيخِ عن تَعاطِى ذلك ، فلم يَقْبَلْ ، ورجَع إلى دمشقَ ، فتلَقَّاه الجَوَادُ إلى المُصَلَّى ، وأنْزَله عندَه بالقلعةِ بدارِ المَسَرَّةِ ، وخادَعه عن نفسِه ، ثم دسَّ إليه مَن قتَله جَهْرَةً فى صورةِ مُسْتَغِيثٍ به ، واسْتَحْوذ على أموالِه وحَواصلِه ، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ ، ودُفِن بقاسِيونَ .

الوزيرُ جَمالُ الدينِ علىُّ بنُ جريرٍ[2] ، وزَر للأشْرفِ ، واسْتَوْزَره الصالحُ [١٠/٣٠و] أيوبُ أيامًا ، ثم مات عَقِبَ ذلك ، كان أصلُه مِن الرَّقَّةِ ، وكان له أمْلاكٌ يَسيرةٌ يَعيشُ منها ، ثم آل أمْرُه إلى أن وزَر للأشْرفِ بدمشقَ ، وقد هجاه بعضُهم ، وكانت وفاتُه بالخَوانيقِ[3] فى جُمادَى الآخِرةِ ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيةِ .

---

(١) مرآة الزمان ٧٢١/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٠٠، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٩٧/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٩٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٤٢.

وجاء اسمه فى السير وتاريخ الإسلام وطبقات الشافعية عمر بن محمد بن عمر بن على بن حمويه .

(٢) فى م : « حديد » ، وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٧٢٤/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٠٥، والذيل على الروضتين ص ١٦٨ - وفيه : « حريز » - ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٩٨.

(٣) فى الأصل : « الحواسق » ، وفى م : « الجواليق » . والمثبت من مرآة الزمان ونهاية الأرب .=

جعفرُ بنُ عليٍّ بنِ أبى البَركاتِ بنِ جعفرِ بنِ يحيى الهَمْدانيُّ[1] ، رَاوِيةُ السِّلَفيِّ ، قدِم إلى دمشقَ صُحْبةَ الناصرِ داودَ ، وسمِع عليه أهلُها ، وكانت وفاتُه بها ، ودُفِن بمَقابرِ الصوفيةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وله تسعون سنةً .

الحافظُ الكبيرُ زَكِيُّ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يوسُفَ بنِ محمدِ البِرْزاليُّ الإشْبِيليُّ[2] ، أحدُ مَن اعْتَنى بصناعةِ الحديثِ وبرَز فيه ، وأفاد الطلبةَ ، وكان شيخَ الحديثِ بمشهدِ ابنِ عُرْوةَ ، ثم سافَر إلى حلَبَ ، فتُوُفِّى بحَماةَ فى رابعَ عشَرَ رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وهو جدُّ شيخِنا الحافظِ عَلَمِ الدينِ بنِ القاسمِ بنِ محمدِ البِرْزاليِّ ، مُؤَرِّخِ دمشقَ الذى ذيَّل على الشيخِ شِهابِ الدينِ أبى شامةَ ، وقد ذَيَّلْتُ أنا على « تاريخِه » بعونِ اللَّهِ تعالى وقُدْرَتِه .

= والخوانيق : جمع الخُناق ، وهو داء أو ريح يأخذ الناس والدواب فى الحلوق . انظر اللسان (خ ن ق) .

(١) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٩١، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٨٤، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٩٧، والوافى بالوفيات ١١/ ١١٧.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣١٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٠٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٣، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٥٢.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ[(١)] وسلطانُ دمشقَ نجمُ الدين الصالحُ أيوبُ بنُ الكاملِ مُخَيِّمٌ عندَ نابُلُسَ، يَسْتَدْعِي عمَّه الصالحَ إسماعيلَ ليَسِيرَ إلى الديارِ المصريةِ، بسببِ أَخْذِها مِن صاحبِها العادلِ بنِ الكاملِ، وقد أرْسَل الصالحُ إسماعيلُ ولدَه وابنَ يَغْمُورٍ إلى صحبةِ الصالحِ أيوبَ بنابُلُسَ، فهما يُنْفِقان الأموالَ فى الأُمراءِ ويُحْلِفانِهم على الصالحِ أيوبَ للصالحِ إسماعيلَ، فلما تمَّ الأمرُ، وتمكَّن الصالحُ إسماعيلُ مِن مُرادِه، أرْسَل إلى الصالحِ أيوبَ يَطْلُبُ منه ولدَه ليَكونَ عِوَضَه ببَعْلَبَكَّ، ويَسِيرَ هو إلى خدمتِه، فأرْسَله إليه، ولا يَسْتَشْعِرُ الصالحُ أيوبُ بشىءٍ مما وقَع، وكلُّ ذلك عن تَرتيبِ أبى الحسنِ غَزَّالٍ المُتَطَبِّبِ وزيرِ الصالحِ - وهو الأمينُ واقفُ الأَمِينيةِ ببَعْلَبَكَّ - فلما كان يومُ الثلاثاءِ السابعِ والعشرين مِن صفرٍ هجَم الملكُ الصالحُ إسماعيلُ، وفى صحبتِه أسدُ الدينِ شِيرْكُوه صاحبُ حمصَ إلى دمشقَ، فدخَلاها بَغْتةً مِن بابِ الفَراديسِ، فنزَل الصالحُ إسماعيلُ بدارِه مِن دربِ الشَّعَّارين، ونزَل صاحبُ حمصَ بدارِه، وجاء نَجْمُ الدينِ بنُ سلَامٍ[(٢)]، فهنَّأ الصالحَ إسماعيلَ، ورقَص بينَ يديه، وهو يقولُ: إلى بيتِك جئتَ. وأصبَحوا فحاصَروا القلعةَ، وبها المُغِيثُ عمرُ بنُ الصالحِ نَجْمِ الدينِ، ونقَبوا القلعةَ مِن ناحيةِ

---

(١) مرآة الزمان ٧٢٤/٨ - ٧٣٠ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٨، ونهاية الأرب ٢٣٨/٢٩ - ٢٧٤، حوادث سنتى ست وثلاثين وسبع وثلاثين وستمائة فقد وصلهما المصنف معًا، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٢ - ٣٩.

(٢) فى م: «سلامة».

بابِ الفرجِ ، وهتَكوا حُرْمتَها ودخَلوها وتسَلَّموها ، واعتَقَلوا المُغيثَ فى بُرْجٍ هنالك .

قال أبو شامةَ[1] : واحْترَقَت دارُ الحديثِ وما هنالك مِن الحَوانيتِ والدُّورِ حولَ القلعةِ . ولما وصَل الخبرُ بما وقَع إلى الصالحِ أيوبَ تفرَّق عنه أصحابُه والأُمراءُ ؛ خوفًا على أهاليهم مِن الصالحِ إسماعيلَ ، وبقى الصالحُ أيوبُ وحدَه فى مماليكِه وجاريتِه أمِّ خَليلٍ ، وطمِع فيه الفلَّاحون والغَوارِنةُ[2] ، وأرسَل الناصرُ داودُ صاحبُ الكَرَكِ إليه مَن أخَذه مِن نابُلُسَ مُهانًا على بَغْلةٍ ، بلا مِهْمازٍ ولا مِقْرعةٍ[3] ، فاعْتَقَله عندَه سبعةَ أشهرٍ ، وأرسَل العادلُ مِن مصرَ إلى الناصرِ يَطْلُبُ منه أخاه الصالحَ أيوبَ ، ويُعْطِيه مائةَ ألفِ دينارٍ ، فما أجابه إلى ذلك ، بل عكَس ما طلَب منه بإخْراجِ الصالحِ مِن سجنِه والإِفْراجِ عنه وإطْلاقِه [4]مع الجيشِ[4] يَرْكَبُ وينْزِلُ ، فعندَ ذلك حارَبَت الملوكُ مِن دمشقَ ومصرَ وغيرِهما الناصرَ داودَ ، وبرَز العادلُ مِن الديارِ المصريةِ إلى بُلْبَيسَ قاصدًا قِتالَ الناصرِ داودَ ، فاضْطَرَب الجيشُ عليه ، واخْتَلَف الأمراءُ ، وقيَّدوا العادلَ ، واعْتَقَلوه فى خَرْكاه ، وأرْسَلوا إلى الصالحِ أيوبَ يَسْتَدْعونه إليهم [١٠/٣٠ظ] ، فامْتَنَع الناصرُ داودُ مِن إرسالِه حتى اشْتَرَط عليه أنه يَأْخُذُ له دمشقَ وحمصَ[5] وحلَبَ وبلادَ الجزيرةِ وديارَ بكرٍ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٦٩.

(٢) الغوارنة : نسبة لأهل الغور . والغَوْر : موضع منخفض بين القدس وحَوْرَان ، مسيرة ثلاثة أيام فى عرض فرسخين. انظر تاج العروس (غ و ر) .

(٣) المهماز : حديدة تكون فى مؤخر خُفِّ الرائض . والمقرعة : لجام الدابة . انظر اللسان (هـ م ز) ، (ق ر ع) .

(٤ - ٤) فى م : « من الحبس » .

(٥) بعده فى مصادر التخريج - عدا الذيل على الروضتين فقد ذكره مختصرا - : « وحماة » .

ونصفَ مَمْلكةِ مصرَ ونصفَ ما فى الخَزائنِ مِن الحَواصِلِ والأموالِ والجَواهرِ . قال الصالحُ أيوبُ : فأجَبْتُ إلى ذلك مُكْرَهًا ، ولا يَقدِرُ على جميعِ ما اشْتَرَط علىَّ ملوكُ الأرضِ ، وسِرْنا فأخَذْتُه معى خوفًا أن يَكونَ هذا الكتابُ مِن المصريين مَكيدةً ، ولم يَكُنْ لى به حاجةٌ . وذكَر أنه كان يَسْكَرُ ، ويَخْبِطُ الأمورَ ، ويُخالِفُ الآراءَ السَّديدةَ . فلما وصَل الصالحُ إلى المصريين ملَّكوه عليهم ، ودخَل الديارَ المصريةَ سالمًا مُؤَيَّدًا مَنصورًا مُظَفَّرًا مَحْبورًا مَسْرورًا ، فأرْسَل إلى الناصرِ داودَ عشرين ألفَ دينارٍ ، فردَّها عليه ولم يَقْبَلْها منه . واسْتَقَرَّ مُلْكُه بمصرَ ، وأما الجَوَادُ فإنه أساءَ السِّيرةَ بسِنْجارَ ، وصادَر أهلَها وعسَفَهم ، وكاتَبوا بدرَ الدينِ لؤلؤًا صاحبَ الموصلِ ، فقصَدهم - وقد خرَج الجَوَادُ للصيدِ - فأخَذ البلدَ بغيرِ شىءٍ ، وصار الجَوَادُ إلى عانةَ[1] ، ثم باعَها مِن الخليفةِ بعدَ ذلك .

وفى ربيعِ الأولِ درَّس القاضى الرَّفيعُ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الواحدِ الجيلىُّ بالشاميةِ البَرَّانيةِ .

وفى يومِ الأربعاءِ ثالثِ ربيعِ الآخِرِ ولِى الشيخُ عِزُّ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ أبى القاسمِ السُّلَمىُّ خِطابةَ جامعِ دمشقَ ، وخطَب الصالحُ إسماعيلُ لصاحبِ الرومِ ببلادِ دمشقَ وغيرِها ؛ لأنه حالَفه على الصالحِ أيوبَ .

قال أبو شامةَ[2] : وفى حَزيرانَ أيامَ المِشْمشِ جاء مطرٌ عظيمٌ هدَم كثيرًا مِن الحيطانِ وغيرِها ، وكنتُ يومَئذٍ بالمِـزَّةِ[3] .

---

(١) فى م : «غانة» . وعانة : بلد بالأردن . انظر معجم البلدان ٣/ ٥٩٥.
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٧٠.
(٣) المزة : قرية كبيرة فى وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ . معجم البلدان ٤/ ٥٢٢.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

صاحبُ حمصَ الملكُ المجاهِدُ أسَدُ الدينِ شِيركُوه بنُ ناصرِ الدينِ محمدِ ابنِ أسدِ الدينِ شِيركُوه بنِ شادِى[1] ، ولَّاه إياها الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ بعدَ موتِ أبيه سنةَ إحدى وثمانين وخمسِمائةٍ ، فمكَث فيها سبعًا وخمسين سنةً ، وكان مِن أحسنِ الملوكِ سيرةً ، طهَّر بلادَه مِن الخمورِ والمُكوسِ والمُنْكَراتِ ، وهى فى غايةِ الأمنِ والعَدْلِ ، لا يَتَجاسَرُ أحدٌ مِن الفِرِنْجِ ولا العربِ يَدْخُلُ بلادَه إلا أهانه غايةَ الإهانةِ ، وكانت ملوكُ بنى أيوبَ يَتَّقونه ؛ لأنه كان يرَى أنه أحَقُّ بالأمرِ منهم ؛ لأن جدَّه هو الذى فتَح مصرَ ، وأولُ مَن ملَك منهم ، وكانت وفاتُه رحِمه اللَّهُ بحمصَ ، وعُمِل عَزاؤه بجامعِ دمشقَ ، عفا اللَّهُ عنه بمَنِّه .

القاضى الخُوَيِّىُّ شمسُ الدينِ أحمدُ بنُ خَليلِ بنِ سَعادةَ بنِ جعفرٍ الخُوَيِّىُّ[2] ، قاضى القُضاةِ بدمشقَ يومَئذٍ ، وكان عالمًا بفنونٍ كثيرةٍ مِن الأصولِ والفروعِ وغيرِ ذلك ، وكانت وفاتُه يومَ السبتِ ، بعدَ الظهرِ ، السابعَ مِن شعبانَ ، وله خمسٌ وخمسون سنةً ، بالمدرسةِ العادليةِ ، وكان حسَنَ الأخْلاقِ ، جَميلَ المُعاشَرةِ ، وكان يقولُ[3] : لا أَقْدِرُ على المَناصِبِ ، إلى مُستَحقِّيها[4] . له

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٣١ (القسم الثانى) والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٤٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١- ٦٤٠) ص ٣٢٧، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢١٦.

(٢) مرآة الزمان ٨/٧٣٠ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٤٤، وبغية الطلب ٢/ ١٤٨، والذيل على الروضتين ص ١٦٩، وتكملة إكمال الإكمال ص ١٠٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣١٥، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٧٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٦.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٩.

(٤) بعده فى م : « إيصال » . وجاءت العبارة فى الذيل : لا أقدر على إمساك المناصب .

مُصَنَّفاتٌ ، منها عَروضٌ . قال فيه أبو شامةَ[1] :

أحمدُ بنُ الخليلِ أرْشَده اللـ ـهُ لما أرْشَد الخَليلَ بنَ أحمدْ
ذاك مُسْتَخْرِجُ العَروضِ وهذا مُظْهِرُ السِّرِّ منه والعَوْدُ أحمدْ

وقد ولِى القَضاءَ بعدَه[2] رَفيعُ الدينِ عبدُ العَزيزِ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ إسماعيلَ ابنِ عبدِ الهادى الجِيلىُّ مع تَدْريسِ العادليةِ ، وكان قاضيًا ببَعْلَبَكَّ ، فأحْضَره إلى دمشقَ الوزيرُ أمينُ الدينِ الذى كان سامريًّا[3] فأسْلَم ، وزَر للصالحِ إسماعيلَ ، واتَّفَق هو وهذا القاضى على أكْلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ . قال أبو شامةَ[1] : ظهَر منه[4] سُوءُ سِيرةٍ وعَسْفٌ وفِسْقٌ وجَوْرٌ ومُصادرةٌ فى الأموالِ .

قلتُ : وقد ذكَر غيرُه عنه أنه ربما حضَر يومَ الجمعةِ فى المشهدِ الكَمالىِّ بالشُّبَّاكِ وهو سَكرانُ بالخمرِ ، وأن قَنانىَّ[5] الخمرِ كانت تَكونُ على بِرْكةِ العادليةِ يومَ السبتِ ، وكان يَعْتَمِدُ فى التَّركاتِ اعْتمادًا سيِّئًا جدًّا ، وقد عامَله اللَّهُ تعالى بنَقيضِ [١٠/٣١و] مَقْصودِه ، وأهْلَكه اللَّهُ على يدى مَن كان سببَ سَعادتِه ، كما سيأتى بيانُه قريبًا إن شاء اللَّهُ تعالى[6] .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٦٩ .
(٢) فى م : « بعد » .
(٣) السامرى من السَّامِرَة ، وهم قوم من اليهود من قبائل بنى إسرائيل يخالفونهم - أى اليهود - فى بعض أحكامهم ، كإنكارهم نبوة من جاء بعد موسى عليه السلام ، وغير ذلك . تاج العروس (س م ر) .
(٤) أى من القاضى رفيع الدين .
(٥) قنانىّ : جمع قِنِّينة ، وهى القارورة . الوسيط (ق ن ن) .
(٦) انظر ما سيأتى فى حوادث سنة إحدى وأربعين وستمائة فى صفحتى ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] سلَّم الصالحُ إسماعيلُ صاحبُ دمشقَ حصنَ شَقِيفِ[2] أرْنُونَ[3] لصاحبِ صَيْدَا الفِرِنْجيِّ، فاشْتَدَّ الإنْكارُ عليه بسببِ ذلك مِن الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ خَطيبِ البلدِ، والشيخِ أبى عمرِو بنِ الحاجبِ شيخِ المالكيةِ، فاعْتَقَلهما مدةً، ثم أطْلَقهما وألْزَمهما منازلَهما، وولَّى الخَطابةَ وتَدريسَ الغَزَّاليةِ لعمادِ الدينِ داودَ بنِ عمرَ بنِ يوسُفَ المَقْدسيِّ خَطيبِ بيتِ الآبارِ، ثم خرَج الشيخان مِن دمشقَ، فقصَد أبو عمرٍو الناصرَ داودَ بالكَرَكِ، ودخَل الشيخُ عِزُّ الدينِ الديارَ المصريةَ، فتلَقَّاه صاحبُها الصالحُ أيوبُ بالاحْترامِ والإكْرامِ، وولَّاه خَطابةَ القاهرةِ وقَضاءَ مصرَ، واشْتَغل عليه أهلُها، فكان ممَّن أخَذ عنه الشيخُ تقيُّ الدينِ بنُ دَقيقِ العِيدِ، رحِمَهما اللَّهُ تعالى.

وفيها قدِم رسولٌ مِن ملكِ التَّتارِ تُولى بنِ جِنْكِزْخان إلى ملوكِ الإسلامِ يَدْعُوهم إلى طاعتِه ويَأْمُرُهم بتَخْريبِ أسْوارِ بُلْدانِهم، وعُنوانُ الكتابِ: مِن نائبِ ربِّ السماءِ، ماسحِ وجهِ الأرضِ، ملكِ الشرقِ والغربِ خاقان[4]. وكان الكتابُ مع رجلٍ مسلمٍ مِن أهلِ أصْبَهانَ، لطيفِ الأخلاقِ، فأولُ ما ورَد على

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٣٢ - ٧٣٥ (القسم الثانى) والذيل على الروضتين ص ١٧٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٧٤ - ٢٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠ - ٤٣.

(٢) فى م: «سعيف».

(٣) فى م: «أربون».

(٤) فى الأصل: «قازان»، وفى م: «قان قان». والمثبت من مرآة الزمان.

شِهابِ الدينِ غازى بنِ العادلِ صاحبِ مَيَّافارِقِينَ ، وقد أخْبَره بعَجائبَ فى أرضِهم غريبةٍ ، منها أن فى البلادِ المُتاخِمةِ للسدِّ أُناسًا أعْيُنُهم فى مَناكِبِهم ، وأفْواهُهم فى صُدورِهم ، يأْكُلُون السمكَ ، وإذا رأَوْا أحدًا مِن الناسِ هرَبوا . وذكَر أن عندَهم بزْرًا يَنبُتُ منه الغنمُ ، يَعِيشُ الخَروفُ منها شهرين وثلاثةً ، ولا يَتَناسَلُ ، ومِن ذلك أن بمازَنْدَرانَ عينًا يَطْلُعُ فيها كلَّ ثلاثين سنةً خشبةٌ عظيمةٌ[1] مثلُ المَنارةِ ، فتُقِيمُ طولَ النهارِ ، فإذا غَرَبَت الشمسُ غاصَتْ فى العينِ ، فلا تُرَى إلى[2] مثلِ ذلك الوقتِ ، وأن بعضَ الملوكِ احْتال ليُمسِكوها بسَلاسِلَ رُبِطَت فيها فغارَتْ ، وقطَعَت تلك السَّلاسلَ ، ثم كانت إذا طلَعَت تُرَى فيها تلك السَّلاسلُ ، وهى إلى[3] الآنَ كذلك .

قال أبو شامةَ[4] : وفيها قلَّت المياهُ مِن السماءِ والأرضِ ، وفسَد كثيرٌ مِن الزرعِ والثمارِ . واللَّهُ أعلمُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ والمَشاهيرِ :

مُحْيى الدينِ بنُ عَرَبيٍّ[5] ، صاحبُ « الفُصوصِ » وغيرِها ، **محمدُ بنُ علىِّ ابنِ محمدٍ ، ابنُ عَرَبىٍّ ، أبو عبدِ اللَّهِ الطائىُّ الحاتِمىُّ الأنْدَلُسىُّ** ، طاف البلادَ ، وأقام بمكةَ مدةً ، وصنَّف فيها كتابَه المُسَمَّى بـ« الفُتوحاتِ المكيةِ » فى نحوِ عشرين

---

(١) سقط من : الأصل . وفى مرآة الزمان : « غليظة » .
(٢) فى الأصل : « إلا » .
(٣) سقط من : الأصل .
(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧١.
(٥) مرآة الزمان ٧٣٦/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٧٤، والوافى بالوفيات ٤/ ١٧٣، وغاية النهاية ٢/ ٢٠٨، والمقفى الكبير ٦/ ٣٤٨.

مُجلدًا، فيه ما يُعْقَلُ وما لا يُعْقَلُ، وما يُنْكَرُ وما لا يُنْكَرُ، (1) وما يُعْرَفُ وما لا يُعْرَفُ (1)، وله الكتابُ المُسَمى «بفُصوصِ الحِكَمِ» فيه أشْياءُ كثيرةٌ ظاهِرُها كفرٌ صريحٌ، وله «العِبادات» (2)، ودِيوانُ شعرٍ رائقٍ، وله مُصَنَّفاتٌ أُخَرُ كثيرةٌ، وأقام بدمشقَ مدةً طويلةً قبلَ وفاتِه، وكان بنو الزَّكيِّ لهم عليه اشْتِمالٌ، وبه احْتِفالٌ، ولجميعِ ما يَقولُه احْتمالٌ.

قال أبو شامةَ (3): وله تَصانيفُ كثيرةٌ، وكانت (4) عليه سهلةٌ، وله شعرٌ حسنٌ، وكلامٌ طويلٌ على طريقِ التَّصوفِ، وكانت له جِنازةٌ حسنةٌ، ودُفِن بمقبرةِ القاضى مُحْيِى الدينِ بنِ الزكيِّ بقاسِيونَ، وكانت جِنازتُه فى الثانى والعشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ.

وقال السِّبْطُ (5): كان يَقولُ إنه يَحْفَظُ الاسمَ الأعْظَمَ، ويقولُ إنه يَعْرِفُ الكِيمياءَ بطريقِ المُنازَلةِ لا بطريقِ الكَسْبِ، وكان فاضلًا فى علمِ التَّصوُّفِ، وله تَصانيفُ كثيرةٌ.

القاضى نَجْمُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ خلفِ بنِ راجحٍ المَقْدسىُّ الحنبلىُّ الشافعىُّ، المعروفُ بابنِ الحَنْبلىِّ (6)، كان شيخًا فاضلًا دَيِّنًا بارعًا فى علمِ الخِلافِ، [10/31ظ] ويَحْفَظُ «الجمعَ بينَ الصحيحَيْن»

(1 - 1) فى الأصل: «ولا يعرف».

(2) فى الأصل، م: «العبادلة». والمثبت من الوافى بالوفيات، وهو الذى ذكر جملة كبيرة من تصانيفه.

(3) الذيل على الروضتين ص 170.

(4) زيادة من الذيل على الروضتين.

(5) مرآة الزمان 8/736 (القسم الثانى).

(6) مرآة الزمان 8/735 (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص 171، وسير أعلام النبلاء 23/75، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 631 - 640) ص 360، والوافى بالوفيات 8/25، وطبقات الشافعية للإسنوى 1/448.

للحُمَيْدىِّ ، وكان مُتَواضِعًا ، حسَنَ الأخْلاقِ ، قد طاف البُلْدانَ فى طلبِ العلمِ ، ثم اسْتَقَرَّ بدمشقَ ، ودرَّس بالعَذْراوِيَّةِ[1] والصَّارِميَّةِ والشّامِيّةِ البَرّانِيَّةِ[2] وأمِّ الصالحِ ، وناب فى الحكمِ عن جَماعةٍ مِن القُضاةِ إلى أن تُوُفِّى بها ، وهو نائبُ الرَّفيعِ الجِيلىِّ ، وكانت وفاتُه يومَ الجمعةِ سادسَ شوالٍ ، ودُفِن بقاسِيونَ .

ياقوتُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أمينُ الدينِ الرُّومىُّ[3] ، منسوبٌ إلى ولاءِ[4] أَتابَك ، قدِم بغدادَ مع رسولِ صاحبِ الموصلِ لؤلؤٍ . قال ابنُ الساعى : اجْتَمَعْتُ به ، وهو شابٌّ أديبٌ فاضلٌ ، يَكْتُبُ خطًّا حسنًا وهو فى غايةِ الجَوْدةِ ، ويَنْظِمُ شعرًا جيدًا . ثم روَى عنه شيئًا منه . قال : وتُوُفِّى فى جُمادَى الآخِرةِ مَحْبوسًا .

---

(١) فى م : « بالفداوية » . وانظر الدارس ١/ ٣٧٣، ٥٤٨.

(٢) فى الأصل ، م : « الجوانية » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) فى م : « الرولى » . وانظر ترجمته فى : المختصر المحتاج إليه ص ٢٣٧، وعدّه ابن الدبيثى فى جملة من اسمه عبد الرحمن ، ووفيات الأعيان ٦/ ١٢٢، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٥٥، وفيات سنة سبع وثلاثين وستمائة .

(٤) فى م : « بيت » . نسبه الذهبى فى تاريخ الإسلام فقال : الأتابكى الموصلى .

ثم دخَلت سنةُ تسعٍ وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] قصَد الملكُ الجوَادُ أن يَدْخُلَ مصرَ ليَكونَ فى خدمةِ الصالحِ أيوبَ، فلما وصَل إلى الرَّمْلِ توَهَّم منه الصالحُ أيوبُ، وأرْسَل إليه كمالَ الدينِ بنَ الشيخِ ليَقْبِضَ عليه، فرجَع الجوَادُ، فاسْتَجار بالناصرِ داودَ، وكان إذ ذاك بالقدسِ الشريفِ، وبعَث معه جيشًا، فالْتَقَوْا مع ابنِ الشيخِ، فكسَروه وأسَروه، فوبَّخه الناصرُ داودُ، ثم أطْلَقه، وأقام الجوَادُ فى خدمةِ الناصرِ حتى توَهَّم منه، فقيَّده[2] وأرْسَله تحتَ الحَوْطةِ إلى بغدادَ، فأطْلَقه بطنٌ مِن العربِ عن قوةٍ، فلجَأ إلى صاحبِ دمشقَ مدةً، ثم انْتقل إلى الفِرِنْجِ، ثم عاد إلى دمشقَ، فحبَسه الصالحُ إسماعيلُ بعَزَّتا إلى أن مات فى سنةِ إحدى وأربعين كما سيأْتى.

وفيها شرَع الصالحُ أيوبُ فى بناءِ المَدارسِ بمصرَ، وبنَى قلعةً بالجَزيرةِ غرِم عليها شيئًا كثيرًا مِن بيتِ المالِ، وأخَذ أمْلاكَ الناسِ، وخرَّب نَيِّفًا وثلاثين مسجدًا، وقطَع ألفَ نخلةٍ، ثم أخْرَبها التُّرْكُ فى سنةِ إحدى وخمسين كما سيأتى بيانُه.

وفيها ركِب الملكُ المنصورُ[3] إبراهيمُ بنُ الملكِ المجاهدِ صاحبُ حمصَ، ومعه

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٣٦، ٧٣٧ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧١، ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٤ - ٤٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٨١ - ٢٩٩، وكنز الدرر ٧/ ٣٤٧.

(٢) فى الأصل: «قصده».

(٣) بعده فى م: «بن».

الحلبيُّون ، فاقْتَتلوا مع الخُوارَزْميةِ بأرضِ حَرَّانَ ، فكسَروهم ومزَّقوهم كلَّ مُمَزَّقٍ ، وعادوا مَنْصورِين إلى بلادِهم ، فاصْطَلَح شِهابُ الدينِ غازى صاحبُ مَيَّافارِقِين مع الخُوارَزْميةِ ، وآواهم إلى بلدِه ليَكُونوا مِن حِزْبه .

قال أبو شامةَ[(١)] : وفيها كان دخولُ الشيخِ عِزِّ الدينِ إلى الديارِ المصريةِ ، فأكْرَمه صاحبُها ، وولَّاه الخَطابةَ بالقاهرةِ وقَضاءَ القُضاةِ بمصرَ ، بعدَ وفاةِ القاضى شرفِ الدينِ المُوَقِّعِ[(٢)] ، ثم عزَل نفسَه مرتين ، وانْقَطَع فى بيتِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال[(٣)] : وفيها تُوُفِّى بالمَوْصلِ[(٤)] الشمسُ بنُ الخَبَّازِ النحويُّ الضَّريرُ فى سابعِ رجبٍ . والكَمالُ بنُ يونسَ الفقيهُ فى النصفِ مِن شعبانَ ، وكانا فاضلَىْ بلدِهما فى فنِّهما .

قلتُ : **أما الشمسُ بنُ الخَبَّازِ[(٥)] فهو أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ أحمدَ ابنِ معالى بنِ منصورِ بنِ علىٍّ** ، الضَّريرُ النَّحويُّ الموصلىُّ ، المعروفُ بابنِ الخَبَّازِ ، اشْتَغل بعلمِ العربيةِ وحفِظ « المُفَصَّلَ » و « الإيضاحَ والتَّكْملةَ » والعَروضَ والحسابَ ، وكان يَحْفَظُ « المُجْمَلَ » فى اللغةِ وغيرَ ذلك ، وكان شافعىَّ المذهبِ ، كثيرَ النَّوادِرِ والمُـلَحِ ، وله أشعارٌ جيدةٌ ، وكانت وفاتُه فى العاشرِ من رجبٍ ، وله مِن العمرِ خمسون سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) فى الأصل : « ابن الموقع » ، وفى م : « المرقع » . والمثبت من الذيل .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٢.

(٤) سقط من : م .

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٨٩، وبغية الوعاة ١/ ٣٠٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٢.

وأمَّا **الكمالُ بنُ يونُسَ**[1] **فهو موسى بنُ يونُسَ بنِ محمدِ بنِ مَنَعةَ بنِ مالكٍ العُقَيْليُّ، أبو الفتحِ الموصليُّ**، شيخُ الشافعيةِ بها، ومدرِّسٌ بعدةِ مَدارسَ فيها، وكانت له معرفةٌ تامةٌ بالأُصولِ والفروعِ والمَعْقولاتِ والمَنْطِقِ والحكمةِ، [١٠/٣٢و] ورحَل إليه الطلبةُ مِن البُلْدانِ، وبلَغ ثمانيةً وثمانين عامًا، وله شعرٌ حسنٌ. فمِن ذلك ما امْتَدَح به البدرَ لؤلؤًا صاحبَ الموصلِ، وهو قولُه[2]:

[3]لئن شَرُفَتْ أرضٌ بمالِكِ رِقِّها[3] فمَمْلكةُ الدنيا بِكُمْ تَتَشَرَّفُ
بَقِيتَ بقاءَ الدهرِ أمرُك نافذٌ وسعيُك مشكورٌ وحُكمُك مُنِصفُ[4]

كان مولدُه سنةَ إحدى وخمسين وخمسِمائةٍ، وتُوُفِّي للنصفِ مِن شعبانِ هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

قال أبو شامةَ[5]: وفيها تُوُفِّي بدمشقَ: عبدُ الواحدِ الصُّوفيُّ[6] الذى كان قَسًّا راهبًا بكَنيسةِ مَرْيَمَ سبعين سنةً، أسْلَم قبلَ موتِه بأيامٍ، ثم تُوُفِّي شيخًا كبيرًا بعدَ أن أقام بخانْقاه السُّمَيْساطيةِ أيامًا، [7]ودُفِن بمَقابرِ الصوفيةِ، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ، حضَرْتُ دفنَه والصلاةَ عليه، رحِمه اللَّهُ تعالى[7].

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤١٧، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٧١، وطبقات الشافعيه الكبرى للسبكى ٨/ ٣٧٨.

(٢) انظر وفيات الأعيان ٥/ ٣١٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٨٣.

(٣ - ٣) الأصل، م: «لئن زينت الدنيا بمالك أمرها». ويختل به الوزن. والمثبت من مصدرى التخريج.

(٤) فى م: «ينصف»، وبعده فى وفيات الأعيان:

«ومكنت فى حفظ البسيطة مثل ما تمكن فى أمصار فرعون يوسف»

أما فى الطبقات فالبيت قبله.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٢.

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠٥.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

أبو الفضلِ[1] **أحمدُ بنُ إسْفَنْديارَ بنِ المُوَفَّقِ بنِ أبى علىٍّ البُوشنْجِىُّ**[2] **الواعظُ ، شيخُ رِباطِ الأرجُوانيةِ .**

قال ابنُ الساعى : كان جميلَ الصورةِ ، حسَنَ الأخلاقِ ، كثيرَ التَّوَدُّدِ والتَّواضُعِ ، مُتَكَلِّمًا مُفَوَّهًا مَنْطِقِيًّا ، حسنَ العبارةِ ، جيدَ الوعظِ ، طيبَ الإنْشادِ ، عَذْبَ الإيرادِ ، له نَظْمٌ حسنٌ . ثم ساق عنه قصيدةً يَمْدَحُ بها الخليفةَ المُسْتَنْصِرَ .

أبو بكرٍ محمدُ بنُ يحيى بنِ المُظَفَّرِ بنِ علىٍّ بنِ نُعَيْمٍ ، المعروفُ بابنِ الحُبَيْرِ السَّلامىُّ[3] ، شيخٌ صالحٌ عالمٌ فاضلٌ ، كان حَنْبَليًّا ، ثم صار شافعيًّا ، ودرَّس بعدةِ مدارسَ ببغدادَ للشافعيةِ ، وكان أحدَ المُعَدِّلين بها ، توَلَّى مُباشَراتٍ كثيرةً ، وكان فقيهًا أُصوليًّا عالمًا بالخلافِ ، وتقَدَّم ببلدِه وعظُم كثيرًا ، ثم اسْتَنابه ابنُ فَضْلانَ بدارِ الحَرِيمِ ، ثم صار مِن أمرِه أن درَّس بالنِّظاميةِ ، وخُلِع عليه ببغلةٍ ، وحضَر عندَه الأعيانُ ، وما زال بها حتى تُوُفِّى عن ثمانين سنةً ، ودُفِن ببابِ حربٍ .

قاضى القُضاةِ ببغدادَ أبو المعالى عبدُ الرحمنِ بنُ مُقْبِلِ بنِ علىٍّ الواسطىُّ الشافعىُّ[4] ، اشْتَغل ببغدادَ ، وحصَّل وأعاد فى بعضِ المدارسِ ، ثم اسْتَنابه قاضى القُضاةِ عمادُ الدينِ أبو صالحٍ نصرُ بنُ عبدِ الرَّزَّاقِ بنِ عبدِ القادرِ ، فى أيامِ الخليفةِ

---

(١) كذا فى النسختين، وفى مصادر الترجمة : « العباس » ، وانظر ترجمته فى تاريخ إربل ١/ ٣٣٨. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٨٩، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٤٨.

(٢) فى النسختين : « البوسنجى » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) المختصر المحتاج إليه ص ٩٢، ٩٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤١٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٠٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠٢، والوافى بالوفيات ١٨/ ٢٨٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٨٧، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥٥٣.

الظاهرِ بنِ الناصرِ ، ثم ولِى قَضاءَ القُضاةِ مُسْتقِلًّا ، ثم ولِى تدريسَ المُسْتَنْصرِيةِ بعدَ موتِ أولِ مَن درَّس بها مُحْيِى الدينِ محمدِ بنِ فَضْلانَ ، ثم عُزِل عن ذلك كلِّه ، (١)وعُيِّن لمَشْيَخةِ(١) بعضِ الرُّبُطِ ، ثم كانت وفاتُه فى هذا العامِ ، وكان فاضلًا دَيِّنًا مُتواضِعًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى وعفا عنه .

(١ - ١) فى م : « وعن مشيخة » . وانظر مصادر ترجمته .

ثم دخلت سنةُ أربعين وستّمائةٍ

فيها[1] تُوُفِّى المُستَنصِرُ باللَّهِ وخلافةُ ولدِه المُستَعصِمِ باللَّهِ، فكانت وفاةُ الخليفةِ المُستَنصِرِ باللَّهِ أميرِ المؤمنين بُكْرةَ يومِ الجمعةِ عاشرَ جُمادَى الآخِرةِ، وله مِن العُمرِ إحدى وخمسون سنةً، وأربعةُ أشهرٍ وسبعةُ أيامٍ، وكُتِم موتُه حتى كان الدعاءُ له على المنابرِ ذلك اليومَ، وكانت مدةُ ولايتِه ستَّ عشْرةَ سنةً وعشَرةَ أشهرٍ وسبعةً وعشرين يومًا، ودُفِن بدارِ الخلافةِ، ثم نُقِل إلى التربِ مِن الرُّصافةِ. وكان جميلَ الصورةِ، حسنَ السَّريرةِ[2]، جيدَ السِّيرةِ، كثيرَ الصَّدَقاتِ والبِرِّ والصِّلاتِ، مُحْسِنًا إلى الرعيةِ بكلِّ ما يَقْدِرُ عليه، كان جدُّه الناصرُ قد جمَع ما يَتَحصَّلُ مِن الذهبِ فى بركةٍ بدارِ الخلافةِ، فكان يَقِفُ على حافَّتِها ويقولُ: أتُرَى أَعِيشُ حتى أَمْلأَها. وكان المُستَنصِرُ يَقِفُ على حافَّتِها ويقولُ: أتُرَى أَعِيشُ حتى أُنْفِقَها كلَّها. كان يَبْنى الرُّبُطَ والخاناتِ والقَناطرَ فى الطُّرُقاتِ مِن سائرِ الجهاتِ، وقد عمِل بكلِّ مَحَلَّةٍ مِن مَحَالِّ بغدادَ دارَ ضيافةٍ للفقراءِ، لا سيَّما فى شهرِ رمضانَ، وكان يَتَقَصَّدُ الجَوارىَ اللاتى قد بلَغْن الأربعين، فيُشْتَرَيْن له فيُعْتِقُهن ويُجَهِّزُهن ويُزَوِّجُهن، وفى كلِّ وقتٍ يُبْرِزُ صِلاتِه ألوفٌ مُتَعدِّدةٌ مِن الذهبِ، تُفَرَّقُ [١٠/٣٢ظ] فى المَحَالِّ ببغدادَ على ذَوِى الحاجاتِ والأراملِ والأيْتامِ

---

(١) مرآة الزمان ٧٣٩/٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٥٢.

(٢) بعده فى الأصل: «جميل».

وغيرِهم ، تقبَّل اللَّهُ تعالى منه وجزاه خيرًا ، وقد وضَع ببغدادَ المدرسةَ المستنصرية للمَذاهبِ الأربعةِ ، وجعَل فيها دارَ حديثٍ [(1)]ومَارَسْتانًا[(1)] وحمامًا ودارَ طِبٍّ ، وجعَل لمُسْتَحقِّيها مِن الجَوامكِ والأَطْعِمةِ والحَلاواتِ والفواكهِ ما يَحْتاجون إليه فى أوقاتِه ، وأوقَف عليها أوقافًا عظيمةً حتى قيل : إن ثمنَ التِّبْنِ مِن غَلَّاتِ رِيعِها يَكْفِى المدرسةَ وأهلَها . ووقَف فيها كُتُبًا نَفيسةً ليس لها فى الدنيا نَظيرٌ ، فكانت هذه المدرسةُ جَمالًا لبغدادَ ، بل لسائرِ البلادِ .

وقد احْتَرَق فى[(2)] هذه السنةِ المَشْهَدُ الذى بسامَرَّا المنسوبُ إلى علىٍّ الهادى والحسنِ العَسْكرىِّ ، وقد كان بناه أرْسَلان البَساسِيرىُّ فى أيامِ تَغَلُّبِه على تلك النَّواحِى ، فى حدودِ سنةِ خمسين[(3)] وأربعِمائةٍ ، فأمَر الخليفةُ المُستَنصِرُ بإعادتِه إلى ما كان عليه ، وقد تكلَّمَت الرَّوافضُ فى الاعْتِذارِ عن حريقِ هذا المشهدِ بكلامٍ طويلٍ باردٍ لا حاصلَ له ، وصنَّفوا فيه أخْبارًا ، وأنْشَدوا أشعارًا كثيرةً لا مَعْنى لها ، وهو المشهدُ الذى يَزْعُمون أنه يخرجُ منه المُنْتَظَرُ الذى لا حقيقةَ له ، لا عينَ ولا أثرَ ، ولو لم يُبْنَ لكان أجوَدَ[(4)] ، وهو الحسنُ بنُ علىٍّ[(5)] بنِ محمدٍ الجَوَادِ بنِ علىٍّ الرضا بنِ موسى الكاظمِ بنِ جعفرٍ الصادقِ[(6)] بنِ محمدِ بنِ الباقرِ بنِ علىٍّ[(7)] زينِ العابدِين بنِ الحسينِ الشَّهيدِ بكَرْبلاءَ ، ابنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنهم أجْمَعين ، وقبَّح مَن يَغْلُو فيهم ويُبْغِضُ بسببِهم مَن هو أفضلُ منهم .

(1 - 1) سقط من : م .
(2) بعده فى م : « أول » .
(3) فى الأصل : « خمس » .
(4) فى م : « أجدر » .
(5) بعده فى الأصل : « الهادى » .
(6) بعده فى الأصل : « بن على » . وانظر أنساب الأشراف ٣/ ٣٦٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١.
(7) بعده فى الأصل: « بن». وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١.

وكان المُستَنصِرُ، رحِمه اللَّهُ، كريمًا حَليمًا رئيسًا مُتَوَدِّدًا إلى الناسِ، وكان جميلَ الصورةِ، حسَنَ الأخلاقِ، بَهِيَّ المَنْظَرِ، عليه نورُ بيتِ النبوةِ، رضِى اللَّهُ تعالى عنه وأرْضاه. وحُكِى أنه اجْتاز راكبًا فى بعضِ أزقةِ بغدادَ قبلَ غروبِ الشمسِ مِن رمضانَ، فرأَى شيخًا كبيرًا، ومعه إناءٌ فيه طعامٌ، قد حمَله مِن مَحَلَّةٍ إلى مَحَلَّةٍ أخرى، فقال: أيُّها الشيخُ، لمَ لا أخَذتَ الطعامَ مِن مَحلَّتِك؟ أوَ أنت محتاجٌ فتأخذَ مِن المحلَّتَين؟ فقال: لا واللَّهِ ياسيدى - ولم يَعْرِفْ أنه الخليفةُ - ولكنِّى شيخٌ كبيرٌ، وقد نزَل بِىَ الوقتُ، وأنا أَسْتَحِى مِن أهلِ مَحَلَّتى أن أُزاحِمَهم وقتَ الطعامِ[1]، وأَتَحَيَّنُ وقتَ كونِ الناسِ فى صلاةِ المغربِ، فأَدْخُلُ بالطعامِ إلى منزلى حيثُ لا يَرانى أحدٌ. فبكَى الخليفةُ، رحِمه اللَّهُ تعالى، وأمَر له بألفِ دينارٍ، فلما دُفِعَت إليه فرِح الشيخُ فرَحًا شديدًا حتى قيل: إنه انْشَقَّ قلبُه مِن شدةِ الفرحِ، ولم يَعِشْ بعدَ ذلك إلا عشرين يومًا، ثم مات فحُمِلت الألفُ دينارٍ إلى الخليفةِ؛ لأنه لم يَخْلُفْ وارثًا. وقد أنْفَق منها دينارًا واحدًا، فتعجَّب الخليفةُ مِن ذلك، وقال: شىءٌ قد خرَجْنا عنه للَّهِ لا يَعودُ إلينا، تصَدَّقوا بها على فُقراءِ مَحَلَّتِه.

وقد خلَّف مِن الأولادِ ثلاثةً؛ اثنان شَقيقان، وهما أميرُ المؤمنين المُسْتَعْصِمُ باللَّهِ الذى ولِى الخلافةَ بعدَه أبو[2] أحمدَ عبدُ اللَّهِ، والأميرُ أبو القاسمِ عبدُ العزيزِ، وأختُهما مِن أمٍّ أخرى كَريمةٍ، صان اللَّهُ حِجابَها. وقد رثاه الناسُ بأشعارٍ كثيرةٍ، أوْرَد منها ابنُ الساعى قطعةً صالحةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

---

(١) بعده فى م: «فيشمت بى من كان يبغضنى فانا أذهب إلى غير محلتى فآخذ الطعام».
(٢) فى الأصل: «وأبو». وهو خطأ فأبو أحمد عبد اللَّه هو المستعصم باللَّه.

ولم يَسْتَوْزِرْ أحدًا ، بل أقَرَّ أبا[1] الحسنِ محمدَ بنَ محمدٍ[2] القُمِّىَّ على نِيابةِ الوِزارةِ ، ثم كان بعدَه نصيرُ[3] الدينِ أبو الأزْهَرِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ[4] الناقدِ الذى كان أُستاذَ دارِ الخلافةِ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

خلافةُ المُسْتَعْصِمِ باللَّـهِ أميرِ المؤمنين[5]

وهو آخرُ خُلفاءِ بنى العباسِ ببغدادَ ، وهو الخليفةُ الشَّهيدُ الذى قتَله التَّتارُ [١٠/٣٣و] بأمرِ هُلَاوو بنِ تولّى ملكِ التتارِ بنِ جِنْكِزْخان ، لعَنه اللَّهُ ، فى سنةِ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ ، كما سيأتى بيانُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وهو أميرُ المؤمنين المُسْتَعْصِمُ باللَّهِ الإمامُ أبو أحمدَ عبدُ اللَّهِ بنُ أميرِ المؤمنين المُستَنصِرِ باللَّهِ أبى جعفرٍ المنصورِ بنِ أميرِ المؤمنين الظاهرِ باللَّهِ أبى نصرٍ محمدِ بنِ أميرِ المؤمنين الناصرِ لدينِ اللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين المُستَضِىءِ (٦ بأمرِ اللَّهِ ٦) أبى محمدٍ الحسنِ ابنِ أميرِ المؤمنين المُستَنجِدِ باللَّهِ أبى المُظَفَّرِ يوسُفَ بنِ أميرِ المؤمنين المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ أميرِ المؤمنين المُستَظهِرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين الخليفةِ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ أبى القاسمِ عبدِ اللَّهِ ، وبقيةُ نسبِه إلى العباسِ فى

---

(١) بعده فى الأصل : « محمد » . وانظر الوافى بالوفيات ١/ ١٤٧ .
(٢) بعده فى الأصل : « بن » . وانظر المصدر السابق ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٦ .
(٣) فى م : « نصر » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٨ .
(٤) سقط من : م . وانظر المصدر السابق .
(٥) ذيل مرآة الزمان ١/ ٢٥٣ - ٢٥٧ ، ونهاية الأرب ٢٣/ ٣٢٢ ، ٣٢٣ .
(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « باللَّه » . والمثبت من المصدرين السابقين ، ومما تقدم فى صفحة ١٣٣ .

ترجمةِ جدِّه الناصرِ[1] ، وهؤلاء الذين ذكَرْناهم كلُّهم ولِى الخلافةَ ، يَتْلُو بعضُهم بعضًا ، ولم يَتَّفِقْ هذا لأحدٍ قبلَ المُسْتَعْصِمِ ؛ أن فى نسبِه ثَمانيةً وَلُوا الخلافةَ نَسَقًا لم يَتَخَلَّلْهم أحدٌ ، وهو التاسعُ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

لمّا تُوُفِّى أبوه بُكْرةَ الجمعةِ عاشرَ جُمادَى الآخِرةِ مِن سنةِ أربعين وستِّمائةٍ اسْتُدْعِى هو مِن التاجِ يومَئذٍ بعدَ الصلاةِ فبُويِع بالخلافةِ ، ولُقِّب بالمُستَعصِمِ ، وله مِن العمرِ يومَئذٍ ثلاثون سنةً وشهورٌ ، وقد أتْقَن فى شَبيبتِه تلاوةَ القرآنِ حفظًا وتَجْويدًا ، وأتْقَن العربيةَ والخطَّ الحسنَ وغيرَ ذلك مِن الفَضائلِ على الشيخِ شمسِ الدينِ أبى المُظَفَّرِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ النيارِ[2] أحدِ أئمةِ الشافعيةِ فى زمانِه ، وقد أكْرَمه ، وأحْسَن إليه فى خلافتِه ، وكان المُستَعصِمُ ، على ما ذُكِر ، كثيرَ التِّلاوةِ ، حسَنَ الأداءِ ، طيبَ الصوتِ ، يَظهَرُ عليه خشوعٌ وإنابةٌ ، وقد نظَر فى شىءٍ مِن التفسيرِ وحَلِّ المُشْكِلاتِ ، وكان مَشهورًا بالخيرِ ، مَشْكورًا ، مُقْتَدِيًا بأبيه المُستَنصِرِ جُهْدَه وطاقتَه ، وقد مشَتِ الأمورُ فى أيامِه على السَّدادِ والاسْتِقامةِ ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وكان القائمَ بهذه البيعةِ المُسْتَعْصِميةِ شرفُ الدينِ أبو الفَضائلِ إقبالٌ المُستَنصِرىُّ ، فبايَعه أولًا بنو عمِّه وأهلُه مِن بنى العباسِ ، ثم أعْيانُ الدولةِ مِن الأمراءِ والوُزراءِ والقُضاةِ والعلماءِ والفقهاءِ ومَن بعدَهم مِن أُولِى الحَلِّ والعَقْدِ والعامَّةِ وغيرِهم ، وكان يومًا مشهودًا ، ومَجْمَعًا محمودًا ، ورأيًا سعيدًا ، وأمرًا حميدًا ، وجاءَت البَيْعةُ مِن سائرِ الجِهاتِ والأَقْطارِ ، والبُلْدانِ والأَمْصارِ ، وخُطِب

---

(١) انظر ما تقدم صفحة ١٣٣، ١٣٤.

(٢) فى الأصل: «المنيار». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٧٤، ٣٢٣.

له فى سائرِ البُلْدانِ، والأقاليمِ والرَّساتيقِ، وعلى سائرِ المَنابرِ شرقًا وغربًا، بُعْدًا وقُرْبًا، كما كان أبوه وأجْدادُه مِن بنى العباسِ، رحِمهم اللَّهُ أجْمَعِين.

وممّا وقَع مِن الحوادثِ فى هذه السنةِ أنه كان بالعراقِ وَباءٌ شديدٌ فى آخِرِ أيامِ المُستَنصِرِ، وغلا السكرُ والأدْويةُ، فتصَدَّق الخليفةُ المُستَنصِرُ باللَّهِ، رحِمه اللَّهُ تعالى، بسكرٍ كثيرٍ على المَرْضَى، تقَبَّل اللَّهُ منه.

وفى يومِ الجمعةِ رابعَ عشَرَ شعبانَ أذِن الخليفةُ المُستَعصِمُ باللَّهِ لأبى الفرجِ عبدِ الرحمنِ بنِ مُحْيى الدينِ يوسُفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ - وكان شابًّا ظريفًا فاضلًا - فى الوَعْظِ ببابِ البَدْريةِ، فتكَلَّم وأجاد وأفاد، وامْتَدَح الخليفةَ المُستَعصِمَ بقصيدةٍ مُفيدةٍ[(1)] طويلةٍ جليلَةٍ[(1)] فَصيحةٍ مَليحَةٍ[(1)]، سرَدها ابنُ الساعى بكَمالِها، ومَن يُشابِهْ أباه فما ظلَم، والشِّبْلُ فى المَخْبَرِ[(2)] مثلُ الأسدِ.

وفيها كانت وقْعةٌ عظيمةٌ بينَ الحلَبيِّين[(3)] وبينَ الخُوارَزْميةِ[(3)]، ومع الخُوارَزْميةِ شِهابُ الدينِ غازى صاحبُ مَيَّافارِقِينَ، فكسَرهم الحلَبيون كسْرةً عظيمةً مُنْكَرةً، وغنِموا [١٠/٣٣ظ] مِن أموالِهم شيئًا كثيرًا جدًّا، ونُهِبَت نَصِيبِينُ مرةً أخرى، وهذه سابعَ عشَرَ مرةً نُهِبَت فى هذه السِّنين، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون. وعاد غازى إلى مَيَّافارِقِينَ، وتفَرَّقَت الخُوارَزْميةُ يَعيثون فى الأرضِ فَسادًا صُحْبَةَ مُقَدَّمِهم بَرَكات خان، لا بارَك اللَّهُ فيه، وقدِم على شهابِ الدينِ غازى مَنْشورٌ بمدينةِ خِلاطَ فتسَلَّمها وما فيها مِن الحَواصِلِ.

---

(١) سقط من: م.
(٢) فى الأصل: «الخير».
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

وفيها عزَم الصالحُ أيوبُ صاحبُ مصرَ على دخولِ الشامِ، فقيل له: إن العساكرَ مُخْتلِفةٌ، فجهَّز عَسْكرًا إليها، وأقام هو بمصرَ يُدبِّرُ مَمْلكتَها.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

المُستَنصِرُ باللَّهِ أميرُ المؤمنين كما تقَدَّم.

والحُرْمَةُ المَصونَةُ الجليلةُ بركاتُ[1] **خاتون بنتُ عِزِّ الدينِ مسعودِ بنِ مَوْدودِ ابنِ زَنْكِى بنِ آقْسُنْقُرَ الأتابَكِيَّةُ**، واقفةُ المدرسةِ الأتابَكِيَّةِ بالصالحِيَّةِ، وكانت زوجةَ السُّلْطانِ الملكِ الأَشْرفِ، رحِمه اللَّهُ، وفى ليلةِ وفاتِها كانت وقَفَت مدرستَها وتربتَها بالجبلِ. قاله أبو شامةَ[2]، ودُفِنَت بها، رحِمها اللَّهُ تعالى وتقَبَّل منها.

---

(١) سقط من: م. وانظر ترجمتها فى: الذيل على الروضتين ص ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٣٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٨٠، وفيهما: «تُرْكان». ولعله الصواب. انظر العبر ٥/ ١٦٤، والدارس ١/ ١٢٩، وأعلام النساء ١/ ١٧١.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٧٢.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] تردَّدَت الرسلُ بينَ الصالحِ أيوبَ صاحبِ مصرَ وبينَ عمِّه الصالحِ إسماعيلَ صاحبِ دمشقَ ، على أن يَرُدَّ إليه ولدَه المُغيثَ عمرَ بنَ الصالحِ أيوبَ المُعْتَقَلَ فى قلعةِ دمشقَ ، وتَسْتَقِرَّ دمشقُ فى يدِ الصالحِ إسماعيلَ ، فوقَع الصلحُ على ذلك ، وخُطِب للصالحِ أيوبَ بدمشقَ ، فخاف الوزيرُ أمينُ الدولةِ أبو الحسنِ غَزَّالٌ المسلمانىُّ ، وزيرُ الصالحِ إسماعيلَ مِن غائلةِ هذا الأمرِ ، فقال لمخدومِه : لا تَرُدَّ هذا الغلامَ إلى أبيه تَخْرُجُ البلادُ مِن يدِك ، هذا خاتَمُ سليمانَ فى يدِك للبلادِ . فعندَ ذلك أبْطَل ما كان وقَع مِن الصُّلْحِ ، ورَدَّ الغلامَ إلى القلعةِ ، وقُطِعَت الخطبةُ للصالحِ أيوبَ ، ووقَعَت الوَحْشةُ بينَ الملكَيْن ، وأرْسَل الصالحُ أيوبُ إلى الخُوارَزْميةِ يَسْتَحْضِرُهم لحصارِ دِمَشقَ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وكانت الخُوارَزْميةُ قد فتَحوا فى هذه السنةِ بلادَ الرومِ ، وأخَذوها مِن أيدى ملكِها ابنِ علاءِ الدينِ ، وكان قليلَ العقلِ يَلْعَبُ بالكلابِ والسِّباعِ ، ويُسَلِّطُها على الناسِ ، فاتَّفَق أنه عضَّه سَبُعٌ فمات ، فتغَلَّبوا على البلادِ حينَئذٍ .

وفيها احْتِيط على أعْوانِ القاضى الرَّفيعِ الجيلىِّ ، وضُرِب بعضُهم بالمَقارِعِ ، وصُودِروا ، ورُسِم على القاضى الرَّفيعِ بالمدرسةِ المُقَدَّميَّةِ داخلَ بابِ الفَراديسِ ، ثم أُخْرِج ليلًا وذُهِب به ، فسُجِن بمَغارةِ أفقه مِن نَواحِى البِقاعِ ، ثم انْقَطَع خبرُه .

---

(١) مرآة الزمان ٧٤١/٨ - ٧٤٤ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٣، ١٧٤، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٧١، ١٧٢، ونهاية الأرب ٣٠٢/٢٩ - ٣٠٤.

وقال أبو شامةَ[(١)] : وذكروا أنه تُوُفِّى لا[(٢)] رحِمه اللَّه تعالى ، ومنهم مَن قال : إنه أُلْقى مِن شاهقٍ . ومنهم مَن قال : خُنِق . وذلك كلُّه بذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ .

وفى يومِ الجمعةِ الخامسِ والعِشْرِينَ منه قُرِئَ مَنْشورُ وِلايةِ القضاءِ بدمشقَ لمحْيِى الدينِ يحيى[(٣)] بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ يحيى القُرَشىِّ ، بالشُّبَّاكِ الكَمالىِّ بالجامعِ . كذا قال الشيخُ شِهابُ الدِّينِ أبو شامةَ[(٤)] .

وزعَم السِّبْطُ[(٥)] أن عزْلَه إنما كان فى السنةِ الآتيةِ ، وذكَر أن سببَ هلاكِه أنه كتَب إلى الملكِ الصالحِ يقولُ له : إنه أوْرَد إلى خِزانتِه مِن الأموالِ ألفَ ألفِ دينارٍ مِن أموالِ الناسِ . فأنْكَر الصالحُ ذلك ، وردَّ عليه الجوابَ أنه لم يَرِدْ سوى ألفِ ألفِ درهمٍ ، فأرْسَل القاضى يقولُ : فأنا أُحاقِقُ الوزيرَ . [١٠/ ٣٤و] وكان الصالحُ لا يُخالِفُ الوزيرَ ، فأشار حينَئذٍ على الصالحِ بعَزْلِه لتَبْرَأَ ساحةُ السلطانِ مِن شَناعاتِ الناسِ ، فعزَله وكان مِن أمرِه ما كان . وفَوَّض أمرَ مَدارسِه إلى الشيخِ تَقىِّ الدينِ بنِ الصَّلاحِ ، فعيَّن العادليةَ للكَمالِ التَّفْلِيسِىِّ ، والعَذْراوِيَّةَ لمحْيِى الدينِ ابنِ الزَّكِىِّ الذى ولِى القضاءَ بعدَه ، والأَمِينِيَّةَ لابنِ عبدِ الكافى ، والشاميةَ البَرَّانيةَ للتَّقِىِّ الحَمَوىِّ ، وتغيَّب القاضى الرَّفيعُ ، وأسْقَط عَدالَةَ شهودِه .

قال السِّبْطُ[(٦)] : أرْسَلَه الأمينُ مع جماعةٍ على بغلٍ بإكافٍ لبعضِ النصارَى

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧٤ .

(٢) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين .

(٣) زيادة من : الأصل . وفى الذيل على الروضتين : « محيى الدين محمد بن على » . وهو خطأ ؛ فمحيى الدين محمدُ بن على هو والد محيى الدين يحيى بن محمد ، وقاضى القضاة فى أيام السلطان الملك الناصر صلاح الدين . انظر الذيل على الروضتين ص ٣١، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٥٨ - ٣٦٠.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧٤.

(٥) مرآة الزمان ٨/ ٧٤٤، ٧٤٥ (القسم الثانى) .

(٦) مرآة الزمان ٨/٧٥٠ (القسم الثانى) .

إلى مَغارةِ أفقه فى جبلِ لُبْنانَ مِن ناحيةِ الساحلِ ، فأقام بها أيامًا ، ثم أرسَل إليه عَدْلَيْن مِن بَعْلَبَكَّ ليَشْهَدا عليه ببيعِ أملاكِه مِن أمينِ الدَّولةِ ، فذكَرا أنَّهما شاهَداه ، وعليه تَخفيفةٌ[1] وقَنْدُورةٌ[2] ، وأنه استَطْعَمهما شيئًا مِن الزَّادِ ، وذكَر أنَّ له ثلاثةَ أيامٍ لم يَأْكُلْ شيئًا ، وأطعماه مِن زوَّادتِهما ، وشهِدَا عليه وانْصَرَفا ، ثم جاء داودُ النَّصْرانىُّ فقال : قُمْ ، فقد أُمِرْنا بحملِك إلى بَعْلَبَكَّ . فأيْقَن بالهَلاكِ حينَئذٍ ، فقال : دَعُونى أُصَلِّى ركعتين . فقال : قُمْ . فَقَام فصلَّى ، فأطالَ الصَّلاةَ ، فرفَسه النَّصْرانىُّ ، فألْقاه مِن رأسِ الجبلِ إلى أسفلِ الوادى الذى هناك ، فما وصَل حتى تقَطَّع ، وحُكِى أنه تعلَّق ذيلُه بسِنِّ الجبلِ ، فما زال داودُ يَرْميه بالحِجارةِ حتى ألْقاه إلى أسفَلِ الوادى ، وذلك عندَ الشَّقِيفِ[3] المُطِلِّ على نهرِ إبراهيمَ .

قال السِّبْطُ[4] : وقد كان فاسدَ العَقيدةِ ، دَهْريًّا مُسْتَهْزِئًا بأمورِ الشرعِ ، يَخْرُجُ إلى المجلسِ سَكْرانَ ، ويَحْضُرُ إلى الجمعةِ كذلك ، وكانت دارُه كالخاناتِ . فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العلىِّ العظيمِ . قال[5] : وأخَذ المُوَفَّقُ الواسِطىُّ أحدُ أُمَنائِه - وكان مِن أكبرِ البَلايا - أخَذ لنفسِه مِن أموالِ الناسِ ستَّمائةِ ألفِ درهمٍ ، فعُوقِب عُقوبةً عظيمةً حتى أُخِذَت منه ، وقد كُسِرَت ساقاه ، ومات تحتَ الضربِ ، فأُلْقِىَ فى مَقابرِ اليهودِ والنصارى ، وأكَلَتْه الكلابُ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ شمسُ الدِّينِ أبو الفُتُوحِ (٦عمرُ بنُ٦) أسعدَ بنِ المُنَجَّى التَّنوخىُّ

(١) التخفيفة : العمامة . انظر الملابس المملوكية ص ٣١ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٥٤ .

(٢) القندورة : من ملابس النساء . تاج العروس (قندر) .

(٣) فى الأصل ، م : « سقيف » . والمثبت من مرآة الزمان . وانظر معجم البلدان ٣/ ٣٠٩.

(٤) مرآة الزمان ٨/ ٧٥٠ (القسم الثانى) .

(٥) المصدر السابق ٨/ ٧٥٠، ٧٥١.

(٦ - ٦) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ص ١٧٣، وسير أعلام النبلاء =

المَعَرِّىُّ الحَنْبلىُّ، قاضى حَرَّانَ قديمًا، ثم قدِم دمشقَ، ودرَّس بالمِسْمارية، وتولَّى خِدَمًا فى الدولةِ المُعَظَّمِيةِ، وكانت له رِوايةٌ عن ابنِ صابرٍ والقاضِيَيْن؛ الشَّهرَزُورِىِّ وابنِ أبى عَصْرونَ، وكانت وفاتُه فى سابعَ عشَرَ[1] ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى، (٢وتوفِّى أخوه العِزُّ بعدَه فى ذى الحجةِ، ودُفِنَ بمدرستِه التى بالجبل رحِمه اللَّهُ تعالى٢).

الشيخُ الحافظُ الصَّالحُ تقىُّ الدِّينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ الأزْهَرِ الصَّريفِينىُّ[3]، كان يَدْرِى الحديثَ، وله به معرفةٌ جيدةٌ، أثْنَى عليه أبو شامةَ، وصُلِّى عليه بجامعِ دمشقَ، ودُفِن بقاسِيونَ، رحِمه اللَّهُ.

واقفُ الكَرَوَّسِيَّةِ محمدُ بنُ عقيلِ بنِ كَرَوَّسَ، جمالُ الدينِ مُحْتَسِبُ دمَشقَ[4]، كان كَيِّسًا مُتواضِعًا، تُوُفِّى بدمشقَ فى شَوَّالٍ، ودُفِن بدارِه التى جعَلها مدرسةً، وله دارُ حديثٍ، رحِمه اللَّهُ تعالى وعفَا عنه.

الملكُ الجَوَادُ يونسُ بنُ مَمْدودِ بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيُّوبَ، الملكُ الجَوَادُ[5]، وكان أبُوه أكبرَ أولادِ العادلِ، تقَلَّبَت به الأحْوالُ، وملَك دمشقَ بعدَ عمِّه الكاملِ محمدِ بنِ العادلِ، وكان فى نفسِه جيدًا مُحِبًّا للصالحين، ولكن

= ٢٣/ ٨٠، والعبر ٥/ ١٧٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٥.

(١) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الذيل على الروضتين، والذيل على طبقات الحنابلة.

(٢ - ٢) سقط من: م. وهو عثمان بن أسعد عز الدين أبو عمر. انظر ترجمته فى: الذيل على الروضتين ص ١٧٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٨٩، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٦، والدارس ٢/ ١١٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٨٩، والوافى بالوفيات ٦/ ١٤١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٧.

(٤) مرآة الزمان ٧٤٣/٨ (القسم الثانى)، والوافى بالوفيات ٩٨/٤.

(٥) مرآة الزمان ٧٤٣/٨ (القسم الثانى)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٨٤، والعبر ٥/ ١٧١، وفوات الوفيات ٤/ ٣٩٦، ومرآة الجنان ٤/ ١٠٤.

كان فى بابِه مَن يَظْلِمُ الناسَ، ويَنْسِبُ ذلك إليه، فأبْغَضَته العامَّةُ، وسبُّوه، وألجَئوه إلى أن قايَض بدمَشْقَ الملكَ الصالحَ أيوبَ بنَ الكاملِ إلى سِنْجارَ وحصنِ كَيْفَا[1]، ثم لم يَحْفَظْهما بل خرَجَتا عن يدِه، ثم [١٠/٣٤ظ] آل به الحالُ إلى أن سجَنه الصالحُ إسماعيلُ بحصنِ عَزَّتا، حتى كانت وفاتُه فى هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى، فنُقِل فى شَوَّالٍ إلى تربةِ المعظَّمِ بسَفْحِ قاسِيونَ، وكان عندَه ابنُ يَغْمورٍ مُعْتَقَلًا، فحوَّله الصالحُ إسماعيلُ إلى قلعةِ دمشقَ، فلمَّا ملكها الصالحُ أيوبُ نقَله إلى الديارِ المصريةِ، وشنَقه مع الأمينِ غَزَّالٍ وزيرِ الصالحِ إسماعيلَ، على قلعةِ القاهرةِ، جَزاءً على صُنْعِهما فى حقِّ الصالحِ أيوبَ، رحِمه اللَّهُ تعالى؛ أما ابنُ يَغْمورٍ فإنه عمِل عليه حتى حوَّل عنه مُلْكَ دمشقَ إلى الصالحِ إسماعيلَ، وأما أمينُ الدولةِ فإنه منَع الصالحَ مِن تسليمِ ولدِه عمرَ إليه، فانْتَقَم منهما بهذا، وهو مَعْذورٌ فى ذلك.

مسعودُ بنُ أحمدَ بنِ مسعودِ بنِ مازَه البخاريُّ[2]، أحدُ الفُقهاءِ الحَنَفيةِ الفُضلاءِ، وله علمٌ بالتفسيرِ وعلمِ الحديثِ، ولديه فضلٌ غزيرٌ، قدِم بغدادَ صُحْبةَ رسولِ التَّتارِ للحجِّ، فحُبس [3]عنده سنتينَ[3]، ثم أُفْرِج عنه، فحجَّ[4] ثم عاد، فمات ببغدادَ فى هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

أبو الحسنِ علىُّ بنُ يحيى بنِ [5]الحسنِ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ[5] محمدِ البِطْريقِ بنِ نصرِ بنِ حَمْدونَ بنِ ثابتٍ الأَسَدىُّ الحِلِّىُّ، ثم الواسطىُّ، ثم

---

(١) فى المصادر: «عانة».
(٢) فى م: «المحاربى». ورد ذكره فى الجواهر المضية ٣/ ٢٨٥.
(٣ - ٣) فى م: «مدة سنين».
(٤) سقط من: الأصل.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل. لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

البغدادىُّ ، الكاتبُ الشاعرُ الشِّيعىُّ ، فَقيهُ الشِّيعةِ ، أقام بدمشقَ مدةً ، وامْتَدَح كثيرًا مِن الأمراءِ والملوكِ ، منهم الكاملُ صاحبُ مصرَ وغيرُه ، ثم عاد إلى بغدادَ ، فكان يَشْغَلُ الشيعةَ فى مذهبِهم ، وكان فاضلًا ذَكِيًّا ، جيدَ النَّظْمِ والنَّثْرِ ، ولكنه مَخْذولٌ مَحْجوبٌ عن الحقِّ . وقد أوْرَد ابنُ الساعى قطعةً جيدةً مِن أشعارِه (١ فى الكاملِ وغيرِه ١) .

(١ - ١) فى م : « الدالة على غزارة مادته فى العلم والذكاء رحمه الله وعفا عنه » .

ثم دخَلَت سنةُ اثنتين وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] اسْتَوْزَر الخليفةُ المُستَعصِمُ باللَّهِ مُؤَيِّدَ الدينِ أبا طالبٍ محمدَ بنَ أحمدَ ابنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ[2] العَلْقَميِّ ؛ المَشْئومَ على نفسِه وعلى أهلِ بغدادَ ، والذى لم يَعْصِمِ المُستَعْصِمَ فى وِزارتِه ؛ فإنه لم يكنْ وزيرَ صِدْقٍ ولا مَرْضِيَّ الطريقةِ ، فإنه الذى أعان على المسلمين فى قضيةِ هُولَاوو[3] وجُنودِه ، قبَّحه اللَّهُ وإياهم ، وقد كان ابنُ العَلْقَميِّ قبلَ هذه الوِزارةِ أُستاذَ دارِ الخلافةِ ، فلما مات نصرُ الدينِ محمدُ بنُ الناقدِ اسْتُوزر ابنُ العَلْقَميِّ ، وجُعِل مكانَه فى الأستاذ داريةِ الشيخُ مُحْيى الدينِ يوسُفَ بنُ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ ، وكان مِن خِيارِ الناسِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وهو واقفُ الجَوْزيةِ التى بالنَّشَّابِين بدمشقَ ، تقَبَّل اللَّهُ منه .

وفيها جُعِل الشيخُ شمسُ الدينِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ النيارِ مُؤَدِّبُ الخَليفةِ شيخَ الشيوخِ ببغدادَ ، وخُلِع عليه ، ووكَّل الخليفةُ عبدَ الوهَّابِ بنَ المُطَهِّرِ وَكالةً مُطْلقةً ، وخلَع عليه .

وفيها كانت وَقْعةٌ عظيمةٌ بيـنَ الخُوارَزْميةِ الذين كان الصالحُ أيوبُ صاحبُ مصرَ قد اسْتَقْدَمهم ليَستَنجِدَ بهم على الصالحِ إسماعيلَ أبى الحسنِ صاحبِ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٤٤ - ٧٥٢ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٤، ونهاية الأرب ٢٩/٣٠٥ - ٣٠٩.

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : «هولاكو» .

دمشقَ، فنزَلوا على غَزَّةَ، وأرْسَل إليهم الصالحُ أيوبُ الأموالَ والخِلَعَ والخيلَ والأقْمشةَ والعساكرَ، فاتَّفق الصالحُ إسماعيلُ والناصرُ داودُ صاحبُ الكَرَكِ، والمنصورُ صاحبُ حِمْصَ مع الفِرنْجِ، واقْتَتلوا مع الخُوارَزْمية قِتالًا شديدًا، فهزَمَتهم الخُوارَزْميةُ كَسْرةً مُنْكَرةً فَظيعةً، هزَمَت الفِرنْجَ بصُلْبانِها وراياتِها العاليةِ على رُءُوسِ أَطْلابِ المسلمين، وكانت كُئوسُ الخمرِ دائرةً بينَ الجيوشِ، فنابَت كئوسُ المَنونِ عن تلك الخمورِ، فقُتِل مِن الفِرنْجِ فى يومٍ واحدٍ زيادةٌ عن ثلاثين ألفًا، وأَسَروا [١٠/٣٥و] جَماعةً مِن ملوكِهم وقُسوسِهم وأساقِفتِهم، وخلقًا مِن أمراءِ المسلمين، وبعَثوا بالأُسارَى إلى الصالحِ أيوبَ بمصرَ، وكان يومَئذٍ يومًا مشهودًا وأمرًا مَحمودًا، وقد قال بعضُ أمراءِ المسلمين: قد علِمْتُ أنَّا لمَّا وقَفْنا تحتَ صُلْبانِ الفِرنْجِ أنا لا نُفْلِحُ. وغنِمَت الخُوارَزْميةُ مِن الفِرنْجِ وممَّن كان معهم شيئًا كثيرًا، وأرْسَل الصالحُ أيوبُ إلى دمشقَ ليُحاصِرَها، فحصَّنها الصالحُ إسماعيلُ، وخرَّب مِن حولِها رِباعًا كثيرةً، وكسَر جسرَ بابِ تُومَا، فكسر النهرَ، فتراجَع الماءُ حتى صار بُحَيْرةً مِن بابِ تُومَاء وبابِ السَّلامةِ، فغرِق جميعُ ما كان بينَهما مِن العُمْرانِ، وافْتَقَر كثيرٌ مِن الناسِ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الملكُ المُغيثُ عمرُ بنُ الصالحِ أيوبَ[1]، كان الصالحُ إسماعيلُ قد أسَره، وسجَنه فى بُرجِ قلعةِ دمشقَ، حينَ أخَذها فى غَيْبةِ الصالحِ أيوبَ، فاجْتَهَد أبوه بكلِّ ممكنٍ فى خَلاصِه فلم يَقْدِرْ، وعارَضه فيه أمينُ الدولةِ غَزَّالٌ المسلمانىُّ، واقفُ المدرسةِ الأَمينيةِ ببَعْلَبَكَّ، فلم يَزَلِ الشابُّ محبوسًا بالقلعةِ

(١) المختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٧٣، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٧٥، والسلوك ١/ ٣١٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥١.

مِن سنةِ ثمانٍ وثلاثين إلى ليلةِ الجمعةِ ثانى عشَرَ ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ، فأصْبَح مَيِّتًا فى مَحْبِسِه غَمًّا وحُزْنًا، ويقالُ: إنه قُتِل. فاللَّهُ أعلمُ. وكان مِن خيارِ أبناءِ الملوكِ، وأحْسنِهم شكلًا، وأكملِهم عقلًا. ودُفِن عندَ جدِّه الكاملِ فى تربتِه شمالىَّ الجامعِ، فاشْتَدَّ حَنَقُ أبيه الصالحِ أيوبَ على صاحبِ دمشقَ.

شيخُ الشيوخِ بدمشقَ، تاجُ الدينِ أبو محمدٍ[1] **عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ**[2] **علىِّ ابنِ**[2] **محمدِ بنِ حَمُّوَيْهِ**، أحدُ الفُضلاءِ المُؤَرِّخِين المُصَنِّفين، له كتابٌ فى ثمانى مُجلداتٍ، ذكَر فيه أصولَ الأشياءِ، وله «السياسةُ المُلوكيةُ» صنَّفها للكاملِ محمدٍ، وغيرُ ذلك، وسمِع الحديثَ وحفِظ القرآنَ، وكان قد بلَغ الثمانين، [3]وقيل: إنه لم يَبْلُغْها، وقد سافَر إلى بلادِ المغربِ فى سنةِ ثلاثٍ وتسعين، واتَّصل[3] بمَرَّاكُشَ عندَ ملكِها المنصورِ يعقوبَ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمنِ، فأقام هناك إلى سنةِ ستِّمائةٍ، فقدِم إلى بلادِ مصرَ، وولِى مَشْيَخَةَ الشيوخِ بعدَ أخيه صدْرِ الدينِ بنِ حَمُّوَيْهِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الوزيرُ نصيرُ[4] **الدينِ أبو الأزْهَرِ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ**[5]

---

(١) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٧٤٨/٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٤، وتكملة إكمال الإكمال ص ٨٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٩٦، ومرآة الجنان ٤/ ١٠٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٠.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر الترجمة.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى م: «نصر». وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٧٤٧/٨ (القسم الثانى)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٨، والوافى بالوفيات ٨/ ٦٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٠. وفى مرآة الزمان والنجوم الزاهرة: «شهاب الدين».

(٥) سقط من: م.

الناقدِ البغداديُّ، وزيرُ المُستَنصِرِ، ثم ابنِه المُستَعصِمِ، كان مِن أبناءِ التجارِ، ثم توَصَّل إلى أن وزَر لهذين الخليفتَيْن، وكان فاضلًا بارعًا حافظًا للقرآنِ، كثيرَ التِّلاوةِ، نشَأ في حُشْمةٍ باذخةٍ، ثم كان في وَجاهةٍ هائلةٍ، وقد أُقْعِد في آخِرِ أمرِه، وهو في ذلك في غايةِ الاحْترامِ والإكْرامِ، وله أشعارٌ حسنةٌ كثيرةٌ، أوْرَد منها ابنُ الساعي قطعةً صالحةً، تُوُفِّي في هذه السنةِ وقد جاوَز الخمسين.

نَقيبُ النُّقباءِ وخطيبُ الخُطباءِ ووَكيلُ الخلفاءِ، أبو طالبٍ الحسينُ بنُ أحمدَ ابنِ عليِّ بنِ أحمدَ[1] **بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الخليفةِ المُهْتَدِي باللَّهِ العباسيِّ**، كان مِن ساداتِ العباسِيِّين وأئمةِ المسلمين، وخُطَباءِ المُؤْمنين، واسْتَمَرَّت أحوالُه على السَّدادِ والصَّلاحِ، ولم يَنْقَطِعْ قطُّ عن الخَطابةِ، ولم يَمْرَضْ قطُّ حتى كانت ليلةُ السبتِ الثاني[2] والعشرين [3]من رجبٍ[3] مِن هذه السنةِ؛ قام في أثْناءِ الليلِ لبعضِ حاجاتِه، فسقَط على أمِّ رأسِه، فسقَط مِن فمِه دمٌ كثيرٌ، وسكَت فلم يَنْطِقْ كلمةً واحدةً يومَه ذلك إلى الليلِ، فمات رحِمه اللَّهُ تعالى، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ.

---

(١) بعده في الأصل: «بن على»، وبعده في م: «بن معين». والمثبت كما في الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٣٨.

(٢) في م: «الثامن».

(٣ - ٣) سقط من: م.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وأربعين وستّمائةٍ[1]

وهى سَنَةُ الخُوارَزْمية ؛ وذلك أن الصالحَ أيوبَ بنَ الكاملِ صاحبَ مصرَ بعَث الخُوارَزْمية ، ومعهم مَلِكُهم [١٠/٣٥ظ] بَرَكاتُ خان[2] فى صُحْبةِ مُعِينِ الدينِ بنِ الشيخِ ، فأحاطوا بدمشقَ يُحاصِرون عمَّه الصالحَ إسماعيلَ أبا الجَيْشِ صاحبَ دمشقَ ، وأُحْرِق قصرُ حَجّاجٍ ، وحِكْرُ السُّمَّاقِ ، وجامعُ جَرَّاحٍ خارجَ بابِ الصغيرِ ، ومساجدُ كثيرةٌ ، ونُصِب المَنْجَنيقُ عندَ بابِ الصغيرِ وعندَ بابِ الجابيةِ ، ونُصِبَتْ داخلَ البلدِ مَنْجَنيقاتٌ[3] أيضًا ، وتَرَامَى الفريقان ، وأرْسَل الصالحُ إسماعيلُ إلى الأميرِ مُعِينِ الدينِ بنِ الشيخِ بسَجَّادةٍ وعُكَّازٍ وإبْرِيقٍ ، وأرْسَل يقولُ : اشْتِغالُك بهذا أوْلَى مِن اشتغالِك بمُحاصَرةِ الملوكِ . فأرْسَل إليه المُعِينُ بزَمْرٍ وجَنْكٍ وغُلالةِ حريرٍ أحمرَ وأصفرَ ، وأرْسَل يقولُ له : أما السَّجَّادةُ فإنها تَصْلُحُ لى ، وأما أنت فهذا أولى بك . ثم أصْبَح ابنُ الشيخِ ، فاشْتَدَّ الحِصارُ بدمشقَ ، وأرْسَل الصالحُ إسماعيلُ ، فأُحْرِق جَوْسَقَ والدِه العادلِ ، وامْتَدَّ[4] الحَرِيقُ فى زُقاقِ الرُّمَّانِ إلى العُقَيْبَةِ فاحْتَرَقَتْ بأسْرِها ، وقُطِعَت الأنهارُ ، وغلَت الأسعارُ ، وأُخِيفَت الطرقُ ، وجرَى بدمشقَ أمورٌ شنيعةٌ بَشِعةٌ جدًّا ، لم تتِمَّ عليها

---

(١) مرآة الزمان ٧٥٢/٨ - ٧٥٥ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٥ - ١٧٨، ونهاية الأرب ٣١٠/٢٩ - ٣١٨، والعبر ١٧٣/٥، ١٧٤.

(٢) فى مرآة الزمان ونهاية الأرب : « بركة خان » . ولم يُذكر فى المصدرين الآخرين .

(٣) فى الأصل ، م : « منجنيقان » . والمثبت من الدارس ٢٨٢/٢ نقلا عن المصنف .

(٤) فى الأصل : « اشتد » .

قطٌّ ، وامْتَدَّ الحِصارُ شهورًا مِن هذه السنةِ إلى جمادى الأولى ، فأرْسَل أمينُ الدولةِ يَطْلُبُ مِن ابنِ الشيخِ شيئًا مِن ملابسِه ، فأرْسَل إليه بفَرَجيَّةٍ وعِمامةٍ وقَميصٍ ومِنْديلٍ ، فلبِس ذلك الأمينُ ، وخرَج إلى مُعينِ الدينِ ، فاجْتَمَع به بعدَ العِشاءِ طويلًا ، ثم عاد ، ثم خرَج مرةً أخرى ، فاتَّفَق الحالُ على أن يَخْرُجَ الصالحُ إسماعيلُ إلى بَعْلَبَكَّ ، ويُسَلِّمَ دمشقَ إلى الصالحِ أيوبَ[1] ، ودخَل مُعِينُ الدينِ بنُ الشيخِ ، فنزَل فى دارِ أسامةَ ، فولَّى وعزَل ، وقطَع ووصَل ، وفوَّض قَضاءَ القُضاةِ إلى صدرِ الدينِ بنِ سَنِىِّ الدولةِ ، وعزَل القاضىَ مُحْيِى الدينِ بنَ الزَّكىِّ ، واسْتَناب ابنَ سَنِىِّ الدولةِ التَّفْليسِىَّ الذى ناب لابنِ الزَّكِىِّ ، والعزيزَ[2] السِّنْجارىَّ ، وأرْسَل مُعِينُ الدينِ بنُ الشيخِ أمينَ الدولةِ غَزَّالَ بنَ المسلمانىِّ وزيرَ الصالحِ إسماعيلَ تحتَ الحَوْطةِ إلى الديارِ المصريةِ .

وأما الخُوارَزْمِيةُ فإنهم لم يَكُونوا حاضِرين وقتَ الصُّلْحِ ، فلما علِموا بوُقوعِ الصلحِ غضِبوا وساروا نحوَ دارَيَّا ، فنهَبوها وساروا نحوَ بلادِ الشرقِ ، وكاتَبوا الصالحَ إسماعيلَ فحالَفوه على الصالحِ أيوبَ ، ففرِح بذلك ، ونقَض الصلحَ الذى كان وقَع منه ، وعادت الخُوارَزْمِيةُ فحاصَروا دمشقَ ، وجاء إليهم الصالحُ إسماعيلُ مِن بَعْلَبَكَّ ، فضاق الحالُ على الدَّماشِقَةِ ، فعُدِمَت الأقْواتُ[3] ، وغلَت الأسْعارُ جدًّا ، حتى إنه بلَغ ثمنُ الغِرارةِ[4] ألفًا وستَّمائةٍ ، وقِنْطارِ الدقيقِ بسبعِمائةٍ[5] ، والخبزُ كلُّ وُقِيَّتَيْن إلا ربعًا بدرهمٍ ، ورَطْلُ اللحمِ بسبعةٍ ، وأُبِيعَتِ

---

(١) بعده فى م : « فاستبشر الناس بذلك ، وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبك » .

(٢) فى الأصل : « الغرز » ، وفى م : « الفرز » . والمثبت من مرآة الزمان .

(٣) فى م : « الأموال » .

(٤) الغرارة : وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه . الوسيط (غ ر ر) .

(٥) فى م : « تسعمائة » ، وفى مرآة الزمان : « ستمائة » .

الأمْلاكُ بالدقيقِ ، وأُكِلَت القِطاطُ والكِلابُ والمَيْتاتُ والجِيَفُ ، وتَماوَت الناسُ فى الطرقاتِ ، وعجَزوا عن الغَسلِ والتَّكْفينِ (١والإقْبارِ١) ، فكانوا يُلْقُون مَوْتاهم فى الآبارِ ، حتى أنْتَنَت المدينةُ وضجِر الناسُ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفى هذه الأيامِ تُوُفِّى الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ الصلاحِ[٢] ، شيخُ دارِ الحديثِ وغيرِها مِن المدارسِ ، فما أُخرِج مِن بابِ الفَرَجِ فدُفِن بالصوفيةِ إلَّا بالجَهدِ الجَهيدِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال السِّبْطُ[٣] : ومع هذا كانت الخُمورُ دائرةً والفِسْقُ ظاهرًا ، والمُكوسُ بحالِها .

وذكَر الشيخُ شِهابُ الدينِ[٤] أن الأسْعارَ غلَت فى هذه السنةِ جدًّا ، وهلَك الصَّعاليكُ بالطرقاتِ ؛ كانوا [١٠/٣٦و] يَسْأَلون لُقْمةً ، ثم صاروا يَسْأَلون لُبابةً ، ثم تنازَلوا إلى فَلْسٍ يَشْتَرون به نُخالةً[٥] يَبُلُّونها ويَأْكُلونها كالدَّجاجِ . قال : وأنا شاهَدْتُ ذلك . وذكَر تَفاصيلَ الأسْعارِ وغَلاءَها فى الأطْعمةِ وغيرِها ، ثم زال هذا كلُّه فى آخرِ السنةِ بعدَ عيدِ الأضْحَى ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ولما بلَغ الصالحَ أيوبَ أن الخُوارَزْمية قد مالئُوا عليه ، وصالَحوا عمَّه الصالحَ إسماعيلَ ، كاتَب الملكَ المنصورَ إبراهيمَ بنَ أسدِ الدينِ شِيرْكُوه صاحبَ حمصَ ، فاسْتَماله إليه ، وقوِى جانبُ نائبِ دمشقَ مُعِينِ الدينِ حسنِ[٦] بنِ الشيخِ ، ولكنه

(١ - ١) فى الأصل : « ولا مقابر » .

(٢) ستأتى ترجمته فى صفحة ٢٨١ .

(٣) مرآة الزمان ٢/٧٥٤ (القسم الثانى) .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧٨.

(٥) النخالة : ما بقى من الشىء بعد نخله . الوسيط (ن خ ل) .

(٦) فى الأصل ، م : « حسين » . والمثبت من مرآة الزمان والعبر . وهو حسن بن محمد بن عمر بن حمويه . وسيأتى اسمه على الصواب فى ترجمته فى صفحة ٢٨٦.

تُوُفِّى فى رمضانَ مِن هذه السنةِ كما سيأتى بيانُه فى الوَفَياتِ .

ولما رجَع المنصورُ صاحبُ حمصَ عن مُوالاةِ الصالحِ إسماعيلَ ، شرَع فى جمعِ الجيوشِ مِن الحلَبِيِّين والتُّرْكمانِ والأعْرابِ لاسْتِنْقاذِ دمشقَ مِن الخُوارَزْمِيةِ ، وحِصارِهم إياها ، فبلَغ ذلك الخُوارَزْميةَ فخافوا مِن ذلك وغائِلَتِه ، وقالوا : دمشقُ ما تَفوتُ ، والمصلحةُ قِتالُه عندَ بلدِه . فساروا إليه عندَ بُحَيْرةِ حمصَ ، وأرْسَل الناصرُ داودُ جيشَه إلى الصالحِ إسماعيلَ مع الخُوارَزْميةِ ، وساق جيشُ دمشقَ فانْضافوا إلى صاحبِ حمصَ ، والتَقَوْا مع الخُوارَزْميةِ عندَ بُحَيْرةِ حمصَ ، وكان يومًا مشهودًا ، قُتِل فيه عامَّةُ الخُوارَزْميةِ ، وقُتِل ملكُهم بَرَكاتُ خان ، وجِئَ برأسِه على رُمْحٍ ، فتفرَّق شَمْلُهم ، وتمزَّقوا شَذَرَ مَذَرَ ، وساق المنصورُ صاحبُ حمصَ إلى بَعْلَبَكَّ ، فتسلَّمها الصالحُ أيوبُ ، وجاء إلى دمشقَ ، فنزَل ببُسْتانِ سامةَ[1] خدمةً للصالحِ أيوبَ ، ثم حدَّثَته نفسُه بأخذِها ، فاتَّفَق مرضُه ، فمات رحِمه اللَّهُ فى السنةِ الآتيةِ ، ونُقِل إلى حمصَ ، فكانت مدةُ ملكِه لها بعدَ أبيه عشْرَ[2] سنين ، وقام مِن بعدِه فيها ابنُه الملكُ الأشرفُ مدةَ سنتين ، ثم أُخِذَت منه على ما سيأتى ، وتسَلَّم نُوَّابُ الصالحِ أيوبَ بَعْلَبَكَّ وبُصْرَى ، ولم يَبْقَ بيدِ الصالحِ إسماعيلَ بلدٌ يَأْوِى إليه ولا أهلٌ ولا ولدٌ ولا مالٌ ، بل أُخِذَ جميعُ مالِه ، ونُقِلَت عِيالُه تحتَ الحَوْطةِ إلى الديارِ المصريةِ ، وسار هو فاسْتَجار بالملكِ الناصرِ بنِ العزيزِ بنِ الظاهرِ غازى صاحبِ حلَبَ ، فآواه وأكْرَمه واحْتَرمه ، وقال الأتابَكُ لؤلؤٌ الحلَبِىُّ لابنِ أُستاذِه الناصرِ ، وكان شابًّا صغيرًا : انْظُرْ إلى عاقبةِ الظلمِ . وأما الخُوارَزْميةُ فإنهم

---

(١) كذا فى الأصل، م . وفى مرآة الزمان ونهاية الأرب : «أسامة» .

(٢) فى نهاية الأرب أنها كانت ست سنين وسبعة أشهر . ولم يتعرض لذكر ذلك فى ذيل الروضتين والعبر .

ساروا إلى ناحيةِ الكَرَكِ ، فأكرَمهم الناصرُ داودُ صاحبُها ، وأحْسَن إليهم ، وصاهَرهم وأنْزَلهم بالصَّلْتِ ، فأخَذوا معها نابُلُسَ ، فأرْسَل إليهم الملكُ الصالحُ أيوبُ جيشًا مع فخرِ الدينِ بنِ الشيخِ ، فكسَرهم على الصَّلْتِ وأجْلاهم عن تلك البلادِ ، وحاصَر النَّاصرَ بالكَرَكِ ، وأهانه غايةَ الإهانةِ ، وقدِم الملكُ الصالحُ نَجْمُ الدينِ أيوبُ مِن الديارِ المصريةِ ، فدخَل دمشقَ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، وأحْسَن إلى أهلِها ، وتصَدَّق على الفُقراءِ والمَساكِينِ ، وسار إلى بَعْلَبَكَّ وإلى بُصْرَى ، وإلى صَرْخَدَ فتسَلَّمها مِن صاحبِها عزِّ الدينِ أيْبَكَ المُعَظَّمىِّ ، وعوَّضه عنها ، ثم عاد إلى مصرَ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا . وهذا كلُّه فى السنةِ الآتيةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفى هذه السنةِ كانت وَقْعةٌ عظيمةٌ بينَ جيشِ الخليفةِ وبينَ التَّتارِ ، لعَنهم اللَّهُ ، فكسَرهم المسلمون كَسْرةً عظيمةً ، وفرَّقوا شَمْلَهم ، وهَرَبوا مِن بين أيديهم ، فلم يَلْحَقوهم ، ولم يَتْبَعوهم خوفًا مِن غائلةِ مَكْرِهم ، وعملًا بقولِه ﷺ[1] : « اتْرُكوا التُّركَ ما ترَكوكم » .

وفى هذه السنةِ ظهَر ببلادِ خُوزِسْتانَ ، على شِقِّ جبلٍ داخلَه ، مِن الأبْنيةِ الغَريبةِ العَجيبةِ ما يَحارُ فيه الناظرُ ، [١٠/٣٦ظ] وقد قيل : إن ذلك مِن بناءِ الجِنِّ ، وأوْرَد صفتَه ابنُ الساعى فى « تاريخِه » .

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

الشيخُ تَقِىُّ الدينِ بنُ الصَّلاحِ عثمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عثمانَ[2] ، الشيخُ

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ١٦٤.

(٢) مرآة الزمان ٨/٧٥٧ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٣، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٠، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٢٦، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٣٧٧.

الإمامُ العَلَّامةُ، مُفْتى الشامِ ومُحَدِّثُه، تقيُّ الدينِ أبو عمرِو بنُ الصلاحِ، الشَّهْرَزُورىُّ ثم الدمشقىُّ، سمِع الحديثَ ببلادِ الشرقِ، وتفَقَّه هنالك بالموصلِ وحلَبَ وغيرِهما، وكان أبوه مُدَرِّسًا بالأَسَدِيةِ التى بحلبَ، وواقِفُها أسدُ الدينِ شِيرْكوه بنُ شاذى، وقدِم الشامَ، وهو فى عِدادِ الفُضلاءِ الكِبارِ، وأقام بالقدسِ الشريفِ مدةً، ودرَّس بالصَّلاحيةِ، ثم تحَوَّل منه إلى دمشقَ، ودرَّس بالرَّواحيةِ ثم بالشاميَّةِ الجَوَّانيةِ، ثم بدارِ الحديثِ الأشرفيةِ، وهو أولُ مَن ولِيَها مِن شيوخِ الحديثِ، وهو الذى صنَّف كتابَ وقْفِها، وقد صنَّف كتبًا كثيرةً مُفيدةً فى علومِ الحديثِ وفى الفقهِ، وتَعاليقَ حسنةً على «الوَسيطِ» وغيرِه مِن الفوائدِ التى يُرْحَلُ إليها. وكان دَيِّنًا زاهدًا وَرِعًا ناسِكًا، على طريقةِ السَّلَفِ الصالحِ، كما هى طريقةُ مُتَأَخِّرِى أكثرِ المُحَدِّثين، مع الفَضيلةِ التامَّةِ فى فُنونٍ كثيرةٍ، ولم يَزَلْ على طريقةٍ جيدةٍ حتى كانت وفاتُه بمنزلِه فى دارِ الحديثِ الأشْرفيةِ، فى ليلةِ الأربعاءِ الخامسِ والعشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ مِن سنةِ ثلاثٍ وأربعين وستِّمائةٍ، وصُلِّى عليه بجامعِ دمشقَ، وشيَّعه الناسُ إلى داخلِ بابِ الفرجِ، ولم يُمْكِنْهم البُروزُ لظاهرِه لحِصارِ الخُوارَزْميةِ، وما صحِبه إلى جَبَّانةِ الصوفيةِ إلا نحوُ العشَرةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى وتغَمَّده برَحْمتِه. وقد أثْنَى عليه القاضى شمسُ الدينِ بنُ خَلِّكانَ، وكان مِن شيوخِه. قال السِّبْطُ[1]: أنْشَدنى الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ الصلاحِ مِن لفظِه، رحِمه اللَّهُ:

احْذَرْ مِن الواواتِ أر ... بعةً فهنَّ من الحُتوفْ
واوَ الوصيةِ والوَدِيـ ... ـعةِ والوَكالةِ والوُقوفْ

(١) مرآة الزمان ٧٥٨/٨ (القسم الثانى).

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ عنه أنه قال[1] : أُلْهِمْتُ فى المَنامِ هؤلاء الكَلماتِ ؛ ادْفَعِ المسألةَ ما وجَدْتَ التَّجمُّلَ[2] يُمْكِنُك ، فإن لكلِّ يومٍ رزقًا جديدًا ، والإلحاحُ فى الطلبِ يُذْهِبُ البهاءَ ، (3)وما أقربَ الصَّنيعَ من الملْهوفِ(3) ، وربما كانت الغِيَرُ[4] نوعًا مِن آدابِ اللَّهِ تعالى ، والحُظوظُ مَراتبُ فلا تَعْجَلْ على ثمرةٍ قبلَ أن تُدْرِكَ ، فإنك ستنالُها فى أوانِها ، (5)ولا تَعْجَلْ فى حَوائجِك فتَضِيقَ بها ذَرْعًا ، ويَغْشاك القُنوطُ(5) .

ابنُ النَّجّارِ الحافظُ صاحبُ « التاريخِ » : محمدُ بنُ محمودِ بنِ الحسنِ بنِ هِبةِ اللَّهِ بنِ مَحاسِنَ بنِ النَّجّارِ ، أبو عبدِ اللَّهِ البغداديُّ[6] ، الحافظُ الكبيرُ ، سمِعَ الكثيرَ ، ورحَل شرقًا وغربًا ، وُلِد سنةَ ثمانٍ[7] وسبعين وخمسِمائةٍ ، وشرَع فى كتابِه « التاريخِ » وعمرُه خمسَ عشْرةَ سنةً ، وقرَأ الأدبَ والنحوَ والقِراءاتِ ، وقرَأ بنفسِه على المَشايخِ كثيرًا ، حتى حصَّل نحوًا مِن ثلاثةِ آلافِ شيخٍ ، مِن ذلك نحوٌ مِن أربعِمائةِ امرأةٍ ، وتغرَّب ثمانيًا وعشرين سنةً ، ثم عاد إلى بغدادَ وقد جمَع أشياءَ كثيرةً ، مِن ذلك « القمرُ المُنيرُ فى المُسْنَدِ الكبيرِ » ، يَذْكُرُ لكلِّ صحابىٍّ ما روَى ، و« كَنْزُ الأيامِ فى معرفةِ السننِ والأحْكامِ » ، و« المُخْتَلِفُ والمُؤْتَلِفُ » ، و« السابقُ واللاحقُ » ، و« المُتَّفِقُ والمُفْتَرِقُ » ، وكتابُ « الألقابِ » ، و« نَهْجُ

---

(1) وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٥.

(2) فى الأصل ، م : « التحمل » . والمثبت من الوفيات .

(3 - 3) فى الوفيات : « وما أحسن الصنيع إلى الملهوف » .

(4) الغير : غِيَرَ الدهر : أحواله وأحداثه المتغيرة . الوسيط (غ ب ر) .

(5 - 5) سقط من : الأصل .

(6) معجم الأدباء ١٩/ ٤٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٣١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٨، والوافى بالوفيات ٥/ ٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٩٨.

(7) فى م : « ثلاث » .

الإصابةِ فى معرفةِ الصحابةِ » ، و « الكمالُ[1] فى أسماءِ الرجالِ » ، وغيرُ ذلك مما لم يَتِمَّ أكثرُه ، وله كتابُ « الذَّيْلِ على تاريخِ مدينةِ السلامِ » ، فى ستةَ عشَرَ مجلدًا كاملًا ، وله فى أخبارِ مكةَ والمدينةِ وبيتِ المقدسِ ، و « غُررُ الفَوائدِ » فى خمسِ مجلداتٍ[2] ، [٣٧/١٠و] وأشياءُ كثيرةٌ جدًّا ، سرَدَها ابنُ الساعى فى ترجمتِه ، وذكَر أنه لما عاد إلى بغدادَ عُرِض عليه الإقامةُ فى المدارسِ ، فقال : معى ما أَسْتَغْنِى به . فاشْتَرَى جاريةً ، وأَوْلَدَها ولدًا ، وأقام بُرْهةً يُنْفِقُ على نفسِه مِن كسبِه ، ثم احْتاج إلى أن نزَل مُحَدِّثًا فى جماعةِ المُحَدِّثِين بالمدرسةِ المُسْتَنْصِريةِ حينَ وُضِعَت ، ثم مرِض مدةَ شهرين ، وأَوْصَى إلى ابنِ الساعى فى أمرِ تَرِكتِه ، وكانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ الخامسَ مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ ، وله مِن العمرِ خمسٌ وسبعون سنةً ، وصُلِّى عليه بالمدرسةِ النِّظاميةِ ، وشهِد جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ ، وكان يُنادَى حولَ جِنازتِه : هذا حافظُ حديثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، الذى يَنْفِى الكذبَ[3] عنه . ولم يَتْرُكْ وارثًا ، وكانت تَرِكتُه عشرين دينارًا وثيابَ بدنِه ، وأَوْصَى أن يُتَصَدَّقَ بها ، وأَوْقَف خِزانتَيْن مِن الكتبِ بالنِّظاميةِ تُساوِى ألفَ دينارٍ ، فأَمْضَى ذلك الخليفةُ المُسْتَعْصِمُ ، وقد أَثْنَى عليه الناسُ ، ورَثَوْه بمَراثٍ كثيرةٍ ، سرَدَها ابنُ الساعى فى آخرِ ترجمتِه .

الحافظُ ضِياءُ الدينِ المَقْدِسىُّ [4]صاحبُ « الأَحْكامِ »[4] : محمدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمنِ المقدسىُّ[5] ، سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وكتَب

---

(١) فى م : « الكافى » .

(٢) فى مصادر ترجمته : « ست مجلدات » .

(٣) فى الأصل : « الكدر » .

(٤ - ٤) فى م : « ابن الحافظ » .

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٧ - ذكره ولم يترجم له - وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٥، والوافى بالوفيات ٤/ ٦٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٦.

كثيرًا ، ورحَل وطاف وجمَع وصنَّف وألَّف كتبًا مُفيدةً حسنةً كثيرةَ الفَوائدِ ، مِن ذلك كتابُ « الأحكامِ » ولم يُتِمَّه ، وكتابُ « المُخْتارَةِ » وفيه علومٌ حسنةٌ حَديثيةٌ ، وهى أجْودُ من « مُسْتَدْرَكِ الحاكمِ » لو كمَل ، وله « فَضائلُ الأعمالِ » ، وغيرُ ذلك مِن الكتبِ الحسنةِ الدالةِ على حفظِه واطِّلاعِه وتضَلُّعِه مِن علمِ الحديثِ مَتْنًا وإسنادًا . وكان رحِمه اللَّهُ تعالى فى غايةِ العِبادةِ والزَّهادةِ والوَرَعِ والخيرِ ، وقد وقَف كتبًا كثيرةً عظيمةً بخطِّه لخزانةِ المدرسةِ الضِّيائيةِ التى وقَفها على أصحابِهم مِن أهلِ الحديثِ والفُقهاءِ ، وقد وُقِفَت عليها أوقافٌ أُخَرُ كثيرةٌ بعدَ ذلك .

الشيخُ علَمُ الدينِ أبو الحسنِ السَّخاوىُّ ، علىُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ ابنِ عبدِ الأحدِ بنِ عبدِ الغالبِ الهَمْدانىُّ المِصرىُّ ثم الدمشقىُّ(١) ، شيخُ القُرّاءِ بدمشقَ ، ختَم عليه ألوفٌ مِن الناسِ ، وكان قد قرَأ على الشاطبىِّ ، وشرَح قصيدتَه ، وله شرحُ « المُفَصَّلِ » وله تَفسيرٌ وتَصانيفُ كثيرةٌ ، ومَدائحُ فى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان له حلْقةٌ بجامعِ دمشقَ ، وولِى مَشْيخةَ الإقْراءِ بتربةِ أمِّ الصالحِ ، وبها كان مَسْكنُه ، وبه تُوُفِّى ليلةَ الأحدِ ثانى عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ ، ودُفِن بقاسِيونَ . وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ(٢) أن مولدَه فى سنةِ ثمانٍ وخمسين وخمسِمائةٍ ، وذكَر مِن شعرِه قولَه :

قالوا غدًا نَأْتِى ديارَ الحِمَى ... ويَنْزِلُ الرَّكْبُ بمغناهمُ
وكلُّ مَن كان مُطيعًا لهمْ ... أصْبَح مَسْرورًا بلُقْياهمُ

---

(١) معجم الأدباء ١٥/ ٦٥، ومرآة الزمان ٨/٧٥٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣١٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٩٧، وغاية النهاية فى طبقات القراء ١/ ٥٦٨، وبغية الوعاة ٢/ ٣١١.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٤١.

قلتُ فلى ذنبٌ فما حِيلتى ... بِأىِّ وجْهٍ أتَلَقَّاهمُ

قالوا أليس العفوُ مِن شأنِهمْ ... لاسِيَّما عمَّن تَرَجَّاهمُ

ربيعةُ خاتون[(1] **واقفةُ الصاحبةِ بقاسِيونَ : ربيعةُ خاتون**[1)] **بنتُ أيوبَ أختُ السلطانِ صلاحِ الدينِ** ، زوَّجها أخوها أولًا بالأميرِ سعدِ الدينِ مسعودِ بنِ مُعينِ الدينِ أُنَرَ ، وتزوَّج هو بأختِه عِصْمةِ الدينِ خاتون ، التى كانت زوجةَ الملكِ نُورِ الدينِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، واقفةَ الخاتونيةِ الجوَّانيةِ والخانْقاه ، ثم لما مات الأميرُ سعدُ الدينِ زوَّجها مِن الملكِ مُظَفَّرِ الدينِ صاحبِ إرْبِلَ ، فأقامت عندَه بإرْبِلَ أزْيَدَ مِن أربعين سنةً حتى مات ، ثم قدِمَت دمشقَ ، فسَكَنَت فى دارِ العَقيقىِّ حتى كانت وفاتُها فى هذه السنةِ وقد جاوَزَت الثمانين ، ودُفِنَت بقاسِيونَ ، وكانت فى خدمتِها الشيخةُ الصالحةُ العالمةُ أَمَةُ اللَّطيفِ بنتُ الناصحِ الحنبلىِّ ، [١٠/٣٧ظ] وكانت فاضلةً ، ولها تَصانيفُ ، وهى التى أرْشَدَتها إلى وَقْفِ المدرسةِ الصاحبةِ بسفحِ قاسِيونَ على الحَنابلةِ ، وأوقَفَت أَمَةُ اللطيفِ على الحَنابلةِ مدرسةً أخرى ، وهى الآن شرقىَّ الرِّباطِ الناصرىِّ ، ثم لما ماتت الخاتونُ وقَعَت العالمةُ فى المُصادَراتِ ، وحُبِسَت مدةً ثم أُفْرِج عنها ، وتزوَّجها الأشْرَفُ صاحبُ حِمْصَ ، وسافَرَت معه إلى الرَّحْبةِ وتَلِّ باشرٍ[(2)] ، ثم تُوُفِّيَت فى سنةِ ثلاثٍ وخمسين ، ووُجِد لها بدمشقَ ذَخائرُ كثيرةٌ وجَواهرُ نَفيسةٌ ، تُقارِبُ ستَّمائةِ ألفِ درهمٍ ، غيرَ الأمْلاكِ والأوْقافِ .

مُعِينُ الدينِ الحسنُ بنُ شيخِ الشيوخِ[(3)] ، وزيرُ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ ،

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمتها فى مرآة الزمان ٨/٧٥٦ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٧، ووفيات الأعيان ٤/ ١٢٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣١٧، والوافى بالوفيات ١٤/ ٩٧.

(٢) فى م : «راشد» . وتل باشر : قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمالى حلب . معجم البلدان ١/ ٨٦٤.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٧، ومرآة الزمان ٨/٧٥٥ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب =

أرْسَله إلى دمشقَ ، فحاصَرها مع الخُوارَزْمِيةِ أولَ مرةٍ حتى أخَذها مِن يدِ الصالحِ إسماعيلَ ، وأقام بها نائبًا مِن جهةِ الصالحِ أيوبَ ، ثم تمالأ الخُوارَزْميةُ مع الصالحِ إسماعيلَ عليه ، فحصَروه بدمشقَ ، ثم كانت وفاتُه في العشْرِ الأخيرِ مِن رمضانِ هذه السنةِ ، عن ستٍّ وخمسين سنةً ، وكانت مدةُ ولايتِه بدمشقَ أربعةَ أشهرٍ ونصفًا ، وصُلِّى عليه بجامعِ دمشقَ ، ودُفِن بقاسِيونَ إلى جانبِ أخيه عِمادِ الدينِ .

وفيها كانت وفاةُ **واقفِ القِلِيجيةِ الحنَفيةِ**[1] ، **وهو الأميرُ سيفُ الدينِ بنُ قِلِيج** ، ودُفِن بتربتِه التى بمدرستِه المذكورةِ ، التى كانت سكنَه بدارِ فلوْسٍ ، تقَبَّل اللَّهُ تعالى منه .

وخَطيبُ الجبلِ شرَفُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ الشيخِ أبى عمرَ[2] ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

والسيفُ أحمدُ بنُ عيسى بنِ الإمامِ مُوَفَّقِ الدينِ بنِ قُدامةَ[3] .

وفيها **تُوُفِّى** إمامُ الكَلَّاسةِ الشيخُ **تاجُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ أبى جعفرٍ**[4] ، مُسْنِدُ وقتِه ، وشيخُ الحديثِ فى زمانِه رِوايةً وصَلاحًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

والمحَدِّثان الكبيران الحافظان المُفِيدان **شَرَفُ الدينِ أحمدُ بنُ الجَوْهرىِّ** ، **وتاجُ الدينِ عبدُ الجَليلِ الأَبْهَرىُّ**[5] .

= ٢٩/ ٣١٤، والعبر ٥/ ١٧٥، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٤٦.

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧٧، والوافى بالوفيات ٢١/ ٣٩٤.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٧٧، والعبر ٥/ ١٧٦، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٤.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١١٨، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٤٦، ومرآة الجنان ٤/ ١٠٨، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٧٣، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤١.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧٦، والعبر ٥/ ١٧٩.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٥.

ثم دخَلت سنةُ أربعٍ وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] كسَر المنصورُ الخُوارَزْمية عندَ بُحَيْرةِ حِمْصَ ، واسْتَقَرَّت يدُ نُوَّابِ الصالحِ أيوبَ على دمشقَ وبَعْلَبَكَّ وبُصْرَى ، ثم فى جُمادَى الآخِرةِ كسَر فخرُ الدينِ بنُ الشيخِ الخُوارَزْمية على الصَّلْتِ كَسْرةً ، فرَّق بقيةَ[2] شَمْلِهم ، ثم حاصَر الناصرَ بالكَرَكِ ، ورجَع عنه إلى دمشقَ .

وقدِم الصالحُ أيوبُ إلى دمشقَ فى ذى القَعْدةِ ، فأحْسَن إلى أهلِها ، وتسَلَّم هذه المدنَ ، وانْتَزَع صَرْخَدَ مِن يد عِزِّ الدينِ أيْبَك ، وعوَّضه عنها ، وأخَذ الصَّلْتَ مِن الناصرِ داودَ بنِ المُعَظَّم ، وأخَذ حصنَ الصُّبَيْبَةِ من السعيدِ بنِ العزيزِ بنِ العادلِ ، وعظُم شأنُه جدًّا ، وزار فى رُجوعِه بيتَ المقدسِ ، وتفَقَّد أحوالَه ، وأمَر بإعادةِ أسْوارِه أن تُعَمَّرَ كما كانت فى الدولةِ الناصريةِ ، [3]فاتحِ القدسِ[3] ، وأن يُصْرَفَ الخَراجُ وما يَتَحَصَّلُ مِن غَلَّاتِ بيتِ المقدسِ فى ذلك ، وإن عاز شيئًا صرَفه مِن عندِه .

وفيها قدِمتِ الرسلُ مِن عندِ البابا الذى للنصارى تُخْبِرُ بأنه قد أباح دمَ الأنبرورِ ملِكِ الفِرنجِ ؛ لتَهاوُنِه فى قتالِ المسلمين ، وأرْسَل طائفةً مِن عندِه ليَقْتُلوه ، فلما انْتَهَوْا إليه كان قد اسْتَعَدَّ لهم ، وأجْلَس مَمْلوكًا له على السَّريرِ ، فاعْتَقدوه

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٦٠ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣١٩، والعبر ٥/ ١٨١، ١٨٢.

(٢) فى الأصل : « عليه » .

(٣ - ٣) كذا فى الأصل ، م ، ويعنى المصنف بالدولة الناصرية الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف .

الملكَ فقتَلوه ، فعندَ ذلك أخَذهم الأنبِرورُ فصلَبهم على بابِ قَصْرِه بعدَ ما ذبَحَهم وسلَخهم وحشَا جلودَهم تِبْنًا ، فلما بلَغ ذلك البابا أرْسَل إليه جيشًا كثيفًا لقتالِه ، فأوْقَع اللَّهُ تعالى بينهم الخلافَ بسببِ ذلك ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنةُ ، وبه التوفيقُ والعِصْمةُ .

وفيها[1] هبَّت ريحٌ عاصفةٌ شديدةٌ بمكةَ يومَ الثلاثاءِ ثامنَ عشرَ ربيعِ الآخِرِ [١٠/٣٨و] ، فألْقَت سِتارةَ الكعبةِ المُشرَّفةِ ، وكانت قد عَتُقَت ، فإنها مِن سنةِ أربعين لم تُجَدَّدْ ؛ لعدمِ الحجِّ فى تلك السِّنين مِن ناحيةِ الخليفةِ ، فما سكَنَت الريحُ إلا والكعبةُ عُرْيانةٌ وقد زال عنها شِعارُ السَّوادِ ، وكان هذا فَألًا على زَوالِ دولةِ بنى العباسِ ، ومُنْذِرًا بما سيَقَعُ بعدَ هذا مِن كائنةِ التَّتارِ ، لعَنهم اللَّهُ تعالى . فاسْتَأْذَن نائبُ اليَمَنِ عمرُ بنُ رسولٍ شيخَ الحرمِ العفيفَ منصورَ بنَ منعةَ فى أن يَكْسُوَ الكعبةَ ، فقال : لا يَكونُ هذا إلا مِن مالِ الخليفةِ . ولم يَكُنْ عندَه مالٌ ، فاقْتَرَض ثلاثَمائةِ دينارٍ ، واشْتَرَى ثيابَ قُطْنٍ ، وصبَغها سَوادًا ، وركَّب عليها طِرازاتِها العَتيقةَ ، وكسَا بها الكعبةَ ، ومكَثَت الكعبةُ ليس عليها كِسْوةٌ إحدى وعشرين ليلةً .

وفيها فُتِحَت دارُ الكتبِ التى أنْشَأها الوزيرُ مُؤَيِّدُ الدينِ محمدُ بنُ أحمدَ العَلْقَمىُّ بدارِ الوِزارةِ ، وجاءت فى نهايةِ الحُسْنِ ، ووُضِع فيها مِن الكتبِ النَّفيسةِ النافعةِ شىءٌ كثيرٌ ، وامْتَدَحها الشعراءُ بأبياتٍ وقَصائدَ حِسانًا .

وفى أواخِرِ ذى الحِجَّةِ طهَّر الخليفةُ المُسْتَعْصِمُ باللَّهِ ولديه الأميرَيْن أبا العباسِ أحمدَ وأبا الفَضائلِ عبدَ الرحمنِ ، وعُمِلَت وَلائمُ ومآكلُ وأفراحٌ لا يُسْمَعُ بمثلِها

---

(١) انظر إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٣/ ٦٢.

مِن أزمانٍ مُتطاوِلةٍ ، وكان ذلك وَداعًا لِمَسرَّاتِ بغدادَ وأهلِها فى ذلك الزمانِ .

وفيها احْتاط الناصرُ داودُ صاحبُ الكَرَكِ على الأميرِ عمادِ الدينِ داودَ بنِ مُوسَك ، وكان مِن خِيارِ الأمراءِ والأجْوادِ الأمجادِ ، واصْطَفى أموالَه كلَّها ، وسجَنه عندَه فى الكَرَكِ ، فشفَع فيه فخرُ الدينِ بنُ الشيخِ لمَّا كان مُحاصِرَه فى الكَرَكِ فأطْلَقه ، فخرَجَت فى حَلْقِه خُرَاجةٌ[1] ، فبطَّها فمات ، ودُفِن عندَ قبرِ جعفرٍ والشُّهداءِ بمُؤْتَةَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفيها تُوُفِّى ملكُ الخُوارَزْمِيةِ قَبْلَا بركات[2] خان لما كُسِرَت أصحابُه عندَ بُحَيْرةِ حمصَ ، كما تقَدَّم ذِكْرُه .

وفيها تُوُفِّى : الملكُ المنصورُ ناصرُ الدينِ إبراهيمُ بنُ الملكِ المجاهِدِ أسدِ الدينِ شِيركُوه[3] صاحبُ حِمْصَ بدمشقَ ، بعد أن سلَّم بَعْلَبَكَّ للملكِ الصالحِ أيوبَ ، ونُقِل إلى حمصَ ، وكان نُزولُه أولًا بِبُستانِ سامةَ[4] ، فلما مرِض حُمِل إلى الدَّهْشةِ بُسْتانِ الأشْرفِ بالنَّيْرَبِ ، فمات به .

وفيها تُوُفِّى : الصائنُ محمدُ بنُ حَسَّانَ بنِ رافعٍ العامرىُّ الخطيبُ[5] ، وكان كثيرَ السَّماعِ مُسْنِدًا ، وكانت وفاتُه بقصرِ حَجَّاجٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى م : « جراحه » والخراجة : ما يخرج بالبدن من القروح . وبَطَّها : شقها . الوسيط (خ ر ج) ، (ب ط ط) .

(٢) فى مصدرى التخريج : « بركة » .

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٦٤ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٨، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٨١، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٣، والعبر ٥/ ١٨٣، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٠.

(٤) فى مرآة الزمان : « أسامة » .

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٩ - وفيه: « الضياء » - وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٧، والعبر ٥/ ١٨٤.

وفيها تُوُفِّى : **الفَقيهُ العَلَّامةُ محمدُ بنُ محمودِ بنِ عبدِ المُنْعِمِ المراتِبىُّ**[1] **الحَنْبلىُّ** ، وكان فاضلًا ذا فنونٍ ، أثْنَى عليه أبو شامةَ ، وقال : صحِبْتُه قديمًا ، ولم يَتْرُكْ بعدَه بدمشقَ مثلَه فى الحَنابلةِ . وصُلِّى عليه بجامعِ دمشقَ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ .

والضِّياءُ عبدُ الرحمنِ العِمادىُّ[2] **المالكىُّ** ، الذى ولِى وَظائفَ الشيخِ أبى عمرِو بنِ الحاجبِ حيـنَ خرَج مِن دمشقَ سنةَ ثمانٍ وثلاثين ، وجلَس فى حلْقتِه ، ودرَّس مكانَه بزاويةِ المالكيةِ .

والفَقيهُ تاجُ الدينِ إسماعيلُ بنُ جَهْبلٍ[3] بحلَبَ ، وكان فاضلًا دَيِّنًا ، سَليمَ الصدرِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) سقط من الأصل. وفى م : « المرامى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ والذيل على الروضتين ص ١٧٩، والعبر ٥/ ١٨٤، والوافى بالوفيات ٦/ ١١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٢.
والمراتبى نسبة إلى باب المراتب ببغداد . انظر المشتبه ٢/ ٥٨١، وتاج العروس (ر ت ب) .

(٢) فى م : « الغمارى » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٧٩.

(٣) فى م : « جميل » . وانظر ترجمته فى المصدر السابق .

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وأربعين وستّمائةٍ

فيها[١] كان عَوْدُ السلطانِ الملكِ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ بنِ الكاملِ مِن الشامِ إلى الديارِ المصريةِ[٢]، وزار فى طريقِه بيتَ المَقْدِسِ، وفرّق فى أهلِه أموالًا كثيرةً، وأمَر بإعادةِ سُورِه، كما كان فى أيامِ عمِّ أبيه الملكِ الناصرِ فاتحِ القُدْسِ، ونزَّل الجيوشَ لحِصارِ الفِرنْجِ، ففُتِحَت طَبَرِيَّةُ فى عاشرِ صفرٍ، وفُتِحَت عَسْقلانُ فى أواخرِ جُمادَى الآخرةِ[٣].

وفى رجبٍ عُزِل الخطيبُ عِمادُ الدينِ داودُ[٤] بنُ خطيبِ[٤] بيتِ الآبارِ عن الخَطابةِ بالجامعِ الأُمَوِىِّ، وتَدْريسِ [١٠/٣٨ظ] الغَزَّاليةِ، ووَلِى ذلك القاضى عِمادُ الدينِ بنُ عبدِ الكريمِ بنِ الحَرَسْتانىِّ شيخُ دارِ الحديثِ بعدَ ابنِ الصلاحِ.

وفيها أرْسَل الصالحُ أيوبُ يَطْلُبُ جماعةً مِن أعْيانِ الدَّماشِقةِ اتُّهِموا بمُمالأةِ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٦٦ - ٧٦٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٠، ونهاية الأرب ٢٩/٣٢٥ - ٣٢٨، والعبر ٥/ ١٨٥.

(٢) ذُكِرتْ عودة الملك نجم الدين أيوب فى المرآة عام أربع وأربعين وستمائة، وفى العبر عام سبع وأربعين وستمائة.

(٣) فى نهاية الأرب ذكر فتح عسقلان فى الثامن والعشرين من جمادى الآخرة وأنه رحل بعدها إلى طبرية ففتحها، وفى العبر ذكر أن فتح عسقلان كان فى جمادى الآخرة وأن فتح طبرية كان قبلها بأيام. ولم يتعرض لذكر الأشهر فى مرآة الزمان.

(٤ - ٤) فى نهاية الأرب: «خطيب». ولم يذكره فى العبر. ولا تعارض بين كونه خطيب بيت الآبار، وكونه ابن خطيبها. فقد كان أبوه خطيب بيت الآبار، وكان هو كذلك خطيبه بعد وفاة أبيه، فقد رجع إلى خطابة قريته بعد عزله ذلك الذى أشار إليه المصنف هنا؛ انظر الوافى بالوفيات ١٣/ ٤٨٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٤٣.

الصالحِ إسماعيلَ ، منهم القاضى مُحْيى الدينِ بنُ الزَّكىِّ ، وبنو صَصْرَى وابنُ العمادِ الكاتبُ ، والحكِيمِىُّ[1] مملوكُ الصالحِ إسماعيلَ ، والشِّهابُ غازى والى بُصْرَى ، فلما وصَلوا إلى مصرَ لم يَكُنْ إليهم شئٌ مِن العُقوباتِ والإهانةِ ، بل خُلِع على بعضِهم وتُرِكوا باخْتيارِهم مُكْرَمِين .

ومَّن تُوُفِّى فيها مِن المَشاهيرِ :

الحسينُ بنُ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ حَمْزةَ العَلَوىُّ الحُسَيْنىُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأَقْساسىُّ[2] النَّقيبُ قُطْبُ الدينِ ، أصلُه مِن الكوفةِ ، وأقام ببغدادَ ، وولِى النِّقابةَ ، ثم اعْتُقِل بالكوفةِ ، وكان فاضلًا أديبًا شاعرًا مُطَبِّقًا ، أوْرَد له ابنُ الساعى أشعارًا كثيرةً ، رحِمه اللَّهُ .

الشَّلَوْبِينُ النَّحْوىُّ[3] : هو عمرُ بنُ محمدِ بنِ (4) عمرَ بنِ (4) عبدِ اللَّهِ الأَزْدىُّ ، أبو علىٍّ الأَنْدَلُسىُّ الإشْبِيلىُّ ، المعروفُ بالشَّلَوْبِينِ . وهو بلغةِ

---

(1) فى م : « الحليمى » . ولم يذكر فى المرآة الحكيمى ولكن ذكر أبا الشامات مملوك الصالح إسماعيل ، أما فى نهاية الأرب فقد ذكرهما معًا على أنهما شخصين مختلفين ولكن لم يذكر أن الحكيمى مملوك الصالح إسماعيل . ولم يتعرض لذكر الخبر فى الذيل على الروضتين والعبر .

(2) فى الأصل ، م : « الأفساسى » . ولم نجد له ترجمة ، وظاهر أن المصنف - رحمه اللَّه - ذكر وفاته من تاريخ ابن الساعى . وأثبتنا الأقساسى لأنه المذكور فى الأنساب ١/ ٢٠٠ ، ومعجم البلدان ١/ ٣٣٧ ، ٣٣٨؛ قال ياقوت : أقْساس قرية بالكوفة ، وينسب إلى هذا الموضع أبو محمد يحيى بن محمد ... بن الحسين بن على بن أبى طالب الأقساسى ، توفى سنة نيف وسبعين وأربعمائة بالكوفة ، وجماعة من العلويين كذلك يُنسبون إليها . ولم نجد نسبة « الأفساسى » هذه .

(3) إنباه الرواة ٢/ ٣٣٢ ، وإشارة التعيين ص ٢٤١ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٥١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٠٧ ، والعبر ٥/ ١٨٦ ، وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٤ . وجاء فى الإنباه ووفيات الأعيان : « الشلوبينى » . قال فى بغية الوعاة : بفتح المعجمة واللام وسكون الواو وكسر الموحدة وبعدها تحتانية ونون ، وربما زيد بعدها ياء النسبة .

(4 - 4) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته .

الأَنْدَلُسِيِّين : الأبيضُ الأَشْقَرُ . قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : خُتِم به أئمةُ النحوِ ، وكان فيه تَغفُّلٌ . وذكَر له شعرًا ومُصَنَّفاتٍ ، منها « شَرْحُ الجُزُوليةِ » وكتابُ « التَّوْطِئةِ » . وأرَّخ وفاتَه بهذه السنةِ . وقد جاوَز الثمانين ، رحِمه اللَّهُ تعالى وعفا عنه .

الشيخُ عليٌّ [2]الحَرِيريُّ : عليُّ بنُ أبى الحسنِ بنِ المنصورِ البُسْرىُّ[2] ، المعروفُ بالحريريِّ ، أصلُه مِن قريةِ بُسْرَ شرقىَّ زُرْعَ[3] ، وأقامَ بدمشق مدةً يَعْمَلُ صَنْعةَ الحَريرِ ، ثم ترَك ذلك ، وأقْبَل يَعْمَلُ الفقيرىَّ[4] على يدِ الشيخِ علىٍّ المُغَرْبَلِ [5]تلميذِ الشيخِ رسلانَ التركمانىِّ الجعبرىِّ ، فاتَّبعه طائفةٌ من الناسِ يقالُ لهم : الحريريةُ[5] . وابْتَنَى له زاويةً على الشَّرَفِ القبلىِّ ، وبَدَرت منه أفعالٌ أنْكَرَها عليه الفُقهاءُ ، كالشيخِ عِزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، والشيخِ تَقىِّ الدينِ بنِ الصَّلاحِ ، والشيخِ أبى عمرٍو بنِ الحاجبِ شيخِ المالكيةِ وغيرِهم ، فلما كانت الدولةُ الأشْرَفيةُ حُبِس فى قلعةِ عَزَّتا مدةَ سنين ، ثم أطْلَقه الصالحُ إسماعيلُ ، واشْتَرَط عليه أن لا يُقِيمَ بدمشقَ ، فلزِم بلدَه بُسْرَ مدةً حتى كانت وفاتُه فى هذه السنةِ .

قال الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ فى « الذَّيْلِ »[6] : وفى رمضانَ أيضًا تُوُفِّى

---

(1) وفيات الأعيان ٣/ ٤٥١، ٤٥٢.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ١٨٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢٤، والعبر ٥/ ١٨٦، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٧٨.

(3) فى م : « ذرع » . وزُرْع من أعمال حَوْران ؛ وحوران كورة واسعة من أعمال دمشق . وقد كانت زرع تسمى « زُرًّا » و « زُرَّة » ، وذكر الحموى فى موضعٍ أن « زرع » تسمية العوامّ . انظر معجم البلدان ١/ ٦٢١، ٢/ ٣٥٧، ٩٢١.

(4) يعمل الفقيرى : أى تَمَفْقَر . بلفظ الحافظ الذهبى فى العبر . وقال عنه فى سير أعلام النبلاء : كبير الفقراء البَطَلَة . ويعنى المصنف أنه صار من الصوفية .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(6) الذيل على الروضتين ص ١٨٠.

الشيخُ عليٌّ المعروفُ بالحَريرىِّ ، المُقِيمُ بقريةِ بُسْرَ فى زاويتِه ، وكان يَتَرَدَّدُ إلى دمشقَ ، وتبِعه طائفةٌ مِن الفُقراءِ ، وهم المَعْروفون بالحَريريةِ أصحابِ الزىِّ[1] المُنافى للشَّريعةِ ، وباطنُهم شرٌّ مِن ظاهِرِهم ، إلا مَن رجَع إلى اللَّهِ منهم ، وكان عندَ هذا الحَريرىِّ مِن الاسْتِهزاءِ بأمورِ الشريعةِ والتَّهاوُنِ بها مِن إظهارِ شِعارِ أهلِ الفُسوقِ والعِصْيانِ شىءٌ كثيرٌ ، وانْفَسَد بسببِه جَماعةٌ كثيرةٌ مِن أولادِ كُبَراءِ دمشقَ ، وصاروا على زِىِّ أصحابِه ، وتبِعوه بسببِ أنه كان خَليعَ العِذارِ[2] ، يَجْمَعُ مجلسُه الغِناءَ الدائمَ والرَّقْصَ والمُرْدانَ ، وترْكَ الإنكارِ[3] على أحدٍ فيما يَفْعَلُه ، وترْكَ الصلواتِ ، وكثْرَةَ النَّفَقاتِ ، فأضَلَّ خلقًا كثيرًا ، وأفْسَد جَمًّا غفيرًا ، ولقد أَفْتَى فى قتلِه مِرارًا جماعةٌ مِن علماءِ الشَّريعةِ ، ثم أراح اللَّهُ تعالى منه . هذا لفظُه بحروفِه .

واقفُ العِزِّيةِ الأميرُ عِزُّ الدينِ أيْبَك[4] أُستاذُ دارِ المُعَظَّمِ ، وكان مِن العُقلاءِ الأجْوادِ الأمْجادِ ، اسْتَنابه المُعَظَّمُ على صَرْخَدَ ، فظهَرت منه نَهْضةٌ وكِفايةٌ[5] ، ووقَف العِزِّيَّتَيْن الجَوَّانيةَ والبَرَّانيةَ . ولما أخَذ منه الصالحُ أيوبُ صَرْخَدَ عوَّضه عنها[6] ، وأقام بدمشقَ ، ثم وُشِى به بأنه يُكاتِبُ الصالحَ إسمـاعيلَ ، فاحْتِيط

---

(١) سقط من : م .

(٢) خليع العذار : منهمك فى الغى لا يستحى . انظر الوسيط (ع ذ ر) .

(٣) فى الذيل على الروضتين : «الاحتجار» .

(٤) مرآة الزمان ٨/٧٦٧ (القسم الثانى) ، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٧٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٧، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٨٠. وأرخت وفاته فى المختصر وتاريخ ابن الوردى سنة ست وأربعين وستمائة .

(٥) بعده فى م : «وسداد» .

(٦) كذا قال المصنف ، ونقل ذلك عنه صاحب الدارس ١/ ٥٥١، ولكن لم نجد فى المصادر أن الصالح أيوب عوضه عن صرخد ، أما فى مرآة الزمان ونهاية الأرب فذكرا اعتقاله مباشرة ، وفى المختصر وتاريخ ابن الوردى جاء أنه اعتقل سنة أربع وأربعين وستمائة ثم حُبس حتى مات فى حبسه .

[٣٩/١٠و] عليه وعلى أموالِه وحَواصِلِه ، فمرِض وسقَط إلى الأرضِ ، وقال : هذا آخِرُ عهدى . ولم يَتَكَلَّمْ حتى مات ، ودُفِن ببابِ النصرِ بمصرَ ، ثم نُقِل إلى تربتِه التى فوقَ الوَرَّاقةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وإنما أرَّخ السِّبْطُ وفاتَه فى سنةِ سبعٍ وأربعين . فاللَّهُ أعلمُ[١] .

الشِّهابُ غازى بنُ العادلِ[٢] صاحبُ مَيَّافارِقِينَ وخِلَاطَ وغيرِهما مِن البُلْدانِ ، كان مِن عُقلاءِ بنى أيوبَ وفُضلائِهم ، وأهلِ الدِّيانةِ منهم ، ومما أنْشَد قولُه[٣] :

ومِن عجبِ الأيامِ أنك جالسٌ ... على الأرضِ فى الدنيا وأنت تَسِيرُ
فسَيْرُك يا هذا كَسَيْرِ سفينةٍ ... بقومٍ جُلوسٍ والقُلوعُ تَطِيرُ

(١) كذا قال المصنف - رحمه الله تعالى - وهو أحد التأريخين اللذين ذكرهما السبط ، والتأريخ الأول هو سنة خمس وأربعين وستمائة ، فقد ذكره السبط فى وفياتها وبعدها ساق ترجمته قال : وقيل إنه مات فى سنة سبع وأربعين وستمائة .
(٢) مرآة الزمان ٧٦٨/٨ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٩، وأرّخ وفاته سنة ست وأربعين وستمائة ، والعبر ٥/ ١٨٧، ومرآة الجنان ٤/ ١١٤.
(٣) انظر مرآة الزمان ٧٦٩/٨ (القسم الثانى) .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] قدِم السلطانُ الصالحُ نَجْمُ الدينِ أيوبُ مِن الديارِ المصريةِ إلى دمشقَ، وجهَّز الجيوشَ والمجانيقَ إلى حمصَ؛ لأنه كان صاحبُها الملكُ الأشرفُ موسى بنُ المنصورِ بنِ أسدِ الدينِ شِيرْكُوه قد قايَض بها تَلَّ باشِرٍ لصاحبِ حلَبَ الناصرِ يوسُفَ بنِ العَزيزِ، ولما علِمَت الحلَبيُّون بخُروجِ الدَّماشقةِ برَزُوا أيضًا فى جَحْفَلٍ عظيمٍ ليَمْنَعوا حمصَ منهم، واتَّفَق مجىءُ الشيخِ نَجْمِ الدينِ البادَرائىِّ مدرسِ النِّظاميةِ ببغدادَ فى رسالةٍ، فأَصْلَح بينَ الفريقَيْن، وردَّ كلًّا مِن الفئتَيْن إلى مُسْتَقَرِّها، وللَّهِ الحمدُ.

وفيها قَتَل مملوكٌ تركىٌّ شابٌّ صبىٌّ سيدَه على دَفْعِه عنه لمَّا أراد به مِن الفاحشةِ، فصُلِب الغلامُ مُسَمَّرًا، وكان شابًّا حسنًا جدًّا، فتأسَّف الناسُ له لكونِه صغيرًا ومظلومًا وحسنًا، ونظَموا فيه قَصائدَ؛ ومِمَّن نظَم فيه الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ فى «الذَّيْلِ»[2]، وقد أطال قصتَه جدًّا.

وفيها سقَطَت قَنْطرةٌ رُوميَّةٌ قَديمةُ البناءِ بسُوقِ الدقيقِ مِن دمشقَ، عندَ قصرِ أمِّ حَكيمٍ، فتهَدَّم بسببِها شىءٌ كثيرٌ مِن الدُّورِ والدَّكاكينِ، وكان سُقوطُها نَهارًا.

وفى ليلةِ الأحدِ الخامسِ والعشرين مِن رجبٍ وقَع حريقٌ بالمَنارةِ الشرقيةِ،

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٧٠ - ٧٧٢ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٠ - ١٨٢، ونهاية الأرب ٢٩/٣٢٥ - ٣٢٨، والعبر ٥/١٨٥.

(٢) لعل الذى فى الذيل ليس من نظم أبى شامة، فقد قال: ومما قيل فيه:.... وساق القصيدة.

فأحْرَق جميعَ حَشْوِها ، وكانت سَلالُمها سِقالاتٍ مِن خشبٍ ، وهلَك للناسِ وَدائعُ كثيرةٌ كانت فيها ، وسلَّم اللَّهُ الجامعَ ، وللَّه الحمدُ . وقدِم السلطانُ بعدَ أيامٍ إلى دمشقَ ، فأمَر بإعادتِها كما كانت .

قلتُ : ثم احْترَقت وسقَطَت بالكليةِ بعدَ سنةِ أربعين وسبعِمائةٍ ، وأُعِيدَت عِمارتُها أحسنَ مما كانت ، وللَّهِ الحمدُ ، وبقِيَت حينَئذٍ المَنارةُ البَيْضاءُ الشرقيةُ بدمشقَ كما نطَق به الحديثُ فى نزولِ عيسى ، عليه السلامُ ، عليها ، كما سيأتى بيانُه وتَقْريرُه فى موضعِه إن شاء اللَّهُ تعالى[(1)] .

ثم عاد السلطانُ الصالحُ أيوبُ مَريضًا فى مِحَفَّةٍ إلى الديارِ المصريةِ وهو ثَقيلٌ مُدْنِفٌ ، [(2)]وما شغَله مرضُه وما هو فيه[(2)] عن أمرِه بقتلِ أخيه العادلِ أبى بكرِ بنِ الكاملِ الذى كان صاحبَ الديارِ المصريةِ بعدَ أبيه ، وقد كان سجَنه سنةَ اسْتَحْوذ على مصرَ ، فلما كان فى هذه السنةِ فى شوالِها أمَر بخَنْقِه ، فخُنِق ودُفِن بتربةِ شمسِ الدولةِ ، فما عُمِّر بعدَه إلا إلى النصفِ مِن شعبانَ فى العامِ القابلِ فى أسوأ حالٍ وأشدِّ مرضٍ ، فسبحانَ مَن له الخلقُ والأمرُ .

وفيها كانت وفاةُ قاضى القُضاةِ بالديارِ المصريةِ :

أفضلِ[(3)] الدينِ الخُونَجِيِّ ، الحكيمِ المَنْطِقىِّ البارعِ فى ذلك ، وكان مع ذلك جيدَ السِّيرةِ فى أحكامِه . قال أبو شامةَ[(4)] : أثْنَى عليه غيرُ واحدٍ .

---

(١) انظر ما سيأتى فى الفتن والملاحم .

(٢ - ٢) فى م : « شغله ما هو فيه » .

(٣) فى م : « فضل » . وانظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ص ١٨٢، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢٨، والوافى بالوفيات ٥/ ١٠٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٠٥.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٢.

ومن تُوفِّى فيها :

علىُّ بنُ يحيى ، جَمالُ الدينِ أبو الحسنِ المُخرِّمىُّ[(1)] ، كان شابًّا فاضلًا أديبًا شاعرًا ماهرًا ، صنَّف كتابًا مُخْتَصَرًا وَجيزًا جامعًا لفُنونٍ كثيرةٍ فى الرياضةِ [١٠/٣٩ظ] والعقلِ وذمِّ الهوَى ، وسمَّاه « نَتائجَ الأفْكارِ » ، قال فيه مِن الكَلِمِ المُسْتفادةِ الحِكْمِيةِ : السلطانُ إمامٌ مَتْبوع ، ودينٌ مشروع ، فإن ظلَم جارت الحكامُ لظلمِه ، وإن عدَل لم يَجُرْ أحدٌ فى حكمِه ، مَن مكَّنه اللَّهُ فى أرضِه وبلادِه ، وائْتَمَنه على خلقِه وعبادِه ، وبسَط يدَه وسلطانَه ، ورفَع مَحلَّه ومكانَه ، فحَقيقٌ عليه أن يُؤَدِّىَ الأمانة ، ويُخْلِصَ الدِّيانة ، ويُجَمِّلَ السَّريرة ، ويُحْسِنَ السِّيرة[(2)] ، ويَجْعَلَ العَدلَ دَأْبَه المعهود ، [(3)]والأمنَ بحْرَ[(3)] غرضِه المقصود ، فالظلمُ يُزِلُّ القَدَم ، ويُزِيلُ النِّعَم ، ويَجْلُبُ النِّقَم[(4)] ، ويُهْلِكُ الأمم .

وقال أيضًا : مُعارَضةُ الطَّبيب تُوجِبُ التَّعْذيب . رُبَّ حِيلة أَنْفَعُ مِن قَبيلة . [(5)]الموتُ فى طلبِ الثار خيرٌ من الحياةِ فى العار[(5)] . سَمينُ الغضبِ مَهْزول ، ووالى الغَدْرِ مَعْزول . قلوبُ الحُكماءِ تَسْتَشِفُّ الأسْرار مِن لَمَحاتِ الأبصار . ارْضَ مِن أخيك فى ولايتِه بعُشْرِ ما كنتَ تَعْهَدُه مِن مودتِه . التَّواضُعُ مِن مَصائدِ الشرفِ . ما أحْسَنَ حُسْنَ الظَّنِّ لولا أن فيه[(6)] العجزَ . ما أَقْبَحَ سُوءَ الظَّنِّ لولا أن فيه الحَزْمَ .

---

(١) الأعلام للزركلى ٥/ ١٨٥، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٦١.
(٢) فى الأصل : « السريرة » .
(٣ - ٣) فى م : « والأجر » .
(٤) فى م : « الفقر » .
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦) فى الأصل : « منه » .

وذكَر فى غُبونِ كلامِه أن خادمًا لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ أذْنَب ، فأراد ابنُ عمرَ أن يُعاقِبَه على ذنبِه ، فقال : يا سيدى ، أمَا لك ذنبٌ تَخافُ اللَّهَ تعالى منه ؟ قال : بلى . قال : فبالذى أمْهَلَك لمَّا أمْهَلْتَنى . ثم أذْنَب العبدُ ثانيًا ، فأراد عُقوبتَه ، فقال له مثلَ ذلك ، فعفا عنه ، ثم أذْنَب الثالثةَ ، فعاقَبه وهو لا يَتَكلَّمُ ، فقال له ابنُ عمرَ : ما لك لم تَقُلْ ما قلتَ فى الأَوَّلَتَيْنِ[1] ؟ فقال : يا سيدى ، حَياءً مِن حِلْمِك مع تَكرارِ جُرْمى . فبكَى ابنُ عمرَ وقال : أنا أحَقُّ بالحَياءِ مِن ربى ، أنت حرٌّ لوجهِ اللَّهِ تعالى .

ومِن شعرِه يَمْدَحُ الخليفةَ :

يا مَن إذا ضنَّ[2] السَّحابُ بمائِه ... هطَلَت يداه على البَرِيَّةِ عَسْجَدَا[3]

جَوَّرْتَ كِسْرى يا مُبَخِّلَ حاتمٍ ... فغدَتْ بنو الآمالِ نحوَكَ سُجَّدَا

وقد أوْرَد له ابنُ الساعى أشعارًا كثيرةً حسنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ أبو عمرِو بنُ الحاجبِ المالكىُّ[4] عثمانُ بنُ عمرَ بنِ أبى بكرِ بنِ يونُسَ الدَّوِينىُّ[5] ثم المصرىُّ ، العَلَّامةُ أبو عمرِو بنُ الحاجبِ شيخُ المالكيةِ ، كان أبوه حاجبًا[6] للأميرِ عزِّ الدينِ مُوسَك الصَّلاحىِّ ، واشْتَغل هو بالعلمِ ، فقرَأ

---

(١) فى الأصل : « الأولِيين » .

(٢) فى م : « بخل » .

(٣) العسجد : الذهب . الوسيط (عسجد) .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٢ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٨ ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦٤ ، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥١٦ ، والطالع السعيد ص ٣٥٢ ، والديباج المذهب ٢/ ٨٦ ، وبغية الوعاة ٢/ ١٣٤ .

(٥) فى الأصل : « الرونى » ، وفى م : « الروينى » ، والمثبت من مصادر الترجمة ، والدوينى نسبة إلى دَوِين ؛ بلدة فى نواحى أرّان فى آخر حدود أذربيجان بقرب تفليس . معجم البلدان ٢/ ٦٣٢ .

(٦) فى الأصل ، م : « صاحبًا » ، والمثبت من مصادر الترجمة .

القِراءاتِ ، وحرَّر النحوَ تَحريرًا بَليغًا ، وتفَقَّه وساد أهلَ عصرِه ، ثم كان رأسًا فى علومٍ كثيرةٍ ، منها الأُصولُ والفُروعُ والعربيةُ والتَّصْريفُ والعَروضُ والتَّفْسيرُ ، وغيرُ ذلك .

وقد كان اسْتَوْطَن دمشقَ فى سنةِ سبعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، ودرَّس بها للمالكيةِ بالجامعِ حتى كان خُروجُه بصُحْبةِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ فى سنةِ ثمانٍ وثلاثين ، فصارا إلى الديارِ المصريةِ حتى كانت وفاةُ الشيخِ أبى عمرٍو فى هذه السنةِ بالإِسْكَنْدَريةِ ، ودُفِن بالمَقْبَرةِ التى بينَ المَنارةِ والبلدِ .

قال الشيخُ أبو شامةَ[1] : وكان مِن أذْكَى الأمَّةِ قَريحةً ، وكان ثقةً حُجَّةً مُتَواضِعًا عَفيفًا ، كثيرَ الحَياءِ ، مُنْصِفًا مُحِبًّا للعلمِ وأهلِه ناشِرًا له ، مُحْتَمِلًا للأذَى ، صَبورًا على البَلْوَى ، قدِم دمشقَ مِرارًا ، آخرُها سنةَ سبعَ عشْرةَ ، فأقام بها مُدَرِّسًا للمالكيةِ وشيخًا للمُسْتَفِيدِين عليه فى عِلْمَىِ القِراءاتِ والعربيةِ ، وكان رُكْنًا مِن أركانِ الدينِ فى العلمِ والعملِ ، بارعًا فى العلومِ[2] ، مُتْقِنًا لمذهبِ مالكِ بنِ أنسٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد أَثْنَى عليه ابنُ خَلِّكانَ ثَناءً كثيرًا[3] ، وذكَر أنه جاء إليه فى أَداءِ شَهادةٍ حينَ كان ابنُ خلكانَ نائبًا [١٠/٤٠و] فى الحكمِ بمصرَ ، وسأَله عن مسألةِ اعْتِراضِ[4] الشَّرْطِ على الشَّرْطِ ، كإذا قال : إن أكَلْتِ إن شَرِبْتِ فأنت طالقٌ . لِمَ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٢.

(٢) بعده فى الذيل : « الأصولية وتحقيق علم العربية » .

(٣) وفيات الأعيان ٣/٢٤٨ - ٢٥٠.

(٤) فى الأصل : « دخول » .

كان لا[1] يَقَعُ الطلاقُ [2]حتى تشرَبَ[2] أولًا ؟ وذكَر أنه أجاب عن ذلك فى تُؤَدَةٍ وسُكونٍ .

قلتُ : له مُخْتَصَرٌ فى الفقهِ مِن أحسنِ المُخْتَصَراتِ ، انْتَظَم فيه « جواهرَ[3] ابنِ شاشٍ » ، ومُخْتَصَرٌ فى أصولِ الفقهِ اسْتَوْعَب فيه عامَّةَ فَوائِدِ « الإحْكامِ » لسيفِ الدينِ الآمِدىِّ ، وقد منَّ اللَّهُ تعالى علىَّ بحفظِه ، وجمَعْتُ كَرارِيسَ فى الكلامِ على ما أوْدَعه فيه مِن الأحاديثِ النبويةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وله « شَرْحُ المُفَصَّلِ » و « الأمالى » فى العربيةِ و « المُقَدِّمةُ » المَشْهورةُ فى النحوِ ، اخْتَصَر فيها « مُفَصَّلَ الزَّمَخْشَرىِّ » وشرَحها ، وقد شرَحها غيرُه أيضًا ، وله « التَّصْريفُ » و « شرحُه » ، وله العَروضُ على وزنِ الشاطبيةِ ، رحِمه اللَّهُ ورضِى عنه .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الأصل : « حتى يشرب » . وفى م : « حين شربت » . والمثبت موافق لسياق وفيات الأعيان .

(٣) فى م : « فوائد » . وانظر معجم المؤلفين ٦/ ١٥٨.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] كانت وَفاةُ الملكِ الصالحِ أيوبَ ، وقَتْلُ ابنِه المُعَظَّمِ تُورانْشاه ، وتوليةُ المُعِزِّ عِزِّ الدينِ أَيْبَكَ التُّرْكمانيِّ على ما سيأتى .

وفى رابعِ المُحَرَّمِ يومِ الاثنين توَجَّه السلطانُ الملكُ الصالحُ مِن دمشقَ إلى الديارِ المصريةِ فى مِحَفَّةٍ . قاله السِّبْطُ[2] : وكان قد نادَى فى دمشقَ : مَن له عندَنا شئٌ فلْيَأْتِ . فاجْتَمَع خلقٌ كثيرٌ بالقلعةِ ، فدُفِعَت إليهم أموالُهم .

وفى عاشرِ صفرٍ دخَل إلى دمشقَ نائبُها الأميرُ جَمالُ الدينِ بنُ يَغْمُورٍ مِن جهةِ الصالحِ أيوبَ ، فنزَل بدَرْبِ الشَّعَّارِينَ داخلَ بابِ الجابيةِ .

وفى جُمادَى الآخِرةِ أمَر النائبُ بتَخْريبِ الدَّكاكينِ المُحْدَثةِ فى وسَطِ بابِ البريدِ ، وأمَر أن لا يَبْقَى فيه دُكَّانٌ سوى ما فى جانبَيْه إلى جانبِ الحائِطَينِ القِبْلىِّ والشماليِّ[3] ، وما فى الوسطِ يُهْدَمُ . قال أبو شامةَ[4] : وقد كان العادلُ هدَم ذلك ، ثم أُعِيد ، ثم هدَمه ابنُ يَغْمورٍ ، والمَرْجُوُّ اسْتِمرارُه على هذه الصفةِ .

وفيها توَجَّه الناصرُ داودُ مِن الكَرَكِ إلى حَلَبَ ، فأرْسَل الصالحُ أيوبُ إلى نائِبِه بدمشقَ جَمالِ الدينِ بنِ يَغْمورٍ بخَرابِ دارِ سامةَ المَنْسوبةِ إلى الناصرِ بدمشقَ ،

---

(١) مرآة الزمان ٧٧٢/٨ - ٧٧٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ - ١٨٦، ونهاية الأرب ٣٣٤/٢٩ - ٣٥٥، والعبر ١٩٢/٥ - ١٩٥.

(٢) مرآة الزمان ٧٧٢/٨ (القسم الثانى) .

(٣) فى م : « والشامى » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٣.

وبُسْتانِه الذى بالقابونِ ، وهو بُسْتَانُ القَصْرِ ، وأن تُقْلَعَ أشْجارُه ويُخَرَّبَ القصرُ ، وتَسَلَّم الصالحُ أيوبُ الكَرَكَ مِن الأمْجَدِ حسنِ بنِ الناصرِ ، وأخْرَج مَن كان بها مِن بيتِ المُعَظَّمِ ، واسْتَحْوَذ على حَواصلِها وأموالِها ، فكان فيها مِن الذهبِ ألفُ ألفِ دينارٍ ، وأقْطَع الصالحُ الأَمْجَدَ هذا إقْطاعًا جيدًا .

وفيها[(1)] طغَى الماءُ ببغدادَ حتى أتْلَف شيئًا كثيرًا مِن المَحالِّ والدُّورِ الشهيرةِ ، وتعَذَّرَت الجُمَعُ فى أكثرِ الجَوامعِ بسببِ ذلك سوى ثلاثةِ جَوامعَ ، ونُقِلَت تَوابيتُ جَماعةٍ مِن الخلفاءِ إلى التُّرَبِ مِن الرُّصافةِ خوفًا عليهم مِن أن تَغْرَقَ مَحالُّهم ؛ منهم المُعْتَضِدُ بنُ الأميرِ أبى أحمدَ بنِ المُتَوَكِّلِ ، وذلك بعدَ دفنِه بنيِّفٍ وخمسين سنةً وثلاثِمائةِ سنةٍ ، وكذا نُقِل ولدُه المُكْتَفِى ، (2)وكذا المُتَّقِى(2) بنُ المُقْتَدِرِ باللَّهِ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

وفيها هجَمَت الفِرنْجُ على دِمْياطَ ، فهرَب مَن كان فيها مِن الجندِ والعامَّةِ ، واسْتَحْوَذ الفِرنْجُ على الثَّغْرِ ، وقتَلوا خلقًا كثيرًا مِن المسلمين ، وذلك فى ربيعٍ الأولِ منها ، فنصَب السلطانُ المُخَيَّمَ تُجاهَ العدوِّ بجميعِ الجيشِ ، وشنَق[(3)] خلقًا ممَّن هرَب مِن الفِرنْجِ ، ولامَهم على تركِ المُصابَرةِ قليلًا ليُرْهِبوا عدوَّ اللَّهِ وعدوَّهم ، وقوِى المرضُ ، وتزايَد بالسلطانِ جدًّا ، فلما كانت ليلةُ النصفِ مِن شعبانَ تُوُفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى بالمنصورةِ ، فأخْفَت جاريتُه أمُّ ولدِه خليلٍ المَدْعُوَّةُ شجرَ الدُّرِّ

---

(1) لم نقف لهذا الخبر على مصدر ، ولعله فى تاريخ ابن الساعى .

(2 - 2) سقط من : الأصل ، وفى م : « وكذا المقتفى » . وهو تصحيف . والتصويب مما تقدم من ترجمة المتقى للَّه فى 314/15 فى وفيات سنة أربع عشرة وثلاثمائة . وتقدمت ترجمة المقتفى فى 393/16 فى وفيات سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

(3) فى الأصل : « حبق » . وحبقه . ضربه بأداة كالجريد أو الحبل أو السوط . الوسيط (ح ب ق) .

موتَه ، وأظْهَرَت أنه مرِيضٌ مُدْنِفٌ لا يُوصَلُ إليه ، وبقِيَت تُعْلِمُ عنه بعَلامتِه سَواءً ، وأعْلَمَت إلى أعْيانِ الأمراءِ ، فأرْسَلوا إلى ابنِه [١٠/٤٠ظ] الملكِ المُعَظَّمِ تُورانْشاه ، وهو بحصنِ كَيْفَا ، فأقْدَموه إليهم سريعًا ، وذلك بإشارةِ أكابرِ الأمراءِ ؛ منهم فخرُ الدينِ بنُ الشيخِ ، فلما قدِم إليهم ملَّكوه عليهم ، وبايَعوه أجْمَعون ، فركِب فى عَصائبِ المُلْكِ ، وقاتَل الفِرنْجَ ، فكسَرهم وقتَل منهم ثلاثين ألفًا ، ولِلَّهِ الحمدُ ، وذلك فى أولِ السنةِ الداخلةِ ، ثم قتَلوه بعدَ شهرين مِن مُلْكِه عليهم ، ضرَبه بعضُ الأمراءِ - وهو عِزُّ الدينِ أيْبَكُ التُّركمانىُّ ، (١) فضرَبه فى يدِه ، فقطَع بعضَ أصابعِه (١) ، فهرَب إلى قصرٍ مِن خشبٍ فى المُخَيَّمِ ، فحاصَروه فيه ، وأحْرَقوه عليه ، فخرَج مِن بابِه مُسْتَجِيرًا برسولِ الخليفةِ ، فلم يَقْبَلوا منه ، فهرَب إلى النِّيلِ ، فانْغَمَر فيه ، ثم خرَج ، فقُتِل سريعًا شَرَّ قِتْلةٍ ، وداسُوه بأرجلِهم ، ودُفِن كالجيفةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وكان فيمَن ضربَه البُنْدُقْدارِىُّ على كتفِه ، فخرَج السيفُ مِن تحتِ إبطِه الآخرِ ، وهو يَسْتَغِيثُ فلا يُغاثُ .

وممَّن قُتِل فى هذه السنةِ :

فخرُ الدينِ يوسُفُ بنُ الشيخِ بنِ حَمُّوَيْه (٢) ، وكان فاضلًا دَيِّنًا مَهِيبًا وَقورًا ، خَليقًا بالمُلْكِ ، كانت الأمراءُ تُعَظِّمُه جدًّا ، ولو دعاهم إلى مُبايعتِه بعدَ الصالحِ لما اخْتَلَف عليه اثنان ، ولكنه كان لا يَرَى ذلك ؛ حِمايةً لجانبِ بنى أيوبَ ، قتَلَته الداوِيَّةُ مِن الفِرنْجِ شهيدًا قبلَ قُدومِ المُعَظَّمِ تُورانْشاه إلى مصرَ ، فى ذى القَعْدةِ ،

(١ - ١) فى الأصل : « وهو جالس على السماط فى يده بالسيف وذلك أنه صالح على أيبك التركمانى فضربه فى يده فأنكاه » .

(٢) مرآة الزمان ٧٧٦/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٣٨، والعبر ٥/ ١٩٤.

ونُهِبَت أموالُه وحَواصلُه وخيولُه ، وخُرِّبَت دارُه ، ولم يَتْرُكوا شيئًا مِن الأفعالِ الشَّنيعةِ البَشِعةِ إلا صنَعوه به ، مع أن الذين تعاطَوْا ذلك مِن الأمراءِ كانوا مُعَظِّمِين له غايةَ التَّعْظيمِ . ومِن شعرِه :

عصَيْتُ هَوَى نفسى صغيرًا فعندَما ... رمَتْنى الليالى بالمَشيبِ وبالكِبَرْ

أطَعْتُ الهَوَى عكسَ القضيةِ ليتَنى ... خُلِقْتُ كبيرًا وانتقَلْتُ إلى الصِّغَرْ

ثم دَخَلَتَ سنةُ ثمانٍ وأربعين وستّمائةٍ[1]

فى ثالثِ المُحَرَّمِ يومِ الأربعاءِ كان كَسْرُ المُعَظَّمِ تُورانْشاه للفِرنْجِ على ثَغْرِ دِمْياطَ ، فقتَل منهم ثلاثين ألفًا ، وقيل : مائةَ ألفٍ . وغنِموا شيئًا كثيرًا ، وللّهِ الحمدُ ، ثم قتَل جَماعةً مِن الأمراءِ الذين أُسِروا ، وكان فيمَن أُسِر ملكُ الإفْرَنْسِيسِ وأخوه ، وأُرسِلت غِفارةُ[2] ملكِ الإفْرَنْسِيسِ إلى دمشقَ ، فلبِسها نائبُها فى يومِ المَوْكِبِ ، وكانت مِن سَقِرْلاط[3] أحمرَ ، تحتَها فَرْوُ سِنْجابٍ ، فأنْشَد فى ذلك جَماعةٌ مِن الشعراءِ فَرَحًا بما وقَع ، ودخَل الفقراءُ كَنيسةَ مَرْيمَ ، فأقاموا بها سَماعًا[4] ؛ فَرَحًا بما نصَر اللّهُ تعالى على النصارَى ، وكادوا أن يُخرِّبوها ، وكانت النصارى ببَعْلَبَكَّ وقد فرِحوا حينَ أخَذَت النصارى دِمْياطَ ، فلما كانت هذه الكَسْرةُ عليهم سَخَّموا وُجوهَ الصُّوَرِ ، فأرْسَل نائبُ البلدِ فجَنّاهم ، وأمَر اليهودَ فصفَعوهم ، ثم لم يَخْرُجْ شهرُ المُحَرَّمِ حتى قتَل الأمراءُ ابنَ أُسْتاذِهم المُعظَّمَ تُورانْشاه ، ودفَنوه إلى جانبِ النِّيلِ مِن الناحيةِ الأخرى ، رحِمه اللّهُ تعالى ، ورحِم أسْلافَه بمَنِّه وكرمِه .

---

(١) مرآة الزمان ٧٧٨/٨ - ٧٨٥ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ - ١٨٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٥٥، والعبر ١٩٥/٥ - ٢٠١.

(٢) الغفارة : زَرَدٌ ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة . والغفارة : المعطف . والجمع غفائر . اللسان (غ ف ر) . وانظر السلوك ٣٥٧/١ (القسم الأول) حاشية (٣) .

(٣) فى م : « سقرلاط » . وفى الذيل على الروضتين : « اسكرلاط » ، وفى نهاية الأرب : « اسقلاط » . وهو نوع من القماش كان يرد من بلاد أيرلندة لونه قرمزى . السلوك ٣٥٧/١ (القسم الأول) حاشية (٤) .

(٤) سقط من : م .

تمليكُ الملكِ المُعِزِّ عِزِّ الدينِ أيْبَكَ التُّرْكُمانيِّ مصرَ بعدَ بنى أيوبَ، وتَداوُلُ دولةِ الأتراك

لما قتَل الأمراءُ البَحْريةُ وغيرُهم مِن الصالحيةِ ابنَ أُسْتاذِهم المُعَظَّمَ غِياثَ الدينِ تُورانْشاه بنَ الصالحِ أيوبَ بنِ الكاملِ بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ، وكان مُلْكُه بعدَ أبيه بشهرين كما تقَدَّم بيانُه، ثم لمَّا قُتِلَ وانْفَصَل أمرُه نادَوْا فيما بينَهم: لا بأسَ لا بأسَ. واسْتَدْعَوْا مِن بينِهم الأميرَ عِزَّ الدينِ أيْبَك التُّرْكُمانيَّ، [١٠/٤١و] فملَّكوه عليهم وبايَعوه، ولقَّبوه بالملكِ المُعِزِّ، وركِبوا إلى القاهرةِ، ثم بعدَ خمسةِ أيامٍ أقاموا لهم صَبِيًّا مِن بنى أيوبَ ابنَ عشْرِ سنين، وهو الملكُ الأشرفُ مُظَفَّرُ الدينِ موسى بنُ الناصرِ يوسُفَ بنِ المسعودِ[١] أقْسِيسَ بنِ الكاملِ، وجعَلوا المُعِزَّ أتابكَه، فكانت السِّكَّةُ والخُطْبةُ باسمِهما، وكاتبوا أُمراءَ الشامِ بذلك، فما تمَّ لهم الأمرُ بالشامِ، بل خرَج عن أيديهم، ولم تَسْتَقِرَّ لهم المَمْلكةُ إلا على الديارِ المصريةِ، وكلُّ ذلك عن أمرِ الخاتونِ شجَرِ الدُّرِّ أمِّ خليلٍ حَظِيَّةِ الصالحِ أيوبَ، فتزَوَّجت بالمُعِزِّ، وكانت الخُطْبةُ والسِّكَّةُ باسمِها، يُدْعَى لها على المَنابرِ أيامَ الجُمَعِ بمصرَ وأعمالِها، وكذا تُضْرَبُ السِّكَّةُ باسمِها أمِّ خليلٍ، والعَلامةُ على المَناشِيرِ والتَّواقيعِ بخطِّها واسمِها، مدةَ ثلاثةِ أشهرٍ قبلَ المُعِزِّ، ثم آل أمْرُها إلى ما سنَذْكُرُه مِن الهَوانِ والقتلِ.

ذِكْرُ مُلْكِ الناصرِ بنِ العَزيزِ بنِ الظاهرِ بنِ الناصرِ فاتحِ القُدْسِ، صاحبِ حَلَبَ، لدمشقَ حرَسها اللَّهُ تعالى

لما وقَع بالديارِ المصريةِ مِن قَتْلِ الأُمراءِ للمُعَظَّمِ تُورانْشاه بنِ الصالحِ أيوبَ

---

(١) فى الأصل: «المنصور».

ركِب الحلَبيون ، معهم ابنُ أُسْتاذِهم الناصرُ يوسُفُ بنُ العزيزِ محمدِ بنِ الظاهرِ غازى بنِ الناصرِ يوسُفَ فاتحِ بيتِ المقدسِ ، ومَن كان عندَهم مِن ملوكِ بنى أيوبَ ، منهم الصالحُ إسماعيلُ بنُ العادلِ ، وكان أحَقَّ الموجودين بالمُلكِ ، مِن حيث السِّنُّ والعَقْلُ[1] والحُرْمةُ والرِّياسةُ ، ومنهم الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ بنِ العادلِ ، والأشْرَفُ موسى بنُ المنصورِ إبراهيمَ بنِ أسدِ الدينِ شِيرْكُوه الذى كان صاحبَ حمصَ ، وغيرُهم ، فجاءوا إلى دمشقَ ، فحاصَروها فملَكوها سريعًا ، ونُهِبَت دارُ ابنِ يَغْمورٍ ، وحُبس فى القلعةِ ، وتسَلَّموا ما حولَها ، كبَعْلَبَكَّ وبُصْرَى والصَّلْتِ وعجْلُونَ[2] وصَرْخَدَ ، وامْتَنَعَت عليهم الكَرَكُ والشَّوْبَكُ بالملَكِ المُغيثِ عمرَ بنِ العادلِ بنِ الكاملِ ، كان قد تغَلَّب عليهما فى هذه السنةِ حينَ قُتِل المُعَظَّمُ تُورانْشاه ، فطلَبه المِصْريون ليُمَلِّكوه عليهم ، فخاف مما حلَّ بابنِ عمِّه ، فلم يَذْهَبْ إليهم .

ولما اسْتَقَرَّت يدُ الحلَبِيِّين على دمشقَ وما حولَها جلَس الناصرُ فى القلعةِ ، وطيَّب قلوبَ الناسِ ، ثم ركِبوا إلى غَزَّةَ ليَتَسَلَّموا الدِّيارَ المِصْريةَ ، فبرَز إليهم الجيشُ المِصْرىُّ ، فاقْتَتلوا معهم أشَدَّ القِتالِ ، فكُسِر المِصْريون أولًا بحيث إنه خُطِب للناصرِ بها ذلك اليومَ ، ثم كانت الدائرةُ على الشامِيِّين ، فانْهَزَموا وأُسِر مِن أعْيانِهم خلقٌ كثيرٌ ، وعُدِم مِن الجيشِ الصالحُ إسماعيلُ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد أنْشَد هنا الشيخُ أبو شامةَ رحِمه اللَّهُ تعالى لبعضِهم[3] :

---

(١) فى الأصل : « العقدد » ، وفى م : « التعدد » . والمثبت ما يستقيم به السياق .

(٢) سقط من : م .

(٣) لم نقف على البيتين فى الذيل على الروضتين ، وهما فى المنهل الصافى ٢/ ٤٢٢، ونسبهما إلى أحمد بن المعلم .

ضيَّع إسماعيلُ أموالَنا وخرَّب المغْنى بلا معنى
وراح مِن جِلَّقَ[1] هذا جزا مَن أَفْقَرَ الناسَ وما اسْتَغْنى

ذكرُ شيءٍ مِن ترجمةِ الصالحِ (أبى الخَيْشِ) إسماعيلَ واقفِ تُرْبةِ أمِّ الصالحِ .

وقد كان الصالحُ ، رحِمه اللَّهُ ، مَلِكًا عاقلًا حازِمًا ، تَقَلَّبت به الأحْوالُ أطْوارًا كثيرةً ، وقد كان الأشْرفُ موسى أوْصَى له بدمشقَ مِن بعدِه ، فملَكها شهورًا ، ثم انْتزَعها منه أخوه الكاملُ ، ثم ملَكها مِن يدِ الصالحِ أيوبَ خَديعةً ومَكْرًا ، فاسْتَمَرَّ فيها أزْيَدَ مِن أربعِ سنينَ ، ثم اسْتَعادها منه الصالحُ أيوبُ عامَ الخُوارَزْميةِ سنةَ ثلاثٍ وأربعين ، واسْتَقَرَّت بيدِه بلَداه بَعْلَبَكُّ وبُصْرَى ، ثم أُخِذَتا منه كما ذكَرْنا ، ولم يَبْقَ له بلدٌ يَأْوِى إليه ، فلجَأ إلى المَمْلكةِ الحلَبيةِ فى جوارِ الناصرِ يوسُفَ صاحبِ حَلَبَ ، فلما كان فى هذه السنةِ كما ذكَرْنا [١٠/٤١ظ] عُدِم بالديارِ المصريةِ فى المعركةِ ، فلا يُدْرَى ما فُعِل به . واللَّهُ تعالى أعْلَمُ . وهو واقفُ التُّرْبةِ والمدرسةِ ودارِ الحديثِ والإقراءِ بدمشقَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ والمشاهيرِ :

الملكُ المُعَظَّمُ تُورانْشاه بنُ الصالحِ أيوبَ بنِ الكاملِ بنِ العادلِ[3] ، كان

---

(١) جلق : اسم لدمشق ، أو غوطتها . تاج العروس (ج ل ق) .

(٢ - ٢) سقط من : م . وفى الأصل : « أبى الخيس » . والمثبت من المشتبه ١/ ٢٥٦، وتبصير المنتبه ١/ ٢٨٣. وانظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٣٤، والعبر ٥/ ١٩٨، والوافى بالوفيات ٩/ ٢١٥، وعقد الجمان ١/ ٤٧، والمنهل الصافى ٢/ ٤٢٠. ووقع فى العبر وعقد الجمان والمنهل الصافى : « أبو الجيش » .

(٣) مرآة الزمان ٨/ ٧٨١ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٥، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٥٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٩٣، والعبر ٥/ ١٩٩، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٤٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٣٤.

أولًا صاحبَ حصنِ كَيْفَا فى حياةِ أبيه ، وكان أبوه يَسْتَدْعِيه إليه فى أيامِه فلا يُجيبُه ، فلما تُوُفِّى أبوه كما ذكَرْنا اسْتَدْعاه الأمراءُ ، فأجابهم وجاء إليهم فملَّكوه عليهم ، ثم قتَلوه كما ذكَرْنا ، وذلك يومَ الاثنين السابعَ والعشرين مِن المحَرَّمِ ، وقد قيل : إنه كان مُتَخَلِّعًا لا يَصْلُحُ للمُلْكِ . وقد رُئِى أبوه فى المَنامِ بعدَ قتلِ ابنِه ، وهو يَقولُ :

قتَلوه شرَّ قِتْلَهْ صار للعالمِ مُثْلَهْ
لم يُراعُوا فيه إلًّا لا ولا مَن كان قبلَهْ
ستَراهمْ عن قريبٍ لأقلِّ الناسِ أُكْلَهْ

وكان ما ذكَرْنا مِن اقْتِتالِ المصريين والشاميين .

ومن عُدِم فيما بينَ الصَّفَّيْن مِن أعيانِ الأمراءِ والمسلمين ، فمنهم الشمسُ لُؤْلُؤٌ[1] مُدَبِّرُ ممالكِ الحلَبيِّين ، وكان مِن خِيارِ عِبادِ اللَّهِ الصالحين الآمِرين بالمعروفِ والناهين عن المنكرِ .

[2]**واقِفَةُ الحافِظِيَّةِ**[2] : وفيها كانت وفاةُ **الخاتونِ أرغون**[3] **الحافظيةِ** ، سُمِّيَت الحافظيةَ لخدمتِها وتربيتِها الحافظَ صاحبَ قلعةِ جَعْبَرٍ ، وكانت امرأةً عاقلةً مُدَبِّرةً ، عُمِّرَت دهرًا ، ولها أموالٌ جَزيلةٌ عظيمةٌ ، وهى التى كانت تُصْلِحُ الأطْعِمةَ للمُغيثِ عمرَ بنِ الصالحِ أيوبَ ، فصادَرها الصالحُ إسماعيلُ ، وأخَذ

---

(١) مرآة الزمان ٧٨٣/٨ (القسم الثانى) .
(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمتها فى : الوافى بالوفيات ٣٥١/٨ ، وعقد الجمان ٥٠/١ ، والنجوم الزاهرة ٢١/٧ .
(٣) فى م : « أرغوانية » ، وفى عقد الجمان والنجوم الزاهرة : « أرغوان » .

منها أربعَمائةِ صُنْدوقٍ مِن المالِ ، وقد وقَفَت دارَها بدمشقَ على خُدَّامِها ، واشْتَرَت بُسْتانَ النَّجيبِ ياقوتِ الذى كان خادمَ الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدىِّ ، وجعَلَت فيه تُرْبةً ومَسْجدًا ، ووقَفَت عليهما[1] أوْقافًا جيدةً ، رحِمها اللَّهُ .

واقفُ الأَمِينيةِ التى ببَعْلَبَكَّ ، أميـنُ الدولةِ أبو الحسنِ غَزّالٌ المُتَطَبِّبُ[2] ، وزيرُ الصالحِ إسماعيلَ أبى الـجَيْشِ الذى كان مَشْئومًا على نفسِه وعلى سلطانِه ، وسببًا فى زَوالِ النِّعْمةِ عنه وعن مَخْدومِه ، وهذا هو وزيرُ السَّوْءِ ، وقد اتَّهمه السِّبْطُ[3] بأنه كان مُتَستِّرًا[4] بالدينِ ، وأنه لم يَكُنْ له فى الحقيقةِ دينٌ ، فأراح اللَّهُ تعالى منه عامَّةَ المسلمين ، وكان قتلُه فى هذه السنةِ لمَّا عُدِم الصالحُ إسماعيلُ بديارِ مصرَ ؛ عمَد مَن عمَد مِن الأُمراءِ إليه وإلى ابنِ يَغْمورٍ ناصرِ الدينِ ، فشنَقوهما وصلَبوهما على القلعةِ بمصرَ . وقد وُجِد لأمينِ الدولةِ غَزَّالٍ هذا مِن الأموالِ والتُّحَفِ والجَواهرِ والأثاثِ ما يُساوِى ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، وعشَرةُ آلافِ مجلدٍ بخطٍّ مَنْسوبٍ ، وغيرُ ذلك مِن الخُطوطِ النَّفيسةِ الفائقةِ .

---

(١) فى الأصل، م: «عليها». والمثبت من الدارس ٢٤٣/٢ نقلا عن المصنف.

(٢) مرآة الزمان ٧٨٤/٨ (القسم الثانى)، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٧٢٣، والعبر ٥/ ١٩٩، وعقد الجمان ١/ ٤٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢١.

(٣) مرآة الزمان ٧٨٤/٨ (القسم الثانى).

(٤) فى م: «مستهترًا».

ثم دخَلت سنةُ تسعٍ وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] عاد الملكُ الناصرُ صاحبُ حلَبَ إلى دمشقَ، وقدِمَت عَساكرُ المصريين، فحكَموا على بلادِ السواحلِ إلى حدِّ الشَّريعةِ[2]، فجهَّز إليهم الناصرُ جيشًا، فطردوهم حتى رَدُّوهم إلى الديارِ المصريةِ، وقصَروهم عليها.

وتزَوَّجَت فى هذه السنةِ أمُّ خَليلٍ شَجَرُ الدُّرِّ بالملكِ المُعِزِّ عزِّ الدينِ أَيْبَك التُّرْكُمانىِّ، مَمْلوكِ زوجِها الصالحِ أيوبَ.

وفيها نُقِل تابوتُ الصالحِ أيوبَ إلى تربتِه بمدرستِه، ولبِسَت الأتراكُ ثِيابَ العَزاءِ، [١٠/٤٢و] وتصَدَّقَت أمُّ خَليلٍ بأموالٍ جَزيلةٍ.

وفيها خرَّبَت التُّركُ دِمْياطَ، ونقَلوا آلاتِها[3] إلى مصرَ، وأخْلَوُا الجزيرةَ أيضًا خوفًا مِن عَوْدِ الفِرنْجِ.

وفيها كمَل شرْحُ الكتابِ المُسَمَّى بـ«نَهْجِ البَلاغةِ» فى عشرين مجلدًا مما ألَّفه عبدُ الحميدِ بنُ هِبَةِ اللَّهِ بنِ أبى الحَديدِ المَدائنىُّ، الكاتبُ للوزيرِ مُؤَيِّدِ الدينِ بنِ العَلْقَمىِّ، فأطْلَق له الوزيرُ مائةَ دينارٍ وخِلْعةً وفرَسًا، وامْتَدَحه عبدُ الحَميدِ بقَصيدةٍ؛ لأنه كان شِيعيًّا مُعْتَزِليًّا.

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٨٥، ٧٨٦ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٣ - ٤٢٦، وعقد الجمان ١/ ٥٣ - ٥٥.

(٢) الشريعة: أى نهر الشريعة، وهو موضع بالقرب من بيت المقدس. انظر تاج العروس (ش ر ع).

(٣) فى م: «الأهالى».

وفى رمضانَ اسْتُدْعِى الشيخُ سِراجُ الدينِ عمرُ بنُ بَرَكة النَّهْرُقُلِّىُّ مدرسُ النِّظاميةِ ببغدادَ ، فوَلِى قَضاءَ القُضاةِ ببغدادَ مع التَّدْريسِ المذكورِ ، وخُلِع عليه .

وفى شعبانَ[1] ولِى تاجُ الدينِ عبدُ الكريمِ بنُ أستاذِ دارِ الشيخِ مُحْيى الدينِ يوسُفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ حِسْبَةَ بغدادَ بعدَ أخيه عبدِ اللَّهِ الذى ترَكها تَزَهُّدًا عنها ، وخُلِع عليه بطَرْحةٍ ، ورُفِع على رأسِه غاشيةٌ ، وركِب الحُجَّابُ فى خدمتِه .

وفى هذه السنةِ صُلِّيت صلاةُ العيدِ يومَ الفطرِ بعدَ العصرِ ، وهذا اتفاقٌ غريبٌ .

وفيها وصَل كتابٌ إلى الخليفةِ مِن ملكِ اليمنِ صلاحِ الدينِ يوسُفَ بنِ عمرَ ابنِ رسولٍ يَذْكُرُ فيه أن رجلًا باليمنِ خرَج يدَّعى الخِلافةَ ، وأنه أنْفَذ إليه جيشًا ، فكسَروه وقتَلوا خلقًا مِن أصحابِه ، وأخَذ منه صَنْعاءَ ، وهرَب هو بنفسِه فى شِرْذِمةٍ قليلةٍ ممّن بقِى مِن أصحابِه .

وفيها أرْسَل إليه الخليفةُ بالخِلَعِ والتقْليدِ .

وفيها كانت وفاةُ بَهاءِ الدينِ علىِّ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ سَلَامةَ الجُمَّيْزىِّ[2] خَطيبِ القاهرةِ ، رحَل فى صِغَرِه إلى العراقِ ، فسمِع شُهْدَةَ[3] وغيرَها ، وكان فاضلًا ، أتْقَن مَعْرفةَ مذهبِ الشافعىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وكان دَيِّنًا حسَنَ

---

(١) فى الأصل : « شوال » .

(٢) فى م : « الحميرى » . وانظر ترجمته فى مرآة الزمان ٧٨٦/٨ (القسم الثانى) . والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٥٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠١.

(٣) فى م : « بها » . وشهدة : هى شهدة الكاتبة . انظر ترجمتها فى سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٤٢.

الأخْلاقِ ، واسِعَ الصَّدْرِ ، كثيرَ البِرِّ ، قلَّ أن قَدِمَ عليه أحدٌ إلا أطْعَمه شيئًا ، وقد سمِع الكثيرَ على السِّلَفيِّ وغيرِه ، وأسْمَع الناسَ شيئًا كثيرًا مِن مَرْوِيَّاتِه ، وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وله تسعون سنةً ، ودُفِن بالقَرافةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ :

أقضى القُضاةِ أبو الفضلِ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ إبراهيمَ اللَّمْغانيُّ الحَنَفيُّ[1] ، مِن بيتِ العلمِ والقَضاءِ ، درَّس بمشهدِ أبى حَنيفةَ ، وناب عن قاضى القُضاةِ ابنِ فَضْلانَ الشافعيِّ ، ثم عن قاضى القُضاةِ أبى صالحٍ نصرِ بنِ عبدِ الرَّزَّاقِ الحَنْبليِّ ، ثم عن قاضى القضاةِ عبدِ الرحمنِ بنِ مُقْبِلٍ الواسطيِّ ، ثم بعدَ وفاتِه فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين اسْتَقَل القاضى عبدُ الرحمنِ اللمغانىُّ المذكورُ بوِلايةِ الحكمِ ببغدادَ ، ولُقِّب أقْضَى القُضاةِ[2] ، ودرَّس للحَنَفيةِ بالمُسْتَنْصِرِيةِ فى سنةِ خمسٍ وثلاثين ، وكان مَشْكورَ السِّيرةِ فى أحْكامِه ونَقْضِه وإبْرامِه . ولما تُوُفِّى تولَّى بعدَه قَضاءَ القُضاةِ ببغدادَ شيخُ النِّظاميةِ سِراجُ الدينِ النَّهْرُقُلِّيُّ .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٥٠، والجواهر المضية ٢/ ٣٨١، وعقد الجمان ١/ ٥٦.

(٢) بعده فى م : « ولم يخاطب بقاضى القضاة » .

سنةُ خمسين وستّمائةٍ

فيها[1] وصَلَت التَّتارُ إلى الجَزيرةِ وسَروجَ ورأسِ العينِ وما والَى هذه البلادَ ، فقتَلوا وسبَوْا ونهَبوا وخرَّبوا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ووقَعوا بتُجَّارٍ[2] يَسِيرون بيـنَ حَرَّانَ ورأسِ العينِ ، فأخَذوا منهم ستَّمائةِ حِمْلِ سُكَّرٍ ومَعْمولٍ مِن الديارِ المصريةِ ، وستَّمائةِ ألفِ دينارٍ ، وكان عِدَّةُ مَن قتَلوا فى هذه السنةِ مِن أهلِ الجَزيرةِ نحوًا مِن عشَرةِ آلافِ قَتيلٍ ، وأسَروا مِن الوِلْدانِ والنِّساءِ ما يُقارِبُ ذلك ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

قال السِّبْطُ[3] [١٠/٤٢ظ] : وفيها حجَّ الناسُ مِن بغدادَ ، وكان لهم عشْرُ سِنينَ لم يَحُجُّوا مِن زمنِ المُسْتَنْصِرِ .

وفيها[4] وقَع حَريقٌ بحلَبَ ، احْتَرَق بسببِه ستُّمائةِ دارٍ ، يقالُ : إن الفِرِنْجَ ، لعَنهم اللَّهُ تعالى ، ألْقَوْه فيها قَصْدًا .

وفيها أعاد قاضى القُضاةِ عمرُ بنُ علىٍّ النَّهْرُقُلِّىُّ أمْرَ المدرسةِ التاجيةِ التى كان قد اسْتَحْوَذ عليها طائفةٌ مِن العَوامِّ ، وجعَلوها كالقَيْساريةِ يَتَبايَعون فيها مدةً طويلةً ، وهى مدرسةٌ جيدةٌ حسَنةٌ قَريبةُ الشَّبَهِ مِن النِّظاميةِ ، وقد كان بانيها يقالُ

---

(١) مرآة الزمان ٧٨٧/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٦، والعبر ٥/ ٢٠٤.

(٢) فى م : « بسنجار » .

(٣) مرآة الزمان ٧٨٧/٨ (القسم الثانى) .

(٤) انظر السلوك ٣٨٤/١ (القسم الثانى) .

له : تاجُ المُلْكِ . وزيرُ مَلِكْشاه السَّلْجوقيِّ ، وأولُ مَن درَّس بها الشيخُ أبو بكرٍ الشاشيُّ .

وفيها كانت وفاةُ جَمالِ الدينِ بنِ مَطْروحٍ[1] ، وقد كان فاضلًا رئيسًا كَيِّسًا شاعرًا مِن خيارِ المُتَعَمِّمين ، ثم اسْتَنابه الملكُ الصالحُ أيوبُ فى وقتٍ على دمشقَ ، فلبِس لُبْسَ الجُنْدِ . قال السِّبْطُ[2] : وكان لا يَلِيقُ فى ذلك . ومِن شعرِه فى الناصرِ داودَ صاحبِ الكَرَكِ لما اسْتَعاد القدسَ مِن الفِرِنْجِ حينَ سُلِّمَت إليهم فى سنةِ ستٍّ وثلاثين فى الدولةِ الكامليةِ ، فقال هذا الشاعرُ ابنُ مَطْروحٍ :

المسجدُ الأقْصَى له عادةٌ ... سارتْ فصارَت مَثَلًا سائرَا
إذا غدا للكفرِ مُسْتَوْطَنًا ... أن يَبْعَثَ اللَّهُ له ناصرَا
فناصرٌ طهَّره أوَّلًا ... وناصرٌ طهَّره آخِرَا

ولما عزَله الصالحُ عن النِّيابةِ أقام خاملًا ، وكان كثيرَ البِرِّ بالفُقَراءِ والمَساكينِ ، وكانت وفاتُه بمصرَ .

وفيها تُوُفِّى شمسُ الدينِ محمدُ بنُ سعدٍ المَقْدسيُّ[3] ، الكاتبُ الحسنُ الخَطِّ ، كان كثيرَ الأدبِ ، سمِع الكثيرَ ، وخدَم السلطانَ الصالحَ إسماعيلَ والناصرَ داودَ ، وكان دَيِّنًا فاضلًا شاعرًا ، له قصيدةٌ يَنْصَحُ فيها السلطانَ الصالحَ إسماعيلَ ، وما يَلْقاه الناسُ مِن وزيرِه وقاضيه وغيرِهما مِن حَواشِيه[4] .

---

(١) مرآة الزمان ٧٨٨/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٥٨، وفيه أنه توفى سنة تسع وأربعين وستمائة ، وكذا فى سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٧٣.

(٢) مرآة الزمان ٧٨٩/٨ (القسم الثانى) .

(٣) مرآة الزمان ٧٨٧/٨ (القسم الثانى) ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٤٩، والوافى بالوفيات ٣/ ٩١، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٨، وعقد الجمان ١/ ٧٤.

(٤) بعده فى حاشية الأصل : « وكانت وفاته بدمشق ودفن بقاسيون » .

ومِمَّن تُوُفِّي فيها : عبدُ العزيزِ بنُ عليِّ بنِ عبدِ الجَبَّارِ [(1)] **المَغْرِبيُّ أبوه** [(1)] ، وُلِد ببغدادَ ، وسمِع بها الحديثَ ، وعُنِي بطلبِ العلمِ ، وصنَّف كتابًا في مجلداتٍ على حُروفِ المُعجَمِ في الحديثِ ، وحرَّر فيه حِكايةَ مَذْهَبِ الإمامِ مالكٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ غانمِ بنِ كَريمٍ [(2)] **الأَصْبَهانيُّ** ، قدِم بغدادَ ، وكان شابًّا فاضلًا ، فتتَلْمَذ للشيخِ شِهابِ الدينِ السُّهْرَوَرْديِّ ، [(3)] فانتفع به ، وتكلَّم بعدَه على الناسِ في [(3)] التَّصوفِ ، وفيه لَطافةٌ ، ومِن كلامِه في الوَعْظِ : العالمُ كالذَّرَّةِ في فَضاءِ عَظَمتِه ، والذَّرَّةُ كالعالمِ في كتابِ حِكْمتِه ، الأصولُ فروعٌ إذا تجلَّى جَمالُ أوليَّتِه ، والفُروعُ أصولٌ إذا طلَعَت مِن مَغْرِبِ نفيِ الوَسائطِ شمسُ آخِريَّتِه ، أسْتارُ الليلِ مَسْدولة ، وشُموعُ الكواكبِ مَشْعولة ، وأعْيُنُ الرُّقَباءِ عن المُشْتاقِين مَشْغولة ، وحِجابُ الحُجُبِ عن أبوابِ الوَصْلِ مطرودةٌ مَعْزولة ، ما هذه الوَقْفةُ [(4)] والحَبيبُ قد فتَح الباب ؟! ما هذه الفترةُ والمَوْلَى قد صرَف [(5)] حاجبَ الحُجَّاب ؟!

وُقوفي بأكْنافِ العَقيقِ عُقوقُ ... إذا لم أَرِدْ والدمعُ فيه عقيقُ

وإذ لم أَمُتْ شوقًا إلى ساكنِ الحِمَى ... فما أنا فيما أدَّعِيه صَدوقُ

أيا رَبْعَ ليلى ما المُحِبُّون في الهَوى ... سواءٌ ولا كلُّ الشرابِ رَحيقُ

(1 - 1) في الأصل : « المقرى » . وانظر ترجمته في عقد الجمان 1/ 74.

(2) في الأصل : « عبد الكريم » . وانظر ترجمته في عقد الجمان 1/ 75.

(3 - 3) في م : « وكان حسن الطريقة ، له يد في التفسير ، وله تفسير على طريقة » .

(4) في م : « الوقعة » .

(5) في م : « خرق » .

ولا كلُّ مَن يَلْقاكَ[1] يَلْقاكَ قلبُه ولا كلُّ مَن يَحْنُو إليك مَشُوقُ
تكاثَرت الدَّعْوى على الحبِّ فاسْتَوَى أسيرُ صَباباتِ الهَوَى وطَليقُ

أيها الآمِنون ، هل فيكم مَن يَصْعَدُ إلى السماءِ ؟ أيها المَحْبوسون فى مَطاميرِ مُسَمَّياتِهم ، هل فيكم سليمانُ[2] الفَهِمُ لِفهْمِ رُمُوزِ الوُحوشِ والأطْيار ؟ هل فيكم موسويُّ الشوقِ [٤٣/١٠و] يقولُ بلسانِ شوقِه : أَرِنى أنْظُرْ إليك ، فقد طال الانْتِظار ؟!

وقال بعدَ الاسْتِسْقاءِ : لما صعِدَت إلى اللَّهِ عز وجل نفسُ المُشْتاق ، بكَتْ آماقُ الآفاق ، وجادَت بالدُّرِّ مُرْضِعةُ السَّحاب ، فامتَصَّ لبنَ الرحمةِ رَضيعُ التراب ، وخرَج مِن أخْلافِ الغَمامِ نِطافُ الماءِ النَّمير ، فاهتَزَّت به الهامدةُ وقرَّت عُيونُ الغَدِير[3] ، وتزَيَّنَت الرِّياضُ بالسُّنْدُسِ الأخضرِ ، فحبَّر الصِّبْغُ حِبرَها أحْسَنَ تَحْبير ، وانْفَلَق بأَنْمُلةِ الصَّبا أكْمامُ الأنْوارِ ، وانْشَقَّت بنَفحاتِ أنْفاسِه جُيوبُ الأزْهارِ ، ونطَقَت أجْزاءُ الكائناتِ بلُغاتِ صفاتِها وعاداتِ عِبَرِها : أيُّها النائمون تيقَّظوا ، أيها المستَعِدُّون[4] تعرَّضوا : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم : ٥٠] .

أبو الفتحِ نصرُ اللَّهِ بنُ هبةِ اللَّهِ بنِ عبدِ الباقى بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ يحيى بنِ بصاقةَ[5] الغِفارىُّ الكِنانىُّ المِصْرىُّ ، ثم الدِّمَشقىُّ ، كان مِن أخِصَّاءِ

---

(١) فى م : « تلقاه » .
(٢) فى م : « سليم » .
(٣) فى م : « المدر » .
(٤) فى م : « المبعدون » .
(٥) فى الأصل : « براقه » ، وفى م : « صاقعة » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ فوات الوفيات ٤/ ١٨٧، والسلوك ٣٨٥/١ (القسم الأول) ، وعقد الجمان ١/ ٧٥.

الملكِ المُعَظَّمِ وولدِه الناصرِ داودَ ، وقد سافَر معه إلى بغدادَ فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين وستِّمائةٍ ، وكان أدِيبًا مَليحَ المُحاضَرةِ ، ومِن شعرِه :

ولمّا أبَيْتُمْ سادتى عن زِيارتى   وعوَّضْتُمونى بالبِعادِ عن القرْبِ
ولم تَسْمَحوا بالوَصْلِ فى حالِ يَقْظَتى   ولم يَصْطَبِرْ عنكمْ لرِقَّتِهِ قلْبى
نصَبْتُ لصيدِ الطيفِ جَفْنى حِبالةً   فأدْرَكْتُ خفضَ العيشِ بالنومِ والنصْبِ

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وخمسين وستّمائةٍ

فيها[1] دخَل الشيخُ نَجْمُ الدينِ الباذَرائىُّ رسولُ الخليفةِ بينَ صاحبِ مصرَ وصاحبِ الشامِ، وأصْلَح بينَ الجيشَيْن، وكانوا قد اشْتَدَّت الحربُ بينَهم ونشِبَت، وقد مالأ الجيشُ المِصرىُّ الفِرِنْجَ، ووعَدهم أن يُسَلِّموا إليهم بيتَ المقدسِ إن نصَروهم على الشامِيِّين، وجرَت خُطوبٌ كثيرةٌ، فأَصْلح بينَهم وخلَّص جماعةً مِن بُيوتِ الملوكِ مِن الديارِ المِصريةِ؛ منهم أولادُ الصالحِ إسماعيلَ، وبنتُ الأشْرَفِ وغيرُهم مِن أولادِ صاحبِ حمصَ وغيرِهم، فجزاه اللَّهُ خيرًا.

وفيها، فيما ذكَر ابنُ الساعى، كان رجلٌ ببغدادَ على رأسِه (2) زَبادِىُّ قاشانىٌّ (2)، فزلَق فتكَسَّرَت، ووقَف يَبْكى، فتألَّم الناسُ له لفقرِه وحاجتِه، وأنه لم يكنْ يَمْلِكُ غيرَها، فأعْطاه رجلٌ مِن الحاضِرين دينارًا، فلما أخَذه نظَر فيه طويلًا، ثم قال: واللَّهِ هذا الدينارُ أَعْرِفُه، وقد ذهَب منى فى جملةِ دَنانيرَ عامَ أولَ، فشتَمه بعضُ الحاضِرين، فقال له ذلك الرجلُ: فما عَلامةُ ما قلتَ؟ قال: زِنةُ هذا كذا وكذا. وكان معه ثلاثةٌ وعشرون دينارًا، فوزَنوه فوجَدوه (3) كما ذكَر، فأخْرَج له الرجلُ ثلاثةً وعشرين دينارًا، وكان قد وجَدها (3)، كما قال، حينَ

---

(1) مرآة الزمان ٨/ ٧٨٩، ٧٩٠ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ١٨٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٦.

(٢ - ٢) فى م: «قابسى». والزبادىّ: جمع زِبْدِيّة، وهى وعاء من خزف. وقاشانىّ: نسبة إلى قاشان، وهى مدينة قرب أصبهان. انظر تاج العروس، والوسيط (ز ب د)، ومعجم البلدان ٤/ ١٠.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

سقَطَت منه ، فتعَجَّب الناسُ مِن ذلك . قال : ويَقْرُبُ مِن هذا أن رجلًا بمكةَ نزَع ثيابَه ليَغْتَسِلَ مِن ماءِ زَمْزَمَ ، وأخْرَج مِن عَضُدِه دُمْلُجًا[1] زِنَتُه خمسون مِثْقالًا ، فوضَعه مع ثيابِه ، فلما فرَغ مِن اغْتِسالِه لبِس ثيابَه ، ونسِى الدُّمْلُجَ ومضَى ، وصار إلى بغدادَ ، وبقِى مدةَ سنتين[2] بعدَ ذلك ، وأيِس منه ، ولم يَبْقَ معه سوى شىءٍ يسيرٍ ، فاشْتَرَى به زُجاجًا مِن القَوارِيرِ ليَبيعَها ويَتَكَسَّبَ بها ، فبينما هو يَطوفُ بها إذ تَعِسَ[3] ، فسقَطَت القَوارِيرُ ، فتكَسَّرَت فوقَف يَبْكى ، واجْتَمَع الناسُ عليه يَتَأَلَّمون له ، فقال فى جملةِ كلامِه : واللَّهِ ياجماعةُ ، لقد ذهَب منى مِن مدةِ سنتين دُمْلُجٌ مِن ذهبٍ عندَ بئرِ زَمْزَمَ زِنَتُه خمسون مثقالًا ، ما تألَّمْتُ لفقدِه ما تألَّمْتُ لتَكْسيرِ هذه القواريرِ ، وما ذاك إلا لأن هذه كانت جميعَ ما أَمْلِكُ . فقال له رجلٌ مِن الجماعةِ : فأنا واللَّهِ لقِيتُ [١٠/٤٣ظ] ذلك الدُّمْلُجَ . وأخْرَجه مِن عَضُدِه فدفَعه إليه ، فتعَجَّب الناسُ والحاضرون .

---

(١) الدُّمْلُج : الحُلِىّ . لسان العرب (دملج) .

(٢) فى الأصل : « سنين » .

(٣) تعس : انكب فعثر ، فسقط على يديه وفمه . لسان العرب (ت ع س) .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وستمائةٍ[1]

قال سِبْطُ ابنِ الجَوْزِيِّ في كتابِه « مِرْآةِ الزمانِ »[2] : فيها ورَدَت الأخبارُ مِن مكةَ ، شرَّفها اللَّهُ تعالى ، بأن نارًا ظهَرَت في أرضِ عَدَنَ في بعضِ جبالِها ، بحيث إنه يَطِيرُ شَرَرُها إلى البحرِ في الليلِ ، ويَصْعَدُ منها دُخانٌ عظيمٌ في أثناءِ النهارِ ، فما شكُّوا أنها النارُ التي ذكَر النبيُّ ﷺ ، أنها تَظْهَرُ في آخِرِ الزمانِ[3] ، فتاب الناسُ ، وأَقْلَعوا عما كانوا عليه مِن المَظالمِ والفَسادِ ، وشرَعوا في أفعالِ الخيرِ والصَّدَقاتِ .

وفيها قدِم الفارسُ أَقْطاى[4] مِن الصَّعيدِ ، وقد نهَب أموالَ المسلمين ، وأسَر بعضَهم ، ومعه جماعةٌ مِن البَحْرِيةِ المُفْسِدِين في الأرضِ ، وقد بغَوْا وطغَوْا وتجَبَّروا ، ولا يَلْتَفِتون إلى الملكِ المُعِزِّ أيْبَك التُّرْكُمانيِّ ، ولا إلى زوجتِه شَجَرِ الدُّرِّ ، فشاوَر المُعِزُّ زوجتَه شَجَرَ الدُّرِّ في قتلِ أَقْطَاى ، فأذِنَت له ، فعمِل عليه حتى قتَله في هذه السنةِ بالقلعةِ المنصورةِ بمصرَ ، فاسْتَراح المسلمون مِن شرِّه ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها درَّس الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ بمدرسةِ الصالحِ أيوبَ بينَ القَصْرَيْنِ .

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٩٠، ٧٩٣ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٧ - ٤٣٨.

(٢) مرآة الزمان ٨/ ٧٩٠، ٧٩١ (القسم الثانى) .

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٧.

(٤) فى الأصل : « أقطايا » . وكذا فى مرآة الجنان ٤/ ١٢٨.

وفيها قدِمَت بنتُ ملكِ الرومِ فى تَجمُّلٍ عظيمٍ وإقاماتٍ هائلةٍ إلى دمشقَ زوجةً لصاحبِها الناصرِ بنِ العزيزِ بنِ الظاهرِ بنِ الناصرِ، وجرَت أوقاتٌ حافلةٌ بدمشقَ بسببِها .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن المَشاهِيرِ :

الخُسْرُوشاهِىُّ المُتَكلِّمُ : عبدُ الحَميدِ بنُ عيسى ، الشيخُ شمسُ الدينِ[1] **الخُسْرُوشاهِىُّ** ، أحدُ مَشاهيرِ المُتَكلِّمِين ، وممَّن اشْتَغل على الفخرِ الرازىِّ فى الأصولِ وغيرِها ، ثم قدِم الشامَ ، فلزِم الملكَ الناصرَ داودَ بنَ المُعَظَّمِ ، وحظِى عندَه .

قال أبو شامةَ[2] : وكان شيخًا مَهِيبًا فاضلًا مُتواضِعًا ، حسَنَ الظاهرِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال السِّبْطُ[3] : وكان مُتواضِعًا كَيِّسًا ، مَحْضَرَ خيرٍ ، لم يُنْقَلْ عنه أنه آذَى أحدًا ، إن قدَر على نفعٍ وإلا سكَت ، تُوُفِّى بدمشقَ ، ودُفِن بقاسِيونَ على بابِ تُرْبةِ الملكِ المُعَظَّمِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ مجدُ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ، صاحبُ « الأحْكامِ » [4] **عبدُ السلامِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى القاسمِ الخَضِرِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ ، ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانىُّ الحَنْبلىُّ**[5] [4] ، جدُّ الشيخِ تَقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، وُلِد فى حدودِ سنةِ تسعينَ

---

(1) بعده في م : « بن » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٧٩٣ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٨، والعبر ٥/ ٢١١، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥٧.

(2) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

(3) مرآة الزمان ٨/٧٩٣ (القسم الثانى).

(٤ - ٤) سقط من : الأصل.

(5) العبر ٥/ ٢١٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩١، وفوات الوفيات ٢/ ٣٢٣، وعقد الجمان ١/ ٩٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٩.

(١ وخمسمائةِ ، وتفقَّه فى صِغَرِه على عمِّه الخطيبِ فخرِ الدينِ ، وسمِع الكثيرَ ، ورحَل إلى البلادِ ، وبرَع فى الحديثِ والفقهِ وغيرِه ، ودرَّس وأفْتَى وانْتَفَع به الطلبةُ ، ومات يومَ الفطرِ بحَرَّانَ ١) .

الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ طَلْحةَ[٢] ، الذى ولِى الخَطابةَ بدمشقَ بعدَ الدَّوْلَعِيِّ ، ثم عُزِل وصار إلى الجزيرةِ ، فولِى قَضاءَ نَصِيبِينَ ، ثم صار إلى حلَبَ ، فتُوُفِّى بها فى هذه السنةِ .

قال أبو شامةَ[٣] : وكان فاضلًا عالمًا ، طُلِب أن يَلِىَ الوِزارةَ ، فامْتَنع مِن ذلك ، وكان هذا مِن التَّأْييدِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

السَّدِيدُ[٤] بنُ علّانَ ، آخِرُ مَن روَى عن الحافظِ ابنِ عساكرَ سَماعًا بدمشقَ .

الناصحُ فرجُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَبَشيُّ[٥] ، كان كثيرَ السَّماعِ مُسْنِدًا خَيِّرًا صالحًا مُواظِبًا على سَماعِ الحديثِ وإسْماعِه ، إلى أن مات بدارِ الحديثِ النُّوريةِ بدمشقَ ، رحِمه اللَّهُ .

النُّصْرةُ بنُ صَلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ[٦] ، تُوُفِّى بحلَبَ فى هذه السنةِ . وآخَرون رحِمهم اللَّهُ أجْمَعين .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٨، والعبر ٥/ ٢١٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٢٨، والسلوك ١/ ٣٩٦ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/ ٩٤.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

(٤) فى م : « السيد » . وانظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ص ١٨٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٦، والعبر ٥/ ٢١٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٢٩، وعقد الجمان ١/ ٩٥.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٨٨، وتكملة الإكمال ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩٠، والعبر ٥/ ٢١٣، وعقد الجمان ١/ ٩٥.

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

ثم دخلَت سنةُ ثلاثٍ وخمسين وستّمائةٍ[1]

قال السِّبْطُ[2] : فيها عاد الناصرُ داودُ مِن الأنْبارِ إلى دمشقَ ، ثم عاد وحجَّ مِن العراقِ ، وأصْلَح بينَ العراقيّين وأهلِ مكةَ ، ثم عاد معهم إلى الحَـلَّةِ[3] .

قال أبو شامةَ[4] : [١٠/٤٤و] وفيها في ليلةِ الاثنين ثامنَ عشَرَ صفرٍ ، تُوُفِّى بحلَبَ الشيخُ الفَقيهُ :

ضِياءُ الدينِ صَقْرُ[5] **بنُ يحيى بنِ سالمٍ** ، وكان فاضلًا دَيِّنًا ، ومِن شعرِه قولُه رحِمه اللَّهُ تعالى :

مَـن ادَّعـى أن لـه حـالـةً   تُخْرِجُه عن مَنْهَجِ الشرعِ
فـلا تَـكُـونَـنَّ لـه صـاحـبًا   فـإنـه ضُـرٌّ بـلا نَـفْـعِ

واقفُ القُوصيةِ ، أبو العربِ[6] **إسماعيلُ بنُ حامدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأنْصاريُّ القُوصيُّ** ، واقفُ دارِه بالقربِ مِن الرَّحْبةِ على أهلِ الحديثِ ، وبها

---

(١) مرآة الزمان ٧٩٣/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٩، ٤٣٠.
(٢) مرآة الزمان ٧٩٣/٨ (القسم الثانى) .
(٣) الحَـلَّة بفتح الحاء : قرية مشهورة فى طرف دُجَيْل بغداد من ناحية البرية ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . ودجيل : نهر . والحلة بكسر الحاء : علم لعدة مواضع بالعراق . انظر معجم البلدان ٢/ ٣٢٢، ٣٢٣.
(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤.
(٥) فى الذيل على الروضتين : « سقر » .
(٦) فى الأصل ، م : « العز » ، والمثبت من مصادر الترجمة : الذيل على الروضتين ص ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٨، والوافى بالوفيات ٩/ ١٠٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥.

قبرُه ، وكان مُدَرِّسًا بحَلْقةِ جمالِ الإسلامِ تُجاهَ البرادةِ[1] ، فعُرِفَت به ، وكان ظريفًا مَطْبوعًا ، حسَنَ المُحاضَرةِ ، وقد جمَع له مُعْجَمًا حكَى فيه عن مَشايخِه أشياءَ كثيرةً مُفيدةً .

قال أبو شامةَ[2] : وقد طالَعْتُه بخطِّه فرأَيْتُ فيه أَغاليطَ وأوْهامًا فى أسماءِ الرجالِ وغيرِها ، فمِن ذلك أنه انْتَسَب إلى سعدِ بنِ عُبادةَ بنِ دُلَيْمٍ ، فقال : سعدُ ابنُ عُبادةَ بنِ الصامتِ . وهذا غلطٌ فاحشٌ . وقال فى مسندِ[3] خرقةِ التَّصَوُّفِ ، فغلِط وصحَّف حبيبًا[4] أبا محمدٍ : حُسَيْنًا . قال أبو شامةَ[5] : رأَيْتُ ذلك بخطِّه ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنين سابعَ عشَرَ ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ .

وقد تُوُفِّى **الشريفُ المُرْتَضَى**[6] نَقيبُ الأشْرافِ بحلَبَ ، وكانت وفاتُه بها ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى م : « البدارة » . وانظر الدارس ١/ ٤٣٨.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٩.

(٣) فى م : « شدة » . وفى الذيل : « سنه » .

(٤) فى م : « حبيا » .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٤/ ٤١٠.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ

فيها[1] كان ظهورُ النارِ مِن أرضِ الحِجازِ التى أضاءَت لها أعْناقُ الإبلِ بِبُصْرَى ، كما نطَق بذلك الحديثُ المُتَّفَقُ عليه ، وقد بسَط القولَ فى ذلك الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ الحافظُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ المَقْدِسىُّ فى كتابِه « الذَّيْلِ »[2] وشرَحه واختصره ، واسْتَحْضَره مِن كتبٍ كثيرةٍ ورَدَت مُتَواتِرةً إلى دمشقَ مِن أرضِ الحجازِ بصفةِ أمْرِ هذه النارِ التى شُوهِدَت مُعايَنةً ، وكيفيةِ خُروجِها وأمْرِها ، وهذا مُحَرَّرٌ فى كتابِ دَلائلِ النُّبوةِ مِن السيرةِ النبويةِ ، فى أوائلِ هذا الكتابِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ومُلَخَّصُ ما أوْرَده أبو شامةَ رحِمه اللَّهُ تعالى أنه قال : وجاء إلى دمشقَ كتبٌ مِن المدينةِ النَّبويةِ ، على ساكِنِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، بخُروجِ نارٍ عندَهم فى خامسِ جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ ، وكُتِبَت الكتبُ فى خامسِ رجبٍ ، والنارُ بحالِها ، ووصَلَت الكتبُ إلينا فى عاشرِ شعبانَ . ثم قال :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، ورَد إلى مدينةِ دمشقَ ، حرَسها اللَّهُ تعالى ، فى أوائلِ شعبانَ مِن سنةِ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ كتبٌ مِن مدينةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فيها شرْحُ أمرٍ عظيمٍ حدَث بها ، فيه تصديقٌ لما فى « الصحيحَيْن »[3] مِن حديثِ

---

(1) الذيل على الروضتين ص ١٨٩ - ١٩٥، ونهاية الأرب ٤٤١/٢٩ - ٤٥٥، والعبر ٢١٥/٥ - ٢٢٠، ودول الإسلام ١٥٨/٢، ١٥٩، والمختصر فى أخبار البشر ١٩١/٣، ١٩٢.

(2) الذيل على الروضتين ص ١٩٠. وانظر ذيل مرآة الزمان ١/٤ - ٩.

(3) تقدم تخريجه فى ٢٩٧/٩.

أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَقومُ الساعةُ حتى تَخْرُجَ نارٌ مِن أرضِ الحجازِ تُضِئُ[1] أعْناقَ الإبلِ بِبُصْرَى » . فأخْبَرَنى بعضُ مَن أَثِقُ به ممَّن شاهَدها أنه بلَغه أنه كتَب بتَيْماءَ على ضوئِها الكتبَ . قال : وكنا فى بيوتِنا تلك الليالىَ ، وكأنَّ فى دارِ كلِّ واحدٍ منا سِراجًا ، ولم يَكُنْ لها [2]حرٌّ ولَفْحٌ[2] على عِظَمِها ، إنما كانت آيةً مِن آياتِ اللَّهِ عز وجل . قال أبو شامةَ : وهذه صورةُ ما وقَفْتُ عليه مِن الكتبِ الواردةِ فيها : لما كانت ليلةُ الأربعاءِ ثالثَ جُمادَى الآخِرةِ سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ ظهَر بالمدينةِ - يعنى النبويَّةَ - دَوِىٌّ عظيمٌ ، ثم زَلْزلةٌ عظيمةٌ رجَفَت منها الأرضُ[3] والحيطانُ والسُّقوفُ والأخشابُ والأبوابُ ، ساعةً بعدَ ساعةٍ إلى يومِ الجمعةِ الخامسِ مِن الشهرِ المذكورِ ، ثم ظهَرَت نارٌ عظيمةٌ [١٠/ ٤٤ظ] فى الحَرَّةِ قريبةٌ مِن قُرَيْظَةَ نُبْصِرُها مِن دُورِنا مِن داخلِ المدينةِ كأنها عندَنا ، وهى نارٌ عظيمةٌ ، إشْعالُها أكثرُ مِن ثلاثِ مَنائرَ ، وقد سالت أَوْدِيةٌ منها بالنارِ إلى وادى شَظًا[4] مَسيلَ الماءِ ، وقد سدَّت سَبيلَ شَظًا وما عاد بسَبيلٍ ، واللَّهِ لقد طلَعْنا جَماعةً نُبْصِرُها ، فإذا الجبالُ تَسِيلُ نيرانًا ، وقد سدَّت الحَرَّةَ طريقَ الحاجِّ العراقىِّ ، فسارت إلى أن وصَلَت إلى الحَرَّةِ ، فوقَفَت بعدَما أشْفَقْنا أن تَجِىءَ إلينا ، ورجَعَت تَسيرُ فى الشرقِ ، ويخرُجُ مِن وسَطِها سهولٌ[5] وجبالُ نيرانٍ تَأْكُلُ الحِجارةَ ، فيها أُنْموذَجٌ عما أخبَرَ اللَّهُ تعالى فى كتابِه : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾

---

(١) بعده فى م : « لها » .

(٢ - ٢) فى الذيل : « ضوء » .

(٣) فى الذيل : « المدينة » .

(٤) شظا : جبل بمكة أو قرب مكة . معجم البلدان ٣/ ٢٩٢ .

(٥) فى الأصل ، م : « سهود » .

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢، ٣٣]. وقد أكَلَت الأرضَ. وقد كتبْتُ هذا الكتابَ يومَ خامسِ رجبٍ سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ، والنارُ فى زيادةٍ ما تغيَّرت، وقد عادَت إلى الحِرارِ فى قُرَيْظَةَ طريقِ عِيرِ الحاجِّ العراقىِّ إلى الحَرَّةِ[1] كلِّها نِيرانٌ تَشْتَعِلُ، نُبْصِرُها فى الليلِ مِن المدينةِ كأنها مَشاعِلُ الحاجِّ. وأمَّا أمُّ[2] النارِ الكبيرةِ فهى جبالُ نِيرانٍ حُمْرٌ، والأمُّ الكبيرةُ التى سالت النِّيرانُ منها مِن عندِ قُرَيْظَةَ، وقد زادَت وما عاد الناسُ يَدْرُون[3] أىُّ شىءٍ يَتِمُّ بعدَ ذلك، واللَّهُ يَجْعَلُ العاقبةَ إلى خيرٍ، وما أَقْدِرُ أَصِفُ هذه النارَ.

قال أبو شامةَ[4]: وفى كتابٍ آخَرَ: ظهَر فى أولِ جمعةٍ مِن جُمادَى الآخِرةِ سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ، ووقَع فى شرقىِّ المدينةِ المُشَرَّفةِ، نارٌ عظيمةٌ بينَها وبينَ المدينةِ نصفُ يومٍ، انْفَجَرت مِن الأرضِ، وسال منها وادٍ مِن نارٍ حتى حاذَى جبلَ أُحُدٍ، ثم وقَفَت وعادت إلى الساعةِ، ولا نَدرِى ماذا تَفْعَلُ؟ ووقْتُ ما ظهَرت دخَل أهلُ المدينةِ إلى نبيِّهم، عليه الصلاةُ والسلامُ، مُسْتَغْفِرين تائِبين إلى ربِّهم تعالى، وهذه دَلائلُ القيامةِ.

قال[5]: وفى كتابٍ آخَرَ: لما كان يومُ الاثنين مُسْتَهَلَّ جُمادَى الآخِرةِ، سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ وقَع بالمدينةِ صوتٌ يُشْبِهُ صوتَ الرَّعْدِ البَعيدِ تارةً وتارةً، أقام على هذه الحالِ يومين، فلما كانت ليلةُ الأربعاءِ ثالثَ الشهرِ المذكورِ تعَقَّب

(١) فى الأصل: «الحيرة».
(٢) سقط من: الأصل.
(٣) فى الذيل: «يرون».
(٤) الذيل على الروضتين ص ١٩٠. وانظر ذيل مرآة الزمان ٤/١ - ٩.
(٥) المصدر السابق ص ١٩١.

الصوتَ الذى كنا نَسْمَعُه زَلازِلُ ، فتُقيمُ[1] [2]على هذه الحالِ ثلاثةَ أيامٍ يقعُ فى اليومِ والليلةِ أربعَ عشْرةَ زلزلةً[2] ، فلما كان يومُ الجمعةِ خامسَ الشهرِ المذكورِ انْبَجَسَتِ الحَرَّةُ بنارٍ عظيمةٍ يكونُ قَدْرُها مثلَ مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهى برَأْيِ العينِ مِن المدينةِ ، نُشاهِدُها وهى تَرْمى بشَرَرٍ كالقصرِ ، كما قال اللَّهُ تعالى ، وهى بموضعٍ يقالُ له : أُحَيْلِينُ[3] . وقد سال مِن هذه النارِ وادٍ يكونُ مِقْدارُه أربعةَ فَراسِخَ ، وعرضُه أربعةَ أميالٍ ، وعمقُه قامةً ونصفًا ، وهى تَجْرِى على وجهِ الأرضِ ، ويَخرُجُ منها أمهادٌ وجبالٌ صِغارٌ ، ويسيرُ على وجهِ الأرضِ ، وهو صخرٌ يَذُوبُ حتى يَبْقَى مثلَ الآنُكِ[4] ، فإذا جَمَدَ[5] صار أسودَ ، وقبلَ الجُمودِ لونُه أحمرُ ، وقد حصَل بطريقِ هذه النارِ إقْلاعٌ عن المَعاصى ، والتَّقَرُّبُ إلى اللَّهِ تعالى بالطاعاتِ ، وخرَج أميرُ المدينةِ عن مَظالمَ كثيرةٍ إلى أهلِها .

قال الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ[6] : ومِن كتابِ شمسِ الدينِ سِنانِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ نُمَيْلةَ[7] الحُسَيْنيِّ قاضى المدينةِ إلى [١٠/٤٥و] بعضِ أصحابِه ؛ لما كانت ليلةُ الأربعاءِ ثالثَ جُمادَى الآخِرةِ حدَث بالمدينةِ فى الثُّلُثِ الأخيرِ مِن الليلِ زَلْزلةٌ عظيمةٌ أَشْفَقْنا منها ، وباتَت باقىَ تلك الليلةِ تُزَلْزِلُ كلَّ يومٍ وليلةٍ قَدْرَ

---

(١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « أحلبر » ، وفى م : « أجيلين » ، وفى الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان : « أجلين » . والمثبت من النجوم الزاهرة ٧/ ١٨.

(٤) الآنك : هو الرصاص الأبيض . وقيل : الأسود . وقيل : الخالص منه . النهاية ١/ ٧٧.

(٥) فى الذيل : « خمد » . وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ١٨.

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٩١.

(٧) فى الأصل : « قتله » ، وفى الذيل : « تميلة » . وانظر ذيل مرآة الزمان ١/ ٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٨.

عشْرِ نَوْباتٍ ، واللَّهِ لقد زَلْزَلَت مرةً ونحن حولَ حجرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، اضْطرب لها المِنْبرُ إلى أن أوْجَسْنا منه[1] صوتًا للحديدِ الذى فيه ، واضْطَرَبت قَناديلُ الحَرَمِ الشريفِ ، وتَمَّت الزَّلْزَلَةُ إلى يومِ الجمعةِ ضُحًى ، ولها دَوِيٌّ مثلُ دَوِيِّ الرعدِ القاصفِ ، ثم طلَع يومَ الجمعةِ فى طريقِ الحَرَّةِ[2] فى رأسِ جَبَلَيْن[3] نارٌ عظيمةٌ مثلُ المدينةِ العظيمةِ ، وما بانَت لنا إلا ليلةَ السبتِ ، وأشْفَقْنا منها ، وخِفْنا خوفًا عظيمًا ، وطلَعْتُ إلى الأميرِ وكلَّمْتُه ، وقلتُ له : قد أحاط بنا العذابُ ، ارْجِعْ إلى اللَّهِ تعالى . فأعْتَق كلَّ مَماليكِه ، وردَّ على جَماعةٍ أموالَهم ، فلما فعَل ذلك قلتُ : اهْبِطِ الساعةَ معنا إلى النبىِّ ﷺ . فهبَط وبِتْنا ليلةَ السبتِ ، والناسُ جميعُهم والنِّسوانُ وأولادُهم ، ولا بقِى أحدٌ لا فى النَّخيلِ ولا فى المدينةِ إلا عندَ النبىِّ ﷺ ، [4]وأشفَقْنا منها ، وظهَر ضوءُها إلى أن أُبصرتْ من مكةَ ومن الفَلاةِ جميعِها[4] . ثم سال منها نهرٌ مِن نارٍ ، وأخَذ فى [5]وادى أُجَيْلين[5] وسدَّ الطريقَ ، ثم طلَع إلى بَحْرةِ[6] الحاجِّ ، وهو بحرُ نارٍ يَجْرِى ، وفوقَه جَمْرٌ يَسِيرُ إلى أن قطَعَت الوادىَ ؛ وادىَ الشَّظَا ، وما عاد يَجرى[7] فى الوداى سَيْلٌ قطُّ ؛ لأنها [8]حفَرَتْه نحوَ[8] قامتَيْن

---

(١) بعده فى م : « إذ سمعنا » ، وأوجسنا منه : وقع فى نفوسنا الخوف . والوجس : الفزع يقع فى القلب أو فى السمع من صوت أو غير ذلك . انظر اللسان والوسيط (و ج س) .

(٢) فى الأصل : « البصرة » .

(٣) فى م : « أجيلين » . وفى الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان : « أجلين » . وانظر النجوم الزاهرة ١٨/٧ .

(٤ - ٤) سقط من الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان .

(٥ - ٥) فى الأصل : « واد بين أجبلين » ، وفى م : « وأدى أجيلين » . والذيل على الروضتين وذيل مرآة الزمان : « وادى أجلين » . والمثبت من نسخة لذيل مرآة الزمان والنجوم الزاهرة ١٨/٧ .

(٦) البحرة من الأرض : الواسعة والمنخفضة . تاج العروس (ب ح ر) .

(٧) فى الأصل ، م ، والذيل على الروضتين : « يجىء » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان والنجوم الزاهرة .

(٨ - ٨) فى الأصل ، والذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان : « حرة تجىء » ، وفى م : « حضرته نحو » . والمثبت من نسخة من ذيل مرآة الزمان ، والنجوم الزاهرة .

وثُلثِ عُلوِّها ، وباللَّهِ يا أخى إن عيشتَنا اليومَ مُكَدَّرةٌ ، والمدينةُ قد تاب جميعُ أهلِها ، ولا بقِى يُسْمَعُ فيها رَبابٌ ، ولا دُفٌّ ولا شُرْبٌ ، وتمَّت النارُ تَسِيرُ[1] إلى أن سدَّت بعضَ طريقِ الحاجِّ وبعضَ بَحْرةِ الحاجِّ ، وجاء فى الوادى إلينا منها قَتيرٌ[2] ، وخِفْنا أنه يَجيئُنا ، فاجْتمَع الناسُ ، ودخَلوا على النبىِّ ﷺ ، وباتوا[3] عندَه جميعُهم ليلةَ الجمعةِ ، وأما قَتيرُها الذى مما يَلِينا فقد طَفِئَ بقدرةِ اللَّهِ ، سبحانه وتعالى ، وأنها إلى الساعةِ ما نقَصَت إلا تَرَى مثلَ الجِمالِ حِجارةً من نارٍ ، ولها دَوِىٌّ ما يَدَعُنا نَرْقُدُ ولا نَأْكُلُ ولا نَشْرَبُ ، وما أَقْدِرُ أَصِفُ لك عِظَمَها ، ولا ما فيها مِن الأهْوالِ ، وأبْصَرها أهلُ يَنْبُعَ[4] وندَبوا قاضيَهم ابنَ أسْعَدَ ، وجاء وعَدا إليها ، وما أصبَح[5] يَقْدِرُ يَصِفُها مِن عِظَمِها ، وكتَب الكُتَّابُ يومَ خامسِ رجبٍ ، وهى على حالِها ، والناسُ منها خائِفون ، والشمسُ والقمرُ مِن يومَ طلَعَت ما يَطْلُعان إلا كاسِفَيْن ، فنسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ .

قال أبو شامةَ[6] : وبان عندَنا بدمشقَ أثرُ الكُسوفِ مِن ضعفِ نُورِهما على الحيطانِ ، وكنا حَيارَى مِن ذلك [7]أَيْشِ هو ؟[7] إلى أن جاءنا الخبرُ عن هذه النارِ .

قلتُ : وكان أبو شامةَ قد أرَّخ قبلَ مَجِىءِ الكتبِ بأمرِ هذه النارِ ، فقال[8] : وفيها فى ليلةِ الاثنينِ السادسَ عشَرَ مِن جُمادَى الآخِرةِ خسَف القمرُ أولَ الليلِ ،

---

(1) فى م : « تسيل » .

(2) فى م : « تسير » .

(3) فى م : « تابوا » .

(4) ينبع : موضع عن يمين رَضْوَى - جبل بالمدينة - لمن كان منحدرا من المدينة إلى البحر وهى قرية كبيرة . معجم ما استعجم ٢/ ٦٥٦.

(5) فى الأصل : « يصبح » ، وفى م : « صبح » . والمثبت من الذيل على الروضتين وذيل مرآة الزمان .

(6) الذيل على الروضتين ص ١٩٢.

(7 - 7) زيادة من : الأصل ، م .

(8) المصدر السابق ص ١٨٩.

وكان شديدَ الحُمْرةِ، ثم انْجَلَى، وكسَفت الشمسُ، وفى غدِه احْمَرَّت وقتَ طُلوعِها وغُروبِها وبقِيَت كذلك أيامًا مُتغَيِّرةَ اللونِ، ضَعيفةَ النورِ، واللَّهُ تعالى على كلِّ شيءٍ قَديرٌ، ثم قال(1): واتَّضَح بذلك ما صوَّره الشافعىُّ مِن اجْتماعِ الكُسوفِ والعيدِ، واسْتَبْعَده أهلُ النِّجامةِ. ثم قال أبو شامةَ(2): ومِن كتابٍ آخرَ مِن بعضِ [١٠/٤٥ظ] بنى الفاشانىِّ(3) بالمدينةِ يقولُ فيه: وصَل إلينا فى جُمادَى الآخِرةِ نَجابةٌ مِن العراقِ، وأَخْبَروا عن بغدادَ أنه أصابها غرَقٌ عظيمٌ حتى دخل(4) الماءُ مِن أسْوارِ بغدادَ إلى البلدِ، وغرِق كثيرٌ من البلدِ، ودخَل الماءُ دارَ الخليفةِ وسْطَ البلدِ، وانْهَدَمَت دارُ الوزيرِ وثلاثُمائةٍ وثمانون دارًا، وانْهَدم مَخْزَنُ الخليفةِ، وهلَك مِن خِزانةِ السلاحِ شىءٌ كثيرٌ (5بل تلِف كلُّه5)، وأشْرَف الناسُ على الهَلاكِ، وعادَت السفنُ تَدْخُلُ إلى وسَطِ البَلدِ، وتَخْترِقُ أزِقَّةَ بغدادَ.

قال: وأما نحن فإنه جرَى عندَنا أمرٌ عظيمٌ؛ لما كان بتاريخِ ليلةِ الأربعاءِ الثالثِ مِن جُمادَى الآخِرةِ ومِن قبلِها بيومين، عاد الناسُ يَسْمَعون صوتًا مثلَ صوتِ الرَّعْدِ (6ساعةً بعد ساعةٍ - وما فى السماءِ غيمٌ حتى نقولَ إنه منه - يومين إلى ليلةِ الأربعاءِ، ثم ظهَر الصوتُ حتى سمِعه الناسُ وتزلزلتِ الأرضُ ورجَفتْ بنا رجْفةً لها صوتٌ كدوىِّ الرعدِ6)، فانْزَعَج لها الناسُ كلُّهم، وانْتَبَهوا مِن

---

(1) الذيل على الروضتين ص ١٩٠.

(2) المصدر السابق ص ١٩٢.

(3) فى الأصل الفاء غير منقوطة، وفى ذيل مرآة الزمان ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٥٢: «القاشانى» بالقاف. والفاشانى نسبة إلى قرية من قرى مرو يقال لها: فاشان. والقاشانى نسبة إلى قاشان وهى بلدة عند قم. انظر الأنساب ٤/ ٣٣٨، ٤٢٦.

(4) فى م: «طفح».

(٥ - ٥) سقط من: م. وفى الأصل: «تلف». والمثبت من الذيل على الروضتين، وذيل مرآة الزمان.

(٦ - ٦) سقط من: م.

مَراقدِهم ، وضجَّ الناسُ بالاستِغْفارِ إلى اللَّهِ تعالى ، وفزِعوا إلى المسجدِ ، وصَلَّوْا فيه ، وتمَّت تَرْجُفُ بالناسِ ساعةً بعدَ ساعةٍ إلى الصبحِ ؛ وذلك اليومَ كلَّه يومَ الأربعاءِ وليلةَ الخميسِ كلَّها [(1)]ويومَ الخميسِ[(1)] وليلةَ الجمعةِ . وصبحَ يومِ الجمعةِ[(2)] ارْتَجَّت الأرضُ رَجَّةً قويةً إلى أن اضْطَرَب مَنارُ المسجدِ بعضُه ببعضٍ ، وسُمِع لسقفِ المسجدِ صَريرٌ عظيمٌ ، وأشْفَق الناسُ مِن ذُنوبِهم ، وسكَنَت الزَّلْزلةُ بعدَ صُبْحِ يومِ الجمعةِ إلى قبلِ الظهرِ ، ثم ظهَرَت عندَنا بالحَرَّةِ وراءَ قُرَيْظَةَ على طريقِ السُّوَارِقِيَّةِ[(3)] بالمَقاعِدِ مَسيرةً مِن الصبحِ إلى الظهرِ نارٌ عظيمةٌ تَنْفَجِرُ مِن الأرضِ ، فارْتاع لها الناسُ رَوْعةً عظيمةً ، ثم ظهَر لها دُخانٌ عظيمٌ في السماءِ يَنْعَقِدُ[(4)] حتى يَبْقَى كالسَّحابِ الأبيضِ[(5)] ، إلى قبلِ مَغيبِ الشمسِ مِن يومِ الجمعةِ ، ثم ظهَرَت النارُ ، لها أَلْسُنٌ تَصْعَدُ في الهواءِ إلى السماءِ حَمراءَ كأنها العَلَقَةُ[(6)] ، وعظُمَت وفزِع الناسُ إلى المسجدِ النبويِّ ، [(7)]وإلى الحجرةِ الشريفةِ ، واسْتَجار الناسُ بها ، وأحاطوا بالحُجْرةِ وكشَفوا رُءوسَهم[(7)] ، وأقَرُّوا بذُنوبِهم ، وابْتَهَلوا إلى اللَّهِ تعالى ، واسْتَجاروا بنبيِّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وأتَى الناسُ إلى المسجدِ مِن كلِّ فَجٍّ ومِن النَّخْلِ ، وخرَج النساءُ مِن البيوتِ والصِّبْيانُ ، واجْتَمَعوا كلُّهم ، وأخْلَصوا للَّهِ ، وغطَّت حُمْرةُ النارِ السماءَ كلَّها حتى بقِى الناسُ في مثلِ ضَوْءِ القمرِ ، وبقِيَت

(1 - 1) سقط من : م .
(2) بعده في الذيل : « لخامس من الشهر » .
(3) السوارقية : قرية أبي بكر بين مكة والمدينة وهي نجدية . معجم البلدان 3/ 180.
(4) ينعقد : يغلظ ويتراكم . انظر الوسيط (ع ق د) .
(5) بعده في الأصل : « متصل » ، وبعده في م : « فيصل » .
(6) في م : « القلعة » ، والعلقة : قطعة الدم المتكون منه الجنين . الوسيط (ع ل ق) .
(7 - 7) زيادة من : الأصل ، م . ليست في الذيل .

السماءُ كالعَلَقَةِ ، وأيْقَن الناسُ بالهلاكِ أو العذابِ ، وبات الناسُ تلك الليلةَ بيـنَ مُصَلٍّ وتالٍ للقرآنِ وراكعٍ وساجدٍ ، وداعٍ إلى اللَّهِ عز وجل ، ومُتَنَصِّلٍ مِن ذُنوبه ومُسْتَغْفرٍ وتائبٍ ، ولزِمت النارُ مكانَها ، وتناقَص تَضاعُفُها ذلك ولَهيبُها ، وصعِد الفَقيهُ والقاضى إلى الأميرِ يَعِظونَه ، فطرَح المَكْسَ ، وأعْتَق مَماليكَه كلَّهم وعبيدَه ، وردَّ علينا كلَّ ما لنا تحتَ يدِه ، وعلى غيرِنا ، وبقِيَت تلك النارُ على حالِها تَلْتَهِبُ الْتِهابًا ، وهى كالجبلِ العظيمِ وكالمدينةِ ارتفاعًا وعَرْضًا ، يخْرُجُ منها حَصًى يَصْعَدُ فى السماءِ ، ويَهْوِى فيها ، ويَخْرُجُ منها كالجبلِ العظيـمِ نارٌ تَرْمِى كالرَّعْدِ ، وبقِيَت كذلك أيامًا ، ثم سالت سَيَلانًا فى وادى أُحَيْلين ، تَنْحَدِرُ مع [٤٦/١٠و] الوادى إلى الشَّظَاة ، [(1)]حتى لحِق سَيَلانُها بالبَحْرةِ بَحْرةِ الحاجِّ ، والحجارةُ معها تَتَحَرَّكُ وتَسِيرُ[(1)] حتى كادَت تُقارِبُ حَرَّةَ العريضِ ، ثم سكَنَت ، ووقَفَت أيامًا ، ثم عادَت النارُ تخرُجُ وتَرْمِى بحجارةٍ خلفَها وأمامَها ، حتى بنَت لها جبَلَيْن ، وما بقِى يَخْرُجُ منها مِن بينِ الجبَلَيْن لسانٌ لها أَيامًا ، ثم إنها عَظُمَت [(2)]الآنَ ، وسَنَاها[(2)] إلى الآنَ ، وهى تَتَّقِدُ كأعظمِ ما يكونُ ، ولها كلَّ يومٍ صوتٌ عظيمٌ آخرَ الليلِ إلى ضَحْوةٍ ، ولها عَجائبُ ما أَقْدِرُ أن أَشْرَحَها لك على الكَمالِ ، وإنما هذا طرَفٌ منها كبيرٌ يَكْفِى ، والشمسُ والقمرُ كأنهما مُنْكَسِفان إلى الآنَ ، وكتبتُ[(3)] هذا الكتابَ ، ولها شهرٌ ، وهى فى مكانِها ما تَتَقَدَّمُ ولا تَتَأَخَّرُ ، وقد قال فيها بعضُهم أبْياتًا :

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، م . انظر ذيل مرآة الزمان ١/ ٨.

(٢ - ٢) فى الأصل : « ولسانها » ، وفى م : « وسناءها » . والمثبت من الذيل على الروضتين ونهاية الأرب ٢٩/ ٥٤٣.

(٣) فى الأصل ، م : « كتب » . والمثبت من المصدرين السابقين وذيل مرآة الزمان . غالب هذه الأبيات تقدمت فى ٩/ ٢٩٩، ٣٠٠.

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفْحًا عن جَرائِمِنا ... لقد أحاطَت بنا ياربُّ بَأْساءُ
نَشْكُو إليكَ خُطوبًا لا نُطِيقُ لها ... حَمْلًا ونحن بها حقًّا أحِقَّاءُ
زَلازِلًا تَخْشَعُ الصُّمُّ الصِّلابُ لها ... وكيف يَقْوَى على الزِّلزالِ شَمَّاءُ
أقام سبعًا يَرُجُّ الأرضَ فانْصَدَعَت ... عن مَنْظَرٍ منه عينُ الشمسِ عَشْواءُ
بَحْرٌ مِن النارِ تَجْرِى فوقَه سُفُنٌ ... مِن الهِضابِ لها فى الأرضِ إرْساءُ[1]
يُرى[2] لها شَرَرٌ كالقصرِ طائشةٌ ... كأنها دِيمةٌ[3] تَنْصَبُّ هَطْلاءُ
تَنْشَقُّ منها قلوبُ الصَّخْرِ إنْ زَفَرَتْ ... رعبًا وتَرْعُدُ مِثلَ السيفِ[4] أضواءُ
منها تكاثَفَ فى الجوِّ الدُّخانُ إلى ... أن عادتِ الشمسُ منه وهْى دَهْماءُ
قد أثَّرَتْ سُفْعَةً فى البدرِ لَفْحَتُها ... فلَيْلةُ التِّمِّ بعدَ النورِ لَيْلاءُ[5]
تُحَدِّثُ النَّيِّراتِ السَّبْعَ ألْسُنُها ... بما يُلاقِى بها تحتَ الثرى الماءُ
وقدْ أحاطَ لظاها بالبروجِ إلى ... أن كاد يُلْحِقَها بالأرضِ إهْواءُ
فيا لَها آيةً مِنْ مُعْجِزاتِ رسو ... لِ اللَّهِ يَعْقِلُها القومُ الألِبَّاءُ
فباسْمِك الأعْظَمِ المكْنونِ إنْ عَظُمتْ ... منَّا الذنوبُ وساءَ القلبُ أسواءُ
فاسمحْ وهَبْ وتَفَضَّلْ وامْحُ واعْفُ وجُدْ ... واصْفَحْ فكلٌّ لِفَرْطِ الجهلِ خطّاءُ
فقومُ يونسَ لما آمنوا كُشِفَ الـ ... ـعذابُ عنهمْ وعَمَّ القومَ نَعماءُ

---

(١) بعده فى الأصل، م:

« كأنما فوقه الأجبال طافية ... موج عليه لفرط البهج وعثاء ».

(٢) فى الأصل، م: « ترمى ».

(٣) الديمة: المطر يطول زمانه فى سكون: الوسيط (د و م).

(٤) فى الأصل، م: « السعف ». وهو لفظ ما فى نهاية الأرب.

(٥) ليلاء: أشدُّ ليالى الشهر ظلمة. اللسان (ل ى ل).

ونحن أمةُ هذا المصطفى ... ولنا منه إلى عفوِك المرجوِّ دَعّاءُ
هذا الرسولُ الذى لَوْلاه ما سلكتْ ... مَحَجَّةٌ فى سبيلِ اللَّهِ بيضاءُ
فارحَمْ وصَلِّ على المختارِ ما خَطَبَتْ ... على عُلا منبرِ الأوراقِ ورقاءُ

قلتُ: والحديثُ الواردُ فى أمرِ هذه النارِ مُخَرَّجٌ فى «الصحيحَيْن»[1] مِن طريقِ الزُّهْرِىِّ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، عن أبى هريرةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا تَقومُ الساعةُ حتى تَخْرُجَ نارٌ مِن أرضِ الحجازِ تُضِىءُ أعْناقَ الإبلِ ببُصْرَى». وهذا لفظُ البُخارىِّ.

وقد وقَع هذا فى هذه السنةِ - أعْنى سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ - كما ذكَرْنا، وقد أخْبَرَنى قاضى القُضاةِ صَدْرُ الدينِ علىُّ بنُ أبى القاسمِ التَّمِيمىُّ[2] الحَنَفىُّ الحاكمُ بدمشقَ فى بعضِ الأيامِ[3] فى المُذاكَرةِ[3]، وجرَى ذِكْرُ هذا الحديثِ، وما كان مِن أمرِ هذه النارِ فى هذه السنةِ فقال: سِمعْتُ رجلًا مِن الأعرابِ يُخْبِرُ والدى ببُصْرَى فى تلك الليالى أنهم رأَوْا أعْناقَ الإبلِ فى ضوءِ هذه النارِ التى ظهَرَت فى أرضِ الحجازِ.

قلتُ: وكان مولدُه فى سنةِ ثنتين وأربعين وستِّمائةٍ، وكان والدُه مُدَرِّسًا [١٠/٤٦ظ] للحَنَفيةِ بمدينةِ بُصْرَى، وكذلك كان جَدُّه وهو أيضًا، فدرَّس بها، ثم انْتَقَل إلى دمشقَ، فدرَّس بالصادريةِ وبالمُقَدَّميَّةِ[4]، ثم ولِى قَضاءَ القُضاةِ الحَنَفيةِ، وكان مَشْكورَ السِّيرةِ فى الأحْكامِ، وقد كان عمرُه حينَ وقَعَت هذه

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٧. من رواية البخارى. وهو فى مسلم (٤٢/ ٢٩٠٢).
(٢) انظر ما تقدم فى ٩/ ٢٩٨. حاشية (٦، ٧).
(٣ - ٣) فى الأصل: «المذكورة». وانظر عقد الجمان ١/ ١٢٧.
(٤) فى م: «بالمعدمية». وانظر الدارس ١/ ٥٩٤، ٥٩٧.

النارُ بالحجازِ ثنتَىْ عشْرةَ سنةً ، ومثلُه ممَّن يَضْبِطُ ما يَسْمَعُ مِن الخبرِ أن الأعْرابيَّ أخْبَرَ والدَه فى تلك الليالى . وصلواتُ اللَّهِ وسلامُه على نبيِّه سيدِنا محمدٍ وآلِه وصَحْبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

ومما نظَمه بعضُ الشُّعراءِ فى هذه النارِ الحجازيةِ وغَرَقِ بغدادَ قولُه[1] :

سبحانَ مَن أصْبَحَت مَشيئتُه جاريةً فى الوَرَى بمِقْدارِ
أغْرَق بَغْدادَ بالمياهِ كما أحْرَق أرضَ الحجازِ بالنارِ

قال أبو شامةَ[2] : والصَّوابُ أن يُقالَ :

فى سَنَةٍ أَغْرَق العراقَ وقد أحْرَق أرضَ الحجازِ بالنارِ

وقال ابنُ الساعى فى تاريخِ سنةِ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ : وفى يومِ الجمعةِ ثامنَ عشَرَ رجبٍ - يَعْنى مِن هذه السنةِ - كنتُ جالسًا بينَ يدى الوزيرِ ، فورَد عليه كتابٌ مِن مدينةِ الرسولِ ﷺ صُحْبةَ قاصدٍ يُعْرَفُ بقَيْمازَ العَلَوىِّ الحَسَنىِّ المَدَنىِّ ، فناوَله الكتابَ فقرَأه ، وهو يَتَضَمَّنُ أن مدينةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ زُلْزِلَت يومَ الثلاثاءِ ثانىَ جُمادَى الآخِرةِ حتى ارْتَجَّ المِنْبرُ[3] الشريفُ النبوىُّ ، وسُمِع صَريرُ الحديدِ ، وتحرَّكَت السَّلاسِلُ ، وظهَرت نارٌ على مَسيرِ أربعةِ فَراسِخَ مِن المدينةِ ، وكانت تَرْمى بشررٍ[4] كأنه رُءُوسُ الجبالِ ، ودامَت خمسةَ عشَرَ يومًا . قال القاصدُ : وجئتُ ولم تَنْقَطِعْ بعدُ ، بل كانت على حالِها ، وسأَله : إلى أىِّ الجهاتِ تَرْمِى ؟ فقال : إلى جهةِ الشرقِ . واجْتَزْتُ عليها أنا ونَجابةُ اليمنِ ، ورَمَيْنا

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٣. وتقدم البيتان فى ٩/ ٣٠٠.
(٢) المصدر السابق .
(٣) فى م : « القبر » .
(٤) فى م : « بزبد » .

فيها سَعَفةً ، فلم تُحرِقْها ، بل كانت تُحْرِقُ الحِجارةَ وتُذِيبُها ، وأخْرَج قَيماز المذكورُ شيئًا مِن الصخرِ المُحْتَرِقِ ، وهو كالفحمِ لونًا وخِفَّةً .

قال : وذكَر فى الكتابِ ، وكان بخطِّ قاضى المدينةِ ، أنهم لما زُلْزِلوا دخَلوا الحرَمَ ، وكشَفوا رءوسَهم واسْتَغْفَروا ، وأن نائبَ المدينةِ أعْتَق جميعَ مَماليكِه ، وخرَج مِن جميعِ المَظالِمِ ، ولم يَزالوا مُستَغْفِرين متضرِّعين[1] حتى سكَنَت الزَّلْزلةُ ، إلا أن النارَ التى ظهَرت لم تَنْقَطِعْ ، وجاء القاصدُ المذكورُ ، ولها خمسةَ عشَرَ يومًا وإلى الآنَ .

قال ابنُ الساعى : وقرأْتُ بخطِّ العَدْلِ محمودِ بنِ يوسُفَ بنِ الأمعانىِّ شيخِ [2]حَرَمِ المدينةِ النبويةِ ، على ساكنِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ[2] ، يقولُ : إن هذه النارَ التى ظهَرَت بالحجازِ آيةٌ عظيمةٌ ، وإشارةٌ صحيحةٌ مستقيمةٌ دالّةٌ على اقْتِرابِ الساعةِ ، فالسعيدُ مَن انْتَهَز الفُرْصةَ قبلَ الفَوْتِ[3] ، وتَدارَك أمْرَه بإصلاحِ حالِه مع اللَّهِ عز وجل قبلَ الموتِ ، وهذه النارُ فى أرضٍ ذاتِ حجرٍ ، لا شجرَ فيها ولا نَبْتَ ، وهى تَأْكُلُ بعضُها بعضًا إن لم تَجِدْ ما تَأْكُلُه ، وهى تُحْرِقُ الحِجارةَ وتُذِيبُها ، حتى تعودَ كالطِّينِ المَبْلولِ ، ثم يَضْرِبُه الهواءُ حتى يعودَ كخَبَثِ الحديدِ الذى يخرجُ مِن الكِيرِ ، فاللَّهُ يَجْعَلُها عِبْرةً للمسلمين ورَحْمةً للعالمين ، بمحمدٍ وآلِه الطاهِرين .

قال أبو شامةَ[4] : وفى ليلةِ الجمعةِ مُسْتَهَلَّ رمضانَ مِن هذه السنةِ احْتَرَق

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الأصل : « حرم رسول الله ﷺ » .

(٣) فى م : « الموت » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٩٤. وانظر ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠، ١١، وعقد الجمان ١/ ١٢٨.

مسجدُ المدينةِ ، على ساكنِه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، ابْتَدَأ حَريقُه مِن زاويتِه [١٠/ ٤٧و] الغَرْبيةِ مِن الشمالِ ، وكان دخَل أحدُ القومةِ إلى خِزانةٍ ثَمَّ ، ومعه نارٌ فعلِقَت فى الآلاتِ[1] ثَمَّ ، واتَّصَلَت بالسقفِ بسرعةٍ ، ثم دبَّت فى السقوفِ ، وأخَذَت قِبْلةً ، فأعْجَلَت الناسَ عن قطعِها ، فما كان إلا ساعةٌ حتى احْتَرَقَت سقوفُ المسجدِ أجْمَعَ ، ووقَعَت بعضُ أساطينِه ، وذاب رَصاصُها ، وكلُّ ذلك قبلَ أن ينامَ الناسُ ، واحْتَرَق سقفُ الحجرةِ النبويةِ ، ووقَع ما وقَع منه فى الحجرةِ ، وبقى على حالِه حتى[2] شُرِع فى عِمارةِ سقفِه وسقفِ المسجدِ النبوىِّ ، على صاحبِه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، وأصْبَح الناسُ ، فعزَلوا موضعًا للصلاةِ ، وعُدَّ ما وقَع مِن تلك النارِ الخارجةِ وحريقِ المسجدِ مِن جُملةِ الآياتِ ، وكأنَّها كانت مُنْذِرةً بما يَعْقُبُها فى السنةِ الآتيةِ مِن الكائناتِ على ما سنَذْكُرُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى . هذا كلامُ الشيخِ شهابِ الدينِ أبى شامةَ .

وقد قال أبو شامةَ فى الذى وقَع فى هذه السنةِ وما بعدَها شعرًا ، وهو قولُه[3] :

بعد ستٍّ مِن المِئِينَ وخمسيـ	ـنَ لدى أربعٍ جرَى فى العامِ
نارُ أرضِ الحجازِ مغْ حَرْقِ المسْـ	ـجدِ معْه تَغْريقُ دارِ السلامِ
ثم أخْذُ التَّتارِ بغدادَ فى أوَّ	لِ عامٍ مِن بعدِ ذاك وعامِ
لم يُعَنْ أهلُها وللكفرِ أعْوا	نٌ عليهمْ يا ضَيْعةَ الإسلامِ
وانْقَضَت دولةُ الخِلافةِ منها	صار مُسْتَعْصِمٌ بغيرِ اعْتِصامِ

(١) فى م : « الأبواب » .

(٢) فى الأصل : « حتى لما » ، وفى الذيل على الروضتين : « لما » .

(٣) المصدر السابق .

فحنانًا على الحِجازِ ومصْرٍ وسلامًا على بلادِ الشامِ
ربِّ سلِّمْ وصُنْ وعافِ بَقايا الْـ ـمُدْنِ يا ذا الجَلالِ والإكْرامِ

وفى هذه السنةِ[1] كمَلَت عِمارةُ المدرسةِ الناصريةِ الجَوَّانيةِ داخلَ بابِ الفَراديسِ، وحضَر فيها الدرسَ واقفُها الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ يوسُفُ بنُ الملكِ العزيزِ محمدِ بنِ الملكِ الظاهرِ غِياثِ الدينِ غازى بنِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يوسُفَ ابنِ أيوبَ بنِ شادى فاتحِ بيتِ المقدسِ، ودرَّس فيها قاضى البلدِ صَدْرُ الدينِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ، وحضَر عندَه الأمراءُ والدولةُ والعلماءُ وجُمْهورُ أهلِ الحَلِّ والعَقْدِ بدمشقَ.

وفيها[2] أُمِر بعِمارةِ الرِّباطِ الناصرىِّ بسفحِ قاسِيونَ.

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ:

الشيخُ عِمادُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ الحسنِ بنِ النَّحّاسِ[3]، ترَك الخدمَ[4]، وأقْبَل على الزَّهادةِ والتِّلاوةِ، والعِبادةِ والصِّيامِ المُتَتابعِ، والانْقِطاعِ بمسجدِه بسفحِ قاسِيونَ نحوًا مِن ثلاثين سنةً، وكان مِن خِيارِ الناسِ. ولما تُوُفِّى دُفِن عندَ مسجدِه بتربةٍ مشهورةٍ به، وحمامٍ يُنْسَبُ إليه فى مساريقِ الصالحيةِ، وقد أثْنَى عليه السِّبْطُ[5]، وأرَّخوا وفاتَه كما ذكَرْنا[6].

---

(١) عقد الجمان ١/ ١٢١، والدارس ١/ ٤٥٩، ٤٦٠.

(٢) عقد الجمان ١/ ١٢٢.

(٣) مرآة الزمان ٧٩٤/٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٠٨، وذيل مرآة الزمان ١/ ٢٤، وعقد الجمان ١/ ١٣١.

(٤) فى م: «الخلائق».

(٥) انظر مرآة الزمان ٧٩٤/٨ (القسم الثانى).

(٦) بعده فى الأصل: «وقد توفى السبط فى أواخر هذه السنة الشيخ شمس الدين ابن الجوزى».

يوسفُ بنُ الأميرِ حُسامِ الدينِ قِزْغْلِي بنِ عبدِ اللَّهِ عَتيقِ الوزيرِ عَوْنِ الدينِ يحيى بنِ هُبَيْرةَ الحَنْبلىُّ[1] ، الشيخُ شمسُ الدينِ ، أبو المُظَفَّرِ الحَنَفىُّ البَغْدادىُّ ، ثم الدمشقىُّ ، سِبْطُ ابنِ الجوزىِّ ، أمُّه رابعةُ بنتُ الشيخِ جمالِ الدينِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ الواعظِ ، وقد كان حسنَ الصُّورةِ ، طيبَ الصوتِ ، حسَنَ الوَعْظِ ، كثيرَ الفَضائلِ والمُصَنَّفاتِ ، وله « مِرْآةُ الزمانِ » فى عشرين مجلدًا مِن أحسنِ التَّواريخِ ، انتظَم فيه « المُنْتَظَمَ » لجدِّه ، وزاد عليه ، وذَيَّلَ إلى زمانِه ، وهو مِن أحسَنِ التَّواريخِ وأبْهَجِها ، قدِم دمشقَ فى حُدودِ الستِّمائةِ ، وحظِى عندَ ملوكِ بنى أيوبَ ، وقدَّموه وأحْسَنوا [١٠/٤٧ظ] إليه ، وكان له مَجْلِسُ وَعْظٍ كلَّ يومِ سبتٍ بُكْرةَ النهارِ عندَ الساريةِ التى يَقومُ عندَها الوُعَّاظُ اليومَ عندَ بابِ مَشْهَدِ علىِّ بنِ الحسينِ زَيْنِ العابدين ، وقد كان الناسُ يَبِيتون ليلةَ السبتِ بالجامعِ ، ويَتْرُكون البَساتِينَ فى الصيفِ حتى يَسْمَعوا مِيعادَه ، ثم يُسْرِعون إلى بَساتينِهم ، فيَتَذاكَرون ما قاله مِن الفَوائدِ والكلامِ الحَسَنِ ، على طريقةِ جدِّه .

وقد كان الشيخُ تاجُ الدينِ الكِنْدىُّ ، وغيرُه مِن المشايخِ ، يَحْضُرون عندَه تحتَ قُبَّةِ يَزيدَ ، التى عندَ بابِ المَشْهَدِ[2] ، ويَسْتَحْسِنون ما يقولُ ، ودرَّس بالعِزِّيةِ[3] البَرَّانيةِ التى بَناها الأميرُ عِزُّ الدينِ أَيْبَك المُعَظَّمىُّ ، أُستاذُ دارِ المُعَظَّمِ ، وهو واقفُ العِزِّيةِ الجَوَّانيةِ التى بالكشكِ أيضًا ، وكانت قديمًا تُعْرَفُ بدُورِ[4] ابنِ مُنْقِذٍ ، ودرَّس السِّبْطُ أيضًا بالشِّبْليةِ التى بالجبلِ عندَ جسرِ كُحَيْلٍ ، وفُوِّض إليه البَدْرِيةُ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٢، والذيل على مرآة الزمان ١/ ٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩٦، والعبر ٥/ ٢٢٠، وعقد الجمان ١/ ١٣٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٩.

(٢) فى الأصل : « البريد » .

(٣) فى الأصل : « بالغرالية » . وانظر الدارس ١/ ٥٥٠، ٥٥١.

(٤) فى الأصل : « بدرب » .

التى قُبالتَها ، فكانت سَكَنَه ، وبها تُوُفِّى ليلةَ الثلاثاءِ الحادى والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وحضَر جِنازتَه سلطانُ البلدِ الناصرُ بنُ العزيزِ فمَن دونَه ، وقد أثْنَى عليه الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ[1] فى عُلومِه وفَضائِلِه ورِياستِه وحُسْنِ وَعْظِه وطِيبِ صوتِه ونَضارةِ وجهِه ، وتَواضُعِه وزُهْدِه وتَوَدُّدِه ، لكنه قال : وقد كنتُ مَريضًا ليلةَ وفاتِه ، فرأيْتُ وفاتَه فى المَنامِ قبلَ اليَقَظةِ ، ورأَيْتُه فى حالةٍ مُنْكَرةٍ ، ورآه غيرى أيضًا كذلك ، فنَسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ ، ولم أَقْدِرْ على حُضورِ جِنازتِه ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، حضَرها خلقٌ كثيرٌ ؛ السلطانُ فمَن دونَه ، ودُفِن هناك ، وقد كان فاضلًا عالمًا ظَريفًا ، مُنْقَطِعًا مُنْكِرًا على أربابِ الدولِ ما هم عليه مِن المُنْكَراتِ ، وقد كان مُقْتَصِدًا فى لِباسِه ، مُواظِبًا على المُطالَعةِ والاشْتِغالِ والجَمْعِ والتَّصْنيفِ ، مُنْصِفًا لأهلِ العلمِ والفضلِ ، مُبايِنًا لأَهلِ [2]الجَبْرِيَّةِ و[2] الجهلِ ، وتَأْتى الملوكُ وأرْبابُ الدُّولِ إليه زائِرين وقاصِدين ، ورُبِّى فى طُولِ زمانِه فى جاهٍ عَريضٍ عندَ الملوكِ والعَوامِّ نحوَ خمسين سنةً ، وكان مَجْلِسُ وَعْظِه مُطْرِبًا ، وصوتُه فيما يُورِدُه فيه حسنًا طيبًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى ورضِى عنه . [2]قلتُ : وهو ممَّن يُنْشَدُ له عندَ مَوتِه قولُ الشاعِرِ[3] :

مازلتَ تَدْأَبُ فى التاريخِ مُجْتَهِدًا ... حتى رأيتُك فى التاريخِ مَكْتُوبًا[2]

وقد سُئِل يومَ عاشُوراءَ زمنَ الملكِ الناصرِ صاحبِ حلَبَ أن يَذْكُرَ للناسِ شيئًا مِن مَقْتَلِ الحسينِ ، فصعِد المِنْبرَ ، وجلَس طويلًا لا يَتَكَلَّمُ ، ثم وضَع المِنْدِيلَ على

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥.

(٢ - ٢) سقط من : م.

(٣) البيت لأبى عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل الخولانى النحوى ، قاله يرثى به الحافظ عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى المصرى المؤرخ . انظر إنباه الرواه ٢/ ١٥٨، ١٥٩.

وجهِه ، وبكَى ثم أنْشَأ يقولُ وهو يَبْكِى شديدًا :

وَيْلٌ لمَن شُفعاؤُه خُصَماؤُه والصُّورُ فى نَشْرِ الخَلائقِ يُنْفَخُ

لابدَّ أن تَرِدَ القِيامةَ فاطِمٌ وقميصُها بدمِ الحسينِ مُلَطَّخُ

ثم نزَل عن المنبرِ وهو يَبْكى ، وصعِد إلى الصالحيةِ وهو يَبْكى كذلك ، رحِمه اللَّهُ .

واقفُ مَارَسْتانِ الصالحيةِ : الأميرُ الكبيرُ سيفُ الدينِ أبو الحسنِ يوسفُ بنُ أبى الفَوارسِ بنِ مُوسَك القَيْمَرىُّ الكُرْدىُّ[1] ، أكبرُ أُمراءِ القَيْمَريةِ ، كانوا يَقِفون بينَ يديه كما تُعامَلُ الملوكُ ، ومِن أكبرِ حَسَناتِه وَقْفُه المارَسْتانَ الذى بسفحِ قاسِيونَ ، وكانت وفاتُه ودفْنُه بالسَّفْحِ فى القُبَّةِ التى تُجاهَ المارَسْتانِ المذكورِ ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ وثَرْوةٍ ، رحِمه اللَّهُ .

مُجيرُ الدينِ يعقوبُ بنُ الملكِ العادلِ [١٠/٤٨و] **أبى بكرِ بنِ أيوبَ**[2] ، دُفِن عندَ والدِه بتُرْبةِ العادليةِ .

الأميرُ مُظَفَّرُ الدينِ إبراهيمُ[3] **بنُ صاحبِ صَرْخَدَ عِزِّ الدينِ أيْبَكَ أُستاذِ دارِ المُعَظَّمِ واقفِ العِزِّيَّتَيْن**[4] ؛ **البَرَّانيةِ والجَوَّانيةِ** على الحَنَفيةِ ، ودُفِن عندَ والدِه بالتربةِ تحتَ القُبَّةِ عندَ الوَرَّاقةِ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/ ٤٣، والعبر ٥/ ٢١٤، وعقد الجمان ١/ ١٣٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٩.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٤، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧، والعبر ٥/ ٢١٩، وعقد الجمان ١/ ١٣٥.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٩، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٥، وعقد الجمان ١/ ١٣٦.

(٤) فى م : « المعزيتين » .

الشيخُ شمسُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ نوحٍ المَقْدِسىُّ[(١)] ، الفَقيهُ الشافعىُّ مُدَرِّسُ الرَّواحيةِ بعدَ شيخِه تَقىِّ الدينِ بنِ الصَّلاحِ ، ودُفِن بالصُّوفيةِ ، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ ، رحِمه اللَّهُ .

قال أبو شامةَ[(٢)] : وكثُر فى هذه السنةِ موتُ الفَجْأةِ . فمات خلقٌ كثيرٌ بسببِ ذلك .

وممَّن تُوُفى فيها : [(٣)]**زَكىُّ بنُ الفويرةِ**[(٣)] ، أحدُ المُعَدِّلِين بدمشقَ ، وبدرُ الدينِ ابنُ التِّبْنينىُّ[(٤)] أحدُ رُؤَسائِها ، وعِزُّ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ أبى طالبِ بنِ عبدِ الغَفَّارِ التَّغْلِبىُّ[(٥)] [(٦)]ابنُ الحنوىِّ[(٦)] ، وهو سِبْطُ القاضى جَمالِ الدينِ بنِ الحَرَسْتانىِّ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى وعفا عنهم أجْمَعين .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٩، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٩، والعبر ٥/ ٢١٨، وعقد الجمان ١/ ١٣١.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٩.

(٣ - ٣) فى م : « زكى الدين أبو الغورية » . وانظر المصدر السابق .

(٤) فى م : « السنى » .

(٥) فى م : « التعلبى » . وانظر المصدر السابق ص ١٩٤ .

(٦ - ٦) فى الأصل : « بن الحيرى » ، وفى م : « أبى الحسين » والمثبت من المصدر السابق .

ثم دخلت سنة خمسٍ وخمسين وستّمائةٍ

فيها[1] أصْبَح الملكُ المعزُّ[2] صاحبُ مصرَ عِزُّ الدينِ أيْبَكُ التُّرْكُمانيُّ بدارِه مَيِّتًا ، وقد ولِى المُلْكَ بعدَ أُسْتاذِه الملكِ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ بشُهورٍ ، كان فيها ملَكَ تُورانْشاه المُعَظَّمُ بنُ الصالحِ ، ثم خلَفَته شَجَرُ الدُّرِّ أمُّ خَليلٍ مدةَ ثلاثةِ أشهرٍ ، ثم أُقِيم هو فى المُلكِ ومعه المَلِكُ الأشْرَفُ موسى بنُ الناصرِ يوسُفَ بنِ أَقْسِيسَ بنِ الكاملِ مدةً ، ثم اسْتَقَلَّ بالمُلكِ بلا مُنازَعةٍ ، وكسَر الناصرَ لما أراد أخْذَ الديارِ المصريةِ ، وقتَل الفارسَ أقْطاى فى سنةِ ثنتين وخمسين ، وخلَع بعدَه الأشْرَفَ ، واسْتَقَلَّ بالمُلِكِ وحدَه ، ثم تزَوَّج بشجرِ الدُّرِّ أمِّ خَليلٍ ، وكان كريمًا شُجاعًا حَكيمًا[3] دَيِّنًا ، ثم كان موتُه فى يومِ الثلاثاءِ الثالثِ والعشرين مِن ربيعٍ الأولِ ، وهو واقفُ المدرسةِ المُعِزِّيَّةِ التى بمصرَ ، ومَجازُها مِن أحسنِ[4] الأشْياءِ ، وهى مِن داخلٍ ليست بتلك الفائقةِ . وقد قال بعضُهم فيها : هذه مَجازٌ لا حقيقةَ له . ولما قُتِل ، رحِمه اللَّهُ ، اتَّهم مَماليكُه زوجتَه أمَّ خليلٍ المسماةَ بشجرِ الدُّرِّ به ، وكان قد عزَم على تَزويجِ ابنةِ صاحبِ المَوْصِلِ بدرِ الدينِ لؤلؤٍ ، فأمَرت جواريَها أن يُمْسِكْنَه لها ، فما زالت تَضْرِبُه بقَباقِيبِها ، والجَوارِى يَعْرُكْنَ[5] فى مَعاريه حتى مات وهو

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥ - ١٩٨، وذيل مرآة الزمان ١/٤٥ - ٤٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٥٦ - ٤٦٥، وكنز الدرر ٨/٣٠ - ٣٣، والعبر ٥/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٢) فى م : « المعظم » .

(٣) فى م : « حيبا » .

(٤) فى م : « أحق » .

(٥) فى الأصل : « يفركن » . وعرك : دلك وحك . والمعارى : العورة والفرج . اللسان (ع ر ك) ، (ع ر ى) .

كذلك ، ولما سَمِع مماليكُه أقْبَلوا بصُحبةِ مملوكِه الأكبرِ سيفِ الدينِ قُطُز ، فقتلوها وألْقَوْها على مَزْبَلةٍ غيرَ مَسْتورةِ العَوْرةِ ، بعدَ الحِجابِ المَنيعِ والمَقامِ الرفيعِ ، وقد علَّمَت على المَناشِيرِ والتَّواقيعِ ، وخطَب الخُطباءُ باسمِها ، وضُرِبَت السِّكَّةُ برَسْمِها ، فذهَبَت فلا تُعْرَفُ بعدَ ذلك بعينِها ولا رسمِها : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] . وأقامت الأتْراكُ بعدَ أُسْتاذِهم عِزِّ الدينِ أيْبَك التُّرْكُمانيِّ - بإشارةِ أكبرِ مماليكِه الأميرِ سيفِ الدينِ قُطُز - ولدَه نُورَ الدينِ عليًّا ، ولقَّبوه الملكَ المنصورَ ، وخُطِب له على المَنابرِ ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِه ، وجرَت الأمورُ على ما يَخْتارُه برأيِه ورَسْمِه .

وفيها كانت فتنةٌ عظيمةٌ ببغدادَ بينَ الرافضةِ وأهلِ السنةِ ، فنُهِبت الكَرْخُ ودُورُ الرافضةِ حتى دُورُ قَراباتِ الوزيرِ ابنِ العَلْقَميِّ ، وكان ذلك مِن أقوى الأسبابِ فى ممالأتِه التتارَ .

وفيها دخَلَت الفُقراءُ الحَيْدريةُ الشامَ ، ومِن شِعارِهم لُبْسُ الفَراجِى[(١)] والطَّراطيرِ ، ويَقُصُّون لحاهم ، ويَتْرُكون شَوارِبَهم ، وهو خِلافُ السنةِ ،ترَكوها لمُتابعةِ [١٠/٤٨ظ] شيخِهم حَيْدَرٍ حينَ أسَره المَلاحِدةُ ، فقصُّوا لحيتَه ، وترَكوا شَواربَه ، فاقْتَدَوْا به فى ذلك ، وهو مَعْذورٌ مَأْجورٌ ، وقد نهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ عن ذلك[(٢)] ، وليس لهم فيه قُدْوةٌ ، وقد بُنِيَت لهم زاويةٌ بظاهرِ دمشقَ قريبًا مِن العونيةِ .

---

(١) فى م : « الرحى » . والفراجى : جمع فَرَجِيّة ، وهى جبة مفتوحة من الأمام من أعلاها حتى الذيل ومزودة بصف من الأزرار . انظر الملابس المملوكية ص ٩١ .

(٢) ورد فى هذا الباب عدة أحاديث ؛ منها ما جاء فى الصحيحين من حديث عبد اللَّه بن عمر - واللفظ للبخارى - أن النبى ﷺ قال : « خالفوا المشركين ، ووفروا اللحى . وأحفوا الشوارب » البخارى (٥٨٩٢، ٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩، ٢٦٠) .

وفى يومِ الأربعاءِ (١ثامنَ عشَرَ١) ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ المُباركةِ عُمِل عَزاءُ واقفِ الباذَرائيةِ بها الشيخِ **نَجْمِ الدينِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ الباذَرائيِّ البغداديِّ**(٢) ، مُدَرِّسِ النِّظاميةِ ، ورسولِ الخلافةِ إلى ملوكِ الآفاقِ فى الأمورِ المُهِمةِ ، وإصلاحِ الأحوالِ المُدْلَهِمَّةِ ، وقد كان فاضلًا بارعًا رئيسًا وَقورًا مُتواضِعًا ، وقد ابْتَنَى بدمشقَ مدرسةً حسنةً مكانَ دارِ الأميرِ أسامةَ ، وشرَط على المُقيمِ بها العُزوبةَ ، وأن لا يَكونَ الفَقيهُ فى غيرِها مِن المدارسِ ، وإنما أراد بذلك توفيرَ خاطرِ الفقيهِ وجَمْعِيَّتَه على طلبِ العلمِ ، ولكن حصَل بذلك خَلَلٌ كثيرٌ وشرٌّ لبعضِهم كبيرٌ ، وقد كان شيخُنا الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ الشافعيةِ بالشامِ وغيرِها بُرْهانُ الدينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ الشيخِ تاجِ الدينِ الفَزاريُّ مُدَرِّسُ هذه المدرسةِ وابنُ مُدَرِّسِها ، يَذْكُرُ أنه لما حضَر الواقفُ فى أولِ يومٍ دَرَّس بها ، وحضَر عندَه السلطانُ الناصرُ ، قُرِئَ كتابُ الوَقْفِ ، وفيه : ولا يَدْخُلُها امرأةٌ . فقال السلطانُ : ولا صبيٌّ ؟ فقال الواقفُ : يا مولانا ، ربُّنا ما يَضْرِبُ بعصاتَيْن . فإذا ذكَر هذه الحِكايةَ تبَسَّم عندَها ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وكان هو أولَ مَن درَّس بها ، ثم ولدُه كَمالُ الدينِ مِن بعدِه ، وجعَل نَظَرَها إلى وَجيهِ الدينِ بنِ سُوَيْدٍ ، ثم صار فى ذُريتِه إلى الآنَ . وقد نظَر فى بعضِ الأوقاتِ القاضى شمسُ الدينِ بنُ الصائغِ ، ثم انْتُزِع منه حيث أَثْبَت لهم النظرَ ، وقد أَوْقَف البادَرائىُّ على هذه المدرسةِ أوقافًا حسنةً دارَّةً ، وجعَل فيها خِزانةَ كتبٍ

(١ - ١) فى الأصل : « عاشر » وانظر الذيل على الروضتين ، وفيه أنه عمل فى ذلك اليوم صلاة الغائب ؛ لأنه توفى ببغداد ، ولم يذكر العزاء .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٨، وذيل مرآة الزمان ١/ ٧٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٣٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥٩.

حسَنةً نافعةً ، وقد عاد إلى بغدادَ فى هذه السنةِ ، فوَلى بها قضاءَ القُضاةِ كُرْهًا منه ، فأقام فيه سبعةَ عشَرَ يومًا ، ثم تُوُفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى فى مُسْتَهَلِّ ذى الحِجَّةِ[1] مِن هذه السنةِ . ودُفِن بالشُّونيزيةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ بعدَ موتِ الباذَرائىِّ بأيامٍ قَلائلَ نزَلَت التَّتارُ على بغدادَ مُقَدِّمةً لمِلِكهم هُولاوو بنُ تُولى بنِ جِنْكِزْخان ، عليهم لَعائنُ الرحمنِ ، وكان افْتِتاحُهم لها وجِنايتُهم عليها فى أولِ السنةِ الآتيةِ على ما سيأتى بيانُه وتفصيلُه ، وباللَّهِ المُسْتعانُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ :

الباذَرائىُّ واقفُ المدرسةِ الباذَرائيةِ التى بدمشقَ ، كما تقَدَّم بيانُه .

والشيخُ تَقِىُّ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الفَهْمِ اليَلْدانىُّ[2] بها فى ثامنِ ربيعٍ الأولِ ، ودفِن بها ، وكان شيخًا صالحًا مُشْتَغِلًا بالحديثِ سَماعًا وكِتابةً وإسْماعًا ، إلى أن تُوُفِّى وله نحوٌ من مائةِ سنةٍ .

قلتُ : وأكثرُ كتبِه ومَجامِيعِه التى بخطِّه مَوْقوفةٌ بخِزانةِ الفاضليةِ مِن الكَلَّاسةِ ، وقد رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى النومِ فقال له : يا رسولَ اللَّهِ ، ما أنا رجلٌ جيدٌ ؟ [3]قال : بلى ، أنت رجلٌ جيدٌ[3] . رحِمه اللَّهُ وأكْرَم مَثْواه .

الشيخُ شرفُ الدينِ محمدُ بنُ أبى الفضلِ المُرْسِىُّ[4] ، وكان شيخًا فاضلًا

---

(١) فى الأصل : « ذى القعدة » .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٥ ، وذيل مرآة الزمان ١/ ٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١١ ، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٧٦ . واليلدانى : نسبة إلى يلدان قرية من قرى الشام . معجم البلدان ٤/ ١٠٢٥ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) معجم الأدباء ١٨/ ٢٠٩ ، والذيل على الروضتين ص ١٩٥ ، وذيل مرآة الزمان ١/ ٧٦ ، وسير =

مُفْتِيًا مُحقِّقَ البحثِ، كثيرَ الحجِّ، له مكانةٌ عندَ الأكابرِ، وقد اقْتَنى [١٠/٤٩و] كتبًا كثيرةً، وكان أكثرُ مُقامِه بالحجازِ، وحيث حلَّ عظَّمه رُؤساءُ تلك البَلْدةِ، وكان مُقْتَصِدًا فى أُمورِه، وكانت وفاتُه، رحِمه اللَّهُ، بالزعْقَةِ بينَ العَريشِ والدَّارُومِ[1] فى منتصفِ ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الملكُ الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ عيسى بنِ العادلِ[2]، ملَك دمشقَ بعدَ أبيه، ثم انْتُزِعَت مِن يدِه، وأخَذها عمُّه الأشْرَفُ، واقْتَصَر على الكَرَكِ ونابُلُسَ، ثم تَقَلَّبت به الأحوالُ، وجرَت له خُطوبٌ طِوالٌ حتى لم يَبْقَ معه شىءٌ مِن المَحالِّ، وأوْدَع وَديعةً تُقارِبُ مائةَ ألفِ دينارٍ عندَ الخليفةِ المستعصِمِ[3]، فأنْكَره إياها، ولم يَرُدَّها عليه، وقد كان له فَصاحةٌ وشعرٌ جيدٌ، ولديه فَضائلُ جَمَّةٌ، واشْتَغَل فى علمِ الكلامِ على الشمسِ الخُسْرُوشاهىِّ تلميذِ الفخرِ الرازىِّ، وكان يَعْرِفُ علومَ الأوائلِ جيدًا، وقد حكَوْا عنه أشْياءَ تَدُلُّ - إن صحَّت - على سُوءِ عَقيدتِه. فاللَّهُ أعلمُ.

وذُكِر أنه حضَر أولَ درسٍ ذِكْرٍ بالمُسْتَنْصِرِيةِ فى سنةِ ثنتين وثلاثين وستِّمائةٍ، وأن الشعراءَ أنْشَدوا المُسْتَنْصِرَ مَدائحَ كثيرةً، فقال بعضُهم فى جملةِ قصيدةٍ له:

= أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٢، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٥٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٦٩، والعقد الثمين ٢/ ٨١، وطبقات المفسرين للداوودى ٢/ ١٦٨، وبغية الوعاة ١/ ١٤٤.

(١) الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ. معجم البلدان ٢/ ٥٢٥.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٠، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٩٦، ودول الإسلام ٢/ ١٦٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٦، وفوات الوفيات ١/ ٤١٩. وقد وردت ترجمته فى المصادر السابقة فى وفيات سنة ستمائة وست وخمسين.

(٣) فى م: «المستنصر».

لو كنتَ فى يومِ السَّقيفةِ شاهدًا   كنتَ المُقدَّمَ والإمامَ الأعْظَمَا

فقال الناصرُ داودُ للشاعرِ : اسْكُتْ ، فقد أخْطَأْتَ ، قد كان جَدُّ أميرِ المؤمنين العباسُ شاهدًا يومَئذٍ ، ولم يَكُنِ المُقَدَّمَ ، وما الإمامُ الأعظمُ إلا أبو بكرٍ الصديقُ . فقال الخليفةُ : صدَق . فكان هذا مِن أحسنِ ما نُقِل عنه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد تقاصَر أمْرُه إلى أن رسَم عليه الناصرُ بنُ العزيزِ بقريةِ البُوَيْضا التى لعمِّه مجيرِ[1] الدينِ يَعْقوبَ ، حتى تُوُفِّى بها فى هذه السنةِ ، فاجْتَمَع الناسُ بجنازتِه ، وحُمِل منها ، فصُلِّى عليه ، حتى دُفِن عندَ والدِه بسفحِ قاسِيونَ .

الملكُ المُعِزُّ عزُّ الدينِ أيْبَك التُّرْكُمانيُّ[2] ، أولُ ملوكِ الأتْراكِ ، كان مِن أكبرِ مَماليكِ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ بنِ الكاملِ ، وكان دَيِّنًا صَيِّنًا عَفيفًا كريمًا ، مكَث فى الملكِ نحوًا مِن سبعِ سنين ، ثم قتَلَته زوجتُه شجرُ الدُّرِّ أمُّ خَليلٍ ، وقام فى الملكِ مِن بعدِه ولدُه نورُ الدينِ علىٌّ ، ولُقِّب بالملكِ المَنْصورِ ، وكان مُدَبِّرَ مَملكتِه مَمْلوكُ أبيه سيفُ الدينِ قُطُز ، ثم عزَله واسْتَقَلَّ بالملكِ بعدَه نحوًا مِن سنةٍ ، وتَلَقَّب بالمُظَفَّرِ ، فقدَّر اللَّهُ كَسْرَ التَّتارِ على يديه بعينِ جالوتَ ، وقد بسَطْنا هذا كلَّه فى الحَوادثِ فيما تقدَّم وما سيأتى ، ولِلَّهِ الحمدُ .

شجرُ الدُّرِّ بنتُ عبدِ اللَّهِ ، أمُّ خَليلٍ التركيةُ[3] ، كانت مِن حَظايا الملكِ الصالحِ نجمِ الدينِ أيوبَ ، وكان ولدُها منه خَليلٌ مِن أحسنِ الصُّوَرِ ، فمات

---

(١) فى م : « مجد » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٤، ودول الإسلام ٢/ ١٥٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٩٨، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٦٩.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١/ ٦١، وعقد الجمان ١/ ١٦٥، والدليل الشافى فى المنهل الصافى ١/ ٣٤٢، والسلوك ١/ ٤٠٤ (القسم الثانى) ، وشذرات الذهب ٥/ ٢٦٨.

صغيرًا ، وكانت تَكونُ فى خدمتِه ، لا تُفارِقُه حضَرًا ولا سفرًا مِن شدةِ مَحَبتِه لها ، وقد ملَكَت الدِّيارَ المِصْرية بعدَ مَقْتلِ ابنِ زوجِها المُعَظَّمِ تُورانْشاه ، فكان يُخْطَبُ لها ، وضُرِبت السِّكَّةُ باسمِها ، وعلَّمَت على المَناشِيرِ مدةَ ثلاثةِ أشهرٍ ، ثم تَمَلَّكَ المُعِزُّ كما ذكَرْنا ، ثم تزَوَّجها بعدَ تمَلُّكِه الديارَ المصرية بسنواتٍ ، ثم غارت عليه لما بَلغها أنه يُرِيدُ أن يَتزَوَّجَ بنتَ صاحبِ الموصلِ بدرِ الدينِ لؤلؤٍ ، فعمِلَت عليه حتى قتَلَته كما تقَدَّم ذكرُه ، فتمالأ عليها مَماليكُه المُعِزِّيةُ فقتَلوها وألْقَوْها على مَزْبَلةٍ ثلاثةَ أيامٍ ، ثم نُقِلَت إلى تربةٍ لها بالقربِ مِن قبرِ الستِّ نَفيسةَ ، رحِمها اللَّهُ تعالى ، وكانت قويةَ النفسِ ؛ لما علِمَت أنه قد أُحِيط بها أتْلَفَت شيئًا كثيرًا مِن الجَواهرِ واللآلئِ ، كسَرَتْه فى الهاوُنِ ، لا لها ولا لغيرِها ، وكان وزيرَها فى دولتِها الصاحبُ بَهاءُ الدينِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ سُلَيْمٍ[1] المعروفَ بابنِ حِنَّاءَ ، وهو أولُ مَناصبِه .

الشيخُ الأسعدُ هِبةُ اللَّهِ بنُ صاعِدٍ ، شرفُ الدينِ الفائزىُّ[2] ؛ لخدمتِه قديمًا [٤٩/١٠ظ] الملكَ الفائزَ سابقَ الدينِ إبراهيمَ بنَ الملكِ العادلِ ، وكان نَصْرانيًّا فأسْلَم ، وكان كثيرَ البرِّ والصدقاتِ والصِّلاتِ ، اسْتَوْزَره المُعِزُّ ، وكان حَظِيًّا عندَه جدًّا ، لا يَفْعَلُ شيئًا إلا بعدَ مُراجَعتِه ومُشاوَرتِه ، وكان قبلَه فى الوِزارةِ القاضى تاجُ الدينِ ابنُ بنتِ الأعَزِّ ، وقبلَه القاضى بدرُ الدينِ السِّنْجارىُّ ، ثم صارت بعدَ ذلك كلُّه إلى هذا الشيخِ الأسْعَدِ المسلمانىِّ ، وقد كان الفائزىُّ يُكاتِبُه المُعِزُّ بالمملوكِ ، ثم لما قُتِل المُعِزُّ أُهِين الأسعدُ حتى صار شَقِيًّا ، وأخَذ الأميرُ سيفُ الدينِ

---

(١) فى م : « سليمان » . وستأتى ترجمته فى صفحة ٥٤٨ ضمن وفيات سنة سبع وسبعين وستمائة .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/ ٨٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٥٨، والسلوك ١/ ٤٠٧ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١/ ١٦٣.

قُطُز خَطَّه بمائةِ ألفِ دينارٍ ، وقد هجاه بَهاءُ الدينِ زُهَيْرُ بنُ عليٍّ ، فقال :

لـعَـن الـلّـهُ صـاعـــــدَا وأبـــــــاه فـصـاعـدَا
وبـنـيـــــه فـنـــــازِلَا واحــــدًا ثـم واحـــدَا

ثم قُتِل بعدَ ذلك كلِّه ، ودُفِن بالقَرافةِ ، وقد رثاه القاضى ناصرُ الدينِ بنُ المُنيرِ ، وله فيه مَدائحُ وأشعارٌ حسنةٌ يُقرِّظُهُ بها ، فصيحةٌ رائقةٌ .

ابنُ أبى الحَديدِ العراقىُّ الشاعرُ : عبدُ الحَميدِ بنُ هِبةِ اللَّهِ بنِ محمدِ[(1)] **بنِ محمدِ**[1)] **بنِ الحسينِ ، أبو حامدِ بنُ أبى الحَديدِ ، عِزُّ الدينِ المَدائنىُّ** ، الكاتبُ الشاعرُ المُطَبِّقُ الشِّيعىُّ الغالى ، له « شرحُ نَهجِ البلاغةِ » فى عشرين مجلدًا ، وُلِد بالمَدائنِ سنةَ ستٍّ وثمانين وخمسِمائةٍ ، ثم صار إلى بغدادَ ، فكان أحدَ الكُتَّابِ والشعراءِ بالدِّيوانِ الخليفتىِّ ، وكان حَظِيًّا عندَ الوزيرِ ابنِ العَلْقَمىِّ ، لما بينَهما مِن المُناسبةِ والمُقارَبةِ والمُشابَهةِ ؛ فى التَّشَيُّعِ والأدبِ والفَضيلةِ ، وقد أوْرَد له ابنُ الساعى أشياءَ كثيرةً مِن مَدائحِه وأشعارِه الفائقةِ الرائقةِ ، وكان أكثرَ فَضيلةً وأدبًا مِن أخيه أبى المعالى مُوَفَّقِ الدينِ أحمدَ[(2)] بنِ هِبةِ اللَّهِ ، وإن كان الآخرُ فاضلًا بارعًا أيضًا ، وقد ماتا فى هذه السنةِ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

المُشِدُّ الشاعرُ ، الأميرُ سيفُ الدينِ علىُّ بنُ عمرَ بنِ قزلٍ[(3)] ، مُشِدُّ الدِّيوانِ

(1 - 1) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان 1/ 62، ووفيات الأعيان 5/ 392، وفوات الوفيات 2/ 259، والوافى بالوفيات 18/ 76. وعقد الجمان 1/ 164.

(2) سقط من : م . قال : فى وفيات الأعيان 5/ 391: موفق الدين أبو المعالى أحمد ، ويدعى القاسم أيضا . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان 1/ 104، وسير أعلام النبلاء 23/ 274، 372، والوافى بالوفيات 1/ 154. وجاءت وفاته فى هذه المصادر فى السنة الآتية .

(3) الذيل على الروضتين ص 198، والعبر 5/ 233، وفوات الوفيات 3/ 51، والوافى بالوفيات 21/ 353، والنجوم الزاهرة 7/ 67، وعقد الجمان 1/ 161، وسمى المشد لأنه تولى شد الدواوين . وهى =

بدمشقَ ، وكان شاعرًا مُطَبِّقًا ، له دِيوانٌ مشهورٌ ، وقد رآه بعضُهم بعدَ موتِه ، فسأَله عن حالِه ، فأَنْشَده :

نُقِلْتُ إلى رَمْسِ القبورِ وضيقِها   وخوفى ذنوبى أنها بى تُعَثِّرُ
فصادَفْتُ رَحمانًا رءوفًا وأَنْعُمًا   حبانى بها نَفْيًا[1] لما كنتُ أَحْذَرُ
ومَن كان حُسْنُ الظنِّ فى حالِ موتِه   جميلًا بعفوِ اللَّهِ فالعفوُ أَجْدَرُ

بِشارةُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأَرْمَنىُّ الأصلِ ، بدرُ الدينِ الكاتبُ[2] ، مولى شِبْلِ الدولةِ المُعَظَّمىِّ ، سمِع الكِنْدىَّ وغيرَه ، وكان يَكْتُبُ خطًّا جيدًا ، وأسْنَد إليه مولاه النظرَ فى أوقافِه ، وجعَله فى ذريتِه ، فهم إلى الآنَ يَنْظُرون فى الشِّبْلِيَّتَيْن ، وكانت وفاتُه فى النصفِ مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ .

القاضى تاجُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ قاضى القُضاةِ جَمالِ الدينِ المِصْرىُّ[3] ، ناب عن أبيه ، ودرَّس بالشاميةِ ، وله شعرٌ ، فمنه قولُه :

صيَّرْتُ فمِى لفيهِ باللثمِ لثامْ   عمْدا ورَشَفْتُ من ثناياهُ مُدامْ
فازْوَرَّ وقال أنت فى الفقهِ إمامْ   رِيقى خمرٌ وعندَك الخمرُ حَرامْ

= وظيفة من بحضرة السلطان . موضوعها ، أن يكون صاحبها رفيقًا للوزير متحدثًا فى استخلاص الأموال ، وما فى معنى ذلك ، وعادتها إمرة عشرة . انظر صبح الأعشى ٤/ ٢٢.

(١) فى م : « سقيا » .

(٢) الوافى بالوفيات ١٠/ ١٤١، وعقد الجمان ١/ ١٦٢.

(٣) عقد الجمان ١/ ١٦٢، والدارس ١/ ٢٨٠.

ثم دخلت سنة ستٍّ وخمسين وستّمائةٍ

فيها[1] أخذَت التَّتارُ بغدادَ ، وقتلوا أكثرَ أهلِها حتى الخليفةَ ، وانْقَضت دولةُ بني العباسِ منها .

اسْتَهلَّت هذه السنةُ وجنودُ التَّتارِ قد نازَلَت بغدادَ صُحْبةَ الأميرَيْن اللذين [١٠/٥٠و] على مُقدِّمةِ عَساكرِ سلطانِ التَّتارِ هُولاكُوقان ، [٢]وجاءَت إليهم أمْدادُ صاحبِ الموصلِ يُساعِدونهم على البَغادِدةِ ومِيرتُه وهداياه وتُحَفُه ، وكلُّ ذلك خوفًا على نفسِه مِن التتارِ ، ومُصانَعةً لهم ، قبَّحهم اللَّهُ تعالى[٢] ، وقد سُتِرت بغدادُ ، ونُصِبَت فيها المَجانِيقُ والعَرَّادَاتُ وغيرُها مِن آلاتِ المُمانَعةِ التى لا تَرُدُّ مِن قدَرِ اللَّهِ سبحانه وتعالى شيئًا ، كما ورَد فى الأثَرِ[٣] : « لن يُغْنىَ حَذَرٌ مِن قَدَرٍ » . وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [نوح: ٤] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١] . وأحاطَت التَّتارُ بدارِ الخلافةِ يَرْشُقونها بالنُّشّابِ مِن كلِّ جانبٍ ، حتى أُصِيبَت جاريةٌ كانت تَلْعَبُ بينَ يدى الخليفةِ وتُضْحِكُه ، وكانت مِن جملةِ الحَظايا ، وكانت مُوَلَّدةً تُسَمَّى عرفةَ ،

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٨، ١٩٩، وذيل مرآة الزمان ١/٨٥ - ٩٢، ونهاية الأرب ٢٧/٣٨٠ - ٣٨٣، والعبر ٥/٢٢٥، ٢٢٦، وعقد الجمان ١/١٦٧ - ١٨٣.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١/٤٩٢ بسنده عن عائشة عن النبى ﷺ بأطول من هذا، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وفى إسناده زكريا بن منظور، قال الحافظ الذهبى معقبا على الحاكم: زكريا مجمع على ضعفه.

جاءها سهمٌ مِن بعضِ الشَّبابيكِ فقتَلها وهى تَرْقُصُ بينَ يدى الخليفةِ ، فانْزَعَج الخليفةُ مِن ذلك ، [(1)] وفزِع فزَعًا [(1)] شديدًا ، وأحضَر السهمَ الذى أصابها بينَ يديه ، فإذا عليه مَكْتوبٌ : إذا أراد اللَّهُ إنفاذَ قَضائِه وقدرِه سلبَ [(2)] ذَوِى العقولِ عُقولَهم . فأمَر الخليفةُ عندَ ذلك بزيادةِ الاحْتِرازِ ، وكَثْرةِ السَّتائرِ على دارِ الخلافةِ ، وكان قدومُ هولاكوقان بجُنودِه كلِّها - وكانوا نحوًا مِن مائتَىْ ألفِ مُقاتِلٍ - إلى بغدادَ فى ثانى عشَرَ المحَرَّمِ مِن هذه السنةِ ، وهو شديدُ الحَنَقِ على الخليفةِ بسببِ ما كان تقَدَّم مِن الأمرِ الذى قدَّره اللَّهُ وقضاه وأنْفَذه وأمْضاه ، وهو أن هولاكوقان لما كان أولُ بُروزِه مِن هَمَذان مُتَوَجِّهًا إلى العراقِ أشار الوزيرُ مُؤَيِّدُ الدينِ محمدُ بنُ العَلْقَمىِّ على الخليفةِ بأن يَبْعَثَ إليه بهدايا سَنِيةٍ ؛ ليَكونَ ذلك مُداراةً له عما يُريدُه مِن قصدِ بلادِهم ، فخذَّل الخليفةَ عن ذلك دُوَيْدارُه [(3)] الصغيرُ أَيْبَك وغيرُه ، وقالوا : إن الوزيرَ إنما يُرِيدُ بهذا مُصانعةَ ملكِ التتارِ بما يَبْعَثُه إليه مِن الأموالِ ، وأشاروا بأن يَبْعَثَ إليه بشىءٍ يسيرٍ ، فأرْسَل شيئًا مِن الهدايا ، فاحْتَقَرها هولاكوقان ، وأرْسَل إلى الخليفةِ يَطْلُبُ منه دُوَيْدارَه المذكورَ ، وسليمان شاه ، فلم يَبْعَثْهما إليه ، ولا بالى به حتى أزِف قدومُه ، ووصَل إلى بغدادَ بجُنودِه الكثيرةِ الكافرةِ الفاجرةِ الظالمةِ الغاشمةِ ، ممَّن لا يُؤْمِنُ باللَّهِ ولا باليومِ الآخِرِ ، فأحاطوا ببغدادَ مِن ناحيتِها الغربيةِ والشرقيةِ ، وجُنودُ بغدادَ فى غايةِ القلةِ ونهايةِ الذِّلَّةِ ، لا

(1 - 1) زيادة من : م .

(2) فى م : « أذهب من » .

(3) فى ذيل مرآة الزمان ، ونهاية الأرب وعقد الجمان جاءت صفته ، أنه الدوادار . ولم يُذكر فى الذيل على الروضتين . والمثبت موافق لما فى العبر . والدوادرية : تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف ، وتقديم البريد ، هو وأمير جاندار وكاتب السر ، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب ، وإذا خرج عن السلطان بكتابة شىء برسوم ؛ حمل رسالته وعينت فيما يكتب . انظر صبح الأعشى 4/ 19.

يَبْلُغون عشَرةَ آلافِ فارسٍ، وهم (1) في غايةِ الضعفِ (1)، وبقيةُ الجيشِ كلُّهم قد صُرِفوا عن إقْطاعاتِهم حتى اسْتَعْطَى كثيرٌ منهم في الأسْواقِ وأبوابِ المساجدِ، وأنْشَد فيهم الشعراءُ القصائدَ يَرْثون لهم، ويَحْزَنُون على الإسلامِ وأهلِه، وذلك كلُّه عن آراءِ الوزيرِ ابنِ العَلْقَميِّ الرافضيِّ، وذلك أنه لما كان في السنةِ الماضيةِ كان بينَ أهلِ السنةِ والرافضةِ حربٌ شديدةٌ، نُهِبَت فيها الكَرْخُ مَحَلَّةُ الرافضةِ، حتى نُهِبَت دُورُ قَراباتِ الوزيرِ، فاشْتَدَّ حَنَقُه على ذلك، فكان هذا مما أهاجه على أن دبَّر على الإسلامِ وأهلِه ما وقَع مِن الأمرِ الفَظيعِ الذي لم يُؤَرَّخْ أَشنعُ منه منذ بُنِيَت بغدادُ، وإلى هذه الأوقاتِ، ولهذا كان أولَ مَن برَز إلى التَّتارِ هو، فخرَج في أهلِه وأصحابِه وخدَمِه وحَشَمِه، فاجْتَمَع بالسلطانِ هولاكوقان، لعَنه اللَّهُ تعالى، ثم عاد فأشار على الخليفةِ بالخروجِ إليه والمُثولِ بينَ يديه لتَقَعَ المُصالَحَةُ على أن يَكونَ نصفُ خَراجِ العراقِ لهم ونصفُه للخليفةِ، فاحْتاج الخليفةُ إلى أن خرَج في سبعِمائةِ راكبٍ مِن القُضاةِ والفُقهاءِ والصوفيةِ ورُءوسِ الأمراءِ والدولةِ والأعيانِ، فلما اقْتَرَبوا [10/50ظ] مِن منزلِ السلطانِ هولاكوقان حُجِبوا عن الخليفةِ إلا سبعةَ عشَرَ نفسًا، فخلَص الخليفةُ بهؤلاء المَذْكورين، وأُنْزِل الباقون عن مَراكِبِهم ونُهِبَت، وقُتِلوا عن آخِرِهم، وأُحْضِر الخليفةُ بينَ يدى هولاكو فسأَله عن أشياءَ كثيرةٍ، فيقالُ: إنه اضْطَرَب كلامُ الخليفةِ مِن هَوْلِ ما رأَى مِن الإهانةِ والجبَروتِ، ثم عاد إلى بغدادَ وفى صحبتِه خواجا نَصِيرٌ الطُّوسيُّ، لعنةُ اللَّهِ عليه، والوزيرُ ابنُ العَلْقَميِّ وغيرُهما، والخليفةُ تحتَ الحَوْطةِ والمُصادَرةِ، فأَحْضَر مِن دارِ الخلافةِ شيئًا كثيرًا مِن الذهبِ والحُلِيِّ والمَصاغِ والجَواهرِ والأشياءِ النَّفيسةِ، وقد أشار أولئك المَلأُ مِن الرافضةِ، لعنةُ اللَّهِ عليهم، وغيرُهم مِن المنافِقِين على

(1 - 1) سقط من: م.

هولاكوقان أن لا يُصالحَ الخليفةَ ، وقال الوزيرُ : متى وقَع الصلحُ على المُناصَفةِ لا يَسْتَمِرُّ هذا إلا عامًا أو عامين ، ثم يَعودُ الأمرُ إلى ما كان عليه قبلَ ذلك . وحسَّنوا له قتْلَ الخليفةِ ، فلما عاد الخليفةُ إلى السلطانِ هولاكوقان أمَر بقتلِه ، ويقالُ : إن الذى أشار بقتلِه الوزيرُ ابنُ العَلْقَمِىِّ والنصيرُ الطُّوسِىُّ . وكان النَّصِيرُ عندَ هولاكوقان قد اسْتَصْحَبه فى خدمتِه لما فتَح قِلاعَ الألَموتِ وانْتَزَعها مِن أيدى الإسْماعيليةِ ، وكان النَّصِيرُ وزيرًا لشمسِ الشموسِ ولأبيه[1] مِن قبلِه عَلاءِ الدينِ ابنِ جَلالِ الدينِ ، وكانوا ينتسبون إلى نِزارِ بنِ المُسْتَنْصِرِ العُبَيْدِىِّ ، وانْتَخَب هولاكوقان النَّصِيرَ لِيَكونَ فى خدمتِه كالوزيرِ المُشِيرِ ، فلما قدِم هولاكوقان وتهَيَّب مِن قتلِ الخليفةِ هوّن عليه الوزيران[2] ذلك ، فقتَلوه رَفْسًا وهو فى جُوالقَ ؛ لئلا يَقَعَ إلى الأرضِ شىءٌ مِن دمِه ، خافوا أن يُؤْخَذَ بثأرِه فيما قيل لهم ، وقيل : بل خُنِق . ويقالُ : غُرِّقَ . فاللهُ أعلمُ . فباءوا بإثمِه وإثمِ مَن كان معه مِن ساداتِ العلماءِ والقُضاةِ والأكابرِ والرُّؤَساءِ والأمراءِ وأُولِى الحَلِّ والعَقْدِ ببلادِ بغدادَ - وستأْتى ترجمةُ الخليفةِ فى الوَفَياتِ - ومالوا على البلدِ ، فقتَلوا جميعَ مَن قدَروا عليه مِن الرجالِ والنساءِ والوِلدانِ والمَشايخِ والكُهولِ والشُّبّانِ ، ودخَل كثيرٌ مِن الناسِ فى الآبارِ وأماكنِ الحُشوشِ ، وقُنِىِّ[3] الوَسَخِ ، وكمَنوا كذلك أيامًا لا يَظْهَرون ، وكان الفِئامُ مِن الناسِ يَجْتَمِعون فى الخاناتِ ، ويُغْلِقون عليهم الأبوابَ ، فتَفْتَحُها التتارُ إمّا بالكسرِ أو بالنارِ ، ثم يَدْخُلون عليهم فيَهْرُبون منهم إلى أعالى المكانِ ، فيَقْتُلونهم فى الأسْطِحَةِ ، حتى تَجْرِىَ المَيازِيبُ مِن الدماءِ فى

---

(١) فى الأصل : « لابنه » .

(٢) فى م : « الوزير » .

(٣) قنى : جمع قناة . انظر الوسيط (ق ن و) .

الأَزِقَّةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون ، وكذلك فى المساجدِ والجَوامعِ والرُّبُطِ ، ولم يَنْجُ منهم أحدٌ سوى أهلِ الذِّمَّةِ مِن اليهودِ والنصارى ، ومَن الْتَجأَ إليهم وإلى دارِ الوزيرِ ابنِ العَلْقَميِّ الرافضيِّ ، وطائفةٍ مِن التجارِ أَخذوا لهم أمانًا بذَلوا عليه أموالًا جَزيلةً حتى سلِموا وسلِمَت أموالُهم . وعادت بغدادُ بعدَما كانت آنَسَ المدنِ كلِّها كأنها خَرابٌ ليس فيها أحدٌ إلا القليلُ مِن الناسِ ، وهم فى خوفٍ وجُوعٍ وذِلةٍ وقِلةٍ . وكان الوزيرُ ابنُ العَلْقَميِّ قبلَ هذه الحادثةِ يَجْتَهِدُ فى صرفِ الجُيوشِ وإسْقاطِ أسهمِهم[(1)] مِن الدِّيوانِ ، فكانت العَساكرُ فى آخرِ أيامِ المُسْتَنْصِرِ قريبًا مِن مائةِ ألفِ مُقاتِلٍ ، فيهم مِن الأمراءِ مَن هو كالملوكِ الأكابرِ ، فلم يَزَلْ يَجْتَهِدُ فى تَقْليلِهم إلى أن لم يَبْقَ إلَّا عشَرةُ آلافٍ ، ثم كاتَب التَّتارَ ، وأَطْمَعَهم [١٠/٥١و] فى أخْذِ البلادِ ، وسهَّل عليهم ذلك ، وجلَّى لهم حَقيقةَ الحالِ ، وكشَف لهم ضعفَ الرجالِ ، وذلك كلُّه طَمَعًا منه أن يُزِيلَ السُّنَّةَ بالكُليةِ ، وأن يُظْهِرَ البِدْعَةَ الرافضيةَ وأن يُقِيمَ خليفةً مِن الفاطِمِيِّين ، وأن يُبِيدَ العُلماءَ والمُفْتِين ، واللَّهُ غالبٌ على أمْرِه ، وقد ردَّ كيدَه فى نحرِه ، وأذَلَّه بعدَ العِزةِ القَعْساءِ[(2)] ، وجعَله حوشكاشًا للتتارِ بعدَ ما كان وزيرًا للخُلفاءِ ، واكْتَسَب إثْمَ مَن قُتِل بمدينةِ بغدادَ مِن الرجالِ والنساءِ والأطْفالِ ، فالحكمُ للَّهِ العليِّ الكبيرِ ربِّ الأرضِ والسماءِ .

وقد جرَى على بنى إسْرائيلَ ببيتِ المقدسِ قريبٌ مِمَّا جرَى على أهلِ بغدادَ ، كما قصَّ اللَّهُ تعالى علينا ذلك فى كتابِه العزيزِ ، حيث يقولُ : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا

---

(١) فى م : « اسمهم » .

(٢) القعساء : الممتنعة الثابتة . انظر الوسيط (ق ع س) .

جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ [الاسراء ٤، ٥] الآيات . وقد قُتِل مِن بنى إسْرائيلَ خَلْقٌ مِن الصُّلَحاءِ ، وأُسِر جماعةٌ مِن أولادِ الأنْبياءِ ، وخُرِّب بيتُ المَقْدِسِ بعدَما كان مَعْمورًا بالعبادِ والزُّهَّادِ والأحْبارِ والأنبياءِ ، فصار خاويًا على عُروشِه ، واهِيَ البناءِ .

وقد اختَلَف الناسُ فى كميةِ مَن قُتِل ببغدادَ مِن المسلمين[1] فقيل : ثمانُمائةِ ألفٍ . وقيل : ألفُ ألفٍ وثمانُمائةِ ألفٍ . وقيل : بلَغَت القَتْلَى ألْفَىْ ألفِ نفسٍ . فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العزيزِ الحكيمِ العلىِّ العظيمِ .

وكان دخولُهم إلى بغدادَ فى أواخِرِ المُحَرَّمِ ، وما زال السيفُ يَقْتُلُ أهلَها أربعين صباحًا ، وكان قتلُ الخليفةِ المُسْتَعْصِمِ باللَّهِ أميرِ المؤمنين يومَ الأربعاءِ رابعَ عشَرَ صفرٍ ، وعَفَى قبرُه ، وكان عمرُه يومَئذٍ ستًّا وأربعين سنةً وأربعةَ أشهرٍ ، ومدةُ خلافتِه خمسَ عشْرةَ سنةً وثمانيةُ أشهرٍ وأيامٌ ، وقُتِل معه ولدُه الأكبرُ أبو العباسِ أحمدُ ، وله خمسٌ وعشرون سنةً ، ثم قُتِل ولدُه الأوسطُ أبو الفضلِ عبدُ الرحمنِ ، وله ثلاثٌ وعشرون سنةً ، وأُسِر ولدُه الأصغرُ مُبارَكٌ ، وأُسِرَت أخَواتُه الثلاثُ ؛ فاطمةُ وخديجةُ ومريمُ ، وأُسِر مِن دارِ الخِلافةِ مِن الأبْكارِ ما يُقارِبُ ألفَ بكرٍ فيما قيل ، واللَّهُ أعلمُ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وقُتِل أُستاذُدارِ[2] الخلافةِ الشيخُ مُحْيِى الدينِ [3]يوسفُ بنُ[3] الشيخِ أبى الفرجِ

---

(١) بعده فى م : « فى هذه الوقعة » .

(٢) فى الأصل ، وعقد الجمان : « استادار » . والمثبت موافق لما فى العبر وذيل مرآة الزمان ١/١٣٣ فى ترجمة محيى الدين هذا ، ولم يُذكر فى الذيل على الروضتين ونهاية الأرب . واستادار من الاستادارِيَّة : وهى وظيفة موضوعها التحدث فى أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان . انظر صبح الأعشى ٤/ ٢٠.

(٣ - ٣) فى عقد الجمان : « بن يوسف » . وانظر ما يأتى فى ترجمته ومصادرها ص ٣٧٦ .

ابنِ الجَوْزِيِّ ، وكان عدُوَّ الوزيرِ ، وقُتِل أولادُه الثلاثةُ ؛ عبدُ الرحمنِ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعبدُ الكريمِ ، وأكابرُ الدولةِ واحدًا بعدَ واحدٍ ، منهم الدُّوَيْدارُ الصغيرُ مُجاهِدُ الدينِ أَيْبَك ، وشِهابُ الدينِ سليمان شاه ، وجَماعةٌ مِن أُمراءِ السُّنَّةِ وأكابرِ البلدِ .

وكان الرجلُ يُسْتَدْعَى به مِن دارِ الخلافةِ مِن بنى العباسِ ، فيَخْرُجُ بأولادِه ونسائِه وجواريه ، فيُذْهَبُ به إلى مَقْبَرةِ الخَلَّالِ ، تُجاهَ المَنْظَرةِ ، فيُذْبَحُ كما تُذْبَحُ الشاةُ ، ويُؤْسَرُ مَن يَخْتارُون مِن بناتِه وجَوارِيه .

وقُتِل شيخُ الشيوخِ مُؤَدِّبُ الخليفةِ صَدْرُ الدينِ علىُّ بنُ النَّيَّارِ ، وقُتِل الخُطَباءُ والأئمةُ ، وحَمَلةُ القرآنِ ، وتعَطَّلَت المساجدُ والجَماعاتُ والجُمعاتُ مدةَ شهورٍ ببغدادَ ، وأراد الوزيرُ ابنُ العَلْقَميِّ ، قبَّحه اللَّهُ ولعَنه ، أن يُعَطِّلَ المَساجدَ والجوامعَ والمَدارسَ والرُّبُطَ ببغدادَ ، ويَسْتَمِرَّ بالمَشاهِدِ ومحَالِّ الرَّفْضِ ، وأن يَبْنِىَ للرافضةِ مدرسةً هائلةً يَنْشُرون [١٠/٥١ظ] عِلْمَهم وعَلَمَهم بها وعليها ، فلم يُقْدِرْه اللَّهُ تعالى على ذلك ، بل أزال نِعْمتَه عنه ، وقصَف عمرَه بعد شهورٍ يَسيرةٍ مِن هذه الحادثةِ ، وأتْبَعه بولدِه فاجْتَمَعا - واللَّهُ أعلمُ - فى الدَّرْكِ الأسفلِ مِن النارِ .

ولما انْقَضَى أمَدُ الأمرِ المقْدورِ ، وانْقَضَت الأرْبعون يومًا بقِيَت بَغْدادُ خاويةً على عُروشِها ، ليس بها أحدٌ إلا الشاذُّ مِن الناسِ ، والقَتْلَى فى الطرقاتِ كأنها التُّلولُ ، وقد سقَط عليهم المَطَرُ ، فتغَيَّرت صُوَرُهم ، وأَنْتَنَت البلدُ مِن جِيَفِهم ، وتغَيَّر الهواءُ ، فحصَل بسببِه الوَباءُ الشديدُ ، حتى تعَدَّى وسرَى فى الهواءِ إلى بلادِ الشامِ ، فمات خلقٌ كثيرٌ مِن تغيرِ الجوِّ وفَسادِ الرِّيحِ ، فاجْتَمَع على الناسِ الغَلاءُ والوَباءُ والفَناءُ والطَّعْنُ والطاعونُ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

ولما نُودِى ببغدادَ بالأمانِ خرَج مَن كان تحت الأرضِ بالمَطامِيرِ والقُنِىِّ

والمَغايِرِ[1] كأنهم الموْتَى إذا نُبِشوا مِن القبورِ ، وقد أنْكَر بعضُهم بعضًا ، فلا يَعْرِفُ الوالدُ ولدَه ولا الأخُ أخاه ، وأخَذَهم الوَباءُ الشديدُ ، فتَفانَوْا ولحِقوا بمَن سلَف مِن القَتْلَى ، واجْتَمَعوا فى البِلَى تحتَ الثَّرَى ، بأمْرِ الذى يَعْلَمُ السِّرَّ وأخفَى ، اللَّهُ لا إله إلا هو له الأسماءُ الحُسْنَى .

وكان رَحيلُ السلطانِ المُسَلَّطِ هولاكوقان عن بَغدادَ فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ إلى مَقرِّ مُلْكِه ، وفوَّض أمْرَ بغدادَ إلى الأميرِ علىٍّ بَهادُر ، فوَّض إليه الشِّحْنَكِيَّةَ[2] بها وإلى الوزيرِ مؤيدِ الدينِ محمدِ بنِ العَلْقَمىِّ ، فلم يُمْهِلْه اللَّهُ ولا أهْمَله بعدُ ، بل أخَذه أخْذَ عزيزٍ مُقْتَدرٍ ، فى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الآخِرةِ عن ثلاثٍ وستين سنةً ، وكان عندَه فَضيلةٌ فى الإنْشاءِ ، ولديه فَضيلةٌ فى الأدبِ ، ولكنه كان شِيعيًّا جَلْدًا خَبيثًا رافِضيًا ، فمات كمَدًا وغَمًّا وحُزْنًا ونَدَمًا ، إلى حيث ألْقَتْ رَحْلَها أمُّ قَشْعَمِ[3] ، فوَلِىَ بعدَه الوِزارةَ ولدُه عِزُّ الدينِ [4]أبو الفضلِ[4] محمدٌ ، فألْحَقه اللَّهُ بأبيه فى بقيةِ هذا العامِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وذكَر أبو شامةَ وشيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهبىُّ وقُطْبُ الدينِ اليُونِينىُّ[5] ، أنه أصاب الناسَ فى هذه السنةِ بالشامِ وَباءٌ شديدٌ ، وذكَروا أن سببَ ذلك مِن فَسادِ

---

(١) فى م : « المقابر » .

(٢) الشحنكية : وظيفة يتولاها الشحنة وهو صاحب الشرطة أو متولى رئاسة الشرطة . دوزى . كذا ذكر معناه فى حاشية عقد الجمان ١/ ١٧٦.

(٣) هذه عبارة المصنف مأخوذة من قول زهير :

فشَدَّ ولم يُفزِعْ بيوتًا كثيرةً لدى حيث ألقتْ رحلَها أمُّ قَشْعَمِ

وأم قشعم : الحرب ، وقيل : المنِيَّة . وقيل : الضَّبُع . وقيل : العنكبوت . وقيل : الذِّلَّة . وبكلٍّ فُسِّر قولُ زهير المذكور . انظر اللسان (قشعم) .

(٤ - ٤) فى م : « بن الفضل » .

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٠٠، وذيل مرآة الزمان ١/ ٩١، والعبر ٥/ ٢٢٦.

الهواءِ والجوِّ، فسَد مِن كثرةِ القَتْلَى ببلادِ العراقِ، وانْتَشَر حتى تعَدَّى إلى بلادِ الشامِ. فاللَّهُ أعلمُ.

وفى هذه السنةِ اقْتَتَل المِصْريون مع صاحبِ الكَرَكِ الملكِ المُغيثِ عمرَ بنِ العادلِ بنِ أبى بكرِ بنِ العادلِ الكبيرِ، وكان فى جيشِه[(1)] جماعةٌ مِن أمراءِ البَحْريةِ، منهم رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِىُّ، فكسَرهم المِصْريون، ونهَبوا ما كان معهم مِن الأثْقالِ والأموالِ، وأسَروا منهم جَماعةً مِن رءوسِ الأمراءِ، [(2)] فقُتِلوا صَبْرًا[(2)]، وعادوا إلى الكَرَكِ فى أَسْوأ حالةٍ وأشْنَعِها، وجعَلوا يُفْسِدون فى الأرضِ، ويَعِيثون فى البلادِ، فأرْسَل إليهم الناصرُ صاحبُ دمشقَ جيشًا ليَكُفَّهم عن ذلك، فكسَرهم البَحْريةُ، واسْتَنْصَروا فبرَز إليهم الناصرُ بنفسِه، فلم يَلْتَفِتوا إليه، وقطَعوا أطْنابَ خيمتِه التى هو فيها بإشارةِ رُكْنِ الدينِ بَيْبَرْسَ المذكورِ، وجرَت حروبٌ وخُطوبٌ يَطولُ بَسْطُها، وباللَّهِ المُستعانُ.

ذكرُ مَنْ تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن المَشاهيرِ والأعْيانِ:

خليفةُ الوقتِ المُسْتَعْصِمُ باللَّهِ[(3)] أميرُ المؤمنين، آخِرُ خلُفاءِ بنى العباسِ بالعراقِ، وهو أبو أحمدَ عبدُ اللَّهِ بنُ أميرِ المؤمنين [١٠/٥٢و] المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ أبى جعفرٍ منصورِ بنِ الظاهرِ بأمرِ اللَّهِ أبى نصرٍ محمدِ بنِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين المُسْتَضِىءِ بأمرِ اللَّهِ أبى محمدٍ الحسنِ بنِ أميرِ المؤمنين

---

(١) فى م: «حبسه».

(٢ - ٢) زيادة من: م. توافق ما ذكره صاحب ذيل مرآة الزمان؛ أنه قُبض يومئذ على بعض الأمراء - سمّاهم هناك - وأُحضروا بين يدى سيف الدين قطز وبهادر وأُمِر بضرب أعناق هؤلاء الأمراء، فضُربت وحُملت رءوسهم إلى القاهرة.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١/ ٢٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٧٤، وفوات الوفيات ٢/ ٢٣٠، والعقد الثمين ٥/ ٢٩٠، وعقد الجمان ١/ ٢٠٥.

المُسْتَنْجِدِ باللَّهِ أبى المُظَفَّرِ يوسُفَ بنِ أميرِ المؤمنين المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ أميرِ المؤمنين المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ أبى القاسمِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأميرِ الذَّخِيرةِ أبى العباسِ محمدِ بنِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ أبى جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ القادرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ الأميرِ إسحاقَ بنِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ أبى الفضلِ جعفرِ بنِ المُعْتَضِدِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ الأميرِ المُوَفَّقِ أبى أحمدَ طَلْحةَ ابنِ المُتَوَكِّلِ على اللَّهِ أبى الفضلِ جعفرِ بنِ المُعْتَصِمِ باللَّهِ أبى إسحاقَ محمدِ بنِ الرَّشيدِ أبى محمدٍ هارونَ بنِ المَهْدِىِّ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ المنصورِ أبى جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ الهاشمىُّ العباسىُّ ، مَوْلِدُه سنةَ تسعٍ وستِّمائةٍ ، وبُويِع له بالخِلافةِ فى العشرين مِن جُمادَى الأولى سنةَ أربعين ، وكان مَقْتَلُه فى يومِ الأربعاءِ الرابعَ عشَرَ مِن صفرٍ سنةَ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ ، فيَكونُ عمرُه يومَ قُتِل سبعًا وأربعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد كان ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، حسنَ الصُّورةِ ، جيدَ السيرةِ صحيحَ السَّريرةِ ، صَحيحَ العَقيدةِ ، مُقْتَدِيًا بأبيه المُسْتَنْصِرِ فى المَعْدَلةِ وكَثْرةِ الصَّدَقاتِ وإكْرامِ العلماءِ والعُبّادِ ، وقد اسْتَجاز له الحافظُ ابنُ النَّجّارِ مِن مَشايخِ خُراسانَ ، منهم المُؤَيَّدُ الطوسىُّ ، وأبو رَوْحٍ عبدُ المُعِزِّ[1] بنُ محمدٍ الهَرَوىُّ ، وأبو بكرٍ القاسمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ الصَّفّارِ وغيرُهم ، وحدَّث عنه جَماعةٌ منهم مُؤَدِّبُه شيخُ الشيوخِ صدرُ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ النَّيّارِ ، وأجاز هو للإمامِ مُحْيِى الدينِ بنِ الجَوْزِىِّ ، وللشيخِ نَجْمِ الدينِ الباذَرائىِّ ، وحدَّثا عنه بهذه الإجازةِ .

---

(١) فى الأصل ، م : « عبد العزيز » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان وسير أعلام النبلاء . وانظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٠٧.

وقد كان ، رحِمه اللَّهُ تعالى سُنِّيًّا على طريقةِ السلفِ واعْتِقادِ الجماعةِ كما كان أبوه وجَدُّه ، ولكن كان فيه لِينٌ وعدمُ تَيَقُّظٍ ومَحَبَّةٌ للمالِ وجَمْعِه ، ومِن جملةِ ذلك أنه غَلَّ الوَديعةَ التى اسْتَوْدَعه إياها الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ ، وكانت قيمتُها نحوًا مِن مائةِ ألفِ دينارٍ ، فاسْتُقْبِح هذا مِن مثلِ الخليفةِ ، وهو مُسْتَقْبَحٌ مِمَّن هو دونَه بكثيرٍ ؛ بل مِن أهلِ الكتابِ مَن إن تَأْمَنْه بقِنْطارٍ يُؤَدِّه إليك كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾[آل عمران : ٧٥] .

قتَلَته التَّتارُ مَظلومًا مُضْطَهَدًا فى يومِ الأربعاءِ رابعَ عشَرَ صفرٍ مِن هذه السنةِ ، وله مِن العمرِ ستةٌ وأربعون سنةً وأربعةُ أشهرٍ . وكانت مدةُ خلافتِه خمسَ عشْرةَ سنةً وثمانيةَ أشهرٍ وأيامًا ، فرحِمه اللَّهُ وأكْرَم مَثْواه ، وبلَّ بالرَّحمةِ ثَراه . وقد قُتِل بعدَه وَلَداه ، وأُسِر الثالثُ مع بناتٍ ثلاثٍ مِن صُلْبِه ، وشغَر مَنْصِبُ الخِلافةِ بعدَه ، ولم يَبْقَ فى بنى العباسِ مَن سدَّ مَسَدَّه ، فكان آخرَ الخلفاءِ مِن بنى العباسِ الحاكمين بالعَدْلِ بينَ الناسِ ، ومَن يُرْتَجَى منهم النَّوالُ ويُخْشَى منهم الباسُ ، وخُتِموا بعبدِ اللَّهِ المُسْتَعْصِمِ ، كما افتُتِحوا بعبدِ اللَّهِ السَّفَّاحِ ، (١وكان عدةُ خلفاءِ بنى العباس إلى المستعصمِ سبعةً وثلاثين خليفةً ، فكان أولَهم عبدُ اللَّهِ السفاحُ١) ، بُويِع له بالخِلافةِ ، وظهَر مُلْكُه وأمْرُه فى سنةِ ثنتين وثلاثين ومائةٍ ، بعدَ انْقِضاءِ دولةِ بنى أميةَ كما تقدَّم بيانُه ، وآخرُهم عِبدُ اللَّهِ المُسْتَعْصِمُ ، وقد زال مُلْكُه ، وانْقَضَت خِلافتُه فى هذا العامِ ، أعنى سنةَ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ ، [١٠/٢٥٢ظ] فجملةُ أيامِهم خمسُمائةِ سنةٍ وأربعٌ وعشرون سنةً ، وزالت يدُهم عن العراقِ والحكمِ بالكليةِ مدةَ سنةٍ وشهورٍ فى أيامِ البَساسِيرىِّ بعدَ الخمسين وأربعِمائةٍ ، ثم عادت

(١ - ١) سقط من : م .

كما كانت . وقد بسَطنا ذلك فى موضعِه فى أيامِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ ، وللَّهِ الحمدُ .

ولم تَكُنْ أيدى بنى العباسِ حاكمةً على جَميعِ البلادِ كما كانت بنو أمية قاهرةً لجميعِ البلادِ والأقْطارِ والأمْصارِ ، فإنه قد خرَج عن بنى العباسِ بلادُ المغربِ ، ملَكها فى أوائلِ الأمرِ بعضُ بنى أمية ممَّن بقى منهم مِن ذريةِ عبدِ الرحمنِ ابنِ مُعاويةَ بنِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، ثم تغَلَّب عليه الملوكُ بعدَ دُهورٍ مُتطاوِلةٍ كما ذكَرْنا ، وقارَن بنى العباسِ دولةُ المُدَّعِين أنهم مِن الفاطِمِيِّين ببلادِ مصرَ وبعضِ بلادِ المغربِ وما هنالك ، وبلادِ الشامِ فى بعضِ الأحْيانِ والحَرَمَيْن فى أزمانٍ طويلةٍ[(1)] .

واسْتَمَرَّت دولةُ الفاطِمِيِّين قريبًا مِن ثلاثِمائةِ سنةٍ حتى كان آخِرَهم العاضدُ الذى مات بعدَ الستين وخمسِمائةٍ فى الدولةِ الصَّلاحيةِ الناصريةِ المقْدسيةِ كما ذكرنا ، وكانت عِدَّةُ مُلوكِ الفاطِمِيِّين أربعةَ عشَرَ مَلِكًا[(2)] مُتَخَلِّفًا ، ومدةُ ملكِهم تَحْرِيرًا مِن سنةِ سبعٍ وتسعين ومائتين إلى أن تُوُفِّى العاضدُ سنةَ بضعٍ وستين وخمسِمائةٍ ، والعجبُ أن خلافةَ النبوةِ التاليةَ لزمانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ كانت ثلاثين سنةً ، كما نطَق بها الحديثُ الصحيحُ[(3)] ، فكان فيها أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، ثم عثمانُ ، ثم علىٌّ ، ثم ابنُه الحسنُ بنُ علىٍّ ستةَ أشهرٍ حتى كَمَلت بها الثلاثون ، كما قرَّرْنا ذلك فى دَلائلِ النبوةِ ، ثم كانت مُلْكًا ، فكان أولَ ملوكِ الإسلامِ مِن بنى أبى سفيانَ مُعاويةُ بنُ أبى سفيانَ صَخْرِ بنِ حربِ بنِ أمية ، ثم ابنُه يزيدُ ، ثم

---

(1) بعده فى م : « وكذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر وتداولتها الملوك دولا بعد دول ، حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال فى أكثر الأوقات ، كما ذكر ذلك مبسوطا فى الحوادث والوفيات .

(2) فى الأصل : « خليفة وإن شئت قلت » .

(3) تقدم فى ٩/ ١٥٣، ١٥٤.

ابنُ ابنِه مُعاويةُ بنُ يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، وانْقَرَض هذا البَطْنُ المُفْتَتَحُ بمُعاويةَ المُخْتَتَمُ بمُعاويةَ ، ثم ملَك مَرْوانُ بنُ الحكمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَىٍّ ، ثم ابنُه عبدُ الملكِ ، ثم الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثم أخوه سليمانُ ، ثم ابنُ عمِّه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ثم يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثم هشامُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثم الوليدُ بنُ يزيدَ ، ثم يزيدُ بنُ الوليدِ ، ثم أخوه إبراهيمُ الناقصُ ، وهو ابنُ الوليدِ أيضًا ، ثم مَرْوانُ بنُ محمدٍ المُلَقَّبُ بالحِمارِ ، وكان آخرَهم ، فكان أولُهم اسمُه مَرْوانُ وآخِرُهم اسمُه مَرْوانُ[1] ، وكان أولَ خلفاءِ بنى العباسِ السَّفَّاحُ واسمُه عبدُ اللَّهِ ، وكانَ آخِرَهم المُسْتَعْصِمُ واسمُه عبدُ اللَّهِ ، كذلك أولُ خلفاءِ الفاطِمِيِّين اسمُه عبدُ اللَّهِ المهدىُّ[2] ، وآخِرُهم عبدُ اللَّهِ العاضدُ ، وهذا اتِّفاقٌ غريبٌ جدًّا ، قلَّ مَن يَتَنَبَّهُ له . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

وهذه أُرْجوزةٌ لبعضِ الفُضلاءِ انتظَم فيها ذِكرَ جميعِ الخُلَفاءِ[3] :

الحمدُ للَّهِ العظيمِ عَرْشُهُ	القاهرِ الفَرْدِ القوىِّ بَطْشُهُ
مُقَلِّبِ الأيامِ والدُّهورِ	وجامعِ الأنامِ للنُّشورِ
ثم الصلاةُ بدَوامِ الأَبَدِ	على النبىِّ المُصْطَفَى محمدِ
وآلِه وصحبِه الكِرامِ	السادةِ الأئمةِ الأعْلامِ
(4) وبعدَ هذا هذه أُرْجوزهْ (4)	نظَمْتُها لَطيفةٌ وَجيزهْ
نظَمْتُ فيها الرَّاشِدِين الخُلَفا	مَن قام من بعدِ النبىِّ المُصْطَفَى

---

(1) بعده فى م : « ثم انقرضوا من أولهم إلى آخرهم » .

(2) فى م : « العاضد » .

(3) نقلها العينى فى عقد الجمان ١/ ٢١٠.

(٤ - ٤) فى الأصل : « وبعد هذه أرجوزة » . وفى م : « وبعد فإن هذه أرجوزة » . والمثبت من عقد الجمان .

ومَن تلاهم وهَلُمَّ جَرَّا … جعَلْتُها تَبْصِرةً وذِكْرَى

ليَعْلَمَ العاقلُ ذو التَّصويرِ … [٥٣/١٠و] كيف جرَت حَوادثُ الأمورِ

وكلُّ ذى مَقْدِرةٍ ومُلْكِ … مُعَرَّضون للفَنا والهُلْكِ

وفى اخْتلافِ الليلِ والنهارِ … تَبْصرةٌ لكلِّ ذى اعْتِبارِ

والمُلكُ للجَبّارِ فى بلادِهِ … يُورِثُهُ مَن شاء مِن عبادِهِ

وكلُّ مخلوقٍ فللفَناءِ … وكلُّ مُلْكٍ فإلى انْتِهاءِ

ولا يَدومُ غيرُ مُلْكِ البارى … سبحانه مِن مَلِكٍ قَهَّارِ

مُنْفَرِدٍ بالعِزِّ والبَقاءِ … وما سواه فإلى انْقِضاءِ

أولُ مَن بُويِع بالخِلافَهْ … بعدَ النبيِّ ابنُ أبى قُحافَهْ

أعْنِى الإمامَ العادلَ[(١)] الصِّدِّيقا … ثم ارْتَضَى مِن بعدِه الفَاروقا

فَفَتَح البلادَ والأمْصارَا … واسْتَأْصَلَتْ سيُوفُهُ الكُفارَا

وقام بالعَدْلِ قِيامًا يُرْضِى … بذاك جبارَ السما والأرضِ

ورضِىَ الناسُ بذى النُّورَيْنِ … ثم علىٍّ والدِ السِّبْطَيْنِ

ثم أتَت كَتائبٌ مع الحسنْ … كادوا بأن يُجَدِّدوا بها الفِتَنْ

فأصْلَح اللَّهُ على يديهِ … كما عَزَا نبيُّنا إليهِ

وأجمَع[(٢)] الناسُ على مُعاويه … ونقَل القصةَ كلُّ راوِيَه

فمهَّد المُلكَ كما يُريدُ … وقام فيه بعدَه يَزيدُ

ثم ابنُه وكان بَرًّا راشدا … أَعْنِى أبا ليلى وكان زاهدا

---

(١) فى م : « الهادى ».

(٢) فى م : « وجمع ».

فـتـرَكَ الإمْـرةَ لا عـن غـلَـبَـةْ ... ولم يَـكُـنْ منه إليـها طَـلِـبَـةْ[1]

وابـنُ الـزبـيـرِ بـالحجـازِ يَـدْأَبُ ... فى طلبِ الملكِ وفيه يَنْصَبُ

وبـالـشـآمِ بـايَـعـوا مَـرْوانـا ... بحكْمِ مَن يقولُ كُنْ فكانا

ولم يَدُمْ فى الملكِ غيرَ عامِ ... وعـافَـصَـتـه أسـهـمُ الحِمـامِ

واسْتَوْسَق الملكُ لعبدِ الملكِ ... ونارَ[2] نَجْمُ سَعْدِه فى الفَلَكِ

وكـلُّ مَـن نـازَعَـهُ فـى الملـكِ ... خرَّ صَريعًا بسيوفِ الهُلْكِ

فـقـتَـلَ المُـصْـعَـبَ بـالـعـراقِ ... وسـيَّـر الحجـاجَ ذا الـشِّـقـاقِ

إلى الحجازِ بسيوفِ النِّقَمِ ... وابـنُ الـزبـيـرِ لائـذٌ بـالحَرَمِ

فـجـاءَ[3] بعدَ قتلِه بصَلبِهِ ... ولم يَخَفْ فى أمرِه مِن ربِّهِ

وعـنـدَ مـا صـفَـتْ لـه الأمـورُ ... تـقَـلَّـبَـت لـحَـيـنِه[4] الـدُّهـورُ

ثـم أتـى مِـن بـعـدِه الـولـيـدُ ... ثـم سـلـيـمانُ الـفَـتَـى الـرَّشِـيدُ

ثم اسْتَفاض فى الوَرَى عدلُ عمرْ ... تـابـعَ أمـرَ ربِّـه كـمـا أمَـرْ

وكـان يُـدْعَـى بـأشَـجِّ الـقـومِ ... وذى الصلاةِ والتُّقَى والصومِ

فـجـاء بـالـعَـدْلِ وبـالإحْـسـانِ ... وكفَّ أهلَ الظلمِ والطُّغْيانِ

مُـقْـتَـدِيًـا بـسـنـةِ الـرسـولِ ... والراشِدِين مِن ذَوِى العُقولِ

فـجُـرِّع الإسلامُ كـأسَ فَـقْـدِهِ ... ولم يرَوا مِثْلًا له مِن بعدِهِ

ثـم يـزيـدُ بـعـدَه هـشـامُ ... ثم الـولـيـدُ فُـتَّ مـنـهُ الـهـامُ

---

(١) الطِّلِبة : الحاجة . الوسيط (ط ل ب) .

(٢) فى العقد : « ثار » . ونار : انتشر . الوسيط (ن و ر) .

(٣) فى م : « فجار » .

(٤) فى م : « بجسمه » .

ثم يزيدُ وهْو يُدْعَى الناقصا	فجاءه حِمامُهُ مُعافِصا
ولم تَطُلْ مدةُ إبْراهيمَا	وكان كلُّ أمرِه سَقيمَا
وأسْنَد المُلكَ إلى مَرْوانا	فكان مِن أمورِه ما كانا
وانْقَرَض المُلكُ على يَدَيْهِ	وحادثُ الدهرِ سَطَا عليهِ
وقتْلُه قد كان بالصَّعيدِ	ولم تُفِدْه كثرةُ العَديدِ
وكان فيه حَتْفُ آلِ الحَكَمِ	واسْتُنْزِعَت عنهم ضُروبُ النِّعَمِ
ثم أتَى مُلْكُ بنى العباسِ	لا زال فينا ثابتَ الأساسِ
وجاءت البيعةُ مِن أرضِ العَجَمْ	وقلَّدَت بيعتَهم كلُّ الأُمَمْ
وكلُّ مَن نازعَهم مِن أُمَمِ	خرَّ صَريعًا لليدين والفَمِ
وقد ذكَرْتُ مَن توَلَّى منهمُ	حينَ توَلَّى القائمُ المُسْتَعْصِمُ
أولُهم يُنْعَتُ بالسَّفَّاحِ	وبعدَه المنصورُ ذو النَّجاحِ
ثم أتَى [(١)] مِن بعدِه [(١)] المهدىُّ	يَتْلوه موسى الهادىَ الصَّفِىُّ
وجاء هارونُ [١٠/٥٣ظ] الرشيدُ بعدَهُ	ثم الأمينُ حين ذاق فقدَهُ
وقام بعدَ قتلِه المأمونُ	وبعدَه المُعْتَصِمُ المَكِينُ
واسْتُخْلِف الواثقُ بعد المُعْتَصِمْ	ثم أخوه جعفرٌ مُوفِى الذِّمَمْ
وأخْلَص النيةَ فى التَّوَكُّلِ[(٢)]	للَّهِ ذى العَرْشِ القديمِ الأولِ[(٣)]
فأدْحَض البدعةَ[(٤)] فى زمانِهْ	وقامت السُّنَّةُ فى أوانِهْ

(١ - ١) فى الأصل: «محمد».
(٢) فى الأصل، م: «المتوكل»، وهو تحريف. والمثبت من عقد الجمان.
(٣) فى الأصل: «الأزلى».
(٤) فى الأصل: «الباطل».

ولم يُبَقِّ بدْعَةً مُضِلَّهْ وألْبَس المُعْتَزِلىَّ ذِلَّهْ[1]

فرحمةُ اللّهِ عليه أبدا ما غار نَجْمٌ فى السماءِ أو بَدَا

وعندَما اسْتَشْهَد قام المُنْتَصِرْ والمُسْتَعِينُ بعدَه كما ذُكِرْ

وجاء بعدَ موتِه المُعْتَزُّ والمُهْتَدِى المكرَّمُ[2] الأعَزُّ

وبعدَه اسْتَوْلَى وقام المُعْتَمِدْ ومهَّد المُلْكَ وساس المُعْتَضِدْ[3]

والمُكْتَفِى فى الصحُفِ العُلْيا سُطِرْ وبعدَه ساس الأمورَ المُقْتَدِرْ

واسْتَوْسق الملكُ بعِزِّ القاهِرِ وبعدَه الراضى أخو المَفاخِرِ

والمُتَّقى مِن بعدُ والمُسْتَكْفِى ثم المُطِيعُ ما به مِن خُلْفِ

والطائعُ الطائعُ ثم القادرُ والقائمُ الزاهدُ وهْو الشاكرُ

والمُقْتَدِى مِن بعدِه المُسْتَظْهِرُ ثم أتَى المُسْتَرْشِدُ المُوَقَّرُ

وبعدَه الراشدُ ثم المُقْتَفِى وحينَ مات اسْتَنْجَدوا بيوسُفِ

والمستضى العادلُ فى أفعالِهِ الصادقُ الصدوقُ فى أقوالِهِ

والناصرُ الشهمُ الشديدُ الباسِ ودام طولُ مُكْثِه فى الناسِ

ثم تلاهُ الظاهرُ الكريمُ وعَدْلُه كلٌّ بهِ عليمُ

ولم تَطُلْ أيامُه فى المملكهْ غيرَ شهورٍ واعترتْهُ الهلَكَهْ

وعهدُه كان إلى المستنصرِ العادلِ البَرِّ الكريمِ العنصرِ

دام يسوسُ الناسَ سبْعَ عشْرَهْ وأشهرًا بعَزَماتٍ برَّهْ

ثم تَوُفِّى عامَ أربعينا وفى جُمادى صادفَ المنونا

---

(١) فى م : « ثوب ذلة » .

(٢) فى م : « الملتزم » .

(٣) فى م : « المقتصد » .

وبايَعَ الخلائقُ المُسْتَعْصِما صلَّى عليهِ ربُّنا وسلَّما
"يَبعثُ نُجُبَ" الرُّسْلِ فى الآفاقِ يقضُون بالبيعةِ والوِفاقِ
وشرّفوا بذكرِه المنابرا ونشروا[2] من جُودِهِ المَفاخِرا
وسار فى الآفاقِ حُسْنُ سيرتِهْ وعدلُهُ الزائدُ فى رعيتِهْ

قال الشيخ عمادُ الدينِ ابنُ كثيرٍ: ثم قلت أنا بعدَ ذلك أبياتًا:

ثم ابتلاه اللَّهُ بعدُ بالتتارِ أتباعِ "جِنْكِزَ الخانِ" الجبَّارِ
"صحبةَ إبْنِ ابنٍ له" هولاكو فلمْ يَكُنْ من أَمْرِهِ فِكَاكُ
فمزّقوا جنودَه وشملَهُ وقَتَلوهُ نفسَه وأَهْلَهُ
ودمَّروا بغدادَ والبلادا وقَتَّلوا الأحفادَ والأجْدادا
وانتهبوا المالَ مع الحريمِ ولم يخافوا سطوةَ العظيمِ
وغرَّهمْ إنظارُه وحِلْمُهُ وما اقتضاه عدلُه وحكمُهُ
وشَغَرتْ من بعدِه الخلافهْ ولم يؤرَّخْ مثْلُها من آفهْ
ثم أقام المَلْكُ[5] أعنى الظاهرا خليفةً أَعْنِى به المستنصرا
ثم وَلِى من بعدِ ذاك الحاكمُ قسيمُ بَيْبَرْسَ الإمامُ العالمُ
ثم ابنُه الخليفةُ المستكْفِى وبعضُ هذا للَّبيبِ يكْفِى
ثم وَلِى من بعدِه جماعهْ ما عندَهم علمٌ ولا بضاعهْ

(١ - ١) فى م: «فأرسل».
(٢) فى الأصل: «بشروا».
(٣ - ٣) فى الأصل: «جنكزخان»، وفى م: «جنكيزخان». والمثبت من عقد الجمان.
(٤ - ٤) فى م: «صحبته ابن ابنه».
(٥) المَلْك: المَلِك. اللسان (م ل ك).

ثم (١خليفةُ الوقتِ١) المعتضِدْ ... ولا يكادُ الدهرُ مِثْلَهُ يَجِدْ

فى حُسْنِ خُلْقٍ واعتقادٍ وحِلَى ... وكيف لا وهْو من (٢الشُّمِّ الأُلَى٢)

سادوا البلادَ والعبادَ فضلا ... ومَلئُوا الأقطارَ [١٠/٥٤و] حِكَمًا وعدلًا

أولادِ عمِّ المصطفى محمدِ ... وأفضلِ الخلقِ بلا تردُّدِ

صلَّى عليهِ اللَّهُ ذو الجلالِ ... ما دامتِ الأيامُ والليالى

فصلٌ

والفاطميون قليلو العدَّهْ ... لكنهمْ مُدَّ لهمْ فى المدَّهْ

فَمُلِّكوا بضعًا وستينَ سَنهْ ... من بعدِ مائتين وكانتْ كالسِّنَهْ

والعِدَّةُ اربعَ عشْرةَ المهدِىُّ ... والقائمُ المنصورُ والمَعْدِىُّ

أعنى بهِ المعزَّ بانِى القاهرَهْ ... ثم العزيزُ الحاكمُ الكوافِرَهْ

والظاهرُ المسْتَنْصِرُ المستعْلِى ... والآمرُ الحافظُ سوءَ الفعلِ

والظافرُ الفائزُ ثم العاضدُ ... آخرُهمْ وما لهذا جاحدُ

أُهْلِكَ بعدَ البِضْعِ والسِّتِّينا ... من قبلِها خمسْمائةٍ سِنينا

(٣وقد رقَمْتُ العُمْرَ فوق الاسم ... ومُدَّةَ الدولةِ تحت الرسْمِ

وقد بسطنا ذاك فيما سلَفا٣) ... وأصلُهم يهودُ (٤ما هم٤) شُرفا

(١ - ١) فى م: «تولى وقتنا». وفى الوزن اضطراب.

(٢ - ٢) فى الأصل: «السم الأولى»، وفى م: «السيم الأولى».

(٣ - ٣) سقط من: م. وقد أعلم المصنف - كما قال - بالأرقام عمر كل واحد منهم ومدة ملكه، ولكن جاءت الأرقام مختلطة وغير واضحة.

(٤ - ٤) فى م: «ليسوا».

بـذاك أفـتـى الـسـادةُ الأئـمـهْ أنصارُ دينِ اللَّهِ من ذى الأمهْ

فصـلٌ

وهـكـذا خُـلْـفـا بـنـى أمـيـهْ عـدَّتُـهـم كـعـدَّةِ الـرفـضـيَّـهْ

ولـكـنِ المدةُ كـانـت نـاقـصـهْ عن مائةٍ من السنين خالصهْ

وكـلُّـهـمْ قـد كـان نـاصـبـيّـا إلا الإمـامَ عـمـرَ الـتـقـيّـا

مُـعـاويـهْ ثـم ابـنُـهُ يـزيـدُ وابـنُ ابنِـه مُعاوىَ السـديـدُ[1]

مَرْوانُ ثم ابنٌ له عبدُ الملكْ مُنابِذٌ لابنِ الزُّبيرِ حتى هَلَكْ

ثـم اسـتـقـلَّ بـعـدَه بـالمُلْـكِ فى سائرِ الأرضِ بغيرِ شكٍّ

ثم الوليدُ النَّجْلُ بانى الجامعِ وليس مثلُ شكلِه من جامعِ

ثـم سـلـيـمـانُ الجوَادُ وعـمـرْ ثـم يـزيـدُ وهـشـامٌ وغُـدَرْ

أعنى الوليدَ بنَ يزيدَ الفاسِقا ثـم يـزيـدُ بـنُ الـولـيـدِ فـائِـقـا

يُـلَـقَّـبُ الـنـاقـصَ وهْـو كـامـلُ ثُـمَّـت إبـراهـيـمُ وهْـوَ عـاقـلُ

ثـم مـروانُ الحـمـارُ الجَعْـدِى آخِرُهم فاظفرْ بذا من بَعْدِى[2]

---

(١) فى الأصل: «السعيد».

(٢) بعده فى م:

«والحمد للّه على التمام كذاك نحمده على الإنعام

ثم الصلاة مع تمام العدد على النبى المصطفى محمد

وآلـه وصـحـبـه الأخـيـار فى سائر الأوقات والأعصار

وهذه الأبيات نظم الكاتب ثـمـانـيـة تـتـمـة المناقب»

وممَّن قُتِل مع الخليفةِ **واقفُ الجَوْزيةِ بدمشقَ أستاذُ دارِ الخلافةِ الصاحبُ مُحْيى الدينِ يوسُفُ** بنُ الشيخِ جَمالِ الدينِ أبى الفرجِ بنِ الجَوْزىِّ عبدِ الرحمنِ ابنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبد اللَّهِ بنِ حمّادِ بنِ أحمدَ بنِ جعفرِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ بنِ النَّضْرِ بنِ محمدِ بنِ أبى بكرِ الصِّديقِ القرشىُّ التَّيْمىُّ البَكْرىُّ البَغْدادىُّ الحَنْبلىُّ المعروفُ بابنِ الجوزىِّ[1]، وُلِد فى ذى القَعْدةِ سنةَ ثمانين وخمسِمائةٍ، ونشَأ شابًّا حسنًا، وحينَ تُوُفِّى أبوه وعَظ فى موضعِه، فأحْسَن وأجاد وأفاد، ثم تقدَّم وولِى حِسْبةَ بغدادَ مع الوَعْظِ الرائقِ والأشعارِ الحسنةِ الرائقةِ، وولِى تَدْريسَ الحَنابلةِ بالمُسْتَنْصِريةِ سنةَ ثنتين وثلاثين وستِّمائةٍ، وكانت له تَدارِيسُ أُخَرُ، [2]ثم لما ولِىَ مؤيدُ الدينِ بنُ العلقمىِّ الوِزارةَ وشغَر عنه الأُستاذْدارِيةَ وَلِيَها محيى الدينِ هذا[2]، وانْتَصَب ابنُه عبدُ الرحمنِ للحِسْبةِ والوَعْظِ، [3]فأجاد فيها، وشَعَرَ أيضًا حسنًا[3]، ثم كانت الحِسْبةُ تَنْتَقِلُ فى بَنيه الثلاثةِ؛ جمالِ الدينِ عبدِ الرحمنِ، وشرفِ الدين عبدِ اللَّهِ، وتاجِ الدين عبدِ الكريمِ، وقد قُتِلوا معه فى هذه السنةِ، رحِمهم اللَّهُ. ولمحْيِى الدينِ هذا مُصَنَّفٌ فى مذهبِ الإمامِ أحمدَ، وقد ذكَر له ابنُ الساعى أشعارًا حسنةً يُهَنِّئُ بها الخليفةَ فى المَواسِمِ والأعيادِ، تَدُلُّ على فَضيلةٍ تامَّةٍ وفَصاحةٍ بالغةٍ، وقد وقَف المدرسةَ الجَوْزيةَ بدمشقَ، وهى مِن أحسنِ المدارسِ وأوجهِهَا، تقبَّل اللَّهُ منه وأثابه برحمتِه.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٣٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٢، والعبر ٥/ ٢٣٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٨، وعقد الجمان ١/ ١٨٤.

(٢ - ٢) فى م: «وولى أستاذ دار الخلافة وكان رسولا للملوك من بنى أيوب وغيرهم من جهة الخلفاء».

(٣ - ٣) سقط من: م. و «شعر» أى نظم الشعر.

الصَّرْصَرِىُّ المادحُ : يَحْيَى [١٠/٥٤ظ] **بنُ يُوسفَ بنِ يحيى بنِ منصورِ بنِ المُعَمَّرِ بنِ**[(١)] **عبدِ السلامِ** ، الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ البارعُ ، جَمالُ الدينِ أبو زكريا الصَّرْصَرِىُّ ، الشاعرُ[(٢)] المادحُ الحَنْبلىُّ الضَّريرُ البَغْدادىُّ ، وشعرُه فى مَدائِحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مَشْهورٌ ، ودِيوانُه فى ذلك مَعْروفٌ غيرُ مَنْكورٍ ، [(٣)]وُلِد سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وخمسِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ والفقهَ واللغةَ[(٣)] ، ويقالُ : إنه كان يَحْفَظُ « صِحاحَ الجَوْهرىِّ » بكَمالِها . وصحِب الشيخَ علىَّ بنَ إدريسَ تلميذَ الشيخِ عبدِ القادرِ ، وكان ذَكِيًّا يَتَوَقَّدُ[(٤)] ، يَنْظِمُ على البَدِيهةِ سَريعًا أشياءَ حسنةً فصيحةً بَليغةً ، وقد نظَم « الكافىَ » للشيخِ مُوَفَّقِ الدينِ بنِ قُدامةَ ، و « مُخْتَصَرَ الخِرَقىِّ » ، وأما مَدائحُه فى رسولِ اللَّهِ ﷺ فيُقالُ : إنها تَبْلُغُ عشرين مُجَلَّدًا[(٥)] . ولما دخَل التَّتارُ إلى بغدادَ دُعِىَ إلى [(٦)]دارٍ بها فَرْمانٌ من هولاكو[(٦)] ، فأبَى أن يُجيبَ إليه ، وأعَدَّ فى دارِه حِجارةً ، فحينَ دخَل عليه التتارُ رماهم بتلك الأحْجارِ ، فهشَم منهم جَماعةً ، فلما خلَصوا إليه قتَل بعُكَّازِه أحدَهم ، ثم قتَلوه شهيدًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى وأكرَم مَثْواه ، وله مِن العمرِ ثمانٍ وستون سنةً . وقد أوْرَد له الشيخُ قطبُ

---

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : الذيل على مرآة الزمان ١/ ٢٥٧، والعبر ٥/ ٢٣٧، وفوات الوفيات ٤/ ٢٩٨، ونكت الهميان ص ٣٠٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٢، وعقد الجمان ١/ ١٨٥، والسلوك ٤١٣/١ (القسم الثانى) .

(٢) فى م : « الفاضل » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) بعده فى م : « نورا » .

(٥) بعده فى م : « وما اشتهر عنه أنه مدح أحدًا من المخلوقين من بنى آدم إلا الأنبياء » .

(٦ - ٦) فى الأصل : « دار بها قرمان بن هولاكو » ، وفى م : « ذارئها كرمون بن هولاكو » . والمثبت من عقد الجمان نقلا عن المصنف . وليس لهولاكو ابن اسمه قرمان . انظر جامع التواريخ ٣٢٣/١ - ٣٢٩، وعقد الجمان ١/ ٦٦٣، وفيهما سرد لأبناء هولاكو . والفرمان : الأمر . المعجم الذهبى ص ٤٣٠.

الدينِ اليُونينىُّ مِن دِيوانِه قطعةً صالحةً فى ترجمتِه فى «الذَّيْلِ»[1]، اسْتَوْعَب حُروفَ المُعْجَمِ كلَّها، وذكَر قَصائدَ طِوالًا كثيرةً حسنةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

البَهاءُ زُهَيْرٌ صاحبُ الدِّيوانِ[2]، وهو زُهَيْرُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ يحيى بنِ الحسنِ[3] بنِ جعفرِ بنِ منصورِ بنِ عاصِمِ المُهَلَّبىُّ العَتَكىُّ المصرىُّ، وُلِد بمكةَ، ونشَأ بقُوصَ، وأقام بالقاهرةِ، الشاعرُ المُطَبِّقُ، الكاتبُ الجَوَّادُ فى حسنِ الخطِّ، له ديوانٌ مشهورٌ، وقدِم على السلطانِ المَلِكِ الصالحِ نجمِ الدينِ أيوبَ، وكان غَزيرَ المُروءةِ، حسَنَ التَّوَسُّطِ فى إيصالِ الخيرِ إلى الناسِ، ودفْعِ الشرِّ عنهم، وقد أثْنَى عليه القاضى شمسُ الدينِ بنُ خَلِّكانَ[4]، وقال: أجاز لى رِوايةَ دِيوانِه، [5]وهو مشهورٌ[5]. وقد بسَط ترجمتَه الشيخُ قطبُ الدِّينِ اليُونِينىُّ.

الحافظُ زَكِىُّ الدينِ المُنْذِرىُّ عبدُ العظيمِ بنُ عبدِ القَوِىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامةَ بنِ سعدِ بنِ سعيدٍ[6]، الإمامُ العلَّامةُ الحافظُ أبو محمدٍ زَكِىُّ الدينِ المُنْذِرىُّ الشافعىُّ المصرىُّ، وأصلُه مِن الشامِ، ولكنَّه وُلِد بمصرَ، وكان شيخَ الحديثِ بها مدةً طويلةً، إليه الوِفادةُ والرِّحْلةُ مِن سنينَ مُتطاولةٍ، [7]وقيل: إنه[7]

(١) الذيل على مرآة الزمان ١/ ٢٥٨ - ٣٣٢.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٢، والذيل على مرآة الزمان ١/ ١٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٥، والعبر ٥/ ٢٣٠، وعقد الجمان ١/ ١٨٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٦.

(٣) فى الأصل، م: «الحسين». والمثبت من مصادر الترجمة.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٢، ٣٣٦.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) ذيل مرآة الزمان ١/ ٢٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٦، والعبر ٥/ ٢٣٢، وفوات الوفيات ٢/ ٣٦٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٥٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٢٢٣.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

وُلِد بالشامِ سنةَ إحدى وثمانين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، ورحَل وطلَب ، وعُنِى بهذا الشأنِ ، حتى فاق أهلَ زمانِه فيه ، وصنَّف وخرَّج ، واخْتَصَر « صحيحَ مسلمٍ » ، و « سننَ أبى داودَ » ، وهو أحسنُ اخْتِصارًا مِن الأولِ ، وله يدٌ طولَى فى اللغةِ والفقهِ والتاريخِ ، وكان ثقةً حُجَّةً مُتَحَرِّيًا زاهدًا ، وتُوُفِّى يومَ السبتِ رابعَ ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ بدارِ الحديثِ الكامليةِ بمصرَ . ودُفِن بالقَرافةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

النُّورُ أبو بكرٍ[(١)] **محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ** [(٢)]**عبدِ الرحيمِ**[(٢)] **بنِ رُسْتُمَ الإسْعَرْدىُّ** ، الشاعرُ المشهورُ الخَليعُ ، كان القاضى صَدْرُ الدينِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ قد أجْلَسه مع الشهودِ تحتَ الساعاتِ[(٣)] ، ثم اسْتَدْعاه الناصرُ صاحبُ البلدِ ، وجعَله مِن جُلَسائِه ونُدَمائِه ، وخلَع عليه خِلَعَ الأجْنادِ ، فانْسَلَخ مِن هذا الفنِّ إلى غيرِه ، وجمَع كتابًا سمَّاه « الزَّرْجُون فى الخَلاعةِ والمُجونِ » وذكَر فيه أشياءَ كثيرةً مِن النَّظْمِ والنَّثْرِ فى الخَلاعةِ ، [١٠/٥٥و] ومِن شعرِه :

لذةُ العمرِ خمسةٌ فاقْتَنِيها ... مِن خَليعٍ غدا أديبًا فَقيهَا

فى نَديمٍ وقَيْـنةٍ وحَبيـبٍ ... ومُدامٍ وسبٍّ مَن لام فيها

الوزيرُ ابنُ العَلْقَمىِّ الرافضىُّ ، قبَّحه اللَّهُ ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، الوزيرُ مُؤَيِّدُ الدينِ أبو طالبٍ بنُ العَلْقمىِّ البَغْداديُّ[(٤)] ،

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « بن » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ الوافى بالوفيات ١/ ١٨٨، وفوات الوفيات ٣/ ٢٧١، والسلوك ١/٤١٤ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١/ ١٨٩، وفى الدليل الشافى ٢/ ٦٨٤، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٤.

(٢ - ٢) فى الوافى بالوفيات ، وفوات الوفيات : « عبد الصمد » .

(٣) انظر ما تقدم عن الساعات فى ١٢/ ٥٩٩.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٦١، والعبر ٥/ ٢٣٥، والوافى بالوفيات ١/ ١٨٤، وفوات الوفيات =

خدَم فى أيامِ المُسْتَنْصِرِ أُستاذَ دارِ الخلافةِ مدةً طويلةً ، ثم استوزره المُسْتَعْصِمُ ، ولم يكنْ وزيرَ صِدْقٍ ، فإنه كان مِن الفُضلاءِ الأُدَباءِ ، إلا أنه كان رافضيًّا خَبيثًا ، رَدئَ الطَّويةِ على الإسْلامِ وأهلِه ، وقد حصَل له مِن التعظيمِ والوَجاهةِ فى أيامِ المُسْتَعْصِمِ ما لم يَحْصُلْ لكثيرٍ ممَّن قبلَه مِن الوُزراءِ ، ثم مالأَ على الإسلامِ وأهلِه للتتارِ أصحابِ هولاكوقان ، حتى جاءوا فجاسوا خِلالَ الديارِ وكان أمرًا مفعولًا ، ثم حصَل له مِن الإهانةِ فى أيامِهم والقِلةِ والذلَّةِ وزوالِ سَتْرِ اللَّهِ ، ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، رأَته امرأةٌ وهو راكبٌ فى أيامِ التتارِ بِرْذَوْنًا ، وسائقٌ يَضْرِبُ فرسَه ، فوقَفَت إلى جانبِه وقالت : يا بنَ العَلْقميِّ ، هكذا كان بنو العباسِ يُعامِلونك ؟ فوقَعَت كلمتُها فى قلبِه ، وانْقَطَع فى دارِه إلى أن مات كَمَدًا فى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ ، وله مِن العمرِ ثلاثٌ وستون سنةً ، ودُفِن فى قُبورِ الرَّوافِضِ ، وقد سمِع بأذنيه ورأَى بعينَيْه مِن الإهانةِ مِن التتارِ والمسلمين ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، وتوَلَّى بعدَه ولدُه الوِزارةَ ، ثم أخَذه اللَّهُ إليه سريعًا ، وقد هجاه بعضُ الشعراءِ فقال :

يا فِرْقةَ الإسلامِ نُوحُوا وانْدُبوا ... أسَفًا على ما حلَّ بالمُسْتَعْصِمِ
دَسْتُ الوِزارةِ كان قبلَ زمانِه ... لابنِ الفُراتِ فصار لابنِ العَلْقَمِى

محمدُ بنُ عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَيْدَرةَ ، فتحُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ بنُ العَدْلِ[1] ، مُحْتَسِبُ دمشقَ ، كان مِن الصدورِ المَشكورين ، حسنَ الطريقةِ ،

= ٣/ ٢٥٢، ومرآة الجنان ٤/ ١٤٧ - وفى هذه المصادر : « محمد بن محمد بن على بن أبى طالب » - وعقد الجمان ١/ ٢٠٢، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٢، وفيهما : « محمد بن أحمد بن على بن أبى طالب » .

(١) الوافى بالوفيات ٣/ ٢٥٧، وعقد الجمان ١/ ١٩٠.

وجدُّه العَدْلُ نَجيبُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ حَيْدَرةَ ، وهو واقفُ المدرسةِ التى بالزَّبَدانىِّ[1] فى سنةِ تسعين وخمسِمائةٍ ، تقَبَّل اللَّهُ منه .

القُرْطبىُّ صاحبُ « المُفْهِمِ فى شرحِ مسلمٍ » : أحمدُ بنُ عمرَ بنِ إبراهيمَ بنِ عمرَ ، أبو العباسِ الأنصارىُّ القُرْطُبىُّ المالكىُّ[2] ، الفَقيهُ المُحَدِّثُ المُدَرِّسُ بالإسْكَنْدَريةِ ، وُلِد بقُرْطبةَ سنةَ ثمانٍ وسبعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ هناك ، واخْتَصَر « الصحيحَيْن » ، وشرَح « صحيحَ مسلمٍ » بكتابِه المُسَمَّى بـ « المُفْهِمِ » ، وفيه أشياءُ حسَنةٌ مُفيدةٌ مُحَرَّرةٌ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الكَمالُ إسحاقُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ[3] ، أحدُ مَشايخِ الشافعيةِ ، أخَذ عنه الشيخُ مُحْيى الدينِ النَّواوىُّ وغيرُه ، وكان مُدَرِّسًا بالرَّواحيةِ ، وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ .

العِمادُ داودُ بنُ عمرَ بنِ [4] يوسفَ بنِ [4] يحيى بنِ عمرَ بنِ كاملٍ أبو المَعالى وأبو سليمانَ الزُّبَيْدىُّ المَقْدسىُّ ثم الدمشقىُّ ، خطيبُ بيتِ الآبارِ ، وقد خطَب بدمشقَ ستَّ سنين بعدَ انفصالِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ عنها ، ودرَّس بالغَزّاليَّةِ ، ثم عُزل عنها وعاد إلى بيتِ الآبارِ ، فمات بها .

---

(١) الزبدانى : كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعلبك . معجم البلدان ٢/ ٩١٣.

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/ ٩٥، والعبر ٥/ ٢٢٦، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٦٤، والديباج المذهب ١/ ٢٤٠، وعقد الجمان ١/ ١٩٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٩.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٤٨، والعبر ٥/ ٢٠٥، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٠٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٢٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٤١. ووقع فى هذه المصادر أن وفاته كانت فى سنة خمسين وستمائة . غير أن الحافظ الذهبى عاد وذكره فى سنة ست وخمسين فى العبر ٥/ ٢٢٧.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٠١، والعبر ٥/ ٢٢٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٤٢.

عليُّ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ ، صَدْرُ الدينِ أبو الحسنِ بنُ النَّيَّارِ[1] شيخُ الشيوخِ ببغدادَ ، وكان أولًا مُؤَدِّبًا للإمامِ المُسْتَعْصِمِ باللَّهِ ، فلما صارَت الخِلافةُ إليه نال الشيخُ رِفْعَةً عظيمةً ووَجاهةً هائِلةً ، وولاه مشيخةَ الشيوخِ ببغدادَ ، وانتَظَمت إليه أَزِمَّةُ الأمورِ ، ثم إنه [١٠/٥٥ظ] ذُبح بدارِ الخلافةِ كما تُذْبَحُ الشاةُ فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ العابدُ عليٌّ الخبَّازُ[2] ، كان له أصحابٌ وأتباعٌ ببغدادَ ، وله زاويةٌ يُزارُ فيها ، فقتَلَته التَّتارُ ، وأُلْقِى على مَزْبَلةٍ ببابِ زاويتِه ثلاثةَ أيامٍ حتى أكَلَت الكلابُ مِن لحمِه ، ويقالُ : إنه أخْبَر بذلك عن نفسِه فى حياتِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ أبى [3]**الفَتْحِ ، أبو**[3] **عبدِ اللَّهِ المَقْدِسىُّ خطيبُ مَرْدا**[4] ، سمِع الكثيرَ ، وعاش تسعين سنةً ، وقدِم فى سنةِ ثلاثٍ وخمسين ، فسمِع الناسُ عليه الكثيرَ بدمشقَ ، ثم عاد فمات ببلدِه فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ .

البدرُ لؤلؤٌ صاحبُ الموصلِ المُلَقَّبُ بالملكِ الرحيمِ[5] ، كانت وفاتُه فى

---

(١) عقد الجمان ١/ ١٩١، والدليل الشافى ١/ ٤٧٧.

(٢) العبر ٥/ ٢٣٣، وعقد الجمان ١/ ١٩٢، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٠.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وفى م : « الفرج أبو » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٢٥، والعبر ٥/ ٢٣٥، والوافى بالوفيات ٢/ ٢١٩، وعقد الجمان ١/ ١٩٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٧، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٣.

(٤) فى م : « براد » . ومردا : قرية قرب نابلس . معجم البلدان ٤/ ٤٩٣.

(٥) كنز الدرر ٨/ ٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٦، والعبر ٥/ ٢٤٠، ومرآة الجنان ٤/ ١٤٨، وعقد الجمان ١/ ١٩٩، والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٠، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٩.

وقد ذكرت هذه المصادر وفاته فى سنة سبع وخمسين وستمائة ما عدا عقد الجمان ، فذكره فى وفيات هذه السنة نقلا عن المصنف .

شعبانَ مِن هذه السنةِ عن مائةِ سنةٍ[1] ، وقد ملَك المَوْصِلَ نحوًا مِن خمسين سنةً ، وكان ذا عقلٍ ودَهاءٍ ومَكْرٍ ، لم يَزَلْ يَعْمَلُ على أولادِ أُسْتاذِه حتى أبادهم ، وزالت الدولةُ الأتابَكيةُ عن الموصلِ ، ولما انفصَل هولاكوقان عن بغدادَ بعدَ الوقعةِ الفَظيعةِ ، سار إلى خدمتِه مُتاقيًا[2] له ، ومعه الهَدايا والتُّحَفُ ، فأكْرَمه واحْتَرَمه ، ورجَع مِن عندِه ، فمكَث بعدَ مَرْجِعِه بالموصلِ أيامًا يَسيرةً ، ثم مات ، ودُفِن بمدرستِه البَدْريةِ ، وتأسَّف الناسُ عليه لحُسْنِ سِيرتِه وجَودةِ مَعْدِلتِه ، وقد جمَع له الشيخُ عِزُّ الدينِ بنُ الأثيرِ كتابَه المُسَمَّى بـ « الكاملِ فى التاريخِ » ، فأجازه عليه ، وأحْسَن إليه ، وكان يُعْطِى لبعضِ الشعراءِ ألفَ دينارٍ ونحوَها ، وقد قام فى الملكِ بعدَه ولدُه الصالحُ إسماعيلُ .

وقد كان بدرُ الدينِ لؤلؤٌ أرْمَنيًّا اشْتَراه رجلٌ خَيَّاطٌ ، ثم صار إلى المَلِكِ نورِ الدينِ أرسلان شاه بنِ عِزِّ الدينِ مسعودِ بنِ مودودِ بنِ زَنْكِى بنِ آقْسُنْقُرَ الأتابَكىِّ صاحبِ الموصلِ ، وكان مَليحَ الصورةِ ، فحظِى عندَه ، وتقَدَّم فى دولتِه إلى أن صارت الكلمةُ دائرةً عليه ، والوفودُ مِن سائرِ جهاتِ مُلْكِهم إليه . ثم إنه أَخْنى على أولادِ أُسْتاذِه[3] فقتَلهم غِيلةً واحدًا بعدَ واحدٍ ، إلى أن لم يَبْقَ معه أحدٌ منهم ، فاسْتَقَلَّ بالملكِ حينئذٍ ، وصفَت له الأمورُ وراقَت ، وكان يَبْعَثُ فى كلِّ سنةٍ إلى مشهدِ علىٍّ قِنْديلًا[4] زِنَتُه أَلْفُ دينارٍ ، وقد بلَغ مِن العُمرِ قريبًا مِن تسعين

---

(١) كذا فى الأصل ، م . وفى كنز الدرر : « نيف وخمسة وثمانين سنة » ، وفى سير أعلام النبلاء : « عاش قريبا من تسعين سنة » - ووافقه المصنف فى آخر الترجمة - وفى عقد الجمان : « ثمانين سنة » ، وفى النجوم الزاهرة : « فى عشر التسعين سنة » ، وفى شذرات الذهب : « نيف على الثمانين » .

(٢) فى م : « طاعة » . وقوله : « متاقيا » لعلها من معنى التقيَّة .

(٣) أخنى عليهم : غدر بهم . انظر اللسان (خ ن و) .

(٤) بعده فى م : « ذهبًا » .

سنةً ، وكان شابًّا حسنَ الشبابِ ، مِن نَضارةِ وجهِه ، وحُسْنِ شكلِه ، وكانت العامةُ تُلَقِّبُه بقَضيبِ الذهبِ ، وكان ذا هِمَّةٍ عاليةٍ ، وداهيةً شديدَ المكرِ ، بعيدَ الغَوْرِ[1] .

الملكُ الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ[2] ، ترْجَمه الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونِينيُّ فى تَذْييلِه على « المِرْآةِ »[3] فى هذه السنةِ ، وبسَط ترجمتَه جدًّا ، وما جرَى له مِن مُبْتَدَأ أمرِه إلى [4]آخرِ زمانِه ، وأورَد مِن أشعارِه وأقوالِه شيئًا كثيرًا ، وأفاد أشياءَ حسنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى[4] . وقد ذكَرْنا ترجمتَه [5][6]فى الحوادثِ[6] ، واللَّهُ أعلمُ ، وقد مَلَك بعدَ أبيه مدينةَ دِمشقَ وأعمالَها مدةً ، ثم تمالأ عليه عمّاه الكاملُ والأشرفُ وانتزعاها مِن يدِه ، وعوَّضاه منها الكَرَكَ والصَّلْتَ وعَجْلونَ ونابُلُسَ ، ثم ذهَب ذلك كلُّه من يدِه وصار إلى العراقِ[5] ، فاستَودَع الخليفةَ المُسْتَعْصِمَ فى سنةِ سبعٍ وأربعين وَديعةً قِيمتُها مائةُ ألفِ دينارٍ ، فغلَّها ولم يردَّها إليه ، وتكَرَّر وُفودُه إليه وتوَسُّلُه بالناسِ فى ردِّها إليه ، فلم يُفِدْ مِن ذلك شيئًا ، ومِن أحسنِ مَقاماتِ [١٠/٥٦و] الناصرِ داودَ ؛ لمّا حضَر الدرسَ بالمُستَنصِرِيَّةِ فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين وستِّمائةٍ ، والخليفةُ حاضرٌ ، فقام الفقيهُ وجيهُ الدينِ القَيْروانيُّ فامتدح الخليفةَ بقصيدةٍ قال فى بعضِها :

---

(١) بعده فى م : « وبعثه إلى مشهد على بذلك القنديل الذهب فى كل سنة دليل على قلة عقله وتشيعه ، واللَّه أعلم » .

(٢) تقدمت ترجمته فى صفحة ٣٥١.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٦.

(٤ - ٤) فى م : « آخره » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) فى الأصل : « فيما بعد » . وقد تقدمت فى التراجم .

لو كنتَ فى يومِ السَّقيفةِ حاضرًا كنتَ المُقَدَّمَ والإمامَ الأرْوَعا[1]

فقال له الناصرُ داودُ : أخْطَأْتَ ؛ قد كان جَدُّ أميرِ المؤمنين العباسُ حاضرًا يومَ السَّقيفةِ[2] ، وإنما كان المُقَدَّمَ والإمامَ الأرْوَعا أبو بكرٍ الصديقُ . فقال الخليفةُ : صدَق . وخلَع عليه ، ونفَى الوَجيهَ القَيْرَوانىَّ[3] إلى مصرَ ، [4]فدرَّس فى مدرسةِ الوزيرِ صفىِّ الدينِ بنِ شُكْرٍ[4] ، وكانت وفاةُ الناصرِ داودَ بقريةِ البُوَيْضا مُرَسَّمًا عليه ، وشهِد جِنازتَه صاحبُ دمشقَ[5] .

---

(١) وفى م : « الأورعا » . وانظر : ذيل مرآة الزمان ١/ ١٣٦.

(٢) بعده فى م : « ولم يكن المقدم وهو أفضل من أمير المؤمنين » .

(٣) فى الأصل ، م : « الفزارى » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ١/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٩.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل : « حلب » . وكانت دمشق وحلب كلتاهما للملك الناصر يوسف بن العزيز بن غازى بن الناصر فاتح القدس .

ثم دخَلت سنةُ سبعٍ وخمسين وستّمائةٍ

اسْتَهلَّت هذه السنةُ[(١)] وليس للمسلمين خَليفةٌ، وسلطانُ دمشقَ وحلَبَ الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ يوسفُ بنُ العزيزِ محمدِ بنِ الظاهرِ غازى بنِ الناصرِ فاتحِ بيتِ المقدسِ، وهو واقعٌ بينَه وبيـنَ المصريين[(٢)]، وقد ملَّكوا نُورَ الدينِ علىَّ ابنَ المُعزِّ أيْبَك التُّرْكمانىَّ، ولقَّبوه بالمنصورِ، وقد أرْسَل الملكُ الغاشمُ هولاكوقان إلى الملكِ الناصرِ بدمشقَ يَسْتَدْعِيه إليه، فأرْسَل ولدَه العزيزَ وهو صغيرٌ، ومعه هَدايا كثيرةٌ وتحفٌ، فلم يَحْتَفِلْ به هولاكو، وغضِب على أبيه إذ لم يُقْبِلْ إليه[(٣)]، وقال: أنا الذى أَسِيرُ إلى بلادِه بنفسى. فانْزَعَج الناصرُ لذلك، وبعَث بحَريمِه وأهلِه إلى الكَرَكِ ليُحَصِّنَهم بها، وخاف أهلُ دمشقَ خوفًا شديدًا حين بلَغهم أن التّتارَ قد قطَعوا الفراتَ، فصار كثيرٌ منهم إلى الديارِ المصريةِ فى زمنِ الشتاءِ، ومات كثيرٌ منهم ونُهِب آخرون، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وأقْبَل هولاكو، فقصَد نحوَ الشامِ بجُنودِه وعَساكرِه، وقد كانت ميّافارِقِين قد امْتَنَعَت على التتارِ مدةَ سنةٍ ونصفٍ، فأرْسَل إليها ولدَه أَشموطَ، فافْتَتَحها قَسْرًا، واسْتَنْزَل ملكَها الكاملَ بنَ الشِّهابِ غازى بنِ العادلِ، فأرْسَله إلى أبيه وهو مُحاصِرٌ حلبَ، فقتَله بيـنَ يديه، واسْتَناب عليها بعضَ مَماليكِ الأشْرَفِ، وطِيف

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠١ - ٢٠٣، وذيل مرآة الزمان ١/٣٤٢ - ٣٤٤، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٨١ - ٣٨٤، ٤٦٧ - ٤٧٠، والعبر ٥/٢٣٨، وعقد الجمان ١/٢١٧ - ٢٢٤.

(٢) أى: والحرب قائمة بينه وبين المصريين.

(٣) بعده فى م: «وأخذ ابنه».

برأسِ الكاملِ فى البلادِ ، ودخَلوا برأسِه إلى دمشقَ ، فنُصِب على بابِ الفَرادِيسِ البَرَّانىِّ ، ثم دُفِن بمسجدِ الرأسِ (١داخلَ بابِ الفَراديسِ الجَوَّانىِّ ١) ، فنظَم أبو شامةَ[(٢)] فى ذلك قَصيدةً يَذْكُرُ فيها فَضْلَه وجهادَه ، وشبَّهه بالحسينِ فى قتلِه مَظْلومًا ، ودُفِن رأسُه عندَ رأسِه .

وفيها عمِل الخَواجا نَصِيرُ الدينِ الطُّوسىُّ الرَّصَدَ[(٣)] بمدينةِ مَرَاغةَ ، ونقَل إليه شيئًا كثيرًا مِن كتبِ الأوْقافِ التى كانت ببغدادَ ، وعمِل دارَ حِكْمةٍ فيها فَلاسِفةٌ ، لكلِّ واحدٍ فى اليومِ ثلاثةُ دَراهمَ ، ودارَ طِبٍّ ، فيها للحكيمِ فى اليومِ درهمان ، ومدرسةً ، لكلِّ فقيهٍ فى اليومِ درهمٌ ، ودارَ حديثٍ ، لكلِّ مُحَدِّثٍ نصفُ درهمٍ فى اليومِ .

وفيها قدِم القاضى الوزيرُ كَمالُ الدينِ عمرُ بنُ أبى جَرادةَ المَعْروفُ بابنِ العَديمِ إلى الديارِ المصريةِ رسولًا مِن صاحبِ دمشقَ الناصرِ بنِ العزيزِ يَسْتَنْجِدُ المِصْريِّين على قِتالِ التَّتارِ ، بأنهم قد اقْتَرَب قُدومُهم إلى الشامِ ، وقد اسْتَوْلَوْا على بلادِ الجَزيرةِ (٤وحَرَّانَ ٤) وغيرِها ، فى هذه السنةِ ، وقد جاز أشموطُ بنُ هولاكو الفُراتَ ، [١٠/٥٦ظ] واقترَب مِن مدينةِ حَلَبَ ، فعُقِد عند ذلك مجلسٌ بينَ يدى المنصورِ ابنِ المُعِزِّ التُّرْكمانىِّ ، وحضَر قاضى الديارِ المصريةِ بدرُ الدينِ السِّنْجارىُّ ، والشيخُ عِزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ ، وأفاضوا الكلامَ فيما يَتَعَلَّقُ بأخْذِ شىءٍ مِن أموالِ العامَّةِ لمُساعَدةِ الجُنْدِ ، وكانت العُمْدةُ على ما يَقُولُه ابنُ عبدِ السلامِ ، فكان

(١ - ١) سقط من : الأصل.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٥، حوادث سنة ثمان وخمسين وستمائة.

(٣) الرصد : دار للفقهاء والفلاسفة والأطباء. انظر السلوك ١/ ٤٢٠، ٤٢١ (القسم الثانى).

(٤ - ٤) سقط من : م.

حاصلُه : إذا لم يَبْقَ فى بيتِ المالِ شىءٌ ، وأنْفَقْتُم الحَوائِصَ[1] الذَّهَبَ وغيرَها مِن الزِّينةِ ، وتساوَيْتُم أنتم والعامَّةُ فى الملابِسِ سوى آلاتِ الحربِ ، ولم يَبْقَ للجُنْدىِّ شىءٌ سوى فرسِه التى يَرْكَبُها ، ساغ أخْذُ شىءٍ مِن أموالِ الناسِ فى دفعِ الأعْداءِ ؛ لأنه إذا دهَم العدوُّ وجَب على الناسِ كافةً أن يدفعوهم بأموالِهم وأنفسِهم .

وِلايةُ الملكِ المُظَفَّرِ قُطُز

وفيها قبَض الأميرُ سيفُ الدينِ قُطُز على ابنِ أُسْتاذِه نُورِ الدينِ علىٍّ المُلَقَّبِ بالمنصورِ ، وذلك فى غَيْبَةِ أكثرِ الأمراءِ مِن مَماليكِ أبيه وغيرِهم فى الصيدِ ، فأمْسَكَه وسَيَّره مع أمِّه وابنيه وإخْوتِه[2] إلى بلادِ الأشكرى[3] ، وتسَلْطَن هو ، وسمَّى نفسَه بالملكِ المُظَفَّرِ ، وكان هذا مِن رحمةِ اللَّهِ تعالى بالمسلمين ، فإنه الذى يسَّر اللَّهُ على يديه كَسْرَةَ التَّتارِ كما سيَأْتى بيانُه إن شاء اللَّهُ تعالى . وهذا الذى اعْتَذَر به إلى[4] ابنِ العَديمِ ، فإنه قال : لابد للناسِ مِن سلطانٍ قاهرٍ يُقاتِلُ التتارَ ، وهذا صبىٌّ صغيرٌ لا يَعْرِفُ تَدْبيرَ المَمْلكةِ .

وفيها برَز الملكُ الناصرُ صاحبُ دمشقَ إلى وَطْأةِ بَرْزَةَ فى جَحافلَ كثيرةٍ مِن

---

(١) فى م : « الحوائض » .

(٢) فى نهاية الأرب وعقد الجمان أنه سيره مع أمه وأخيه . ولم تذكر بقية المصادر ذلك .

(٣) كذا فى عقد الجمان ، وذكر أيضًا هو والنويرى فى نهاية الأرب أنه سُفِّر هو وأخوه وأمهما إلى القسطنطينية ، فلعلها هى المقصودة ببلاد الأشكرى ، وذكر فى حاشية عقد الجمان أن المقصود الدولة البيزنطية .

(٤) بعده فى م : « الفقهاء والقضاة وإلى » . وليس فى المصادر اعتذاره هذا ، ولكن ذكر فى عقد الجمان أن تولى قطز السلطة كان بحضرة ابن العديم .

الجيشِ والمُطَّوِّعةِ والأعْرابِ وغيرِهم ، ولما علِم ضعفَهم عن مُقاومةِ المَغولِ ارفضَّ[1] ذلك الجَمْعُ ، ولم يَصبرْ[2] لا هو ولا هم ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها تُوُفِّى مِن الأعْيانِ :

واقفُ الصَّدْريةِ[3] الرئيسُ صَدْرُ الدينِ أسْعَدُ [4]بنُ عثمانَ بنِ أسعدَ[4] بنِ المُنَجَّا[5] بنِ بَرَكاتِ بنِ مُؤَمَّلٍ[6] التَّنوخيُّ المَعَرِّيُّ[7] ، ثم الدِّمشقيُّ الحَنْبليُّ ، أحدُ المُعَدِّلِين ذوِى الأموالِ والمُروءاتِ والصَّدَقاتِ الدارَّةِ البارَّةِ ، وقَف مدرسةً للحَنابلةِ ، وقبرُه بها إلى جانبِ تربةِ القاضى المصرىِّ فى رأسِ دَرْبِ الرَّيْحانِ مِن ناحيةِ الجامعِ الأُمَوىِّ[8] ، وقد ولِى نظرَ الجامعِ مدةً ، وقد اسْتَجَدَّ أشْياءَ كثيرةً ، منها سوقُ النَّحَّاسِين قِبلىَّ الجامعِ ، ونقَل الصاغةَ إلى مكانِها الآن ، وقد كانت قبلَ ذلك حيث يُقال لها : الصاغةُ العَتيقةُ . وجدَّد الدَّكاكِينَ التى بينَ أعْمِدةِ الزِّيادةِ[9] ، وثَمَّر للجامعِ أموالًا جَزيلةً ، وكانت له صَدَقاتٌ كثيرةٌ ، وذُكِر عنه أنه

---

(١) ارفضَّ : تفرَّق . الوسيط (ر ف ض) .

(٢) فى م : « يسر » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٣، والعبر ٥/ ٢٣٩، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٨، والسلوك ١/ ٤٢١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١/ ٢٢٥. وقد جاء اسمه مختصرا على الشهرة فى الذيل على الروضتين والسلوك « صدر الدين أسعد بن المنجا » وزاد فى السلوك كنيته « أبا الفتوح » . وانظر الحواشى القادمة .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م ، وليس فى عقد الجمان . والمثبت من العبر والوافى والذيل على طبقات الحنابلة .

(٥) فى م : « المنجاة » .

(٦) فى الوافى : « المؤيد » . وقد ذكره على الصواب فى ترجمة جده القاضى وجيه الدين بن المنجا ٩/ ٤٤.

(٧) فى الأصل ، م : « المغربى » . والمثبت من عقد الجمان لانفراده بذكر النسبة . وانظر أيضا نسبته فى ترجمة جده القاضى وجيه الدين فى سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣٦.

(٨) فى الأصل : « المبرور » .

(٩) فى م : « الزيارة » .

يَعْمَلُ[(١)] صنعةَ الكِيميا ، وأنه صحَّ معه[(٢)] عملُ الفضةِ ، وعندى أن هذا لا يَصِحُّ عنه . واللَّهُ أعلمُ .

الشيخُ يوسفُ القَمينىُّ[(٣)] كان يُعْرَفُ بالأَقْمِينىِّ ؛ لأنه كان يَسْكُنُ قَمينَ حَمَّامِ نورِ الدينِ الشَّهيدِ ، وكان يَلْبَسُ ثيابًا طِوالًا تَحُفُّ[(٤)] على الأرضِ ، ويَبُولُ فى ثيابِه ، ورأسُه مَكْشوفٌ ، وله أحوالٌ وكُشوفٌ كثيرةٌ ، وكان كثيرٌ مِن العَوامِّ وغيرِهم يَعْتَقِدون صلاحَه ووِلايتَه ؛ وذلك لأنهم لا يَعْلَمون (٥)أن الكُشوفَ قد تَصْدُرُ مِن المُؤمنِ والكافرِ كما كان ابنُ صَيَّادٍ ، ومن البَرِّ والفاجرِ(٥) ، فلابدَّ مِن اخْتبارِ صاحبِ الحالِ بالكتابِ والسنةِ ، فمَن وافَق حالُه الكتابَ والسنةَ ، فهو رجلٌ صالحٌ [١٠/٥٧و] سواءٌ كاشَف أم لا ، ومَن لم يُوافِقْ فليس برجلٍ صالحٍ سواءٌ كاشَف أم لا .

قال الشافعىُّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى[(٦)] : إذا رأيْتُم الرجلَ يَمْشِى على الماءِ ، ويَطِيرُ فى الهواءِ ، فلا تَغْتَرُّوا به حتى تَعْرِضوا أمْرَه على الكتابِ والسنةِ .

ولما مات دُفِن بتربةٍ بسفحِ قاسِيونَ ، وهى مشهورةٌ به شَرْقىَّ (٧)تربةِ أبى عمرَ المقدسىِّ(٧)

---

(١) فى م : « كان يعرف » .

(٢) فى عقد الجمان : « عنده » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٢، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٤٨، والعبر ٥/ ٢٤٠، وعقد الجمان ١/ ٢٢٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٩.

(٤) فى م : « تحف » . وتجحف : تجرف . اللسان (ج ح ف) .

(٥ - ٥) فى م : « شرائط الولاية ولا الصلاح ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر والمؤمن والكافر كالرهبان وغيرهم وكالدجال وابن صياد وغيرهم فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الإنسى ولاسيما من يكون مجنونا أو غير نقىّ الثياب من النجاسة » .

(٦) أخرجه البيهقى فى مناقب الشافعى ٤٥٣/١ بإسناده عنه بنحوه .

(٧ - ٧) سقط من : م .

الرَّواحيةِ ، وهى مُزَخْرَفةٌ ، قد اعْتَنَى بها بعضُ من كان يَعْتَقِدُ فيه[1] . وكانت وفاتُه فى سادسِ شعبانَ مِن هذه السنةِ . وكان الشيخُ إبراهيمُ[2] الجيعانةُ لا يَتَجاسَرُ[3] أن يَدْخُلَ البلدَ والقَمِينىُّ حىٌّ ، فيومَ مات الأقمينىُّ دخَلها [4]وكان بالشَّاغُورِ[4] ، ودخَل العَوامُّ معه يَصِيحون ويَصْرُخون . [5]وهم أتْباعُ كلِّ ناعقٍ[5] .

الشمسُ علىُّ بنُ النُّشَبىِّ[6] المحَدِّثُ ، ناب فى الحِسْبةِ عن الصَّدْرِ البَكْرىِّ ، فى أيامِه ، وقرَأ الكثيرَ بنفسِه ، وسمِع وأسْمَع ، وكتَب بخطِّه كثيرًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو عبدِ اللَّهِ الفاسىُّ شارحُ « الشاطبيةِ »[7] ، اشْتَهَر بالكُنْيةِ ، وقيل : إن اسمَه القاسمُ . وكانت وفاتُه بحلبَ ، وكان عالمًا فاضلًا فى العربيةِ والقِراءاتِ وغيرِ ذلك ، وقد أجاد فى شرحِه « للشاطبيةِ » وأفاد ، واسْتَحْسَنه الشيخُ شهابُ الدينِ

---

(1) بعده فى م : « فزخرفها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة وهذا كله من البدع » .

(2) بعده فى م : « بن سيعد » . ولم نجد قصته هذه فى مصادر ترجمة يوسف القمينى .

(3) بعده فى م : « فيما يزعم » .

(4 - 4) سقط من : م . والشاغور : محلة بالباب الصغير من دمشق مشهورة فى ظاهر المدينة . معجم البلدان 3/ 236.

(5 - 5) فى م : « أذن لنا فى دخول البلد . وهم أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ، فقيل لجيعانة : ما منعك من دخولها قبل اليوم ؟ فقال : كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجد هذا السبع رابضا فيه فلا أستطيع الدخول ، وقد كان سكن بالشاغور وهذا كذب واحتيال ومكر وشعبذة ، وقد دفن جيعانة عنده فى تربته بالسفح . واللَّه أعلم بأحوال العباد » .

(6) فى الأصل ، م : « الشبى » . والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : الذيل على الروضتين ص 199، والعبر 5/ 233، والنجوم الزاهرة 7/ 68، وشذرات الذهب 5/ 280، وذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

(7) الذيل على الروضتين ص 199، والعبر 5/ 235، ومعرفة القراء الكبار 2/ 533، والوافى بالوفيات 2/ 354، والجواهر المضية 3/ 130، وعقد الجمان 1/ 194. وذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

أبو شامةَ شارحُها أيضًا .

النَّجْمُ أخو البدرِ مُفَضَّلٌ[1] ، وكان شيخَ الفاضليةِ بالكَلَّاسةِ ، وكان له إجازةٌ مِن السِّلَفيِّ .

خطيبُ العُقَيْبةِ[1] **بدرُ الدينِ يحيى بنُ الشيخِ عِزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ** ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ على جدِّه[2] ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

سعدُ الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ مُحْيى الدينِ بنِ عَربيٍّ[3] ذكَره أبو شامةَ ، وأثْنَى عليه فى فَضيلتِه وأدبِه وشعرِه ، (4)وذكَر ما يَدُلُّ على فَضِيلتِه وأدبِ وشعرٍ فيه قوةٌ(4) .

وقد ذكَر أبو شامةَ[3] وفاةَ الملكِ الناصرِ داودَ فى هذه السنةِ ، (5)وقد قدمنا ترجمتَه فى التى قبلُ(5) .

سيفُ الدينِ بنُ صَبِرةَ[3] مُتَوَلِّى شُرْطةِ دمشقَ ، ذكَر أبو شامةَ أنه حينَ مات جاءَت حيةٌ فنهَشَت أفْخاذَه ، وقيل : إنها الْتَفَّت فى أكْفانِه ، وأعْيَى الناسَ دفعُها . قال : وقيل : إنه كان نُصَيْرِيًّا[6] رافضيًّا خَبيثًا مُدْمِنَ خمرٍ . نَسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ .

النَّجِيبُ بنُ شُقَيْشِقَةَ[7] **الدِّمشقىُّ** ، أحدُ الشهودِ بها ، له سَماعُ حَديثٍ ،

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٩، ذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .
(٢) أى على قبر جده ، كما فى الذيل على الروضتين .
(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٠. ذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .
(٤ - ٤) فى م : « هذا إن لم يكن من أتباع أبيه » .
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦) نُصَيْريا : منسوب إلى النُّصَيْرِيَّة وهى طائفة من الزنادقة مشهورة يقولون بألوهية عليٍّ ، تعالى اللَّه علوا كبيرا . انظر تاج العروس (ن ص ر) .
(٧) فى م : « شعيشعة » . وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ٢٠١، والعبر ٥/ ٢٣٦، وعقد الجمان ١/ ١٩٣، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٥. وذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة عندهم .

ووقَف دارَه بدَرْبِ البانياسيِّ دارَ حديثٍ ، وهى التى كان يَسْكُنُها شيخُنا الحافظُ المِزِّىُّ[1] قبلَ انْتِقالِه إلى دارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ . قال أبو شامةَ[2] : وكان ابنُ شُقَيْشِقةَ ، وهو النَّجيبُ أبو الفتحِ نصرُ اللَّهِ بنُ أبى [3]العزِّ بنِ أبى[3] طالبٍ الشَّيْبانىُّ ، مَشْهورًا بالكذبِ ورِقَّةِ الدينِ وغيرِ ذلك ، وهو أحدُ الشهودِ المَقْدوحِ فيهم ، ولم يَكُنْ بحالٍ[4] أن يُؤْخَذَ عنه . قال : وقد أجْلَسه أحمدُ بنُ يحيى [5]بنِ هبةِ اللَّهِ[5] المُلَقَّبُ بالصَّدْرِ بنِ سَنِىِّ الدولةِ فى حالِ وِلايتِه قضاءَ القُضاةِ بدمشقَ ، فأنْشَد فيه بعضُ الشعراءِ :

جلَس الشُّقَيْشقةُ الشَّقىُّ ليَشْهَدا ... بِأَبيكُما[6] ماذا عدا فيما بدا

هل زُلزِلَ الزِّلْزالُ أم قد أُخرِجَ الدَّ ... جالُ أم عُدِم الرجالُ ذَوُو الهُدَى

عجبًا لمَحْلولِ العَقيدةِ جاهلٍ ... بالشرعِ قد أذِنوا له أن يَعْقِدا[7]

[١٠/٥٧ظ] قال أبو شامةَ[8] : فى سنةِ سبعٍ وخمسين وستِّمائةٍ تُوفِّى شخصٌ زِنْديقٌ يَتَعاطَى الفَلْسفةَ والنَّظَرَ فى علمِ الأوائلِ ، وكان يَسْكُنُ مَدارسَ فقهاءِ المسلمين ، وقد أفْسَد عَقائدَ جَماعةٍ مِن الشبابِ المُشْتَغِلِين فيما بلَغَنى ، وكان

---

(١) فى الأصل : « المعزى » .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠١ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « بأهل » .

(٥ - ٥) سقط من : م . وأجلسه : يعنى أجلسه شاهدًا .

(٦) فى م : « تبا لكم » .

(٧) فى م : « يقعدا » . ولعل مناسبة ذكر هذا اللفظ أن ابن سنى الدولة ميزه بأن جعله عاقدًا للأنكحة ، كما صرح بذلك صاحب الذيل على الروضتين .

(٨) الذيل على الروضتين ص ٢٠٢ .

(1) يَتَجاهَرُ باسْتِنْقاصِ الأنبياءِ عليهم السلامُ ، وهو يُعْرَفُ (2) بابنِ الفَخْرِ (2) بنِ البديعِ البندهيِّ ، كان (1) أبوه يَزْعُمُ أنه مِن جملةِ تَلامِذةِ (3) الفَخْرِ الرّازيِّ ابنِ خَطيبِ الرَّيِّ (3) صاحبِ المُصَنَّفاتِ (4) .

(1 - 1) سقط من : م .

(2 - 2) فى الذيل على الروضتين : « بالفخر » . وانظر عقد الجمان ١/ ٢٢٧، ٢٢٨، فقد ترجمه نقلا عن أبى شامة بمثل ما أثبتناه .

(3 - 3) فى م : « ابن خطيب الرى الرازى » .

(4) بعده فى م : « حية ولد حية » .

ثم دخَلت سنةُ ثمانٍ وخمسين وستّمائةٍ[1]

استَهَلَّت هذه السنةُ بيومِ الخميسِ وليس للناسِ خَليفةٌ ، ومَلِكُ العِراقَيْن وخُراسانَ وغيرِ ذلك مِن بلادِ الشرقِ السلطانُ هولاكوقان مَلِكُ التَّتارِ ابنُ تُولى بنِ جنْكِزْخان ، وسلطانُ ديارِ مصرَ الملكُ المُظَفَّرُ سيفُ الدينِ قُطُز مملوكُ المُعِزِّ أيْبَك التُّرْكُمانيِّ ، وسلطانُ دمشقَ وحلَبَ الملكُ الناصرُ بنُ العزيزِ بنِ الظاهرِ غازى بنِ الناصرِ فاتحِ القدسِ ، وبلادُ الكَرَكِ والشَّوْبَكِ للملكِ المُغيثِ بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ الكاملِ محمدِ بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، وهو حِزبٌ[2] مع الناصرِ صاحبِ دمشقَ على المصريين ، ومعهما الأميرُ رُكْنُ الدينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِيُّ ، وقد عزَموا على قتالِ المصريين وأَخْذِ البلدِ منهم .

أخْذُ التتارِ حلبَ ودِمَشْق

وبينما الناسُ على هذه الحالِ ، وقد تواتَرَت الأخبارُ بقَصْدِ التَّتارِ بلادَ الشامِ ، إذ دخَل جيشُ المَغولِ صُحْبَةَ ملكِهم هولاكو ، وجازوا الفُراتَ على جُسورٍ عمِلوها ، ووصَلوا إلى حلبَ فى ثانى صفرٍ مِن هذه السنةِ ، فحاصَروها سبعة

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠٣ - ٢١١، وذيل مرآة الزمان ٣٤٩/١ - ٣٧٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٧١، وكنز الدرر ٤٥/٨ - ٦٦، والعبر ٥/ ٢٤١، ٢٤٤.

(٢) فى م : « حرب » .

أيامٍ ، ثم افْتَتَحوها بالأمانِ ، وغدَروا بهم ، فقتَلوا من أهلِها خلقًا لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ عز وجل ، ونَهَبوا الأموالَ وسبَوُا النساءَ والأطفالَ ، وجرَى عليهم قريبٌ مما جرَى على أهلِ بغدادَ ، فجاسوا خلالَ الديارِ ، وجعَلوا أعِزَّةَ أهلِها أَذِلَّةً وكذلك يفعلون ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وامْتَنَعَت عليهم قلْعتُها شهرًا ، ثم تَسَلَّمُوها بالأمانِ ، وخَرَّب أسوارَ البلدِ وأسْوارَ القلعةِ ، وبقِيَت حلَبُ كأنها حِمارٌ أَجْرَبُ ، وكان نائبَها الملكُ المُعَظَّمُ تُورانْشاه بنُ صلاحِ الدينِ ، وكان عاقلًا حازمًا ، لكنه لم يُوافِقْه الجيشُ على (١)المصلحةِ ولكن سَرِعوا(١) وكان أمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدورًا . وقد كان السلطانُ هولاكو أرسل إلى أهلِ البلدِ يقولُ لهم حين قدِم بجحافلِه : نحن إنما جئْنا لقتالِ الملكِ الناصرِ بدمشقَ ، ونحن نريدُ منكم أن تَجْعَلوا بالقلعةِ شِحْنةً ، فإن كانت النُّصْرةُ لنا فالبلادُ كلُّها فى حُكْمِنا ، وإن كانت علينا فإن شئتم قَتلْتُم(٢) الشِّحْنةَ وإن شئْتُم أطلَقْتُموه . فأجابوه : ما لك عندنا إلا السيفُ . فتعَجَّب مِن ضعفِهم وجوابِهم بهذا ، فزحَف حينَئذٍ إليهم ، وأحاط بالبلدِ ، وكان ما كان بقضاءِ اللَّهِ وقدَرِه ، ولما فُتِحَت حلبُ أرْسَل صاحبُ حَماةَ بمَفاتيحِها إليه ، فاسْتَناب عليها رجلًا مِن العَجَمِ يَدَّعِى أنه مِن ذُريةِ خالدِ بنِ الوليدِ يقالُ له : خُسْرُوشاه . فخرَّب أسْوارَها كما فُعِل بمدينةِ حلبَ .

(١ - ١) فى م : « القتال » ، وسرعوا : عجلوا . الوسيط (س ر ع) .

(٢) فى م : « قبلتم » .

صفةُ أخْذِهم لدمشق [١٠/٥٨و]

وزوالِ مُلْكِهم عنها سريعًا

أرْسَل هولاكو وهو نازلٌ على حلبَ جيشًا مع أميرٍ مِن كبارِ دولتِه يقالُ له : كَتْبُغَا نُوين . فورَدُوا دمشقَ فى آخِرِ صفرٍ ، فأخَذوها سريعًا مِن غيرِ مُمانَعةٍ ولا مُدافعةٍ ، بل تلَقَّاهم كبارُها بالرُّحْبِ والسَّعَةِ ، وقد كتَب معهم السلطانُ هولاكو فرمانَ أمانٍ لأهلِ البلدِ ، فقُرِئَ بالمَيْدانِ الأخْضَرِ ، ونُودِى به فى البلدِ ، فأمِن الناسُ على وَجَلٍ أن يَغدِروا كما فُعِل بأهلِ حلَبَ ، هذا والقلعةُ مُمْتَنِعةٌ مَسْتورةٌ ، وفى أعاليها المجَانيقُ مَنْصوبةٌ ، والحالُ شديدةٌ ، فأحْضَرَت التَّتارُ مجانيقَ تُحْمَلُ على عَجَلٍ والخيولُ تجُرُّها ، وهم راكبون على الخيلِ ، وأسْلِحتُهم تُحْمَلُ على أبْقارٍ كثيرةٍ ، فنُصِب المجَانيقُ على القلعةِ مِن غربيِّها ، وهدموا حِيطانًا كثيرةً وأخَذوا حِجارَتَها ورمَوْا بها القلعةَ رَمْيًا مُتواتِرًا كالمطرِ المُتَدارِكِ ، فهدَموا كثيرًا مِن أعالِيها وشُرُفاتِها ، وتَداعَت للسقوطِ ، فأجابَهم مُتَوَلِّيها فى آخِرِ ذلك النهارِ للمُصالَحةِ ، ففتَحوها وخرَّبوا كلَّ بدنةٍ فيها ، وأعالىَ بُروجِها ، وذلك فى المنتصفِ من جُمادَى الأولى مِن هذه السـنةِ ، وقتَلوا المُتَوَلِّىَ بها بدرَ الدينِ بنَ قراجا[(١)] ، ونَقيبَها [(٢)]جمالَ الدينِ[(٢)] بنَ الصَّيْرفِيِّ الحَلَبىَّ ، وسلَّموها[(٣)] إلى أميرٍ منهم يقالُ له : إيل سبان . وكان لعَنه اللّهُ تعالى مُعَظِّمًا لدينِ النصارَى ، فاجْتَمَع به أساقِفتُهم وقُسوسُهم ، فعظَّمهم جدًّا وزارَ كَنائسَهم ، فصارت لهم دولةٌ وحَوْلةٌ وَصَولةٌ

---

(١) فى نهاية الأرب : « قرمجاه » ، وفى عقد الجمان : « قزل » ، وفى ذيل مرآة الزمان : « قربجار » .

(٢ - ٢) فى ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان : « كمال الدين » .

(٣) فى م : « وسلموا البلد والقلعة » .

بسببِه ، لعَنهم اللَّهُ تعالى ، وذهبت طائفةٌ مِن النصارى إلى هولاكو بهدايا وتُحَفٍ ، وقدِموا من عندِه ومعهم أمانٌ ؛ فَرمانٌ مِن جهتِه ، ودخَلوا البلدَ مِن بابِ تُوماء ومعهم صَليبٌ منصوبٌ يَحمِلونه على رُءوسِ الناسِ ، وهم يُنادُون بشِعارِهم ، ويَقولون : ظهَر الدينُ الصحيح ، دينُ المسيحِ . ويَذُمُّون دينَ الإسلامِ وأهلَه ، ومعهم أَوانى فيها خَمْرٌ لا يَمُرُّون على بابِ مسجدٍ إلا رشُّوا عندَه خَمْرًا ، وقَماقمُ مَلْآنةٌ خمرًا يَرُشُّون منها على وُجوهِ الناسِ ، ويَأْمُرُون كلَّ مَن يَجْتازون به فى الأسواقِ والطرقاتِ أن يقومَ لصَليبِهم ، ودخَلوا مِن دربِ الحجرِ ، فوَقَفُوا عندَ رِباطِ الشيخِ أبى البيانِ ، ورشُّوا هنالك خمرًا ، وكذلك على بابِ مسجدَىْ دَرْبِ الحجرِ الصغيرِ والكبيرِ ، واجْتازوا فى السوقِ حتى وصَلوا إلى دربِ الرَّيْحانِ أو قريبٍ منه ، فتَكاثَر عليهم المسلمون ، فردُّوهم إلى سوقِ كَنيسةِ مَرْيَمَ ، فوقَف خطيبُهم إلى دَكَّةِ دُكَّانٍ فى عطفةِ السوقِ هنالك ، فذكر فى خطبتِه مدْحَ دينِ النصارى ، وذمَّ دينِ الإسلامِ وأهلِه ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . ثم ولَجوا بعدَ ذلك إلى كنيسةِ مريمَ ، وكانت بعدُ عامرةً ، ولكن كان هذا سببَ خَرابِها ، وللَّهِ الحمدُ .

وحكَى الشيخُ قطبُ الدينِ فى « الذيلِ على المرآةِ »[1] أنهم ضرَبوا بالناقوسِ بكنيسةِ مريمَ . فاللَّهُ أعلمُ .

قال[2] : وذكَر أنهم دخَلوا إلى الجامعِ بخمرٍ ، وكان من نيتِهم إن طالت مدةُ التَّتارِ أن يُخَرِّبوا كثيرًا مِن المساجدِ وغيرِها ، فكفى اللَّهُ شرَّهم . ولما وقَع هذا فى

---

(١) لم نقف عليه فى الذيل ، وانظر عقد الجمان ١/ ٢٤٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٦٢، ٣٦٣.

البلدِ اجْتَمَع قُضاةُ المسلمين والشُّهودُ والفُقهاءُ ، فدخَلوا القلعةَ يَشْكُون هذا الحالَ إلى مُتَسَلِّمِها إيل سبان ، فأُهِينوا وطُرِدوا ، [١٠/٥٨ظ] وقُدِّم كلامُ رُؤساءِ النَّصارَى عليهم ، فإنا للّهِ وإنا إليه راجعون .

وقد كان فى أولِ هذه السنةِ سلطانُ الشامِ الناصرُ بنُ العزيزِ ، قد أقام فى وَطْأةِ بَرْزَةَ ، ومعه خلقٌ كثيرٌ مِن الجيوشِ والأمراءِ وأبناءِ الملوكِ ليُناجِزوا التَّتارَ إن قدِموا عليهم ، وكان مِمَّن معه الأميرُ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِيُّ فى جَماعةٍ مِن البَحْريةِ ، والكلمةُ بينَ الجيوشِ مُخْتَلِفةٌ غيرُ مُؤْتَلِفةٍ ، لما يُرِيدُه اللّهُ عز وجل . وقد عزَمت طائفةٌ مِن الأمراءِ على خَلْعِ الملكِ الناصرِ وسَجْنِه ومُبايَعةِ أخيه شقيقِه الملكِ الظاهرِ علىٍّ ، فلمَّا تنسَّمَ[1] الناصرُ ذلك هرَب إلى القلعةِ المنصورةِ وتفرَّقَت العساكرُ شَذَرَ مَذَرَ ، وساق الأميرُ رُكْنُ الدينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِيُّ فى أصحابِه إلى ناحيةِ غَزَّةَ ، فاسْتَدْعاه الملكُ المُظَفَّرُ قُطُز إليه ، واسْتَقْدَمه عليه ، وأَقْطَعه قَلْيُوبَ ، وأَنْزَله بدارِ الوِزارةِ ، وعظُم شأنُه لديه ، وإنما كان حَتْفُه على يديه .

وَقْعةُ عَيْنِ جالوتَ[2]

واتَّفَق وُقوعُ هذا كلِّه فى العشْرِ الأخيرِ مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ ، فما مضَت إلا ثلاثةُ أيامٍ حتى جاءت البِشارةُ بنُصْرةِ المسلمين على التَّتارِ بعَيْنِ جالوتَ وللّهِ الحمدُ ، وذلك أن الملكَ المُظَفَّرَ سيفَ الدين قُطُز صاحبَ الديارِ المصريةِ لما بَلغه أن التَّتارَ قد فعَلوا بالشامِ ما ذكَرْنا ، وقد نهَبوا البلادَ كلَّها حتى وصَلوا إلى

---

(١) فى م : « عرف » . وتنسم فلان الخبرَ : تلطف فى التماسه شيئا فشيئا . الوسيط (ن س م) .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧ ، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٦٦ ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٧٢ .

غَزَّةَ ، وقد عزَموا على الدخولِ إلى الديارِ المصريةِ [(1] وقد عزَم المَلِكُ الناصرُ صاحبُ دمشق على الرحيلِ إلى مصر ، وليتَه فعل [1)] . وكان فى صُحبتِه الملكُ المنصورُ صاحبُ حَماةَ ، وخلقٌ مِن الأمراءِ وأبناءِ الملوكِ ، وقد وصَل إلى قَطْيَةَ [(2)] ، وتهيَّأ الملكُ المظفَّرُ للقائِه وأرسل إليه وإلى المنصورِ مستحِثَّين ، وأرسل إليه يقولُ : تقدَّمْ حتى نكونَ كَتِفًا واحدًا على التتارِ . فتخيَّل من ذلك وخاف أن ينتصرَ عليه ، فكرَّ راجعًا إلى ناحيةِ تِيهِ بنى إسْرائيلَ ، ودخَل عامةُ من كان معه إلى الديارِ المصريةِ وأكْرَم المُظَفَّرُ الملكَ صاحبَ حماةَ ، ووعَده ببلدِه ، ووفَّى له بذلك ، ولم يَدْخُلِ الناصرُ وليتَه فعل فإنه كان على كل حالٍ أيْسَرَ عليه مما صار إليه ، ولكنه خاف منهم لعداوةِ ما بينه وبينهم ، فعدَل إلى ناحيةِ الكَرَكِ ، فتحَصَّن بها ، وليتَه اسْتَمَرَّ فيها ، ولكنه قلِق ، فركِب نحوَ البَرِّيَّةِ - وليتَه ذهَب فيها - واسْتَجار ببعضِ أمراءِ الأعرابِ ، فقصدَته التَّتارُ ، وأتْلَفوا تلك الديارَ ونهَبوا ما هنالك مِن الأموالِ ، وقتَلوا الكِبارَ والصغارَ ، وهجَموا على الأعرابِ التى بتلك النَّواحى ، فقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وسبَوْا مِن نسائِهم وأبنائِهم ، وقد اقتص منهم العربُ بعدَ ذلك ، فأغاروا على خيلِ جِشارِهم [(3)] فى نصفِ شعبانَ ، فساقوها بأسْرِها ، فساقَت وراءَهم التَّتارُ ، فلم يُدْرِكوا منهم الغُبارَ ، ولا اسْتَرَدُّوا منهم فرسًا ولا حمارًا ، وما زال التَّتارُ وراءَ الناصرِ حتى أخَذوه وأسروه عندَ بِرْكةِ زَيْزاء [(4)] ، وأرْسَلوه مع ولدِه العزيزِ وهو صغيرٌ ، وأخيه إلى ملكِهم هُولاكُو وهو نازلٌ على حلَب ، فكانوا فى

(1 - 1) سقط من : الأصل.

(2) قطية : قرية من نواحى الجفار فى الطريق بين مصر والشام وفى وسط الرمل قرب الفرما . انظر معجم البلدان 4/ 144. والقاموس الجغرافى 1/ 350 (القسم الأول).

(3) خيل جشارهم: الخيل ترى أمام البيوت . تاج العروس (ج ش ر).

(4) زيزاء : من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة . معجم البلدان 2/ 966.

أَسْرِه حتى قتَلهم فى السنةِ الآتيةِ ، كما سنَذْكُرُه .

والمقصودُ أن المُظَفَّرَ لما بلَغه ما كان مِن أمرِ التَّتارِ بالشامِ المحروسةِ ، وأنهم عازمون على الدخولِ إلى الديارِ المصريةِ بعدَ تمهيدِ مملكتِهم [٥٩/١٠و] بالشامِ ، بادَرهم هو قبلَ أن يُبادِروه ، وبرَز إليهم ، أيَّده اللَّهُ تعالى ، وأقْدَم عليهم قبلَ أن يُقْدِموا عليه ، فخرَج بالعَساكرِ المصريةِ ، وقد اجْتَمَعت الكلمةُ عليه ، حتى انْتَهَى بمن معه من العساكرِ المنصورةِ إلى الشامِ ، واسْتَيْقَظ له عسكرُ المَغولِ ، وعليهم كَتْبُغَا نُوينِ ، وكان إذ ذاك فى البِقاعِ ، فاسْتَشار الأشْرَفَ صاحبَ حِمْصَ والقاضىَ مجيرَ الدينِ بنَ الزَّكِىِّ فى لقاءِ المظفرِ ، فأشار بعضُهم بأنه لا قِبَلَ له بالمُظَفَّرِ حتى يَسْتَمِدَّ هُولاكُو ، فأبَى إلا أن يُناجِزَه سريعًا ، (١) فصمدَوا إليه (١) ، فكان اجْتماعُهم على عَيْنِ جالوتَ يومَ الجمعةِ الخامسَ والعشرين مِن رمضانَ ، فاقْتَتلوا قِتالًا عظيمًا شديدًا ، فكانت النُّصْرةُ ، وللَّهِ الحمدُ ، للإسلامِ وأهلِه ، فهزَمهم المسلمون هزيمةً هائلةً ، وقُتِل كَتْبُغا نُوينُ وجَماعةٌ مِن بنيه ، وقد قيل : إن الذى قتَل كَتْبُغا نُوينَ الأميرُ جَمالُ الدينِ آقُوش الشَّمْسِىُّ ، واتَّبَعهم الجيشُ الإسْلامىُّ يُقَتِّلونهم فى كلِّ موضعٍ وفى كلِّ مأزِقٍ ، وقد قاتَل الملكُ المنصورُ صاحبُ حَماةَ مع الملكِ المُظَفَّرِ فى هذه الوقعةِ قتالًا عظيمًا ، وكذلك الأميرُ فارسُ الدينِ أَقْطاى المُسْتَعْرِبُ ، وكان أتابَكَ العَسْكرِ ، وقد أُسِر مِن جماعةِ كَتْبُغَا نُوين الملكُ السعيدُ بنُ العزيزِ بنِ العادلِ ، فأمَر المُظَفَّرُ بضربِ عنقِه ، واسْتَأْمَن الأشرفُ صاحبُ حمصَ وكان مع التَّتارِ ، وقد جعَله هُولاكو نائبًا على الشامِ كلِّه ، فأمَّنه الملكُ المُظَفَّرُ ، وردَّ إليه حمصَ ، وكذلك ردَّ حَماةَ إلى المنصورِ ، وزادَه المَعَرَّةَ (٢)

(١ - ١) فى م : « فساروا إليه وسار المظفر إليهم » .

(٢) المعرة : معرة النعمان ، وهى مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة . انظر معجم البلدان ٤/ ٥٧٤، ٥٧٥.

وغيرَها ، وأطْلَق سَلَمْيَةَ للأميرِ شرفِ الدينِ عيسى بنِ مُهَنَّا بنِ مانعٍ أميرِ العربِ ، واتَّبَع الأميرُ ركنُ الدينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِىُّ وجماعةٌ مِن الشُّجْعانِ التَّتارَ يُقَتِّلونهم فى كلِّ مكانٍ ، إلى أن وصَلوا خلفَهم إلى حلَبَ ، وهرَب مَن بدمشقَ منهم ، وكان هربُهم منها يومَ الأحدِ السابعَ والعشرين مِن رمضانَ (١ صبيحةَ النصرِ الذى جاءت فيه البِشارةُ بالنصرةِ على عينِ جالوتَ ١) ، فتبِعهم المسلمون مِن دمشقَ يُقَتِّلون ويأسِرون وينهَبُون الأموالَ فيهم ، ويَستَفِكُّون الأُسارَى مِن أيديهم قهْرًا وللَّهِ الحمدُ والمنُّ على جبرِه الإسلامَ ، ومعاملتِه إيَّاهم بلُطْفِه الحسنِ . وجاءت بذلك البِشارةُ السارةُ ، فجاوَبَتها البَشائرُ مِن القلعةِ المنصورةِ وفرِح المؤمنون يومئذٍ بنصرِ اللَّهِ فرحًا شديدًا ، وأيَّد اللَّهُ الإسلامَ وأهلَه تأْييدًا ، وكُبِت أعداءُ اللَّهِ النَّصارَى واليهودُ والمُنافِقون ، وظهَر دينُ اللَّهِ وهم كارِهون ، ونصَر اللَّهُ دينَه ونبيَّه ولو كره الكافرون . فتَبادَر عندَ ذلك المسلمون إلى كنيسةِ النَّصارَى التى خرَج منها الصَّليبُ ، فانْتَهَبوا ما فيها ، وأحْرَقوها وألْقَوُا النارَ فيما حولَها ، فاحْتَرَقت دُورٌ كثيرةٌ للنَّصارَى ، ومَلأ اللَّهُ بيوتَهم وقبورَهم نارًا ، وأُحْرِق بعضُ كَنيسةِ اليَعاقبةِ ، وهمَّت طائفةٌ بنهبِ اليهودِ ، فقيل لهم : إنهم لم يكُنْ منهم فيما ظهَر مِن الطُّغْيانِ كما كان مِن عَبَدةِ الصُّلْبانِ . وقتَلَت العامَّةُ فى وسطِ الجامعِ شيخًا رافضيًّا كان مُصانِعًا للتتَّارِ على أموالِ الناسِ يقالُ له : الفخرُ محمدُ بنُ يوسفَ الكَنْجِىُّ . كان خَبيثَ الطَّويةِ مَشْرِقيًّا مُمالِئًا لهم على أموالِ المسلمين ، قبَّحه اللَّهُ تعالى ، وقتَلوا جَماعةً مثلَه مِن المُنافِقِين الممالئين على المسلمين ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥].

وقد كان السلطانُ هُولاكُو أرْسَل تَقْليدًا بولايةِ القَضاءِ على جميعِ المَدائنِ ؛

(١ - ١) سقط من : م.

الشامِ ، (١ والجَزيرةِ ١) ، والموصلِ ، [١٠/٥٩ظ] ومارِدِينَ ، ومَيّافارِقِينَ ، والأكْرادِ وغيرِ ذلك ، للقاضى كَمالِ الدينِ عمرَ بنِ بُنْدارٍ (٢) التَّفْليسىِّ . وقد كان نائبَ الحكمِ بدمشقَ عن القاضى صَدْرِ الدينِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ هِبةِ اللَّهِ بنِ سَنىِّ الدولةِ مِن مدةِ خمسَ عشْرةَ سنةً ، فحينَ وصَل التَّقْليدُ فى سادسِ وعشرين ربيعٍ الأولِ قُرِئَ بالمَيْدانِ الأخْضَرِ ، فاسْتَقَلَّ بالحكمِ فى دمشقَ ، وكان من الفضلاءِ ، فسار القاضيان المَعْزُولان صدرُ الدينِ بنُ سَنىِّ الدولةِ ومُحْيى الدينِ بنُ الزَّكىِّ إلى خدمةِ السلطانِ هُولاكُو إلى البلادِ الحلبيةِ ، فخدَع ابنُ الزكىِّ لابنِ سَنىِّ الدولةِ ، وبذَل أموالًا كثيرةً ، وتولَّى القضاءَ بدمشقَ ورجَعا ، فمات ابنُ سَنىِّ الدولةِ ببَعْلَبَكَّ ، وقدِم ابنُ الزَّكىِّ على القَضاءِ ، ومعه تَقْليدُه وخِلْعةٌ مُذَهَّبةٌ ، فلبِسها وجلَس فى خدمةِ إيلِ سِبان تحتَ قُبّةِ النَّسْرِ (٣ عندَ البابِ الكبيرِ ٣) ، وبينَهما الخاتونُ زوجةُ إيلِ سبان حاسِرةً عن وجهِها ، وقُرِئَ التَّقْليدُ هنالك والحالُ كذلك ، وحينَ ذُكِر اسمُ هولاكو ، لعَنه اللَّهُ تعالى ، نُثِر الذهبُ والفضةُ فوقَ رءوسِ الناسِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، (٤ قبَّح اللَّهُ ذلك القاضىَ والأميرَ والزوجةَ والسلطانَ ٤) .

وذكَر أبو شامةَ (٥) أيضًا أنه اسْتَحْوَذ على مدارسَ كثيرةٍ فى مدتِه هذه القصيرةِ ، فإنه عُزِل قبلَ رأسِ الحَوْلِ ، فأخَذ العَذْراويةَ والسُّلْطانيةَ والفَلَكيةَ والرُّكْنيةَ والقَيْمُرِيَّةَ والعَزيزيةَ مع المدرستَيْن اللتين كانتا بيدِه ؛ التَّقَويةِ والعَزيزيةِ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « بدار » .

(٣ - ٣) فى عقد الجمان : « وهو النائب الكبير » .

(٤ - ٤) زيادة من : م .

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

وأخَذ لولدِه عيسى تَدْريسَ الأمِينيةِ ومَشْيَخةَ الشُّيوخِ ، وأخَذ أمَّ الصالحِ لبعضِ أصحابِه ، وهو العِمادُ المِصْرىُّ ، وكذا أخَذ الشامية البَرَّانية لصاحبٍ له ، واسْتَناب أخاه لأمِّه شِهابَ الدينِ إسماعيلَ بنَ أسْعَدَ بنِ حُبَيْشٍ فى القَضاءِ ، وولَّاه الرواحيةَ والشاميةَ البَرَّانية . قال أبو شامةَ[1] : مع أن شَرْطَ واقِفِها أن لا يُجْمَعَ بينَها وبينَ غيرِها .

ولما رجَعَت المملكةُ إلى المسلمين سعَى القاضى محيى الدينِ وبذَل أموالًا جزيلةً ليستمرَّ فى القضاءِ والمدارسِ التى استولى عليها فى مدةِ هذه الشهورِ ، فلم يَسْتَمِرَّ بل عُزِل بالقاضى نَجْمِ الدينِ أبى بكرِ بنِ صَدْرِ الدينِ بنِ سَنِىِّ الدولةِ ، فقُرِئَ تَوْقيعُه بالقَضاءِ يومَ الجمعةِ بعدَ الصلاةِ فى الحادى والعشرين مِن ذى القَعْدةِ بالشُّبَّاكِ الكَمالىِّ مِن مَشْهَدِ عثمانَ مِن جامعِ دمشقَ . وللَّهِ الحمدُ .

ولما كسَر الملكُ المُظَفَّرُ قُطُز عساكرَ التَّتارِ بعَيْنِ جالوتَ ساق وراءَهم ، ودخَل دمشقَ فى أُبَّهةٍ عَظيمةٍ ، وفرِح الناسُ به فرَحًا شديدًا ، ودعَوا له دُعاءً كثيرًا ، وأقَرَّ صاحبَ حِمصَ الملكَ الأشْرفَ على بلدِه ، وكذلك المنصورَ صاحب حَماةَ ، واسْتَرَدَّ حلَبَ أيضًا من أيدى التتارِ ، وعاد الحقُّ إلى نِصابِه ، ومهَّد القَواعدَ ، وكان قد أرْسَل بينَ يديه الأميرَ رُكْنَ الدينِ بَيْبَرْسَ البُنْدُقْدارِىَّ ليَطْرُدَ التَّتارَ ويتسلمَ مدينةَ حلَبَ ، ووعَده بنيابتِها ، فلما طرَدهم عنها ، وأخْرَجهم منها ، وتسَلَّمها المسلمون اسْتَناب عليها غيرَه ، وهو علاءُ الدينِ بنُ صاحبِ الموصلِ ، وكان ذلك سببَ الوَحْشةِ التى وقَعَت بينَهما ، واقْتَضَت قتلَ الملكِ المُظَفَّرِ قُطُز سريعًا ، وللَّهِ الأمرُ .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠٦.

وعزَم المظفَّرُ على الذهابِ إلى الديارِ المصريةِ فاسْتَناب على دمشقَ الأميرَ عَلَمَ الدينِ سَنْجَرَ الحلبىَّ الكبيرَ والأميرَ مُجِيرَ الدينِ بنَ الحسينِ، وعزَل ابنَ الزَّكىِّ عن قَضاءِ دمشقَ، وولَّى عليها نجمَ الدينِ ابنَ سَنىِّ الدولةِ، [١٠/٦٠و] ثم عاد إلى الديارِ المصريةِ، والعَساكرُ الإسلاميةُ فى خدمتِه، وعُيونُ الأعْيانِ تَنْظُرُ إليه شَزْرًا مِن شدةِ هَيْبتِه.

ذِكْرُ سَلْطنةِ الملكِ الظاهرِ، وهو الأسدُ الضارى بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِىُّ[1]

وذلك أن السلطانَ الملكَ المُظَفَّرَ قُطُز لما عاد بالعساكرِ قاصدًا الديارَ المصرية، فوصل إلى ما بينَ الغُرَابىِّ[2] والصَّالحيةِ[3]، عدا عليه الأُمراءُ، فقتَلوه هنالك، وقد كان رجلًا صالحًا، كثيرَ الصلاةِ فى الجماعةِ، ولا يَتَعاطَى الشرابَ ولا شيئًا مما يَتعاطاه الملوكُ، وكانت مدةُ ملكِه مِن حينَ عزَل ابنَ أُسْتاذِه المنصورَ علىَّ بنَ المُعِزِّ التُّرْكُمانىَّ إلى هذه المدةِ، وهى أواخرُ ذى القَعْدةِ نحوًا مِن سنةٍ، رحِمه اللَّهُ، وجزاه عن الإسلامِ وأهلِه خيرًا. وكان الأميرُ رُكْنُ الدينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِىُّ قد اتَّفَق مع جَماعةٍ مِن الأُمراءِ على قتلِه، فلما وصَل إلى هذه المنزلةِ ضَرَب دِهْليزَه، وساق خلفَ أرنبٍ، وساق معه أولئك الأُمراءُ، فشفَع عندَه رُكْنُ الدينِ بَيْبَرْسُ فى شىءٍ فشفَّعه، فأخَذ يدَه ليُقَبِّلَها فأمْسَكها، وحمَل عليه أولئك الأُمراءُ فضرَبوه بالسُّيوفِ، وألْقَوْه عن فرسِه، ورشَقُوه بالنُّشَّابِ حتى أجْهَزوا عليه، ثم كرُّوا راجِعِين إلى المُخَيَّمِ، وبأيديهم السيوفُ مُصْلَتَةً، فأخْبَروا مَن هناك بالخبرِ، فقال

---

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ٢/١ - ٣، ونهاية الأرب ٣٠/٣ - ١٦، والمختصر فى أخبار البشر ٣/٢٠٧، ٢٠٨، وعقد الجمان ١/٢٦١ - ٢٦٤.

(٢) فى م: «الغزالى». والغرابى: رمل معروف بطريق مصر بين قطية والصالحية. انظر معجم البلدان ٣/ ٧٨٠.

(٣) الصالحية: قرية بمصر من قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية، وهى غير الصالحية التى تتبع محافظة القليوبية. انظر القاموس الجغرافى ١/ ٤٢، ١١٢ (القسم الثانى).

بعضُهم : مَن قتلَه ؟ (١ فقال رُكْنُ الدينِ : أنا ١) . فقيل له : أنت الملكُ . وقيل : لما قُتِل حار الأُمراءُ بينَهم فيمَن يُوَلُّون المُلْكَ ، وصار كلُّ واحدٍ منهم يَخْشَى[2] غائلةَ ذلك ، وأن يُصِيبَه ما أصاب غيرَه سريعًا ، فاتَّفَقَت كلمتُهم على أن بايَعوا الأميرَ ركنَ الدينِ بَيْبَرْسَ البُنْدُقْدارىَّ ، ولم يَكُنْ مِن أكابرِ المُقَدَّمِين فيهم ، ولكن أرادوا أن يُجَرِّبوا فيه ، ولقَّبوه الملكَ الظاهرَ ، فجلَس على سَريرِ المَمْلكةِ وحكَمه ، ودقَّت البَشائرُ ، وضُرِبَت الطُّبولُ والبُوقاتُ ، وصفَّرَت الشبَّابةُ[3] ، وزعَقَت الشاوُوشيةُ بينَ يديه ، وكان يومًا مشهودًا ، وتوَكَّل على اللَّهِ واسْتَعان به ، ثم دخَل مصرَ والعساكرُ فى خدمتِه ، فدخَل قلعةَ الجبلِ ، وجلَس على كرسيِّها ، وحكَم فعدَل ، وقطَع ووصَل ، وكان شهْمًا شُجاعًا ، أقامه اللَّهُ للناسِ لشدةِ احْتِياجِهم إليه فى هذا الوقتِ الشديدِ والأمْرِ العَسيرِ ، وكان أولًا قد لقَّب نفسَه بالملكِ القاهرِ ، فقال له الوزيرُ : إن هذا اللقبَ لم يُفْلِحْ مَن تَلَقَّبَ به ؛ تلقَّب به القاهرُ بنُ المعتضدِ[4] فلم تَطُلْ أيامُه حتى خُلِع وسُمِل ، ولُقِّب به القاهرُ صاحبُ الموصلِ ، فسُمَّ فمات . فعدَل عن هذا اللَّقَبِ إلى الملكِ الظاهرِ ، ثم شرَع فى مَسْكِ مَن يَرَى فى نفسِه رِئاسةً مِن أكابرِ الأُمراءِ حتى مهَّد المُلْكَ كما يريدُ ، واللَّهُ على كلِّ شىءٍ شهيدٌ .

وقد كان السلطانُ هُولاكُوقان لما بلَغه ما جرَى على جيشِه بعَيْنِ جالوتَ أرْسَل جماعةً كثيرةً مِن جيشِه إلى بلادِ الشامِ ليَسْتَعِيدوه مِن أيدى جيشِ الإسلامِ ، فحِيل بينَهم وبينَ ما يَشْتَهون ، ورجَعوا وهم خائِبون خاسِرون ، وذلك أنه نهَض إليهم الهِزَبْرُ الكاسرُ والسيفُ الباترُ السلطانُ الملكُ المؤيَّدُ الظاهرُ ، فقدِم إلى

(١ - ١) فى م : « فقالوا : ركن الدين بيبرس . فقالوا : أنت قتلته .. فقال : نعم » .

(٢) فى الأصل : « يحتمى من » .

(٣) فى م : « الشغابة » .

(٤) فى م : « المعتمد » .

دمشقَ ، وأرْسَل الجيوشَ مِن كلِّ جانِبٍ ؛ لحفظِ الثُّغورِ والمَعاقلِ بالأسلحةِ التامَّةِ والجَحافِلِ ، فلم يَقْدِرِ التَّتارُ على الدُّنُوِّ إليه ، ولا القدومِ عليه ، ووجَدوا الدولةَ قد تغيَّرَت ، والسَّواعِدَ قد شُمِّرَت ، (1 والسيوفَ البواترَ قد سُلَّت ، والرماحَ الخَطِّيَّةَ قد اعتُقلت ، والقِسِيَّ قد وُتِّرَت ، والنبالَ قد حُصِّلت[2] ، والخيولَ قد ضُمِّرت[3] ، والطبولَ قد حُصِّلت 1) ، وعِنايةَ اللَّهِ بأهلِ الشامِ قد تنَزَّلت ، ورحمته بهم قد تَدارَكت ، فعندَ ذلك نكَصَت شَياطينُهم على أعْقابِها ، وكرّت راجعةً القَهْقَرَى على أذنابِها ، والحمدُ للَّهِ الذى بنعمتِه تَتِمُّ الصالحات ، [١٠/٦٠ظ] (1 وتكمُلُ المَسَرَّات ، فى هذه الحياةِ الدنيا وبعدَ الممات 1) .

وقد كان الملكُ المُظَفَّرُ قُطز ، رحِمه اللَّهُ استَناب على دمشقَ الأميرَ عَلَمَ الدينِ سَنْجَرَ الحلَبىَّ أحدَ الأتراكِ ، فلما بَلغَه مَقْتَلُ المُظَفَّرِ دخَل القلعةَ ، ودعا لنفسِه وتسَمَّى بالملكِ المجُاهِدِ ، فلما جاءَت البَيْعةُ للملكِ الظاهرِ خطَب له يومَ الجمعةِ السادسَ مِن ذى الحِجَّةِ ، فدعا الخطيبُ أولًا للمُجاهدِ ، ثم للظاهرِ ثانيًا ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِهما معًا ، ثم ارْتَفَع المجُاهِدُ هذا مِن البينِ ، كما سيأتى .

وقد اتَّفَق فى هذا العامِ أُمورٌ عَجيبةٌ ، وهى أن أولَ هذه السنةِ كانت الشامُ للسلطانِ الناصرِ بنِ العزيزِ ، ثم فى المُنتَصَفِ مِن صفرٍ صارت لهولاكوقان ملكِ التتارِ ، ثم فى آخرِ رمضانَ صارت للمُظَفَّرِ قُطُز ، ثم فى أواخِرِ ذى القَعْدةِ انتقلت إلى مملكةِ السلطانِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ ، وقد شرَكه فى دمشقَ الملكُ المجُاهِدُ علمُ الدينِ

(1 - 1) سقط من : م.

(2) أى جمعت وأحضرت ...

(3) تضمر الخيول بأن يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن ثم لا تعلف إلا قوتا . لسان العرب (ض م ر) .

سَنْجَرُ ، كما ذكرنا ، وكذلك كان القَضاءُ فى أولِها بالشامِ لصَدْرِ الدِّينِ ابنِ سَنِىِّ الدولةِ ، ثم للكَمالِ عمرَ التَّفْليسىِّ ، ثم لمُحْيى الدينِ بنِ الزَّكىِّ ، ثم لنَجْمِ الدينِ ابنِ سَنِىِّ الدولةِ . وكذلك كان خطيبَ جامعِ دمشقَ عِمادُ الدينِ بنُ الحَرَسْتانىِّ مِن سنينَ مُتَطاوِلةٍ ، فعُزِل فى شوالٍ مِن هذه السنةِ بالعمادِ الإسْعَرْدِىِّ ، وكان صَيِّتًا قارئًا مُجيدًا ، ثم أُعِيد العمادُ الحَرَسْتانىُّ فى أولِ ذى القَعْدةِ منها . فسبحانَ مَن بيدِه الأمورُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ ويَحْكُمُ ما يُرِيدُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

قاضى القُضاةِ صَدْرُ الدينِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ أحمدُ بنُ يحيى بنِ هِبةِ اللَّهِ بنِ الحسنِ[1] **بنِ يحيى بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ يحيى بنِ صَدَقةَ بنِ الخَيَّاطِ** ، قاضى القُضاةِ صَدْرُ الدينِ أبو العباسِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ التَّغْلِبىُّ الدمشقىُّ الشافعىُّ ، وسَنِىُّ الدولةِ [2]هو الحسنُ[2] بنُ يحيى المذكورُ كان كاتبًا[3] لبعضِ مُلوكِ دمشقَ فى حدودِ الخمسِمائةِ ، وله أوْقافٌ على ذرِّيتِه . وابنُ الخَيَّاطِ الشاعرُ صاحبُ الدِّيوانِ ، هو أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ يحيى بنِ صَدَقةَ التَّغْلِبىُّ ، عمُّ سَنِىِّ الدولةِ .

وُلِد القاضى صَدْرُ الدِّينِ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وخمسِمائةٍ ، وسمِع الخُشُوعىَّ وابنَ طَبَرْزَدَ والكِنْدىَّ وغيرَهم ، وحدَّث ودرَّس فى عدةِ مَدارِسَ وأفْتَى ، وكان

---

(١) فى م : « الحسين » . وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ٢٠٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٨٥، ٢/ ١٠، والعبر ٥/ ٢٤٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٤١، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٤١، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٤٨، وعقد الجمان ١/ ٢٧٣، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩١.

(٢ - ٢) فى م : « الحسين » .

(٣) فى م : « قاضيا » .

فاضِلًا عارفًا بالمَذهَبِ ، مَشْكورَ السِّيرةِ ، ولكنِ الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ يَنالُ منه[1] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد ولِى الحكمَ بدمشقَ اسْتِقلالًا سنةَ ثلاثٍ وأربعين ، واسْتَمَرَّ إلى هذه السنةِ ، فسار حينَ عُزِل بالكَمالِ التَّفْلِيسيِّ هو والقاضى مُحْيِى الدينِ بنُ الزَّكىِّ إلى هولاكو ، ثم عاد مِن عندِه وقد تولَّى ابنُ الزَّكىِّ القَضاءَ ، فاجْتاز ابنُ سَنىِّ الدولةِ ببَعْلَبَكَّ وهو مُتَمَرِّضٌ ، فمات بها ، ودُفِن عندَ الشيخِ عبدِ اللَّهِ اليُونِينىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد كان الملكُ الناصرُ يُثْنى عليه كما كان الملكُ الأشرفُ يُثْنى على والدِه قاضى القُضاةِ شمسِ الدينِ بنِ سَنىِّ الدولةِ . ولما اسْتَقَرَّ أمرُ السُّلْطانِ الملكِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ ولَّى ولدَه القاضىَ نَجْمَ الدينِ [2]أبا بكرِ بنَ قاضى القُضاةِ صدرِ الدينِ القضاءَ بدمشقَ ، وعزَل ابنَ الزَّكِىِّ ، ثم عزَله بعدَ سنةٍ ، وثَنَّى بابنِ خَلِّكانَ على ما سيأتى [١٠/٦١و] بيانُه ، وباللَّهِ المستعانُ . والقاضى صدرُ الدينِ[2] ابنُ سَنىِّ الدولةِ هذا هو الذى أحدَث فى زمنِ المِشْمِشِ بَطالةَ الدُّروسِ ؛ لأنه كان له بُسْتانٌ بأرضِ السهمِ ، فكان يَشُقُّ عليه النُّزولُ فى ذلك الوقتِ إلى الدَّرْسِ ، فبطَّل للناسِ هذه الأيامَ ، فاتَّبَعوه فى ذلك[3] .

وفيها تُوُفِّى صاحبُ ماردِينَ الملكُ السعيدُ نَجْمُ الدينِ[4] إيلْ غازى بنُ

---

(١) جاءت ترجمة صدر الدين فى الذيل على الروضتين قصيرة مقتضبة ولم نجد ما يدل على أن أبا شامة نال منه .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م : « والنفوس إنما تؤثر الراحة والبطالة ، ولاسيما أصحاب البساتين فى أيام الفواكه وكثرة الشهوات فى تلك الأيام ولاسيما القضاة » .

(٤) بعده فى م : « بن » . وانظر ترجمته فى ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧٨، ٢/ ١٤، وكنز الدرر ٨/ ٦٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ٢٧، وعقد الجمان ١/ ٢٧٦، والمنهل الصافى ٣/ ١٨٨.

المنصورِ أَرْتُق[1] **أرسَلان بن إِيلْ غازى بنِ** [2]**ألْبِى**[3] **بنِ تِمُرْتَاش بن إيلْ غازى ابنِ**[2] **أَرْتُق**، وكان شُجاعًا معظَّمًا، ملَك يومًا فى قلعتِه[4].

تُورَان شاه بنُ الملكِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ[5]، كان نائبًا للملكِ النَّاصِرِ بنِ العزيزِ بنِ الظاهرِ بنِ الناصرِ على حَلَبَ حتى تَمَلَّكَ دِمشقَ، وقد حصَّن حلبَ مِن أيدى المَغولِ مدةَ شهرٍ، ثم سَلَّمها بعدَ مُحاصَرةٍ شديدةٍ صُلْحًا. ثم كانت وفاتُه فى هذه السنةِ ودُفِن بدِهْليزِ دارِه.

وفيها قُتِل **الملكُ السعيدُ حسنُ بنُ**[6] **العزيزِ عثمانَ بنِ الملكِ العادلِ أبى بكرِ ابنِ أيوبَ**، كان صاحبَ الصُّبَيْبةِ وبانِيَاسَ بعدَ أبيه، ثم أُخِذَتا منه، وحُبِس بقلعةِ البِيرَةِ، فلما جاءت التَّتارُ كان معهم، وردُّوا عليه بلادَه، فلما كانت وَقْعةُ عينِ جالوتَ أُتِى به أَسيرًا إلى بينِ يَدَى المَلِكِ المُظَفَّرِ قُطُز، فضُرِب عنقُه؛ لأنه كان قد لبِس سراقوجَ التَّتارِ[7]، وناصَحهم.

عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ الرَّحيمِ بنِ [8]**عبدِ الرحمنِ بنِ**[8] **الحسنِ بنِ**

---

(١) بعده فى م: «بن».
(٢ - ٢) سقط من: الأصل.
(٣) فى م: «السنى». والمثبت من مصادر ترجمته.
(٤) كذا فى الأصل، م. ولعل هنا سقطا فى الترجمة.
(٥) ذيل مرآة الزمان ١/ ٤٢٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٨، والعبر ٥/ ٢٤٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٤٣، والسلوك ١/ ٤٤٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٠.
(٦) بعده فى م: «عبد». وانظر مصادر ترجمته فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٦، والعبر ٥/ ٢٤٥، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٠٠، وعقد الجمان ١/ ٢٧٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٢، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٢.
(٧) السراقوج: قلنسوة لها مخروطى طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى. انظر الملابس المملوكية ص ٥٦.
(٨ - ٨) سقط من: م. وفى الأصل: «عبد الرحيم بن». والمثبت من مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٤٨، والعبر ٥/ ٢٤٧، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٥٧، وعقد الجمان ١/ ٢٧٤، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٣.

عبدِ الرحمنِ بنِ طاهرِ بنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ ، أبو طالبٍ شَرَفُ الدينِ بنُ العَجَميِّ الحلَبيُّ الشافعيُّ ، مِن بيتِ العلمِ والرِّئاسةِ بحلبَ ، درَّس بالظاهريةِ ، ووقَف مدرسةً بها ، ودُفِن بها ، وكانت وفاتُه حينَ دخَلَت التَّتارُ حلبَ في صفرٍ ، فعذَّبوه بأن صبُّوا عليه ماءً باردًا في الشتاءِ ، فتشَنَّج حتى مات ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الملكُ المُظَفَّرُ قُطُز بنُ عبدِ اللَّهِ سيفُ الدينِ التُّرْكيُّ[1] ، أخَصُّ مماليكِ الملكِ المُعِزِّ عزِّ الدينِ أيبكَ التُّرْكُمانيِّ ، أحدُ مماليكِ الصالحِ أيوبَ ، ثم إنّه لما قُتِل أُسْتاذُه المُعِزُّ قام في توليةِ ابنِ أستاذِه المنصورِ نورِ الدِّينِ عليٍّ ، فلما سمِع بأمرِ التَّتارِ خاف أن تَخْتَلِفَ الكلمةُ بسببِ صغرِ ابنِ أُسْتاذِه ، فعزَله ودعا إلى نفسِه ، فبُويِع في ذي القَعْدةِ سنةَ سبعٍ وخمسين وستِّمائةٍ كما تقدَّم ، ثم سار إلى التَّتارِ ، فجعَل اللَّهُ على يديه نُصْرةَ الإسلامِ كما ذكَرْنا بعيْنِ جالوتَ ، وقد كان شُجاعًا بطلًا ، كثيرَ الخيرِ ، مُمالِئًا للإسلامِ وأهلِه ، وهم يُحِبُّونه .

ذُكِر عنه أنه لما كان بالمعركةِ يومَ عينِ جالوتَ قُتِل جَوادُه ، ولم يَجِدْ أحدًا في الساعةِ الراهنةِ مِن الوشاقيَّةِ[2] الذين معهم الجنائبُ ، فترَجَّل وبقِي واقفًا كذلك على الأرضِ ثابتًا في مَحَلِّ المعركةِ وموضعِ السَّلْطنةِ مِن القلبِ ، فلما رآه بعضُ الأمراءِ ترَجَّل عن فرسِه ، وحلَف على السلطانِ لِيَرْكَبَ ، فامْتَنَع السلطانُ وقال : ما كنتُ لأَحْرِمَ المسلمين نفعَك . ولم يَزَلْ كذلك حتى جاءت الوشاقيةُ فركِب ،

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٠، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧٩، ٢/ ٢٨، وكنز الدرر ٨/ ٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٠٠، والعبر ٥/ ٢٤٧، وفوات الوفيات ٣/ ٢٠١، وعقد الجمان ١/ ٢٥٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٢.

(٢) الوشاقية أو الأُوشاقية أو الأوجاقية ، واحدها أوجاقي وهو لقب الذى يتولى ركوب الخيول للتسيير والرياضة . انظر صبح الأعشى ٤/ ٤٥٤.

فلامَه بعضُ الأمراءِ وقال : يا خُونْدُ ، لمَ لا رَكِبْتَ فرسَ فلانٍ ؟ فلو كان رآك بعضُ الأعداءِ لَقتَلَك وهلَك الإسلامُ بسببِك . فقال : أما أنا فكنتُ أَرُوحُ إلى الجنةِ ، وأما الإسلامُ فله ربٌّ لا يُضَيِّعُه ، قد قُتِل فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ – وعدَّد خلقًا مِن الملوكِ – فلم يُضَيِّعِ اللَّهُ الإسلامَ .

وكان حينَ ساق مِن الديارِ المصريةِ فى خدمتِه خلقٌ مِن كبارِ الأمراءِ البَحْريةِ وغيرِهم ، ومعه المنصورُ صاحبُ حَماةَ وجماعةٌ [١٠/٦١ظ] مِن أبناءِ الملوكِ ، فأرْسَل إلى صاحبِ حَماةَ يقولُ له : لا تتعنَّ بمَدِّ سِماطٍ فى هذه الأيامِ ، ولْيَكُنْ مع الجندىِّ لَحمةٌ (١ فى سَوْلَقِه ١) يَأْكُلُها ، والعَجَلَ العَجَلَ . وكان اجتماعُه بعدوِّه كما ذكَرْنا فى العشْرِ الأخيرِ مِن رمضانَ يومَ الجمعةِ ، وهذه بِشارةٌ عظيمةٌ ، فإن وقعةَ بدرٍ كانت يومَ الجمعةِ فى شهرِ رمضانَ ، ولهذا نصرَ اللَّهُ الإسلامَ نصرًا عزيزًا ، ولما قدِم دمشقَ فى شوالٍ أقام بها العَدْلَ ، ورتَّب الأمورَ كما ذكَرنا ، وأرْسَل الأميرَ رُكنَ الدينِ بَيْبَرْسَ البُنْدُقْدَارىَّ خلفَ التتارِ ليُخْرِجَهم ويَطْرُدَهم عن حلبَ ، ووعَده بنيابتِها ، فلم يَفِ له (٢) ، فوقَعَت الوَحْشةُ بينَهما بسببِ ذلك ، فلما عاد المُظَفَّرُ قُطُز إلى مصرَ تَمالَأ عليه البُنْدُقْدَارىُّ وغيرُه مِن الأمراءِ فقتَلوه بينَ الغُرابِىِّ والصالحيَّةِ ، ودُفِن بالقَصْرِ (٣) ، وكان قبرُه يُزارُ ، فلمَّا تمكَّن الظاهرُ مِن المُلْكِ بعَث إلى قبرِه فغيَّبه عن الناسِ ، فكان لا يُعْرَفُ بعدَ ذلك ، وكان مَقْتَلُه يومَ السبتِ

(١ – ١) سقط من : م . والسولق والصولق : كيس من جلد يضعه الشخص فى حزامه على الجانب الأيمن . انظر الملابس المملوكية ص ٤٣.

(٢) بعده فى م : « لما رآه من المصلحة » .

(٣) كذا فى الأصل ، م . وفى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٩، وعقد الجمان : « القصير » . والقصر والقصير اسمان قديمان لقرية بمصر من قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية ، وتسمى اليوم الجعافرة ، وهى غير الجعافرة التى تتبع محافظة القليوبية . انظر القاموس الجغرافى ١/ ٣٢، ١١١ (القسم الثانى) .

سادسَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وحكَى الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونِينيُّ فى « الذَّيلِ على المِرْآةِ »[1] عن الشيخِ عَلاءِ الدينِ بنِ غانمٍ ، عن المَوْلَى تاجِ الدينِ أحمدَ بنِ الأثيرِ كاتبِ السِّرِّ فى أيامِ الناصرِ صاحبِ دمشقَ ، قال : لما كنا مع السلطانِ الناصرِ بوَطأَةِ بَرْزةَ جاءت البَرِيديةُ يُخبرون بأنَّ المُظَفَّرَ قُطُز قد توَلَّى السَّلْطنةَ بالدِّيارِ المصريةِ ، فقرأْتُ ذلك على السلطانِ ، فقال : اذْهَبْ إلى فلانٍ وفلانٍ فأَخْبِرْهم بهذا . قال : فلما خرَجْتُ مِن عندِه لقِيَنى بعضُ الأجْنادِ فقال لى : جاءكم الخبرُ مِن الديارِ المصريةِ بأن قُطُز قد تملَّك ؟ فقلتُ : ما عندى مِن هذا علمٌ ، وما يُدْرِيك أنت بهذا ؟ فقال : بلى واللَّهِ إنه سيَلِى المَمْلَكةَ ، ويَكْسِرُ التتارَ . فقلتُ : مِن أين تَعْلَمُ هذا ؟ فقال : كنتُ أَخْدُمُه وهو صغيرٌ ، وكان عليه قَمْلٌ كثيرٌ ، فكنتُ أَفْلِيه وأُهِينُه ، فقال لى يومًا : ويلَك ، أَيْشٍ تُرِيدُ أن أُعْطِيَك إذا ملَكْتُ الديارَ المصريةَ ؟ فقلتُ له : أنت مجنونٌ ؟! فقال : لقد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ ، وقال لى : أنت تَملِكُ الديارَ المصريةَ ، وتَكْسِرُ التَّتارَ . وقولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ حقٌّ لا شكَّ فيه . فقلتُ له حينَئذٍ - وكان صادقًا -: أُرِيدُ منك إمْرةَ خمسين فارسًا . فقال : نعم . قال ابنُ الأثيرِ : فلما قال لى هذا قلتُ : هذه كتبُ المِصْريين بأنه قد توَلَّى السَّلْطنةَ . فقال : واللَّهِ لَيَكْسِرَنَّ التَّتارَ . فكان كذلك كما قال . ولما رجَع الناصرُ إلى ناحيةِ الديارِ المصريةِ ، وأراد دُخولَها ، ورجَع عنها ودخَلها أكثرُ الجيوشِ الشاميةِ كان هذا الأميرُ الحاكى فى جملةِ مَن دخَلها ، فأعطاه المُظَفَّرُ إمْرةَ خمسين فارسًا ، ووفَى له بالوعدِ ، وهو الأميرُ (٢)حسامُ الدينِ البَرَكةُ خانىُّ(٢) . قال ابنُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٨١ - ٣٨٣، ٢/ ٣٠ - ٣٢.

(٢ - ٢) فى الأصل : « جمال الدين التركخانى » ، وفى م : « جمال الدين التركمانى » . والمثبت من مرآة الزمان ١/ ٣٨٣، ٢/ ٣٠. وانظر كنز الدرر ٨/ ٤١، ٤٢.

الأثيرِ : فلقِيَنى بالدِّيارِ المصريةِ بعدَ أن تأَمَّر ، فذكَّرَنى بما كان أخبَرَنى عن المُظَفَّرِ ، فذكَرْتُه ، ثم كانت وقعةُ التتارِ على إثْرِ ذلك[1] ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها هلَك **كَتْبُغا نُوين**[2] نائبُ هولاكو على بلادِ الشامِ ، لعَنهما اللَّهُ ، ومعنى نُوين يَعْنى أميرَ عشَرةِ آلافِ ، وكان هذا الخَبيثُ قد فتَح لأُسْتاذِه هولاوو مِن أقصى بلادِ العَجَمِ إلى الشامِ ، وقد أدْرَك جِنْكِزْخان[3] جدَّ هولاوو ، وقد كان كَتْبُغا هذا يَعْتَمِدُ فى حُروبِه للمسلمين ببلادِ خراسانَ والعراقِ أشْياءَ لم يَسْبِقْه إليها أحدٌ ، كان إذا فتَح بلدًا ساق المُقاتِلةَ منه إلى البلدِ الذى يَليه ، ويَطْلُبُ مِن أهلِ البلدِ [١٠/٦٢و] أن يُؤْووا هؤلاء إليهم ، فإن فعَلوا حصَل مَقْصودُه فى تَضْييقِ الأطْعِمةِ والأشْرِبةِ عليهم ، فتَقْصُرُ مُدَّةُ الحِصارِ عليه[4] ، وإن امْتَنعوا مِن إيوائِهم عندَهم قاتَلهم[5] بهؤلاء حتى يَفْنَى هؤلاءِ ، فإن حصَل الفتحُ وإلا كان قد أضعَف أولئك بهولاءِ ثم استأنَف قتالَهم بمَن عندَه حتى يَفْتَحَه . وكان يَبْعَثُ إلى الحصنِ يقولُ لهم : إن ماءَكم قد قلَّ ، فافْتَحوا صُلحًا قبلَ أن نَأْخُذَكم قَسْرًا . فيقولون : إن الماءَ عندَنا كثيرٌ فلا نَحْتاجُ إلى ماءٍ . فيَقولُ : لا أُصَدِّقُ حتى أَبْعَثَ مِن عندى مَن يُشْرِفُ عليه ، فإن كان كثيرًا انْصَرَفْتُ عنكم . فيقولون : ابْعَثْ مَن يُشْرِفُ

(١) بعده فى م : « فكسرهم وطردهم عن البلاد وقد روى عنه أنه لما رأى عصائب التتار قال للأمراء والجيوش الذين معه : لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس وتفيء الظلال وتهب الرياح ويدعوا لنا الخطباء والناس فى صلاتهم رحمه اللَّه تعالى » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٣، والعبر ٥/ ٢٤٩، وعقد الجمان ١/ ٢٨٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٨، وذكره فى وفيات سنة سبع وخمسين وستمائة ، وهو الصواب ؛ لأنه قتل فى معركة عين جالوت وكانت فى سنة سبع وخمسين وستمائة .

(٣) بعده فى الأصل: « الكبير » ، وبعده فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٥: « الأخير » .

(٤) بعده فى م: « لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم » .

(٥) بعده فى م : « بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذى فتحه قبل ذلك فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك » .

على ذلك . فيُرسِلُ رجالًا مِن جيشِه ، معهم رِماحٌ مُجَوَّفةٌ مَحْشُوَّةٌ سُمًّا ، فإذا دخَلوا ساطوا[1] ذلك الماءَ بتلك الرماحِ ، فيَنْفَتِحُ ذلك السُّمُّ ويَسْتَقِرُّ فى الماءِ ، فيَكُونُ سببَ هَلاكِهم وهم لا يَشْعُرون ، لعَنه اللَّهُ لَعْنةً تَدْخُلُ معه فى قبرِه . وكان شيخًا كبيرًا قد أسَنَّ ، وكان يَمِيلُ إلى دينِ النصارى ، ولكن لا يُمْكِنُه الخروجُ عن حكمِ جِنْكِزْخان فى الياساقِ .

قال الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونينيُّ[2] : وقد رأَيْتُه ببَعْلَبَكَّ حينَ حاصَر قلعتَها ، وكان شيخًا حسَنًا ، له لحيةٌ طويلةٌ مُسْتَرْسِلةٌ رقيقةٌ قد ضفَرها مثلَ الدَّبُّوقةِ ، وتارةً يُعَلِّقُها فى حلقةٍ بأُذُنِه ، وكان مَهيبًا ، شديدَ السَّطْوةِ . قال : وقد دخَل الجامعَ ، فصعِد المَنارةَ ليَتَأَمَّلَ القلعةَ منها ، ثم خرَج مِن البابِ الغربىِّ ، فدخَل دُكَّانًا خرابًا ، فقضَى حاجتَه والناسُ يَنْظُرون إليه ، وهو مَكْشوفُ العَوْرةِ ، فلما فرَغ مسَحه بعضُ أصحابِه بقطنٍ مُلَبَّدٍ مَسْحةً واحدةً .

قال[3] : ولما بلَغه خروجُ المُظَفَّرِ إليه بالعَساكرِ المصريةِ تلَوَّم فى أمرِه ، ثم حمَلَته نفسُه الأَبِيَّةُ على لقائِهم ، وظنَّ أنه يَنْتَصِرُ كما كانت عادتُه ، فحمَل يومَئذٍ على المَيْسَرةِ فكسَرها ، ثم أيَّد اللَّهُ المسلمين وثبَّتهم ، فحمَلوا حملةً صادقةً على التَّتارِ ، فهزَموهم هزيمةً لا تُجْبَرُ أبدًا ، وقُتِل كَتْبُغانُوين فى المعركةِ ، وأُسِر ابنُه ، وكان شابًّا حسنًا ، فأُحْضِر بينَ يدى المُظَفَّرِ قُطُز ، فقال له : أهَرَب أبوك ؟ قال : إنه لا يَهْرُبُ . فطلَبوه فوجَدوه بينَ القَتْلَى ، فلما رآه ابنُه صرَخ وبكَى ، فلما تحَقَّقه

---

(١) ساطوا : خلَطوا ومزَجوا . الوسيط (س و ط) .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٤.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٥.

المُظَفَّرُ[1] قال : نام[2] طَيِّبًا ، كان هذا سَعادةَ التَّتارِ ، وبقتلِه ذهَب سَعْدُهم . وهكذا كان كما قال ، ولم يُفْلِحوا بعدَه أبدًا ، وكان قتلُه يومَ الجمعةِ الخامسَ والعشرين مِن رمضانَ ، لعَنه اللَّهُ تعالى ، وكان الذى قتَل كُتْبُغانوين الأميرُ جمالُ الدينِ آقوشُ الشَّمْسىُّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ محمدٌ الفقيهُ اليُونِينىُّ الحنبلىُّ البَعْلَبَكِّىُّ الحافظُ[3] ، هو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عيسى بنِ أبى الرجالِ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ محمدِ[4] ابنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ إسحاقَ بنِ جعفرٍ الصادقِ - كذا نقَل هذا الانتسابَ الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونِينىُّ مِن خطِّ أخيه الأكبرِ أبى الحسينِ[5] علىٍّ ، وأخْبَره أن والدَه قال له : نحن مِن سُلالةِ جعفرٍ الصادقِ . قال[6] : وإنما ذكَر له هذا عندَ الموتِ ليَتَحَرَّجَ مِن قَبولِ الصَّدقةِ - أبو عبدِ اللَّهِ بنُ أبى الحسينِ اليُونِينىُّ الحنبلىُّ تَقِىُّ الدينِ الفَقيهُ الحَنْبلىُّ الحافظُ المُفِيدُ البارعُ العابدُ الناسكُ ، وُلِد سنةَ ثنتَيْن وسبعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الخُشُوعىَّ وحَنْبَلًا والكِنْدىَّ والحافظَ عبدَ الغَنِىِّ المَقْدِسىَّ ، وكان يُثْنِى عليه ، وتفَقَّه على الشيخِ المُوَفَّقِ ، ولزِم صحبةَ الشيخِ عبدِ اللَّهِ اليُونِينىِّ ، وانْتَفَع به ، وكان الشيخُ عبدُ اللَّهِ يُثْنِى عليه ، ويُقَدِّمُه ويَقْتَدِى به فى الفَتاوَى الشرعيةِ ، وقد لَبِس الخِرْقةَ مِن الشيخِ عبدِ اللَّهِ البَطائحىِّ ، وبرَع فى علمِ

---

(١) بعده فى م : « سجد للّٰه تعالى ثم » .

(٢) كذا فى الأصل ، وذيل مرآة الزمان . وفى م : « أنام » . والذى قال ذلك ابن كتبغا ، قاله للسلطان قطز . والصواب : « نم » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧ ، والذيل على مرآة الزمان ٢/ ٣٨ ، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٩ ، والعبر ٥/ ٢٤٨ ، والوافى بالوفيات ٢/ ١٢١ ، والدليل الشافى ٢/ ٥٨٨ ، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٤ .

(٤) بعده فى ذيل مرآة الزمان : « بن أحمد » .

(٥) فى ذيل مرآة الزمان : « الحسن » .

(٦) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٥٦ ، ٥٧ .

الحديثِ ، وحفِظ « الجمعَ [١٠/٦٢ظ] بينَ الصحيحَيْن » بالفاءِ والواوِ ، وحفِظ قطعةً صالحةً مِن « مُسْندِ الإمامِ أحمدَ » ، وكان يَعْرِفُ العربيةَ ، أخَذ ذلك عن التاجِ الكِنْدىِّ ، وكتَب مَليحًا حسنًا ، وكان الناسُ يَنْتَفِعون بفُنونِه الكثيرةِ ، ويَأْخُذون عنه الطريقةَ الحسنةَ ، وحصَلَت له وَجاهةٌ عظيمةٌ عندَ الملوكِ وغيرِهم ، توَضَّأ مرةً عندَ الملكِ الأشرفِ وهو عندَه بالقلعةِ حالَ سَماعِ « البُخارىِّ » على الزَّبيدىِّ ، فلما فرَغ مِن الوضوءِ نفَض السلطانُ تَخْفيفةً ، وبسَطها على الأرضِ ليَطَأَ عليها ، وحلَف السلطانُ له أنها طاهرةٌ ولابد أن يَطَأَها برِجْلِه ، ففعَل ذلك . ولما قدِم الكاملُ على أخيه الأشرفِ دمشقَ ، أنْزَلَه القلعةَ ، وتحَوَّل الأشْرفُ لدارِ السعادةِ ، وجعَل يَذْكُرُ للكاملِ مَحاسِنَ الشيخِ الفقيهِ ، فقال : أَشْتَهى أن أَراه . فأرْسَل إليه إلى بَعْلَبَكَّ بطاقةً ، فاسْتَحْضَره فوصَل إلى دارِ السَّعادةِ ، فنزَل الكاملُ إليه ، وتحادَثا وتَذاكَرا شيئًا مِن العلمِ ، فذُكرتْ مسألةُ القتلِ بالمُثَقَّلِ ، وجرَى ذكرُ حديثِ الجاريةِ التى قتَلها اليهودىُّ ، فرَضَّ رأسَها بينَ حجَرَيْن ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بقتلِه[(١)] ، فقال الكاملُ : إنه لم يَعْتَرِفْ . فقال الشيخُ الفقيهُ : فى « صحيحِ مسلمٍ » : فاعترف . فقال الكاملُ : أنا اخْتَصَرْتُ « صحيحَ مسلمٍ » ، ولم أَجِدْ هذا فيه . [(٢)]فقال : بلى[(٢)] . فأرْسَل الكاملُ ، فأحْضَر خمسَ مجلداتِ اخْتِصارِه « لمسلم » ، فأخَذ الكاملُ مجلدًا ، والأشرفُ مجلدًا ، وعِمادُ الدينِ بنُ مُوسَك آخرَ ، [(٣)]والملكُ الصالحُ مجلدًا[(٣)] وأخَذ الشيخُ الفَقيهُ مجلدًا ، فأولَ ما فتَحه وجَد الحديثَ كما قال الشيخُ الفقيهُ ، فتعَجَّب الكاملُ مِن اسْتِحْضارِه وسُرْعةِ كشفِه ،

---

(١) أخرجه البخارى (٢٤١٣) ، ومسلم (١٦٧٢) كلاهما من حديث أنس بن مالك .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وهو الصواب ليكون عدد الأشخاص مناسبًا لعدد المجلدات .

وأراد أن يَأْخُذَه معه إلى الديارِ المصريةِ ، فأرْسَله الأشْرَفُ سريعًا إلى بَعْلَبَكَّ ، وقال للكاملِ : إنه لا يُؤْثِرُ ببَعْلَبَكَّ شيئًا . فأرْسَل له الكاملُ ذهبًا كثيرًا[1] . قال ولدُه قُطْبُ الدينِ[2] : كان والدى يَقْبَلُ بِرَّ الملوكِ ، ويَقولُ : أنا لى فى بيتِ المالِ أكثرُ مِن هذا . ولا يَقْبَلُ مِن الأمراءِ ولا مِن الوُزراءِ شيئًا إلا أن يَكونَ هدية مأكولٍ ونحوِه ، ويُرْسِلُ إليهم مِن ذلك ، فيَقْبَلونه على سبيلِ التَّبَرُّكِ والاسْتِشْفاءِ . وذَكَر أنه كثُر مالُه وأَثْرَى ، وصار له سَعَةٌ مِن المالِ كثيرةٌ ، وذُكِر له أن الأشرفَ كتَب له كتابًا بقريةِ يُونِين ، وأعطاه لمحْيى الدينِ بنِ الجوزىِّ ليَأْخُذَ عليه خطَّ الخليفةِ ، فلما شعَر والدى بذلك أخَذ الكتابَ ومزَّقه ، وقال : أنا فى غُنْيةٍ عن ذلك . قال : وكان والدى لا يَقْبَلُ شيئًا مِن الصدقةِ ، ويَزْعُمُ أنه مِن ذريةِ جعفرٍ الصادقِ بنِ محمدٍ الباقرِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضى اللَّهُ عنه . قال : وقد كان قبلَ ذلك فقيرًا لا شىءَ له . وكان للشيخِ عبدِ اللَّهِ زوجةٌ ، ولها ابنةٌ جميلةٌ ، وكان الشيخُ يقولُ لها : زَوِّجِيها مِن الشيخِ محمدٍ . فتقولُ : إنه فقيرٌ ، وأنا أُحِبُّ أن تَكونَ ابنتى سعيدةً . فيقولُ لها : كأنى أَنْظُرُ إليهما إياه وإياها فى دارٍ فيها بِرْكةٌ ، وله رزقٌ كثيرٌ ، والملوكُ يَتَرَدَّدون إلى زيارتِه . فزوَّجَتها منه ، فكان الأمرُ كذلك ، وكانت أُولَى زوجاتِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وكانت الملوكُ كلُّها تجىءُ مدينتَه ، ويُعظِّمونه جدًّا ؛ بنو العادلِ وغيرُهم ، وكذلك كان مَشايخُ الفقهاءِ كابنِ الصلاحِ ، وابنِ عبدِ السلامِ ، وابنِ الحاجبِ ، والحَصِيرىِّ ، وشمسِ الدينِ بنِ سَنِىِّ الدولةِ ، وابنِ الجَوْزىِّ ، وغيرِهم يُعَظِّمونه ويَرْجِعون [١٠/٦٣و] إلى قولِه لعلمِه وعملِه ودِيانتِه وأمانتِه .

---

(١) فى ذيل مرآة الزمان أنه امتنع من قبول الذهب .
(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤، ٤٥.

وقد ذُكِرَت له أحوالٌ ومُكاشَفاتٌ وكَراماتٌ كثيرةٌ ، قدَّس اللَّهُ رُوحَه ، وزعَم بعضُهم[1] أنه قُطْبٌ منذ ثنتَىْ عشْرةَ سنةً . فاللَّهُ أعلمُ . وذكَر الشيخُ الفَقيهُ قال : كنتُ عزَمْتُ مرةً على الرحلةِ إلى حَرَّانَ ، وكان قد بلَغَنى أن رجلًا بها يَعْلَمُ علمَ الفَرائضِ جيدًا ، فلما كانت الليلةُ التى أُرِيدُ من صبيحتِها أسافرُ جاءَتْنى رسالةُ الشيخِ عبدِ اللَّهِ اليُونِينىِّ يَعْزِمُ علىَّ إلى القدسِ الشريفِ ، وكأنى كرِهْتُ ذلك ، وفتَحْتُ المُصْحفَ ، فطلَع قولُه : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢١] . فخرَجْتُ معه إلى القدسِ ، فوجَدْتُ ذلك الرجلَ الحَرَّانىَّ بالقدسِ الشريفِ ، فأخَذْتُ عنه علمَ الفَرائضِ حتى خُيِّل لى أنى قد صِرْتُ أبْرَعَ فيه منه .

وقال الشيخُ أبو شامةَ[2] : كان رجلًا ضخمًا ، وحصَل له قَبولٌ كثيرٌ مِن الأمراءِ وغيرِهم ، وكان يَلْبَسُ قُبَّعًا ، صوفُه إلى خارجٍ ، كما كان شيخُه عبدُ اللَّهِ اليُونِينىُّ . قال : وقد صنَّف شيئًا فى المِعْراجِ ، فردَدْتُ عليه فى كتابٍ سمَّيْتُه « الواضحَ الجلىَّ فى الردِّ على الحنبلىِّ » . وذكَر ولدُه قُطْبُ الدينِ أنه مات فى التاسعَ عشَرَ مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ عن ثمانٍ وثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ خَليلِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ بدرٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ البَيْطارُ الأَكَّالُ[3] ، أصلُه مِن جبلِ بنى هِلالٍ ، ووُلِد بقصرِ حَجَّاجٍ ، وكان مُقيمًا بالشاغورِ ، وكان

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٦٦.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٧٢، والوافى بالوفيات ٣/ ٤٩.

فيه صلاحٌ ودينٌ وإيثارٌ للفقراءِ والمَحاويجِ والمَحابيسِ ، وكانت له حالٌ غريبةٌ ؛ لا يَأْكُلُ لأحدٍ شيئًا إلا بأُجْرةٍ ، وكان أهلُ البلدِ يَترامَوْن عليه ليَأْكُلَ لهم الأشْياءَ المُفْتَخَرةَ الطيبةَ ، فيَمتَنِعُ إلا بأُجْرةٍ جيدةٍ ، وكلما تمنَّع مِن ذلك حلا عندَ الناسِ ، وأَحَبُّوه ومالوا إليه ، فيأْتُونه بأشياءَ كثيرةٍ مِن الحَلاواتِ والشُّواءِ وغيرِ ذلك ، وأُجْرةٍ جيدةٍ مع ذلك ، وهذا غريبٌ جدًّا ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ورضِي عنه بمنِّه وكرمِه آمِينَ .

ثم دخلَت سنةُ تسعٍ وخمسين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] بيومِ الاثنينِ لأيامٍ خلَوْن مِن كانونَ الأولِ ، وليس للمسلمين خليفةٌ ، وصاحبُ مكةَ أبو نُمَىٍّ بنُ أبى سعدِ[2] بنِ علىٍّ بنِ قَتادةَ الحسَنىُّ ، وعمُّه إدريسُ بنُ علىٍّ شَريكُه ، وصاحبُ المدينةِ الأميرُ عِزُّ الدينِ جمَّازُ بنُ شِيحَةَ الحُسَينىُّ ، وصاحبُ الديارِ المصريةِ والشاميةِ[3] السلطانُ الملكُ الظاهرُ ركنُ الدينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدَارىُّ ، وشريكُه فى دمشقَ وبَعْلَبَكَّ والصُّبَيبةِ وبانِياسَ الأميرُ علمُ الدينِ سَنْجَرُ الحلبىُّ المُلَقَّبُ بالملكِ المجاهدِ ، وشَريكُه فى حلَبَ الأميرُ حُسامُ الدينِ لاجين[4] الجُوكَنْدَار[5] العَزيزىُّ ، والكَرَكُ والشَّوْبَكُ للملكِ المُغيثِ فتحِ الدينِ عمرَ ابنِ العادلِ سيفِ الدينِ أبى بكرِ بنِ الكاملِ محمدِ بنِ العادلِ الكبيرِ سيفِ الدينِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ . وحصْنُ صِهْيَونَ[6] وبَرْزَيَةَ[7] فى يدِ الأميرِ مُظَفَّرِ الدينِ عثمانَ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/٨٧ - ٨٩، وعقد الجمان ١/ ٢٨٧، ٢٨٨، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) فى الأصل، م: «سعيد». والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) يعنى معظم الشام كما فى ذيل مرآة الزمان، وسيذكر المصنف فيما يأتى بعض مناطق الشام - حماة وغيرها - لغير الملك الظاهر.

(٤) فى م: «لاشين».

(٥) فى م: «الجوكندارى». والجُوكَانْدار: لقبٌ على الذى يحمل الجوكان مع السلطان فى لعب الكرة، ويجمع على جُوكان داريَّة، وهو مركب من لفظتين فارسيتين، إحداهما جوكان، وهو المِحْجَن الذى تُضْرَب به الكُرَة، ويعبر عنه بالصَّوْلَجان أيضًا: والثانية: دار، ومعناه مُمْسِك. فيكون المعنى: ممسك الجوكان. والعامة تقول: جُكَندار. بحذف الواو بعد الجيم والألف بعد الكاف. انظر صبح الأعشى ٥/ ٤٥٨.

(٦) فى م: «جهيون». وصهيون: موضع معروف بالبيت المقدس، محلة فيها كنيسة صهيون، وصهيون أيضا: حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٣/ ٤٣٨.

(٧) فى الأصل: «باررنا»، وفى م: «بازريا». والمثبت من ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان. وبرزيه: =

ابنِ ناصرِ الدينِ مَنْكورس[1] ، وصاحبُ حَماةَ الملكُ المنصورُ بنُ تَقيِّ الدينِ محمودٍ ، وصاحبُ حِمْصَ الأشرفُ بنُ المنصورِ إبراهيمَ بنِ أسدِ الدينِ الناصرِ ، وصاحبُ المَوْصلِ الملكُ الصالحُ إسماعيلُ بنُ البدرِ لؤلؤٍ ، وأخوه الملكُ المُجاهِدُ صاحبُ جَزيرةِ ابنِ عمرَ ، وصاحبُ ماردِينَ الملكُ السعيدُ نَجْمُ الدينِ إيلِ غازى ابنُ أُرْتُق ، وصاحبُ بلادِ الرومِ رُكْنُ الدينِ قليج[2] أرسَلان بنُ كَيْخُسْرُو السَّلْجوقىُّ ، وشَريكُه فى الملكِ أخوه كَيْكاوُس والبلادُ بينَهما نصفين ، وسائرُ بلادِ المشرقِ من خُراسانَ والعراقِ بأيدى التَّتارِ أصحابِ هُولاكوقان ، وبلادُ اليمنِ يَمْلِكُها غيرُ واحدٍ مِن الملوكِ ، [١٠/٦٣ظ] وكذلك بلادُ[3] المغربِ ، فى كلِّ قُطْرٍ منها مَلِكٌ .

وفى هذه السنةِ[4] أغارت التَّتارُ على بلادِ حلَبَ ، (5) وانجفَل الناسُ وحَصَل لهم رعبٌ شديدٌ والتقى التَّتَرُ مع نائبِ حلبَ الأميرِ (5) حسامِ الدينِ الجُوكَنْدَار العَزيزىِّ ، والمنصورِ صاحبِ حَماةَ ، والأشْرَفِ صاحبِ حِمْصَ ، وكانت الوَقْعةُ عند[6] حمصَ قريبًا مِن قبرِ خالدِ بنِ الوليدِ ، والتَّتارُ فى ستةِ آلافٍ ، وإنما كان مع هؤلاء من المسلمين ألفٌ وأربعُمائةٍ ، فهزَمهم اللَّهُ تعالى ، وقتلوا أكثرَ التتارِ وللَّهِ

= حصن قرب السواحل الشامية على سنِّ جبل شاهق ، و « برزيه » نطق العامة - كما قال الحموى - ولعلَّ المصادر ذكرتْه لاشتهاره واسمها : « بزرويه » . انظر معجم البلدان ١/ ٥٦٥.

(١) فى الأصل ، م : « مكورس » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وعقد الجمان .

(٢) فى م : « فلج » .

(٣) بعده فى م : « الجوكندى » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢١١ ، ٢١٢ ، وذيل مرآة الزمان ٨٩/٢ - ٩١ ، ونهاية الأرب ٤٠/٣٠ - ٤٣ ، والعبر ٥/ ٢٥١ ، ٢٥٢ ، وعقد الجمان ٢٦٧/١ - ٢٧٠ .

(٥ - ٥) فى م : « فلقيهم صاحبها » .

(٦) فى م : « شمالى » .

الحمدُ ، فرجَع التتَّارُ إلى حلبَ ، فحصَروها أربعةَ أشهرٍ ، وضيَّقوا عليها الأقْواتَ ، وقتَلوا مِن الغُرباءِ خلقًا كثيرًا صبْرًا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، والجيوشُ الذين كسَروهم على حمصَ لم يَرْجِعوا إلى حَلَبَ ، بل ساقوا إلى الديارِ المصريةِ فتلَقَّاهم السلطانُ الملكُ الظاهرُ (١ في أُبَّهةِ السَّلْطنةِ ١) ، وأحْسَن إليهم ، وبقِيَت حلبُ مُحاصَرةً لا ناصرَ لها في هذه المدةِ ، ولكن سلَّم اللَّهُ سبحانَه وتعالى .

وفى يومِ الاثنينِ سابع صفرٍ[٢] ركِب الملكُ الظاهرُ في أُبَّهةِ المُلْكِ ، ومشَى الأمراءُ والأجْنادُ بينَ يديه ، وكان ذلك أولَ رُكوبِه ، واسْتَمَرَّ بعدَ ذلك يُتابِعُ الرُّكوبَ واللَّعِبَ بالكرةِ .

وفى (٣ الحادىَ عشَرَ من ٣) صفرٍ خرَج الأُمراءُ بدمشقَ[٤] على الأميرِ علَمِ الدينِ سَنْجَرَ الحلبيِّ ، فقاتَلوه فهزَموه ، وألجئوه إلى القلعةِ ، وحَصَروه فيها ، فهرَب منها إلى قلعةِ بَعْلَبَكَّ ، وتسَلَّم قلعةَ دمشقَ الأميرُ علاءُ الدينِ أَيْدِكِين البُنْدُقْدارىُّ ، وكان مملوكًا لجَمالِ الدينِ بنِ[٥] يَغْمُورٍ ، ثم للصالحِ أيوبَ بنِ الكاملِ ، وإليه يُنْسَبُ الملكُ الظاهرُ ، فأرْسَله السلطانُ ليَتَسَلَّمَ دمشقَ مِن الحَلَبىِّ عَلَمِ الدينِ سَنْجَرَ ، فأخَذها وسكَن القلعةَ بها نيابةً عن الملكِ الظاهرِ ، ثم حاصَروا الحَلَبىَّ ببَعْلَبَكَّ ، حتى أخرجوه منها على بَغْلٍ ، وأرسلوه إلى خدمةِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ ، فدخَل عليه ليلًا ، فعاتَبه ثم أطْلَق له أشْياءَ وأكْرَمه .

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩١، والسلوك ١/ ٤٤٣، ٤٤٤ (القسم الثانى) .

(٣ - ٣) فى م : « سابع عشر » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩١، ٩٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٨، ٣٩، وعقد الجمان ١/ ٢٩٠، ٢٩١ .

(٥) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ١/ ٩٤، والسلوك ١/ ٤٤٥ (القسم الثانى) .

وفى يومِ الاثنينِ ثامن ربيعِ الأولِ[1] اسْتَوْزَر الملكُ الظاهرُ بَهاءَ الدينِ عليَّ بنَ محمدٍ ، المعروفَ بابنِ الحِنَّا .

وفى ربيعِ الآخِرِ[2] قبَض الظاهرُ على جَماعةٍ مِن الأمراءِ بلَغه عنهم أنهم يُريدون الوُثوبَ عليه . وفيه أرْسَل إلى الشَّوْبَكِ[3] فتسَلَّمها مِن أيدى نُوَّابِ المُغيثِ صاحبِ الكَرَكِ .

وفيها جهَّز الظاهرُ جيشًا إلى حلَبَ[4] ليَطْرُدوا التَّتارَ عنها ، فلما وصَل الجيشُ إلى غَزَّةَ كتَب الفِرِنْجُ إلى التَّتارِ يُنْذِرونهم ، فرحَلوا عنها مُسْرِعين ، واسْتَوْلى على حلَبَ جَماعةٌ مِن أهلِها ، فصادَروا ونهَبوا وبلَغوا أغْراضَهم ، وقدِم إليها الجيشُ الظاهريُّ ، فأزالوا ذلك كلَّه ، وصادَروا بعضَ أهلِها بألفِ ألفٍ وستِّمائةِ ألفٍ ، ثم قدِم الأميرُ شمسُ الدينِ آقوشُ البَرْلى[5] مِن جهةِ الظاهرِ ، فاستولى على البلدِ واستحوذ عليها ، فقطَع ووصَل وحكَم [6] ولكن ما عدَل[6] .

وفى يومِ الثلاثاءِ عاشرِ جُمادَى الأولى[7] باشَر القَضاءَ بالديارِ المصريةِ العلّامةُ الشيخُ تاجُ الدينِ عبدُ الوَهَّابِ بنُ بنتِ القاضى الأعَزِّ أبى القاسمِ خلفِ بنِ

---

(1) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨، والسلوك ٤٤٧/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(2) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٢، ٩٣، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨، ١٩، والسلوك ٤٤٧/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١/ ٢٨٩.

(3) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٣، ونهاية الأرب ٣٠/ ٤٩.

(4) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٣، ٩٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ٤٢، ٤٣، وعقد الجمان ١/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(5) هنا وما سيأتى فى م : « التركى » .

(6 - 6) فى م : « وعدل » .

(7) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٩، والسلوك ٤٤٨/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١/ ٢٨٩.

القاضى رَشيدِ الدينِ[1] أبى الثَّناءِ محمودِ بنِ بدرِ العَلامىِّ[2] ، وذلك بعدَ شُروطٍ ذكَرها للظاهرِ شديدةٍ ، فدخَل تحتَها الملكُ الظاهرُ ، وعُزِل عن القَضاءِ بدرُ الدينِ أبو المَحاسِنِ يوسُفُ بنُ علىٍّ السِّنْجارىُّ ، ورُسِم عليه أيامًا ، ثم أُفْرِج عنه .

ذِكر البيعةِ بالخِلافةِ للمُسْتَنْصِرِ باللَّهِ أبى القاسمِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين الظاهرِ[3] بأمرِ اللَّهِ أبى نصرٍ محمدِ بنِ أميرِ المؤمنين الناصرِ لدينِ اللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ العباسىّ وهو عمُّ المستعصمِ[3]

وكان مُعْتَقَلًا ببغدادَ ثم أُطْلِق ، فكان مع جَماعةِ الأعرابِ بالعراقِ ، [١٠/ ٦٤و] ثم قصَد الظاهرَ حينَ بلَغه مُلْكُه ، فقدِم مصرَ صُحبَةَ جَماعةٍ مِن أمراءِ الأعرابِ عشرةٍ ، منهم الأميرُ ناصرُ الدينِ مُهَنَّا ، وكان دخولُه إلى القاهرةِ فى ثامنِ رجبٍ ، فخرَج السلطانُ ومعه الوزيرُ[4] و[5] القاضى تاجُ الدينِ[4] والشهودُ والمُؤَذِّنون فتلَقَّوْه ، وكان يومًا مشهودًا ، وخرَج أهلُ التَّوْراةِ بتَوْراتِهم ، والنَّصارَى بإنْجيلِهم ، ودخَل مِن بابِ النصرِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، ولِلَّهِ الحمدُ والمنةُ ، فلما كان يومُ الاثنينِ ثالثَ عشَرَ رجبٍ جلَس السلطانُ والخليفةُ فى الإيوانِ بقلعةِ الجبلِ ، والوزيرُ والقاضى والأُمراءُ على طَبَقاتِهم ، وأُثْبِت نسبُ الخليفةِ المذكورِ على

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « بن » . والمثبت كما فى ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان .

(٢) فى م : « العلائى » .

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ذيل مرآة الزمان ٩٤/٢ - ٩٨، والسلوك ٤٤٨/١ - ٤٥١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢٩٣/١ - ٢٩٧.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سقط من : الأصل . والمثبت من مصادر التخريج .

الحاكمِ تاجِ الدينِ عبدِ الوهابِ بنِ بنت الأعَزِّ .

وهذا الخليفةُ هو أخو المُسْتَنْصِرِ بانى المُسْتَنْصِريةِ[1] ، وعمُّ المُسْتَعْصِمِ[2] ، بُويع بالخِلافةِ بمصرَ ، بايَعه الملكُ الظاهرُ والقاضى والوزيرُ والأمراءُ ، وركِب فى دَسْتِ الخِلافةِ بديارِ مصرَ والأُمراءُ بينَ يديه ، والناسُ حولَه ، وشقَّ القاهرةَ ، وكان يومًا مشهودًا ، وذلك فى الثالثَ عشَرَ من رجبٍ من هذه السنةِ ، وهذا الخليفةُ هو الثامنُ والثلاثون مِن خُلفاءِ بنى العباسِ ، بينَه وبينَ العباسِ أربعةٌ وعشرون أبًا ، وكان أولَ مَن بايَعه يومئذٍ القاضى تاجُ الدينِ عندما ثبت عنده نسبُه ، ثم السلطانُ الملكُ الظاهرُ ثم الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ والأُمراءُ والدولةُ ، ولله الحمدُ والمنةُ ، وخُطِب له على المَنابرِ ، وضُرِب اسمُه على السِّكَّةِ ، وكان مَنْصِبُ الخِلافةِ شاغِرًا منذُ ثلاثِ سنينَ ونصفٍ ؛ لأن المُسْتَعْصِمَ قُتِل فى أولِ سنةِ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ ، وبُويع هذا فى يومِ الاثنينِ فى الثالثَ عشَرَ من رجبٍ مِن هذه السنةِ - أعْنى سنةَ تسعٍ وخمسين وستِّمائةٍ - وكان أسمرَ وَسيمًا ، شديدَ القُوَى ، عالىَ الهِمَّةِ ، له شَجاعةٌ وإقْدامٌ ، وقد لقَّبوه بالمُسْتَنْصِرِ كما كان أخوه بانى المدرسةِ ببغدادَ تلقَّب ، وهذا أمْرٌ لم يُسْبَقْ إليه ؛ أن خليفتَيْن أخوين يُلَقَّبُ كلٌّ منهما بالآخَرِ ، وقد ولِى الخلافةَ أخوان كهذين ؛ السَّفَّاحُ وأخوه المنصورُ وَلَدا[3] محمدِ ابنِ علىٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ ، والهادى والرشيدُ [4]ابنا[5] المهدِىِّ بنِ المنصورِ ، والواثقُ والمتوكلُ ابنا المعتصمِ بنِ الرشيدِ[4] ، والمُسْتَرْشِدُ والمُقْتَفِى وَلَدا المُسْتَظْهِرِ ،

---

(١) فى الأصل : « المدرسة » . وهى المدرسة المستنصرية ببغداد ، كما سيشير لذلك المصنف قريبًا .

(٢) فى الأصل : « المستنصر » .

(٣) فى الأصل ، م : « وكذا » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل : « وكذلك » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان .

وأما ثلاثةٌ ؛ فالأمينُ والمأمونُ والمُعْتَصِمُ[(١)] أولادُ الرَّشيدِ ، والمُنْتَصِرُ[(٢)] والمُعْتَزُّ و[(٣)]المُعْتَمِدُ أولادُ المُتَوَكِّلِ[(٣)] ، وأما أربعةٌ فأولادُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ؛ الوليدُ وسليمانُ ويزيدُ وهشامٌ .

[(٤)]وقد وَلِيَ هذا الخلافةَ بعد ابنِ أخيه المستعصمِ بنِ المستنصرِ ، ولم يكنْ هذا قبلَه إلَّا[(٥)] فى خلافةِ المقتفِى بنِ المستظهرِ ؛ فإنه وَلِيَها بعد ابن أخيه الراشدِ [(٦)]بنِ المسترشدِ[(٦)] بنِ المستظهرِ ، واللَّه أعلمُ[(٤)] وكانت مدةُ خِلافتِه إلى أن فُقِد - كما سيأتى بيانُه - خمسةَ أشهرٍ وعشرين يومًا ، وكان أقْصَرَ مدةً مِن جميعِ خلفاءِ بنى العباسِ .

وأما بنو أميةَ فكانت مدةُ خلافةِ مُعاويةَ بنِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ أربعين يومًا ، وإبراهيمَ بنِ الوليدِ[(٧)] سبْعين يومًا ، وأخيه يزيدَ بنِ الوليدِ [١٠/٦٤ظ] خمسةَ أشهرٍ . وكانت مدةُ خلافةِ الحسنِ بنِ عليٍّ بعدَ أبيه سبعةَ أشهرٍ وأحدَ عشَرَ يومًا ، [(٨)]وكانت مدةُ مَرْوانَ بنِ الحكمِ تسعةَ أشهرٍ وعشَرةَ أيامٍ[(٨)] ، وقد كان فى خُلفاءِ بنى العباسِ مَن لم يَسْتَكمِلْ سنةً ؛ منهم المُنْتَصِرُ بنُ المُتَوَكِّلِ ستةَ أشهرٍ ، والمُهْتَدِى بنُ الواثقِ أحدَ عشَرَ شهرًا وأيامًا .

---

(١) فى الأصل : « المستعصم » .

(٢) فى ذيل مرآة الزمان : « المستنصر » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤١.

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « المطيع أولاد المقتدر » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان . وانظر المصدر السابق .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سقط من : الأصل . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٦١، ٥٦٨، ٥٦٩.

(٦ - ٦) سقط من : ذيل مرآة الزمان . وانظر المصدر السابق .

(٧) فى الأصل : « الوليد الناقص » ، وفى م : « يزيد الناقص » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان . ويزيد الناقص هو أخوه الذى ذكره المصنف بعده مباشرة .

(٨ - ٨) زيادة من : الأصل ، م . ليست فى ذيل مرآة الزمان .

وقد أُنْزِل الخليفةُ المستنصرُ هذا بقلعةِ الجبلِ فى بُرْجٍ هو وحَشَمُه وخَدَمُه ، فلما كان يومُ سابعَ عشرَ رجبٍ ركِب فى أبَّهةِ السَّوادِ ، وجاء إلى الجامعِ بالقلعةِ ، فصعِد المنبرَ ، وخطَب الناسَ خُطْبةً ذكَر فيها شرفَ بنى العباسِ ، ثم اسْتَفْتَح ، فقرَأ صدرًا مِن « سورةِ الأنعامِ » ، ثم صلَّى على النبىِّ ﷺ ، وترَضَّى عن الصحابةِ ، ودعا للسلطانِ الظاهرِ ، ثم نزَل فصلَّى بالناسِ ، فاسْتَحْسَنوا ذلك منه ، وكان وقتًا حسنًا ويومًا مشهودًا .

توليةُ الخليفةِ المُسْتَنْصِرِ باللّهِ المَلِكَ الظاهرَ السَّلْطنةَ[1]

لما كان يومُ الاثنينِ الرابعُ مِن شعبانَ ركِب الخليفةُ والسلطانُ والوزيرُ والقُضاةُ والأمراءُ وأهلُ الحَلِّ والعَقْدِ إلى خَيْمةٍ عظيمةٍ قد ضُرِبَت ظاهرَ القاهرةِ ، فألْبَس الخليفةُ السلطانَ بيدِه خِلْعةً سوداءَ ، وطَوْقًا فى عنقِه ، وقيْدًا فى رجلَيه ، وهما مِن ذهبٍ ، وصعِد فخرُ الدينِ إبراهيمُ بنُ لُقْمانَ رئيسُ الكُتَّابِ مِنْبرًا ، فقرَأ عليه تَقْليدَ السلطانِ ، وهو مِن إنشائِه وبخطِّه نفسِه ، ثم ركِب السلطانُ بهذه الأُبَّهةِ ، والقَيْدُ فى رجليه ، والطَّوْقُ فى عنقِه ، والوزيرُ بينَ يديه ، وعلى رأسِه التَّقْليدُ ، والأُمراءُ والدولةُ فى خدمتِه مُشاةً سوى الوزيرِ ، فشقَّ القاهرةَ ، وقد زُيِّنَت له ، وكان يومًا مشهودًا يَقصُرُ اللسانُ عن وصفِه ، وقد ذكَر الشيخُ قُطْبُ الدينِ هذا التَّقْليدَ بتمامِه ، وهو مُطَوَّلٌ .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٨، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٠، والسلوك ١/ ٤٥٢ - ٤٥٧ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/ ٢٩٦ - ٣٠٨.

ذكرُ تجهيزِ الخليفةِ قاصدًا إلى بغدادَ[(١)]

ثم إن الخليفةَ طلَب من السلطانِ أن يُجَهِّزَه إلى بغدادَ ، فرتَّب له جندًا هائلةً ، وأقام له من كلٍّ ما ينبغى للملوكِ والخلفاءِ من الحشَمِ والخدمِ والطبلخاناه[(٢)] وغيرِ ذلك ، ثم سار السلطانُ صُحْبتَه قاصِدِين دمشقَ المحروسةَ ، وكان سببَ خروجِ السلطانِ إلى الشامِ أن البُرْلى ، كما تقدَّم ، كان قد اسْتَحْوَذ على حلَبَ ، فأرْسَل إليه الظاهرُ الأميرَ عَلَمَ الدينِ سَنْجَرَ الحلبىَّ الذى كان قد تغَلَّب على دمشقَ ، فطرَده عن حلبَ ، وتسَلَّمها منه ، وأقام بها نائبًا عن السلطانِ ، ثم لم يَزَلِ البُرْلى حتى اسْتَعادها منه ، وأخْرَجه منها هاربًا واستولى عليها كما كان ، فاسْتَناب الظاهرُ على مصرَ عِزَّ الدينِ أَيْدَمُرَ الحِلِّىِّ[(٣)] ، وجعَل تَدْبيرَ المملكةِ إلى الوزيرِ بَهاءِ الدينِ بنِ الحِنَّا ، واستَصحب ولدَه فخرَ الدينِ بنَ الحِنَّا وزيرَ الصحبةِ .

وجعَل تدبيرَ العَساكرِ والجُيوشِ إلى الأميرِ بدرِ الدينِ بِيلِيك الخازندار[(٤)] ، ثم كان دخولُ السلطانِ صحبةَ الخليفةِ إلى دمشقَ فى يومِ الاثنين سابعِ ذى القَعْدةِ ، وكان يومًا مشهودًا ، وصلَّيا الجمعةَ بجامعِ دمشقَ ، [١٠/٦٥و] وكان دُخولُ الخليفةِ مِن بابِ البَريدِ ، ودخَل السلطانُ مِن بابِ الزيادةِ[(٥)] ، وكان يومًا مشهودًا

(١) كنز الدرر ٨/ ٧٩، وعقد الجمان ١/ ٣١٠.

(٢) الطبلخاناه : طبول متعددة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تُدَقُّ فى كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الطلب فى الأسفار والحروب وهى من الآلات العامة لجميع الملوك . صبح الأعشى ٤/ ٨.

(٣) فى م : « الحلبى » .

(٤) ذكره ابن العماد فى الشذرات ٧/ ٥٦ بوظيفة جاشنكير .

(٥) فى م : « الزيارة » .

أيضًا ، ثم جهَّز السلطانُ الخليفةَ وأَصْحَبه[1] أولادَ صاحبِ الموصلِ ، وأنْفَق عليه وعليهم وعلى مَن اسْتَقَلَّ معه مِن الجيشِ - الذين يَرُدُّون عنه ما لم يُقَدِّرِ اللَّهُ - مِن الذهبِ[2] العينِ ألفَ ألفِ دينارٍ[2] ، وأطْلَق له وزاده ، فجزاه اللَّهُ خيرًا ، وقدِم إليه صاحبُ حمصَ الملكُ الأشرفُ ، فخلَع عليه ، وأطْلَق له ، وزاده تَلَّ باشِرٍ ، وقدِم صاحبُ حَماةَ المنصورُ ، فخلَع عليه ، وأطْلَق له ، وكتَب له تَقْليدًا ببلادِه ، ثم جهَّز جيشًا صُحْبةَ الأميرِ عَلاءِ الدينِ البُنْدُقْداريِّ إلى حلبَ لمحُارَبةِ البُرْلِيِّ المُتَغَلِّبِ عليها المُفْسِدِ فيها ، وقد أقام البُرْلِيُّ بحَلَبَ خليفةً آخرَ لقَّبه بالحاكمِ ، فلمَّا اجْتاز به المُسْتَنْصِرُ سار معه إلى العراقِ ، واتَّفَقا على المَصْلَحةِ وإنْفاذِ الحاكمِ للمُسْتَنْصِرِ ؛ لكونِه أكبرَ منه ، وللَّهِ الحمدُ . لكن خرَج عليهما فى آخرِ السنةِ طائفةٌ مِن التَّتارِ ، ففرَّقوا شمْلَهما ، وقتَلوا خلقًا ممَّن كان معهما ، وعُدِم المُسْتَنْصِرُ ، وهرَب الحاكمُ مع الأعْرابِ . فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وقد كان المُسْتَنْصِرُ هذا فتَح بُلْدانًا كثيرةً فى مَسِيرِه إلى العراقِ ، ولما قاتَله بَهادرُ عليٌّ شِحْنةُ بغدادَ كسَره المُسْتَنْصِرُ ، وقتَلَ أكثرَ أصحابِه ، ولكن خرَج كَمينٌ مِن التَّتارِ ، فهرَب العُرْبانُ والأكْرادُ الذين كانوا مع المُسْتَنْصِرِ ، وثبَت هو فى طائفةٍ ممَّن كان معه مِن التركِ ، فقُتِل كثيرٌ منهم أو أكثرُهم ، وفُقِد هو مِن البَيْنِ ، ونجا الحاكمُ فى طائفةٍ ، وكان هذا فى أولِ المحرمِ مِن سنةِ ستين وستِّمائةٍ ، رحِمه اللَّهُ وأكْرَم مَثْواه . وهذا هو الذى أشْبَه الحسينَ بنَ عليٍّ فى تَوَغُّلِه فى أرضِ العراقِ مع كثرةِ جنودِها ، وكان الأَوْلَى لهذا أن يَسْتَقِرَّ فى بلادِ الإسلامِ حتى تَتَمَهَّدَ الأمورُ وتَصْفُوَ الأحْوالُ ، ولكن قدَّر اللَّهُ وما شاء فعَل .

---

(١) فى م : «إلى بغداد ومعه» .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

وجهَّز السلطانُ الملكُ الظاهرُ جيشًا آخَرَ مِن دمشقَ إلى بلادِ الفِرِنْجِ ، فأغاروا وقتَلوا ، وسبَوْا ورجَعوا سالمين ، وطلَبَت الفِرِنْجُ مِن السلطانِ الصلحَ ، فصالَحهم مدةً لاشْتغالِه بحلبَ وأعمالِها ، وكان قد عزَل فى شوالٍ عن قَضاءِ مصرَ وحدَها تاجَ الدينِ عبدَ الوهَّابِ ابنَ بنتِ الأعَزِّ ، وولَّى عليها بُرْهانَ الدينِ الخَضِرَ بنَ الحسنِ السِّنْجاريَّ ، وعزَل قاضىَ دمشقَ نجمَ الدينِ أبا بكرِ بنَ صَدْرِ الدينِ أحمدَ ابنِ شمسِ الدينِ يَحْيَى بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ سَنِيِّ الدولةِ ، وولَّى قاضىَ القُضاةِ شمسَ الدينِ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أبى بكرِ بنِ خَلِّكانَ ، وقد ناب فى الحكمِ بالقاهرةِ مدةً طويلةً عن بدرِ الدينِ السِّنْجاريِّ ، فأضاف إليه مع القَضاءِ نظَرَ الأَوْقافِ والجامعِ والمارَسْتانِ وتَدْريسَ سبعِ مَدارسَ ؛ العادليةِ والناصريةِ والعذراويةِ والفَلَكيةِ والرُّكْنيةِ والإقباليةِ والبَهنسِيَّةِ ، وقُرِئَ تَقْليدُه يومَ عرفةَ يومَ الجمعةِ بعدَ الصلاةِ بالشُّبَّاكِ الكَماليِّ مِن جامعِ دمشقَ ، وسافَر القاضى المَعْزولُ مرسَّمًا عليه ، وقد تكَلَّم فيه الشيخُ أبو شامةَ ، وذكَر أنه خان فى وديعةِ ذهبٍ جعَلها فُلوسًا[1] ، فاللَّهُ أعلم . وكانت مدةُ وِلايتِه سنةً وأشهرًا ، وفى يومِ العيدِ يومِ السبتِ سافَر السلطانُ بالعَساكرِ المنصورةِ راجعًا إلى الديارِ المصريةِ ، وقد كان رسولُ الإسماعيليةِ قدِم على السلطانِ بدمشقَ يَتَهَدَّدُه ويَتَوَعَّدُه ويَطْلُبون منه إقْطاعاتٍ كثيرةً ، فلم يَزَلْ يُوقِعُ بينَهم حتى اسْتَأْصَل شَأْفَتَهم [١٠/٦٥ظ] واسْتَوْلَى على بلادِهم ، نصَره اللَّهُ تعالى ، ومكَّن به فى البلادِ ، ونصَر به عبادَه المؤمنين ، آمين .

وفيها فى السادسِ والعشرين مِن ربيعٍ الأولِ عُمِل عَزاءُ السلطانِ الملكِ الناصرِ

---

(١) انظر الذيل على الروضتين ص ٢١٤.

صلاحِ الدينِ يوسُفَ بنِ (١العزيز محمدِ بنِ الظاهرِ غازِى بنِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ١) أيوبَ بنِ شادى فاتحِ بيتِ المقدسِ ، وكان عُمِل هذا العَزاءُ بقلعةِ الجبلِ مِن الديارِ المصريةِ بأمرِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ رُكْنِ الدينِ بَيْبَرْسَ ، وذلك لما بلَغهم أن هُولَاكُو مَلِكَ التتارِ قتَله ، وقد كان فى قَبْضتِه[٢] ، كما تقدم ذكرُه ، فلما بلَغه كَسْرُه أصحابَه بعينِ جالوتَ طلَبه إلى بينِ يديه ، وقال له : أنت أرْسَلْتَ الجُيوشَ إلى الديارِ المصريةِ حتى اقْتَتَلوا مع المَغُولِ ، فكسَروهم . ثم أمَر بقتلِه ، ويقالُ : إنه اعْتَذَر إليه ، وذكَر أن المصريين كانوا أعْداءَه ، وبينَه وبينَهم شَنَآنٌ وقِتالٌ ، فأقاله ولكنه انْحَطَّت رُتبتُه عندَه ، وقد كان مُكَرَّمًا فى خدمتِه ، وقد وعَده أنه إذا ملَك الديارَ المصريةَ اسْتَنابه فى الشامِ ، فلما كانت وَقْعةُ حِمْصَ فى هذه السنةِ ، وقُتِل فيها أصحابُ هولاكو مع مُقَدَّمِهم بَيْدَرَةَ غضِب وقال له : أصحابُك مِن العزيزيةِ أُمراءِ أَبيك والناصريةُ مِن أصحابِك قتَلوا أصحابَنا . ثم أمَر بقتلِه ، وقد ذُكر أنه رماه بالنُّشَّابِ وهو واقفٌ بينَ يديه ، وهو يَسْأَلُ العَفْوَ ، فلم يَفْعَلْ حتى قتَله وقتَل أخاه شقيقَه الملكَ الظاهرَ عليًّا ، وأطْلَق ولَدَيْهما العزيزَ محمدَ ابنَ الناصرِ وزبالةَ بنَ الظاهرِ ، وكانا صغيرين مِن أحسنِ أشْكالِ بنى آدمَ ، فأما العزيزُ فإنه مات هنالك فى أسْرِ التَّتارِ ، وأما زبالةُ فإنه صار إلى الديارِ المصريةِ ، فكان أحسنَ مَن بها ، وكانت أمُّه أمَّ ولدٍ يقالُ لها : وجهُ القمرِ . فتزَوَّجها بعضُ الأمراءِ بعدَ أستاذِها المذكورِ .

ويقالُ : إن هولاكو لما أراد قتلَ الناصرِ أمَر بأربعٍ مِن الشجرِ مُتَباعداتٍ ، فجُمِعَت رءوسُها بحبالٍ ، ثم رُبِط الناصرُ فى الأربعِ بأربعتِه ، ثم أُطْلِقَت الحبالُ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) بعده فى م : « منذ مدة » .

فرجَعَت كلٌّ واحدةٍ إلى مركزِها بعضوٍ مِن أعضاءِ الناصرِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقد قيل : إن ذلك كان فى الخامسِ والعشرين مِن شوالٍ سنةَ ثمانٍ وخمسين ، وكان مولدُه فى سنةِ سبعٍ وعشرين بحلبَ ، ولما تُوُفِّى أبوه فى سنةِ أربعٍ وثلاثين بُويع بالسَّلْطنةِ بحلبَ ، وعمرُه سبعُ سنينَ ، وقام بتَدْبيرِ مملكتِه جماعةٌ مِن مَماليكِ أبيه العزيزِ ، وكان الأمرُ كلُّه عن رأيِ جدَّتِه أمِّ أبيه صبغةَ خاتون بنتِ الملكِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، فلما تُوُفِّيَت فى سنةِ أربعين وستِّمائةٍ اسْتَقَلَّ الناصرُ بالمُلْكِ ، وكان جيدَ السِّيرةِ فى الرَّعايا مُحَبَّبًا إليهم ، كثيرَ النَّفقاتِ ، ولا سيَّما لمَّا ملَك دمشقَ مع حلبَ وأعمالِها وبَعْلَبَكَّ وحَرَّانَ وطائفةٍ كثيرةٍ مِن بلادِ الجزيرةِ ، فيقالُ : إن سِماطَه كان كلَّ يومٍ يَشْتَمِلُ على أربعِمائةِ رأسِ غنمٍ سوى الدَّجاجِ والإوَزِّ وأنواعِ الطيرِ مطبوخًا بأنواعِ الأطعمةِ والقلويات ، وكان مَجموعُ ما يَغْرَمُ على السِّماطِ فى كلِّ يومٍ عشرين ألفًا ، وعامَّتُه يَخْرُجُ مِن بينِ يديه كما هو كأنه لم يُؤْكَلْ منه شىءٌ ، فيُباعُ على بابِ القلعةِ بأرْخَصِ الأثْمانِ حتى إن كثيرًا مِن أهلِ البيوتاتِ لا يَطْبُخون فى بيوتِهم شيئًا مِن الطُّرَفِ والأطعمةِ بل يَشْترون ذلك برُخْصٍ ، وكانت الأرزاقُ كثيرةً دارَّةً فى زمانِه وأيامِه ، وقد كان خَليعًا ظَريفًا حسنَ الشكلِ ، أدِيبًا يقولُ الشعرَ المُتوسطَ ، القويَّ بالنسبةِ إليه [١٠/٦٦و] وقد أوْرَد له الشيخُ قُطْبُ الدينِ فى « الذَّيْلِ » قطعةً صالحةً مِن شعرِه ، وهى رائقةٌ لائقةٌ ، قُتِل ببلادِ المشرقِ ، ودُفِن هنالك وقد كان أعَدَّ له تربةً برِباطِه الذى بناه بسفحِ قاسِيونَ ، فلم يُقَدَّرْ دفنُه بها ، والناصريةُ البَرَّانيةُ بالسفحِ مِن أغربِ الأبنيةِ وأحسنِها بنيانًا من الموكدِ المُحْكَمِ قبليَّ جامعِ الأفرمِ ، وقد بُنِيَ بعدَها بمدةٍ طويلةٍ وكذلك الناصريةُ الجَوَّانيةُ التى بناها داخلَ بابِ الفراديسِ هى مِن أحسنِ المدارسِ ، وبنَى الخانَ الكبيرَ تُجاهَ الزنجاريِّ وحُوِّلَت إليه دارُ الطعمِ ، وقد كانت قبلَ ذلك غربيَّ

القلعةِ فى إصْطَبْلِ السلطانِ اليومَ . رحمه اللَّهُ .

وهذا كلٌّ ما بَلغَنا مِن وَقائعِ هذه السنةِ مُلَخَّصًا .

ثم دخلت سنةُ ستين وستّمائةٍ[1]

فى أوائلِ هذه السنةِ فى ثالثِ المحَرَّمِ قُتِل الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ باللَّهِ الذى بُويع له فى رجبٍ فى السنةِ الماضيةِ بمصرَ، وكان قتْلُه بأرضِ العراقِ، كما ذكَرنا بعدَ ما هُزِم مَن كان معه مِن الجُنودِ والجيشِ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون، واسْتَقَلَّ المَلِكُ الظاهرُ بجميعِ الشامِ [2]ومصرَ[2]، وصفَت له الأمورُ، ولم يَبْقَ له مُنازِعٌ سوى البُرْلِيِّ[3]، فإنه [4]قد استحوَذ على البيرةِ[4]، وعصى عليه هنالك.

وفى اليومِ الثالثِ مِن المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ خلَع السلطانُ الملكُ الظاهرُ بِبلادِ مصرَ على جميعِ الأمراءِ والحاشيةِ وعلى الوزيرِ والقاضى تاجِ الدينِ [5]ابنِ بنتِ الأعزِّ[5]، وعزَل عنها بُرْهانَ الدينِ السِّنْجارىَّ.

وفى أواخِرِ[6] المحرمِ أعْرَس الأميرُ بدرُ الدينِ بِيلِيك الخَزَنْدارُ على بنتِ الأميرِ لؤلؤ صاحبِ الموصلِ، واحْتَفل الظاهرُ بهذا العُرْسِ احْتِفالًا بالِغًا.

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٦ - ٢٢١، وذيل مرآة الزمان ٤٨٣/١ - ٥٢٩، ١٥١/٢ - ١٨٦، ونهاية الأرب ٥٣/٣٠ - ٧٧، وكنز الدرر ٨٦/٨ - ٩٣، والعبر ٢٥٨/٥ - ٢٦٢، وعقد الجمان ٣٢٧/١ - ٣٤٤.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى م: «التركى».

(٤ - ٤) فى م: «فإنه ذهب إلى المنيرة فاستحوذ عليها».

(٥ - ٥) ليست فى: الأصل.

(٦) فى الأصل: «أوائل». وانظر نهاية الأرب ٥٣/٣٠ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[١] : وفى هذه السنةِ اصْطاد بعضُ أمراءِ الظاهرِ بجَرُودَ[٢] حمارَ وَحْشٍ ، فطبَخوه فلم يَنْضَجْ ولا أثَّر فيه كثرةُ الوَقودِ ، ثم افْتَقَدوا أمرَه[٣] ، فإذا هو موسومٌ على أذنِه : بَهْرام جُور . قال : وقد أحْضَروه إليَّ ، فقرَأْتُه كذلك ، وهذا يَقْتَضِى أن لهذا الحمارِ قريبًا مِن ثمانِمائةِ سنةٍ ، فإن بَهْرام جُور كان قبلَ المَبْعثِ بمدةٍ مُتَطاولةٍ ، وحُمُرُ الوَحْشِ تَعِيشُ دَهْرًا طويلًا .

قلتُ : يَحْتَمِلُ أن يكونَ هذا بَهْرام شاه الملكَ الأمْجَدَ[٤] ، إذ يَبْعُدُ بَقاءُ مثلِ هذا بلا اصْطِيادٍ هذه المدةَ الطويلةَ ، ويكونُ الكاتبُ قد أخْطَأ ، فأراد كتابةَ : بَهْرام شاه . فكتَب بَهْرام جُور ، فحصَل اللَّبْسُ مِن هذا[٥] . واللَّهُ أعلمُ .

ذكرُ بَيْعةِ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ العباسىِّ

فى السابعِ والعشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ دخَل الخليفةُ أبو العباسِ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أحمدُ بنُ الأميرِ أبى علىٍّ القُبِّىِّ بنِ الأميرِ علىِّ بنِ الأميرِ أبى بكرِ بنِ الإمامِ المُسْتَرْشِدِ باللَّهِ بنِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ مِن بلادِ الشرقِ ، وصُحْبتُه

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٣٥٤.

(٢) فى الأصل : « لبرود » ، وفى م : « بحدود حماة » . والمثبت من وفيات الأعيان . وجرود : قرية من أعمال دمشق من جهة حمص . انظر المصدر السابق ، وعقد الجمان ١/ ٣٣٤ .

(٣) فى م : « جلده » .

(٤) وهو الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه ابن نائب دمشق فَرُّخشاه ، المتوفَّى سنة ثمان وعشرين وستمائة . انظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٠.

(٥) بعده فى الأصل : « هذا بعيد جدا » . قال البدر العينى فى عقد الجمان ١/ ٣٣٥: قلت : كلام ابن كثير بعيد فأيش يحتاج إلى هذه التأويلات البعيدة ، ولا ضرورة إليها ، فإن عيش الحمر الوحشية هذه المدة غير بعيد ، وعدم وقوعها فى الصيد غير بعيد ، وأيضا فإن المواسم التى يسمون بها آذان الحيوان بأسماء الملوك مقررة عندهم مكتوبة صحيحة حتى لايقع الاشتباه ، فكيف يلتبس بهرام شاه ببهرام جور؟

جَماعةٌ من رُءوسِ تلك البلادِ ، وقد شهِد الوَقْعةَ صُحْبةَ المُسْتَنْصِرِ ، وهرَب هو فى جماعةٍ مِن المعركةِ فسلِم ، فلما كان يومُ دُخولِه تلَقَّاه السلطانُ الملكُ الظاهرُ ، وأظْهَر السُّرورَ والاحتِفالَ ، وأنزَله فى البُرْجِ الكبيرِ مِن قلعةِ الجبلِ ، وأَجْرى عليه الأَرْزاقَ الدارَّةَ والإحسانَ .

وفى ربيعِ الآخِرِ[1] عزَل الملكُ الظاهرُ الأميرَ جمالَ الدينِ آقوش النَّجِيبىَّ عن أسْتاذداريتِه ، واسْتَبْدَل به غيرَه ، وبعدَ ذلك أَرْسَله نائبًا على الشامِ كما سيأتى .

وفى يومِ الثلاثاءِ[2] تاسعِ رجبٍ حضَر السلطانُ الظاهرُ إلى دارِ العَدْلِ فى مُحاكمةٍ فى بئرٍ إلى [3]بينِ يدَيِ[3] القاضى تاجِ الدينِ عبدِ الوَهَّابِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ ، فقام الناسُ إلا القاضى ، فإنه أشار عليه أن لا يقومَ ، وتَداعَيا ، وكان الحقُّ مع السلطانِ ، وله بَيِّنةٌ عادلةٌ ، فانتُزِعتِ البئرُ مِن يدِ الغَريمِ ، وكان أحدَ الأمراءِ .

وفى شوالٍ[4] اسْتَناب السلطانُ الملكُ الظاهرُ على حلَبَ الأميرَ علاءَ الدينِ أَيْدِكِين الشِّهابىَّ ، وحينَئذٍ [١٠/٦٦ظ] انحاز عَسكرُ سِيس على الفُوعَةِ[5] مِن أرضِ حلبَ ، فركِب إليهم الشِّهابىُّ ، فكسَرهم وأسَر منهم جَماعةً ، فسيَّرهم إلى مصرَ فوُسِّطوا[6] .

---

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥٣.

(٢) انظر المصدر السابق ١/ ٤٨٨، ٢/ ١٥٣.

(٣ - ٣) فى م: «بيت».

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥٥، وكنز الدرر ٨/ ٩٠.

(٥) فى الأصل: «القرعة»، وفى م: «القلعة». والمثبت من المصدرين السابقين. وانظر معجم البلدان ٣/ ٩٢٣.

(٦) فى م: «فقتلوا»، وهما بمعنى. وانظر الوسيط (و س ط).

وفيها[1] اسْتَناب السلطانُ على دمشقَ الأميرَ جمالَ الدينِ آقوشَ النَّجِيبيَّ ، وكان مِن أكابرِ الأمراءِ ، وعزَل عنها علاءَ الدينِ طَيْبَرْسَ الوَزيريَّ ، وحُمِل إلى القاهرةِ .

وفي ذي القَعْدةِ[2] خرَج مَرْسومُ السلطانِ إلى القاضي تاجِ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ أن يَسْتَنِيبَ مِن كلِّ مَذْهَبٍ مِن المَذاهِبِ الثلاثةِ نائبًا ، فاسْتَناب صَدْرَ الدينِ سليمانَ الحَنَفيَّ ، والشيخَ شمسَ الدينِ محمدَ بنَ الشيخِ العمادِ الحنبليَّ ، وشرفَ الدينِ عمرَ السُّبْكيَّ المالكيَّ .

وفي ذي الحِجَّةِ[3] قدِمَت وفودٌ كثيرةٌ مِن التَّتارِ على الملكِ الظاهرِ مُسْتَأْمِنِين ، فأكْرَمَهم وأحْسَن إليهم ، وأقْطَعَهم إقْطاعاتٍ حسنةً ، وكذلك فعَل بأولادِ صاحبِ الموصلِ ، ورتَّب لإخوانِهم رَواتبَ كافيةً .

وفي هذه السنةِ[4] أرْسَل هولاكو طائفةً مِن جُندِه نحوًا من عشَرةِ آلافٍ ، فحاصَروا الموصلَ ، ونصَبوا عليها أربعةً وعشرين مَنْجَنِيقًا ، وضاقَت بهم الأقْواتُ .

وفيها[4] أرْسَل الملكُ الصالحُ إسماعيلُ بنُ لؤلؤٍ إلى البُرْليِّ[5] يَسْتَنْجِدُه ، فقدِم إليه ، فهُزِمَت التَّتارُ ، ثم ثبَتوا فالْتَقَوْا معه ، وإنما كان معه تسعُمائةِ[6] مُقاتِلٍ ، فهزَموه وجرَحوه ، وعاد إلى البِيرَةِ ، وفارَقه أكثرُ أصحابِه إلى الديارِ المصريةِ ، ثم

---

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥٥.

(٢) انظر المصدر السابق ، ونهاية الأرب ٣٠/ ٦٥.

(٣) انظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥٦.

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥٦، ١٥٧، وكنز الدرر ٨/ ٨٨.

(٥) في م : « التركي » .

(٦) في م : « سبعمائة » .

دخَل هو إلى بينِ يَدَى السلطانِ الملكِ الظاهرِ، فأنْعَم عليه، وأحْسَن إليه، وأقْطَعَه تسعين[1] فارسًا، وأما التَّتارُ فإنهم عادوا إلى الموصلِ، ولم يزالوا حتى اسْتَنْزَلوا صاحبَها الملكَ الصالحَ إليهم، ونادَوْا فى البلدِ بالأمانِ حتى اطْمَأَنَّ الناسُ، ثم مالوا عليهم، فقتَلوهم تسعةَ أيامٍ، وقتَلوا الملكَ الصالحَ إسماعيلَ وولدَه علاءَ الدينِ، وخرَّبوا أسْوارَ البلدِ، وترَكوها بَلاقِعَ، ثم كرُّوا راجِعِين، قبَّحَهم اللَّهُ أجْمَعِين.

وفيها[2] وقَع الخُـلْفُ بيـنَ هولاكو وبيـنَ السلطانِ بَرَكةَ ابنِ عمِّه، وأرْسَل إليه بَرَكةُ يَطْلُبُ منه نَصيبًا مما فتَحه مِن البلادِ[3]، على ما جرَت به عادتُهم، فقتَل رسلَه، فاشْتَدَّ غضبُ بَرَكةَ، وكاتَب الظاهرَ ليَتَّفِقا على هُولاكُو.

وفيها[4] وقَع غَلاءٌ شديدٌ بالشامِ، فأُبِيع القمحُ الغِرارةُ بأربعِمائةٍ [5]وخمسين[5]، والشَّعيرُ بمائتين وخمسين، واللحمُ الرِّطْلُ بستةٍ [6]وبسبعةٍ[6]، فباللَّهِ المستعانُ.

وحصَل فى النصفِ مِن شعبانَ[7] خوفٌ شديدٌ مِن التَّتارِ، فتجَهَّز كثيرٌ مِن الناسِ إلى الديارِ المصريةِ، وأُبِيعَت الغَلَّاتُ[8] حتى حَواصلُ القَلعةِ والأمراءِ[9]،

---

(١) فى م وكنز الدرر: «سبعين».
(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٦١، ١٦٢.
(٣) بعده فى م: «وأخذه من الأموال والأسرار».
(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٦٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ٦٦، وكنز الدرر ٨/ ٨٨.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م. والمثبت من ذيل مرآة الزمان، ونهاية الأرب.
(٦ - ٦) فى م: «أو سبعة». وكل هذه الأنواع التى أبيعت تقديرها بالدرهم كما فى ذيل المرآة.
(٧) الذيل على الروضتين ص ٢١٩، ٢٢٠.
(٨) بعده فى الأصل: «حتى الأهراء». والأهراء جمع هُرْى: بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام البُرّ ونحوه ليوزعه السلطان. الوسيط (هـ ر ى).
(٩) فى الأصل: «وتهيئوا للهرب من الشام».

ورسَم ولاةُ الأمورِ على مَن له قدرةٌ أن يُسافِرَ مِن دمشقَ إلى مصرَ ، ووقَعَت الرَّجْفةُ فى الشامِ وفى بلادِ الرومِ أيضًا ، ويقالُ : إنه حصَل لبلادِ التَّتَرِ خوفٌ شديدٌ أيضًا ، فسبحانَ الفَعَّالِ لما يُرِيدُ ، الذى بيدِه الأمرُ . وكان الآمِرَ لأهلِ دمشقَ بالتَّحَوُّلِ منها إلى مصرَ نائبُها الأميرُ عَلاءُ[1] الدينِ طَيْبَرْسُ الوَزِيرِىُّ ، فأرْسَل السلطانُ إليه فى ذى القَعْدةِ ، فأمْسَكه وعزَله واسْتَناب عليها [2]جمالَ الدينِ آقوشَ[2] النَّجِيبىَّ ، واسْتَوْزَر بدمشقَ عزَّ الدينِ بنَ وَداعةَ .

وفى هذه السنةِ[3] نزَل القاضى شمسُ الدينِ بنُ خَلِّكانَ عن تَدْريسِ الرُّكْنيّةِ للشيخِ شهابِ الدينِ أبى شامةَ ، وحضَر عندَه حينَ درَّس ، وأخَذ فى أولِ « مُخْتَصَرِ المُزَنىِّ » ، أثابه اللَّهُ تعالى .

وفيها تُوُفِّى مِن الأعيانِ :

الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ باللَّهِ بنُ الظاهرِ بأمرِ اللَّهِ العباسىُّ[4] الذى بايَعه الظاهرُ بمصرَ فى رجبٍ من السنةِ الماضيةِ ، كما ذكَرْنا ، وكان قتلُه فى ثالثِ المحرمِ مِن هذه السنةِ ، وكان شَهْمًا شُجاعًا ، [١٠/٦٧و]بطلًا فاتِكًا ، وقد كان السلطانُ الظاهرُ أنْفَق عليه حتى أقام له جيشًا بألفِ ألفِ دينارٍ وأزْيَدَ ، وسار فى خدمتِه خَلْقٌ مِن أكابرِ الأمراءِ وأولادِ صاحبِ الموصلِ ، وكان الملكُ الصالحُ إسماعيلُ مِن الوفدِ الذين قدِموا على الظاهرِ ، فأرْسَله صُحْبةَ الخليفةِ ، فلما كانت

---

(١) فى الأصل : « علم » . وانظر المنهل الصافى ٧/ ٣٥.

(٢ - ٢) فى الأصل : « بهاء » ، وفى م : « بهاء الدين » . والمثبت من المصدر السابق ٣/ ٢٤.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢١٦، وعقد الجمان ١/ ٣٣٥.

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٦٣، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٨٤- ٣٨٦، وعقد الجمان ١/ ٣٢٨، والمنهل الصافى ٢/ ٧٢- ٧٨.

الوقعةُ فُقِد المُسْتَنْصِرُ ، ورجَع الصالحُ إلى بلادِه ، فجاءته التَّتارُ ، فحاصَروه كما ذكَرْنا ، وقتَلوه وخرَّبوا بلادَه ، وقتَلوا أهلَها ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

العِزُّ الضَّريرُ النحويُّ اللُّغويُّ[1] واسمُه الحسنُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ نَجَا ، مِن أهلِ نَصِيبِينَ ، ونشَأ بإِرْبِلَ ، فاشْتَغَل بعلومٍ كثيرةٍ مِن علومِ الأوائلِ ، وكان يَشْتَغِلُ عليه أهلُ الذِّمَّةِ وغيرُهم ، ونُسِب إلى الانْحِلالِ وقلةِ الدينِ ، وتَرْكِ الصلواتِ ، وكان ذَكِيًّا ، وليس بزَكيٍّ ؛ (٢ عالمَ اللسانِ ، جاهلَ القلبِ ، ذَكيَّ القولِ ، خبيثَ الفعلِ ٢) ، وله شعرٌ جيدٌ رائقٌ أوْرَد منه الشيخُ قطبُ الدينِ قطعةً في ترجمتِه ، وهو الضريرُ شَبيهٌ بأبى العَلاءِ المَعَرِّيِّ ، قبَّحَهما اللَّهُ .

ابنُ عبدِ السلامِ : عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ أبى[3] **القاسمِ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ المُهَذَّبِ ، الشيخُ عِزُّ الدينِ أبو محمدٍ السُّلَميُّ الدمشقيُّ الشافعيُّ** ، شيخُ المذهبِ ومُفِيدُ أهلِه ، وصاحبُ مُصَنَّفاتٍ حِسانٍ ؛ منها « التَّفْسيرُ » ، و « اخْتِصارُ النهايةِ » ، و « القَواعِدُ الكُبرى » و « الصُّغْرَى » ، و « كتابُ الصلاةِ » و « الفَتاوَى المَوْصِليَّةُ » وغيرُ ذلك . وُلِد سنةَ سبعٍ أو ثمانٍ وسبعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع كثيرًا ، واشْتَغَل على فخرِ الدينِ بنِ عساكرَ وغيرِه ، وبرَع في المَذْهَبِ ، وعلومٍ كثيرةٍ ، وأفاد الطلبةَ ، ودرَّس بعدةِ مَدارسَ بدمشقَ ، ووَلِى خَطابتَها ، ثم انتقَل عنها إلى الديارِ المصريةِ ، فدرَّس بها ، وخطَب وحكَم ، وانْتَهَت إليه رئاسةُ المذهبِ ،

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٠١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٣، وفوات الوفيات ١/ ٣٦٢، وبغية الوعاة ١/ ٥١٨، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠١.

(٢ - ٢) ليست في : الأصل .

(٣) سقط من : م . وانظر ترجمته في : الذيل على الروضتين ص ٢١٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٠٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٦٦، والعبر ٥/ ٢٦٠، والوافي بالوفيات ١٨/ ٥٢٠، وفوات الوفيات ٢/ ٣٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٢٠٩، وعقد الجمان ١/ ٣٣٨، وطبقات المفسرين ١/ ٣٠٨.

وقُصِد بالفَتاوَى مِن الآفاقِ ، وكان لَطيفًا ظريفًا يَسْتَشْهِدُ بالأشعارِ ، وقد كان خُروجُه مِن الشامِ بسببِ ما كان أنكره على الصالحِ إسماعيلَ مِن تَسْليمِه [1]صَفَدَ والشَّقيفَ[1] إلى الفِرِنْجِ ، ووافَقه الشيخُ أبو عمرٍو بنُ الحاجبِ المالكيُّ ، فأخْرَجَهما مِن بلدِه ، فسار أبو عمرٍو إلى الناصِر داودَ صاحبِ الكَرَكِ فأكْرَمَه ، وسار ابنُ عبدِ السلامِ إلى الملكِ الصالحِ أيوبَ بنِ الكاملِ صاحبِ مصرَ ، فأكْرَمه واحترَمه وولَّاه قَضاءَ مصرَ وخَطابةَ الجامعِ العَتيقِ[2] ، ثم انْتَزَعهما منه ، وأقَرَّه على تَدْريسِ الصالحيةِ[3] ، فلما حضَرَه الموتُ أَوْصَى بها للقاضى تاجِ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ ، وتُوُفِّى فى عاشرِ جُمادَى الأولى ، وقد نَيَّف على الثمانين ، ودُفِن مِن الغدِ بسفحِ المُقَطَّمِ ، وحضَر جِنازتَه السلطانُ الظاهرُ وخَلْقٌ كثيرٌ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

كَمالُ الدينِ بنُ العَدِيمِ الحَنَفيُّ[4] : عمرُ بنُ أحمدَ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ زُهَيْرِ بنِ هارونَ بنِ موسى بنِ عيسى بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ محمدِ بنِ أبى جَرَادةَ[5] عامرِ بنِ ربيعةَ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ عوفِ بنِ عامرِ بنِ عُقَيْلٍ الحلَبيُّ الحَنَفيُّ ، كمالُ الدينِ أبو القاسمِ بنُ العَديمِ ، الأميرُ الوزيرُ الرَّئيسُ الكبيرُ ، وُلِد سنةَ ستٍّ وثمانين وخمسِمائةٍ ، سمِع الحديثَ ، وحدَّث وتفَقَّه وأفْتَى ودرَّس وصنَّف ، وكان إمامًا فى فُنونٍ كثيرةٍ ، وقد ترَسَّل إلى الخلفاءِ والملوكِ مِرارًا عَديدةً ، وكان يَكْتُبُ حسنًا طريقةً مشهورةً ، وصنَّف لحلبَ تاريخًا مُفيدًا يَقْرُبُ

(١ - ١) فى م : « صغد والثقيف » . وصفد : مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان . والشقيف : قلعة حصينة جدًّا فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق . معجم البلدان ٣/ ٣٩٩، ٣٠٩.

(٢) الجامع العتيق : جامع عمرو بن العاص . انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢١٠.

(٣) المعروفة بين القصرين بالقاهرة . انظر المصدر السابق .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢١٧، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥١٠، ٢/ ١٧٧، والعبر ٥/ ٢٦١، وفوات الوفيات ٣/ ١٢٦- وفيه أنه توفى سنة ست وستين وستمائة - وعقد الجمان ١/ ٣٣٩.

(٥) بعده فى ذيل مرآة الزمان : « ابن » .

من أربعين مجلدًا ، وكان جيدَ المعرفةِ [١٠/٦٧ظ] بالحديثِ ، حسنَ الظَّنِّ بالفُقراءِ والصالحين ، كثيرَ الإحسانِ إليهم ، وقد أقام بدمشقَ فى الدولةِ الناصريةِ المتأخرةِ ، وكانت وفاتُه بمصرَ ، ودُفِن بسفحِ المُقَطَّمِ بعدَ الشيخِ عزِّ الدين بعشَرةِ أيامٍ ، وقد أوْرَد له قُطْبُ الدينِ أشعارًا حسنةً[1] .

يوسفُ بنُ يوسفَ (٢بنِ يوسفَ٢) بنِ سلامةَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ إبراهيمَ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ بنِ محمدٍ القاقانىِّ الزَّيْنَبىِّ بنِ إبراهيمَ ابنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، مُحْيى الدينِ أبو المُعِزِّ، ويقالُ : أبو المَحاسِنِ . الهاشمىُّ العباسىُّ المَوْصلىُّ ، المعروفُ بابنِ زبلاقٍ الشاعرُ ، قتَلَه التَّتارُ لما أخَذوا الموصلَ فى هذه السنةِ عن سبعٍ وخمسين سنةً ، ومِن شعرِه قولُه :

بعَثْتَ لنا مِن سِحْرِ مُقْلَتِك الوَسْنَى ... سُهادًا يَذودُ الجَفنَ[3] أن يَأْلَفَ الجَفْنَا
وأبْصَرَ جسمى حُسْنَ خَصْرِك ناحِلًا ... فحاكاه لكن زاد فى دقَّةِ المَعْنَى
وأبْرَزْتَ وجْهًا أخْجَل الصبحَ طالعًا ... ومِلْتَ بقدٍّ علَّم الهَيَّفَ الغصنَا[4]
حكَيْتَ أخاك البدرَ ليلةَ تِمِّهِ ... سَنًا وسَناءً إذ تَشابَهْتُما سَنَا

وقال أيضًا ، وقد دُعِى إلى موضعٍ ، فبعَث يَعْتَذِرُ بهذين البيتَيْن :

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/ ٥١١، ٢/ ١٧٩.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ١/ ٥١٣، ٢/ ١٨١، والعبر ٥/ ٢٦٢، وفوات الوفيات ٤/ ٣٨٤، والسلوك ١/٤٧٦ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/ ٣٤٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠٤.

(٣) فى م : « الكرى » .

(٤) فى م : « الغصن اللدنا » .

أنا في منزلي وقد وهَب الـ ـلـهُ نَـديمًـا وقَـيْـنـةً وعُـقـارًا
فابسطوا العذرَ في التأخرِ عنكمْ شَغَلَ الحَلْىَ أهلُه أن يُعارا[1]

قال أبو شامة[2] : وفيها في ثانيَ عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ تُوُفِّي :

البدرُ المَرَاغيُّ الخِلافيُّ المعروفُ بالطويلِ، وكان قليلَ الدينِ، تاركًا للصلاةِ، مُغْتَبِطًا بما كان فيه مِن معرفةِ الجَدَلِ والخِلافِ على اصْطِلاحِ المتأخرين، [3]رحِمنا اللَّهُ تعالى وجميعَ المسلمين[3] .

وفيها تُوُفِّي محمدُ بنُ داودَ بنِ ياقوتِ الصارميُّ[4] المُحَدِّثُ، كتَب كثيرًا؛ الطِّبَقاتِ وغيرَها، وكان دَيِّنًا خَيِّرًا، يُعِيرُ كتبَه، ويُداوِمُ على الاشْتِغالِ بسَماعِ الحديثِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

---

(1) هذا البيت ينسب إلى فضيل الأعرج ، وإلى العباس بن الأحنف . انظر التمثيل والمحاضرة ص ٨٢ ، ومعجم الأدباء ٢٨١/٢ (ترجمة جحظة البرمكي) .
(2) الذيل على الروضتين ص ٢١٧.
(3 - 3) في م : «راضيًا بما لا يفيد» .
(4) الذيل على الروضتين ص ٢١٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٧٩، وعقد الجمان ١/ ٣٤٣.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وستّين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] وسلطانُ الدِّيارِ المصريةِ والبلادِ الشاميةِ المَلِكُ الظاهرُ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِيُّ ، ونائِبُه على الشامِ جمالُ الدينِ آقوشُ النَّجِيبِيُّ ، وقاضيه شمسُ الدينِ ابنُ خَلِّكانَ ، والوزيرُ بها عِزُّ الدينِ بنُ وَداعةَ ، وليس للناسِ خليفةٌ ، وإنما تُضْرَبُ السِّكَّةُ باسمِ المُسْتَنْصِرِ الذى قُتِل فى السنةِ الماضيةِ .

ذكرُ خلافةِ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ الأميرِ أبى علىٍّ القُبِّىِّ بنِ الأميرِ علىِّ بنِ الأميرِ أبى بكرِ بنِ الإمامِ المُسْتَرْشِدِ باللَّهِ أميرِ المؤمنين أبى منصورٍ الفضلِ بنِ الإمامِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ العباسىِّ الهاشمىِّ .

فلما كان يومُ الخميسِ [2]ثانى المحرمِ[2] ، جلَس السلطانُ الملكُ الظاهرُ [3]ركنُ الدينِ بَيْبَرسُ وأمراؤُه وأهلُ الحَلِّ والعقدِ[3] فى الإيوانِ الكبيرِ بقلعةِ الجبلِ ، وجاء

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١، ٢٢٢، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٣٠ - ٥٥٠، ٢/ ١٨٦ - ٢٢٩، ونهاية الأرب ٣٠/ ٧٩ - ٩٠.

(٢ - ٢) فى ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٣٠: «تاسع المحرم».

(٣ - ٣) فى م : «والأمراء».

الخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ راكبًا حتى نزَل عندَ الإيوانِ ، وقد بُسِط له إلى جانبِ السلطانِ ، وذلك بعدَ ثبوتِ نسبِه ، فقُرِئ نسبُه على الناسِ ، ثم أقْبَل عليه المَلِكُ الظاهرُ بَيْبَرْسُ ، فبايَعه وبايَعه الناسُ بعدَه ، وكان يومًا مشهودًا .

فلما كان يومُ الجمعةِ ثانيه خطَب الخليفةُ بالناسِ ، فقال في خطبتِه[1] : الحمدُ للَّهِ الذى أقام لآلِ العباسِ رُكْنًا ظَهِيرًا ، وجعَل لهم مِن لَدُنْه سُلطانًا نَصيرًا ، أَحْمَدُه على السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، وأَستَعِينُه على شكرِ ما أسْبَغ [١٠/٦٨و] مِن النَّعْماءِ ، وأَسْتَنْصِرُه على دَفْعِ الأعْداءِ ، وأَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شَريكَ له ، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه ، صلى اللهُ عليه وسلَّم وعلى آلِه وصحبِه نُجومِ الاهْتِداءِ ، وأئمةِ الاقْتِداءِ الأربعةِ ، وعلى العباسِ عمِّه وكاشفِ غَمِّه أبى السادةِ الخلفاءِ [2]الراشدين وأئمةِ المَهديين[2] ، وعلى بقيةِ الصحابةِ أجمعين والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ ، أيُّها الناسُ ، اعْلَموا أن الإمامةَ فرضٌ مِن فروضِ الإسلامِ ، والجهادَ محتومٌ على جميعِ الأنامِ ، ولا يَقومُ عَلَمُ الجهادِ إلا باجتماعِ كلمةِ العبادِ ، ولا سُبِيَت الحُرَمُ إلا بانتِهاكِ المَحارمِ ، ولا سُفِكَت الدماءُ إلا بارْتكابِ الجَرائمِ ، فلو شاهَدْتُم أعداءَ الإسلامِ لـمَّا دخَلوا دارَ السلامِ ، واسْتَباحوا الدماءَ والأموالَ ، وقتَلوا الرجالَ والأطفالَ[3] ، وهتَكوا حَرَمَ الخلافةِ والحَريمِ ، [4]وأذاقُوا مَن استَبْقَوا العذابَ الأليمَ ، فارتفَعتِ الأصواتُ بالبكاءِ والعويلِ[4] ، وعلَت الضَّجّاتُ مِن هَوْلِ ذلك اليومِ الطويلِ ، فكم مِن شيخٍ خُضِبَت شيبتُه

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٨٨. وانظر عقد الجمان ١/ ٣٤٩.
(٢ - ٢) سقط من: م .
(٣) بعده في م : « وسبوا الصبيان والبنات وأيتموهم من الآباء والأمهات » .
(٤ - ٤) سقط من: م .

بدمائِه ، وكم مِن طفلٍ بكَى فلم يُرْحَمْ لبُكائِه ، فشَمِّروا عن ساقِ الاجتهادِ فى إحياءِ فرضِ الجهادِ ، ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦] فلم يَبْقَ مَعْذِرةٌ فى القُعودِ عن أعداءِ الدينِ ، والمُحاماةِ عن المسلمين ، وهذا السلطانُ الملكُ الظاهرُ السيدُ الأجلُّ العالمُ العادلُ المُجاهِدُ المُؤَيَّدُ رُكْنُ الدنيا والدِّينِ ، قد قام بنصرِ الإمامةِ عندَ قلةِ الأنصارِ ، وشرَّد جيوشَ الكفرِ بعدَ أن جاسوا خلالَ الديارِ ، فأصْبَحَت البَيْعةُ باهتِمامِه مُنْتَظِمةَ العُقودِ ، والدولةُ العباسيةُ به مُتكاثِرةَ الجنودِ ، فبادِروا عبادَ اللَّهِ إلى شُكرِ هذه النعمةِ ، وأخْلِصوا نِياتِكم تُنْصَروا ، وقاتِلوا أولياءَ الشيطانِ تَظْفَروا ، ولا يَرُوعَنَّكم ما جرَى ، فالحربُ سِجالٌ والعاقبةُ للمتقين ، والدهرُ يومان ، والأجرُ للمؤمنين ، جمَع اللَّهُ على الهُدَى أمْرَكم ، وأعَزَّ بالإيمانِ نصرَكم ، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العظيمَ لى ولكم ولسائرِ المسلمين ، فاسْتَغْفِروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ . ثم خطَب الثانيةَ ، ونزَل فصلَّى .

وكتَب بيعتَه إلى الآفاقِ ليُخْطَبَ له ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِه . قال أبو شامةَ[1] : فخُطِب له بجامعِ دمشقَ وسائرِ الجوامعِ يومَ الجمعةِ سادسَ عشَرَ المحرمِ مِن هذه السنةِ . وهذا الخليفةُ هو التاسعُ والثلاثون مِن خلفاءِ بنى العباسِ ، ولم يَلِ الخلافةَ مِن بنى العباسِ مَن ليس والدُه وجدُّه خليفةً بعدَ السَّفَّاحِ والمنصورِ سوى هذا ، فأما مَن ليس والدُه خليفةً فكثيرٌ ، منهم المُسْتَعِينُ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ المُعْتَصِمِ ، والمُعْتَضِدُ بنُ طلحةَ بنِ المُتَوَكِّلِ ، والقادرُ بنُ إسحاقَ بنِ المُقْتَدِرِ ، والمُقْتَدِى بنُ الذَّخِيرةِ بنِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١.

ذكرُ أخْذِ الظاهرِ الكَرَكَ وإعْدامِ صاحبِها

وفيها[1] ركِب الملكُ الظاهرُ من الديارِ المصريةِ فى العَساكرِ المَنْصورةِ قاصدًا ناحيةَ بلادِ الكَرَكِ، واسْتَدْعَى صاحبَها الملكَ المُغيثَ عمرَ بنَ العادلِ أبى بكرِ بنِ الكاملِ محمدِ بنِ العادلِ، فلما قدِم عليه بعدَ جَهْدٍ أرْسَله إلى الديارِ المصريةِ [١٠/٦٨ظ] مُعْتَقَلًا فكان آخرَ العهدِ به، وذلك أنه كاتَب هولاوو، وحثَّه على القُدومِ إلى الشامِ مرةً أخرى، وجاءَته كتبُ التَّتارِ بالثَّباتِ ونيابةِ البلادِ، وأنه سيُقْدَمُ عليه عشرون ألفًا لفتحِ الديارِ المصريةِ، وأخْرَج السلطانُ فَتاوَى الفُقهاءِ بقتلِه، وعرَض ذلك على ابنِ خَلِّكانَ - وكان قد اسْتَدْعاه مِن دمشقَ - وعلى جَماعةٍ مِن الأمراءِ، ثم سار فتسَلَّم الكَرَكَ (٢ يومَ الجمعةِ ثالثَ عشَرَ جُمادَى الأولى٢)، ودخَلها يومَئذٍ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ، ثم عاد إلى الديارِ المصريةِ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا.

وفيها قدِمَت رسلُ بَرَكة خان إلى الظاهرِ يقولُ له: قد علِمْتَ مَحَبَّتى لدينِ الإسلامِ، وعلِمْتَ ما فعَل هولاكو بالمسلمين، فارْكَبْ أنت مِن ناحيةٍ، وآتِيَه أنا مِن ناحيةٍ حتى نَصْطَلِمَه أو نُخْرِجَه مِن البلادِ، وأيّما كان أعْطَيْتُك جميعَ ما كان بيدِه مِن البلادِ. فاسْتَصْوَب الظاهرُ هذا الرأىَ، وشكَره وخلَع على رسُلِه وأكْرَمَهم.

وفيها زُلْزِلَت الموصلُ زَلْزلةً عظيمةً وتهدَّمَت أكثرُ دُورِها.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/٥٣١ - ٥٣٣، ٢/١٩٢ - ١٩٤، ونهاية الأرب ٣٠/٧٩ - ٨٤.

(٢ - ٢) فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٩٤: «يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الآخرة»، وفى نهاية الأرب ٣٠/ ٨٢: «يوم الخميس ثالث وعشرين جمادى الآخرة».

وفى رمضانَ جهَّز الملِكُ الظاهرُ صُنَّاعًا وأخشابًا وآلاتٍ كثيرةً لِعمارةِ مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ حَريقِه، فطِيف بتلك الأخْشابِ والآلاتِ بالدِّيارِ المصريةِ فرحةً بها وتعظيمًا لها، ثم ساروا بها إلى المدينةِ النبويةِ.

وفى شوالٍ سار الظاهرُ إلى الإسْكَنْدَريةِ، فنظَر فى أحوالِها وأمورِها، وعزَل قاضيَها وخطيبَها ناصرَ الدينِ أحمدَ بنَ المُنيرِ، وولَّى غيرَه.

وفيها الْتَقَى بَرَكةُ قان وهولاوو ومع كلٍّ واحدٍ جُيوشٌ كثيرةٌ، فاقْتَتَلوا فهُزِم هولاكو هزيمةً فَظيعةً، وقُتِل أكثرُ أصحابِه، وغرِق أكثرُ مَن بقِى، وهرَب هو فى شِرْذِمةٍ قليلةٍ مِن أصحابِه، ولِلَّهِ الحمدُ. ولما نظَر بَرَكةُ قان إلى كثرةِ القَتْلَى قال: يَعِزُّ علىَّ أن يَقْتُلَ المَغولُ بعضُهم بعضًا، ولكن كيف الحيلةُ فيمَن غيَّر سُنَّةَ جِنْكِزخان؟! ثم أغار بَرَكةُ على بلادِ القُسْطَنْطِينيَّةِ، فصانَعه صاحبُها، وأرْسَل الظاهرُ هَدايا عَظيمةً إلى بَرَكةَ وتحفًا كثيرةً هائِلةً.

ومِمن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ:

(١محمدُ بنُ أحمدَ١) بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ سيِّدِ الناسِ، أبو بكرٍ اليَعْمُرِىُّ الأنْدَلُسِىُّ الحافظُ، وُلِد سنةَ سبعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ، وسمِع الكثيرَ، وحصَّل كتبًا عظيمةً، وصنَّف أشياءَ حسنةً، وخُتِم به الحُفَّاظُ فى تلك البلادِ، تُوُفِّى بمدينةِ تُونُسَ فى (٢الرابعِ والعشرينَ مِن٢) رجبٍ مِن هذه السنةِ.

(١ - ١) فى م: «أحمد بن محمد». وانظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٣١، والعبر ٥/ ٢٥٥، والوافى بالوفيات ٢/ ١٢١، وعقد الجمان ١/ ٣٢٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٨.
وجاءت وفاته فى هذه المصادر فى سنة تسع وخمسين وستمائة.
(٢ - ٢) فى م: «سابع عشرين».

عبدُ الرزاقِ بنُ (1)رزقِ اللَّهِ(1) بنِ أبى بكرِ بنِ خلفِ عزُّ الدينِ ، أبو محمدِ الرَّسْعَنىُّ(2) ، المُحَدِّثُ المُفَسِّرُ ، سمِع الكثيرَ وحدَّث ، وكان مِن الفُضلاءِ الأدباءِ ، له مَكانةٌ عندَ البَدْرِ لؤلؤٍ صاحبِ الموصلِ ، وكذلك عندَ صاحبِ سِنْجارَ ، وبها تُوُفِّى فى ليلةِ الجمعةِ الثانى عشَرَ مِن ربيعِ الآخِرِ ، وقد جاوَز السبعين(3) ، ومِن شعرِه :

نعَب الغرابُ فدلَّنا بنَعِيبِه	أن الحبيبَ دنا أوانُ مَغيبِه
يا سائلى عن طيبِ عيشى بعدَهمْ	جُدْ لى بعيشٍ ثم سَلْ عن طِيبِه

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عَنتَرٍ السُّلَمىُّ الدمَشقىُّ(4) مُحْتَسِبُها ، وكان من عُدولِها وأعْيانِها ، وله بها أمْلاكٌ وثروةٌ وأوْقافٌ ، تُوُفِّى بالقاهرةِ ، ودُفِن بالمُقَطَّمِ .

[10/69و] **عَلَمُ الدينِ (5)أبو محمدٍ(5) القاسمُ بنُ أحمدَ ابنِ المُوَفَّقِ بنِ جعفرٍ المُرْسِىُّ اللَّوْرَقىُّ**(6) اللغوىُّ النحوىُّ المُقْرِئُ ، شرَح « الشاطبية » شرحًا مختصَرًا ، وشَرح « المُفَصَّلَ » فى عدةِ مجلداتٍ ، وشرَح « الجُزُولية » وقد اجْتَمَع بمُصَنِّفِها ، وسأله عن بعضِ مسائلِها ، وكان ذا فُنونٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، حسنَ الشكلِ ،

(1 - 1) فى الأصل ، م : « عبد اللَّه » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان 1/ 545، 2/ 219، والعبر 5/ 264، والذيل على طبقات الحنابلة 2/ 274، وعقد الجمان 1/ 367، والسلوك 1/ 502 (القسم الثانى) ، والنجوم الزاهرة 7/ 211، وطبقات المفسرين 1/ 292، وشذرات الذهب 5/ 305.

(2) فى الأصل : « الرسغنى » ، وهو تصحيف . انظر الأنساب 3/ 64، ومعجم البلدان 2/ 732.

(3) فى الأصل : « التسعين » . وانظر مصادر الترجمة .

(4) الذيل على الروضتين ص 226، وذيل مرآة الزمان 2/ 220، وعقد الجمان 1/ 367.

(5 - 5) فى م ، وذيل مرآة الزمان 2/ 221 : « أبو القاسم » . قال الحافظ الذهبى فى العبر 5/ 266 : والعلم أبو القاسم والأصح أبو محمد . وانظر بقية مصادر ترجمته : غاية النهاية 2/ 15، والسلوك 1/ 502، 503 (القسم الثانى) ، وعقد الجمان 1/ 368، وبغية الوعاة 2/ 250، وشذرات الذهب 5/ 307.

(6) فى م : « البورقى » ، وفى السلوك : « اللورى » . وانظر المصادر السابقة .

مليحَ الوجهِ ، له هيئةٌ حسنةٌ وبِزَّةٌ وجمالٌ ، وقد سمِع الكِنْدىَّ وغيرَه .

الشيخُ أبو بكرٍ الدِّينَوَرِىُّ[1] ، وهو بانى الزاويةِ بالصالحيةِ ، وكانت له فيها جَماعةٌ مُرِيدون يَذْكُرون اللَّهَ بأصواتٍ حسنةٍ طيبةٍ ، رحِمه اللَّهُ .

مَوْلِدُ الشيخِ تَقِىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ شيخِ الإسلامِ[2] ، قال الشيخُ شمسُ الدينِ الذَّهبىُّ : وفى هذه السنةِ وُلِد شيخُنا تَقِىُّ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الشيخِ شِهابِ الدينِ عبدِ الحَليمِ بنِ أبى القاسمِ ابنُ تَيْمية الحَرَّانىُّ بحَرَّانَ يومَ الاثنينِ عاشرَ ربيعٍ الأولِ مِن سنةِ إحدى وستين وستِّمائةٍ .

الأميرُ الكبيرُ مُجِيرُ الدينِ أبو الهَيْجاءِ بنُ[3] **عيسى بنِ خُشْتَرِين**[4] **الأَزْكُشِىُّ**[5] **الكُرْدىُّ الأُمَوىُّ**[6] ، كان مِن أعيانِ الأمراءِ وشُجْعانِهم ، وله يومَ عينِ جالوتَ اليدُ البيضاءُ فى كسرِ التَّتارِ ، ولما دخَل الملكُ المُظَفَّرُ إلى دمشقَ بعدَ الوَقْعةِ جعَله مع الأميرِ عَلَمِ الدينِ سَنْجَرَ الحلبىِّ نائبِ البَلَدِ مُسْتَشارًا ومُشارِكًا فى الرأيِ والمَراسِيمِ والتَّدْبيرِ ، وكان يَجْلِسُ معه فى دارِ العدلِ ، وله الإقْطاعُ الكاملُ والرِّزقُ الواسعُ ، إلى أن تُوُفِّى فى هذه السنةِ . قال أبو شامةَ[7] : ووالدُه الأميرُ

---

(١) عقد الجمان ١/ ٣٦٨.

(٢) ستأتى ترجمته فى وفيات سنة سبع وعشرين وسبعمائة .

(٣) سقط من : م . والمثبت موافق لبعض مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ٩٠، والسلوك ١/ ٥٠٢ (القسم الثانى) ، وما فى «م» موافق لما فى عقد الجمان ١/ ٣٦٩، وما فى النجوم الزاهرة موافق لما فى م ولكنه مصحح إلى ما أثبتناه .

(٤) فى الأصل : « حشير » ، وفى م : « حثير » . والمثبت من مصادر الترجمة . وانظر الوافى بالوفيات ١٣/ ٣١٨.

(٥) فى الأصل ، والسلوك : « الأركسى » . وفى ترجمة ابنه : « الإربلى » والتى ستأتى ضمن وفيات سنة سبعمائة .

(٦) فى الأصل : « الأسدى » .

(٧) الذيل على الروضتين ص ٢٢٧. وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٣.

حُسامُ الدينِ تُوُفِّى فى حَبْسِ[1] الملكِ الأشرفِ بيلادِ الشرقِ هو والأميرُ عِمادُ الدينِ أحمدُ بنُ المَشْطوبِ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

قلتُ : وولدُه الأميرُ عزُّ الدينِ توَلَّى وِلايةَ هذه المدينةِ - أعنى دمشقَ - مدةً ، وكان مَشكورَ السِّيرةِ ، وإليه يُنْسَبُ دَرْبُ سقون[2] بالصاغةِ العَتيقةِ ، فيقالُ : دربُ ابنِ أبى الهَيْجاءِ . لأنه كان به سَكَنُه ، وكان يَعْمَلُ الوِلايةَ فيه ، فعُرِف به ، وبعدَ موتِه بقليلٍ كان فيه نُزولُنا حينَ قدِمْنا مِن حَوْرانَ وأنا صغيرٌ ، فختَمْتُ فيه القرآنَ العظيمَ ، وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) فى الأصل، م: «جيش». والمثبت من مصدرى التخريج.

(٢) فى الأصل: «ابن سنون»، وفى م : «ابن سقور». والمثبت مما سيأتى صفحة ٧٤١ .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وستين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ العباسىُّ، وسلطانُ الإسلامِ الذابُّ عن حَوْزتِه الملكُ الظاهرُ ركنُ الدين بَيْبرسُ البُنْدُقدارىُّ - أيده اللَّهُ وشدَّ عَضُدَه - ونائبُ الشامِ الأميرُ جمالُ الدين آقوش النجيبىُّ، وقاضيه شمسُ الدينِ بنُ خلكانَ.

وفيها[2] فى أولِها كمَلت المدرسةُ الظاهريةُ التى بينَ القَصْرَيْن، ورُتِّب لتَدْريسِ الشافعيةِ بها القاضى تقىُّ الدينِ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ رَزِينٍ، ولتَدريسِ الحنفيةِ مجدُ[3] الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ كمالِ الدينِ عمرَ بنِ العَديمِ، ولمشيخةِ الحديثِ بها الشيخُ شرفُ الدينِ عبدُ المؤمنِ بنُ خلفٍ الحافظُ الدِّمْياطىُّ.

وفيها[4] عمَّر الظاهرُ بالقدسِ الشريفِ خانًا، ووقَف عليه أوْقافًا للنازلين به مِن إصلاحِ نِعالِهم وأكْلِهم وغيرِ ذلك، وبنَى به طاحُونًا وفُرْنًا.

وفيها[5] قدِمَت رسلُ الملكِ بَرَكة قان إلى الملكِ الظاهرِ، ومعهم الأشرفُ بنُ شهابِ الدينِ غازى بنِ العادلِ، ومعهم مِن الكتبِ والمُشافَهاتِ ما فيه سُرورٌ للإسْلامِ وأهلِه مما حلَّ بهولاكو وأهلِه.

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٥٠، ٢/ ٢٢٩، وكنز الدرر ٨/ ١٠٢.
(٢) ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٥٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ٩٣، وكنز الدرر ٨/ ١٠٣.
(٣) فى الأصل: «مجير».
(٤) ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٥٤، ٢/ ٢٣١، وعقد الجمان ١/ ٣٧٥.
(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٣٢.

وفى جُمادَى الآخِرةِ منها[1] درَّس الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ عبدُ الرحمنِ ابنُ (٢إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ٢) المَقْدِسىُّ بدارِ الحديثِ الأشرفيةِ ، بعدَ وفاةِ القاضى عمادِ الدينِ بنِ الحَرَسْتانىِّ ، وحضَر عندَه القاضى شمسُ الدينِ ابنُ خَلِّكانَ وجَماعةٌ مِن الفضلاءِ[3] والأعيانِ ، وذكَر خُطْبةَ كتابِه « المَبْعَثِ » ، [١٠/٦٩ظ] وأوْرَد الحديثَ بسندِه ومتنِه ، وذكَر فَوائدَ كثيرةً مُسْتَحْسَنةً ، ويقالُ : إنه لم يُراجِعْ شيئًا حتى أورد درْسَه ، ومثلُه لا يُسْتَكْثَرُ عليه ذلك . رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفيها قدِم نَصِيرُ الدينِ الطُّوسىُّ إلى بغدادَ مِن جهةِ السلطانِ هولاكو قان ، فنظَر فى الأوقافِ وأحوالِ البلدِ ، وأخَذ كتبًا عظيمةً كثيرةً مِن سائرِ المدارسِ ، وحوَّلها إلى الرَّصَدِ الذى بناه بمَرَاغةَ ، ثم انْحَدَر إلى واسطٍ والبصرةِ .

وفيها كانت وفاةُ :

الملكِ الأشرفِ موسى بنِ الملكِ المنصورِ إبراهيمَ بنِ الملكِ المُجاهِدِ أسدِ الدينِ شِيرِكُوه بنِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ أسدِ الدينِ شِيرِكُوه الكبيرِ[4] ، كانوا مُلوكَ حمصَ كابرًا عن كابرٍ إلى هذا الحينِ ، وقد كان مِن الكُرماءِ المَوْصُوفِين ، والكُبَراءِ الدماشقةِ المُتْرَفِين ، ويعتنى بالمآكلِ والمَشارِبِ ، والملابسِ والمَراكِبِ ، وقَضاءِ الشَّهواتِ والمآرِبِ ، وكثرةِ التنعُّمِ بالمَغانى والحَبائبِ[5] ، ولما تُوُفِّى وُجدَت له

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٠.

(٢ - ٢) فى الأصل : « إبراهيم إسماعيل » ، وفى م : « إسماعيل » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وستأتى ترجمته فى ص ٤٧٢، ٤٧٣.

(٣) فى م : « القضاة » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٥٥، ٢/ ٣١٠- ٣١٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ٩٤، والعبر ٥/ ٢٧٠، وعقد الجمان ١/ ٣٧٢.

(٥) بعده فى م : « ثم ذهب ذلك كأن لم يكن أو كأضغاث أحلام ، أو كظل زائل ، وبقيت تبعاته وعقوباته وحسابه وعاره » .

حَواصلُ مِن الجَواهرِ النَّفيسةِ والأموالِ الكثيرةِ ، وعاد ملكُه إلى الدولةِ الظاهريةِ[1] .

وتُوُفِّى معه فى هذه السنةِ الأميرُ حُسامُ الدينِ الجُوكَنْدار نائبُ حلبَ[2] .

وفيها كانت كَسْرةُ التَّتارِ على حمصَ ، وقُتِل مُقَدَّمُهم بَيْدَرَةُ بقَضاءِ اللَّهِ وقَدَرِه الحسنِ الجميلِ .

وفيها كانت **وفاةُ الرَّشيدِ العَطَّارِ**[3] المُحَدِّثِ بمصرَ ، والذى حضَر مَسْخَرةَ[4] الملكِ الأشرفِ موسى بنِ العادلِ .

والتاجرِ المشهورِ الحاجِّ **نصرِ بنِ تروس**[5] ، وكان ملازمًا للصلواتِ بالجامعِ ، وكان مِن ذَوِى اليَسارِ والخيرِ .

الخطيبُ عِمادُ الدينِ بنُ الحَرَسْتانىِّ : عبدُ الكَريمِ بنُ قاضى القضاةِ جَمالِ الدينِ عبدِ الصمدِ بنِ محمدِ بنِ الحَرَسْتانىِّ[6] ، كان خَطيبًا بدمشقَ ، وناب فى الحكمِ عن أبيه فى الدولةِ الأشْرفيةِ بعدَ ابنِ الصَّلاحِ ، إلى أن تُوُفِّى فى دارِ الخَطابةِ فى التاسعِ والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنةِ ، وصُلِّىَ عليه بجامعِ دمشقَ ، ودُفِن عند أبيه بقاسِيون ، وكانت جنازتُه حافلةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد جاوَز الثمانين بخمسِ سنين ، وقد تَوَلَّى بعدَه الخَطابةَ والغَزَّاليةَ ولدُه مجيرُ[7]

---

(١) بعده فى الأصل : « واستناب ببلاده من الممالك البحرية » .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٠٠، والعبر ٥/ ٢٧١، وعقد الجمان ١/ ٣٩٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩.

(٤) مسخرة : جمعها مساخر ؛ وهى ألعاب لإضحاك الناس . انظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٤٩ الملحق بكتاب العصر المماليكى فى مصر والشام نقلا عن معجم dozy .

(٥) فى م : « دس » . وانظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ص ٢٢٩، وفيه : « بردس » ، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٤.

(٦) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٩٥، والعبر ٥/ ٢٦٨، وعقد الجمان ١/ ٣٨٩.

(٧) فى م : « مجد » .

الدينِ ، وباشَر بعده مشيخةَ دارِ الحديثِ الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ .

مُحْيِي الدينِ (١ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ ١) بنِ إبراهيمَ بنِ الحسينِ بنِ سُراقةَ الحافظُ المُحَدِّثُ الأنصاريُّ الشاطبيُّ ، أبو بكرٍ المَغْرِبيُّ ، عالمٌ فاضلٌ دَيِّنٌ ، وأقام بحلبَ مدةً ، ثم اجْتاز بدمشقَ قاصدًا الديارَ المصريةَ . وقد ولِىَ دارَ الحديثِ الكَامليةَ بعدَ زَكيِّ الدينِ عبد العظيمِ المُنْذِرِيِّ ، وقد كان له سَماعٌ جيدٌ ببغدادَ وغيرِها مِن البلادِ ، وقد جاوَز السبعين .

الشيخُ الصالحُ محمدُ بنُ منصورِ بنِ يحيى الشيخِ أبى القاسمِ القَبَّارِيُّ الإسْكَنْدَرانِيُّ[٢] ، كان مُقيمًا بغَيْطٍ له يَقْتاتُ منه ، ويَعْمَلُ فيه ويَبْذُرُه ، ويَتَوَرَّع جدًّا ، ويُطْعِمُ الناسَ مِن ثمارِه ، وكانت وفاتُه فى سادسِ شعبانَ من هذه السنةِ بالإسْكَنْدريةِ ، وله خمسٌ وسبعون سنةً ، وكان يَأْمُرُ بالمعروفِ ، ويَنْهَى عن المنكرِ ، ويَرْدَعُ الولاةَ عن الظلمِ ، فيَسْمَعون منه ويُطِيعونه[٣] ، وإذا جاء الناسُ إلى زيارتِه إنما يُكَلِّمُهم مِن طاقةِ المنزلِ ، وهم راضون منه بذلك .

ومِن غريبِ ما حُكِى عنه أنه باع دابةً له مِن رجلٍ ، فلما كان بعدَ أيامٍ جاءه الرجلُ [١٠/٧٠و] فقال : يا سيدى ، إن الدابةَ[٤] لا تأْكُلُ عندى شيئًا . فنظَر إليه الشيخُ ، فقال له : ما تُعانى من الصنائعِ[٥] ؟ فقال : رَقَّاصٌ عندَ الوالى . فقال : إن

(١ - ١) كذا فى الأصل ، م . وفى مصادر ترجمته : « محمد بن محمد » : الذيل على الروضتين ص ٢٣٠، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٠٤، والعبر ٥/ ٢٧٠، والوافى بالوفيات ١/ ٢٠٨، والدليل الشافى ٢/ ٦٩٠.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣١، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٥، والعبر ٥/ ٢٧١، وعقد الجمان ١/ ٣٩٠.

(٣) بعده فى م : « لزهده » .

(٤) بعده فى م : « التى اشتريتها منك » .

(٥) فى م : « الأسباب » .

دابّتَنا لا تأْكُلُ الحرامَ . ودخَل منزلَه فأعْطاه دراهمَه ومعها دراهمُ كثيرةٌ قد اخْتلَطَت بها فلا تُميَّزُ ، فاشْترَى الناسُ مِن الرَّقَّاصِ كلَّ درهمٍ بثلاثةٍ لأجلِ البركة ، وأخَذ دابّتَه ، ولما تُوُفِّى ترَك مِن الأثاثِ ما يُساوِى خمسين درهمًا[1] ، فأبيع بمبلغِ عشرين ألفًا .

قال أبو شامةَ[2] : وفى الثامنِ[3] والعشرين مِن ربيعِ الآخِرِ **تُوُفِّى مُحْيى الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ صَفِىِّ الدينِ إبراهيمَ بنِ مَرْزوقٍ** بدارِه بدمشقَ المُجاوِرةِ للمدرسةِ النُّوريةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قلتُ : دارُه هذه هى التى جُعِلَت مدرسةً للشافعيةِ ، وقَفَها الأميرُ جمالُ الدينِ آقوشُ النَّجِيبىُّ ، [4]التى يقالُ لها : النَّجيبيةُ[4] . تقَبَّل اللَّهُ منه ، وبها إقامتُنا ، جعَلها اللَّهُ دارًا تَعْقُبُها دارُ القَرارِ فى الفوزِ العظيمِ .

وقد كان أبوه صَفِىُّ الدينِ وزيرًا مدةً للملكِ الأشرفِ ، وملَك مِن الذهبِ ستَّمائةِ ألفِ دينارٍ خارجًا عن الأملاكِ[5] والأثاثِ والبَضائعِ ، وكانت وفاةُ أبيه بمصرَ فى سنةِ تسعٍ وخمسين ، ودُفِن بتربتِه عندَ جبلِ المُقَطَّمِ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال أبو شامةَ[6] : وجاء الخبرُ مِن مصرَ **بوفاةِ الفخرِ عثمانَ المصرىِّ المعروفِ بعَيْنِ عين**[7] .

---

(١) فى الأصل : « دينارًا » .
(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣١ .
(٣) فى م : « الرابع » .
(٤ - ٤) زيادة من : م .
(٥) فى الأصل : « الأموال » .
(٦) الذيل على الروضتين ص ٢٣٢ .
(٧) فى م : « غين » .

قال[1] : وفى ثامنَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ تُوُفِّى الشمسُ الوتارُ[2] الموصلىُّ ، وكان قد حصَّل شيئًا مِن علمِ الأدبِ ، وخطَب بجامعِ المِزَّةِ مدةً . فأنْشَدنى لنفسِه فى الشَّيْبِ وخِضابِه :

وكنتُ وإياها مذ اختَطَّ عارضى ... كرُوحَيْن[3] فى جسمٍ وما نَقَضتْ عهدَا

فلما أتانى الشَّيْبُ يَقْطَعُ بينَنا ... توَهَّمْتُه سيفًا فألْبَسْتُه غِمْدَا

وفيها[4] اسْتَحْضَر الملكُ هولاكوقان ملكُ التتارِ الزَّيْنَ الحافظىَّ ، وهو سليمانُ (5ابنُ المؤيدِ5) بنِ عامرٍ العقربانىُّ المعروفُ بالزَّيْنِ الحافظىِّ ، وقال له : قد ثبَت عندى خِيانتُك . وقد كان هذا المُغْتَرُّ لما قدِم التَّتارُ مع[6] هولاكو دمشقَ وغيرَها مالًا على المسلمين وآذاهم ، ودلَّ على عَوْراتِهم ، حتى سلَّطهم اللَّهُ عليه بأنواعِ العُقوباتِ والـمَثُلاتِ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

وفى الجملةِ مَن أعان ظالمًا سُلِّط عليه ، (7فإن اللَّهَ يَنْتَقِمُ مِن الظالمِ بالظالمِ ، ثم يَنْتَقِمُ مِن الظالمين جميعًا ، نَسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ مِن انتقامِه وغضبِه وعقابِه وشرِّ عبادِه7) .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٢.

(٢) فى م : « الوبار » . وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٠.

(٣) فى الذيل على الروضتين : « كزوجين » . والمثبت من الأصل ، م موافق لما فى ذيل مرآة الزمان الموضع السابق .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٣٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٠٩، وكنز الدرر ٨/ ١٠٤.

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل : « سنة » .

(٧ - ٧) زيادة من : م .

ثم دَخلَت سنةُ ثلاثٍ وستين وستّمائةٍ

فيها[1] جهَّز السلطانُ الملكُ الظاهرُ عَسْكرًا جمًّا كثيفًا إلى ناحيةِ الفُراتِ لطرْدِ التَّتارِ النازِلِين بالبِيرَةِ ، فلما سمِعوا بالعَساكرِ الظاهريةِ قد أقْبلَت تولَّوا على أعقابِهم منهزمين ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين ، فطابَت تلك الناحيةُ ، وأمِنَت تلك المُعامَلةُ ، وقد كانت قبلَ ذلك لا تُسكَنُ مِن كثرةِ الفَسادِ بها والخوفِ ، فعمَرَت وأمِنَت وللَّهِ الحمدُ .

وفيها[1] خرَج الملكُ الظاهرُ فى عَساكرَ أُخَرَ عظيمةٍ ، فقصَد بلادَ الساحلِ لحصارِ الفِرنْجِ ، ففتَح قَيْسارِيَّةَ فى ثلاثِ ساعاتٍ مِن يومِ الخميسِ ثامنِ جُمادَى الأولى وهو يومُ نُزولِه عليها ، وتسَلَّم قلعتَها فى يومِ الخميسِ الآخرِ خامسَ عشَره فهدَمها ، وانْتَقل إلى غيرِها ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، ثم جاء الخبرُ بأنه فتَح مدينةَ أَرْسُوفَ[2] ، وقتَل مَن بها مِن الفِرنْجِ ، وجاءت البَرِيديةُ بذلك . فدقَّت البشائرُ فى بلادِ[3] المسلمين ، وفرِحوا بذلك فرحًا شديدًا .

وفيها[4] ورَد خبرٌ مِن بلادِ المغربِ بأنهم انْتَصَروا على الفِرنْجِ ، وقتَلوا منهم خمسةً وأربعين ألفَ مقاتلٍ وأسَروا عشَرةَ آلافٍ ، واسْتَرْجَعوا منهم ثنتين

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٣، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٨، وكنز الدرر ٨/ ١٠٧.

(٢) أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا . معجم البلدان ١/ ٢٠٧.

(٣) فى الأصل : « قلاع » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٣٤، وعقد الجمان ١/ ٤٠٩.

[١٠/٧٠ظ] وثلاثين[1] بَلْدةً، منها شَرِيشُ[2] وإشْبِيلِيَةُ وقُرْطبةُ ومُرْسِيَةُ، وكانت النُّصْرةُ فى يومِ الخميسِ الرابعَ عَشَر من رمضانَ سنةَ ثنتين وستين.

وفى رمضانَ[3] مِن هذه السنةِ شُرِع فى تَبْليطِ بابِ البريدِ مِن بابِ الجامعِ إلى القَناةِ التى عندَ الدَّرَجِ، وعُمِل فى الصفِّ القِبْلىِّ منها بِرْكةٌ وشاذِرْوانٌ. وكان فى موضِعِها قَناةٌ مِن القَنواتِ يَنْتَفِعُ الناسُ بها عندَ انْقِطاعِ نهرِ بانِياسَ[4]، فغُيِّرَت وعُمِل هذا الشاذِرْوانُ. قلتُ: ثم غُيِّر ذلك وعُمِل مكانَه دَكاكِينُ.

وفيها[5] اسْتَدْعَى السلطانُ نائبَه على دمشقَ الأميرَ جمالَ الدينِ آقوش النجيبىَّ فسار إليه سَمْعًا وطاعةً، وقد ناب عنه الأميرُ عَلَمُ الدينِ الحِصْنىُّ حتى عاد مُكَرَّمًا مَعَزَّزًا.

وفيها[6] ولَّى السلطانُ الملكُ الظاهرُ مِن بقيةِ المَذاهبِ قُضاةً فى الديارِ المصريةِ مُسْتَقِلِّين، يُولُّون مِن جهتِهم فى البُلْدانِ أيضًا كما يُوَلِّى الشافعىُّ، فكان للشافعيةِ القاضى تاجُ الدينِ عبدُ الوهَّابِ ابنُ بنتِ الأعَزِّ، وتولى قضاءَ الحنفيةِ شمسُ الدينِ سليمانُ، وقضاءَ المالكيةِ شمسُ الدينِ السبكىُّ، والحَنابلةِ شمسُ الدينِ محمدٌ[7] المَقْدِسىُّ، وكان ذلك يومَ الاثنينِ الثانىَ والعشرين مِن ذى الحجَّةِ بدارِ العدلِ[8]،

---

(١) فى م: «أربعين».

(٢) فى الأصل: «سريش»، وفى م: «برنس»، وفى عقد الجمان: «سرين»، والمثبت من الذيل على الروضتين. وشريش: مدينة كبيرة من كورة شَذُونة وهى قاعدة هذه الكورة، وشذونة: مدينة بالأندلس. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٨٥، ٢٦٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٣٦.

(٤) كذا فى الأصل، والذيل على الروضتين، وفى م: «ماناس». ولعل الصواب «باناس». انظر معجم البلدان ١/ ٤٨٢.

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧.

(٦) المصدر السابق ص ٢٣٥، والعبر ٥/ ٢٧٢، وعقد الجمان ١/ ٤٠٧.

(٧) بعده فى الأصل: «بن».

(٨) فى الأصل: «العقل».

وكان سببَ ذلك كثرةُ تَوَقُّفِ القاضى تاجِ الدين ابنِ بنتِ الأعَزِّ[1] (١ فى أُمُورٍ تُخالِفُ مَذْهبَ الشّافِعِىّ ، وتُوافِقُ غيرَه مِن المذاهبِ ١) ، فأشار الأميرُ جَمالُ الدينِ أَيْدُغْدِى العَزِيزىُّ على السلطانِ بأن يُوَلِّىَ مِن كلِّ مَذْهَبٍ قاضىَ قضاةٍ وكان يُحبُّ رأيَه ومشورتَه ، فأجابه إلى ذلك ففعَل كما ذكرنا ، (٢ وبعَث بأخشابٍ ورَصاصٍ وآلاتٍ كثيرةٍ لِعمارةِ مسجدِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، وأرْسَل مِنْبرًا ، فنُصِب هنالك .

وفيها وقَع حَريقٌ عظيمٌ ببلادِ مصرَ ، واتُّهِم النَّصارى ، فعاقَبهم الملكُ الظاهرُ عُقوبةً عظيمةً ٢) .

وفيها[3] جاءت الأخبارُ بأن سلطانَ التتّارِ هولاكو هلَك إلى لعنةِ اللّهِ وغضبِه فى سابعِ ربيعِ الآخِرِ بمرضِ الصَّرْعِ بمدينةِ مَراغةَ[4] ، ودُفِن بقلعةِ تَلَا ، وبُنِيَت عليه قبةٌ ، واجْتَمَعت التَّتارُ على ولدِه أَبْغَا ، فقصَده الملكُ بَرَكة خان ، فكسَره وفرَّق جُموعَه ، ففرِح الملكُ الظاهرُ بذلك فرحًا شديدًا ، وعزَم على جمعِ العَساكرِ ليَأْخُذَ بلادَ العراقِ ، فلم يَتَمَكَّنْ مِن ذلك لتَفَرُّقِ العَساكرِ فى الإقْطاعاتِ .

وفيها[5] فى ثانى عشَرَ شوالٍ سلْطَن الملكُ الظاهرُ ولدَه الملكَ السعيدَ محمدَ بَرَكة قان ، وأخَذ له البَيْعةَ مِن الأمراءِ ، وأرْكَبه ومشَى الأمراءُ بيـنَ يديه ، وحمَل والدُه الغاشيةَ بنفسِه ، والأميرُ بدرُ الدينِ بَيْسَرِى الشمسىُّ حاملُ الـجِترِ[6] ،

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر نهاية الأرب ٣٠/ ١١٥.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٢، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٢، وكنز الدرر ٨/ ١١٤.

(٤) ستأتى ترجمته صفحة ٤٦٨، ضمن وفيات سنة أربع وستين.

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٢.

(٦) فى م : « الخبز » . والجِتْر : المظلة ؛ من الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام ، وهى قُبّة من حرير أصفر مزركش بالذهب ؛ على أعلاها طائر من فضة مُطْلِيّة بالذهب تحمل على رأس الخليفة عند=

والقاضى تاجُ الدينِ ابنُ بنتِ الأعزِّ والوزيرُ بَهاءُ الدينِ بنُ حِنَّا راكبان بينَ يديه ، وأعيانُ الأمراءِ رُكْبانٌ ، وبقيتُهم مُشاةٌ حتى شقُّوا القاهرةَ وهم كذلك ، وكان يومًا مشهودًا .

وفى ذى القَعْدةِ[1] ختَن السلطانُ ولدَه الملكَ السعيدَ المذكورَ ، وخُتِن معه جماعةٌ مِن أولادِ الأمراءِ ، وكان يومًا مشهودًا .

ومَن تُوُفِّى فيها :

الزينُ خالدُ بنُ يوسُفَ بنِ سعدِ النابُلُسىُّ[2] الشيخُ زينُ الدينِ الحافظُ[3] ، شيخُ دارِ الحديثِ النُّوريةِ بدمشقَ ، كان عالمًا بصناعةِ الحديثِ ، حافظًا لأسماءِ الرجالِ ، اشْتَغل عليه فى ذلك الشيخُ مُحْيى الدينِ النَّواوىُّ وغيرُه ، وتوَلَّى بعدَه مَشْيَخةَ النُّوريةِ الشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ ، وكان الشيخُ زَيْنُ الدينِ حسَنَ الأَخْلاقِ ، فَكِهَ النفسِ ، كثيرَ المزاحِ على طريقةِ المحدِّثِين ، وكان قد رحَل إلى بغدادَ ، فاشْتَغَل بها ، وسمِع الحديثَ [١٠/٧١و] وكان فيه خيرٌ وصلاحٌ وعِبادةٌ ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ أبو القاسم الحُوَّارىُّ : هو أبو القاسمِ بنُ يوسُفَ بنِ أبى القاسمِ بنِ عبدِ السلامِ الأُمَوىُّ[4] الشيخُ المشهورُ صاحبُ الزاويةِ بحُوَّارى ، تُوُفِّى ببلدِه ،

= ركوبه ، ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة ، وحاملها من أكبر الأمراء . انظر صبح الأعشى ٣/ ٤٦٩، ٤/ ٧.

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٣.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣٣، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٦، والعبر ٥/ ٢٧٣، وفوات الوفيات ١/ ٤٠٣، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٨٣، وعقد الجمان ١/ ٤١١.

(٣) فى م : « ابن الحافظ » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٣٦، والعبر ٥/ ٢٧٥، وعقد الجمان ١/ ٤١٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣١٣.

وكان خَيِّرًا صالحًا ، له أتباعٌ وأصحابٌ يُحِبُّونه ، وله مُرِيدون كثيرٌ مِن قَرايا حَورانَ في [(1)] الـجُبَيلِ والبَثَنِيَّةِ [(1)] ، وهم حنابلةٌ لا يَرَوْن الضربَ بالدُّفِّ بل بالكَفِّ ، وهم أمثلُ من غيرِهم .

القاضي بدرُ الدينِ الكُرْديُّ السِّنْجاريُّ [(2)] الذي باشَر القضاءَ بالديارِ المصريةِ مِرارًا وكانت وفاتُه بالقاهرةِ . قال أبو شامةَ [(3)] : وكانت سِيرتُه معروفةً في أخْذِ الرِّشَا مِن قُضاةِ الأطْرافِ والشهودِ والمُتَحاكِمِين ، إلا أنه كان جَوَادًا كريمًا ثم صُودِر هو وأهلُه .

(1 - 1) في م : « الحل والثبنية » .
(2) الذيل على الروضتين ص 234، وذيل مرآة الزمان 2/ 332، والعبر 5/ 274، وعقد الجمان 1/ 411.
(3) الذيل على الروضتين ص 234.

ثم دخلت سنة أربعٍ وستين وستّمائةٍ[1]

استهلَّت والخليفةُ الحاكمُ العباسيُّ ، وسلطانُ المسلمين الملكُ الظاهرُ ، وقُضاةُ مصرَ أربعةٌ .

وفيها استجدَّ بدمشقَ أربعةُ قُضاةٍ[2] ، كما فُعِل فى العامِ الماضى فى ديارِ مصرَ وسيأتى تفصيلُه ، ونائبُ الشامِ آقوشُ النَّجِيبىُّ ، وفيها وردت الولاياتُ لقَضاءِ القُضاةِ من المذاهبِ ؛ فصار كلُّ مذهبٍ فيه قاضى قضاةٍ ، فكان فى منصبِ الشافعيةِ شمسُ الدين أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ خلكانَ البَرْمَكِىُّ ، وصار على قضاءِ الحنفيةِ شمسُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عَطا ، والحنابلةِ شمسُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ الشيخِ أبى عمرَ (3محمدِ بنِ أحمدَ بنِ قُدَامةَ3) ، وللمالكيةِ عبدُ السلامِ ابنُ الزواوىِّ ، وقد امْتَنَع مِن الوِلايةِ ، فأُلْزِم بها حتى قبِل ، ثم عزَل نفسَه ، ثم أُلْزِم بها ، فقبِل بشرطِ أن لا يُباشِرَ أوقافًا ، ولا يَأْخُذَ جامَكيةً على أحكامِه[4] ، فأجيب إلى ذلك ، وكذلك قاضى الحنابلةِ لم يأخذْ على أحكامِه أجرًا وقال : نحن فى كفايةٍ . فأُعْفِى مِن ذلك أيضًا ، رحِمَهم اللَّهُ . وقد كان هذا الصَّنيعُ الذى لم يُسْبَقْ إلى مثلِه قد فُعِل فى العامِ الماضى بالديارِ المصريةِ أيضًا ، واسْتَقَرَّت الأحوالُ على هذا المِنْوالِ وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٣٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٢٧.

(٢) بعده فى م : « من كل مذهب قاض » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) فى الأصل : « الحاكم » .

وفيها كمَل عِمارةُ الحوضِ الذى شرقىَّ قناةِ بابِ البريدِ ، وعُمِل له شاذِرْوانٌ ، وفيه[1] أنابيبُ يَجْرِى فيها الماءُ من القناةِ التى هى غرْبِيُّه إلى جانبِ الدَّرَجِ الشَّماليةِ .

وفيها قدِم السلطانُ الملكُ الظاهرُ بعساكرِه ونازَل مدينةَ صَفَدَ ، واسْتَدْعَى بالمجَانيقِ مِن دمَشقَ ، وأحاط بها ، ولم يَزَلْ حتى افْتَتَحها ، ونزَل أهلُها على حكمِه ، فتسَلَّم البلدَ فى يومِ الجمعةِ ثامنَ عشَرَ شوالٍ من هذه السنةِ ، وقتَل المُقاتِلةَ ، وسبَى الذُّرِّيَّةَ ، وقد كان الملكُ صلاحُ الدينِ افتتحها فى شوالٍ أيضًا فى سنةِ أربعٍ وثمانين وخمسِمائةٍ ، ثم اسْتَعادوها أيضًا فانتزعها منهم قَسْرًا وقهرًا الملكُ الظاهرُ رحِمه اللَّهُ فى هذه السنةِ ، وللَّهِ الحمدُ ، وكان السلطانُ فى نفسِه منهم شىءٌ كثيرٌ ، فلما توَجَّه إلى فتحِها طلَبوا الأمانَ[2] ، فأجْلَس على سَريرِ مَمْلكتِه الأميرَ سيفَ الدينِ كرمونَ التَّترىَّ ، وجاءت رسلُهم ، فحلَّفوه[3] وانْصَرَفوا ، [4]ولا يَشْعُرون أن الذى أعْطاهم العُهودَ بالأمانِ إنما هو الأميرُ الذى أجْلَسه على السريرِ[4] ، والحربُ خَدْعةٌ ، فلما خرَجَت الإسْبتاريةُ والداوِيَّةُ مِن القلعةِ ، وقد فعَلوا بالمسلمين الأفاعيلَ ، فأمكن اللَّهُ [١٠/٧١ظ] منهم ، فأمَر السلطانُ بضَرْبِ أعناقِهم عن آخِرِهم ، وجاءت البشائرُ إلى القلاعِ بذلك ، فدقَّت البشائرُ ، وزُيِّنَت البلادُ وفرِح العبادُ وللَّهِ الحمدُ ، ثم بُثَّت السَّرايا يمينًا وشمالًا فى بلادِ الفِرنْجِ ، فاسْتَوْلى المسلمون على حصونٍ كثيرةٍ تُقارِبُ عشرين حصنًا ،

---

(١) فى م : « قبة و » .

(٢) بعده فى الأصل : « على أن يعطيهم السلطان الأمان » .

(٣) فى م : « فخلعوه » .

(٤ - ٤) زيادة من : م .

وأَسَروا قريبًا مِن ألفِ أسيرٍ ما بينَ امرأةٍ وصبىٍّ، وغنِموا شيئًا كثيرًا، ودقَّت البشائرُ فى البُلْدانِ، وفرِح المسلمون بنصرِ اللَّهِ وتأييدِه.

وفيها[1] قدِم ولدُ الخليفةِ المُستَعْصِم بنِ المُسْتَنْصِرِ بنِ الظاهرِ بنِ الناصرِ العباسىِّ - واسمُه علىٌّ - إلى دمشقَ فأُكْرِم وأُنْزِل بالدارِ الأسَديةِ تُجاهَ المدرسةِ العَزيزيةِ، وقد كان أسيرًا فى أيدى التَّتارِ، فلما كسَرَهم بَرَكةُ خان تخلَّص من أيديهم، وصار إلى دمَشقَ، ولما فتَح السلطانُ صَفَدَ أخْبَره بعضُ مَن كان بها مِن أَسْرَى المسلمين أن سبَبَ أسْرِهم أن أهلَ قريةِ قارا كانوا يَأْخُذونهم فيَحْمِلونهم إلى الفِرِنْجِ، فيَبِيعُونهم منهم، فعندَ ذلك ركِب السلطانُ قاصدًا قارا، فأَوْقَع بهم بأسًا شديدًا، وقتَل منهم خلقًا كثيرًا، وأسَر مِن أبنائِهم ونسائِهم أخْذًا بثأرِ المسلمين، جزاه اللَّهُ خيرًا. ثم أرْسَل السلطانُ الملكُ الظاهرُ جيشًا هائلًا إلى بلادِ سِيسَ، فجاسوا خلالَ الديارِ، وفتَحوا سِيسَ عَنْوةً، وأَسَروا ابنَ ملكِها وقتَلوا أخاه، ونهَبوها وقتَلوا أهلَها، وأخَذوا بثأرِ الإسلامِ وأهلِه منهم؛ وذلك أنهم كانوا أضَرَّ شىءٍ على المسلمين زمنَ التَّتارِ، لما أخَذوا مدينةَ حلبَ وغيرَها أسَروا مِن نساءِ المسلمين وأطْفالِهم خلقًا كثيرًا وجمًّا غفيرًا، ثم كانوا بعدَ ذلك يُغِيرون على بلادِ المسلمين [2]فى زمنِ هولاكو[2]، فكبَته اللَّهُ وأهانه على يدى أنصارِ الإسلامِ، [3]وللَّهِ الحمدُ والمنةُ كثيرًا دائمًا، وكانت النُّصرةُ عليهم فى[3] يومِ الثلاثاءِ العشرين مِن ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ، وجاءت الأخبارُ بذلك إلى البلادِ، وضُرِبَت البَشائرُ.

---

(1) عقد الجمان ١/٤٢٦.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣ - ٣) فى م: «هو وأميره كتبغا وكان أخذ سيس».

وفى الخامسِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ دخَل السلطانُ الملكُ الظاهرُ دمشقَ المحروسةَ وبينَ يديه ابنُ صاحبِ سِيسَ وجَماعةٌ مِن ملوكِ الأرْمَنِ أُسارَى أَذِلَّاءَ صَغَرَةً والعساكرُ صُحْبتُه، وكان يومًا مشهودًا. ثم سار إلى الديارِ المصريةِ مُؤَيَّدًا منصورًا مسرورًا محبورًا وللَّهِ الحمدُ، وطلَب صاحبُ سِيسَ أن يُفادِىَ ولدَه من السلطانِ فقال: لا نُفادِيه إلا بأسيرٍ لنا عندَ التَّتارِ يقالُ له: سُنْقُرُ الأشْقَرُ. فذهَب صاحبُ سِيسَ إلى ملكِ التَّترِ، فتذَلَّل وتخضَّع له، حتى أَطْلَق له سُنْقُرَ الأشْقَرَ فأطلق السلطانُ ابنَ صاحبِ سِيسَ.

وفيها[1] عمَّر الظاهرُ الجِسْرَ المشهورَ بينَ قَراوا[2] ودامية، تولَّى عِمارتَه الأميرُ جَمالُ الدينِ محمدُ بنُ نهارٍ[3] وبدرُ الدينِ محمدُ بنُ رحالٍ والى نابُلُسَ والأغْوارِ، ولما تمَّ بناؤه اضْطَرب بعضُ أركانِه، فقلِق السلطانُ لذلك، وأمَر بتأكيدِه، فلم يَسْتَطِيعوا مِن قوةِ جَرْيِ الماءِ حينَئذٍ، فاتَّفَق بإذنِ اللَّهِ أن انْسالَت على النهرِ أَكَمَةٌ[4] مِن تلك الناحيةِ، فسكَن الماءُ بمقدارِ ما أصْلَحوا ما يُريدون، ثم عاد الماءُ كما كان، وذلك بتَيْسيرِ اللَّهِ وعونِه وعِنايتِه العظيمةِ.

ومِمن تُوفِّى فيها:

أَيْدُغْدِى بنُ عبدِ اللَّهِ، الأميرُ جَمالُ الدينِ العَزيزىُّ[5]، كان [١٠/٧٢و] مِن

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٤٦.

(٢) فى الأصل: «سرارا»، وفى م: «قرارا». والمثبت من المصدر السابق. وقراوا: قرية من أعمال نابلس. انظر معجم البلدان ٤/ ٥١.

(٣) فى الأصل: «بهار»، وفى م: «بهادر». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ١٤١ حاشية (٢)..

(٤) الأكمة: التلّ. الوسيط (أ ك م).

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٥٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٣٠، والعبر ٥/ ٢٧٧، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٨٤، والمنهل الصافى ٣/ ١٥٩.

أكابرِ الأمراءِ وأحظاهم عندَ الملكِ الظاهرِ ، لا يَكادُ يَخْرُجُ عن رأيِه ، وهو الذى أشار عليه بوِلايةِ القُضاةِ مِن كلِّ مذهبٍ على سَبيلِ الاسْتِقلالِ ، وكان ، رحمه اللَّهُ تعالى ، مُتَواضِعًا لا يَلْبَسُ مُحَرَّمًا ، كريمًا وَقورًا رئيسًا مُعَظمًا فى الدولةِ ، أصابَته جِراحةٌ فى حِصارِ صَفَدَ فلم يَزَلْ مَريضًا منها حتى مات ليلةَ عرفةَ ، ودُفِن بالرِّباطِ الناصرىِّ بسفحِ قاسِيونَ[1] .

هُولَاكُوقان بنُ تُولى قان بنِ جِنْكِزْخان[2] ملكُ التَّتارِ بنُ ملكِ التَّتارِ بنِ ملكِ التتارِ ، وهو والدُ ملوكِهم ، والعامَّةُ يقولون هَولَاوُون مثل قلاوون ، وقد كان مَلِكًا جبَّارًا عنيدًا ، قتَل مِن المسلمين شرقًا وغربًا ما لا يَعْلَمُ عددَهم إلا الذى خلَقهم ، وسيُجازِيه على ذلك شرَّ الجزاءِ ، كان ، لعنه اللَّهُ ، لا يَتَقَيَّدُ بدينٍ مِن الأدْيانِ ، وإنما كانت زوجتُه ظفرخاتون قد تنَصَّرَت ، وكانت تُفَضِّلُ النصارى ، وكان ، لعنه اللَّهُ ، يَترامَى على محبةِ المَعْقولاتِ ، ولا يَتَصَوَّرُ منها شيئًا ، وكان أهلُها مِن أفراخِ الفَلاسِفةِ عندَه لهم وَجاهةٌ ومَكانةٌ ، وإنما كانت هِمَّتُه فى تَدْبيرِ مملكتِه وتَمَلُّكِ البلادِ شيئًا فشيئًا ، حتى أباده اللَّهُ فى هذه السنةِ ، وقيل : فى سنةِ ثلاثٍ وستين[3] ، ودُفِن بمدينةِ تَلَا ، لا رحِمه اللَّهُ ، وقام فى الملكِ مِن بعدِه ولدُه أَبْغَا فى المملكةِ ، وكان أَبْغَا أحدَ إخوةٍ عشَرةٍ ذكورٍ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ ، وهو حسبُنا ونعم الوكيلُ .

---

(١) بعده فى م : «من صلاحية دمشق رحمه اللَّه» .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٥٧، ودول الإسلام ٢/ ١٦٩.

(٣) انظر ما تقدم صفحة ٤٦١.

ثم دخلت سنة خمسٍ وستين وستمائةِ[1]

في يومِ الأحدِ ثاني المحرمِ توجّه السلطانُ الملكُ الظاهرُ مِن دمشقَ إلى الديارِ المصريةِ، وصُحْبتُه العساكرُ المنصورةُ، وقد اسْتَوْلَت الدولةُ الإسلاميةُ على بلادِ سِيسَ بكَمالِها، وعلى كثيرٍ مِن مَعاقِلِ الفِرنْجِ في هذه السنةِ، وقد أرْسَل العَساكرَ بينَ يديه إلى غَزَّةَ، وعدَل هو إلى ناحيةِ الكَرَكِ ليَنْظُرَ في أحوالِها، فلما كان عندَ بِرْكةِ زَيْزَى تصَيَّد هنالك، فسقَط عن فرسِه، فانْكَسَرَت فَخِذُه، فأقام هنالك أيامًا يَتَداوَى حتى أمْكَنه أن يَرْكَبَ في المِحَفَّةِ، وسار إلى مصرَ، فبرَأَت رجلُه في أثناءِ الطريقِ، فأمْكَنه الركوبُ وحدَه على الفرسِ. ودخَل القاهرةَ في أُبَّهةٍ عظيمةٍ، وتجَمُّلٍ هائلٍ، وقد زُيِّنَت البلدُ، واحْتَفَل الناسُ له احتفالًا عظيمًا، وفرِحوا بقُدومِه وعافيتِه فرحًا كثيرًا. ثم في رجبٍ منها رجَع مِن القاهرةِ إلى صَفَدَ، وحفَر خَنْدَقًا حولَ قلعتِها، وعمِل فيه بنفسِه وأمرائِه وجيشِه، وأغار على ناحيةِ عَكَّا، فقتَل وأسَر وغنِم وسلِم، وضَرَبَت لذلك البَشائرُ بدمشقَ. وفي ثاني عشَرَ ربيعٍ الأولِ[2] صلَّى الظاهرُ بالجامعِ الأزهرِ الجمعةَ، ولم تَكُنْ تُقامُ به الجمعةُ مِن زمنِ العُبَيْدِيِّين إلى هذا الحينِ، مع أنه أولُ مسجدٍ وضع بالقاهرةِ، بناه جَوْهَرٌ القَائدُ، وأقام فيه الجمعةَ، فلما بنَى الحاكمُ جامعَه حوَّل الجمعةَ منه إليه، وترَك الأزهرَ لا جمعةَ فيه، فصار في حكمِ بقيةِ المَساجدِ، وشعِث حالُه، وتغَيَّرَت

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٨، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٣٣.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٠، وعقد الجمان ٢/ ٦.

أحوالَه ، فأمَر السلطانُ بعِمارتِه وبَياضِه وإقامةِ الجمعةِ ، وأمَر بعِمارةِ جامعِ الحُسَيْنِيةِ ، فكَمَل فى سنةِ سبعٍ وستين ، كما سيأتى ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وفيها أمَر الظاهرُ أن لا يَبِيتَ أحدٌ مِن المجُاوِرين بجامعِ دمشقَ ، وأمَر بإخْراجِ الخَزائنِ منه ، والمَقاصِيرِ التى كانت فيه ، فكانت قريبًا مِن ثلاثِمائةِ [١٠/٧٢ظ] خِزانةٍ ومَقْصورةٍ ، ووجَدوا فيها قَوارِيرَ البولِ والفُرُشَ والسَّجاجِيدَ الكثيرةَ ، فاسْتَراح الناسُ والجامعُ مِن ذلك ، واتَّسَع على المُصَلِّين .

وفيها[1] أمَر السلطانُ بعِمارةِ أسْوارِ صَفَدَ وقلعتِها ، وأن يُكْتَبَ عليها : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ، ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

وفيها[2] الْتَقَى أَبْغَا ومَنْكُوتَمُر الذى قام مَقامَ بَرَكة خان ، فكسَره أبْغَا وغنِم منه شيئًا كثيرًا .

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ فيما نقَل مِن خطِّ الشيخِ قُطْبِ الدينِ اليُونِينيِّ قال[3] : بلَغنا أن رجلًا [4]بديرِ أبى سلَامةَ[4] مِن ناحيةِ بُصْرَى ، كان فيه مُجونٌ واسْتِهْتارٌ ، فذُكِر عندَه السواكُ وما فيه مِن الفَضيلةِ ، فقال : واللَّهِ لا أَسْتاكُ إلا فى المَخْرَجِ . يعنى دُبُرَه ، فأخَذ سِواكًا ، فوضَعه فى مَخْرَجِه ثم أخْرَجه ، فمكَث بعدَه تسعةَ

---

(١) نهاية الأرب ٣٠/ ١٣٧، وعقد الجمان ٢/ ٧.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٣.

(٣) عقد الجمان ٢/ ١٠.

(٤ - ٤) فى م : « يدعى أبا سلامة » .

أشهرٍ ، فوضَع ولدًا على صفةِ الجُرْذانِ ، له أربعةُ قوائمَ ، ورأسُه كرأسِ السمكةِ ، وله دبرٌ كدبرِ الأرنبِ . ولما وضَعه صاح ذلك الحيوانُ ثلاثَ صَيْحاتٍ ، فقامت ابنةُ ذلك الرجلِ فرضَخَت رأسَه فمات ، وعاش ذلك الرجلُ بعدَ وضعِه له يومين ، ومات فى الثالثِ ، وكان يقولُ : هذا الحيوانُ قتَلَنى وقطَّع أمْعائى . وقد شاهَد ذلك جَماعةٌ مِن أهلِ تلك الناحيةِ وخُطباءُ ذلك المكانِ ، ومنهم مَن رأَى ذلك الحيوانَ حيًّا قبل أن يموتَ ، ومنهم مَن رآه بعدَ موتِه .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

السلطانُ برَكَة خان بنُ تُولى بنِ جِنْكِزْخان بنِ خاقان[1] وهو ابنُ عمِّ هُولَاكُو ، وقد أسْلَم بَرَكَة خان هذا ، وكان يُحِبُّ العُلماءَ والصالحين ، ومِن أكبرِ حَسَناتِه كَسْرُه لهولاكو وتَفْريقُه جُنودَه ، وكان يُناصِحُ الملكَ الظاهرَ ويُعَظِّمُه ويُكْرِمُ رسلَه إليه ، ويُطْلِقُ لهم شيئًا كثيرًا ، وقد قام فى الملكِ بعدَه بعضُ أهلِ بيتِه ، وهو مَنْكُوتَمُر بنُ طغان بنِ باتو بنِ تُولى بنِ جِنْكِزْخان ، وكان على طريقتِه ومِنْوالِه ، وللَّهِ الحمدُ .

قاضى القُضاةِ بالديارِ المصريةِ تاجُ الدينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ خلفِ بنِ بدرٍ ابنِ بنتِ الأعَزِّ الشافعىُّ[2] ، كان دَيِّنًا عَفيفًا نَزِهًا ، لا تَأْخُذُه فى اللَّهِ لومةُ لائمٍ ، ولا يَقْبَلُ شَفاعةَ أحدٍ ، وجُمِع له قَضاءُ الديارِ المصريةِ بكَمالِها ، والخَطابةُ والحِسْبةُ ،

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٤، ونهاية الأرب ٢٧/ ٣٥٨، والعبر ٥/ ٢٨٠، والوافى بالوفيات ١٠/ ١١٧، وعقد الجمان ٢/ ١٦.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٤٠، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٩، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٤٠، والعبر ٥/ ٢٨١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣١٨، وعقد الجمان ٢/ ١٢.

ومَشْيَخةُ الشُّيوخِ، ونَظَرُ الأحباسِ[1]، وتَدْريسُ قُبّةِ[2] الشافعيِّ والصالحيةِ وإمامةُ الجامعِ، وكان بيدِه خمسَ عشْرةَ وظيفةً، وباشَر الوِزارةَ فى بعضِ الأوْقاتِ، وكان السلطانُ يُعَظِّمُه، والوزيرُ ابنُ الحنَّا يَخافُ منه كثيرًا، وكان يُحِبُّ أن يَنْكُبَه عندَ السلطانِ ويَضَعَه، فلا يَسْتَطيعُ ذلك، وكان يَشْتَهِى أن يَأْتِىَ دارَه ولو عائدًا، فمرِض فى بعضِ الأحْيانِ، فجاءه القاضى عائدًا، فقام لتَلَقِّيه إلى وسَطِ الدارِ، فقال له القاضى: إنما جِئْنا لعِيادتِك، فإذا أنت سَوِىٌّ صَحيحٌ، سلامٌ عليكم. فرجَع ولم يَجْلِسْ عندَه. وكان مولدُه فى سنةِ أربعٍ وستِّمائةٍ، وتوَلَّى بعدَه القَضاءَ تَقِىُّ الدينِ بنُ رَزِينٍ.

واقفُ القَيْمُرِيَّةِ الأميرُ الكبيرُ ناصرُ الدينِ أبو المَعالى الحسينُ بنُ عزيزِ بنِ أبى الفَوارِسِ القَيْمُرىُّ الكُرْدىُّ[3]، كان مِن أعظمِ الأُمراءِ مكانةً عندَ الملوكِ، وهو الذى سلَّم الشامَ إلى الملكِ الناصرِ صاحبِ حلَبَ، حينَ قُتِل تُورَانْشاه بنُ الصالحِ أيوبَ بمصرَ، وهو واقفُ المدرسةِ القَيْمُريةِ [١٠/٧٣و] عندَ مِئْذَنةِ فَيْرُوزَ، وعمِل على بابِها الساعاتِ التى لم يُسْبَقْ إلى مثلِها، ولا عُمِل على شكلِها، يقالُ: إنه غرِم عليها أربعين ألفَ درهمٍ.

الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ[4]: **عبدُ الرحمنِ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ**

---

(١) فى الأصل: «الجيش»، وفى م: «الأجياش»، والمثبت من عقد الجمان.

(٢) سقط من: الأصل، م. والمثبت من طبقات الشافعية الكبرى.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٣٩، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٤٦، والعبر ٥/ ٢٨٠، وعقد الجمان ٢/ ١٥.

(٤) الذيل على الروضتين ص ٣٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٧، والعبر ٥/ ٢٨٠، والوافى بالوفيات ١٨/ ١١٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٦٥، غاية النهاية ١/ ٣٦٥، وبغية الوعاة ٢/ ٧٧، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٦٣.

عثمانَ بنِ أبى بكرِ بنِ عباسٍ ، أبو[1] محمدٍ وأبو القاسمِ المَقْدِسىُّ ، الشيخُ الإمامُ العلامةُ الحافظُ المُحَدِّثُ الفَقِيهُ المُؤَرِّخُ المَعْروفُ بأبى شامةَ ، شيخُ دارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ ، ومدرسُ الرُّكْنيةِ ، وصاحبُ المُصَنَّفاتِ العَديدةِ المفيدةِ ، له « اختِصارُ تاريخِ دمشقَ » فى مجلداتٍ كثيرةٍ ، وله « شرْحُ الشاطبيةِ » ، وله « الردُّ إلى الأمرِ الأولِ » ، وله فى البعثِ[2] وفى الإسْراءِ[3] ، وكتابُ « الرَّوْضَتَيْن فى الدولتَيْن النُّوريةِ والصَّلاحيةِ » ، وله « الذَّيْلُ » على ذلك ، وله غيرُ ذلك مِن الفَوائدِ الحِسانِ والفرائدِ[4] التى هى كالعِقْيانِ . وُلِد ليلةَ الجمعةِ الثالثِ والعشرين مِن ربيعِ الآخِرِ سنةَ تسعٍ و (5)تسعين وخمسِمائةٍ(5) ، وذكَر لنفسِه ترجمةً فى هذه السنةِ فى « الذَّيْلِ » ، وذكَر مَرْباه ومَنْشَأَه ، وطلبَه العلمَ ، وسَماعَه الحديثَ ، وتفَقُّهَه على الفخرِ بنِ عساكرَ ، وابنِ عبدِ السلامِ ، والسيفِ الآمِدىِّ ، والشيخِ مُوَفَّقِ الدينِ بنِ قُدامةَ ، وما رُئِى له مِن المَناماتِ الحسنةِ . وكان ذا فُنونٍ كثيرةٍ ، أخْبَرَنى الشيخُ عَلَمُ الدينِ البِرْزالىُّ الحافظُ عن الشيخِ تاجِ الدينِ الفَزارىِّ ، أنه كان يقولُ : بلَغ الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ رُتْبَةَ الاجْتِهادِ ، وقد كان يَنْظِمُ أشْعارًا فى أوقاتٍ ، منها ما هو مُسْتَحْلًى ، ومنها ما لا يُسْتَحْلَى . فاللَّهُ يَغْفِرُ لنا وله .

وبالجملةِ فلم يَكُنْ فى وقتِه مثلُه فى نفسِه ودِيانتِه ، وعِفَّتِه وأمانتِه ، وكانت وفاتُه بسببِ جماعةٍ[6] ألَّبُوا عليه ، فأرْسَلوا إليه مَن اغْتاله ، وهو بمنزلٍ له بطَوَاحِينِ الأُشْنانِ ، وقد كان اتُّهِم بأمرٍ[7] الظاهرُ بَراءتُه منه ، وقد قال جَماعةٌ مِن أهلِ

---

(1) كذا فى الأصل ، م ، وفى الذيل على الروضتين قال المصنف عن نفسه : يكنى أبا القاسم محمد ، وفى ذيل مرآة الزمان : « بن » .

(2) وهو كتاب « شرح الحديث المقتضى فى مبعث المصطفى » .

(3) وهو كتاب « نور المسرى فى تفسير آية الإسْرا » .

(4) فى م : « الغرائب » .

(5 - 5) فى الأصل : « ستمائة » . وانظر الذيل على الروضتين ص ٣٧.

(6) فى م : « محنة » .

(7) فى م : « برأى » .

الحديثِ وغيرِهم : إنه كان مظلومًا . ولم يَزَلْ يَكْتُبُ فى « التاريخِ » حتى وصَل إلى رجبٍ مِن هذه السنةِ ، فذكَر أنه أُصِيب بِمِحْنةٍ فى منزلِه بطَوَاحينِ الأُشْنانِ ، وكان الذين قتَلوه جاءوه قبلُ ، فضَرَبوه ليَموتَ ، فلم يَمُتْ ، فقيل له : ألا تَشْتَكِى عليهم . فلم يَفْعَلْ ، وأنشَأ يقولُ[1] :

قلتُ لِمَن قال ألا تَشْتَكِى ما قد جرَى فهْو عَظيمٌ جَليلْ
يُقَيِّضُ اللَّهُ تعالى لنا مَن يَأْخُذُ الحقَّ ويَشْفِى الغَليلْ
إذا توَكَّلْنا عليه كفَى فحسْبُنا اللَّهُ ونعمَ الوكيلْ

وكأنهم عادوا إليه مرةً ثانيةً ، وهو فى المنزلِ المذكورِ ، فقتَلوه بالكليةِ فى ليلةِ الثلاثاءِ تاسعَ عشَرَ من رمضانَ ، رحِمه اللَّهُ . [2]ودُفِن مِن يومِه بمقابرِ بابِ[3] الفَرادِيسِ[2] ، وباشَر بعدَه مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ الشيخُ مُحْيى الدينِ النَّوَوىُّ .

وفى هذه السنةِ كان مَوْلِدُ الحافظِ عَلَمِ الدينِ القاسمِ بنِ محمدٍ البِرْزالىِّ ، وقد ذيَّل على تاريخِ الشيخِ أبى شامةَ ؛ لأن مولدَه فى سنةِ وفاتِه ، فحذا حَذْوَه ، وسلَك نحوَه ، ورتَّب تَرتيبَه ، وهذَّب تَهْذيبَه ، وهذا مِمَّن يقالُ فيه وفى أمثالِه فى تراجمِهم[4] :

ما زلتَ تَكْتُبُ فى التاريخِ مُجْتَهِدًا حتى رأيْتُك فى التاريخِ مَكْتوبَا

ويُناسِبُ أن يُنْشَدَ هنا قولُ الشاعرِ[5] :

إذا سيِّدٌ منا خَلَا قام سيدٌ قَؤُولٌ لما قال الكِرامُ فَعولُ

---

(١) الأبيات فى الذيل على الروضتين ص ٢٤٠.
(٢ - ٢) سقط من : الأصل.
(٣) فى الأصل : « دار » . والمثبت من غاية النهاية وعقد الجمان ٢/ ١٥.
(٤) انظر ما تقدم صفحة ٣٤٤.
(٥) البيت للسموأل بن عاديا . انظر الحماسة لأبى تمام ١/ ٨١، وديوان السموأل المجموع ص ٩١.

ثم دخَلت سنةُ ستٍّ وستين وستّمائةٍ[1]

استَهَلَّت هذه السنةُ والحاكمُ العباسيُّ خليفةٌ ، وسلطانُ البلادِ الملكُ الظاهرُ ، وفي أولِ جُمادَى الآخِرةِ خرَج السلطانُ [١٠/٧٣ظ] مِن الديارِ المصريةِ بالعَساكرِ المنصورةِ ، فنزَل على مدينةِ يَافَا بَغْتةً ، فأخَذَها عَنْوةً ، وسلَّم إليه أهلُها قلعتَها صُلحًا ، فأجْلاهم منها إلى عَكَّا ، وخرَّب القلعةَ والمدينةَ [2]أيضًا ، وقد كان الفِرِنجُ اعتنَوا بعمارتِها وتحصينِها ، فجعلها بلقعًا لئلا يكونَ لهم إليها عودةٌ[2] ، وسار منها في رجبٍ قاصدًا حصنَ الشَّقِيفِ ، وفي بعضِ الطريقِ أخَذ مِن بعضِ بَريديةِ الفِرِنْجِ كتابًا مِن أهلِ عَكَّا إلى أهلِ الشَّقِيفِ يُعْلِمونهم بقُدومِ السلطانِ عليهم ، ويَأْمُرونهم بتَحصينِ البلدِ ، والمُبادَرةِ إلى إصْلاحِ أماكنَ يُخْشَى على البلدِ منها . ففهِم السلطانُ كيف يَأْخُذُ البلدَ ، وعرَف مِن أين تُؤْكَلُ الكَتِفُ ، واسْتَدْعَى مِن فَوْرِه رجلًا مِن الفِرِنْجِ ، فأمَرَه أن يَكْتُبَ بدلَه كتابًا على ألسنتِهم إلى أهلِ الشَّقِيفِ ، يُحَذِّرُ الملكَ مِن الوزيرِ ، والوزيرَ مِن الملكِ ، ويَرْمِى الخُلْفَ بينَ الدولةِ . فوصَل إليهم ، فأوْقَع اللَّهُ الخُلْفَ بينَهم بحولِه وقوتِه ، وجاء السلطانُ فحاصَرَهم ورماهم بالمَنْجَنِيقِ ، فسلَّموه الحصنَ في التاسعِ والعشرين مِن رجبٍ ، وأجْلاهم إلى صُورَ ، وبعَث بالأثقالِ[3] إلى دمشقَ ، ثم ركِب جَريدةً فيمَن نشِط مِن

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٧٣/٢ - ٤٠٦، ونهاية الأرب ١٥٠/٣٠ - ١٥٦، وكنز الدرر ١٢٣/٨ - ١٣٩، والعبر ٢٨٣/٥.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) في م : « بالأنفال » .

الجيشِ ، فشنَّ الغارةَ على طَرابُلُسَ وأعْمالِها ، فنهَب وقتَل وأرْعَب ، وكرَّ راجعًا مُؤَيَّدًا مَنْصورًا ، فنزَل على حصنِ الأكْرادِ[1] تحته[2] فى المَرْجِ ، فحمَل إليه أهلُه مِن الفِرِنْجِ الإقاماتِ ، فأبَى أن يَقْبَلَها وقال : أنتم قتَلْتُم جُنْديًّا مِن جيشى ، وأُرِيدُ ديتَه مائةَ ألفِ دينارٍ . ثم سار ، فنزَل على حمصَ ، ثم منها إلى حَماةَ ، ثم إلى أفَامِيَة[3] ، ثم سار مَنْزِلةً أخرى ، ثم سار ليلًا ، وتقَدَّم إلى العَسْكَرِ فلبِسوا العُدَّةَ ، وساق حتى أحاط بمدينةِ أَنْطاكِيَةَ .

فتحُ أَنْطاكِيَةَ على يدِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ

وهى مدينةٌ عظيمةٌ كثيرةُ الخيرِ ، يقالُ : إن دَوْرَ سُورِها اثنا عشرَ ميلًا ، وعددَ بُروجِها مائةٌ وستةٌ وثلاثون بُرْجًا ، وعددَ شُرفاتِها أربعةٌ وعشرون ألفَ شرفةٍ ، كان نزولُه عليها فى مُسْتَهَلِّ شهرِ رمضانَ ، فخرَج إليه أهلُها يَطْلُبون منه الأمانَ ، وشرَطوا شُروطًا عليهم له ، فأبَى أن يُجِيبَهم ، وردَّهم خائبين ، وصمَّم على حِصارِها ، ففتَحها يومَ السبتِ رابعَ شهرِ[4] رمضانَ بحولِ اللَّهِ وقوتِه وتأْييدِه ونصرِه ، وغنِم منها شيئًا كثيرًا ، وأطْلَق للأُمراءِ أموالًا جزيلةً ، ووجَد مِن أُسارَى

---

(١) حصن الأكراد : من أعمال حمص وهو قلعة حصينة مقابل حمص من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان ولها ربض ، وكانت مقر ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس ، وهى على مرحلة من حمص وكذلك عن طرابلس وهى بين حمص وطرابلس . النجوم الزاهرة ١٤٢/٧ حاشية (٤) .

(٢) فى م : « لمحبته » .

(٣) فى الأصل : « إقامته » ، وهو تصحيف . وأفامية : مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص ... ويسميها بعضهم فامية . معجم البلدان ١/ ٣٢٣.

(٤) فى م : « عشر » . وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٨٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٤٣.

المسلمين مِن الحلَبِيِّين فيها خلقًا كثيرًا ، كلُّ هذا فى مِقْدارِ أربعةِ أيامٍ . وقد كان الأفريس[1] صاحبُها وصاحبُ طَرابُلُسَ ، مِن أشدِّ الناسِ أَذِيةً للمسلمين ، حينَ ملَك التَّتارُ حلبَ ، وفرَّ الناسُ منها ، فانْتَقَم اللَّهُ سبحانه منه بمَن أقامه للإسلامِ ناصرًا وللصليبِ دامِغًا وكاسرًا ، ولِلَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وجاءت البِشارةُ بذلك مع البَريديةِ ، فجاوَبَتْها البَشائرُ مِن القلعةِ المنصورةِ ، وأرْسَل أهلُ بَغْرَاسَ[2] حينَ سمِعوا بقصدِ السلطانِ إليهم يَطلُبون منه أن يَبْعَثَ إليهم مَن يَتَسَلَّمُها ، فأرْسَل إليهم أستاذَدارِه الأميرَ آقْسُنْقُرَ الفارقانيَّ فى ثالثَ عشَرَ رمضانَ فتسَلَّمها ، وتسَلَّموا حُصونًا كبيرةً وقِلاعًا كثيرةً ، وعاد السلطانُ مُؤَيَّدًا مَنصورًا ، فدخَل دمشقَ فى السابعِ والعشرين مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ وهَيْبةٍ هائلةٍ ، وقد زُيِّنَت له البلدُ ، ودُقَّت له البَشائرُ فرَحًا بنُصْرةِ الإسلامِ على الكَفَرةِ الطَّغامِ ، لكنه كان قد عزَم على أخْذِ أراضٍ كثيرةٍ مِن القُرى والبَساتِينِ التى بأيدى مُلَّاكِها بزَعْمِ أنه قد كانت التَّتارُ اسْتَحوذوا عليها ، [١٠/٧٤و] ثم اسْتَنْقَذها منهم ، وقد أفْتاه بعضُ الفُقهاءِ مِن الحنَفيةِ بذلك ، تَفْريعًا على أن الكفارَ إذا أخَذوا شيئًا مِن أموالِ المسلمين ملكوها ، فإذا اسْتُرْجِعَت لم تُرَدَّ إلى أصحابِها ، وهذه المسألةُ مشهورةٌ ، وللناسِ فيها قولان ؛ أصحُّهما قولُ الجمهورِ أنه يَجِبُ ردُّها إلى أصحابِها ؛ لحديثِ العَضْباءِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] ، حينَ اسْتَرْجعها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقد كان أخَذها المشركون ، اسْتَدَلُّوا بهذا وأمثالِه على أبى حَنيفةَ رحمه اللَّهُ تعالى .

وقال بعضُ العلماءِ : إذا أخَذ الكفارُ أموالَ المسلمين ، وأسْلَموا وهى فى أيديهم

---

(١) فى م : « الأغريس » .

(٢) بغراس : مدينة فى لحف - أصل - جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس . انظر معجم البلدان ١/ ٦٩٣.

(٣) تقدم تخريجه فى ٦/ ١٧٥.

اسْتَقَرَّت على أملاكِهم. واسْتَدَل على ذلك بقولِه، عليه الصلاةُ والسلامُ[1] : « وهل ترَك لنا عَقِيلٌ مِن رِباعٍ ». وقد كان اسْتَحْوَذ على أمْلاكِ المسلمين الذين هاجَروا، وأسْلَم عَقيلٌ وهى فى يدِه، فلم تُنتزَعْ مِن يدِه، وأما إذا انْتُزِعَت مِن أيديهم قبلُ، فإنها تُرَدُّ إلى أرْبابِها لحديثِ العَضْباءِ.

والمقصودُ أن الظاهرَ عقَد مجلسًا اجْتَمَع فيه القُضاةُ والفُقهاءُ مِن سائرِ المَذاهبِ، وتكَلَّموا فى ذلك، وصمَّم السلطانُ على ذلك اعْتمادًا على ما بيدِه مِن الفَتاوَى، وخاف الناسُ مِن غائلةِ ذلك، فتوَسَّط الصاحبُ فخرُ الدينِ بنُ الوزيرِ بَهاءِ الدينِ بنِ الحِنَّا، وكان قد درَّس بالشافعىِّ بعدَ ابنِ بنتِ الأعَزِّ، فقال: يا خُونْد، أهلُ البلدِ يُصالِحونك عن ذلك كلِّه بألفِ ألفِ درهمٍ تُقَسَّطُ؛ كلَّ سنةٍ مائتَا ألفِ درهمٍ. فأبَى إلا أن تكونَ مُعَجَّلةً بعدَ أيامٍ، وخرَج مُتَوَجِّهًا إلى الديارِ المصريةِ، وقد أجاب إلى تَقْسيطِها، وجاءت البِشارةُ بذلك [2]وقُرِئَت على المنبرِ، ففرِح الناسُ بذلك[2]، ورسَم أن يُعَجِّلوا مِن ذلك أربعَمائةِ ألفِ درهمٍ، وأن تُعادَ إليهم[3] الغَلَّاتُ التى كانوا قد احْتاطوا عليها فى زمنِ القَسْمِ والثِّمارِ، وكانت هذه الفَعْلةُ مما شعَّثَت خَواطرَ الناسِ على السلطانِ.

ولما اسْتَقَر أمْرُ أَبْغَا على التَّتارِ أمَر باسْتِمْرارِ وزيرِه نَصِيرِ الدينِ الطُّوسىِّ، واسْتَناب على بلادِ الرومِ البَرْوَاناه[4]، وارْتَفَع قَدْرُه عندَه جدًّا، واسْتَقَلَّ بتَدْبيرِ تلك البلادِ، وعظُم شأنُه فيها.

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/ ٥٥٥، كما أخرجه مسلم (٤٣٩، ٤٤٠/ ١٣٥١).
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣) فى م: «إليه». وانظر كنز الدرر ٨/ ٣٨٧.
(٤) البرواناه: لفظ فارسى معناه فى الأصل الحاجب، وقد أطلق فى دولة السلاجقة الروم بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر. انظر السلوك ١/ ٥٧٢ (القسم الثانى) حاشية (١).

وفيها كتَب صاحبُ اليمنِ إلى الظاهرِ بالخُضوعِ والانْتماءِ إلى جانبِه، وأنه يَخْطُبُ له ببلادِ اليمنِ، وأرْسَل إليه هَدايا وتُحَفًا كثيرةً، فأرْسَل إليه السلطانُ هَدايا وخِلَعًا وسَنْجَقًا وتَقْليدًا.

وفيها رافَع ضِياءُ الدينِ بنُ الفُقَاعيِّ للصاحبِ بَهاءِ الدينِ بنِ الحِنَّا عندَ الظاهرِ، واسْتَظْهَر عليه ابنُ الحِنَّا، فسلَّمه الظاهرُ إليه، فلم يَزَلْ يَضْرِبُه بالمَقارِعِ ويَسْتَخْلِصُ أموالَه إلى أن مات، فيقالُ: إنه ضرَبه قبلَ أن يَموتَ سبعةَ عشَرَ ألفَ مِقْرَعةٍ وسبعَمائةٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

وفيها عمِل البَرْوَاناه على قتلِ الملكِ عَلاءِ الدينِ صاحبِ قُونِيَةَ، وأقام ولَدَه غِياثَ الدينِ مكانَه وهو ابنُ عشرِ سنينَ، وتمكَّن البَرْوَاناه فى البلادِ [١٠/٧٤ظ] والعِبادِ، وأطاعه جيشُ الرومِ.

وفيها[1] قتَل الصاحبُ علاءُ الدينِ صاحبُ الدِّيوانِ ببغدادَ ابنَ الخُشْكريِّ النُّعْمانيَّ الشاعرَ؛ وذلك أنه اشْتَهَر عنه أشْياءُ عَظيمةٌ، منها أنه يَعْتَقِدُ فضلَ شعرِه على القرآنِ المَجيدِ، واتَّفَق أن الصاحبَ انْحَدَر إلى واسِطٍ، فلما كان بالنُّعْمانيةِ حضَر ابنُ الخُشْكريِّ عندَه، وأَنْشَده قَصيدةً قد قالها فيه، فبينَما هو يُنْشِدُها بينَ يديه إذ أذَّن المُؤَذِّنُ، فاسْتَنْصَته الصاحبُ، فقال ابنُ الخُشْكريِّ: يا مولانا، اسْمَعْ شيئًا جديدًا، وأَعْرِضْ عن شيءٍ له سنون. فثبَت عندَ الصاحبِ ما كان يقالُ عندَه عنه، ثم باسَطه وأظْهَر أنه لا يُنْكِرُ عليه شيئًا مما قال حتى اسْتَعْلَم ما عندَه، فإذا هو زِنْدِيقٌ، فلما ركِب قال لإنسانٍ معه: اسْتَفْرِدْه فى أثْناءِ الطريقِ واقْتُلْه. فسايَره ذلك الرجلُ حتى إذا انْقَطَع عن الناسِ قال لجَماعةٍ معه: أنْزِلوه عن فرسِه. كالمُداعِبِ له، فأنْزَلوه وهو يَشْتُمُهم ويَلْعَنُهم، ثم قال: انْزِعوا عنه ثيابَه. فسلَبوها

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٨٧، وعقد الجمان ٢/ ٣٥.

وهو يُخاصِمُهم ، ويقولُ : إنكم أجْلافٌ ، وإن هذا لَعِبٌ باردٌ . ثم قال : اضْرِبوا عنقَه . فتقَدَّم إليه أحدُهم ، فضرَبه بسيفِه ، فأبان رأسَه .

وفيها تُوُفِّى :

الشيخُ عَفيفُ الدينِ يوسُفُ بنُ البَقَّالِ[1] ، شيخُ رِباطِ المَرْزُبانيةِ ، كان صالحًا وَرِعًا زاهدًا ، حكَى عن نفسِه قال : كنتُ بمصرَ فبلَغَنى ما وقَع مِن القتلِ الذَّريعِ ببغدادَ فى فِتنةِ التتارِ ، فأنْكَرْتُ فى قلبى ، وقلتُ : ياربِّ ، كيف هذا وفيهم الأَطْفالُ ومَن لا ذنبَ له ؟ فرأَيْتُ فى المَنامِ رجلًا وفى يدِه كتابٌ ، فأخَذْتُه فقرَأْتُه ، فإذا فيه هذه الأَبياتُ ، فيها الإنكارُ علىَّ :

دَعِ الإِعْتِراضَ فما الأمرُ لكْ ... ولا الحكمُ فى حَرَكاتِ الفَلَكْ
ولا تَسْأَلِ اللَّهَ عن فعلِهِ ... فمَن خاض لُجَّةَ بحرٍ هلَكْ
إليه تَصِيرُ أُمورُ العبادِ ... دَعِ الإِعْتِراضَ فما أجْهَلَكْ

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحافظُ أبو إبراهيمَ إسحاقُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[2] المَعْروفُ بابنِ قاضى اليمنِ ، عن ثمانٍ وستين سنةً ، ودُفِن بالشَّرَفِ الأعلَى ، وكان قد تفَرَّد برِواياتٍ جيدةٍ ، وانْتَفَع الناسُ به .

وفيها[3] وُلِد الشيخُ شَرَفُ الدينِ عبدُ اللَّهِ ابنُ تَيْمِيةَ ، أخو الشيخِ تَقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيةَ ، والخَطيبُ القَزْوينىُّ[4] .

---

(١) عقد الجمان ٢/ ٣٥.
(٢) بعده فى الأصل : « بن عبد الله » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .
(٣) عقد الجمان ١/ ٣٨.
(٤) ستأتى ترجمته فى ٤١٧/١٨ ضمن وفيات سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

ثم دخَلت سنةُ سبعٍ وستين وستّمائةٍ[1]

فى صفَرٍ منها جدَّد السلطانُ الظاهرُ البَيْعةَ لولدِه مِن بعدِه الملكِ السعيدِ محمدٍ بَرَكة خان ، وأحْضَر الأمراءَ كلَّهم والقُضاةَ والأعيانَ ، وأرْكَبه ومشَى بينَ يديه ، وكتَب له ابنُ لُقْمانَ تَقْليدًا هائلًا بالمُلْكِ مِن بعدِ أبيه ، وأن يَحْكُمَ عنه أيضًا فى حالِ حياتِه ، ثم ركِب السلطانُ فى عساكرِه فى جُمادَى الآخِرةِ قاصدًا الشامَ ، فلما دخَل دمشقَ جاءته رسلٌ مِن أَبْغَا ملكِ التَّتارِ ، معهم مُكاتَباتٌ ومُشافَهاتٌ ، فمِن جملةِ المُشافَهاتِ : أنت مَمْلوكٌ أُبِعْتَ بسِيواسَ[2] ، فكيف يَصْلُحُ لك أن تُخالِفَ مُلوكَ الأرضِ ؟! واعْلَمْ أنك لو صَعِدْتَ إلى السماءِ أو هبَطْتَ إلى الأرضِ ما تخَلَّصْتَ منى فاعْمَلْ لنفسِك على مُصالحةِ السلطانِ أَبْغَا . فلم يَلْتَفِتْ إلى ذلك ، ولا عدَّه شيئًا ، بل أجاب عنه أتَمَّ جوابٍ ، وقال لرُسُلِه : أعْلِموه أنى مِن ورائِه بالمُطالَبةِ ، ولا أزالُ حتى أَنْتزِعَ منه جميعَ البلادِ التى اسْتَحْوَذَ عليها مِن بلادِ الخليفةِ ، وسائرِ أقْطارِ الأرضِ .

وفى جُمادَى الآخِرةِ رسَم السلطانُ [١٠/٧٥و] الملكُ الظاهرُ بإراقةِ الخمورِ وتَبْطيلِ المُفْسِداتِ والخَواطِئِ بالبلادِ كلِّها ، فنُهِبَت الخَواطِئُ وسُلِبْنَ جميعَ ما كان معَهن [3]وحُبِسن[3] حتى يَتزَوَّجْنَ ، وكتَب إلى جميعِ البلادِ بذلك ، وأُسْقِطت

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٠٦- ٤٣٠، ونهاية الأرب ٣٠/١٥٧ - ١٦٧، وكنز الدرر ٨/ ١٣٩- ١٤٢.

(٢) سيواس : بلد بالروم . التاج (س و س) .

(٣ - ٣) سقط من : م .

المُكوسُ التى كانت مُرَتَّبةً على ذلك ، وعوَّض مَن كان مُحالًا على ذلك بغيرِها ، ولِلَّهِ الحمدُ والمنةُ .

ثم عاد السلطانُ بعَساكرِه إلى مصرَ ، فلما كان فى أثناءِ الطريقِ عندَ خَربةِ اللُّصوصِ تعَرَّضَت له امرأةٌ ، فذكَرَت له أن ولدَها دخَل مدينةَ صُورَ ، وأن صاحبَها الفِرِنْجيَّ غدَر به وقتَله ، وأخَذ مالَه ، فركِب السلطانُ وشنَّ الغارةَ على صُورَ ، فأخَذ منها شيئًا كثيرًا ، وقتَل خلقًا ، فأرْسَل إليه مَلِكُها : ما سببُ هذا ؟ فذكَر له غَدْرَه ومَكْرَه بالتُّجارِ ، ثم قال السلطانُ لمُقَدَّمِ الجُيوشِ : أوْهِمِ الناسَ أنى مَريضٌ ، وأنى بالمِحَفَّةِ ، وأَحْضِرِ الأطِباءَ ، واسْتَوْصِفْ لى منهم ما يَصْلُحُ لمريضٍ به كذا وكذا ، وإذا وصفوا لك ، فأحْضِرِ الأشربةَ إلى المِحَفَّةِ ، وأنتم سائرون . ثم ركِب السلطانُ على البَريدِ ، وساق مُسْرِعًا (١حتى دخَل الديارَ المصريةَ١) ، فكشَف أحْوالَ ولدِه ، وكيف الأمرُ بالديارِ المصريةِ بعدَه ، ثم عاد مُسْرِعًا إلى الجيشِ ، فجلَس فى المِحَفَّةِ ، وأظْهَروا عافيتَه ، وتَباشَروا بذلك . وهذه جُرْأَةٌ عظيمةٌ ، وإقدامٌ هائلٌ .

وفيها حجَّ السلطانُ الملكُ الظاهرُ ، وفى صحبتِه الأميرُ بدرُ الدينِ الخزندار ، وقاضى القُضاةِ صدرُ الدينِ سليمانُ الحَنَفيُّ ، وفخرُ الدينِ بنُ لُقْمانَ ، وتاجُ الدينِ ابنُ الأثيرِ ، ونحوٌ مِن ثلاثِمائةِ مملوكٍ ، وأجنادٌ مِن الحلقةِ المنصورةِ ، فسار على طريقِ الكَرَكِ ، ونظَر فى أحوالِها ، ثم منها إلى المدينةِ النبويةِ ، فأحْسَن إلى أهلِها ، ونظَر فى أحوالِها ، ثم منها إلى مكةَ ، فتصَدَّق على المُجاوِرين ، ثم وقَف بعرفةَ ، وطاف طَوافَ الإفاضةِ ، وفُتِحَت له الكعبةُ ، فغسَلها بماءِ الوردِ ، وطيَّبها بيدِه ، ثم

(١ - ١) سقط من : م.

وقَف ببابِ الكعبةِ، فتناوَل أيدىَ الناسِ ليَدْخُلوا الكعبةَ، وهو بينَهم كأحدِهم[1]، ثم رجَع فرمَى الجَمَراتِ، ثم تعَجَّل النَّفْرَ، فعاد على المدينةِ النبويةِ، فزار القبرَ الشريفَ مرةً ثانيةً، على ساكنِه أفْضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ، وعلى آلِه وأهلِ بيتِه الطيِّبين الطاهرين وصحابتِه الكرامِ أجمَعين إلى يومِ الدينِ. ثم سار إلى الكَرَكِ، فدخلَها فى التاسعِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ، وأرْسَل البَشيرَ إلى دمشقَ بقُدومِه سالمًا، فخرَج الأميرُ جمالُ الدينِ آقوشُ النَّجيبىُّ نائبُها ليَتَلَقَّى البَشيرَ فى ثانى المحرمِ، فإذا هو السلطانُ نفسُه يَسِيرُ فى المَيْدانِ الأخْضرِ، وقد سبَق الجميعَ، فتعَجَّب الناسُ مِن سرعةِ سَيْرِه وصبرِه وجَلَدِه، ثم سار مِن فَوْرِه حتى دخَل حلَبَ فى سادسِ المحرمِ ليَتَفَقَّدَ أحوالَها، ثم عاد إلى حَماةَ، ثم رجَع إلى دمشقَ، ثم سار إلى مصرَ، فدخَلها يومَ الثلاثاءِ ثالثَ صفرٍ مِن السنةِ المُقْبِلةِ، رحِمه اللَّهُ.

وفى أواخرِ ذى الحِجَّةِ هبَّت ريحٌ شديدةٌ أغْرَقَت مائتَىْ مَرْكَبٍ فى النِّيلِ، وهلَك فيها خلقٌ كثيرٌ، ووقَع هنالك مطرٌ شديدٌ جدًّا، وأصاب الشامَ مِن ذلك صَقْعةٌ أهْلكَت الثِّمارَ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وفيها أوْقَع اللَّهُ تعالى الخُلْفَ بينَ التَّتارِ مِن أصحابِ أبْغَا وأصحابِ ابنِ مَنْكُوتَمُر ابنِ عمِّه وتفرَّقوا واشْتَغَلوا ببعضِهم بعضًا، وللَّهِ الحمدُ.

وفيها خرَج أهلُ حَرَّانَ منها وقدِموا الشامَ، وكان فيهم شيخُنا العَلَّامةُ أبو العباسِ أحمدُ ابنُ تَيْمِيةَ صُحْبةَ أبيه، وعمرُه ستُّ سِنينَ، وأخوه زَيْنُ الدينِ عبدُ الرحمنِ وشرفُ الدينِ عبدُ اللَّهِ، وهما أصغرُ منه.

---

(١) ليست فى: م.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الأميرُ عزُّ الدينِ أَيْدَمُرُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحِلِّيُّ[1] **الصالحىُّ** ، كان مِن أكابرِ الأمراءِ وأحْظاهم عندَ الملوكِ ، ثم عندَ الملكِ الظاهرِ ، كان يَسْتَنِيبُه إذا [١٠/٧٥ظ] غاب ، فلما كانت هذه السنةُ أخَذه معه ، وكانت وفاتُه بقلعةِ دمشقَ ، ودُفِن بتربتِه بالقربِ مِن اليَغْمُوريةِ ، وخلَّف أموالًا جَزيلةً ، وأوْصَى إلى السلطانِ فى أولادِه ، وحضر السلطانُ عَزاءَه بجامعِ دمشقَ .

شرفُ الدينِ (٢)**أبو الطاهرِ**(٢) **محمدُ بنُ الحافظِ أبى الخطابِ عمرَ بنِ دِحْية المِصْرىُّ** ، وُلِد سنةَ عشرٍ وستِّمائةٍ ، وسمِع أباه وجماعةً ، وتوَلَّى مَشْيخةَ دارِ الحديثِ الكامليةِ مدةً ، وحدَّث ، وكان فاضلًا .

القاضى تاجُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ وَثَّابِ بنِ رافعِ البجيلىُّ الحنفىُّ[3] ، درَّس وأفْتَى عن ابنِ عَطاءٍ بدمشقَ ، ومات بعدَ خُروجِه مِن الحمامِ على مَساطِبِ الحمامِ فجأةً ، ودُفِن بقاسِيونَ .

الطبيبُ الماهرُ شرفُ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ يوسُفَ بنِ حَيْدَرَةَ الرَّحَبىُّ[4] ، شيخُ الأطباءِ بدمشقَ ، ومدرسُ الدخْواريةِ عن وصيةِ واقفِها بذلك ، وله التَّقْدُمةُ فى هذه الصناعةِ على أقرانِه مِن أهلِ زمانِه ، ومِن شعرِه قولُه :

---

(١) فى م : « الحلبى » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤١٣، والوافى بالوفيات ١٠/ ٥، والسلوك ٥٨٢/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ٥٦، والمنهل الصافى ٣/ ١٧٠.

(٢ - ٢) فى م : « أبو الظاهر » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٢١، والوافى بالوفيات ٣/ ٤١، وعقد الجمان ٢/ ٥٢، والدليل الشافى ٢/ ٦١٩.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٢٨، والوافى بالوفيات ٥/ ١٧٣، والجواهر المضية ٣/ ٣٨٩، والدليل الشافى ٢/ ٧١٠.

(٤) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٦٧٥، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٣٥١، والسلوك ٥٨٣/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ٥٢، والدارس ١٣٠/٢ وفيه : الرضى بدلا من : الرحبى، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٧.

يُساقُ بنو الدنيا إلى الحَتْفِ عَنْوةً ... ولا يَشْعُرُ الباقى بحالةِ مَن يَمْضِى
كأنهمُ الأنْعامُ فى جهلِ بعضِها ... بما تَمَّ[1] مِن سَفْكِ الدماءِ على بعضِ

الشيخُ نَصِيرُ الدينِ المباركُ بنُ يحيى بنِ أبى الحسنِ، أبو البَرَكاتِ بنُ الطباخِ[2] الشافعىُّ، العَلَّامةُ فى الفقهِ والحديثِ، درَّس وأفْتَى وصنَّف وانْتُفِع به، وعُمِّر ثمانين سنةً، وكانت وفاتُه فى حادى عشَرَ جُمادَى الآخرةِ[3] مِن هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الشيخُ أبو الحسنِ علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ الكُوفىُّ المَغْرِبىُّ[4] النَّحوىُّ، المُلَقَّبُ بسِيبَوَيْهِ، وكان فاضلًا بارعًا فى صناعةِ النحوِ، تُوُفِّى بمارَسْتانِ القاهرةِ فى هذه السنةِ، عن سبعٍ وستين سنةً، رحِمه اللَّهُ. ومِن شعرِه:

عذَّبْتَ قلبى بهَجْرٍ منك مُتَّصِلٍ ... يا مَن هواه ضميرٌ غيرُ مُنْفَصِلِ
ما زادنى غيرَ تأْكيدِ صَدُّك لى ... فما عُدُولُك مِن عَطفٍ إلى بَدَلِ

وفيها[5] وُلِد شيخُنا العَلَّامةُ كمالُ الدينِ محمدُ بنُ علىٍّ الأنصارىُّ بنُ الزَّمْلَكانىِّ، شيخُ الشافعيةِ.

---

(1) فى م: «ثم». وانظر مصادر الترجمة.
(2) فى م: «الصباغ». وانظر ترجمته فى: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٦، وعقد الجمان ٢/ ٥٣، وحسن المحاضرة ١/ ٤١٦.
(3) فى م: «الأولى». وانظر مصادر الترجمة.
(4) فى الأصل، م: «المقرى». والمثبت من مصادر ترجمته: السلوك ١/ ٥٨٣ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ٥٣، والدليل الشافى ١/ ٤٦٠، وبغية الوعاة ٢/ ١٧٠.
(5) عقد الجمان ٢/ ٥١. وستأتى ترجمته فى ١٨/ ٢٩١، ضمن وفيات سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

ثم دخَلت سنةُ ثمانٍ وستين وستّمائةٍ[1]

فى ثانى المحرمِ منها دخَل السلطانُ مِن الحجازِ[2] على الهُجُنِ، فلم يَرُع[3] الناسَ إلا وهو فى المَيْدانِ الأخْضرِ يَسِيرُ، ففرِح الناسُ بذلك، وأراح الناسَ مِن تَلَقِّيه بالهدايا والتحفِ، وهذه كانت عادتَه، وقد عجِب الناسُ مِن سرعةِ مَسيرِه وعلوِّ همتِه، ثم سار إلى حلبَ، ثم سار إلى مصرَ، فدخَلها فى ثالثِ[4] الشهرِ مع الرَّكْبِ المصرىِّ، وكانت زوجتُه أمُّ الملكِ السعيدِ فى الحجازِ هذه السنةَ، ثم خرَج فى ثالثَ عشَرَ صفرٍ هو وولدُه والأمراءُ إلى الإسْكَندريةِ، فتصَيَّد هنالك، وأطْلقَ للأمراءِ الأموالَ الكثيرةَ والخِلَعَ، ورجَع مُؤَيَّدًا منصورًا.

وفى المحرمِ منها قُتِل صاحبُ مَرَّاكُشَ أبو العَلاءِ إدريسُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ ابنِ يوسفَ المُلَقَّبُ بالواثقِ، قتَله (٥)بنو مَرِينٍ(٥) فى حربٍ كانت بينَه وبينَهم بالقربِ مِن مَرَّاكُشَ.

وفى ثالثَ عشَرَ ربيعٍ الآخِرِ منها وصَل السلطانُ إلى دمشقَ فى طائفةٍ مِن جيشِه، وقد لقُوا فى الطريقِ مشقةً كثيرةً مِن البَرْدِ والوَحْلِ، فخَيَّم على

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣٠- ٤٤٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٦٩- ١٧١، وكنز الدرر ٨/ ١٤٢ - ١٥٠، وانظر العبر ٥/ ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) أى دخل السلطان دمشق قادمًا من الحجاز بعد أداء حجه. انظر ما تقدم صفحة ٤٨٣.

(٣) فى الأصل: «يزع».

(٤) فى م: «سادس». وانظر ما تقدم صفحة ٤٨٢، ٤٨٣.

(٥ - ٥) فى م: «بنومزين». وهو تصحيف. وانظر السلوك ١/ ٥٨٨ (القسم الثانى)، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٧.

الزَّنبقيةِ[1] ، وبلَغه أن ابنَ أختِ زيتونٍ[2] خرَج مِن عَكَّا يَقْصِدُ جيشَ المسلمين ، فركِب إليه سريعًا ، فوجَده قريبًا مِن عكَّا ، فدخَلها خوفًا منه[3] .

وفى رجبٍ تسَلَّم نُوَّابُ السلطانِ مِصْيافَ[4] مِن الإسْماعيليةِ ، وهرَب منها [١٠/٧٦و] أميرُهم الصارمُ مبارَكُ بنُ الرَّضِيِّ ، فتحَيَّل عليه صاحبُ حَماةَ حتى أسَرَه ، وأرْسَله إلى السلطانِ ، فحبَسه فى بعضِ الأبرجةِ بالقاهرةِ .

وفيها أرْسَل السلطانُ الدَّرابزيناتِ[5] إلى الحجرةِ النبويةِ ، وأمَر أن تُقامَ حولَ القبرِ صِيانةً له ، وعمِل لها أبوابًا تُفْتَحُ وتُغْلَقُ مِن الديارِ المصريةِ ، فركَّب ذلك عليها .

وفيها اسْتَفاضَت الأخْبارُ بقصدِ الفِرِنْجِ بلادَ الشامِ ، فجهَّز السلطانُ العَساكرَ لقتالِهم ، وهو مع ذلك مُهْتَمٌّ بالإسْكَنْدريةِ خوفًا عليها ، وقد حصَّنها ، وعمِل جسورةً إليها إن دهَمها العدوُّ ، وأمَر بقتلِ الكلابِ منها .

وفيها انْقَرَضَت دولةُ بنى عبدِ المؤمنِ مِن بلادِ المغربِ ، وكان آخرَهم إدريسُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ [6]محمدِ بنِ[6] يوسفَ صاحبُ مَرَّاكُشَ ، قتَله بنو مَرِينٍ فى هذه السنةِ .

---

(١) فى الأصل : « الزفيفية » .

(٢) فى الأصل : « ريبون » .

(٣) فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣١: « فصادف ابن أخت زيتون قد خرج فالتقى به فكسره واستأسره وجماعة من أصحابه وقتل منهم خلقا » .

(٤) فى الأصل : « مصيات » . وانظر معجم البلدان ٤/ ٥٥٦، وصبح الأعشى ٤/ ١٤٦.

(٥) الدرابزينات : جمع الدرابزين ، وهو الحاجز .

(٦ - ٦) سقط من : م .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الصاحبُ زَيْـنُ الدينِ يعقوبُ بنُ (١ عبدِ الرَّفيعِ ١) بنِ زيدِ بنِ مالكٍ المصريُّ المعروفُ بابنِ الزُّبَيْرِىِّ [٢]، كان فاضلًا رَئيسًا، وزَر للملكِ المُظَفَّرِ قُطُز، ثم للظاهرِ بَيْبَرْسَ فى أولِ دولتِه، ثم عزَله، وولَّى بَهاءَ الدينِ بنَ الحِنَّا، فلزِم منزلَه حتى أدْرَكَته مَنِيَّتُه فى الرابعَ عشَرَ مِن ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ، وله نَظْمٌ جيدٌ.

الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ أحمدُ بنُ القاسمِ بنِ خَليفةَ الخَزْرجىُّ الطَّبيبُ، المعروفُ بابنِ أبى أُصَيْبِعةَ [٣]، له «تاريخُ الأَطباءِ» فى عشرِ مجلداتٍ لِطافٍ، وهو وَقْفٌ بمشهدِ ابنِ عُرْوةَ بالأُمَوىِّ، تُوُفِّى بصَرْخَدَ، وقد جاوَز السَّبْعينَ [٤].

الشيخُ زينُ الدينِ أحمدُ بنُ عبدِ الدائمِ بنِ نِعْمةَ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ بُكَيْرٍ، أبو العباسِ المَقْدسىُّ النابُلُسىُّ [٥]، تفَرَّد بالروايةِ عن جماعةٍ مِن المشايخِ، وُلِد سنةَ خمسٍ وسبعين وخمسِمائةٍ، وقد سمِع، ورحَل إلى بُلْدانٍ شَتَّى، وكان فاضلًا يَكْتُبُ سريعًا، حكَى الشيخُ عَلَمُ الدينِ أنه كتَب «مُخْتَصَرَ الخِرَقىِّ» فى ليلةٍ واحدةٍ، وخطُّه حسنٌ قوىٌّ حُلْوٌ، وقد كتَب «تاريخَ ابنِ عساكرَ» مرتين، واخْتَصَره لنفسِه أيضًا، وأضَرَّ فى آخِرِ عمرِه أربعَ سنينَ،

(١ - ١) فى م: «عبد الله». وانظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤١، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٧٢، والسلوك ٥٨٩/١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ٦٥، والدليل الشافى ٢/ ٧٩١.

(٢) فى الأصل: «الزين». وانظر نهاية الأرب، وعقد الجمان.

(٣) فى الأصل: «صبيعة». وانظر ترجمته فى: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٥، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣٧، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٩٥، وعقد الجمان ٢/ ٦٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٧.

(٤) فى م: «التسعين».

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣٦، والعبر ٥/ ٢٨٨، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٤، وفوات الوفيات ١/ ٨١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢٧٨/٢ وفيه: بكر بدل بكير، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٥.

وله شعرٌ أوْرَد منه قُطْبُ الدينِ فى « تَذْيِيلِه » ، تُوُفِّى بسفحِ قاسِيونَ ، وبه دُفِن فى بُكْرَةِ الثلاثاءِ عاشرِ رجبٍ ، وقد جاوَز التسعين ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

القاضى مُحْيِى الدينِ بنُ الزكِيِّ : أبو الفضلِ يَحْيَى بنُ قاضِى القُضاةِ مُحيى[1] **الدينِ أبى المَعالى محمدِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ علىِّ**[2] **بنِ** [3]**الحسينِ بنِ محمدِ**[3] **بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ بنِ الوليدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبانِ بنِ عثمانَ بنِ عفَّانَ القُرشىُّ الأُموىُّ ابنُ الزَّكِىِّ** ، توَلَّى قَضاءَ دمشقَ غيرَ مرةٍ ، وكذلك آباؤُه مِن قبلِه ، كلٌّ قد ولِيها ، وقد سَمِع الحديثَ مِن حنبلٍ وابنِ طَبَرْزَد والكِنْدىِّ وابنِ الحَرَسْتانىِّ وجماعةٍ ، وحدَّث ودرَّس فى مَدارسَ كثيرةٍ ، وقد ولِى قَضاءَ الشامِ فى الدولةِ الهَلاوُونيةِ ، فلم يُحْمَدْ ، على ما ذكَره أبو شامةَ[4] ، تُوُفِّى بمصرَ فى الرابعَ عشَرَ مِن رجبٍ ، ودُفِن بالمُقَطَّمِ ، وقد جاوَز السبعين . وله شعرٌ جيدٌ قوىٌّ ، وحكَى الشيخُ قُطْبُ الدينِ فى ذيلِه[5] - بعدَ ما نسَبه كما ذكَرْنا - عن ولدِه[6] القاضى بَهاءِ الدينِ أنه كان يَذْهَبُ إلى تَفْضيلِ علىٍّ على عثمانَ مُوافَقَةً لشيخِه مُحْيِى الدينِ بنِ عَرَبى ،

---

(1) فى م : « بهاء » . والمثبت من مصادر ترجمته : نهاية الأرب ٣٠/ ١٧١، والعبر ٥/ ٢٨٩، والسلوك ٥٨٩/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ٦٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٧. ولم يذكر فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٠ لقبه وإنما ذكر اسمه .

(2) بعده فى الأصل ، م : « بن عبد العزيز بن على » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وعقد الجمان .

(٣ - ٣) فى الأصل : « الحسن » .

(4) انظر الذيل على الروضتين ص ٢٠٥، ٢٠٦، وانظر ما تقدم صفحة ٤٠٣، ٤٠٤.

(5) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٠، ٤٤١.

(6) فى الأصل ، م : « والده » . وهو خطأ . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤١، وعقد الجمان ٢/ ٦٧، وفيه : « شهاب الدين » بدل « بهاء الدين » . والولد هو ابن الشيخ محيى الدين أبى الفضل صاحب الترجمة .

ولمَنامٍ رآه بجامعِ دمشقَ مُعْرِضًا عنه بسببِ ما كان مِن بنى أمية إليه فى أيامِ صِفِّينَ ، فأصْبَح فنظَم فى ذلك قصيدةً يَذْكُرُ فيها ميلَه إلى علىٍّ ، وإن كان هو أمويًّا :

أدِينُ بما دان الوَصِىُّ ولا أَرَى ... سواه وإن كانت أُمَيَّةُ مَحْتِدِى
ولو شهِدَتْ صِفِّينَ خيلى لأَعْذَرَتْ ... (١) وساءَ بنى (١) حربٍ هنالِك مَشْهَدى [٧٦/١٠ظ]
لكنتُ أَسُنُّ البِيضَ عنهم مَواضِيًا(٢) ... (٣) وأَرْوِىَ أَرْماحى ولمّا تَقَصَّدِ(٤)
وأجْلِبُها خيلًا ورَجْلًا عليهمُ(٣) ... وأمنَعُهم نَيْلَ الخلافةِ باليدِ

ومِن شعرِه :

قالوا ما(٥) فى جِلَّقٍ نُزْهَةٌ ... تُسْلِيك عمَّن أنت به مُغْرى
يا عاذلى دونك فى لحظِه ... سهمًا وقد عارضه سطرًا

الصاحبُ فخرُ الدينِ محمدُ بنُ الصاحبِ بَهاءِ الدينِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ سُلَيْمِ بنِ الحِنَّا المصرىُّ(٦) ، كان وزيرَ الصُّحْبةِ ، وقد كان فاضلًا ، بنَى رِباطًا بالقَرافةِ الكبرى ، ودرَّس بمدرسةِ والدِه بمصرَ ، وبالشافعىِّ بعدَ ابنِ بنتِ الأعَزِّ ،

(١ - ١) فى الأصل: «وشاهدتنى»، وفى م: «وشاءبنى». والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤١، والعبر ٥/ ٢٩٠، ومرآة الجنان ٤/ ١٧٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٨.

(٢) فى الأصل، م: «تراضيا». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. والمواضى: جمع ماضٍ، وهو الحادّ السريع القطع.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م. والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤١.

(٤) فى إحدى نسخ ذيل مرآة الزمان: «تفصد». وتقَصَّدَ الرمحُ: تَكَسَّر. الوسيط (ق ص د).

(٥) فى الأصل: «أما».

(٦) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣٩، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٧١، والوافى بالوفيات ٤/ ١٨٥، وعقد الجمان ٢/ ٦٧، وفيه: سليمان بن الحنا، والدليل الشافى ٢/ ٦٥٦.

تُوُفِّى فى شعبانَ ، ودُفِن بسفحِ المُقَطَّمِ ، وفوَّض السلطانُ وِزارةَ الصُّحْبةِ إلى ولدِه تاجِ الدينِ .

الشيخُ أبو نصرِ بنُ أبى الحسنِ بنِ الخزّازِ[1] **الصوفىُّ البغدادىُّ الشاعرُ** ، له دِيوانٌ حسنٌ ، وكان جميلَ المُعاشَرةِ ، حسنَ المُذاكَرةِ ، دخَل عليه بعضُ أصحابِه ، فلم يَقُمْ له ، وأنْشَده قولَه :

نهَض القلبُ حينَ أقْبَلْتَ إجْلا ... لًا لما فيه مِن صَحيحِ الوِدادِ

ونهوضُ القلوبِ بالوُدِّ أولى ... مِن نهوضِ الأجْسادِ للأجْسادِ

(١) فى الأصل : « الجزار » . وانظر ترجمته فى عقد الجمان ٢/ ٦٧.

ثم دخلت سنة تسعٍ وستين وستّمائةٍ[1]

فى مُسْتَهَلِّ صفرٍ منها ركِب السلطانُ مِن الديارِ المصريةِ فى طائفةٍ مِن العَسْكَرِ إلى عَسْقَلانَ ، فهدَم ما بقى مِن سُورِها مما كان أُهْمِل فى الدولةِ الصَّلاحيةِ ، ووجَد فيما هدَم كُوزَيْن ، فيهما ألفا دينارٍ ، ففرَّقهما على الأمراءِ ، وجاءته البِشارةُ وهو هناك ، بأن مَنْكُوتَمُر كسَر جيشَ أَبْغَا ، ففرِح بذلك ، ثم عاد إلى القاهرةِ .

وفى ربيعٍ الأولِ بلَغ السلطانَ أن أهلَ عَكَّا ضرَبوا رِقابَ مَن فى أيديهم مِن أَسْرَى المسلمين صَبْرًا بظاهرِ عَكَّا ، فأمَر بمَن كان فى يدِه مِن أَسْرَى أهلِ عَكَّا فضُرِبَت رِقابُهم فى صَبيحةٍ واحدةٍ ، وكانوا قريبًا مِن مائةِ[2] أسيرٍ .

وفيها كمَل جامعُ المَنْشِيَّةِ[3] ، وأُقِيمَت فيه الجمعةُ فى [4]الثانى والعشرين[4] مِن ربيعٍ الآخِرِ .

وفيها جرَت حُروبٌ يَطولُ ذِكْرُها بينَ أهلِ تونُسَ والفِرِنْجِ ، ثم تَصالَحوا بعدَ ذلك على الهُدْنةِ ووضْعِ الحربِ ، بعدَ ما قُتِل مِن الفريقَيْن خلائِقُ لا يُحْصَوْن .

وفى يومِ الخميسِ ثامنَ رجبٍ دخَل الظاهرُ إلى دمشقَ ، وفى صُحْبتِه ولدُه

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٢- ٤٥٧، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٧٣- ١٨١، وكنز الدرر ٨/ ١٥٠ - ١٦٣. وانظر العبر ٥/ ٢٩٠- ٢٩١.

(٢) فى م : « مائتى » .

(٣) فى الأصل : « المزه » . وهو جامع بمنشأة المهرانى ، التى على نهر النيل . انظر نهاية الأرب ٣٠/ ١٨١، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٥٠.

(٤ - ٤) فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٣: « ثامن عشرى » . وفى عقد الجمان ٢/ ٨٠ والنجوم الزاهرة الموضع السابق : « ثامن عشرين » .

الملكُ السعيدُ وابنُ الحِنَّا الوزيرُ وجُمهورُ الجيشِ ، ثم خرَجوا مُتفرِّقِين وتواعَدوا أن يَلْتَقُوا بالساحلِ ؛ ليَشُنُّوا الغارةَ على جَبَلَةَ[1] واللَّاذِقيَّةِ ومَرْقَبَ[2] وعِرْقَةَ[3] وما هنالك مِن البلادِ ، فلما اجْتَمَعوا فتَحوا صافِيتا[4] والمِجْدَلَ ، ثم ساروا فنزَلوا على حصنِ الأكرادِ يومَ الثلاثاءِ تاسعَ عشَرَ رجبٍ ، وله ثلاثةُ أسْوارٍ ، فنصَبوا عليها المَنْجَنِيقاتِ ، ففتَحها قَهرًا يومَ نصفِ شعبانَ ، فدخَل الجيشُ ، وكان الذى يُحاصِرُه ولدُ السلطانِ الملكُ السعيدُ ، فأطْلَق السلطانُ أهلَه[5] ، ومَنَّ عليهم وأجْلاهم إلى طرابُلُسَ ، وتسَلَّم القلعةَ بعدَ عشرةِ أيامٍ مِن الفتحِ ، فأجْلَى أهلَها أيضًا ، وجعَل كنيسةَ البلدِ جامعًا ، وأقام فيه الجمعةَ ، وولَّى فيها نائبًا وقاضيًا ، وأمَر بعِمارةِ البلدِ ، وبعَث صاحبُ أَنْطَرْطوسَ[6] بمفاتيحِ بلدِه يَطْلُبُ منه الصُّلحَ على أن يكونَ نصفُ مُغَلِّ بلادِه للسلطانِ ، وأن يكونَ له بها نائبًا ، فأجابه إلى ذلك ، وكذلك فعَل صاحبُ المَرْقَبِ ، فصالَحه أيضًا على المُناصَفةِ ووضْعِ الحربِ عشْرَ سنينَ ، وبلَغ السلطانَ وهو مُخَيِّمٌ على حصنِ الأكْرادِ أن صاحبَ [١٠/٧٧و] جَزيرةِ قُبْرُسَ قد ركِب جيشَه إلى عَكَّا ليَنْصُرَ أهلَها خوفًا مِن السلطانِ ، فأراد

---

(١) جبلة : قلعة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية . معجم البلدان ٢/ ٢٥.

(٢) مرقب : بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس. معجم البلدان ٤/ ٥٠٠.

(٣) فى م : « عرقا » ، وعِرْقة : بلدة فى شرقى طرابلس وهى آخر عمل دمشق وهى فى سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها . معجم البلدان ٣/ ٦٥٣.

(٤) فى م : « صافينا » وفى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ١٥٠: « صافيثا » . وما فى الأصل، م موافق لما فى كنز الدرر ٨/ ١٥١، ومسالك الأبصار ٨/ ١٢٢.

(٥) سقط من : الأصل . والمقصود أن السلطان أطلق أهل الحصن .

(٦) فى الأصل : « أنطرسوس » وهو موافق لما فى مرآة الزمان ٢/ ٤٤٤، وفى م : « طرسوس » . والمثبت من معجم البلدان ١/ ٣٨٨، وأنطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص . وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٢.

السلطانُ أن يَغْتَنِمَ هذه الفُرْصةَ ، فبعَث جيشًا كَثيفًا فى سبْعَةَ[1] عشَرَ شينيًّا ليَأْخُذوا جزيرةَ قُبْرسَ فى غَيْبَةِ صاحبِها عنها ، فسارت المَراكبُ مُسْرِعةً ، فلما قارَبَت الجزيرةَ جاءَتها رِيحٌ قاصفٌ ، فصدَم بعضُها بعضًا ، فانْكَسَر منها أربعةَ[2] عشَرَ مَرْكَبًا بإذنِ اللَّهِ تعالى ، فغرِق خلقٌ ، وأسَر الفِرنْجُ مِن الصُّنَّاعِ والرجالِ قريبًا مِن ألفٍ وثمانِمائةِ إنسانٍ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . ثم سار السلطانُ ، فنصَب المَجانيقَ على حصنِ عَكَّا ، فسأله أهلُها الأمانَ على أن يُجلِيَهم[3] ، فأجابهم إلى ذلك ، ودخَل البلدَ يومَ عيدِ الفِطْرِ فتسَلَّمه ، وكان الحصنُ شديدَ الضَّرَرِ على المسلمين ، وهو وادٍ بينَ جبَلَيْن ، ثم سار السلطانُ نحوَ طَرابُلُسَ ، فأرْسَل إليه صاحبُها يقولُ : ما مرادُ السلطانِ فى هذه الأرضِ ؟ فقال : جئتُ لأَرْعَى زُروعَكم ، وأُخَرِّبَ بلادَكم ، ثم أَعُودَ إلى حصارِكم فى العامِ الآتى . فأرْسَل يَسْتَعْطِفُه ويَطْلُبُ منه المُصالحَةَ ووَضْعَ الحربِ بينَهم عشْرَ سنينَ ، فأجابه إلى ذلك ، وأرْسَل إليه الإسْماعيليةُ يَسْتَعْطِفونه على والدِهم وكان مَسْجونًا بالقاهرةِ ، فقال : سلِّموا إلىَّ العُلَّيْقةَ ، وانزِلوا فخُذوا إقْطاعاتٍ بالقاهرةِ ، وتسَلَّموا أباكم . فلما نزَلوا أمَر بحبسِهم بالقاهرةِ ، واسْتَناب بحصنِ العُلَّيْقةِ .

وفى يومِ الأحدِ الثانى عشَرَ مِن شوالٍ جاء سَيْلٌ عظيمٌ إلى دمشقَ ، فأتْلَف شيئًا كثيرًا ، وغرِق بسببِه ناسٌ كثيرٌ ، لا سِيَّما الحُجَّاجُ مِن الرومِ الذين كانوا نُزولًا بينَ النهرَيْن ، أخَذَهم السَّيْلُ وجِمالَهم وأحْمالَهم ، فهلكوا وغُلِّقَت أبوابُ البلدِ ، ودخَل الماءُ إلى البلدِ مِن مَرَامِى[4] السُّورِ ، ومِن بابِ الفَرادِيسِ ، فغرَّق خانَ ابنِ

---

(1) فى م : « ثنى » .

(2) فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٥٤: « أحد » .

(3) فى م : « يخليهم » .

(4) فى م : « مراقى » .

المقدمِ ، وأتْلَف شيئًا كثيرًا ، وكان ذلك فى زمنِ الصيفِ أيامَ المِشْمِشِ .

ودخَل السلطانُ إلى دمشقَ يومَ الأربعاءِ خامسَ عشَرَ شوالٍ ، فعزَل القاضىَ ابنَ خَلِّكانَ ، وكان له فى القَضاءِ عشْرُ سنينَ ، وولَّى القاضىَ عزَّ الدينِ بنَ الصائغِ ، وخلَع عليه ، وكان تَقْليدُه قد كُتِب بظاهرِ طرابُلُسَ بسِفارةِ الوزيرِ ابنِ الحِنَّا ، فسار ابنُ خَلِّكانَ فى ذى القَعْدةِ إلى مصرَ . وفى (١حادى عشَرَ١) شوالٍ دخَل خضرٌ(٢) الكُردىُّ شيخُ السلطانِ الملكِ الظاهرِ وأصحابُه إلى كَنيسةِ اليهودِ ، فصلَّوْا فيها ، وأزالوا ما فيها مِن شَعائرِ اليهودِ ، ومدُّوا فيها سِماطًا ، وعمِلوا سَماعًا ، وبقُوا على ذلك أيامًا ، ثم أُعِيدَت إلى اليهودِ .

ثم خرَج السلطانُ إلى السواحلِ ، فافْتَتَح بعضَها ، وأشْرَف على عَكَّا وتأمَّلها ، ثم سار إلى الديارِ المصريةِ ، وكان مِقْدارُ ما غَرِمه فى هذه المدةِ وفى الغَزَواتِ قريبًا مِن ثمانِمائةِ ألفِ دينارٍ ، وأخْلَفها اللَّهُ عليه ، فكان وصولُه إلى القاهرةِ يومَ الخميسِ ثالثَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ . وفى اليومِ (٣السابعَ عشَرَ٣) مِن وصولِه أمْسَك على جماعةٍ مِن الأمراءِ ، منهم الحلَبىُّ(٤) وغيرُه ، بلَغه أنهم أرادوا مَسْكَه على الشَّقِيفِ .

وفى اليومِ السابعَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ أمَر بإراقةِ الخمورِ مِن سائرِ بلادِه ، وتهَدَّد مَن يَعْصِرُها أو يَعْتَصِرُها بالقتلِ ، وأسْقَط ضمانَ ذلك ، وكان ذلك بالقاهرةِ وحدَها ، (٥كلَّ يومٍ ضمانُه٥) ألفُ دينارٍ ، ثم سارَت البُرُدُ بذلك إلى الآفاقِ .

(١ - ١) فى م : « ثانى عشر » .
(٢) فى م : « حصن » . وانظر نهاية الأرب ٣٠/ ١٧٦، وعقد الجمان ٢/ ٧٨.
(٣ - ٣) كذا فى الأصل ، م ، وفى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٥٣ وعقد الجمان ٢/ ٧٩: « الثانى » .
(٤) وهو علم الدين سنجر الحلبى الكبير . انظر النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٣، ١٥٤.
(٥ - ٥) فى الأصل : « ضمانه كل شهر » . وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٥٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٥٤.

وفيها قبَض السلطانُ على العزيزِ بنِ المُغيثِ صاحبِ الكَرَكِ، وعلى [١٠/٧٧ظ] جماعةٍ مِن أصحابِه كانوا عزَموا على سَلْطنتِه.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

المَلِكُ تقىُّ الدينِ عباسُ بنُ الملكِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ (١) **بنِ شادى** (١)، وهو آخرُ مَن بقِى مِن أولادِ العادلِ، وقد سمِع الحديثَ مِن الكِنْدىِّ وابنِ الحَرَسْتانىِّ، وكان مُحْتَرَمًا عندَ الملوكِ، لا يُرْفَعُ عليه أحدٌ فى المجالسِ والمَواكبِ، وكان لَيِّنَ الأخْلاقِ، حسَنَ العِشْرةِ، لا تُمَلُّ مُجالَستُه. تُوُفِّى يومَ الجمعةِ الثانى والعشرين مِن جُمادَى الآخِرةِ بدربِ الرَّيْحانِ، ودُفِن بتربتِه بسفحِ قاسِيونَ.

قاضى القُضاةِ شرفُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ صالحِ بنِ عيسى السُّبْكىُّ المالكىُّ [٢]، وُلِد سنةَ خمسٍ وثمانين وخمسِمائةٍ، وسمِع الحديثَ، وتفقَّه وأفْتَى ودرَّس بالصَّالحِيَّةِ، وولِى حِسْبةَ القاهرةِ، ثم ولِى القَضاءَ سنةَ ستٍّ [٣] وستين، لما وَلَّوْا مِن كلِّ مذهبٍ قاضيًا، وقد امْتَنَع أشدَّ الامْتِناعِ، ثم أجاب بعدَ إكْراهٍ، وشرَط أن لا يأْخُذَ على القَضاءِ جامَكيةً، وكان مشهورًا بالعلمِ والدينِ، روَى عنه القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ وغيرُه. تُوُفِّى (٤) لخمسٍ بَقِينَ (٤) مِن ذى القَعْدةِ.

(١ - ١) ليس فى الأصل. وانظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨١، وعقد الجمان ٢/ ٨٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٢، والدليل الشافى ١/ ٣٨٠.

(٢) تكملة إكمال الإكمال ص ٢٣٣، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦١، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨١، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٥٠٢، والسلوك ١/ ٥٩٦ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ٨٤.

(٣) فى م: «ثلاث».

(٤ - ٤) فى نهاية الأرب ٣٠/ ١٨٢: «ثانى عشرين».

الطَّواشى شُجاعُ الدينِ مُرْشِدٌ المُظَفَّرِىُّ الحَمَوِىُّ[1] ، كان شُجاعًا بطَلًا مِن الأبطالِ الشُّجْعانِ ، وكان له رأىٌ سَديدٌ ، وكان أُستاذُه لا يُخالِفُه ، وكذلك الملكُ الظاهرُ ، تُوُفِّى بحَماةَ ، ودُفِن بتربتِه بالقربِ مِن مدرستِه بحَماةَ .

ابنُ سَبْعِينَ : عبدُ الحقِّ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ نصرِ بنِ نصرِ بنِ محمدِ بنِ نصرِ ابنِ محمدِ بنِ سبعين ، قُطْبُ الدينِ أبو محمدٍ المَقْدِسىُّ الرُّقُوطِىُّ[2] ، نِسْبةً إلى رُقُوطةَ بَلْدةٍ قريبةٍ مِن مُرْسِيَةَ[3] ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، واشْتَغَل بعلمِ الأوائلِ والفَلْسفةِ ، فتولَّد له مِن ذلك نوعٌ مِن الإلحادِ ، وصنَّف فيه ، وكان يَعْرِفُ السِّيمِيا[4] ، فكان يُلَبِّسُ بذلك على الأغْبِياءِ مِن الأمراءِ والأغْنياءِ ، ويَزْعُمُ أنه حالٌ مِن أحوالِ القومِ ، وله مِن المُصَنَّفاتِ كتابُ « البُدِّ »[5] ، وكتابُ « الهُو » ، وقد أقام بمكةَ ، واسْتَحْوَذ على عقلِ صاحبِها أبو[6] نُمَىٍّ ، وجاوَر فى بعضِ الأوقاتِ بغارِ حِراءَ يَرْتَجِى - فيما يُنْقَلُ عنه - أن يَأْتِيَه فيه[7] وَحْىٌ كما أَتَى النبىَّ ﷺ ، بناءً على ما يَعْتَقِدُه مِن العَقيدةِ الفاسدةِ مِن أن النبوةَ مُكْتَسَبةٌ ، وأنها فَيْضٌ يَفِيضُ على العقلِ إذا صفا ، فما حصَل له إلا الخِزْىُ فى الدنيا والآخِرةِ ، إن كان مات على ذلك ، وقد كان إذا رأَى الطائِفِين حولَ البيتِ يقولُ عنهم : كأنهم الحَمِيرُ حولَ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٥، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٧، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨٣، وعقد الجمان ٢/ ٨٧.
(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨٢، والعبر ٥/ ٢٩١، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥٣، والسلوك ٥٩٧/١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ٨٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٢.
(٣) مرسية : مدينة بالأندلس . معجم البلدان ٤/ ٤٩٧.
(٤) السيميا : السحر . الوسيط (س ى م) .
(٥) فى الأصل : « الند » ، وفى م : « البدو » . والمثبت من فوات الوفيات ٢/ ٢٥٥. وقد فسرها محمد بن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات بقوله : يعنى لابد للعارف منه .
(٦) فى الأصل ، م : « ابن » . والمثبت من مصادر ترجمته وستأتى ضمن وفيات سنة إحدى وسبعمائة .
(٧) فى الأصل : « منه » .

المَدارِ، وإنهم لو طافوا به كان ذلك أفضلَ مِن طَوافِهم بالبيتِ . فاللَّهُ يَحْكُمُ فيه وفى أمثالِه، وقد نُقِلَت عنه عَظائمُ مِن الأقوالِ والأفعالِ، تُوُفِّى فى الثامنِ والعشرين مِن شوالٍ بمكةَ .

ثم دخلت سنة سبعين وستمائة من الهجرة[1]

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي، وسلطان الإسلام الملك الظاهر.

وفي يوم الأحد الرابع عشر من المحرم[2] ركب السلطان إلى البحر [3]لإلقاء الشواني[3] التي عملت عوضا عما غرق بجزيرة قبرس[4]، فركب في شيني منها، ومعه الأمير بدر الدين الخزندار، فمالت بهم فسقط الخزندار في البحر، فغاص في الماء، فألقى إنسان نفسه وراءه [١٠/٧٨و] فأخذ بشعره وأنقذه من الغرق، فخلع السلطان على ذلك الرجل، وأحسن إليه.

وفي أواخر المحرم[5] ركب السلطان في نفر يسير من الخاصكية، والأمراء من الديار المصرية حتى قدم الكرك، واستصحب نائبها معه إلى دمشق، فدخلها في ثاني عشر صفر، ومعه الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك، فولاه نيابة دمشق، وعزل عنها جمال الدين آقوش النجيبي في رابع عشر صفر، ثم خرج إلى حماة،

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٦- ٤٩٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨٥- ١٩٥، وكنز الدرر ٨/ ١٦٤- ١٦٧. وانظر العبر ٥/ ٢٩٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٦، وعقد الجمان ٢/ ٨٩.

(٣ - ٣) في الأصل، م: «لالتقاء الشواني». والمثبت من عقد الجمان. والشواني جمع شونة والشونة: المركب المعد للجهاد في البحر. وهي لغة مصرية. تاج العروس (ش و ن).

(٤) بعده في م: «وهي أربعون شينيا».

(٥) عقد الجمان ٢/ ٩٠.

وعاد بعدَ عشَرةِ أيامٍ .

وفى ربيعٍ الأولِ[1] وصَلَت الجُفَالةُ[2] مِن حلَبَ وحَماةَ وحمصَ إلى دمشقَ بسببِ الخوفِ مِن التَّتارِ، وجفَل[3] خلقٌ كثيرٌ مِن أهلِ دمشقَ .

وفى ربيعِ الآخِرِ وصَلَت العساكرُ المصريةُ إلى حَضْرةِ السلطانِ إلى دمشقَ ، فسار بهم منها فى سابعِ الشهرِ ، فاجْتاز بحَماةَ ، واسْتَصْحَب مِلكَها المنصورَ ، ثم سار إلى حلبَ ، فخيَّم بالمَيْدانِ الأخضرِ بها ، وكان سببَ ذلك أن عَساكرَ الرومِ جمَعوا نحوًا مِن عشَرةِ آلافِ فارسٍ ، وبعَثوا طائفةً منهم ، فأغاروا على عَيْنِ تابٍ[4] ، ووصَلوا إلى قَسْطُونَ[5] ، ووقَعوا على طائفةٍ مِن التُّرْكمانِ بينَ حارِمٍ وأَنْطاكِيَةَ ، فاسْتَأْصَلوهم ، فلما سمِع التَّتارُ بوُصولِ السلطانِ ، رجَعوا على أعقابِهم ، وكان بلَغه أن الفِرِنْجَ أغاروا على بلادِ قاقُونَ[6] ، ونهَبوا طائفةً مِن التُّرْكُمانِ ، فقبَض على الأمراءِ الذين هناك ؛ حيث لم يَهْتَمُّوا بحفظِ البلادِ ، وعاد إلى الديارِ المصريةِ .

وفى ثالثِ شعبانَ[7] أمسَك السلطانُ قاضىَ الحَنابلةِ بمصرَ شمسَ الدينِ محمدَ[8] بنَ العِمادِ المَقْدسىَّ ، وأخَذ ما عندَه مِن الوَدائعِ ، فأخَذ زكاتَها ، وردَّ

---

(1) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٧، وعقد الجمان ٢/ ٩٠، ٩١.

(2) فى م : « الجفال » . والجفالة : الجماعة من الناس ذهبوا أو جاءوا . اللسان (ج ف ل) .

(3) جفل : انزعج وفزع . الوسيط (ج ف ل) .

(4) عين تاب : قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية . معجم البلدان ٣/ ٧٥٩.

(5) فى الأصل : « بسطون » ، وفى م : « نسطوم » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان وغيره . وقسطون : حصن كان بالرُّوج من أعمال حلب . معجم البلدان ٤/ ٩٧.

(6) قاقون : حصن بفلسطين قرب الرملة ، وقيل : من عمل قيسارية من ساحل الشام . المصدر السابق ٤/ ١٨.

(7) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٧٠- ٤٧٣، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٩٠، ١٩١.

(8) ليس فى الأصل . وفى م : « أحمد » . والمثبت من المصدرين السابقين .

بعضَها إلى أربابِها ، واعْتَقَله إلى شعبانَ مِن سنةِ ثنتين وسبعين ، وكان الذى وشَى به رجلٌ مِن أهلِ حَرَّانَ يقالُ له : شَبيبٌ . ثم تبيَّنَ للسلطانِ نَزاهةُ القاضى وبَراءتُه ، فأعاده إلى مَنْصِبِه فى سنةِ ثنتين وسبعين ، وجاء السلطانُ فى شعبانَ إلى أراضى عَكَّا ، فأغار عليها ، فسأَله صاحبُها المُهادَنةَ ، فأجابه إلى ذلك ، فهادَنه عشْرَ سنينَ وعشَرةَ أشهرٍ وعشَرةَ أيامٍ وعشْرَ ساعاتٍ ، وعاد إلى دمشقَ ، فقُرِئَ بدارِ السعادةِ كتابُ الصُّلحِ ، واسْتَمَرَّ الحالُ على ذلك ، ثم عاد السلطانُ إلى بلادِ الإسْماعيليةِ ، فأخَذ عامَّتَها . قال قُطْبُ الدينِ[1] : وفى جُمادَى الآخِرةِ وُلِدَت زَرافةٌ بقلعةِ الجبلِ ، وأُرْضِعَت مِن بقرةٍ . قال : وهذا شىءٌ لم يُعْهَدْ مثلُه .

وفيها تُوُفِّى :

الشيخُ كمالُ الدينِ سَلَّارُ[2] **بنُ حسنِ بنِ عمرَ بنِ سعيدٍ الإرْبِلىُّ الشافعىُّ** ، أحدُ مَشايخِ المذهبِ ، وقد اشْتَغل عليه الشيخُ مُحْيِى الدينِ النَّووىُّ ، وقد اخْتَصَر « البحرَ » للرُّويانىِّ فى مجلداتٍ عديدةٍ هى عندى بخطِّ يدِه ، وكانت الفُتْيا تَدورُ عليه بدمشقَ ، تُوُفِّى فى عَشْرِ السبعين ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ ، وكان مُعيدًا[3] بالباذَرائيةِ مِن أيامِ الواقفِ ، لم يَطْلُبْ زيادةً على ذلك إلى أن تُوُفِّى فى هذه السنةِ .

وَجيهُ الدينِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ أبى طالبِ بنِ سُوَيْدٍ التَّكْريتىُّ[4] ، التاجرُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٩.

(٢) فى الأصل : « رسلان » . وانظر مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٧٩، والعبر ٥/ ٢٩٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٧١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٤٩، وعقد الجمان ٢/ ٩٦.

(٣) فى م : « مفيدا » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٨٧، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٩٣، والعبر ٥/ ٢٩٤، والوافى بالوفيات ٤/ ١٨٦، وعقد الجمان ٢/ ٩٧.

الكبيرُ[1] ذو الأموالِ الكثيرةِ ، وكان مُعَظَّمًا عندَ الدولةِ ، ولا سيَّما عندَ الملكِ الظاهرِ ، كان يُجِلُّه ويُكْرِمُه ؛ لأنه كان قد أسْدَى إليه جَميلًا فى حالِ إمْرتِه قبلَ أن يَلِىَ السَّلْطنةَ ، ودُفِن برِباطِه وتربتِه بالقربِ مِن الرِّباطِ الناصرىِّ بقاسِيونَ ، وكانت كتبُ الخليفةِ تَرِدُ إليه فى كلِّ وقتٍ ، وكانت مُكاتَباتُه مَقبولةً عندَ جَميعِ الملوكِ ، حتى مُلوكِ الفِرنْجِ فى السواحلِ [١٠/٧٨ظ] وفى أيامِ التَّتارِ فى أيامِ هَولَاوون ، وكان كثيرَ الصَّدَقاتِ والبِرِّ .

نَجْمُ الدينِ يَحْيَى بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ اللبودىِّ[2] واقفُ اللبوديةِ التى عندَ حَمَّامِ الفلكِ المُسِيرى[3] على الأطباءِ ، ولديه فَضيلةٌ بمعرفةِ الطبِّ ، وقد ولِى نظَرَ الدَّواوينِ بدمشقَ ، ودُفِن بتربتِه عندَ اللبوديةِ .

الشيخ علىٌّ البَكَّاءُ[4] صاحبُ الزاويةِ بالقربِ مِن بلدِ الخليلِ ، عليه السلامُ ، كان مشهورًا بالصلاحِ والعبادةِ والإطْعامِ لمَن اجْتاز به مِن المارَّةِ والزُّوَّارِ ، وكان الملكُ المنصورُ قَلاوُون يُثْنِى عليه ويذكرُ أنَّه اجتمع به وهو أميرٌ ، وأنه كاشَفه فى أشياءَ وقَعَت جميعُها ، ومِن جملتِها أنه سيَمْلِكُ . نقَل ذلك قُطْبُ الدينِ اليُونِينِىُّ ، وذكَر أن سببَ بُكائِه الكثيرِ أنه صحِب رجلًا كانت له أحْوالٌ وكَراماتٌ ، وأنه خرَج معه مِن بغدادَ ، فانْتَهَوْا فى ساعةٍ واحدةٍ إلى بَلْدةٍ بينَها وبينَ بغدادَ مَسيرةُ سنةٍ ، وأن ذلك الرجلَ قال له : إنى سأَمُوتُ فى الوقتِ

---

(١) بعده فى الأصل : « بن التاجر بن سويد » ، وفى م : « بين التجار بن سويد » .
(٢) عقد الجمان ٢/ ٩٨، والدارس ٢/ ١٣٥.
(٣) فى الأصل : « المبرز » ، وفى م : « المبرر » . والمثبت من عقد الجمان .
(٤) الوافى بالوفيات ٢٢/ ٣٥٧، وعقد الجمان ٢/ ٩٨، والسلوك ١/ ٦٠٤ (القسم الثانى) .

الفُلانيّ ، فاشْهَدْني في ذلك الوقتِ[1] . قال : فلما كان في ذلك الوقتِ حضَرْتُ عندَه وهو في السِّياقِ ، وقد اسْتَدار إلى جهةِ الشرقِ ، فحوَّلْتُه إلى القبلةِ ، فاسْتَدار إلى الشرقِ ، فحوَّلْتُه أيضًا ، ففتَح عينيه وقال : لا تَتْعَبْ فإني لا أَموتُ إلا على هذه الجهةِ . وجعَل يَتَكَلَّمُ بكلامِ الرُّهْبانِ حتى مات ، فحمَلْناه فجِئْنا به إلى دَيْرٍ هناك ، فوجَدْناهم في حُزْنٍ عظيمٍ ، فقلْنا لهم : ما شأْنُكم ؟ فقالوا : كان عندَنا شيخٌ كبيرٌ ابنُ مائةِ سنةٍ ، فلما كان اليومُ مات على الإسلامِ . فقلْنا لهم : خُذوا هذا بَدَلَه وسلِّموا إلينا صاحبَنا . قال : فولِيناه ، فغسَّلْناه وكفَّنّاه ، وصلَّيْنا عليه ودفَنّاه مع المسلمين ، ووَلُوا هم ذلك الرجلَ فدفَنوه في مَقْبرةِ النَّصارى ، نَسْأَلُ اللَّهَ تعالى حُسْنَ الخاتمةِ . مات الشيخُ عليٌّ في رجبٍ من هذه السنةِ .

---

(١) بعده في م : « في البلد الفلاني » .

ثم دخلت سنةُ إحدى وسبعين وستّمائةٍ[1]

فى خامسِ المحرمِ وصَل الظاهرُ دمشقَ مِن بلادِ السَّواحلِ التى فتَحها وقد مهَّدها، وركِب فى أواخرِ المحرمِ إلى القاهرةِ، فأقام بها سنةً، ثم عاد فدخَل دمشقَ فى رابعِ صفرٍ[2].

وفى المحرمِ منها وصَل صاحبُ النُّوبةِ إلى عَيْذَابَ[3]، فنهَب تُجَّارَها، وقتَل خلقًا مِن أهلِها، منهم الوالى والقاضى، فسار إليه الأميرُ عَلاءُ الدينِ أَيْدُغْدِى الخَزندارُ، فقتَل خلقًا مِن بلادِه، ونهَب وحرَّق وهدَم ودوَّخ البلادَ، وأخَذ بالثأرِ، ولِلَّهِ الحمدُ والمنةُ.

وفى ربيعِ الأولِ تُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدينِ محمدُ بنُ مُظَفَّرِ الدينِ عثمانَ بنِ ناصرِ الدينِ مَنْكُورس[4] صاحبُ صِهْيَونَ، ودُفِن فى تربةِ والدِه فى عَشْرِ السبعين، وكان له فى مُلكِ صِهْيَونَ وبَرْزَيَه[5] إحدى عشْرةَ سنةً، وتسَلَّمها بعدَه ولدُه سابقُ الدينِ، وأرسَل إلى الملكِ الظاهرِ يَسْتَأْذِنُه فى الحُضورِ، فأذِن له، فلما

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١ - ٣٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٩٧- ٢٠١، وكنز الدرر ٨/ ١٦٨- ١٧١، وانظر العبر ٥/ ٢٩٥- ٢٩٧.

(٢) كذا فى الأصل، م. وفى المصادر أن السلطان الظاهر خرج من دمشق فى ثالث عشر من المحرم إلى مصر ثم عاد إلى دمشق فى رابع صفر من نفس السنة.

(٣) عيذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم، وهى مرسى المراكب التى تقدم من عدن إلى الصعيد. معجم البلدان ٣/ ٧٥١.

(٤) فى الأصل: «منكور بن». وانظر ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥.

(٥) برزويه: بالفتح وضم الزاء وسكون الواو وفتح الياء، والعامة تقول برزيه: حصن قرب السواحل الشامية. معجم البلدان ١/ ٥٦٥.

حضَر أقْطَعه خبزًا[1] ، وبعَث إلى البلدَيْن نُوَّابًا مِن جهتِه .

وفى خامسِ جُمادَى الأولى[2] وصَل السلطانُ بعسكرِه إلى الفُراتِ ؛ لأنه بلَغه أن طائفةً مِن التَّتارِ هنالك ، فخاض إليهم الفُراتَ بنفسِه وجُندِه ، وقتَل مِن أولئك مَقْتَلةً كبيرةً وخلقًا كثيرًا ، وكان أولَ مَن اقْتَحَم الفُراتَ يومَئذٍ الأميرُ سيفُ الدينِ قَلَاوُون وبدرُ الدينِ بَيْسَرِى ، وتبِعَهما السلطانُ ، ثم فعَل بالتَّتارِ ما فعَل ، ثم ساق إلى ناحيةِ البِيرةِ ، وقد كانت مُحاصَرةً بطائفةٍ مِن التَّتارِ أخرى ، فلما سمِعوا [١٠/٧٩و] بقُدومِه هرَبوا وترَكوا أموالَهم وأثقالَهم ، ودخَل السلطانُ إلى البِيرةِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وفرَّق فى أهلِها أموالًا كثيرةً ، ثم عاد إلى دمشقَ فى ثالثِ جُمادَى الآخِرةِ ، ومعه الأسْرَى . وخرَج منها فى سابعِه إلى الديارِ المصريةِ ، وخرَج ولدُه الملكُ السعيدُ لتَلَقِّيه ، ودخَلا إلى القاهرةِ ، وكان يومًا مشهودًا . ومما قاله القاضى شِهابُ الدينِ محمودٌ الكاتبُ - وأولادُه يقالُ لهم : بنو الشِّهابِ محمودٍ - فى خَوْضِ السلطانِ الفُراتَ بالجيشِ :

سِرْ حيث شئتَ لك المُهَيْمِنُ جارُ ... واحكُمْ فطَوْعُ مُرادِك الأقْدارُ

لم يَبْقَ للدِّينِ الذى أظْهرْتَه ... يا رُكْنَه عندَ الأعادِى ثارُ

لمَّا تراقَصَت الرءوسُ تحرَّكَت ... مِن مطرِباتِ قِسِيِّك الأوْتارُ

خُضْتَ الفُراتَ بسابحٍ[3] أفْضَى به ... [4]موجُ الصبا مِن فعلِه[4] الآثارُ

---

(١) خبز : جمعه أخباز ، من معانى هذا اللفظ فى عصر المماليك إقطاع من الأرض ، فيقال : أخباز الأجناد أى إقطاعاتهم . انظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مرجع العصر المماليكى ص ٤١٢ الملحق بكتاب العصر المماليكى فى مصر والشام نقلا عن معجم Dozy .

(٢) فى الأصل ، م : « الآخرة » والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢، وكنز الدرر ٨/ ١٦٩، ١٧٠ ، وهو ما يقتضيه سياق ما سيأتى .

(٣) فى م : « بعسكر » . وانظر ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩ .

(٤ - ٤) فى م : « موج الفرات كما أتى » ، وفى المصدرين السابقين : « هوج الصبا من نعله » .

حمَلَتْك أمْواجُ الفُراتِ ومَن رأى بحرًا سواك تُقِلُّه الأنهارُ
وتقطَّعَت فِرَقًا ولم يكُ طودَها إذ ذاك إلا جيشُك الجرارُ

وقال بعضُ مَن شاهَد ذلك[1]:

ولما تراءَيْنا الفُراتَ بخيلِنا سَكَرْناه[2] منا [3]بالقنا والصوارمِ[3]
فأوقفتِ التيارَ عن جريانِه إلى حينِ عدْنا بالغِنى والغنائمِ

وقال آخرُ [4]ولا بأسَ به[4]:

الملكُ الظاهرُ سلطانُنا نَفْدِيه بالأموالِ والأهلِ
اقتحم الماءَ ليُطفِى به حرارةَ القلبِ من المُغْلِ[5]

وفى يومِ الثلاثاءِ ثالثِ رجبٍ خلَع على جميعِ الأُمراءِ مِن حاشيتِه ومُقَدَّمى الحَلْقةِ وأرْبابِ الدولةِ، وأعْطَى كلَّ إنسانٍ ما يَليقُ به مِن الخيلِ والذهبِ والحَوائصِ، وكان مَبْلَغُ ما أنْفَق بذلك نحوَ ثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ.

وفى شعبانَ أرْسَل السلطانُ إلى مَنْكُوتَمُر هدَايا عظيمةً.

وفى يومِ الاثنين ثانى عشَرَ شَوَّالٍ اسْتَدْعَى السلطانُ شيخَه الشيخَ خَضِرًا الكُرْدىَّ إلى بينِ يديه إلى القلعةِ، وحُوقِق على أشياءَ كثيرةٍ [6]رُمِى بها، وعلى منكراتٍ كثيرةٍ[6] ارْتَكَبها، فأمَر السلطانُ عندَ ذلك باعْتِقالِه وحَبْسِه ثم باغْتِيالِه، وكان آخرَ العهدِ به.

---

(١) هو الشيخ ناصر الدين حسن بن النقيب الكتانى الشاعر. انظر ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٠.
(٢) سكرناه: سكر النهر ونحوه: سده وحبسه. الوسيط (س ك ر).
(٣ - ٣) فى المصدرين السابقين: «بالقوى والقوائم». وانظر فوات الوفيات ١/ ٢٣٩.
(٤ - ٤) سقط من: الأصل. والبيتان للموفق عبد الله بن عمر الأنصارى، وهما فى المصادر السابقة.
(٥) فى الأصل: «الغل».
(٦ - ٦) سقط من: م.

وفى ذى القَعْدةِ سلَّمَت الإسماعيليةُ ما كان بقِى بأيديهم مِن الحصونِ ، [(١] وهى الكَهْفُ والقَدْمُوسُ والمِيْنَقةُ[(٢)١)] ، وعُوِّضوا عن ذلك بإقْطاعاتٍ ، ولم يَبْق بالشامِ شىءٌ لهم مِن القِلاعِ ، واسْتَناب السلطانُ فيها .

وفيها أمَر السلطانُ بعِمارةِ جُسُورةٍ فى السَّواحلِ ، وغرِم عليها مالًا كثيرًا ، وحصَل للناسِ بذلك رِفْقٌ كبيرٌ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ تاجُ الدينِ [(٣] أبو الفضلِ [٣)] يحيى بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ حمزةَ بنِ علىِّ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ الحُبُوبىِّ[(٤)] التَّغْلبىُّ[(٥)] الدمشقىُّ ، كان مِن أعْيانِ أهلِ دمشقَ ، ولِى نظرَ الأيْتامِ والحِسْبةَ ، ثم وِكالةَ بيتِ المالِ ، وسمِع الكثيرَ ، [(٦] وخرَّج له [٦)] ابنُ بَلَبانَ مَشْيَخةً قرَأها عليه الشيخُ شرفُ الدينِ الفَزارىُّ[(٧)] بالجامعِ ، فسمِعها جَماعةٌ مِن الأعْيانِ والفُضلاءِ ، رحِمه اللَّهُ .

الخطيبُ فخرُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ الغَنِىِّ بنِ محمدِ بنِ أبى القاسمِ بنِ محمدِ ابنِ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانىُّ[(٨)] ، الخطيبُ بها ، وبيتُه مَعروفٌ بالعلمِ والخَطابةِ والرِّياسةِ ، ودُفِن بمَقْبرةِ الصوفيةِ ، وقد قارَب الستين ، رحِمه اللَّهُ تعالى ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « المنطقة » ، وفى ذيل مرآة الزمان : « المنيقة » . والمثبت من صبح الأعشى ٤/ ١٤٧.

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « أبو المظفر » . والمثبت من مصدرى ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦، وعقد الجمان ٢/ ١٠٧.

(٤) فى الأصل ، م : « الحوى » ، وفى ذيل مرآة الزمان : « المحبوبى » . والمثبت من عقد الجمان ٢/ ١٠٧.

(٥) فى م : « التغلبى » . وانظر المصدرين السابقين .

(٦ - ٦) فى الأصل : « من » . وانظر عقد الجمان .

(٧) فى م : « الغرارى » . وانظر المصدر السابق .

(٨) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢٠١، والسلوك ١/ ٦٠٩ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٠٧.

وقد سمِع الحديثَ مِن جدِّه الخطيبِ فخرِ الدينِ صاحبِ دِيوانِ الخُطَبِ المشهورةِ ، تُوُفِّى بخانْقاه القصرِ ظاهرِ دمشقَ .

الشيخُ خَضِرُ بنُ أبى بكرٍ المِهْرانىُّ العَدَوىُّ[1] ، شيخُ الملكِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ ، كان حَظِيًّا عندَه مُكرَّمًا لديه ، له عندَه المكانةُ الرَّفيعةُ ، كان السلطانُ يَنْزِلُ بنفسِه إلى زوايتِه التى بناها له فى الحُسَيْنِيةِ فى كلِّ أسبوعٍ مرةً أو مرتين ، وبنَى له عندَها جامعًا يَخْطُبُ فيه للجمعةِ ، وكان يُعْطيه مالًا كثيرًا ، ويُطْلِقُ له ما أراد ، ووقَف [١٠/٧٩ظ] على زاويتِه شيئًا كثيرًا جدًّا ، وكان مُعَظَّمًا عندَ الخاصِّ والعامِّ بسببِ حُبِّ السلطانِ وتَعْظيمِه له ، وكان يُمازِحُه إذا جلَس عندَه ، وكان فيه خيرٌ ودينٌ وصلاحٌ ، وقد كاشَف السلطانَ بأشياءَ كثيرةٍ ، وقد دخَل مرةً كَنيسة القُمامةِ بالمقدسِ ، فذبَح قِسِّيسَها بيدِه ، ووهَب ما فيها لأصحابِه ، وكذلك فعَل بالكنيسةِ التى بالإسْكندريةِ ، وهى مِن أعظمِ كَنائسِهم ، نهَبها وحوَّلها مسجدًا ومدرسةً أنفق عليها أموالًا كثيرةً مِن بيتِ المالِ ، وسمَّاها المدرسةَ الخَضْراءَ ، وكذلك فعَل بكنيسةِ اليهودِ بدمشقَ ، دخَلها ونهَب ما فيها مِن الآلاتِ والأمْتِعةِ ، ومدَّ فيها سِماطًا ، واتَّخذَها مسجدًا مدةً ، ثم سعَوْا إليه فى ردِّها إليهم وإبْقائِها عليهم ، ثم اتَّفق فى هذه السنةِ أنه وقَعت منه أشياءُ أُنْكِرَت عليه ، وحُوقِق عليها عندَ السلطانِ الملكِ الظاهرِ ، فظهَر له منه ما أوْجَب سَجْنَه ، ثم أمَر بإعْدامِه وهَلاكِه ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، ودُفِن بزاويتِه ، سامَحه اللَّهُ ، وقد كان السلطانُ يُحِبُّه مَحبةً عظيمةً حتى إنه سمَّى بعضَ أولادِه خَضِرًا موافقةً لاسمِه ، وإليه تُنْسَبُ القُبَّةُ التى على الجبلِ غربىَّ الرَّبْوةِ التى يقالُ لها : قبةُ الشيخِ خَضِرٍ .

---

(١) كذا ذكره المصنف فى وفيات هذه السنة ، كما سيورده فى وفيات سنة ست وسبعين وستمائة وهو الذى رجحه المصنف نفسه هناك والمؤرخون كما فى مصادر ترجمته ، انظر ما سيأتى صفحة ٥٣٨.

مُصَنِّفُ « التَّعْجِيزِ » العَلَّامةُ تاجُ الدينِ عبدُ الرحيمِ بنُ محمدِ [(1] **بنِ محمدِ ابنِ يونُسَ** [1)] [(2)] **بنِ محمدِ بنِ سعدِ بنِ مالكٍ ، أبو القاسمِ الموصليُّ** ، مِن بيتِ الفقهِ والرِّياسةِ والتَّدْريسِ ، وُلِد سنةَ ثمانٍ وتسعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع واشْتَغَل وحصَّل وصنَّف ، واخْتَصَر « الوَجيزَ » فى كتابِه « التَّعْجيزِ » ، واخْتَصَر « المحْصولَ » ، وله طريقةٌ فى الخلافِ أخَذَها عن رُكْنِ الدينِ الطاوسىِّ ، وكان جدُّه عِمادُ الدينِ بنُ يونُسَ شيخَ المذهبِ فى وقتِه ، كما تقدَّم .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٣، والوافى بالوفيات ١٨/ ٣٩١، ومرآة الجنان ٤/ ١٧١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٩١، وعقد الجمان ٢/ ١٠٨.

(٢) فى الأصل : « يوسف » .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وسبعين وستّمائةٍ[1]

فى صفَرٍ منها قدِم الملكُ الظاهرُ إلى دمشقَ، وقد بلَغه أن أَبْغَا وصَل إلى بغدادَ، فتصَيَّد بتلك الناحيةِ، فأرْسَل إلى العَساكرِ المصريةِ أن يَتَأَهَّبوا للحُضورِ، واسْتَعَدَّ السلطانُ لذلك.

وفى جُمادَى الآخِرةِ أحضَر ملكَ الكُرْجِ إلى بينِ يديه بدمشقَ، وكان قد جاء مُتَنَكِّرًا لزيارةِ بيتِ المَقْدِسِ، فظُهِر عليه، فحُمِل إلى بينِ يديه، فسجَنه بالقلعةِ.

وفيها كمَل بناءُ جامعِ دَيْرِ الطِّينِ ظاهرَ القاهرةِ، وصُلِّىَ فيه الجمعةَ.

وفيها سار السلطانُ إلى القاهرةِ، فدخَلها فى سابعِ رجبٍ.

وفى أواخِرِ رمضانَ دخَل الملكُ السعيدُ بنُ الظاهرِ إلى دمشقَ فى طائفةٍ مِن الجيشِ، فأقام بها شهرًا ثم عاد.

وفى يومِ عيدِ الفطرِ ختَن السلطانُ ولدَه خَضِرًا الذى سمَّاه باسمِ شيخِه، وخُتِن معه جماعةٌ مِن أولادِ الأُمراءِ، وكان وقتًا هائلًا.

وفيها فوَّض ملكُ التَّتارِ إلى عَلاءِ الدينِ صاحبِ الديوانِ ببغدادَ النظرَ فى أمرِ تُسْتَرَ وأعمالِها، فسار إليها ليَتَصَفَّحَ أحوالَها، فوجَد بها شابًّا مِن أبناءِ التُّجارِ يقالُ له: لى[2]. قد قرَأ القرآنَ وشيئًا مِن الفقهِ و«الإشاراتِ» لابنِ سِينا، ونظَر فى

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠- ٣٤، ونهاية الأرب ٣٠/٢٠٣- ٢١٧، وعقد الجمان ٢/ ١١٢- ١٢٠.
(٢) فى عقد الجمان: «كى».

النجومِ ، ثم ادَّعى أنه عيسى ابنُ مريمَ ، وصدَّقه على ذلك جماعةٌ مِن جَهَلةِ تلك الناحيةِ ، وقد أسْقَط لهم مَن الفَرائضِ صلاةَ العصرِ وعِشاءَ الآخِرةِ ، فاسْتَحْضَره وسأَله عن ذلك ، فرآه ذَكيًّا ، إنما يَفْعَلُ ذلك عن قصدٍ ، فأمَر به ، فقُتِل [١٠/٨٠و] بينَ يديه ، جزاه اللَّهُ خيرًا ، وأمَر العَوامَّ فنهَبوا أتباعَه[1] .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

مُؤَيِّدُ الدينِ أبو المَعالى الصدرُ الرئيسُ أسعدُ بنُ أبى غالبِ المُظَفَّرِ[2] الوزيرِ مَؤَيِّدِ الدينِ أسعدَ بنِ حمزةَ بنِ أسعدَ بنِ علىِّ بنِ محمدٍ التَّميمىُّ بنُ القَلانِسىِّ ، جاوَز التسعين ، وكان رئيسًا كبيرًا واسعَ النِّعْمةِ ، لا يُباشِرَ شيئًا مِن الوَظائفِ ، وقد ألْزَموه بعدَ ابنِ سُوَيْدٍ بمُباشَرةِ مَصالحِ السلطانِ ، فباشَرها بلا جامَكِيَّةٍ ، وكانت وفاتُه ببُسْتانِه ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ يومَ الثلاثاءِ ثالثَ عشَرَ المحرمِ . والدُ الصدرِ عزِّ الدينِ حمزةَ رئيسُ البلدَيْن دمشقَ والقاهرةِ ، وجدُّهم مُؤَيِّدُ الدينِ أسعدُ بنُ حمزةَ الكبيرُ ، كان وزيرًا للملكِ الأفضلِ علىِّ بنِ الناصرِ فاتحِ القدسِ ، كان رئيسًا فاضلًا ، له كتابُ « الوَصِية فى الأخلاقِ المَرْضِيَّةِ » وغيرُ ذلك ، وكانت له يدٌ جيدةٌ فى النَّظْمِ ، فمِن ذلك قولُه :

يا ربِّ جُدْ لى إذا ما ضمَّنى جَدَثى ... برحمةٍ منك تُنْجِينى مِن النارِ
أحْسِنْ جِوارِى إذا أمْسَيْتُ جارَك فى ... لَحْدِى فإنك قد أوْصَيْتَ بالجارِ

---

(١) فى م : « أمتعته وأمتعة العوام ممن كان اتبعه » .

(٢) فى الأصل ، م : « المظفرى » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢١٤، والعبر ٥/ ٢٩٧، والوافى بالوفيات ٩/ ٣٩، ومرآة الجنان ٤/ ١٧٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٤١.

وأمَّا والدُه حمزةُ بنُ أسْعَدَ بنِ عليٍّ بنِ محمدٍ التَّمِيميِّ فهو العَمِيدُ، وكان يَكْتُبُ جيدًا، وصنَّف تاريخًا فيما بعدَ سنةِ أربعين وأربعِمائةٍ إلى سنةِ وفاتِه في خمسٍ وخمسين وخمسِمائةٍ.

الأميرُ الكبيرُ فارسُ الدينِ أَقْطاى المُسْتَعْرِبُ[1]، أَتابَكُ العساكرِ المصريةِ، كان أولًا مَمْلوكًا لابنِ يُمْنٍ، ثم صار مملوكًا للصالحِ أيوبَ فأمَّره، ثم عظُم شأنُه في دولةِ المُظَفَّرِ، وصار أَتابَكَ العَساكرِ، فلما قُتِل امْتَدَّت أطْماعُ أكابرِ الأمراءِ إلى المَمْلكةِ، فبايَع أَقْطاى الملكَ الظاهرَ، فتبِعه الجيشُ على ذلك، وكان الظاهرُ يَعْرِفُها له ولا يَنْساها، ثم قبلَ وفاتِه بقليلٍ انْهَضَم عندَ الظاهرِ، ومات في هذه السنةِ بالقاهرةِ.

الشيخُ عبدُ اللَّهِ بنُ غانمِ بنِ عليٍّ بنِ إبراهيمَ بنِ عَساكرَ بنِ الحسينِ المَقْدسيُّ[2]، له زاويةٌ بنابُلُسَ، وله أشعارٌ رائقةٌ، وكلامٌ قويٌّ في علمِ التَّصَوُّفِ، وقد طوَّل اليُونِينيُّ ترجمتَه، وأوْرَد مِن أشعارِه شيئًا كثيرًا.

قاضى القُضاةِ كَمالُ الدينِ أبو الفتحِ عمرُ بنُ بُنْدارِ بنِ عمرَ بنِ عليٍّ التَّفْلِيسيُّ الشافعيُّ[3]، وُلِد بتَفْلِيسَ سنةَ إحدى وستِّمائةٍ، وكان فاضلًا أصوليًّا مُناظِرًا، ولِي نيابةَ الحكمِ مدةً، ثم اسْتَقَلَّ بالقَضاءِ في دولةِ هَلاوُون، وكان عَفيفا نَزِهًا، لم يَزْدَدْ[4] مَنْصِبًا ولا تَدْرِيسًا مع كثرةِ عِيالِه وقلةِ مالِه، ولما انْقَضَت أيامُهم

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢١٦، وفيه أن وفاته سنة ثلاث وسبعين وستمائة، والعبر ٥/ ٢٩٧، ودول الإسلام ٢/ ١٧٤، والوافى بالوفيات ٩/ ٣١٨ ومرآة الجنان ٤/ ١٧٢، وعقد الجمان ٢/ ١٢٨.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٥١، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣٩٨، وعقد الجمان ٢/ ١٢٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٦٤، والعبر ٥/ ٢٩٨، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٤٤٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠٩، وعقد الجمان ٢/ ١٢٢.

(٤) فى م: «يرد».

تغَضَّب عليه بعضُ الناسِ، ثم أُلْزِم بالمَسيرِ إلى القاهرةِ، فأقام بها يُفِيدُ الناسَ، إلى أن تُوُفِّى فى ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ، ودُفِن بالقَرافةِ الصُّغرى[1].

إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ شاكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ التَّنوخيُّ[2]، وتَنوخُ مِن قُضاعةَ، كان صَدْرًا كبيرًا، وكتَب الإنْشاءَ للناصرِ داودَ بنِ المُعَظَّمِ، وتولَّى نظرَ المارَسْتانِ النُّوريِّ وغيرِه، وكان مَشْكورَ السِّيرةِ، وقد أثْنَى عليه غيرُ واحدٍ، وقد جاوَز الثمانين، ومِن شعرِه قولُه:

خاب رَجاءُ امْرِئٍ له أملٌ ... بغيرِ ربِّ السماءِ قد وصَلَهْ
أيَبْتَغِى غيرَه أخو ثقةٍ ... وهْو ببطنِ الأحْشاءِ قد كفَلَهْ

وله أيضًا:

خَرِس اللسانُ وكَلَّ عن أوصافِكمْ ... ماذا يقولُ وأنتمُ ما أنتمُ
الأمرُ أعظمُ من مَقالةِ قائلٍ ... قد تاه عقلًا أن يُعَبِّرَ عنكمُ
[١٠/٨٠ظ] العجزُ والتَّقْصيرُ وَصْفى دائمًا ... والبِرُّ والإحْسانُ يُعْرَفُ منكمُ

الشيخُ جَمالُ الدينِ بنُ مالكٍ: محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ[3] عبدِ اللهِ بنِ[3] مالكٍ

---

(١) بعده فى حاشية الأصل: «الشيخ صدر الدين القنوى، وله تصانيف عديدة؛ من جملتها مفتاح الغيث وشرح الأسماء وشرح سورة الفاتحة، وكان عالما تقيا عظيم الشأن، وكان من أبناء الملوك، ورباه الشيخ محيى الدين ابن العربى، ودفن فى قونية رحمه الله رحمة واسعة».

وصدر الدين هذا اسمه محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف. وتوفى سنة ثلاث وسبعين وستمائة. وذكره الحافظ الذهبى فى وفياتها فى تذكرة الحفاظ ١٤٩١/٤ وقال: كبير مشايخ الاتحادية. وانظر ترجمته فى الوافى بالوفيات ٢/ ٢٠٠،وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٤٥.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨، والعبر ٥/ ٢٩٩، ودول الإسلام ٢/ ١٧٤، والوافى بالوفيات ٩/ ٧١، وعقد الجمان ٢/ ١٢٣.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٣/ ٧٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢١٤، والعبر ٥/ ٣٠٠، وفوات الوفيات ٣/ ٤٠٧، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٥٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٦٧، وعقد الجمان ٢/ ١٣٢، وغاية النهاية ٢/ ١٨٠، وبغية الوعاة ١/ ١٣٠، ونفح الطيب ٢/ ٢٢٢.

أبو عبدِ اللَّهِ الطائيُّ الجَيَّانيُّ النحويُّ، صاحبُ التَّصانيفِ المشهورةِ المُفيدةِ؛ منها «الكافيةُ الشافيةُ» و «شرحُها»، و «التَّسْهيلُ» و «شرحُه»، و «الألفيةُ» التى شرَحها ولدُه بدرُ الدينِ شرحًا مفيدًا. وُلِد بجيَّانَ سنةَ ستِّمائةٍ، وأقام بحلبَ مدةً، ثم بدمشقَ، وكان كثيرَ الاجْتماعِ بابنِ خَلِّكانَ، وأثْنَى عليه غيرُ واحدٍ، وروَى عنه القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ، وأجاز لشيخِنا عَلَمِ الدينِ البِرْزاليِّ، تُوُفِّى ابنُ مالكٍ بدمشقَ ليلةَ الأربعاءِ ثانى عشَرَ رمضانَ، ودُفِن بتُرْبةِ القاضى عِزِّ الدينِ بنِ الصائغِ بقاسِيونَ.

النَّصِيرُ الطُّوسيُّ: محمدُ بنُ (1)**محمد بنِ الحسنِ أبو** (1) **عبدِ اللَّهِ الطُّوسيُّ**، كان يقالُ له: المولى نَصِيرُ الدينِ. ويقالُ: الخَواجا نَصِيرُ الدينِ. اشْتَغَل فى شَبيبتِه، وحصَّل علمَ الأوائلِ جيدًا، وصنَّف فى ذلك فى علمِ الكلامِ، وشرَح «الإشاراتِ» لابنِ سِينا، ووزَر لأصحابِ قِلاعِ الأَلَموتِ مِن الإسْماعيليةِ، ثم وزَر لهولاكُو، وكان معه فى واقعةِ بغدادَ، ومِن الناسِ مَن يَزْعُمُ أنه أشار على هُولَاكُو بأن يَقْتُلَ الخليفةَ، فاللَّهُ أعلمُ، وعندى أن هذا لا يَصْدُرُ مِن فاضلٍ ولا عاقلٍ. وقد ذكَره بعضُ البَغادِدةِ، فأثْنَى عليه وقال: كان عاقلًا فاضلًا، كريمَ الأخْلاقِ. ودُفِن فى مشهدِ موسى بنِ جعفرٍ، فى سِرْدابٍ كان قد أُعِدَّ للخليفةِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ، وهو الذى كان قد بنَى الرَّصَدَ بمَراغةَ، ورتَّب فيه الحُكَماءَ مِن الفَلاسفةِ والمُتَكَلِّمين والفُقهاءِ والمُحَدِّثين والأَطِباءِ وغيرِهم مِن أنواعِ الفُضلاءِ، وبنَى له فيه قبةً عظيمةً، وجعَل فيه كتبًا كثيرةً جدًّا، تُوُفِّى ببغدادَ فى ثانى عشَرَ ذى الحِجَّةِ

(1 - 1) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٣/ ٧٩، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٨، والعبر ٥/ ٣٠٠، وفوات الوفيات ٣/ ٢٤٦، والوافى بالوفيات ١/ ١٧٩، وعقد الجمان ٢/ ١٢٤، وروضات الجنات ٦/ ٣٠٠.

مِن هذه السنةِ ، وله خمسٌ وسبعون سنةً ، وله شعرٌ جيدٌ قويٌّ ، وأصلُ اشْتِغالِه على المُعينِ سالمِ بنِ بدرانَ[1] بنِ عليٍّ المصريِّ المُعْتَزِلِيِّ المُتَشَيِّعِ ، فنزَع فيه عروقٌ كثيرةٌ منه ، حتى فَسَد اعْتِقادُه .

الشيخُ مُسَلَّمٌ[2] البَرْقِيُّ البدَويُّ ، صاحبُ الرِّباطِ بالقَرافةِ الصغرى ، كان صالحًا مُتَعَبِّدًا يُقْصَدُ للزِّيارةِ والتَّبَرُّكِ بدعائِه ، وله اليومَ أصحابٌ مَعْروفون على طريقِه .

---

(١) فى الأصل ، م : « بدار » ، وفى عقد الجمان : « بدر » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٢) فى الأصل ، م : « سالم » . والمثبت من مصدرى ترجمته : الذيل على مرآة الزمان ٣/ ١٠٣ ، وعقد الجمان ٢/ ١٣٦ - وجاءت وفاته فيهما سنة ثلاث وسبعين وستمائة - وانظر تبصير المنتبه ٤/ ١٢٨٥.

ثُمَّ دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

فيها اطَّلَع السلطانُ على ثلاثةَ عشَرَ أميرًا من المصريين، منهم قجقارُ الحَمَويُّ، وقد كانو كاتَبوا التَّترَ يَدْعُونهم إلى بلادِ المسلمين، وأنهم معهم على السلطانِ، فأُخِذوا فأقَرُّوا بذلك، وجاءت كتبُهم مع البَريديةِ فكان آخرَ العهدِ بهم.

وفيها أقْبَل السلطانُ بالعساكرِ، فدخَل بلادَ سِيسَ [2]من ناحيةِ الدَّرْبَنْداتِ[3]، فملكَها وملَك إياسَ والمِصِّيصةَ وأَذَنَةَ، وكان دخولُه إلى سِيسَ[2] يومَ الاثنينِ الحادى والعشرين مِن رمضانَ، فقتَلوا خلقًا لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ، وغنِموا شيئًا كثيرًا مِن الأبقارِ والأغْنامِ والأثْقالِ والدوابِّ والأنعامِ، فأُبِيع بأرخصِ ثمنٍ، ثم عاد فدخَل دمشقَ مُؤَيَّدًا منصورًا فى شهرِ ذى الحِجَّةِ، فأقام بها حتى انقضَتِ السنةُ.

وفيها ثار على أهلِ الموصلِ رَمْلٌ حتى عمَّ الأُفُقَ، وخرَجوا مِن دُورِهم يَبْتَهِلون إلى اللَّهِ حتى كشَف ذلك عنهم. واللَّهُ تعالى أعلمُ.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/٨٤ - ١١٠، ونهاية الأرب ٣٠/٢١٥ - ٢١٧، وكنز الدرر ٨/١٧٦ - ١٨٢، وعقد الجمان ٢/١٣٠ - ١٣٨، والنجوم الزاهرة ٧/٢٤٥ - ٢٤٨.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) الدربندات: باب الأبواب. معجم البلدان ٢/ ٥٦٤.

ومَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

ابنُ عَطاءِ الحنَفىُّ[1] : قاضى القُضاةِ شمسُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ الشيخِ شرفِ الدينِ محمدِ بنِ عَطاءِ بنِ حسنِ بنِ [١٠/٨١و] عَطاءِ بنِ جُبَيْرِ بنِ جابرِ بنِ وُهَيْبِ الأَذْرَعِىُّ الحنفىُّ ، وُلِد سنةَ خمسٍ وتسعين وخمسِمائةٍ ، سمِع الحديثَ وتفقَّه على مذهبِ أبى حنيفةَ ، وناب فى الحكمِ عن الشافعىِّ مدةً ، ثم اسْتَقَلَّ بقَضاءِ الحنفيةِ أولَ ما وَلِيَتْ القُضاةُ مِن المذاهبِ الأربعةِ ، ولما وقَعَت الحَوْطَةُ على أمْلاكِ الناسِ أراد السلطانُ منه أن يَحْكُمَ بها بمُقْتَضَى مذهبِه ، فغضِب مِن ذلك وقال : هذه أمْلاكٌ بأيدى أربابِها ، وما يَحِلُّ لمسلمٍ أن يَتَعَرَّضَ لها . ثم نَهَض مِن المجلسِ فذهَب ، فغضِب السلطانُ مِن ذلك غضبًا شديدًا ، ثم سكَن غضبُه ، فكان يُثْنِى عليه بعدَ ذلك ويَمْدَحُه ، ويقولُ : لا تُثْبِتوا [٢]كتابًا إلا عندَه[٢] . كان ابنُ عَطاءٍ مِن العلماءِ الأخْيارِ ، كثيرَ التَّواضُعِ ، قليلَ الرغبةِ فى الدنيا ، روَى عنه ابنُ جَماعةَ ، وأجاز للبِرْزالىِّ . تُوُفِّى يومَ الجمعةِ تاسعَ جُمادَى الأولى ، ودُفِن بالقربِ مِن المُعَظَّمِيةِ بسفحِ قاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

بِيمُنْدُ بنُ بِيمُنْدَ بنِ بِيمُنْدَ[3] ، إرِّيسُ[4] طرابُلُسَ الفِرِنْجِىُّ ، كان جدُّه نائبًا لبنتِ صنجلَ[5] الذى تملَّك طَرابُلُسَ مِن ابنِ عَمَّارٍ فى حدودِ الخمسِمائةِ ، وكانت

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٩٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢١٦، والعبر ٥/ ٣٠١، ومرآة الجنان ٤/ ١٧٣، والجواهر المضية ٢/ ٣٣٦، والسلوك ٦١٩/١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ١٣٥.

(٢ - ٢) فى م : « كتبا إلا عنه » .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٩٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٨، وعقد الجمان ٢/ ١٣٨، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٤٦، والمنهل الصافى ٣/ ٥١٥.

(٤) فى م : « ابرنس » . والإريس : الأمير. تاج العروس (أ ر س) .

(٥) فى الأصل، م : « صيحل » . والمثبت من مصادر ترجمته .

يَتيمةً تَسْكُنُ بعضَ جَزائرِ البحرِ ، فتغَلَّب هذا على البلدِ لبُعدِها عنه ، ثم اسْتَقَلَّ بها ولدُه ، ثم حفيدُه هذا ، وكان شَكِلًا مَليحًا . قال قُطْبُ الدينِ اليُونِينيُّ[1] : رأيْتُه ببَعْلَبَكَّ فى سنةِ ثمانٍ وخمسين وستِّمائةٍ حيـنَ جاء مُسَلِّمًا على كتبُغَا نُوين ، ورام أن يَطْلُبَ منه بَعْلَبَكَّ ، فشق ذلك على المسلمين . ولما تُوُفِّى دُفِن فى كَنيسةِ طَرابُلُسَ ، ولما فتَحها المسلمون فى سنةِ ثمانٍ وثمانين وستِّمائةٍ نبَش الناسُ قبرَه ، وأخْرَجوه منه ، وألْقَوْا عِظامَه على المَزابلِ للكِلابِ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٩٢.

ثم دخَلت سنةُ أربعٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

لما كان يومُ الخميسِ ثامنَ جُمادَى الآخرةِ[2] نزَل التتارُ على البِيرَةِ فى ثلاثين ألفَ مُقاتِلٍ ؛ خمسةَ عشَرَ ألفًا مِن المغُولِ ، وخمسةَ عشَرَ ألفًا مِن الرومِ ، والمُقَدَّمُ على الجميعِ البَرْوَاناه ، بأمْرِ أَبْغَا ملكِ التَّترِ ، ومعهم جيشُ المَوْصلِ وجيشُ ماردِين والأكْرادُ ، ونصَبوا عليها ثلاثةً وعشرين مَنْجَنيقًا ، فخرَج أهلُ البِيرَةِ فى الليلِ ، فكبَسوا[3] عسكرَ التَّتارِ ، وأحْرَقوا المَنْجَنيقاتِ ، ونهَبوا شيئًا كثيرًا ، ورجَعوا إلى بيوتِهم سالمين ، فأقام عليها الجيشُ مدةً إلى تاسعَ عشَرَ الشهرِ المذكورِ ، ثم رجَعوا عنها بغَيْظِهم لم يَنالُوا خيرًا ، وكفَى اللَّهُ المؤمنين القِتالَ ، وكان اللَّهُ قويًّا عَزيزًا . ولما بلَغ السلطانَ نُزولُ التترِ على البِيرَةِ أنْفَق فى الجيشِ ستَّمائةِ ألفِ دينارٍ ، ثم ركِب سريعًا وفى صحبتِه ولدُه السعيدُ ، فلما كان فى أثناءِ الطريقِ بلَغه رَحيلُ التَّترِ عنها ، فعاد إلى دمشقَ ، ثم ركِب فى رجبٍ إلى القاهرةِ ، فدخَلها فى ثامنَ عشَرَ ، فوجَد بها خمسةً وعشرين رسولًا مِن جهةِ مُلوكِ الأرضِ يَنْتَظِرونه ، فتلَقَّوه وحدَّثوه وقبَّلوا الأرضَ بينَ يديه ، [4]ودخَل القلعةَ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ[4] .

ولما عاد البَرْوَاناه إلى بلادِ الرومِ حلَّف الأمراءَ الكبارَ ؛ منهم شرفُ الدينِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١١١/٣ - ١٢٥، ونهاية الأرب ٢١٩/٣٠ - ٢٣١، وكنز الدرر ١٨٢/٨ - ١٨٧، وعقد الجمان ١٣٩/٢ - ١٥٠، والسلوك ٦١٩/١ - ٦٢٥ (القسم الثانى).

(٢) فى م : « الأولى » .

(٣) فى الأصل : « فكسروا » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل.

مسعودٌ وضِياءُ الدينِ محمُودٌ ابنا الخَطِيرِ ، وأميـنُ الدينِ مِيكائِيلُ ، وحُسامُ الدينِ بيجارُ[(١)] ، وولدُه بَهاءُ الدينِ ، على أن يَكُونوا مِن جهةِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ ، ويُنابِذوا أَبْغَا ، فحلَفوا له على ذلك ، وكتَب إلى الظاهرِ بذلك ، وأن يُرْسِلَ إليه جيشًا ، ويَحْمِلَ له ما كان يَحمِلُه إلى التَّتارِ ، ويَكونَ غِياثُ الدينِ كَيْخُسْرو على ما هو عليه ، يَجْلِسُ على تَخْتِ مَمْلكةِ الرومِ .

وفى هذه السنةِ اسْتَسْقَى أهلُ بغدادَ ثلاثةَ أيامٍ وِلاءً فلم يُسْقَوْا .

[١٠/٨١ظ] وفيها فى رمضانَ منها وُجِد رجلٌ وامرأةٌ فى نَهارِ رمضانَ على فاحشةِ الزِّنَى ، فأمَر عَلاءُ الدينِ صاحبُ الدِّيوانِ برجْمِهما فرُجِما ، ولم يُرْجَمْ ببغدادَ قبلَهما قطُّ أحدٌ منذُ بُنِيَت . وهذا غريبٌ جدًّا .

وفيها اسْتَسْقَى أهلُ دمشقَ أيضًا مرتين ؛ فى أواخِرِ رجبٍ وأوائلِ شعبانَ - وكان ذلك فى آواخرِ كانونَ الثانى - فلم يُسْقَوْا أيضًا .

وفيها أرْسَل السلطانُ جيشًا إلى دُنْقُلةَ ، فكسَر جيشَ السُّودانِ ، وقتَلوا منهم خلقًا ، وأسَروا شيئًا كثيرًا مِن السُّودانِ ، بحيث أُبِيعَ الرَّقيقُ الرأسُ بثلاثةِ دراهمَ ، وهرَب مِلكُهم داودُ إلى صاحبِ النُّوبةِ ، فأرْسَله إلى الملكِ الظاهرِ مُحْتاطًا عليه ، وقرَّر الملكُ الظاهرُ على أهلِ دُنْقُلةَ جِزْيةً تُحْمَلُ إليه فى كلِّ سنةٍ . كلُّ ذلك كان فى شعبانَ مِن هذه السنةِ .

وفيها عُقِد عَقْدُ الملكِ السعيدِ بنِ الظاهرِ ، على بنتِ الأميرِ سيفِ الدينِ

---

(١) فى الأصل : « منجار » ، وفى م : « ميجار » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان . وانظر ترجمته فى الوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٠.

قَلَاوُون الألْفىّ ، فى الإيوانِ بحَضْرةِ السلطانِ والدولةِ على صَداقٍ خمسةِ آلافِ دينارٍ ، يُعَجَّلُ منها ألفا دينارٍ ، وكان الذى كتَبه وقرَأه مُحْيى الدينِ بنُ عبدِ الظاهرِ ، فأُعْطِى مائةَ دينارٍ ، وخُلِع عليه . ثم ركِب السلطانُ مُسْرِعًا ، فوصَل إلى حصنِ الكَرَكِ ، فجمَع القَيْمُرِيةَ الذين به فإذا هم ستُّمائةِ نفرٍ ، فأمَر بشَنْقِهم ، فشُفِع فيهم عندَه ، فأطْلَقهم وأجْلاهم منه إلى مصرَ ، وكان قد بلَغه عنهم أنهم يُرِيدُون قتلَ مَن فيه ، ويُقِيمُوا مَلِكًا عليهم ، وسلَّم الحصنَ إلى الطَّواشِى شمسِ الدينِ رِضْوانَ السُّهَيْلىِّ ، ثم عاد فى بقيةِ الشهرِ إلى دمشقَ ، فدخَلها يومَ الجمعةِ ثامنَ عشَرَ الشهرِ .

وفيها كانت زَلْزلةٌ بأَخْلاطَ[1] ، واتَّصَلَت ببِلادِ بكرٍ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ الإمامُ الأديبُ العَلَّامةُ تاجُ الدينِ أبو الثَّناءِ محمودُ بنُ عابدِ بنِ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ التَّميمىُّ الصَّرْخَدىُّ الحَنَفىُّ[2] ، كان مَشْهورًا بالفقهِ والأدبِ ، والعِفَّةِ والصَّلاحِ ، ونَزاهةِ النفسِ ومَكارمِ الأخلاقِ . وُلِد سنةَ ثمانٍ وسبعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ وروَى ، ودُفِن بمَقابرِ الصُّوفيةِ فى ربيعٍ الآخِرِ منها ، وله ستٌّ وتسعون سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ الإمـــامُ عِمادُ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ القادرِ بنِ

---

(١) قال صاحب تاج العروس : خلاط : بلد بأرمينية مشهور . قال : ولا تقل : أخلاط ، بالألف كما هو على لسان العامة . تاج العروس (خ ل ط) .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٥٤، والعبر ٥/ ٣٠٢، وفوات الوفيات ٤/ ١٢١، والجواهر المضية ٣/ ٤٤١، والسلوك ٦٢٤/١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ١٥١، وبغية الوعاة ٢/ ٢٧٨.

(١ابنِ عبدِ الخالقِ ١) بنِ خَليلِ بنِ مَقْلَدٍ الأنصاريُّ الدمشقيُّ ، المَعْروفُ بابنِ الصائغِ ، كان مُدَرِّسًا بالعَذْراويةِ وشاهدًا بالخزانةِ بالقلعةِ ، يَعْرِفُ الحسابَ جيدًا ، وله سَماعٌ ورِوايةٌ ، ودُفِن بقاسِيونَ .

ابنُ الساعى المؤَرِّخُ[٢] : **تاجُ الدينِ بنُ المحْتَسِبِ المَعْروفُ بابنِ الساعى البَغْداديُّ** ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وتسعين ، وسمِع الحديثَ ، واعْتَنَى بالتاريخِ ، وجمَع وصنَّف ، ولم يَكُنْ بالحافظِ ولا الضابطِ المُتْقِنِ . وقد أَوْصَى إليه ابنُ النَّجَّارِ حينَ تُوُفِّى ، وله تاريخٌ كبيرٌ عندى أكثرُه ، ومُصَنَّفاتٌ أُخَرُ مُفيدةٌ ، وآخِرُ ما صنَّف كتابٌ فى الزُّهّادِ ، كتَب فى حاشيتِه زَكِىُّ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ حَبيبٍ الكاتبُ :

ما زال تاجُ الدينِ طولَ المدى   من عمرِهِ يُعْنِقُ[٣] فى السيرِ
فى طلبِ العلمِ وتدوينِه   وفعلُه نفعٌ بلا ضيرِ
عَلا علىٌّ بتصانيفِه   وهذه خاتمةُ الخيرِ

(١ - ١) فى الأصل ، م ، ومصادر ترجمته : عقد الجمان ٢/ ١٥١، والمنهل الصافى ٧/ ٣٠٢، والدارس ١/ ٣٧٦: « عبد الله » . والمثبت مما سيأتى فى ترجمة أبيه فى صفحة ٥٩٤ ضمن وفيات سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٤٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٩، وعقد الجمان ٢/ ١٥٢، والدليل الشافى ١/ ٤٥١، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٣، وتاريخ علماء المستنصرية ص ٣٣٧ .

(٣) يعنق : يسرع . الوسيط (ع ن ق) .

ثم دخَلت سنةُ خمسٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

فى [2]ثالثَ عشَرَ المُحرمِ[2] منها دخَل السلطانُ إلى دمشقَ ، وسبَق العَساكرَ إلى بلادِ حلبَ ، فلما توافَت إليه أرْسَل بينَ يديه الأميرَ بدرَ الدينِ الأتابَكِيَّ بألفِ فارسٍ إلى البُلُسْتَيْن[3] ، فصادَف بها [١٠/٨٢و] جَماعةً مِن عسكرِ الرومِ ، فركِبوا إليه وحمَلوا إليه الإقاماتِ ، وطلَب جماعةٌ منهم أن يَدْخُلوا بلادَ الإسلامِ ، فأذِن لهم ، فدخَل طائفةٌ ؛ منهم بيجارُ[4] وابنُ الخَطِيرِ ، فرسَم لهم أن يَدْخُلوا القاهرةَ ، فتلَقَّاهم الملِكُ السعيدُ ، ثم عاد السلطانُ مِن حلبَ إلى القاهرةِ ، فدخَلَها فى [5]ثانى عشَرَ رَبيعٍ الآخِرِ[5] .

وفى خامسِ جُمادَى الأولى عمِل السلطانُ عُرْسَ ولدِه الملكِ السعيدِ على بنتِ قَلَاوُون ، واحْتَفَل السلطانُ به احْتِفالًا عظيمًا ، وركِب الجيشُ فى المَيْدانِ خمسةَ أيامٍ يَلْعَبون ويَتَطارَدون ، ويَحْمِلُ بعضُهم على بعضٍ ، ثم خُلِع على

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/١٦٤ - ١٨٧، ونهاية الأرب ٣٠/٢٣٣ - ٢٣٥، وكنز الدرر ٨/١٨٧ - ٢٠٧، والعبر ٥/ ٣٠٤، ٣٠٥.

(٢ - ٢) فى ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٦٥، ١٦٦: «أواخر المحرم»، وفى نهاية الأرب ٣٠/ ٢٣٤: «رابع عشر المحرم».

(٣) فى معجم البلدان ١/ ٩٣: «أَبُلُسْتَيْن» ، وهى مدينة ببلاد الروم قريبة من أبْسُس مدينة أصحاب الكهف .

(٤) فى الأصل : «نبجار» ، وفى نهاية الأرب ٣٠/ ٢٣٣: «بَيْنْجار» . وانظر ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٦٦.

(٥ - ٥) فى نهاية الأرب ٣٠/ ٢٣٥: «رابع عشر ربيع الأول» .

الأمراءِ وأربابِ المَناصبِ ، وكان مَبْلَغُ ما خُلِع ألفًا وثلاثَمائةِ خِلْعةٍ بمصرَ ، وجاءت مَراسِيمُه إلى الشامِ بالخِلَعِ على أهلِها ، ومدَّ السلطانُ سِماطًا عظيمًا حضَره الخاصُّ والعامُّ ، والشارِدُ والوارِدُ ، وجلَس فيه رسلُ التَّتارِ ورسلُ الفِرِنْجِ ، وعليهم كلِّهم الخِلَعُ الهائلةُ ، وكان وقتًا مشهودًا ، وحمَل صاحبُ حَماةَ هدايا عظيمةً ، وركِب إلى مصرَ للتهنئةِ .

وفى حادى عشَرَ شوالٍ طِيف بالمَحْمِلِ وبكُسْوةِ الكعبةِ المُشَرَّفةِ بالقاهرةِ ، وكان يومًا مشهودًا .

وَقْعةُ البُلُسْتَين وفَتْحُ قَيْسارِيَّةَ

ركِب السلطانُ مِن مصرَ فى العَساكرِ ، فدخَل دمشقَ فى سابعَ عشَرَ شوالٍ ، فأقام بها ثلاثةَ أيامٍ ، ثم سار حتى دخَل حلبَ فى مُسْتَهَلِّ ذى القَعْدةِ ، فأقام بها يومًا ، ورسَم لنائبِ حلَبَ أن يُقِيمَ بعَسْكرِ حلبَ على الفُراتِ لحفظِ المَعابرِ ، وسار السلطانُ فقطَع الدَّرْبَنْدَ فى نصفِ يومٍ ، ووقَع سُنْقُرُ الأَشْقَرُ فى أثناءِ الطريقِ بثلاثةِ آلافٍ مِن المَغُولِ ، فهزَمهم يومَ الخميسِ تاسعِ ذى القَعْدةِ ، وصعِد العَسْكرُ الجبالَ ، فأَشْرَفُوا على وَطْأَةِ البُلُسْتَيْن ، فرأوا التّتارَ قد رتّبُوا عسكرَهُم وكانوا أحدَ عشَرَ ألفَ مُقاتِلٍ ، وعزَلوا عنْهم عَسْكَرَ الرومِ خوفًا مِن مُخامَرَتِهم ، فلما تراءَى الجَمْعان حمَلت مَيْسَرةُ التَّتارِ ، فصدَمَت سَناجقَ السلطانِ ، ودخَلَت طائفةٌ منهم بينَهم فشقُّوها ، وساقَت إلى المَيْمَنةِ ، فلما رأَى السلطانُ ذلك أرْدَف المسلمين بنفسِه ومَن معه ، ثم لاحَت منه الْتِفاتَةٌ ، فرأَى المَيْسَرةَ قد كادَت أن تَتَحَطَّمَ ، فأمَر

جماعةً مِن الأمراءِ بإرْدافِها ، ثم حمَل بالعَسْكرِ جَمِيعِه حَمْلةً واحدةً على التَّتارِ ، فترجَّلوا إلى الأرضِ عن آخِرِهم ، وقاتَلوا المسلمين قِتالًا شديدًا ، وصبَر المسلمون صبرًا عظيمًا ، فأنْزَل اللَّهُ نصرَه على المسلمين ، فأحاطَت بالتَّتارِ العَساكرُ مِن كلِّ جانبٍ ، وقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وقُتِل مِن المسلمين أيضًا جماعةٌ ، وكان فى جُمْلةِ مَن قُتِل مِن ساداتِ المسلمين الأميرُ الكبيرُ ضِياءُ الدينِ ابنُ الخَطِيرِ ، و(1) سيفُ الدينِ قيماز (1) ، وسيفُ الدينِ قَفْجَقُ(2) الجاشْنَكِير ، وعزُّ الدينِ أَيْبَك الشقِيفيُّ(3) ، وأسِر جَماعةٌ مِن أمراءِ المَغُولِ ومِن أمراءِ الرومِ ، وهرَب البَرْوَاناه ، فنجا بنفسِه ، ودخَل قَيْسارِيَّةَ فى بُكْرةِ الأحدِ ثانى عشَرَ ذى القَعْدةِ ، وأعْلَم أُمراءُ الرومِ مَلِكَهم بكَسْرةِ التَّتارِ على البُلُسْتَيْن ، وأشار عليهم بالهزيمةِ ، فانْهَزَموا منها وأخْلوها ، فدخَلَها الملكُ الظاهرُ ، وصلَّى بها الجمعةَ سابعَ عَشَرَ ذى القَعْدةِ ، وخُطِب له بها ، ثم كرَّ راجعًا مُؤَيَّدًا منصورًا . وسارَت بذلك البَشائرُ إلى البُلْدانِ ، ففرِح المؤمنون يومَئذٍ بنصرِ اللَّهِ تعالى . ولما بلَغ خبرُ هذه الوَقْعةِ أَبْغَا جاء حتى وقَف بنفسِه وجيشِه ، وشاهَد مكانَ المعركةِ [١٠/٨٢ظ] ومَن فيها مِن قَتْلَى المَغُولِ ، فغاظه ذلك وأعْظَمه ، وحنق على البَرْوَاناه إذ لم يُعْلِمْه بجَلِيَّةِ الحالِ ، وكان يَظُنُّ أن أمرَ الملكِ الظاهرِ دونَ هذا كلِّه ، واشْتَدَّ غضبُه على أهلِ قَيْسارِيَّةَ وأهلِ تلك

(١ - ١) فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٧٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٥٢و وكنز الدرر ٨/ ١٩٩، والعبر ٥/ ٣٠٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٩: « شرف الدين قيران العلائى » .

(٢) فى الأصل : « تنجو » . وفى م : « بنجو » . والمثبت من العبر . وانظر عقد الجمان ٢/ ٥٨١، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٩، والسلوك ٦٢٩/١ (القسم الثانى) . والجاشنكير : هو الذى يتحدث فى أمر الطعام والمطابخ مع الأستادار . انظر صبح الأعشى ٤/ ٢١.

(٣) فى الأصل، م: « الثقفى » . وفى ذيل مرآة الزمان : « الشقيقى » . والمثبت من العبر، والنجوم الزاهرة .

الناحيةِ ، فقتَل منهم قريبًا مِن مائتَىْ ألفٍ ، وقيل : قتَل منهم خمسَمائةِ ألفٍ مِن قَيساريَّةَ وأَرْزَنِ الرومِ ، وكان فى جملةِ مَن قُتِل القاضى جلالُ الدينِ حَبيبٌ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ أبو الفضلِ عيسى[(1)] **بنُ الشيخِ عُبَيْدِ بنِ عبدِ الخالقِ الدِّمشقىُّ** ، ودُفِن بالقربِ مِن الشيخِ رِسلانَ . قال الشيخُ عَلَمُ الدينِ : وكان يَذْكُرُ أن مَوْلِدَه كان سنةَ أربعٍ وستين وخمسِمائةٍ .

الطَّواشِى يُمْنٌ الحَبَشىُّ[(2)] ، شيخُ الخُدَّامِ بالحرمِ الشريفِ النبوىِّ ، كان دَيِّنًا عاقلًا عدلًا ، صادقَ اللَّهْجةِ ، مات فى عَشْرِ السبعين ، رحِمه اللَّهُ .

[(3)]**الشيخُ المُحَدِّثُ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ المَوْصِلىُّ ، ثم الدمشقىُّ الصوفىُّ**[(4)] ، سمِع الكثيرَ ، وكتَب الكتبَ الكبارَ بخطٍّ رفيعٍ جيدٍ واضحٍ ، جاوَز السبعين[(3)] ، ودُفِن ببابِ الفَرادِيسِ .

الشاعرُ شِهابُ الدينِ أبو المكارِمِ محمدُ بنُ يوسُفَ بنِ مسعودِ بنِ بَرَكَةَ بنِ سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ الشَّيْبانىُّ التَّلَّعْفَرِىُّ[(5)] ، صاحبُ دِيوانِ الشعرِ ، جاوَز الثمانين ،

---

(1) سقط من : م . وانظر ترجمته فى عقد الجمان ٢/ ١٦٩ ، وفيه : « عيسى بن عبد الله » .
(2) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٣١، وعقد الجمان ٢/ ١٧٣، والدليل الشافى ٢/ ٧٩٦.
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(4) عقد الجمان ٢/ ١٦٩.
(5) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢١٨، والعبر ٥/ ٣٠٦، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٥٥، وفوات الوفيات ٤/ ٦٢، والسلوك ٦٣٤/١ (القسم الثانى) ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٥، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٩.

تُوُفِّى بحَماةَ ، وكان الشُّعراءُ مُقِرِّين له مُعْتَرِفين بفضلِه وتَقَدُّمِه فى هذا الفنِّ . ومِن شعرِه قولُه :

لسانى طَرِىٌّ منك يا غايةَ المُنَى ومِن ولَهِى أنى خطيبٌ وشاعرُ
فهذا لمعنَى حُسنِ وجهِك ناظمٌ وهذا لدمعى فى تجَنِّيك ناثِرُ

القاضى شمسُ الدينِ علىُّ بنُ محمودِ بنِ علىِّ بنِ عاصمٍ الشَّهْرُزُورىُّ الدمشقىُّ[(1)] ، مُدَرِّسُ القَيْمُرِيَّةِ بشرطِ واقفِها له ولذريتِه مِن بعدِه [(2)] التدريسَ مَن تأَهَّل منهم ، فدرَّس بها إلى أن تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، ودرَّس بعدَه ولدُه صلاحُ الدينِ ، ثم ابنُ ابنِه بعدَ ابنِ جَماعةَ ، وطالت مدةُ حَفيدِه . وقد ولِى شمسُ الدينِ علىٌّ نِيابةَ ابنِ خَلِّكانَ فى الوِلايةِ الأُولى ، وكان فقيهًا جيدًا نَقَّالًا للمذهبِ ، رحِمه اللَّهُ[(2)] ، وقد سافَر مع ابنِ العَدِيمِ إلى بغدادَ ، فسمِع بها ، ودُفِن بمَقابرِ الصوفيَّةِ بالقُربِ مِن ابنِ الصَّلاحِ .

الشيخُ الصالحُ العالمُ الزاهدُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعدِ اللَّهِ بنِ جَماعةَ ابنِ علىِّ بنِ جَماعةَ بنِ حازمِ بنِ صَخْرٍ[(3)] **الكِنانىُّ الحَمَوىُّ** ، له معرفةٌ بالفقهِ والحديثِ ، وُلِد سنةَ ستٍّ[(4)] وتسعين بحَماةَ ، وتُوُفِّى بالقدسِ الشريفِ ، ودُفِن

---

(1) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٩٢، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٨٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ١٢٠، ٣٥٧، وعقد الجمان ٢/ ١٧٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

(٣) فى م : « سنجر » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٨٧، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢٣٦، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٥٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١١٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥١.

(٤) فى ذيل مرآة الزمان : « سبع » .

بماملا ، وسمِع مِن الفخرِ بنِ عَساكرَ ، وروَى عنه ولدُه قاضى القُضاةِ بدرُ الدينِ ابنُ جَماعةَ .

الشيخُ الصالحُ جُنْدُلُ بنُ محمدٍ المَنِينىُّ[١] ، كانت له عِبادةٌ وزَهادةٌ وأعمالٌ صالحةٌ ، وكان الناسُ يَترَدَّدون إلى زيارتِه ، [٢]زارَه الملكُ الظاهِرُ مراتٍ وكذلك الأمراءُ[٢] بمَنِيـنَ ، وكان يَتَكلَّمُ بكلامٍ كثيرٍ لا يَفْهَمُه أحدٌ مِن الحاضِرين ، بألفاظٍ غريبةٍ ، وحكَى عنه الشيخُ تاجُ الدينِ[٣] أنه سمِعه يقولُ : ما تقرَّب أحدٌ إلى اللَّهِ بمثلِ الذُّلِّ له والتَّضَرُّعِ إليه . وسمِعه يقولُ : المُوَلَّهُ مَنْفِيٌّ مِن طريقِ اللَّهِ يَعْتَقِدُ أنه واصلٌ ، ولو علِم أنه مَنْفِيٌّ رجَع عمّا هو فيه ؛ لأن طريقَ القومِ مِن أهلِ السلوكِ لا يَثْبُتُ عليها إلا ذَوُو العُقولِ الثابتةِ . وكان يقولُ : السَّماعُ وَظيفةُ أهلِ البَطالةِ . قال الشيخُ تاجُ الدينِ : وكان الشيخُ جُنْدُلٌ مِن أهلِ الطريقِ وعلماءِ التَّحْقيقِ . قال : وأخْبَرَنى فى سنةِ إحدى وستين وستِّمائةٍ أنه قد بلَغ مِن العمرِ خمسًا وتسعين سنةً . قلتُ : فعلى هذا يكونُ قد جاوَز المائةَ ؛ لأنه تُوُفِّى فى رمضانَ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن فى زاويتِه المشهورةِ بقريةِ مَنِيـنَ ، وورَد الناسُ إلى قبرِه يُصَلُّون عليه مِن دمشقَ وأعْمالِها ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

[٤]محمدُ بنُ[٤] عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ الحافظُ بدرُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ بنُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٩١، والوافى بالوفيات ١١/ ١٩٦، وعقد الجمان ٢/ ١٧١، والدليل الشافى ١/ ٢٥١، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٧.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) هو تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزارى . انظر : ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٩١.

(٤ - ٤) سقط من الأصل ، وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٠٣، والعبر ٥/ ٣٠٦، والوافى بالوفيات ٣/٢٣٥ ، والجواهر المضية ٣/٢١٩ ، والمقفى الكبير ٦/١٦١ ، وعقد الجمان ٢/ ١٧١،=

الفُوَيْرِه[1] **السُّلَمىُّ الحَنَفىُّ**، اشْتَغَل على الصدرِ سليمانَ وابنِ عَطاءٍ، وفى النحوِ على ابنِ مالكٍ، وحصَّل وبرَع ونظَم ونثَر، ودرَّس فى الشِّبْلِيةِ والقَصَّاعِين، وطُلِب لنيابةِ القَضاءِ فامْتَنَع، وكتَب الكِتابةَ المَنْسوبةَ. وقد رآه بعضُ أصحابِه فى المَنامِ بعدَ وفاتِه، فقال له: ما فعَل اللَّهُ بك؟ فأنْشَأ يقولُ:

ما كان لى مِن شافِعٍ عندَه ... غيرُ اعْتِقادى أنه واحدُ

وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأولى[2]، ودُفِن بظاهرِ دمشقَ، رحِمه اللَّهُ.

محمدُ [١٠/٨٣و] **بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ مَنصورٍ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ الحَرَّانىُّ الحنبلىُّ**[3]، تِلْميذُ الشيخِ مَجْدِ الدينِ ابنِ تَيْمِيةَ، وهو أولُ مَن حكَم بالديارِ المصريةِ مِن الحَنابلةِ نيابةً عن القاضى تاجِ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ، ثم ولِىَ شمسُ الدينِ بنُ الشيخِ العِمادِ القَضاءَ مُسْتَقِلًّا، فاسْتَناب به، ثم ترَك ذلك، ورجَع إلى الشامِ يَشْتَغِلُ ويُفْتى إلى أن تُوُفِّى، وقد نيَّف على الستين، رحِمه اللَّهُ.

= والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٧.

(١) فى الأصل، م: «النويرة». والمثبت من مصادر ترجمته عدا الجواهر المضية.

(٢) فى م: «الآخرة».

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٠٦، والعبر ٥/ ٣٠٦، والوافى بالوفيات ٤/ ٧٥، وفوات الوفيات ٣/ ٤٢٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٨٧، والدليل الشافى ٢/ ٦٥١، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٨.

ثم دخلت سنة ستٍّ وسبعين وستّمائةٍ[1]

فيها كانت وفاةُ الملكِ الظاهرِ رُكْنِ الدينِ بَيْبَرْسَ، صاحبِ البلادِ المصريةِ والشاميةِ والحلَبيةِ وغيرِ ذلك، وأقام ولدَه ناصرَ الدينِ أبا المَعالى محمدَ بَرَكة خان المُلَقَّبَ بالملكِ السعيدِ، مِن بعدِه، ووفاةُ الشيخِ مُحْيى الدينِ النَّووىِّ إمامُ الشافعيةِ فيها فى اليومِ السابعِ مِن المُحرمِ منها.

ودخَل السلطانُ الملكُ الظاهرُ مِن بلادِ الرومِ، وقد كسَر التَّتارَ على البُلُسْتَيْنِ، ورجَع مُؤَيَّدًا منصورًا، فدخَل دمشقَ، وكان يومُ دخولِه يومًا مشهودًا، فنزَل بالقصرِ الأبْلَقِ الذى بناه غربىَّ دمشقَ بينَ المَيْدانَيْن الأخضرَيْن، وتَواترَت الأخبارُ إليه بأن أَبْغا جاء إلى المعركةِ، ونظَر إليها، وتأسَّف على مَن قُتِل مِن المَغولِ، وأمَر بقتلِ البَرْوَاناه، وذكَروا أنه قد عزَم على قصدِ الشامِ، فأمَر السلطانُ بجمعِ الأُمراءِ، وضرَب مَشورةً، فاتَّفق مع الأُمراءِ على مُلاقاتِه حيث كان، وتقدَّم بضَربِ الدِّهْلِيزِ على القصرِ، ثم جاء الخبرُ بأن أَبْغَا قد رجَع إلى بلادِه، فأمَر بردِّ الدِّهْلِيزِ، وأقام بالقَصرِ الأبْلَقِ يَجْتَمِعُ عندَه الأعْيانُ والأمراءُ والدولةُ فى أسَرِّ حالٍ، وأنْعَمِ بالٍ. وأما أبْغَا فإنه أمَر بقتلِ البَرْواناه - وكان نائبَه على بلادِ الرومِ - وكان اسمُه مُعِينَ الدينِ سليمانَ بنَ علىِّ بنِ محمدِ بنِ حسنٍ، وإنما قتَله لأنه اتَّهمه بمُمالأتِه للملكِ الظاهرِ، وزعم أنه هو الذى حسَّن له دخُولَ

---

(1) ذيل مرآة الزمان ٢٣٢/٣ - ٢٩٢، ونهاية الأرب ٣٦٥/٣٠ - ٣٨٤، وكنز الدرر ٢٠٧/٨ - ٢٢٤، وانظر العبر ٣٠٧/٥ - ٣١٣.

بلادِ الرومِ ، وكان البَرْواناه شُجاعًا حازمًا كريمًا جوادًا ، وله مَيْلٌ إلى الملكِ الظاهرِ ، وكان قد جاوَز الخمسين لما قُتِل .

ثم لما كان يومُ السبتِ خامسَ عشَرَ المحرمِ **تُوُفِّى الملكُ القاهرُ بَهاءُ الدينِ عبدُ الملكِ بنُ السلطانِ المُعَظَّمِ عيسى بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ**[1] ، عن أربعٍ وستين سنةً ، وكان رجلًا جيدًا ، سَليمَ الصَّدْرِ ، كريمَ الأخْلاقِ ، ليِّنَ الكلمةِ ، كثيرَ التواضُعِ ، يُعانى ملابسَ العربِ ومَراكبَهم ، وكان مُعَظَّمًا فى الدولةِ شُجاعًا مِقْدامًا ، وقد روَى عن ابنِ اللَّتِّىِّ ، وأجاز للبِرْزالىِّ . قال البِرْزالىُّ : ويقالُ : إنه سُمَّ . وذكَر غيرُه أن السلطانَ الملكَ الظاهرَ سمَّه فى كأسٍ ثم ناوَله إياه ، فشرِبه وقام السلطانُ إلى المُرْتَفَقِ ، ثم عاد وأخَذ الساقى الكأسَ مِن يدِ القاهرِ ، فمَلأه وناوَله السلطانَ الظاهرَ ، والساقى لا يَشْعُرُ بشىءٍ ممّا جرَى ، وأنْسَى اللَّهُ السلطانَ ذلك الكأسَ ، أو ظنَّ أنه غيرُه لأمرٍ يُريدُه اللَّهُ ويَقْضِيه ، وكان قد بقى فى الكأسِ بقيَّةٌ كثيرةٌ مِن ذلك السُّمِّ ، فشرِب الظاهرُ ما فى الكأسِ ، ولم يَشْعُرْ حتى شرِبه ، فاشْتَكَى بطنَه مِن ساعتِه ، ووجَد الوَهَجَ والحرَّ والكَرْبَ الشديدَ مِن فوْرِه ، وأما القاهرُ فإنه حُمِل إلى منزِله وهو مَغْلوبٌ ، [١٠/٨٣ظ] فمات مِن ليلتِه ، وتَمَرَّض الظاهرُ مِن ذلك أيامًا حتى كانت وفاتُه يومَ الخميسِ بعدَ الظهرِ فى السابعِ والعشرين مِن المحرمِ بالقصرِ الأبْلَقِ ، وكان ذلك يومًا عظيمًا على الأمراءِ ، وحضَر نائبُ السَّلْطنةِ عزُّ الدينِ أَيْدَمُر وكبارُ الأمراءِ والدولةُ ، فصلَّوْا عليه سرًّا ، وجعَلوه فى تابوتٍ ، ورفَعوه إلى القلعةِ مِن السورِ ، وجعَلوه فى بيتٍ مِن بيوتِ البَحْريةِ إلى أن نُقِل إلى تربتِه التى بناها ولدُه له بعدَ موتِه ، وهى دارُ العقِيقىِّ تُجاهَ العادليةِ الكبيرةِ ، ليلةَ الجمعةِ خامسَ رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وكُتِم موتُه ، فلم يَعْلَمْ جُمْهورُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/٢٧٢ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٨١ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٧٨ ، والدليل الشافى ١/ ٤٣٠ ، وعقد الجمان ٢/ ١٩٦.

الناسِ به ، حتى إذا كان العَشْرُ الأخيرُ مِن ربيعِ الأولِ ، وجاءَت البَيْعةُ لولدِه السعيدِ مِن مصرَ ، حزِن الناسُ عليه حُزْنًا شديدًا ، وترَحَّموا عليه تَرَحُّمًا كثيرًا ، وجُدِّدَت البَيْعةُ أيضًا بدمشقَ ، وجاء تَقْليدُ النِّيابةِ بالشام مُجَدَّدًا إلى عزِّ الدينِ أَيْدَمُر نائبِها .

وقد كان الملكُ الظاهرُ شَهْمًا شُجاعًا ، عالىَ الهِمَّةِ ، بعيدَ الغَوْرِ ، مِقْدامًا جَسورًا ، مُعْتَنيًا بأمرِ السلطنةِ ، يُشْفِقُ على الإسلامِ ، مُتَحَلِّيًا بالمُلْكِ ، له قَصْدٌ صالحٌ فى نُصْرةِ الإسلامِ وأهلِه ، وإقامةِ شِعارِ الملكِ ، واسْتَمَرَّت أيامُه مِن يومِ الأحدِ سابعَ عشَرَ ذى القَعْدةِ سنةَ ثمانٍ وخمسين إلى هذا الحينِ ، ففتَح فى هذه المدةِ فُتوحاتٍ كثيرةً ؛ قَيْساريَّةَ وأرْسُوفَ[(١)] ويَافَا والشَّقِيفَ وأَنْطاكِيَةَ وبَغْراسَ[(٢)] وطَبَرِيَّةَ والقُصَيْرَ وحصنَ الأكْرادِ وحصنَ عَكَّارٍ[(٣)] والقُرَيْنَ[(٤)] وصافِيتا وغيرَ ذلك مِن الحصونِ المَنيعةِ التى كانت بأيدى الفِرنْجِ ، ولم يَدَعْ مع الإسْماعيليةِ شيئًا مِن الحصونِ ، وناصَف الفِرنجَ على المَرْقَبِ وبانِياسَ وبلادِ أَنْطَرْطوسَ[(٥)] ، وسائرِ ما بقى

---

(١) فى م : « أرسون » . وانظر ما تقدم صفحة ٤٥٩ .

(٢) فى م : « بعراض » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٤٧٧ .

(٣) فى الأصل ، م : « عكا » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٢٩.

وعكار : حصن مبنى على جبل يسمى بنفس الاسم ، وموقعه شمالى طرابلس . السلوك ٥٩٢/١ (القسم الثانى) حاشية (١) .

(٤) فى الأصل : « الفرين » ، وفى م : « الغرين » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٣٢.

والقرين : حصن من حصون الأرمن ، لطائفة منهم يقال لهم : الاسبتار وكان من أمنع الحصون وأضرها على صفد . انظر نهاية الأرب ٣٠/ ٣٣٢.

(٥) فى الأصل ، م ، وذيل مرآة الزمان : « أنطرسوس » . والمثبت من نهاية الأرب ٣٢٨/٣٠ ومما تقدم صفحة ٤٩٣. وانظر معجم البلدان ١/ ٣٨٨.

بأيديهم مِن البلادِ والحُصونِ ، وولَّى فى نصيبِه مما ناصَفهم عليه النُّوابَ والعُمَّالَ ، وفتَح قَيْسارِيَّةَ مِن بلادِ الرومِ ، وأَوْقَع بالرومِ والمَغولِ على البُلُسْتَيْنِ بأسًا لم يُسْمَعْ بمثلِه مِن دُهورٍ مُتَطاوِلةٍ ، واسْتَعاد مِن صاحبِ سِيسَ بلادًا كثيرةً ، وجاس خلالَ دِيارِهم وحُصونِهم ، واسْتَرَدَّ مِن أيدى المُتَغَلِّبين مِن المسلمين بَعْلَبَكَّ وبُصْرَى وصَرْخَدَ وحِمْصَ وعَجْلُونَ والصَّلْتَ وتَدْمُرَ والرَّحْبةَ وتَلَّ باشِرٍ وغيرَها ، والكَرَكَ والشَّوْبَكَ ، وفتَح بلادَ النُّوبةِ بكمالِها مِن بلادِ السُّودانِ ، وانْتَزَع بلادًا مِن التَّتارِ كثيرةً ، منها شَيْزَرُ[1] والبِيرةُ ، واتَّسَعت مَملكتُه مِن الفُراتِ إلى أَقْصَى بلادِ النُّوبةِ ، وعمَّر شيئًا كثيرًا مِن الحصونِ والمَعاقِلِ والجُسورِ على الأنهارِ الكبارِ ، وبنَى دارَ الذهبِ بقلعةِ الجبلِ ، وبنَى قُبةً على اثْنَىْ عشَرَ عمودًا مُلَوَّنةً مُذَهَّبةً ، وصوَّر فيها صُوَرَ خاصَّكِيَّتِه[2] وأشكالَهم ، وحفَر أنهارًا كثيرةً وخُلْجاناتٍ ببلادِ مصرَ ، منها نهرُ السَّرْدُوسِ[3] ، وبنَى جَوامعَ كثيرةً ومَساجدَ عَديدةً ، وجدَّد بناءَ مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ احْتَرَق ، ووضَع الدَّرابزِيناتِ حولَ الحجرةِ الشريفةِ ، وعمِل فيه منبرًا ، وسقَفه بالذهبِ ، وجدَّد المارَسْتانَ بالمدينةِ ، وجدَّد قبرَ الخليلِ ، عليه السلامُ ، وزاد فى زاويتِه وما يُصْرَفُ إلى المُقِيمِين ، وبنَى على المكانِ المَنسوبِ إلى قبرِ موسى ، عليه السلامُ ، قبةً قِبْلِيَّ أَرِيحا[4] ، وجدَّد بالقدسِ أشياءَ حسنةً ، مِن ذلك قبةُ السِّلْسِلةِ ، ورمَّم سقفَ الصَّخْرةِ ، [١٠/٨٤و] وغيرها ، وبنَى بالقدسِ خانًا هائلًا بماملا ، ونقَل إليه بابَ قصرِ الخلفاءِ الفاطِمِيِّين مِن مصرَ ، وعمِل فيه طاحونًا

---

(١) فى الأصل : « شيز » . وفى م : « شيرزور » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٣٥٣.

(٢) خاصكية : ندماء الملك والمقربين . انظر المعجم الذهبى ص ٢٣١.

(٣) فى الأصل ، م : « السرداس » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥٨، وانظر معجم البلدان ٣/ ٧٤.

(٤) أريحا : مدينة الجبارين فى الغور من أرض الأردن بالشام . معجم البلدان ١/ ٢٢٧.

وفُرْنًا وبُسْتانًا ، وجعَل للوارِدِين إليه أشْياءَ تُصْرَفُ إليهم فى نفقةِ وإصْلاحِ أمْتِعتِهم ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وبنَى على قبرِ أبى عُبَيدةَ بالقربِ مِن عَمْتَا[1] مشهدًا ، ووقَف عليه أشياءَ للوارِدِين إليه ، وعمَّر جسرَ دامِيةَ ، وجدَّد قبرَ جعفرٍ الطَّيَّارِ بناحيةِ الكَرَكِ ، ووقَف على الزائِرين له شيئًا كثيرًا ، وجدَّد قلعةَ صَفَدَ[2] وجامعَها ، وجدَّد جامعَ الرَّمْلةِ ، وغيرَها فى كثيرٍ مِن البلادِ التى كانت الفِرِنجُ قد أخَذَتها ، وخرَّبَت جَوامعَها ومساجدَها ، وبنَى بحلبَ دارًا هائلةً ، وبدمشقَ القصرَ الأبْلَقَ والمدرسةَ الظاهريةَ وغيرَها ، [3]وضرَب الدراهمَ والدنانيرَ الجيدةَ الخالصةَ على النُّصْحِ والمُعامَلةِ الجيدةِ الجاريةِ بينَ الناسِ ، فرحِمه اللَّهُ[3] .

وله مِن الآثارِ الحسنةِ والأماكنِ ما لم يُبْنَ فى زمنِ الخلفاءِ وملوكِ بنى أيوبَ ، مع اشتغالِه بالجهادِ فى سبيلِ اللَّهِ ، واسْتَخْدَم مِن الجيوشِ شيئًا كثيرًا ، ورَدَ إليه نحوٌ مِن ثلاثةِ آلافٍ مِن المَغُولِ فأقْطَعهم وأمَّر كثيرًا منهم ، وكان مُقْتَصِدًا فى مَلْبَسِه ومَطْعَمِه ، وكذلك جيشُه ، وهو الذى أنْشَأَ الدولةَ العباسيةَ بعدَ دُثورِها وبقِى الناسُ بلا خَليفةٍ نحوًا مِن ثلاثِ سنينَ ، وهو الذى أقام مِن كلِّ مَذْهَبٍ قاضيًا مُسْتَقِلًّا قاضىَ قُضاةٍ .

وكان ، رحِمه اللَّهُ ، مُتَيَقِّظًا شَهْمًا شُجاعًا ، لا يَفْتُرُ عن الأعْداءِ ليلًا ولا نَهارًا ، بل هو مُناجِزٌ لأعْداءِ الإسلامِ وأهلِه ، ولَمِّ شَعَثِه واجْتماعِ شَمْلِه .

وبالجملةِ أقامه اللَّهُ تعالى فى هذا الوقتِ المتأخِّرِ عَوْنًا ونَصْرًا للإسلامِ وأهلِه ، وشَجًا فى حُلوقِ المارِقِين مِن الفِرِنجِ والتَّتارِ والمشركين . وأبْطَل الخُمورَ ، ونفَى

---

(١) فى م : « عمتنا » ، وفى ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥٩ : « بعثما » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٧٢٢.

(٢) فى الأصل ، م : « صفت » . والمثبت من نهاية الأرب ٣٠/ ١٣٧.

(٣ - ٣) زيادة من : م .

الفُسَّاقَ مِن البلادِ ، وكان لا يَرَى شيئًا مِن الفَسادِ والمَفاسدِ إلا سعَى فى إزالتِه بجُهْدِه وطاقتِه . وقد ذكَرْنا فى سيرتِه ما أرْشَد إلى حُسْنِ طَوِيَّتِه وسَريرتِه ، وقد جمَع له كاتبُه ابنُ عبدِ الظاهرِ سيرةً مُطَوَّلةً ، وكذلك ابنُ شَدَّادٍ أيضًا .

وقد ترَك مِن الأولادِ عشَرةً ؛ ثلاثةَ ذُكورٍ وسبعَ إناثٍ ، ومات وعمرُه ما بينَ الخمسين إلى الستين ، وله أوْقافٌ وصِلاتٌ وصَدقاتٌ ، تقبَّل اللَّهُ منه الحَسناتِ ، وتَجاوَز له عن السيئاتِ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

وقام فى المُلْكِ بعدَه ولدُه السعيدُ بمُبايعةِ أبيه له فى حالِ حياتِه ، وكان عمرُ السعيدِ يومَئذٍ دون العشرين سنةً ، وهو مِن أحسنِ الأشكالِ وأتمِّ الرجالِ .

وفى صفرٍ وصَلَت الهدايا مِن الفُنْشِ[1] مع رسلِه إلى الديارِ المصريةِ ، فوجَدوا السلطانَ قد مات ، وقد أُقِيم الملكُ السعيدُ ولدُه مكانَه ، والدولةُ لم تَتَغيَّرْ ، والمَعْرفةُ بعدَه ما تنَكَّرَت ، ولكن البلادُ قد فقَدَت أسدَها بل أسَدَّها وأشَدَّها ، بل الذى بلَغ أَشُدَّها ، وإذا انْفَتَحَت ثَغْرةٌ مِن سُورِ الإسلامِ سدَّها ، وكلما انْحَلَّت عُقْدةٌ مِن عُرَى العَزائمِ شدَّها ، وكلما رامَت فرقةٌ مارقةٌ مِن طَوائفِ الطَّغامِ أن تَلِجَ إلى حَوْمةِ الإسلامِ صدَّها وردَّها ، فسامَحه اللَّهُ ، وبلَّ بالرحمةِ ثراه ، وجعَل الجنةَ مُتَقَلَّبَه ومَثْواه .

وكانت العَساكرُ الشاميةُ قد سارت إلى الديارِ المصريةِ ، ومعهم مِحَفَّةٌ يُظْهِرون أن السلطانَ فيها مَريضٌ ، حتى وصَلوا إلى القاهرةِ ، فجدَّدوا البَيْعةَ للسَّعيدِ بعدَ ما أظْهَروا موتَ الملكِ السديدِ الذى هو إن شاء اللَّهُ شهيدٌ .

---

(١) ذكر القلقشندى أنها تطلق على ملوك الجلالقة من الفرنج الذين قاعدة ملكهم طليطلة وبرشلونة من الأندلس ، يقال لكل ملك منهم : « أذْفُونَش » . وأن هذا اللقب جار على ملوكهم إلى زماننا ، وأنه هو الذى تسميه العامة « الفنش » . صبح الأعشى ٥/ ٤٨٤.

وفى يومِ الجمعةِ السابعِ والعشرين مِن صفرٍ خُطِب فى جَميعِ الجوامعِ بالديارِ المصريةِ للملكِ السعيدِ ، وصلَّى على والدِه الملكِ الظاهرِ ، واسْتَهَلَّت عَيْناه [١٠/ ٨٤ظ] بالدُّموعِ .

وفى منتصفِ ربيعِ الأولِ ركِب الملكُ السعيدُ بالعَصائبِ على (١)عادةِ والدِه(١) ، وبينَ يديه الجيشُ بكَمالِه المصرىُّ والشامىُّ ، حتى وصَل إلى الجبلِ الأحمرِ ، وفرِح الناسُ به فرحًا شديدًا ، وعمرُه يومَئذٍ تسعَ عشْرةَ سنةً ، وعليه أُبَّهةُ المُلْكِ ورِياسةُ السَّلْطنةِ .

وفى يومِ الاثنين رابعِ جُمادَى الأولى فُتِحَت مدرسةُ الأميرِ شمسِ الدينِ آقْسُنْقُرَ الفارِقانىِّ بالقاهرةِ ، بحارَةِ الوَزيريةِ على مَذْهَبِ أبى حَنيفةَ ، وعمِل فيها مشيخةَ حديثٍ وقارئٍ . وبعدَه بيومٍ عُقِد عقدُ ابنِ الخليفةِ المُسْتَمْسِكِ باللَّهِ بنِ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ على ابنةِ الخليفةِ المُسْتَنْصِرِ(٢) بنِ الظاهرِ ، وحضَر والدُه والسلطانُ ووُجوهُ الناسِ .

وفى يومِ السبتِ تاسعِ جُمادَى الأولى شُرِع فى بناءِ الدارِ التى تُعْرَفُ بدارِ العقيقىِّ ، تُجاهَ العادليةِ ، لتُجْعَلَ مدرسةً وتربةً للملكِ الظاهرِ ، ولم تَكُنْ قبلَ ذلك إلا دارًا للعقيقىِّ ، وهى المُجاوِرةُ لحمَّامِ العقيقىِّ ، وأُسِّس أساسُ التربةِ فى خامسِ جُمادَى الآخِرةِ ، وأُسِّسَت المدرسةُ أيضًا .

وفى رمضانَ طلَعَت سَحابةٌ عظيمةٌ بمدينةِ صَفَدَ(٣) لَمَع منها بَرْقٌ شديدٌ ،

(١ - ١) فى الأصل، م: «عادته». والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٣٤، وعقد الجمان ٢/ ١٨٥، ١٨٦.
(٢) فى ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٣٥: «المنتصر».
(٣) فى الأصل، م: «صفت». والمثبت من المصادر.

وسطَع منها لسانُ نارٍ ، وسُمِع منها صوتٌ شديدٌ هائلٌ ، ووقَع منها على مَنارةِ صَفَدَ[1] صاعقةٌ شقَّتها مِن أعْلاها إلى أسْفلِها شَقًّا يَدْخُلُ الكَفُّ فيه .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

البَزْواناه[2] فى العَشْرِ الأولِ مِن المحرمِ .

والملكُ الظاهرُ[3] فى العَشْرِ الأخيرِ منه .

وقد تقَدَّم شىءٌ مِن ترجمتِهما .

الأميرُ الكبيرُ بدرُ الدينِ بِيلِيك بنُ عبدِ اللَّهِ الخزنْدارُ[4] ، نائبُ الديارِ المصريةِ للملكِ الظاهرِ ، كان جَوَادًا مُمَدَّحًا ، له إلمامٌ ومعرفةٌ بأيامِ الناسِ والتواريخِ ، وقد وقَف درسًا بالجامعِ الأزهرِ على الشافعيةِ ، ويقالُ : إنه سُمَّ فمات . فلما مات انْتَقَض بعدَه حبلُ الملكِ السعيدِ ، واضْطَرَبَت أمورُه .

قاضى القُضاةِ شمسُ الدينِ الحَنْبلىُّ محمدُ بنُ الشيخِ العمادِ أبى إسحاقَ إبراهيمَ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ علىِّ بنِ سُرورٍ المَقْدسىُّ[5] ، أولُ مَن وُلِّى قَضاءَ قضاةِ الحَنابلةِ بالديارِ المصريةِ ، سمِع الحديثَ حُضورًا[6] على ابنِ طَبَرْزَدَ وغيرِه ، ورحَل

---

(1) فى الأصل ، م : « صفت » .

(2) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٨، والعبر ٥/ ٣١٠، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٥٧، والسلوك ٦٤٧/١ (القسم الثانى) ، والمنهل الصافى ٦/ ٤٣، وعقد الجمان ٢/ ١٦٤.

(3) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٣٩، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٦٥، وكنز الدرر ٨/ ٢٠٨، والعبر ٥/ ٣٠٨، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٢٩، والسلوك ٤٣٦/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٧٥، والمنهل الصافى ٣/ ٤٤٧.

(4) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٧١، والعبر ٥/ ٣٠٩، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٥، والسلوك ١/ ٦٤٣، ٦٤٨ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٩٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٦.

(5) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٧٩، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٧٦، والعبر ٥/ ٣١١، والوافى بالوفيات ٢/ ٩، وعقد الجمان ٢/ ١٩٣، والسلوك ٦٤٨/١ (القسم الثانى) ، والدليل الشافى ٢/ ٥٧٩.

(6) فى م : « خصوصا » .

إلى بغدادَ ، واشْتَغَل بالفقهِ ، وتفَنَّن[1] فى علومٍ كثيرةٍ ، وولِى مَشْيخةَ سعيدِ السُّعَداءِ ، وكان شيخًا مَهيبًا ، حسنَ الشَّيْبةِ ، كثيرَ التواضعِ والبِرِّ والصدقةِ ، وقد اشْتَرَط فى قَبولِ الوِلايةِ أن لا يكونَ له عليها جَامَكِيَّةٌ ليَقومَ فى الناسِ بالحقِّ فى حكمِه ، وقد عزَله الظاهرُ عن القَضاءِ سنةَ سبعين ، واعْتَقَله بسببِ الوَدائعِ التى كانت عندَه ، ثم أطْلَقه بعدَ سنتين ، فلزِم منزلَه ، واسْتَقَرَّ بتَدْريسِ الصالحيةِ إلى أن تُوُفِّى فى أواخرِ المحرمِ ، ودُفِن عندَ عمِّه الحافظِ عبدِ الغنىِّ بسفحِ جبلِ المُقَطَّمِ ، وقد أجاز للبِرْزالىِّ .

قال الحافظُ البِرْزالىُّ : وفى يومِ السبتِ ثانى عشَرَ ربيعٍ الأولِ ورَد الخبرُ بموتِ ستةِ أمراءَ مِن الديارِ المصريةِ ؛ سُنْقُرُ البَغْدادىُّ ، وبسطا[2] البلدىُّ التَّترىُّ ، وبدرُ الدينِ الوَزيرىُّ ، وسُنْقُرُ الرُّومىُّ ، وآقْسُنْقُرُ الفارِقانىُّ[3] ، رحِمهم اللَّهُ .

الشيخُ خَضِرٌ الكُرْدىُّ شيخُ الملكِ الظاهرِ : خَضِرُ بنُ أبى بكرِ بنِ موسى الكُرْدىُّ المِهْرانىُّ[4] العَدَوىُّ ، ويقالُ : إن أصلَه مِن قريةِ المُحَمَّديةِ مِن جزيرةِ [١٠/ ٨٥و] ابنِ عمرَ . كان يُنْسَبُ إليه أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ ، ولكنه لما خالَط الناسَ افْتَتَن ببعضِ بناتِ الأمراءِ ، وكان يقولُ عن الملكِ الظاهرِ وهو أميرٌ : إنه سيَلى المُلْكَ . فلهذا كان الملكُ الظاهرُ يَعْتَقِدُه ويُبالِغُ فى إكْرامِه بعدَ أن ولِى المَمْلَكةَ ، ويُعَظِّمُه

---

(١) فى الأصل : « تعين » .

(٢) فى الأصل : « بطا » .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٩٨ ، ضمن وفيات سنة سبع وسبعين وستمائة) ، والعبر ٥/ ٣١٤ ، والوافى بالوفيات ٩/ ٣١ ، والسلوك ١/ ٦٤٤ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٩٧ ، والمنهل الصافى ٢/ ٤٩٤ .

(٤) فى الأصل ، م : « النهروانى » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٤ ، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٧٦ ، وكنز الدرر ٨/ ٢٢٠ ، والعبر ٥/ ٣٠٩ ، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٣٣ ، والمنهل الصافى ٥/ ٢١٨ ، والمقفى الكبير ٣/ ٧٥٠ .

تعظيمًا زائدًا ، ويَنْزِلُ إلى عندِه إلى زاويتِه فى الأسبوعِ مرةً أو مرتين ، ويَسْتَصْحِبُه معه فى كثيرٍ مِن أسْفارِه ، ويُكرِمُه ويَحْتَرِمُه ويَسْتَشِيرُه ، فيُشِيرُ عليه برأيِه ومُكاشَفاتٍ صحيحةٍ مُطابِقةٍ ؛ إما رَحْمانيّةٍ أو شَيْطانيّةٍ ، أو حالٍ أو اسْتِفَادةٍ[1] ، لكنه افْتَتَن لما خالَط الناسَ ببعضِ بناتِ الأمراءِ ، وكن لا يَحْتَجِبْن منه ، فوقَع فى الفتنةِ . وهذا فى الغالبِ واقعٌ فى مُخالَطةِ الناسِ ، فلا يَسْلَمُ المُخالِطُ لهم مِن الفتنةِ ، ولا سيَّما مُخالَطةُ النساءِ مع تركِ الاحتجابِ[2] ، فلا يَسْلَمُ العبدُ الْبَتَّةَ منهن . فلما وقَع فيما وقَع فيه حُوقِق عندَ السلطانِ وبيسرى وقَلاوُون والفارسِ أَقْطاى الأتابَك ، فاعْتَرَف ، فهمَّ بقتلِه ، فقال له : إنما بينى وبينَك أيامٌ قَلائلُ . فأمَر بسَجْنِه ، فسُجِن سنينَ عَديدةً مِن سنةِ إحدى وسبعين إلى سنةِ ستٍّ وسبعين ، وقد هدَم بالقدسِ كَنيسةً ، وذبَح قِسِّيسَها ، وعمِلها زاويةً ، وقد قدَّمْنا ترجمتَه قبلَ ذلك فيما تقدَّم[3] ، ثم لم يَزَلْ مَسْجونًا حتى مات فى يومِ الخميسِ سادس المحرمِ مِن هذه السنةِ ، فأُخْرِج مِن القلعةِ ، وسُلِّم إلى قَرابتِه ، فدُفِن فى تربةٍ أنْشَأها فى زاويتِه . مات وهو فى عَشْرِ الستين ، وقد كان يُكاشِفُ السلطانَ فى أشْياءَ ، وإليه تُنْسَبُ قُبةُ الشيخِ خَضِرٍ التى على الجبلِ غربىَّ الرَّبْوةِ ، وله زاويةٌ بالقدسِ الشريفِ .

الشيخُ مُحْيى الدينِ النَّوَوِىُّ ، يحيى بنُ شَرَفِ (٤بنِ مِرَى٤) بنِ حسنِ بنِ

---

(١) فى م : « سعادة » .
(٢) فى م : « الأصحاب » .
(٣) انظر ما تقدم صفحة ٥٠٨ .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م : والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٨٣، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٨٣، والعبر ٥/ ٣١٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى =

حسينِ بنِ جُمعةَ بنِ حِزامٍ الحِزاميُّ[1] **العالمُ ، مُحْيى الدينِ أبو زكريا النَّووىُّ ثم الدمشقىُّ الشافعىُّ العَلَّامةُ** ، شيخُ المذهبِ ، وكبيرُ الفقهاءِ فى زمانِه ، وُلِد بنَوَى سنةَ إحدى وثلاثين وستِّمائةٍ ، ونَوَى قريةٌ مِن قُرَى حَوْرانَ ، وقد قدِم دمشقَ سنةَ تسعٍ وأربعين ، وقد حفِظ القرآنَ ، فشرَع فى قراءةِ « التَّنْبيهِ » ، فيقالُ : إنه قرَأه فى أربعةِ أشهرٍ ونصفٍ ، وقرَأ رُبْعَ العِباداتِ مِن « المهذَّبِ »[2] فى بقيةِ السنةِ ، ثم لزِم المشايخَ تَصْحيحًا وشرحًا ، فكان يَقْرَأُ فى كلِّ يومٍ اثنَىْ عشَرَ درسًا على المَشايخِ ، ثم اعْتَنَى بالتَّصْنيفِ ، فجمَع شيئًا كثيرًا ، منها ما أكْمَله ، ومنها ما لم يُكْمِلْه ، فمما كمَّل « شرحُ مسلمٍ » و « الرَّوْضةُ » و « المِنْهاجُ » و « الرِّياضُ » و « الأذكارُ » و « التِّبْيانُ » ، و « تَحريرُ التَّنْبيهِ وتَصْحيحُه » ، و « تَهْذيبُ الأسْماءِ واللُّغاتِ » ، و « طَبَقاتُ الفُقهاءِ » وغيرُ ذلك . ومما لم يُتَمِّمْه - ولو كمَل لم يَكُنْ له نَظيرٌ فى بابِه - « شرحُ المُهَذَّبِ » الذى سماه « المجموعَ » ، وصَل فيه إلى كتابِ الرِّبا ، فأبْدَع فيه وأجاد وأفاد ، وأحْسَن الانْتِقادَ ، وحرَّر الفقهَ فيه فى المذهبِ وغيرِه ، وحرَّر فيه الحديثَ على ما يَنْبَغى ، والغريبَ واللغةَ وأشياءَ مهمةً لا تُوجَدُ إلا فيه ، وقد جعَله نُخْبةً [3]على ما عنَّ له[3] ، ولا أَعْرِفُ فى كتبِ الفقهِ أحسنَ منه ، على أنه مُحْتاجٌ إلى أشْياءَ كثيرةٍ تُزادُ فيه وتُضافُ إليه .

وقد كان مِن الزَّهادةِ والعِبادةِ والوَرَعِ والتَّحرِّى والانْجِماعِ عن الناسِ على جانبٍ كبيرٍ ، لا يَقْدِرُ عليه أحدٌ مِن الفقهاءِ غيرُه ، وكان يَصومُ [١٠/٨٥ظ] الدهرَ

= ٨/ ٣٩٥، والسلوك ٦٤٨/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٩٤.

(١) فى م : « الحازمى » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٢) فى م : « المذهب » . وهو خطأ .

(٣ - ٣) فى الأصل : « ما عضله » .

ولا يَجْمَعُ بين إدامَيْن ، وكان غالبُ قُوتِه ممَّا يَحْمِلُه إليه أبوه مِن نَوَى ، وقد باشَر تَدْريسَ الإقْباليةِ نِيابةً عن ابنِ خَلِّكانَ ، وكذلك ناب فى الفَلَكيةِ والرُّكْنيةِ ، ووَلِى مَشْيخةَ دارِالحديثِ الأشرفيةِ ، وكان لا يُضَيِّعُ شيئًا مِن أوقاتِه ، وحجَّ فى مدةِ إقامتِه بدمشقَ ، وكان يَأْمُرُ بالمعروفِ ويَنْهَى عن المنكرِ للملوكِ وغيرِهم . تُوُفِّى فى ليلةِ أربعٍ وعشرين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ بنَوَى ، ودُفِن هناك ، رحِمه اللَّهُ وعفا عنا وعنه .

علىُّ بنُ علىِّ بنِ أسفنديارَ نجمُ الدينِ[1] ، الواعظُ بجامعِ دمشقَ أيامَ السُّبوتِ فى الأشهرِ الثلاثةِ ، وكان شيخَ الخانْقاه المُجاهديةِ ، وبها تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وكان فاضلًا بارعًا ، وكان جدُّه يَكْتُبُ الإنشاءَ للخليفةِ الناصرِ ، وأصلُهم مِن بُوشَنْجَ[2] . ومِن شعرِ نجمِ الدينِ هذا قولُه :

إذا زار بالجُثْمانِ غيرى فإننى ... أَزُورُ مع الساعاتِ رَبْعَك بالقلبِ
وما كلُّ ناءٍ عن ديارٍ بنازِحٍ ... ولا كلُّ دانٍ فى الحقيقةِ ذو قُرْبِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٧٦، والعبر ٥/ ٣١١، والدارس ٢/ ١٦٩، والسلوك ١/ ٦٤٨ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ١٩٥.

(٢) بوشنج: بليدة نزهة خصيبة فى واد مشجر من نواحى هراة بينهما عشرة فراسخ. معجم البلدان ١/ ٧٥٨.

ثم دخلت سنة سبعٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

كان أولُها يومَ الأربعاءِ، وكان الخليفةُ الحاكمَ بأمرِ اللَّهِ العباسيَّ، وسلطانُ البلادِ شامًا ومصرًا وحلبًا الملكَ السعيدَ.

وفى أوائلِ المحرمِ اشْتَهر بدمشقَ ولايةُ القاضى ابنِ خَلِّكانَ قَضاءَ دمشقَ عَوْدًا على بَدْءٍ فى أواخرِ ذى الحِجَّةِ، بعدَ عَزْلٍ سبعَ سنينَ، فامْتَنع القاضى عِزُّ الدينِ ابنُ الصائغِ مِن الحكمِ فى سادسِ المحرمِ، وخرَج الناسُ لتلَقِّى ابنِ خَلِّكانَ، فمنهم مَن وصَل إلى الرَّمْلةِ، وكان دخولُه فى يومِ الخميسِ الثالثِ والعشرين مِن المحرمِ، فخرَج نائبُ السَّلْطنةِ عزُّ الدينِ أَيْدَمُر بجميعِ الأمراءِ والمَواكِبِ لتلَقِّيه، وفرِح الناسُ بذلك، ومدَحه الشُّعراءُ، وأَنْشَد الفقيهُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ جَعْوانَ[2]:

لما توَلَّى قَضاءَ الشامِ حاكمُه	قاضى القُضاةِ أبو العباسِ ذو الكرمِ
مِن بعدِ سبعٍ شِدادٍ قال خادمُه	ذا العامُ فيه يُغاثُ الناسُ بالنِّعَمِ

وقال سعدُ اللَّهِ بنُ مَرْوانَ الفارِقِيُّ:

أَذَقْتَ الشامَ سبعَ سنينَ جَدْبًا	غَداةَ هجَرْتَه هَجْرًا جَميلًا

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٩٢/٣ - ٢٩٧، ونهاية الأرب ٣٨٥/٣٠ - ٣٩١، وكنز الدرر ٢٢٤/٨ - ٢٢٦، وعقد الجمان ١٩٨/٢ - ٢٠٤.

(٢) فى الأصل، م: «جعفر». وفى عقد الجمان: «جعفران». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. والبيتان والأبيات التالية فى الوافى بالوفيات ٣١٠/٧ فى ترجمة ابن خلكان.

فلما زُرْتَه مِن أرضِ مصرٍ مدَدْتَ عليه مِن كفيك نِيلَا

وقال آخرُ:

رأيتُ أهلَ الشامِ طُرًّا ما فيهمُ قطُّ غيرُ راضِى
نالَهمُ الخيرُ بعدَ شرٍّ فالوقتُ بَسْطٌ بلا انْقِباضِ
وعُوِّضوا فَرْحةً بحُزْنٍ قد أنْصَفَ الدهرُ فى التَّقاضِى
وسرَّهمْ بعدَ طُولِ غَمٍّ بُدورُ قاضٍ وعَزْلُ قاضى
وكلُّهمْ شاكرٌ وشاكٍ بحالِ مُسْتقبِلٍ وماضِى

قال اليُونِينِىُّ[1]: وفى يومِ الأربعاءِ ثالثَ عشَرَ صفرٍ ذكَر الدرسَ بالظاهريةِ، وحضَر نائبُ السَّلْطنةِ أَيْدَمُر الظاهرىُّ، وكان درسًا حافلًا حضَره القُضاةُ، وكان مُدَرِّسَ الشافعيةِ الشيخُ رَشيدُ الدينِ محمودُ بنُ إسماعيلَ الفارِقِىُّ، ومدرسَ الحَنَفيةِ الشيخُ صدرُ الدينِ سليمانُ الحنفىُّ، ولم يَكُنْ بناءُ المدرسةِ كمَل.

وفى جُمادَى الأولى[2] باشَر قَضاءَ الحنفيةِ صدرُ الدينِ سليمانُ المذكورُ عِوَضًا عن مَجْدِ الدينِ بنِ العَديمِ، بحكمِ وفاتِه، [١٠/٨٦و] ثم تُوُفِّى صدرُ الدينِ سليمانُ المذكورُ فى رمضانَ، وتوَلَّى بعدَه القَضاءَ حُسامُ الدينِ أبو الفَضائلِ الحسنُ بنُ أنوشِرْوانَ الرازىُّ الحنفىُّ، الذى كان قاضيًا بمَلَطْيَةَ قبلَ ذلك. وفى العَشْرِ الأُوَلِ مِن ذى القَعْدةِ فُتِحَت المدرسةُ النَّجِيبيةُ، وحضَر تَدْريسَها ابنُ خَلِّكانَ بنفسِه، ثم نزَل عنها لولدِه كمالِ الدينِ موسى، وفُتِحَت الخانْقاه النَّجِيبيةُ، وقد كانتا

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٩٤.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٥، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٠.

وأوقافُهما تحتَ الحَوْطةِ إلى الآن .

وفى يومِ الثلاثاءِ خامسِ ذى الحِجَّةِ[1] دخَل السلطانُ السعيدُ إلى دمشقَ ، وقد زُيِّنَت له ، وعُمِلَت له قِبابٌ ظاهرةٌ ، وخرَج أهلُ البلدِ لتَلَقِّيه ، وفرِحوا به فرحًا عظيمًا لمحبتِهم والدَه ، وصلَّى عيدَ النحرِ بالمَيْدانِ ، وعمِل العيدَ بالقلعةِ المنصورةِ ، واسْتَوْزَر بدمشقَ الصاحبَ فَتْحَ الدينِ عبدَ اللَّهِ بنَ القَيْسَرانىِّ ، وبالديارِ المصريةِ بعدَ موتِ بَهاءِ الدينِ بنِ الحِنَّا الصاحبَ بُرْهانَ الدينِ بنَ الخِضْرِ بنِ الحسنِ السِّنْجارىَّ ، وفى العَشْرِ الآخِرِ مِن ذى الحِجَّةِ جهَّز السلطانُ العَساكرَ إلى بلادِ سِيسَ صُحبةَ الأميرِ سيفِ الدينِ قَلَاوُون الصالحىِّ ، وأقام السلطانُ بدمشقَ فى طائفةٍ يَسيرةٍ مِن الأمراءِ والخاصَّكِيةِ والخَواصِّ ، وجعَل يُكْثِرُ التَّرَدُّدَ إلى الزَّنْبَقِيةِ .

وفى يومِ الثلاثاءِ السادسِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ جلَس السلطانُ بدارِ العدلِ داخلَ بابِ النصرِ ، وأسْقَط ما كان حدَّده والدُه على بَساتينِ أهلِ دمشقَ ، فتَضاعَفَت له منهم الأَدْعِيةُ ، وأحَبُّوه لذلك حبًّا شديدًا ، فإنه كان قد أُجْحِف بكثيرٍ مِن أصحابِ الأملاكِ ، ووَدَّ كثيرٌ منهم لو تخَلَّص مِن مُلْكِه جملةً بسببِ ما عليه .

وفيها[2] طُلِب مِن أهلِ دمشقَ خمسون ألفَ دينارٍ ، ضُرِبَت أُجْرةً على أملاكِهم مدةَ شهرين ، وجُبِيَت منهم على القَهْرِ والعَسْفِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٩٦.

(٢) عقد الجمان ٢/ ٢٠٤.

آقوشُ بنُ عبدِ اللّهِ الأميرُ الكبيرُ جَمالُ الدينِ النَّجيبيُّ أبو سعيدٍ الصالحيُّ[1] ، أعْتَقه الملكُ الصالحُ نجمُ الدينِ أيوبُ بنُ الكاملِ ، وجعَله مِن أكابرِ الأمراءِ ، وولَّاه أُسْتاذَداريتِه ، وكان يَثِقُ إليه ويَعْتَمِدُ عليه ، وكان مَوْلدُه فى سنةِ تسعٍ أو عشرٍ وستِّمائةٍ ، وولَّاه الملكُ الظاهرُ أيضًا أستاذَداريتِه ، ثم اسْتَنابه بالشامِ تسعَ سنينَ ، فاتَّخَذ فيها المدرسةَ النَّجيبيةَ ، ووقَف عليها أوقافًا دارَّةً واسعةً ، لكن لم يُقَرِّرْ للمُستَحِقِّين قَدْرًا يُناسِبُ ما وقَفه عليهم ، ثم عزَله السلطانُ واسْتَدْعاه لمصرَ ، فأقام بها مدةً بَطَّالًا ، ثم مرِض بالفالِجِ أربعَ سنينَ ، وقد عاده فى بعضِها الملكُ الظاهرُ ، ولم يَزَلْ به حتى كانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ خامسَ شهرِ ربيعٍ الآخِرِ بالقاهرةِ بدارِه بدربِ مُلُوخِيّا ، ودُفِن يومَ الجمعةِ قبلَ الصلاةِ بتربتِه التى أنْشَأها بالقَرافةِ الصُّغْرى ، وقد كان بنَى لنفسِه تُرْبةً بالنَّجِيبيةِ ، وفتَح لها شُبَّاكَيْن إلى الطريقِ ، فلم يُقَدَّرْ دفنُه بها . وكان كثيرَ الصدقةِ ، مُحِبًّا للعلماءِ ، مُحْسِنًا إليهم ، حسنَ الاعْتِقادِ ، شافعيَّ المذهبِ ، مُتَغالِيًا فى السنةِ ومَحَبَّةِ الصَّحابةِ وبُغْضِ الرَّوافِضِ ، ومِن جملةِ أوْقافِه الحِسانِ البُسْتانُ والأراضى التى أوْقَفها على الجُسُورَةِ التى قِبْليَّ جامعِ كَرِيمِ الدينِ اليومَ ، وعلى ذلك أوقافٌ كثيرةٌ ، وجعَل النظَرَ فى أوقافِه لابنِ خَلِّكانَ .

أيدكِين بنُ عبدِ اللّهِ الأميرُ الكبيرُ عَلاءُ الدينِ الشِّهابيُّ[2] ، واقفُ الخانْقاه [١٠/٨٦ظ] الشِّهابيةِ داخلَ بابِ الفَرَجِ ، كان مِن كبارِ الأمراءِ بدمشقَ ، وقد ولَّاه الظاهرُ بحلبَ مدةً ، وكان مِن خِيارِ الأمراءِ وشُجْعانِهم ، وله حسنُ ظَنٍّ بالفقراءِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٠، والعبر ٥/ ٣١٤، والوافى بالوفيات ٩/ ٣٢٣، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٨٧، وعقد الجمان ٢/ ٢١١.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠١، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٩١، وعقد الجمان ٢/ ٢١٢، والمنهل الصافى ٣/ ١٥٢.

والإحسانِ إليهم ، ودُفِن بتربةِ الشيخ عثمانَ[1] الرُّوميِّ بسفحِ قاسِيونَ ، فى خامسَ عشَرَ ربيعِ الأولِ ، وهو فى عَشْرِ الخمسين ، وخانَقاتُه داخلَ بابِ الفرجِ ، وكان لها شُبَّاكٌ إلى الطريقِ . والشِّهابيُّ نسبةٌ إلى الطَّواشِى شِهابِ الدينِ رَشيدِ الكبيرِ الصالحيِّ .

قاضى القُضاةِ صَدْرُ الدينِ سليمانُ بنُ أبى العِزِّ وُهَيْبِ أبو الربيعِ الحنفيُّ[2] ، شيخُ الحنفيةِ فى زمانِه ، وعالمُهم شرقًا وغربًا ، أقام بدمشقَ مدةً يُفْتى ويُدَرِّسُ ، ثم انْتَقَل إلى الديارِ المصريةِ يُدَرِّسُ بالصالحيةِ ، ثم عاد إلى دمشقَ ، فدرَّس بالظاهريةِ ، وولِى القَضاءَ بعدَ مَجْدِ الدينِ بنِ العَدِيمِ ثلاثةَ أشهرٍ ، ثم كانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ سادسِ شعبانَ ، ودُفِن من الغدِ بعدَ الصلاةِ بدارِه بسفحِ قاسِيونَ ، وله ثلاثٌ وثمانون سنةً ، ومِن لطيفِ شعرِه فى مملوكٍ تزوَّج جاريةً للملكِ المُعَظَّمِ :

يا صاحبيَّ قِفا لى وانْظُرا عجبًا ... أتَى به الدهرُ فِينا مِن عجائبِه
البدرُ أصْبَح فوقَ الشمسِ مَنْزِلةً ... وما العُلُوُّ عليها مِن مَراتبِه
أضْحَى يُماثِلُها حُسْنًا و [3]صار لها[3] ... كُفْوًا وسار إليها فى مَواكبِه
فأشْكَل الفرقُ لولا وَشْيُ نَمْنَمَةٍ ... بصُدْغِه واخْضرارٌ فوقَ شاربِه

طه بنُ إبراهيمَ بنِ أبى بكرٍ كمالُ الدينِ الهَذْبانيُّ[4] **الإرْبِلىُّ** ، كان أديبًا

---

(١) فى الأصل ، م : « عمار » . والمثبت من مصادر ترجمته .
(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٢، والعبر ٥/ ٣١٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٠٤، والجواهر المضية ٢/ ٢٣٧، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٥.
(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « شاركها » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وعقد الجمان .
(٤) فى الأصل ، م ، وعقد الجمان : « الهمدانى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٣ ، =

فاضلًا شاعرًا ، له قُدْرةٌ فى تَصْنيفِ دُوبيتٍ ، وقد أقام بالقاهرةِ حتى تُوُفِّى بها فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ ، وقد اجْتَمَع مرةً بالملكِ الصالحِ أيوبَ ، فجعَل يَتَكَلَّمُ فى علمِ النجومِ ، فأنْشَدَه على البَدِيهةِ هذين البيتَيْن :

دَعِ النجومَ لطُرْقِيٍّ يَعِيشُ بها ... وبالعَزِيمةِ فانْهَضْ أيُّها الملكُ

إن النبىَّ وأصحابَ النبىِّ نَهَوْا ... عن النجومِ وقد أبْصَرْتَ ما مَلَكوا

وكتَب إلى صاحبٍ له اسمُه شمسُ الدينِ يستَزِيرُه[(١)] بعدَ رَمَدٍ أصابه فبرَأ منه :

يَقولُ لىَ الكَحَّالُ عينُك قد هُدَتْ ... فلا تَشْغَلَنْ قلبًا عليها وطِبْ نَفْسَا

ولى مدةٌ يا شمسُ لم أرَكُم بها ... وآيةُ بُرْءِ العينِ أن تُبْصِرَ الشَّمْسَا

عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ بنِ عثمانَ[(٢)] جَمالُ الدينِ بنُ الشيخِ نجمِ الدينِ الباذَرائىُّ البغدادىُّ ثم الدمشقىُّ ، درَّس بمدرسةِ أبيه مِن بعدِه حتى حينِ وفاتِه يومَ الأربعاءِ سادسِ رجبٍ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، وكان رئيسًا حسنَ الأخْلاقِ ، جاوَز خمسين سنةً .

قاضى القُضاةِ مَجْدُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ كمالِ[(٣)] الدينِ عمرَ بنِ أحمدَ

= وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٥٣ ، والسلوك ١/ ٦٥١ (القسم الثانى) ، وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٧.
وجاء لقبه فى مرآة الزمان والسلوك وعقد الجمان : « جمال الدين » .

(١) يستزيره : يطلب زيارته .

(٢) فى م : « عفان » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٦، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٦٨، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٦.

(٣) فى الأصل ، م : « جمال » . والمثبت من ترجمة كمال الدين عمر التى تقدمت فى صفحة ٤٤٢. وانظر ترجمة مجد الدين فى : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٩٠، والعبر ٥/ ٣١٥، والوافى بالوفيات ١٨/ ٢٠١، والجواهر المضية ٢/ ٣٨٦، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٦، والمقفى الكبير ٤/ ٨٩.

ابنِ العَدِيمِ الحلبىُّ ثم الدمشقىُّ الحنفىُّ ، ولِى قَضاءَ الحَنَفيةِ بعدَ ابنِ عَطاءٍ بدمشقَ ، وكان رئيسًا ابنَ رئيسٍ ، له إحسانٌ وكرمُ أخلاقٍ ، وقد ولِى الخطابةَ بجامعِ القاهرةِ الكبيرِ ، وهو أولُ حنفىٍّ ولِيَه ، تُوُفِّى بجَوْسَقِه بدمشقَ فى ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بالتربةِ التى أنْشَأها عندَ زاويةِ الحَرِيرىِّ على الشَّرَفِ القِبْلىِّ غربىَّ الزَّيْتونِ .

الوزيرُ ابنُ الحِنَّا : علىُّ بنُ محمدِ بنِ سُلَيْمِ[(1)] **بنِ عبدِ اللَّهِ الصاحبُ** [١٠/ ٨٧و] **بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ بنُ الحِنَّا الوزيرُ المِصْرىُّ** ، وزيرُ الملكِ الظاهرِ وولدِه السعيدِ إلى أن تُوُفِّى فى سَلْخِ ذى القَعْدةِ ، وهو جَدُّ جَدٍّ ، وكان ذا رأىٍ وعَزْمٍ وتَدْبيرٍ ، ذا تمكُّنٍ فى الدولةِ الظاهريةِ ، لا تَمْضِى الأمورُ إلا عن رأيِه وأمْرِه ، وله مَكارِمُ على الأمراءِ وغيرِهم ، وقد امْتَدَحه الشُّعراءُ ، وكان ابنُه تاجُ الدينِ وزيرَ الصُّحْبةِ ، وقد صُودِر فى الدولةِ السَّعيديةِ .

الشيخُ محمدُ بنُ الظَّهِيرِ اللُّغوىُّ : محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ أبى شاكرٍ مَجْدُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ الإِرْبِلىُّ الحنفىُّ المعروفُ بابنِ الظَّهِيرِ[(2)] ، وُلِد بإِرْبِلَ سنةَ ثنتَيْن وستِّمائةٍ ، ثم أقام بدمشقَ ، ودرَّس بالقَيْمازِيَّةِ ، وأقام بها حتى تُوُفِّى بها ليلةَ الجمعةِ ثانى عشَرَ ربيعٍ الآخِرِ[(3)] ، ودُفِن بمَقابرِ الصُّوفيةِ ، وكان بارعًا فى النحوِ واللغةِ ، وكانت له يدٌ طُولَى فى النَّظْمِ ، وله دِيوانٌ مشهورٌ ، وشعرٌ

---

(١) فى الأصل : « سليمان » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٨٨، والعبر ٥/ ٣١٥، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٣٠، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٧.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٦، والعبر ٥/ ٣١٦، والوافى بالوفيات ٢/ ١٢٣، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٨، والجواهر المضية ٣/ ٥٢، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضى شهبة ص ٤٨، والمقفى الكبير ٥/ ٢٣٧، وبغية الوعاة ١/ ٣٧.

(٣) فى عقد الجمان : « الأول » .

رائقٌ ، فمِن شعرِه قولُه :

كلُّ حيٍّ إلى المَماتِ مآبُهْ ... ومدى عُمْرِه سريعٌ ذَهابُهْ

[1]ثم من قبرِه سَيُحْشَرُ فردًا ... وَاقِفًا وحدَه يُوفَّى حسابَهْ

معه سائقٌ له وشهيدٌ ... وعلى الحرصِ ويْحَهُ إكبابُهْ[1]

يُخْرِبُ الدارَ وهْى دارُ بَقاءٍ ... ثم يُبْنَى عما قريبٍ خَرابُهْ

عجبًا وهْو فى الترابِ غَريقٌ ... كيف يُلهِيه طيبُه وعِلابُهْ

كلُّ يومٍ يَزِيدُ نَقْصًا وإن عُمْـ ... ـرِ حلت أوصالَه أوصابُهْ

والوَرَى فى مَراحِلِ الدهرِ رَكْبٌ ... دائمُ السَّيْرِ لا يُرَجَّى إيابُهْ

فتزَوَّدْ إن التُّقَى خيرُ زادٍ ... ونصيبُ اللبيبِ منه لُبابُهْ

وأخو العقلِ مَن يَقْضِى بصدقٍ ... [2]شَيْبَه فى صلاحِه وشبابَهْ[2]

وأخو الجهلِ يَسْتَلِذُّ هَوَى النفْـ ... ـسِ فيَغْدُو [3]شهدًا لديه[3] مصابُهْ

وهى طويلةٌ جدًّا قريبةٌ مِن مائةٍ وخمسين بيتًا ، وقد أوْرَد الشيخُ قطبُ الدينِ شيئًا كثيرًا مِن شعرِه الحسنِ الفائقِ الرائقِ .

ابنُ إسرائيلَ الحَريرىُّ ، محمدُ بن سَوَّارِ بنِ إسْرائيلَ بنِ الخَضِرِ بنِ إسْرائيلَ ابنِ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ الحسينِ نجمُ الدينِ أبو المَعالى الشَّيْبانىُّ الدِّمَشقىُّ[4] ، وُلِد فى ضُحى يومِ الاثنين ثانى عشَرَ ربيعٍ الأولِ سنةَ ثلاثٍ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الأصل : «عمره فى مشيبه وشبابه» .

(٣ - ٣) فى الأصل : «سهلًا عليه» .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤٠٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٩١، والعبر ٥/ ٣١٦، والوافى بالوفيات ٣/ ١٤٣، وفوات الوفيات ٣/ ٣٨٣، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٩، والمقفى الكبير ٥/ ٧٠٨، ولسان الميزان ٥/ ١٩٥ .

وستِّمائةٍ ، وصحِب الشيخَ عليَّ بنَ أبى الحسنِ بنِ منصورٍ البُسْرىَّ الحَريرىَّ ، فى سنةِ ثمانَ عشْرةَ ، وكان قد لبِس الخرْقةَ قبلَه مِن الشيخِ شِهابِ الدينِ السُّهْرَوَرْدِىِّ ، وزعَم أنه أجْلَسه فى ثلاثِ خَلَواتٍ ، وكان ابنُ إسرائيلَ يَزْعُمُ أن أهلَه قدِموا الشامَ مع خالدِ بنِ الوليدِ فاسْتَوْطَنوا دمشقَ ، وكان أديبًا فاضلًا فى صناعةِ الشعرِ ، بارعًا فى النَّظْمِ ، ولكن فى كلامِه ونَظْمِه ما يُشِيرُ به إلى نوعٍ من الحُلولِ والاتحادِ على طريقةِ ابنِ عَرَبى وابنِ الفارِضِ وشيخِه الحَريرىِّ . واللَّهُ أعلمُ بحالِه وحقيقةِ أمرِه . تُوُفِّى بدمشقَ ليلةَ الأحدِ الرابعَ عشَرَ مِن ربيعٍ الآخِرِ من هذه السنةِ ، عن أربعٍ وسبعين سنةً ، ودُفِن بتربةِ الشيخِ رِسْلانَ معه داخلَ القُبَّةِ ، وكان الشيخُ رِسْلانُ شيخَ الشيخِ علىٍّ المغربلِ الذى تخَرَّج على يديه الشيخُ علىٌّ الحَريرىُّ شيخُ ابنِ إسْرائيلَ ، فمِن شعرِه قولُه[1] :

لقد عادَنى مِن لاعجِ الشَّوْقِ عائدُ	فهلْ عهدُ ذاتِ الخالِ بالسفحِ عائدُ
وهل نارُها بالأجرعِ الفردِ تَعْتَلى	[١٠/٨٧ظ] لمنفردٍ شابَ الدُّجى وهْو شاهدُ
نَديمَىَّ مِن سُعْدَى أَديرا حديثَها	فذِكْرَى هَواها والمُدامةُ واحدُ
مُنَعَّمةُ الأطرافِ رقَّت مَحاسنًا	(٢كما جلَّ فى حُبِّى لها ما أُكابِدُ٢)
فللبدرِ ما لاثَتْ عليه خمارُها	وللشمسِ[3] ما جالَت عليه القَلائدُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤٠٦.

(٢ - ٢) فى الأصل : « حلى لى فى حبى لها ما أكابد » ، وفى م : « حلى لى فى حبها ما أكابد » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان .

(٣) فى المصدر : « للغصن » .

وله[1] :

أَيُّها المعتاضُ بالنومِ السَّهرْ ذاهلًا يَسْبَحُ فى بحرِ الفِكَرْ
سلِّمِ الأمرَ إلى مالكِهِ واصْطَبِرْ فالصبرُ عُقْباه الظَّفَرْ
لا تَكُونَنْ آيسًا مِن فرَجْ إنما الأيامُ تَأْتى بالغِيَرْ[2]
كَدَرٌ يَحْدُثُ فى وقتِ الصَّفَا وصَفًا يَحْدُثُ فى وقتِ الكَدَرْ
وإذا ما ساء[3] دَهْرٌ مرةً سر أهلِيهِ ومهما ساء[3] سَرّْ
فارْضَ عن ربِّك فى أقْدارِه إنما أنت أسِيرٌ للقَدَرْ

وله قصيدةٌ فى مدحِ النبىِّ ﷺ طويلةٌ حسنةٌ سمِعها الشيخُ كَمالُ الدينِ الزَّمْلَكانىُّ وأصحابُه على الشيخِ أحمدَ الأَعْفَفِ عنه ، وأوْرَد له الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونِينىُّ أشعارًا كثيرةً ، فمنها قَصيدتُه الداليةُ المُطَوَّلةُ التى أولُها[4] :

وفَى لىَ مَن أهْواه جهرًا لمَوْعِدى وأرْغَم عُذَّالى عليه وحُسَّدِى
وزارَ على شَحْطِ[5] المَزارِ مُطَوَّلًا على مُغْرَمٍ بالوَصْلِ لم يَتَعَوَّدِ
فيا حُسْنَ ما أبدَى[6] لعينى جمالُه ويا بَرْدَ ما أهْدَى إلى قَلْبىَ الصَّدِى
ويا صِدْقَ أحْلامى ببُشْرَى وِصالِه ويا نيلَ آمالى ويا نُجْحَ مَقْصِدِى

---

(١) الذيل على مرآة الزمان ٣/ ٤١٤.
(٢) فى م : « بالعبر » .
(٣) فى المصدر : « شاه » .
(٤) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤١٧، وفوات الوفيات ٣/ ٣٨٤.
(٥) فى الأصل ، م : « شط » . والمثبت من مصدرى التخريج . والشحط : البعد . الوسيط (ش ح ط) .
(٦) فى الأصل، م: «أهدى» . والمثبت من مصدرى التخريج.

(١) تجلَّى وُجودى إذ تجلَّى لباطنى ... بجَدٍّ سعيدٍ أو بسعدٍ مُجَدَّدِ

لقد حُقَّ لى عشقُ الوجودِ وأهلِه ... وقد علِقَت كفَّاىَ جمعًا بمُوجِدى (١)

(٢) ثم تغزَّل فأطال، إلى أن قال (٢):

فلما تجلَّى لى على كلِّ شاهدٍ ... وسامَرنى بالرمزِ فى كلِّ مَشْهَدِ

تجَنَّبْتُ تَقْييدَ الجِمالِ ترفُّعًا ... وطالَعْتُ أسْرارَ الجَمالِ المُبَدَّدِ

وصار سَماعى مُطْلَقًا منه بَدْؤُه ... وحاشَى لمثلِى مِن سماعٍ مُقَيَّدِ

ففى كلِّ مَشْهودٍ لقَلْبِىَ شاهدٌ ... وفى كلِّ مَسْموعٍ له لحنُ مَعْبَدِ (٣)

أراه بأوْصافِ الجَمالِ جَميعِها ... بغيرِ اعْتِقادٍ للحُلولِ المبعَّدِ

ففى كلِّ هَيْفاءِ المَعاطِفِ غادةٍ ... وفى كلِّ مَصْقولِ السَّوالِفِ أغيدِ

وفى كلِّ بدرٍ لاح فى ليلِ شعرِه ... على كلِّ غُصْنٍ مائسِ العِطْفِ أملدِ (٤)

وعندَ اعْتِناقى كلَّ قدٍّ مُهَفْهَفٍ ... ورشفى رِضابًا كالرحيقِ المُبَرَّدِ

وفى الدُّرِّ والياقوتِ والطِّيبِ والحُلى ... على كلِّ ساجى الطرفِ لَدْنِ المُقَلَّدِ

وفى حُللِ الأثوابِ راقت لناظِرى ... بزبرجِها مِن مُذْهَبٍ ومُوَرَّدِ (٥)

وفى الراحِ والرَّيْحانِ والسمعِ والغِنا ... وفى سجعِ تَرْجيعِ الحمامِ المغرِّدِ

وفى الدَّوحِ والأنهارِ والزهرِ (٦) والنَّدَى ... وفى كلِّ بُشتانٍ وقصرٍ مُشَيَّدِ

(١ - ١) ليس فى فوات الوفيات.

(٢ - ٢) زيادة من: م. والأبيات فى ذيل مرآة الزمان ٣/٤١٩ - ٤٢٢. وفيها تلميح وتصريح بالحلول والاتحاد كما ذكر المصنف.

(٣) فى المصدر: «معيد». ومعبد هذا هو: معبد بن وهب. نابغة الغناء العربى فى العصر الأموى. انظر الأعلام ٨/ ١٧٧.

(٤) المائس: المختال المتبختر. والعطف: الإبط، أو المنكب. والأملد: اللين. تاج العروس (م ى س)، (ع ط ف)، (م ل د).

(٥) فى المصدر: «معمد».

(٦) فى المصدر: «الروح».

وفى الروضةِ الفَيْحاءِ تحتَ سَمائِها … يُضاحِكُ نورَ الشمسِ نوَّارُها النَّدِى
وفى صَفْوِ رَقراقِ الغديرِ إذا حكى … وقد جَعلَتْه[(1)] الريحُ صفحةَ مَبْرِدِ
وفى اللهوِ والأفْراحِ والغَفْلةِ التى … تُمكِّنُ أهلَ الفرقِ من كلِّ مقصدِ
وعند انتِشاءِ الشربِ فى كلِّ مجلسٍ … بَهِيجٍ بأنواعِ الثِّمارِ المنضَّدِ
وعندَ اجْتماعِ الناسِ فى كلِّ جمْعةٍ … وعيدٍ وإظهارِ الرياشِ المجدَّدِ
وفى لَمَعانِ المَشْرَفِيّاتِ بالوغى … وفى ميلِ أعْطافِ القَنا[(2)] المتأوِّدِ
وفى الأَعْوَجيَّاتِ العِتاقِ إذا انْبرَت … تُسابقُ وَفْدَ الريحِ فى كلِّ مَطرِدِ
وفى الشمسِ تُجلى[(3)] وهْى فى بُرْجِ نورِها … لدى الأُفُقِ الشرقىِّ مرآةَ عَسْجَدِ
وفى البدرِ بدرِ الأُفْقِ ليلةَ تِمِّه … جَلَتْه سماءٌ مثلُ صَرْحٍ مُمَرَّدِ
وفى أنْجُمٍ زانَت دُجاها كأنها … نِثارُ لآلٍ فى بِساطِ زَبَرْجَدِ
[١٠/٨٨و] وفى الغيثِ روَّى الأرضَ بعدَ هُمودِها … قُبَالَ نَداه مُتْهِمٌ بعد مُنْجِدِ
وفى البرقِ يَغْدُو موهنًا فى سحابِه … كباسمِ ثغرٍ أو حُسامٍ مُجَرَّدِ
وفى حسنِ تَنْميقِ الخطابِ وسرعةِ الـ … ـجوابِ وفى الخطِّ الأنيقِ المجوَّدِ
وفى رقةِ الأشْعارِ راقَت لسامعٍ … بَدائِعُها مِن مُقْصَرٍ ومُقَصَّدِ
وفى عَوْدِ عيدِ الوصلِ مِن بعدِ جَفْوةٍ … وفى أمْنِ أحْشاءِ الطَّريدِ المُشَرَّدِ
وفى رحمةِ المَعْشوقِ شَكْوى مُحبِّه … وفى رقةِ الألْفاظِ عندَ التَّودُّدِ
وفى أرْيَحِيَّاتِ الكريمِ إلى النَّدَى … وفى عاطفاتِ العفوِ مِن كلِّ سيِّدِ

---

(١) فى الأصل، م: « جعدته ». والمثبت من المصدر.
(٢) كذا فى الأصل ، م . وفى المصدر : « الفتى » . والمتأود : المتثنى . تاج العروس (أ و د).
(٣) فى م: « تحكى ».

وحالةِ بسطِ العارفِين وأُنْسِهِمْ ... وتَحْريكِهِمْ عندَ السَّماعِ المقيَّدِ

وفى لطفِ آياتِ الكتابِ التى بها ... تَنَسَّمُ[1] روحُ الوعدِ بعدَ التَّوَعُّدِ

كذلك أوصافُ الجَلالِ مَظاهِرٌ ... أُشاهِدُهُ فيها بغيرِ تَرَدُّدِ

ففى صولةِ[2] القاضى الجَليلِ وسَمْتِه ... وفى سَطْوةِ المَلْكِ الشَّديدِ التَّمُّردِ

وفى حِدَّةِ الغَضْبانِ حالةَ طَيْشِه ... وفى نَخْوةِ القَرْمِ المهيبِ المسوَّدِ

وفى صَوْلةِ الصَّهْباءِ حارَ مُدِيرُها ... وفى بؤسِ أخْلاقِ النَّديمِ المُعَرْبِدِ

وفى الحرِّ والبردِ اللذَّيْنِ تَقسَّما ... الزمانَ وفى إيلامِ كلِّ مُجَسَّدِ

وفى سرِّ تَسْليطِ النُّفوسِ بشرِّها[3] ... علىَّ وتحسينِ التَّعَدِّى لمعتدِى

[4]وفى عَسَرِ العاداتِ يَسْتَعْرِفُ القضا[4] ... وتَكْحُلُ عينُ الشمسِ منه بإثْمِدِ

وعندَ اصْطِدامِ الخيلِ فى كلِّ موقفٍ ... يُعَثِّرُ فيه بالوشيجِ المنضَّدِ

وفى شَدَّةِ الليثِ الصَّئولِ وبأسِه ... وشِدةِ عيشٍ بالسَّقامِ مُنَكَّدِ

وفى جَفْوةِ المحْبوبِ بعدَ وِصالِه ... وفى غَدْرِه مِن بعدِ عهدٍ مُؤَكَّدِ

وفى رَوْعةِ البَيْنِ المُسِيءِ ومَوْقِفِ الـ ... ـوداعِ لِحَرَّانِ الجوانحِ مُكْمَدِ

وفى فُرقةِ الأُلَّافِ بعدَ اجتماعِهِمْ ... وفى كلِّ تَشْتيتٍ وشَمْلٍ مُبَدَّدِ

وفى كلِّ دارٍ أقْفَرَت بعدَ أُنْسِها ... وفى طَلَلٍ بالٍ دَراسٍ مُعَهَّدِ

وفى هولِ أمْواجِ البحارِ ووَحْشةِ الـ ... ـقِفارِ وسيلٍ بالمَزاييبِ مُزْبِدِ

---

(١) فى الأصل: «تقسم». وفى ذيل المرآة: «تبسم». وتنسم: تتنسم.

(٢) فى م: «سطوة».

(٣) فى ذيل مرآة الزمان: «ونشرها».

(٤ – ٤) فى م: «وفى عسر العادات يشعر بالقضاء»، وفى ذيل المرآة: «وفى عثر الغارات يستعرف القضا».

وعندَ قِيامى بالفَرائِضِ كلِّها　　وحالةِ تسليمٍ لسرِّ التَّعَبُّدِ
وعندَ خُشوعى فى الصلاةِ لعزةِ الـ　　ـمُناجَى وفى الإطراقِ عندَ التَّهَجُّدِ
وحالةِ إهْلالِ الحَجيجِ بحجِّهم　　وإعْمالِهِمْ للعِيسِ فى كلِّ فدفدِ[1]
وفى عسرِ تَخْليصِ الحلالِ وفترةِ الـ　　ـمَلالِ لقلبِ الناسكِ المُتَعَبِّدِ
وفى ذكرِ آياتِ العذابِ وظلمةِ الـ　　ـحجابِ وقبضِ الناسِكِ المُتَزَهِّدِ
ويَبْدُو بأوْصافِ الكَمالِ فلا أَرَى　　برؤيتِه شيئًا قبيحًا ولا رَدِى
فكلُّ مُسِيءٍ لى إلىَّ كمُحْسِنٍ　　وكلُّ مُضِلٍّ لى إلىَّ كمُرْشِدِ
فلا فرقَ عندى بينَ أُنْسٍ ووَحْشةٍ　　ونُورٍ وإظْلامٍ ومُدْنٍ ومُبْعِدِ
وسِيَّانَ إفْطارى وصومى وفترتى　　وجَهْدى ونومى وادِّعاءُ تهَجُّدى
أُرَى تارةً فى حانةِ الخمرِ خالعًا　　عِذارِى وطَورًا فى حَنِيّةِ مَعْبَدِ[2]
تجلَّى لِسرِّى بالحقيقةِ مشربٌ　　فوقتىَ مَمْزوجٌ بكشفٍ مُسَرْمَدِ
تعَمَّرَت الأوطانُ بى وتحَقَّقت　　مظاهرُها عندى بعينى ومشهدى
وقلبى مع الأشياءِ [3]أجْمعَ قُلَّبٌ[3]　　وسرِّىَ[4] مَقْسومٌ على كلِّ مَوْرِدِ
فهيكلُ أوثانٍ ودَيْرٌ لراهبٍ　　وبيتٌ لنيرانٍ وقِبلَةُ مسجدِ
و[5]مَرْجٌ لغزلانٍ[5] وحانةُ قهوةٍ　　وروضةُ أزهارٍ ومطلعُ أسعدِ

---

(١) فى الأصل: « فرقد ».
(٢) فى م: « مسجد ». وخلع فلان عذاره: انهمك فى الغى ولم يستح. والحنية: القوس. ويريد بها محراب القبلة لأنه مقوس. الوسيط (ع ذ ر)، (ح ن و).
(٣ - ٣) فى الأصل: « جمع مقلب ». وأجمع: أى الأشياء جميعها. وقُلَّبٌ: يتقلب كيف يشاء. تاج العروس (ق ل ب).
(٤) فى م: « شربى ».
(٥ - ٥) فى م، وذيل المرآة: « مسرح غزلان ».

وأسرارُ عِرفانٍ ومفتاحُ حِكمةٍ وأنفاسُ وجدانٍ وفيضُ تبلُّدِ
وجيشٌ لضِرغامٍ وخِدرٌ لكاعبٍ وظلمةُ حَيْرانٍ ونورٌ لمُهْتدِى
تقابلتِ الأضدادُ عندى [١٠/٨٨ظ] جميعُها كمحنةِ مجهودٍ ومِنْحةِ مُجْتدِى
وأحكمتُ تقريرَ المراتبِ صورةً ومعنًى ومن عينِ التفرّدِ موردِى
فما موطنٌ إلا ولى فيهِ مَوْقفٌ على قَدَمٍ قامتْ بحقٍّ التفردِ
فلا غَرْوَ إن فُتُّ الأنامَ بها وقد عَلِقْتُ بحبلٍ من حبالِ محمدِ
عليه صلاةُ اللَّهِ تشفعُ دائمًا بروحِ تحياتِ السلامِ المردّدِ

ابنُ العُودِ الرافضىُّ أبو القاسمِ بنُ[(١)] **الحسينِ بنِ العُودِ نَجيبُ الدينِ الأَسَدىُّ الحِلِّىُّ** ، شيخُ الشِّيعةِ وإمامُهم وعالمُهم فى أنفسِهم ، كانت له فضيلةٌ ومُشارَكةٌ فى علومٍ كثيرةٍ ، وكان حسنَ المُحاضَرةِ والمُعاشَرةِ ، لَطيفَ النادرةِ ، وكان كثيرَ التَّعَبُّدِ بالليلِ ، وله شعرٌ جيدٌ . وُلِد سنةَ إحدى وثمانين وخمسِمائةٍ ، وتُوُفِّى فى رمضانَ مِن هذه السنةِ عن ستٍّ وتسعين سنةً . واللَّهُ أعلمُ بأحوالِ عبادِه وسَرائرِهم ونيَّاتِهم .

---

(١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/٤٣٤ ، والعبر ٥/٣٢٥ ، ومرآة الجنان ٤/١٩١ . وجاءت وفاته فى المصدرين الأخيرين فى سنة تسع وسبعين وستمائة .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

كان أولَها يومُ الأحدِ ، والخليفةُ والسلطانُ هما المذْكوران فى التى قبلَها . وقد اتَّفَق فى هذه السنةِ أمورٌ عَجيبةٌ ، وذلك أنه وقَع الخُلْفُ بينَ المَمالِكِ كلِّها ، اخْتلَفَت التَّتارُ فيما بينَهم ، واقْتتلوا فقُتِل منهم خَلْقٌ كثيرٌ ، واخْتلَفَت الفِرِنجُ فى السواحلِ ، وصال بعضُهم على بعضٍ ، وقتَل بعضُهم بعضًا ، وكذلك الفِرِنجُ الذين فى داخلِ البُحورِ وجَزائرِها اخْتلَفوا واقْتتلوا ، واقْتَتَلت قبائلُ الأعْرابِ بعضُها فى بعضٍ قِتالًا شديدًا ، وكذلك وقَع الخُلْفُ بينَ العَشِيرِ مِن الحوارنةِ ، وقامت الحربُ بينَهم على ساقٍ ، وكذلك وقَع الخُلْفُ بينَ الأمراءِ الظاهريَّةِ ، بسببِ أن السلطانَ الملكَ السعيدَ بنَ الظاهرِ لما بعَث الجيشَ إلى سِيسَ أقام بعدَه بدمشقَ ، وأخَذ فى اللَّهوِ واللعبِ والانْبِساطِ مع الخاصَّكِيَّةِ ، وتمكَّنوا مِن الأمورِ ، وبَعُد عنه الأُمراءُ الكِبارُ ، فعصَت طائفةٌ منهم ونابذوه وفارَقوه ، وأقاموا بطريقِ العساكرِ الذين توَجَّهوا إلى سِيسَ وغيرِهم ، فرجَعَت العساكرُ إليهم ، فلما اجْتمَعوا شعَّثوا قلوبَهم على الملكِ السعيدِ ، ووحَّشوا خَواطرَ الجيشِ عليه ، وقالوا : المَلِكُ لا يَنْبَغى له أن يَلْعَبَ ولا يَلْهُوَ ، وإنما هِمَّةُ الملوكِ فى العدلِ ومَصالحِ المسلمين ، والذَّبُّ عن حَوْزَتِهم ، كما كان أبوه[2] . ثم راسَله الجيشُ فى إبعادِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/١ - ١٢، ونهاية الأرب ٣٠/٣٩٣ - ٤٠٠، ٣١/٧ - ٣٠، وكنز الدرر ٨/٢٢٦- ٢٣٥، والعبر ٥/٣١٧ - ٣٢٢، وتذكرة النبيه ١/٤٨ - ٥٢، وعقد الجمان ٢/٢١٥ - ٢٣٩.

(٢) بعده فى م : « وصدقوا فيما قالوا فإن لعب الملوك والأمراء وغيرهم دليل على زوال النعم وخراب الملك وفساد الرعية » .

الخاصِّكِيَّةِ عنه ودُنُوِّ ذَوِى الأحْلامِ والنُّهَى إليه كما كان أبوه يَفْعَلُ ، فلم يَقْبَلْ ، وذلك كان لا يُمْكِنُه ذلك ؛ لقوةِ شَوْكةِ الخاصِّكِيَّةِ وكثرتِهم ، فركِب الجيشُ وساروا قاصِدِين مَرْجَ الصُّفَّرِ ، ولم يُمْكِنْهم العُبورُ على دمشقَ ، بل أَخَذوا مِن شرقِها ، فلما اجْتَمَعوا كلُّهم بمَرْجِ الصُّفَّرِ أرْسَل السلطانُ أمَّه إليهم ، فتَلَقَّوْها وقبَّلوا الأرضَ بينَ يديها ، فأخَذَت تَتَألَّفُهم[1] وتُصْلِحُ الأمورَ ، فأجابوها واشْتَرَطوا شُروطًا على ولدِها السلطانِ ، فلما رجَعَت إليه لم يَلْتَزِمْ بها ، ولم تُمَكِّنْه الخاصِّكيَّةُ مِن ذلك ، فسارَت العَساكرُ إلى الديارِ المصريةِ ، فساق السلطانُ خلفَهم ليَتَلافَى الأمورَ قبلَ تَفاقُمِها ، فلم يَلْحَقْهم [١٠/٨٩و] ، وسبَقوه إلى القاهرةِ ، وقد كان أرسَل أهلَه وأولادَه وثَقَلَه إلى الكَرَكِ ، فحصَّنهم فيها ، وركِب فى طائفةٍ مِن الجيشِ الذين بقُوا معه والخاصِّكِيةِ قاصِدَ الديارِ المصريةِ ، فلما اقْتَرَب منها صدُّوه عنها ، وقاتَلوه فقُتِل مِن الفريقَيْن نفَرٌ يَسيرٌ ، فأخَذَه بعضُ الأمراءِ ، فشقَّ به الصُّفوفَ ، وأدْخَله قلعةَ الجبلِ ليَسْكُنَ الأمرُ ، فما زادهم ذلك إلّا نُفورًا ، فحاصَروا حينَئذٍ القلعةَ ، وقطَعوا عنها الماءَ ، وجرَت خُطوبٌ طويلةٌ وأحوالٌ صعبةٌ . ثم اتَّفَق الحالُ بعدَ ذلك مع الأميرِ سيفِ الدينِ قَلاوُونَ الألْفِيِّ الصالحيِّ - وهو المُشارُ إليه حينَئذٍ - على أن يَتْرُكَ الملكُ السعيدُ المُلْكَ ، ويَتَعَوَّضَ بالكَرَكِ والشَّوْبَكِ ، ويَكُونَ فى صُحْبتِه أخوه نَجْمُ الدينِ خَضِرٌ ، وتَكُونَ المَمْلَكةُ إلى أخيهما الصَّغيرِ بدرِ الدينِ سَلَامُش ، ويَكُونَ الأميرُ سيفُ الدينِ قَلاوُون أتابَكَه .

(١) فى الأصل : « تتلافاهم » .

ذكرُ خَلْعِ الملكِ السعيدِ
وتَوْليةِ أخيه الملكِ العادلِ سَلَامُش

لما اتَّفق الحالُ على ما ذكَرْنا نزَل السلطانُ الملكُ السعيدُ مِن القلعةِ إلى دارِ العدلِ فى سابعَ عشَرَ الشهرِ ، وهو ربيعٌ الآخِرُ ، وحضَر القُضاةُ والدولةُ مِن أُولى الحَلِّ والعَقْدِ ، فخَلع السعيدُ نفسَه مِن السَّلْطنةِ ، وأشْهَدَهم على نفسِه بذلك ، وبايَعوا أخاه بدرَ الدينِ سَلَامُش ، ولُقِّب بالملكِ العادلِ ، وعمرُه يومَئذٍ سبعُ سنينَ ، وجعَلوا أتابَكَه الأميرَ سيفَ الدينِ قَلَاوُون الألْفىَّ الصالحىَّ ، وخطَب الخُطَباءُ ، ورُسمَت السِّكَّةُ باسمِهما ، وجُعِل للسعيدِ الكَرَكُ ، ولأخيه خَضِرٍ الشَّوْبَكُ ، وكُتِبَت بذلك مَكاتِيبُ ، ووضَع القُضاةُ والمُفْتون خُطوطَهم بذلك ، وجاءَت البَرِيديةُ إلى الشامِ بالتَّحْليفِ لهم على ما حلَف عليه المِصْريون . ومُسِك الأميرُ أَيْدَمُر نائبُ الشامِ الظاهرىُّ ، واعْتُقِل بالقلعةِ عندَ نائبِها ، وكان نائبَها إذ ذاك عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الدواداريُّ ، وأُحِيط على أموالِ نائبِ الشامِ وحَواصِلِه ، وجاء على نِيابةِ الشامِ الأميرُ شمسُ الدينِ سُنْقُرُ الأشْقَرُ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وتحَكُّمٍ مَكِينٍ ، فنزَل بدارِ السعادةِ ، وعظَّمه الناسُ وعامَلوه معامَلةَ الملوكِ ، وعزَل السلطانُ قضاةَ مصرَ الثلاثةَ ؛ الشافعىَّ والحنفىَّ والمالكىَّ ، وولَّوُا القضاءَ صَدْرَ الدينِ عمرَ ابنَ القاضى تاجِ الدينِ ابنِ بنتِ الأَعَزِّ عِوَضًا عن الشافعىِّ ، وهو تَقِىُّ الدينِ بنُ رَزِينٍ ، وكأنهم إنما عزَلوه لكونِه توَقَّف فى خَلْعِ الملكِ السعيدِ . واللَّهُ أعلمُ .

ذكرُ بَيْعةِ الملكِ المنصورِ قَلاوُون الصالحىّ

لما كان يومُ الثلاثاءِ الحادى والعشرين مِن رجبٍ اجْتَمَع الأُمراءُ بقلعةِ الجبلِ مِن مصرَ، وخلَعوا الملكَ العادلَ سَلَامُش بنَ الظاهرِ، وأخْرَجوه مِن البَيْنِ، وإنما كانوا قد بايَعوه صورةً ليَسْكُنَ الشَّرُّ عندَ خَلْعِ الملكِ السعيدِ، ثم اتَّفَقوا على بَيْعةِ الملكِ المنصورِ قَلاوُون الصالحىِّ، ولقَّبوه بالملكِ المنصورِ، وجاءَت البَيْعةُ إلى دمشقَ، فوافَق الأمراءُ وحلَفوا، وذُكِر أن الأميرِ شمسَ الدينِ سُنْقُرَ الأشْقَرَ لم يَحْلِفْ مع الناسِ ولم يَرْضَ بما وقَع، وكأنه داخلُه حسَدٌ مِن المنصورِ؛ لأنه كان يَرَى أنه أعْظَمُ منه عندَ الظاهرِ. وخُطِب للمنصورِ على المَنابرِ المصريةِ والشاميةِ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِه، وجرَت الأمورُ فى البلادِ بمُقْتَضَى رأيِه، [١٠/٨٩ظ] فعزَل وولَّى، ونفَذَت مَراسِيمُه فى سائرِ البلادِ بذلك، فعزَل عن الوِزارةِ بُرْهانَ الدينِ السِّنْجارىَّ، وولَّى مكانَه فخرَ الدينِ بنَ لُقْمانَ كاتبَ السِّرِّ وصاحبَ دِيوانِ الإنْشاءِ بالديارِ المصريةِ.

وفى يومِ الخميسِ حادى عشَرَ ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ تُوُفِّى الملكُ السعيدُ ابنُ الملكِ الظاهرِ بالكَرَكِ، وسيأْتى ذِكْرُ ترجمتِه، إن شاء اللَّهُ تعالى.

وفيها حُمِل الأميرُ أَيْدَمُر الذى كان نائبَ الشامِ، فى مِحَفَّةٍ - لمرضٍ لَحِقه - إلى الديارِ المصريَّةِ، فدخَلَها فى أواخرِ ذى القَعْدةِ، واعْتُقِل بقلعةِ مصرَ.

ذكرُ سلطنةِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ بدمشق

لما كان يومُ الجمعةِ الرابعُ والعشرون مِن ذى القَعْدةِ ركِب الأميرُ شمسُ الدينِ

سُنْقُرُ الأشْقَرُ مِن دارِ السَّعادةِ بعدَ صلاةِ العصرِ ، وبينَ يديه جَماعةٌ مِن الأمراءِ والجُنْدِ مُشاةً ، وقصَد بابَ القلعةِ الذى يلى المدينةَ ، فهجَم منه ، ودخَل القلعةَ ، واسْتَدْعَى الأمراءَ ، فبايَعوه على السَّلْطنةِ ، ولُقِّب بالملكِ الكاملِ ، وأقام بالقلعةِ ، ونادَت المُنادِيةُ بدمشقَ بذلك ، فلما أصْبَح يومَ السبتِ اسْتَدْعَى بالقُضاةِ والعُلماءِ والأعْيانِ ورُؤساءِ البلدِ إلى مسجدِ أبى الدَّرْداءِ بالقلعةِ وحلَّفهم ، وحلَف له بقيةُ الأمراءِ والعَسْكرِ ، وأرْسَل العَساكرَ إلى غَزَّةَ لحفظِ الأطْرافِ وأخْذِ الغَلَّاتِ ، وأرْسَل الملكُ المنصورُ إلى الشَّوْبَكِ ، فتسَلَّمها نُوَّابُه ، ولم يُمانِعْهم نَجْمُ الدينِ خَضِرٌ .

وفيها جُدِّدَت خمسةُ[(1)] أضْلاعٍ فى قبةِ النَّسْرِ مِن الناحيةِ الغربيةِ .

وفيها عُزِل فتحُ الدينِ بنُ القَيْسَرانىِّ مِن الوِزارةِ بدمشقَ ، ووَلِيَها تَقىُّ الدينِ[(2)] تَوْبَةُ التَّكْرِيتىُّ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

عزُّ الدينِ بنُ غانمٍ الواعظُ : عبدُ السلامِ بنُ أحمدَ بنِ غانمِ بنِ علىِّ بنِ إبراهيمَ بنِ عَساكرَ بنِ حسينٍ عِزُّ الدينِ [(3)]أبو محمدٍ[(3)] الأنْصارىُّ المَقْدِسىُّ ، الواعظُ المُطَبِّقُ المُفْلِقُ الشاعرُ الفَصيحُ ، الذى نسَج على مِنْوالِ ابنِ الجَوْزىِّ وأمثالِه ، وقد أوْرَد له قُطْبُ الدينِ أشياءَ حسنةً كثيرةً مَليحةً ، وكان له قَبولٌ عندَ الناسِ ، تكَلَّم مرةً تُجاهَ الكعبةِ المعَظَّمةِ، وكان فى الحَضْرةِ الشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ ، والشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ دَقيقِ العيدِ ، وابنُ العُجَيْلِ مِن اليمنِ وغيرُهم مِن

---

(1) فى م : « أربعة » .

(2) بعده فى الأصل ، م : « بن » . والمثبت من عقد الجمان ٢/ ٢٣٦، والسلوك ١/ ٦٦٥ .

(٣ - ٣) فى م : « أحمد » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٣، وتذكرة النبيه ١/ ٥٤، والعبر ٥/ ٣٢١، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤١٤، ومرآة الجنان ٤/ ١٩٠، وعقد الجمان ٢/ ٢٣٨ .

العلماءِ والعُبَّادِ ، فأجاد وأفاد ، وخطَب فأبْلَغ وأحْسَن . نقَل هذا المجلسَ الشيخُ شرفُ[1] الدينِ الفَزارىُّ ، وأنه كان فى سنةِ خمسٍ وسبعين .

الملكُ السعيدُ بنُ الملكِ الظاهرِ بَرَكَةُ خان : ناصرُ الدينِ محمدُ بَرَكة خان أبو المَعالى ابنُ السلطانِ الملكِ الظاهرِ رُكْنِ الدينِ بَيْبَرْسَ البُنْدُقْدارىِّ[2] ، بايَع له أبوه الأمراءَ فى حياتِه ، فلما تُوُفِّى أبوه بُويِع له بالمُلْكِ ، وله تسعَ عشْرةَ سنةً ، ومشت له الأمورُ فى أولِ الأمرِ على السعادةِ ، ثم إنه غلَبَت عليه الخاصِّكِيةُ ، فجعَل يَلْعَبُ معهم فى المَيْدانِ الأخْضرِ فيما قيل أولَ هُوِىٍّ ، فربما جاءَت النَّوْبةُ عليه ، فيَنْزِلُ لهم ، فأنْكَرَت الأمراءُ الكبارُ ذلك ، وأنِفُوا أن يَكُونَ مَلِكُهم يَلْعَبُ مع الغِلْمانِ ، ويَجْعَلَ نفسَه كأحدِهم ، فراسَلوه فى ذلك ليَرْجِعَ عما هو عليه ، فلم يَقْبَلْ ، فخلَعوه كما ذكَرْنا ، وولَّوُا السلطانَ الملكَ المنصورَ قَلاوُون فى أواخِرِ رجبٍ كما تقدَّم . ثم كانت وفاتُه فى هذه السنةِ بالكَرَكِ [١٠/٩٠و] فى يومِ الجمعةِ الحادى عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ ، يقالُ : إنه سُمَّ . فاللَّهُ أعلمُ[3] . وقد دُفِن أولًا عندَ قبرِ جعفرٍ وأصحابِه الذين قُتِلوا بمُؤْتةَ ، ثم نُقِل إلى دمشقَ ، فدُفِن فى تربةِ أبيه سنةَ ثمانين وستِّمائةٍ ، وتملَّك الكَرَكَ بعدَه أخوه نَجْمُ الدينِ خَضِرٌ ، ولُقِّب بالملكِ المسعودِ ، فانْتَزَعها المنصورُ مِن يدِه ، كما سيأتى إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى الأصل : « تقى » ، وفى م : « تاج » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٣، والعبر ٥/ ٣٢١، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٧٤، وتذكرة النبيه ١/ ٥٣، والسلوك ١/ ٦٦٩ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢/ ٢٣٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٩.

(٣) وذكرت أكثر المصادر أن مما قيل أيضًا فى سبب موته أنه تَقَطَّر من على فرسه - أى وقع من فوقه على جنبه - فحُمَّ بسبب ذلك فمات بعد مدة.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

كان أولَها يومُ الخميسِ ثالث أيَّارَ، والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أحمدُ العباسيُّ، وملِكُ مصرَ الملكُ المنصورُ قَلاوُون الصالحيُّ، وبعضِ بلادِ الشامِ أيضًا، وأما دمشقُ وأعمالُها فقد ملكها سُنْقُرُ الأشْقَرُ، وصاحبُ الكَرَكِ الملكُ المسعودُ[2] بنُ الظاهرِ، وصاحبُ حَماةَ الملكُ المنصورُ ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ الملكِ المُظَفَّرِ تَقيِّ الدينِ محمودٍ، والعراقُ وبلادُ الجزيرةِ وخُراسانُ والمَوْصِلُ وإرْبِلُ وأَذْرِبيجانُ وبلادُ بكرٍ وخِلاطُ وما والاها وغيرُ ذلك مِن البلادِ بأيدى التتارِ، وكذلك بلادُ الرومِ فى أيديهم أيضًا، ولكن فيها غِياثُ الدينِ بنُ[3] رُكنِ الدينِ، ولا حُكْمَ له سوى الاسمِ، وصاحبُ اليمنِ الملكُ المُظَفَّرُ شمسُ الدينِ يوسفُ[3] بنُ عمرَ، وصاحبُ الحرمِ الشريفِ نجمُ الدينِ بنُ أبى نُمَىٍّ[4] الحَسَنىُّ، وصاحبُ المدينةِ عزُّ الدينِ جَمَّازُ ابنُ شِيحةَ الحُسَيْنىُّ.

ففى مُسْتَهَلِّ السنةِ المذكورةِ ركِب السلطانُ الملكُ الكاملُ سُنْقُرُ الأشْقَرُ مِن القلعةِ إلى المَيْدانِ، وبينَ يديه الأمراءُ ومُقَدَّمو الحَلَقةِ يَحْمِلون[5] الغاشيةَ، وعليهم الخِلَعُ، والقُضاةُ والأعيانُ رُكّابٌ معه، فسِير فى المَيْدانِ ساعةً، ثم رجَع إلى

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٥/٤ - ٥٤، ونهاية الأرب ٦٣/٣١ - ٧٢، والعبر ٣٢٢/٥ - ٣٢٥، وكنز الدرر ٢٣٥/٨ - ٢٣٩ ، وتذكرة النبيه ٥٧/١ - ٦٠ ، وعقد الجمان ٢٤٠/٢ - ٢٥٨.

(٢) فى الأصل: «السعيد».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى الأصل: «شمى». وانظر ترجمته فيما سيأتى ضمن وفيات سنة إحدى وسبعمائة.

(٥) سقط من: م.

القلعةِ ، وجاء إلى خدمتِه الأميرُ شرفُ الدينِ عيسى بنُ مُهَنَّا ملكُ العربِ ، فقبَّل الأرضَ بينَ يديه ، وجلَس إلى جانبِه وهو على السِّماطِ ، وقام له المَلِكُ الكاملُ ، وكذلك جاء إلى خدمتِه ملكُ الأعرابِ بالحِجازِ ، وأمَر الكاملُ سُنْقُرُ أن تُضافَ البلادُ الحَلَبيةُ إلى ولايةِ القاضى شمسِ الدينِ بنِ خَلِّكانَ ، وولَّاه تَدْريسَ الأمِينيةِ ، وانْتَزَعها مِن ابنِ سَنِيِّ الدولةِ .

ولما بلَغ الملكَ المنصورَ بالديارِ المصريةِ ما كان مِن أمرِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ بالشامِ أرْسَل إليه جيشًا كثيفًا ، فهزَموا عَسْكرَ سُنْقُرَ الأشْقرِ الذى كان قد أرْسَله إلى غَزَّةَ ، وساقُوهم بينَ أيديهم حتى وصَل جيشُ المِصْريين إلى قريبِ دمشقَ ، فأمَر الملكُ الكاملُ أن يُضْربَ دِهْليزُه بالجُسُورةِ ، وذلك فى يومِ الأربعاءِ ثانى عشَرَ صفرٍ ، ونهَض بنفسِه وبمَن معه ، فنزَل هنالك ، واسْتَخْدَم خلقًا كثيرًا ، وأنْفق أموالًا جَزيلةً ، وانْضاف إليه عربُ الأميرِ شرفِ الدينِ عيسى بنِ مُهَنَّا ، وشِهابِ الدينِ أحمدَ بنِ حجِّى ، ونَجْدةُ حلبَ ونَجْدةُ حَماةَ ورجالٌ كثيرةٌ مِن جبالِ[(1)] بَعْلَبَكَّ ، فلما كان يومُ الأحدِ السادسَ عشَرَ مِن صفرٍ أقْبَل الجيشُ المصرىُّ صُحْبَةَ الأميرِ عَلَمِ الدينِ سَنْجَرَ الحَلَبىِّ ، فلما تَراءَى الجَمْعان وتَقابلَ الفريقان تَقاتَلوا إلى الرابعةِ فى النهارِ ، فقُتِل نَفَرٌ كثيرٌ ، وثبَت الملكُ الكاملُ سُنْقُرُ الأشْقَرُ ثَباتًا جيدًا ، ولكن خامَر عليه الجيشُ ، فمنهم مَن صار إلى المصرىِّ ، ومنهم مَن انْهَزَم فى كلِّ وجهٍ ، وتفَرَّق عنه أصحابُه ، فلم يَسَعْه إلا الانْهِزامُ على طريقِ المَرْجِ فى طائفةٍ يَسِيرةٍ ، فى صُحْبةِ عيسى بنِ مُهَنَّا ، فسار بهم إلى بَرِّيَّةِ الرَّحْبةِ ، فأنْزَلَهم فى بيوتٍ مِن شَعْرٍ ، وأقام بهم وبِدَوابِّهم مدةَ مُقامِهم عندَه ، ثم بعَث الأمراءُ الذين انْهَزموا

---

(1) فى م : « رجال » .

عنه ، فأخَذوا لهم أمانًا مِن الأميـرِ سَنْجَرَ ، وقد نزَل فى ظاهرِ دمشقَ وهى مَغْلوقةٌ ، [١٠/٩٠ظ] فراسَل نائبَ القلعةِ ، ولم يَزَلْ به حتى فتَح بابَ الفَرَجِ مِن آخرِ النهارِ ، وفُتِحَت القلعةُ مِن داخلِ البلدِ ، فتسَلَّمها للمنصورِ ، وأُفْرِج عن الأميرِ ركنِ الدين بَيْبَرْسَ العجميِّ المعروفِ بالجالقِ(١) ، والأميرِ حسامِ الدينِ لاجين المَنصوريِّ ، وغيرِهم مِن الأمراءِ الذين كان قد اعْتَقَلهم سُنْقُرُ الأَشْقَرُ ، وأرْسَل سَنْجَرُ البَريديةَ إلى الملكِ المنصورِ يُعْلِمونه بصورةِ الحالِ ، وأرْسَل سَنْجَرُ ثلاثةَ آلافٍ فى طلبِ سُنْقُرَ الأَشْقَرِ .

وفى هذا اليومِ جاء ابنُ خَلِّكانَ ليُسَلِّمَ على الأميرِ سَنْجَرَ الحلبيِّ ، فاعْتَقَله فى عُلْوِ الخانَقاه النَّجِيبيةِ ، وعزَله فى يومِ الخميسِ العشرين مِن صفرٍ ، ورسَم للقاضى نجمِ الدينِ بنِ سَنِيِّ الدولةِ بالقَضاءِ فباشَره ، ثم جاءَت البَريديةُ معهم كتابٌ مِن الملكِ المنصورِ بالعَتْبِ على طَوائفِ الناسِ ، والعَفْوِ عنهم كلِّهم ، فتَضاعَفَت له الأدْعِيةُ ، وجاء تَقْليدُ النِّيابةِ بالشامِ للأميرِ حُسامِ الدينِ لاجِين السِّلَحْدارِ المَنْصوريِّ ، فدخَل معه عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الحلبيُّ ، فرتَّبه بدارِ السَّعادةِ ، وأمَر سَنْجَرُ القاضىَ ابنَ خَلِّكانَ أن يَتَحَوَّلَ مِن المدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ ؛ ليَسْكُنَها نَجْمُ الدينِ ابنُ سَنِيِّ الدولةِ ، وألَحَّ عليه فى ذلك ، فاسْتَدْعَى جِمالًا ليَنْقُلَ أهلَه وثَقَلَه عليها إلى الصالحيةِ ، فجاء البريدُ بكتابٍ مِن السلطانِ ، فيه تَقْريرُ ابنِ خَلِّكانَ على القَضاءِ ، والعَفْوُ عنه وشُكْرُه والثَّناءُ عليه ، وذِكْرُ خدمتِه المُتَقَدِّمةِ ، ومعه خِلْعةٌ سَنِيةٌ له ، فلبِسها وصلَّى بها الجمُعةَ ، وسلَّم على الأمراءِ ، فأكْرَموه وعظَّموه ، وفرِح الناسُ به وبما وقَع مِن الصَّفْحِ عنه .

---

(١) فى م : « بالحالق » .

وأما سُنْقُرُ الأشْقَرُ فإنه لما خرَجَت العَساكرُ فى طلبِه فارَق الأميرَ عيسى بنَ مُهَنَّا، وسار إلى السَّواحلِ، فاسْتَحْوَذ منها على حُصونٍ كثيرةٍ؛ منها صِهْيونُ، وقد كان بها أولادُه وحَواصلُه، وحصنُ بَلَاطُنُسَ[1] وبَرْزَيَةَ وعَكّارٍ وجَبَلَةَ واللَّاذِقِيَّةِ، والشُّغْرِ و[2] بَكَاسَ وشَيْزَرَ، واسْتَناب فيها الأميرَ عزَّ الدينِ أَزْدَمُرَ الحاجَّ، فأرْسَل السلطانُ المنصورُ لحصارِ شَيْزَرَ طائفةً مِن الجيشِ، فبينما هم كذلك إذ أقْبَلَت التَّتارُ مِن كلِّ فجٍّ لما سمِعوا بتَفْريقِ كلمةِ المسلمين، فانْجَفَل الناسُ مِن بينِ أيديهم مِن سائرِ البلادِ إلى الشامِ، ومِن الشامِ إلى مصرَ، فوصَلَت التَّتارُ إلى حلبَ، فقتَلوا خلقًا كثيرًا، ونهَبوا شيئًا كثيرًا، وظَنُّوا أن جيشَ سُنْقُرَ الأشقرِ يَكونُ معهم على المنصورِ، فوجَدوا الأمرَ بخلافِ ذلك، وذلك أن المنصورَ[3] كتَب إلى سُنْقُرَ الأشقرِ: إن التَّتارَ قد أقْبَلوا إلى المسلمين، والمَصْلحةُ أن نَتَّفِقَ عليهم لئلا يَهْلِكَ المسلمون بينَنا وبينَهم، وإذا ملَكوا البلادَ لم يَدَعُوا منا أحدًا. فكتَب إليه سُنْقُرُ بالسمعِ والطاعةِ، وبرَز مِن حصنِه، فخيَّم بجيشِه ليَكُونَ على أُهْبةٍ متى طُلِب أجاب، ونزَلَت نُوَّابُه مِن حُصونِهم، وبقُوا مُسْتَعِدِّين لقِتالِ التَّتارِ، وخرَج الملكُ المنصورُ مِن مصرَ فى أواخرِ جُمادَى الآخِرةِ، ومعه العَساكرُ.

---

(1) فى م: «بلاطس». وبلاطنس: حص منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من أعمال حلب. معجم البلدان ١/ ٧١٠.

(2) سقط من: م. والمثبت من مرآة الزمان. والشغر: قلعة حصينة يقابلها قلعة بكاس. وانظر معجم البلدان ١/ ٧٠٤.

(3) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٤٥: «أمراء العسكر المصرى».

وفى يومِ الجمعةِ (١الثامنِ والعشرينَ١) مِن جُمادَى الآخِرةِ قُرِئَ على منبرِ جامعِ دمشقَ كتابٌ مِن السلطانِ أنه قد عهِد بالمُلكِ إلى ابنِه علىٍّ، ولُقِّب بالملكِ الصالحِ، فلما فُرِغ مِن قراءةِ الكتابِ جاءَت البَرِيديةُ، فأخْبَروا برُجوعِ التَّتارِ مِن حلبَ إلى بلادِهم، وذلك لما بلَغهم مِن اتِّفاقِ كلمةِ المسلمين، [١٠/٩١و] ففرِح المسلمون بذلك، وللَّهِ الحمدُ، وعاد المنصورُ إلى مصرَ، وكان قد وصَل إلى غَزَّةَ، أراد بذلك تَخْفيفَ الوَطْأَةِ عن الشامِ، فوصَل إلى مصرَ فى نصفِ شعبانَ.

وفى جُمادَى الآخِرةِ أُعِيد بُرْهانُ الدينِ السِّنْجاريُّ إلى وِزارةِ مصرَ، ورجَع فخرُ الدينِ بنُ لُقْمانَ إلى كتابةِ الإنشاءِ.

وفى أواخِرِ رمضانَ أُعِيد إلى القَضاءِ ابنُ رَزِينٍ، وعُزِل ابنُ بنتِ الأعَزِّ، وأُعِيد القاضى نَفِيسُ الدينِ بنُ شُكْرٍ المالكىُّ، ومُعِينُ الدينِ الحَنَفىُّ، وتولَّى قَضاءَ الحَنابلةِ عزُّ الدينِ المَقْدِسىُّ.

وفى ذى الحِجَّةِ جاء تَقْليدُ ابنِ خَلِّكانَ بإضافةِ المُعامَلةِ الحَلَبيةِ إليه يَسْتَنِيبُ فيها مَن يشاء مِن نُوّابِه.

وفى مُسْتَهَلِّ ذى الحِجَّةِ خرَج الملكُ المنصورُ مِن بلادِ مصرَ بالعَساكرِ قاصدًا الشامَ، واسْتَناب على مصرَ ولدَه الملكَ الصالحَ علىَّ بنَ المنصورِ إلى حينِ رُجوعِه.

قال الشيخُ قُطْبُ الدينِ[٢]: وفى يومِ عَرَفةَ وقَع ببلادِ مصرَ بَرَدٌ كِبارٌ أتْلَف شيئًا كثيرًا مِن المُغَلّاتِ، ووقَعت صاعقةٌ بالإسْكَنْدَريةِ وأخرى فى يومِها تحتَ

(١ - ١) فى الأصل، م: «الثالث». والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤/ ٤٦.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٥٣.

الجبلِ الأحمرِ على صخرةٍ فأحْرَقَتها ، فأُخِذ ذلك الحديدُ فسُبِك ، فخرَج منه أواقٍ بالرِّطْلِ المصرىِّ .

وجاء السلطانُ فنزَل بعَساكرِه تُجاهَ مدينةِ عَكَّا ، فخافَت الفِرِنجُ منه خوفًا شديدًا ، وراسَلوه فى طلبِ تجْديدِ الهُدْنةِ (١ فإنّه كان قد انْتهى أمَدُ ما كان قبلَها ، فأقام بهذه المنزلةِ إلى أولِ سنةِ ثمانينَ ، فكانت فيها الهُدْنَةُ ١) ، وجاء الأميرُ عيسى ابنُ مُهَنَّا مِن بلادِ العراقِ إلى خدمةِ المنصورِ وهو بهذه المَنْزلةِ ، فتلَقَّاه السلطانُ بجيشِه وأكْرَمه واحْتَرَمه ، وعامَله بالصَّفْحِ والعَفْوِ والإحسانِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الأميرُ الكبيرُ جمالُ الدينِ آقوشُ الشَّمْسىُّ [٢] ، أحدُ أمراءِ الإسلامِ ، وهو الذى باشَر قتْلَ كَتْبُغانُوين أحدِ مُقَدَّمى التَّتارِ ، وهو المُطاعُ فيهم يومَ عينِ جالوتَ ، وهو الذى مسَك عِزَّ الدينِ أَيْدَمُرَ الظاهرىَّ فى حلبَ مِن السنةِ الماضيةِ ، وكانت وفاتُه بها .

الشيخُ الصالحُ داودُ بنُ حاتمِ بنِ عمرَ الحَبَّالُ [٣] ، كان حَنْبلىَّ المَذْهَبِ ، له كَراماتٌ وأحْوالٌ صالحةٌ ومُكاشَفاتٌ صادقةٌ ، وأصلُ آبائِه مِن حَرَّانَ ، وكانت إقامتُه ببَعْلَبَكَّ ، وتُوُفِّى فيها ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، عن ستٍّ وتسعين سنةً ، وقد أثْنَى عليه الشيخُ قُطْبُ الدينِ بنُ الشيخِ الفَقيهِ اليُونِينىُّ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٥٥، والوافى بالوفيات ٩/ ٣٢٥، وعقد الجمان ٢/ ٢٦٠، والمنهل الصافى ٣/ ٢١- وجاءت وفاته فيه فى سنة ثمان وسبعين وستمائة - والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٤.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٥٥، وعقد الجمان ٢/ ٢٥٩، والدليل الشافى ١/ ٢٩٥.

الأميرُ الكبيرُ نورُ الدينِ عليُّ بنُ عمرَ ، أبو الحسنِ الطوريُّ[1] ، كان مِن أكابرِ الأمراءِ ، [2]وله السَّعىُ المَشْكورُ فى قتالِ الفِرِنجِ ، وله عندَهم ذِكرٌ عظيمٌ ، وموقعٌ كبيرٌ ، مات[2] وقد نَيَّف على تسعين سنةً ، وكانت وفاتُه بسببِ أنه وقَع يومَ مَصافِّ سُنْقُرَ الأشقرِ تحتَ سَنابكِ الخيلِ ، فمكَث بعدَ ذلك مُتَمَرِّضًا إلى أن مات بعدَ شهرين ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ .

الجزَّارُ الشاعرُ ، يحيى بنُ عبدِ العظيمِ بنِ يحيى بنِ محمدِ بنِ علىٍّ ، جَمالُ الدينِ أبو الحسينِ[3] **المصرىُّ** ، الشاعرُ الماجنُ ، المعروفُ بالجزَّارِ ، مدَح الملوكَ والوُزراءَ والأمراءَ ، وكان ماجنًا ظريفًا حُلْوَ المحاضَرةِ[4] ، وُلِد فى حدودِ ستِّمائةٍ بعدَها بسنةٍ أو سنتين ، وتُوُفِّى يومَ الثلاثاءِ ثانى عشَرَ شوالٍ مِن هذه السنةِ . ومِن شعرِه :

أَدْرِكونى فبى مِن البَرْدِ هَمٌّ ... ليس يُنْسَى وفى حَشاىَ[5] الْتِهابُ

أَلْبَسَتْنى الأطْماعُ [١٠/٩١ظ] وهْمًا فها جِسْـ ... ـمِىَ عارٍ ولى قِرًى وثيابُ

كلما ازْرَقَّ لونُ جسمى مِن البَرْ ... دِ تخَيَّلْتُ أنه سِنْجابُ

وقال وقد تزَوَّج أبوه بعَجوزةٍ :

---

(١) فى الأصل : « الطيورى » . وانظر مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ٥٦، ونهاية الأرب ٣١/ ٧١، والسلوك ٦٨٤/١ (القسم الثالث) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « الحسن » . وانظر مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦١، ونهاية الأرب ٣١/ ٧١، والعبر ٥/ ٣٢٤، وفوات الوفيات ٤/ ٢٧٧، والسلوك ٦٨٤/١ (القسم الثالث) ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٥.

(٤) فى م : « المناظرة » .

(٥) فى الأصل : « حياتى » ، وفى ذيل مرآة الزمان : « حشائى » .

تزوَّج الشيخُ أبى[1] شيخةً ليس لها عَقْلٌ ولا ذِهْنُ

كأنها فى فَرْشِها رِمَّةٌ وشَعرُها مِن حولِها قُطْنُ

[2]وقائلٌ قال لى[2] كم سنُّها فقلتُ ما فى فمِها سِنُّ

لو سَفَرَت غُرَّتُها فى الدُّجى ما جسَرَتَ تُبْصِرُها الجِنُّ

---

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦٤: «إلى».

(٢ - ٢) في م: «وقال لى»، وفى الأصل: «قائل لى قال». والمثبت من ذيل مرآة الزمان.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانين وستّمائةٍ[1]

استَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ، وسلطانُ البلادِ الملكُ المنصورُ قَلَاوُون.

وفى عاشرِ المحرمِ انْعَقَدَت الهُدْنةُ بينَ أهلِ عَكًّا والمَرْقَبِ والسلطانِ، وكان نازلًا على الرَّوْحاءِ[2]، وقد قبَض على جَماعةٍ مِن الأمراءِ ممَّن كان معه، وهرَب آخرون إلى قلعةِ صِهْيَوْنَ إلى خدمةِ سُنْقُرَ الأشقرِ، ودخَل المنصورُ إلى دمشقَ فى التاسعَ عشَرَ مِن المحرمِ، فنزَل القلعةَ وقد زُيِّنَت له البلدُ، وفى يومِ التاسعِ والعشرين مِن المحرمِ أعاد القَضاءَ إلى عزِّ الدينِ بنِ الصائغِ، وعزَل ابنَ خَلِّكانَ.

وفى أولِ صفرٍ باشَر قَضاءَ الحَنابلةِ نجمُ الدينِ بنُ الشيخِ شمسِ الدينِ بنِ أبى عمرَ، وقد كان المَنْصِبُ شاغِرًا منذ عزَل والدُه نفسَه عن القَضاءِ، وتوَلَّى قَضاءَ حلبَ فى هذا الشهرِ تاجُ الدينِ يحيى بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ الكُرْدىُّ.

وجلَس الملكُ المنصورُ بدارِ العدلِ فى هذا الشهرِ، فحكَم وأنْصَف المظلومَ مِن الظالمِ، وقدِم عليه صاحبُ حَماةَ، فتلَقَّاه المنصورُ بنفسِه فى موكبِه، ونزَل بدارِه ببابِ الفَرادِيسِ.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٨٦ - ١٠٠، ونهاية الأرب ٣١/٧٣ - ٨٢، والعبر ٥/ ٣٢٥، ٣٢٦، وكنز الدرر ٨/٢٤٠ - ٢٤٨ ، وتذكرة النبيه ١/٦٢ - ٦٥ ، وعقد الجمان ٢/٢٦٣ - ٢٨٨.

(٢) فى ذيل مرآة الزمان: «اللجون».

وفى ربيعِ الأولِ وقَع الصلحُ بيـنَ الملكِ المنصورِ قَلاوُون وبيـنَ سُنْقُرَ الأشْقَرِ الملكِ الكاملِ على أن يُسَلِّمَ للسلطانِ شَيْزَرَ ويُعَوِّضَه عنها بأنْطاكِيَةَ وكَفْرَ طَابَ وشُغْرٍ وبَكَاسَ وغيرِ ذلك ، وعلى أن يُقِيمَ على ما بيدِه ستَّمائةِ فارسٍ ، وتحالَفا على ذلك ، ودَقَّت البَشائرُ لذلك ، وكذلك صالَح صاحبَ الكَرَكِ الملكَ خَضِرَ بنَ الظاهرِ على تَقْريرِ ما بيدِه ، ونُودِى بذلك فى البلادِ .

وفى العَشْرِ الأولِ[1] مِن هذا الشهرِ ضُمِن الخمرُ والزِّنَى بدمشقَ ، وجُعِل عليه دِيوانٌ ومُشِدٌّ ، فقام فى إبْطالِ ذلك جماعةٌ مِن العلماءِ والصُّلحاءِ والعُبَّادِ ، فأُبْطِل بعدَ عشرين يومًا ، وأُرِيقَت الخُمورُ وأُقِيمَت الحُدودُ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفى تاسعَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ[2] وصَلَت الخاتونُ ابنةُ[3] بركة خان زوجةُ الملكِ الظاهرِ ، ومعها ولدُها الملكُ السعيدُ قد نقَلَته مِن قريةِ المساجدِ بالقربِ مِن الكَرَكِ لتَدْفِنَه عندَ أبيه بالتربةِ الظاهريةِ ، فرُفِع بحِبالٍ مِن السُّورِ ، ودُفِن عندَ والدِه الظاهرِ ، ونزَلَت أمُّه بدارِ صاحبِ حمصَ ، وهُيِّئَت لها الإقاماتُ ، وعُمِل عَزاءُ ولدِها يومَ الحادى والعشرين مِن ربيعِ الآخِرِ بالتربةِ المذكورةِ ، وحضَر السلطانُ المنصورُ وأربابُ الدولةِ والقُرَّاءُ والوُعَّاظُ .

وفى أواخِرِ ربيعِ الآخِرِ عُزِل التَّقىُّ[4] تَوْبَةُ التَّكْرِيتىُّ مِن الوِزارةِ بدمشقَ ،

---

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٨٩: « الأوسط » .

(٢) فى الأصل ، م : « الأول » . والمثبت من المصدر السابق .

(٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من المصدر السابق .

(٤) بعده فى م : « بن » . وانظر هذا الحدث فى عقد الجمان ٢/ ٢٦٩ .

وباشَرها بعدَه تاجُ الدينِ السَّنْهوريُّ[1] .

وكتَب السلطانُ المنصورُ إلى مصرَ وغيرِها مِن البلادِ يَسْتَدْعِى الجيوشَ لأجلِ اقْتِرابِ مَجىءِ التتارِ ، فدخَل أحمدُ بنُ حجِّى ومعه بشرٌ كثيرٌ مِن الأعرابِ ، وجاء [١٠/٩٢و] صاحبُ الكَرَكِ الملكُ المسعودُ نَجْدَةً للسلطانِ يومَ السبتِ الثانىَ[2] عشَرَ مِن جُمادَى الآخِرةِ ، وقدِم الناسُ عليه ، ووفَدوا إليه مِن كلِّ مكانٍ ، وجاءته التُّرْكُمانُ والأعرابُ وغيرُهم ، وكثُرَت الأَراجِيفُ بدمشقَ ، وكثُرَت العَساكرُ بها ، وانجفَل الناسُ مِن بلادِ حلبَ وتلك النَّواحِى ، وترَكوا الغَلَّاتِ والأموالَ خوفًا مِن أن يَدْهَمَهم العدوُّ مِن التَّتارِ ، ووصَلَت التَّترُ صُحبَةَ مَنْكُوتَمُر بنِ هُولَاكُو إلى [3]عينِ تَاب[3] ، وسارَت العَساكرُ المنصورةُ إلى نواحِى حلبَ يَتْبَعُ بعضُها بعضًا ، ونازَلَت التَّترَ بالرَّحْبةِ فى أواخرِ جُمادَى الآخِرةِ طائفةٌ مِن الأعرابِ ، وكان فيهم ملكُ التَّتارِ أَبْغَا مُخْتَفِيًا يَنْظُرُ ماذا يصنَعُ أصحابُه ، وكيف يُقاتِلون أعداءَه ، ثم خرَج الملكُ المنصورُ مِن دمشقَ ، وكان خُروجُه منها فى أواخرِ جمادَى ، وقنَت الخُطباءُ والأئمةُ بالجوامعِ والمساجدِ وغيرِها فى الصلواتِ ، وجاء مَرْسومُ السلطانِ باسْتِسْلامِ أهلِ الذِّمَّةِ مِن الدَّواوينِ والكَتَبةِ ، ومَن لا يُسْلِمُ يُصْلَبُ ، فأسْلَمُوا كُرْهًا ، فكانوا يَقولون : آمَنَّا وحكَم الحاكمُ بإسْلامِنا . بعدَ أن عرَض مَن امْتَنَع منهم على الصَّلْبِ بسوقِ الخيلِ ، وجُعِلَت الحِبالُ فى أعناقِهم ، فأجابوا والحالةُ هذه ، ولما انْتَهى السُّلطانُ الملكُ المنصورُ إلى حمصَ كتَب إلى الملكِ الكاملِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ يَطْلُبُه إليه نَجْدَةً ، فجاء إلى خدمتِه ، فأكْرَمه السلطانُ ، واحترَمه ورتَّب له

---

(١) فى عقد الجمان : « الشهرزورى » .

(٢) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٩٠ : « الثامن » .

(٣ - ٣) فى م : « عنتاب » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٧٥٩ .

الإقاماتِ ، وتَكامَلَت الجيوشُ كلُّها فى صُحْبةِ الملكِ المنصورِ عازِمين على لقاءِ العدوِّ لا مَحالةَ مُخْلِصِين فى ذلك ، واجْتَمَع الناسُ بعدَ خُروجِ السلطانِ فى جامعِ دمشقَ ، ووضَعوا المُصْحَفَ العُثْمانىَّ بينَ أيديهم ، وجعَلوا يَبْتَهِلون إلى اللَّهِ تعالى فى نُصْرةِ الإسلامِ وأهلِه على الأعْداءِ ، وخرَجوا كذلك والمُصْحفُ على رءُوسِهم إلى المُصَلَّى يَدْعُون ويَبْتَهِلون ويَبْكون ، وأقْبَلَت التَّترُ قليلًا قليلًا ، فلما وصَلوا حَماةَ أحْرَقوا بُسْتانَ المَلِكِ وقصرَه وما هنالك مِن المَساكنِ ، والسلطانُ المنصورُ مُخَيِّمٌ بحمصَ فى عساكرَ مِن الأتراكِ والتُّرْكُمانِ وغيرِهم فى جَحْفلٍ كثيرٍ جدًّا ، فأقْبَلَت التَّترُ فى مائةِ ألفِ مُقاتِلٍ أو يَزيدون ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ .

وقعةُ حمصَ

لما كان يومُ الخميسِ رابعَ عشَرَ رجبٍ الْتَقَى الجمعانِ ، وتواجَه الخَصْمانِ عندَ طُلوعِ الشمسِ ، وعَسْكَرُ التَّترِ فى مائةِ ألفِ فارسٍ ، وعَسْكَرُ المسلمين على النصفِ مِن ذلك أو يَزيدُ قليلًا ، والجميعُ فيما بينَ مَشْهَدِ خالدِ بنِ الوليدِ إلى الرَّسْتَنِ[1] ، فاقْتَتلوا قِتالًا عظيمًا لم يُرَ مثلُه مِن أعْصارٍ مُتَطاوِلةٍ ، فاسْتَظْهر التَّترُ أولَ النهارِ ، وكسَروا المَيْسَرةَ ، واضطَرَبَت المَيْمَنةُ أيضًا ، وباللَّهِ المُسْتَعانُ . وانكسَر جَناحُ القلبِ الأيْسَرُ ، وثبَت السلطانُ ثَباتًا عظيمًا جدًّا فى جَماعةٍ قليلةٍ ، وقد انْهَزَم كثيرٌ مِن عَسْكَرِ المسلمين ، والتَّترُ فى آثارِهم حتى وصَلوا وراءَهم إلى بُحَيْرةِ

---

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٩٣: «الرستين» . والرستن : بليدة قديمة بين حماة وحمص . انظر معجم البلدان ٢/ ٧٧٨.

حمصَ ، ووصَلوا إلى حمصَ وهى مُغَلَّقةُ الأبوابِ ، فقتَلوا خلقًا مِن العامَّةِ وغيرِهم ، وأشْرَف المسلمون على خُطَّةٍ[1] عظيمةٍ مِن الهلاكِ ، ثم إن أعيانَ الأمراءِ مِن الشُّجْعانِ والفُرْسانِ تَذامَروا فيما بينَهم ؛ مثلَ سُنْقُرَ الأشْقَرِ وبَيْسَرِى وطَيْبَرْسَ الوَزِيرِىِّ وبَدْرِ الدينِ أميرِ سلاحٍ وأَيْتَمُش [٩٢/١٠ظ] السَّعْدِىِّ وحُسامِ الدينِ لاجِين وحُسامِ الدينِ طُرُنْطاى[2] والدَّوَادارِىِّ وأمثالِهم ، لما رأَوْا ثَباتَ السلطانِ رَدُّوا إلى السلطانِ ، وحمَلوا حَمَلاتٍ مُتعَدِّدَةً صادقةً ، ولم يَزالوا يُتابِعون الحَمْلَةَ بعدَ الحَمْلةِ حتى كسَر اللَّهُ بحولِه وقوتِه التَّتَرَ ، وجُرِح مَنْكُوتَمُر ، وجاءهم الأميرُ عيسى بنُ مُهَنَّا مِن ناحيةِ العَرْضِ فصَدم التَّتَرَ ، فاضطربتِ الجيوشُ لصدمتِه ، وتمَّت الهزيمةُ ، ولِلَّهِ الحمدُ ، وقتَلوا مِن التَّترِ مَقْتَلةً عظيمةً جدًّا ، ورجَعَت الطائِفةُ مِن التَّترِ الذين اتَّبَعوا المُنْهَزِمين مِن المسلمين ،فوجَدوا أصحابَهم قد كُسِروا ، والعَساكرُ فى آثارِهم يَقْتُلون ويَأْسِرون ، والسلطانُ ثابتٌ فى مكانِه تحتَ السَّناجِقِ[3] ، والكُوساتُ تُضْرَبُ خلفَه ، وما معه إلا نحوُ ألفِ فارسٍ ، فطمِعوا فيه فقاتلوه ، فثبَت لهم ثَباتًا عظيمًا ، فانْهَزَموا مِن بينِ يديه ، فلحِقهم فقتَل أكثرَهم ، وكان ذلك تَمامَ النصرِ ، وكان انْهِزامُ التَّترِ قبلَ الغُروبِ ، وافْتَرَقوا فِرْقتَيْن ؛ أخَذَت فِرْقةٌ منهم إلى ناحيةِ سَلَمْيَةَ والبَرِّيَّةِ ، والأخرى إلى ناحيةِ حلبَ والفُراتِ ، فأرْسَل السلطانُ فى آثارِهم مَن يَتْبَعُهم ، وجاءت البِطاقةُ بالبِشارةِ بما وقَع مِن النصرِ إلى دمشقَ يومَ الجمعةِ خامسَ عشَرَ رجبٍ ، فدَقَّت البَشائرُ ، وزُيِّنَت البلدُ ، وأُوقِدَت الشُّمُوعُ ، وفرِح الناسُ ، فلما أصبح الناسُ يومَ السبتِ

---

(١) الخطة : الأمر ، والحالة . الوسيط (خ ط ط) .

(٢) فى الأصل : « طرقطاى » .

(٣) السناجق : جمع سَنْجَق وسُنْجَق ، وهى الراية . انظر المعجم الذهبى ص ٣٥٢ .

أَقْبَلَت طائفةٌ مِن المُنْهَزِمين؛ منهم بِيلِيك[1] الناصرىُّ والجالقُ وغيرُهم، فأَخْبَرُوا الناسَ بما شاهَدوه مِن الهزيمةِ فى أولِ الأمرِ، ولم يَكُونوا شاهَدوا ما بعدَ ذلك، فبقِى الناسُ فى قلَقٍ عظيمٍ، وخوفٍ شديدٍ، وتهَيَّأَ ناسٌ كثيرٌ للهربِ، فبينما الناسُ فى ذلك إذ أَقْبَلَت البَرِيدِيةُ وأخْبَروا الناسَ بصُورةِ ما وقَع فى أولِ الأمرِ وآخرِه، فتراجَع الناسُ وفرِحوا فرحًا شديدًا، وللّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

ثم دخَل السلطانُ إلى دمشقَ [2]يومَ الجُمعةِ[2] الثانى والعشرين مِن رجبٍ، وبينَ يديه الأُسارَى، بأيديهم الرِّماحُ عليها شَعَفُ[3] رُءوسِ القَتْلَى منهم، وكان يومًا مشهودًا، ومع السلطانِ طائفةٌ مِن أصحابِ سُنْقُرَ الأَشْقَرِ؛ منهم عَلَمُ الدينِ الدَّوَادارىُّ، فنزَل السلطانُ بالقلعةِ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا، وقد كثُرَت له المحبةُ والأَدْعِيةُ، وكان سُنْقُرُ الأَشْقَرُ قد ودَّع السلطانَ مِن حمصَ، ورجَع إلى صِهْيَوْنَ، وأما التَّتَرُ فإنهم انْهَزَموا فى أسوأَ حالٍ وأتْعَسِه؛ يُتَخَطَّفُون مِن كلِّ جانبٍ، ويُقْتَلون مِن كلِّ فَجٍّ، حتى وصَلوا إلى الفُراتِ، فغرِق أكثرُهم، ونزَل إليهم أهلُ البِيرةِ، فقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا، وأسَروا آخَرين، والجيوشُ فى آثارِهم يَطْرُدونهم عن البلادِ، حتى أراح اللّهُ منهم الناسَ.

وقد اسْتُشْهد فى هذه الوَقْعةِ جَماعةٌ مِن ساداتِ الأمراءِ؛ منهم الأميرُ الكبيرُ الحاجُّ عزُّ الدينِ أَزْدَمُر الجَمَدَارُ[4]، وهو الذى جرَح ملكَ التَّتارِ يومَئذٍ مَنْكُوتَمُر،

---

(١) فى الأصل: «بملك».

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى م: «شقف». والشَّعَف: جمع الشَّعَفة، وهى الخُصْلة فى أعلى الرأس. انظر تاج العروس (ش ع ف).

(٤) الحاج: من ألقاب مَقَدَّمى الدولة ومِهْتارية البيوت ومن فى معناهم وإن لم يكن قد حج. والجمدار: هو الذى يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه، وأصله جاما دار فحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم استثقالا وقيل جَمَدار. صبح الأعشى ٥/ ٤٥٩، ٦/ ١١.

فإنه خاطَر بنفسِه ، وأوهم أنه مُقْفِزٌ إليه ، وقلَب رمحَه حتى وصَل إليه ، فطعَنه فجرَحه ، فقتَلوه ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ودُفِن بالقربِ مِن مشهدِ خالدٍ .

وخرَج السلطانُ مِن دمشقَ قاصدًا الديارَ المصريةَ يومَ الأحدِ ثانى شعبانَ ، والناسُ يَدْعُون له ، [١٠/٩٣و] وخرَج معه عَلَمُ الدينِ الدَّوَاداريُّ ، ثم عاد مِن غَزَّةَ ، وقد ولَّاه الشَّدَّ[1] فى الشامِ والنظرَ فى المَصالحِ ، ودخَل السلطانُ إلى مصرَ فى (٢ثانى عشَرَ٢) شعبانَ .

وفى سَلْخِ شعبانَ وُلِّى قَضاءُ مصرَ والقاهرةِ للقاضى وَجِيهِ الدينِ البَهْنَسِىِّ الشافعىِّ .

وفى يومِ الأحدِ سابع رمضانَ فُتِحَت المدرسةُ الجَوْهَريةُ بدمشقَ فى حياةِ مُنْشِئِها وواقفِها الشيخِ نجمِ الدينِ محمدِ بنِ عباسِ بنِ أبى المكارِمِ التَّمِيمىِّ الجوهرىِّ ، ودرَّس بها قاضى الحَنَفيةِ حُسامُ الدينِ الرازىُّ .

وفى بُكْرةِ يومِ السبتِ التاسع والعشرين مِن شعبانَ وقَعَت مِئْذَنةُ مدرسةِ أبى عمرَ بقاسِيونَ على المسجدِ العَتيقِ ، فمات شخصٌ واحدٌ ، وسلَّم اللَّهُ تعالى بقيةَ الجَماعةِ .

وفى عاشرِ رمضانَ وقَع بدمشقَ ثلجٌ عظيمٌ وبَرَدٌ كثيرٌ مع هَواءٍ شَديدٍ ، بحيث إنه ارْتَفَع عن الأرضِ نحوًا مِن ذراعٍ ، وفسَدَت الخَضْراواتُ ، وتعَطَّلت على الناسِ مَعايشُ كثيرةٌ .

---

(١) فى م : « المشد » .
(٢ - ٢) فى نهاية الأرب ٣١/ ٣٦: « الثانى والعشرين » .

وفى شوالٍ وصَل صاحبُ سِنْجارَ إلى دمشقَ مُقْفِرًا مِن التَّتارِ داخلًا فى طاعةِ السلطانِ بأهلِه ومالِه ، فتلَقَّاه نائبُ البلدِ ، وأكْرَمه وسيَّره إلى مصرَ مُعَزَّزًا مُكَرَّمًا .

وفى شوالٍ عُقِد مجلسٌ بسببِ أهلِ الذِّمَّةِ من الكُتّابِ الذين كانوا قد أسلَموا كُرْهًا ، وقد كتَب لهم جَماعةٌ مِن المُفْتِين بأنهم كانوا مُكْرَهِين ، فلهم الرجوعُ إلى دينِهم ، وأُثْبِت الإكْراهُ بينَ يدى القاضى جَمالِ الدينِ بنِ أبى يعقوبَ المالكيِّ ، فعاد أكثرُهم إلى دينِهم ، وضُرِبَت عليهم الجزيةُ كما كانوا ، سوَّد اللَّهُ وجوهَهم يومَ تَبْيَضُّ وُجوهٌ وتَسْوَدُّ وُجوهٌ . وقيل : إنهم غرِموا مالًا جَزيلًا ، جملةً مُسْتَكْثَرَةً على ذلك ، قبَّحهم اللَّهُ .

وفى ذى القَعْدةِ قبَض السلطانُ على أَيْتَمُش السعدىِّ ، وسجَنه بقلعةِ الجبلِ ، وقبَض نائبُه بدمشقَ على سيفِ الدينِ بَلَبَانَ الهارُونىِّ وسجَنه بقلعتِها .

وفى بُكْرةِ الخميسِ التاسعِ[(١)] والعشرين مِن ذى القَعْدةِ ، وهو العاشرُ[(٢)] مِن آذارَ ، اسْتَسْقَى الناسُ بالمُصَلَّى بدمشقَ ، فسُقُوا بعدَ عشَرةِ أيامٍ . وفى هذه السنةِ أخْرَج الملكُ المنصورُ جميعَ آلِ الملكِ الظاهرِ مِن النساءِ والوِلْدانِ والخُدَّامِ مِن الديارِ المصريةِ إلى الكَرَكِ ليَكُونوا فى كَنَفِ الملكِ المسعودِ خَضِرِ بنِ الظاهرِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أَبْغَا ملكُ التَّترِ بنُ هُولَاكُوقان بنِ تُولى بنِ جِنْكِزْخان[(٣)] ، كان عالىَ الهِمَّةِ ،

---

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٩٩: «الثامن».

(٢) فى المصدر السابق: «الثانى عشر».

(٣) تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر ص ٢ ، وذيل مرآة الزمان ٤/ ١٠٠، والعبر ٥/ ٣٢٨، والوافى بالوفيات ٦/ ١٨٧، والسلوك ١/ ٧٠٤ (القسم الثالث)، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٦.

بعيدَ الغَوْرِ ، له رأىٌ وتدبيرٌ ، وبلَغ مِن العمرِ خمسين سنةً ، ومدةُ مُلْكِه ثمانى عشْرَةَ سنةً ، ولم يَكُنْ بعدَ والدِه فى التَّدْبيرِ والحَزْمِ مثلُه ، ولم تَكُنْ وَقْعةُ حِمْصَ هذه برأيِه ولا عن مَشورتِه ، ولكن أخوه مَنْكُوتَمُر أحَبَّ ذلك ، فلم يُخالِفْه .

ورأيْتُ فى بعضِ تَواريخِ البَغادِدةِ أن قدومَ مَنْكُوتَمُر إلى الشامِ إنما كان عن مُكاتَبةِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ إليه . فاللَّهُ أعلمُ . وقد جاء أَبْغَا هذا بنفسِه فنزَل قريبًا مِن الفُراتِ لينظرَ ماذا يَكُونُ مِن الأمرِ ، فلما جرَى عليهم ما جرَى ساءه ذلك ، ومات غَمًّا وحُزْنًا . تُوُفِّى بينَ العِيدَيْن مِن هذه السنةِ ، وقام فى الملكِ بعدَه ولدُه[(١)] السلطانُ أحمدُ .

قاضى القُضاةِ نَجْمُ الدينِ أبو بكرِ بنُ قاضى القُضاةِ صَدْرِ الدينِ أحمدَ بنِ قاضى القُضاةِ شمسِ الدينِ يحيى بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ الحسنِ بنِ يحيى بنِ محمدِ ابنِ [١٠/٩٣ظ] **علىٍّ الشافعىُّ ، ابنُ سَنِىِّ الدولةِ**[(٢)] ، وُلِد سنةَ ستَّ عشْرَةَ وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، وبرَع فى المَذْهَبِ ، وناب عن أبيه وشُكِرَت سِيرتُه ، واسْتَقَلَّ بالقَضاءِ فى الدولةِ المُظَفَّريةِ ، فحُمِد أيضًا ، وكان الشيخُ شِهابُ الدينِ يَنالُ منه ومِن أبيه[(٣)] ، وقال البِرْزالىُّ : كان شديدًا فى الأحكامِ مُتَحَرِّيًا ، وقد أُلْزِم بالمُقامِ بمصرَ ، فدرَّس بجامعِ مصرَ ، ثم عاد إلى دمشقَ ، فدرَّس بالأمِينيةِ والرُّكْنيةِ ، وباشَر قضاءَ حلَبَ ، وعاد إلى دمشقَ ، وولَّاه سَنْجَرُ قَضاءَ دمشقَ ، ثم عُزِل بابنِ خَلِّكانَ كما تقدَّم ، ثم كانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ ثامِنَ المحرمِ ، ودُفِن مِن

---

(١) كذا فى الأصل ، م . والصواب أنه أخوه . وانظر ترجمته فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢١١، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٢٧، والعبر ٥/ ٣٤٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٣، ونهاية الأرب ٣١/ ٨٤، والعبر ٥/ ٣٣٠، والوافى بالوفيات ٢/ ١٢٩، وتذكرة النبيه ١/ ٦٦، والسلوك ١/ ٧٠٤ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٢٩٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٧.

(٣) انظر الذيل على الروضتين ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

الغدِ يومَ تاسُوعاءَ بتُربةِ جدِّه بقاسِيونَ .

وفى عاشرِ المحرمِ **تُوُفِّى قاضى القُضاةِ صدرُ الدينِ عمرُ بنُ القاضى تاجِ الدينِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ خلفِ بنِ أبى القاسمِ العَلَامِىُّ**(١) ، **ابنُ بنتِ الأعَزِّ المصرىُّ** ، كان فاضلًا بارعًا عارفًا بالمذهبِ ، مُتَحَرِّيًا فى الأحكامِ كأبيه ، ودُفِن بالقَرافةِ .

الشيخُ إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الشاغُورِىُّ المُوَلَّهُ المعروفُ بالجَيْعانةِ(٢) ، كان مشهورًا بدمشقَ ، ويُذْكَرُ له أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ على ألْسنةِ العَوامِّ ومَن لا يَعْقِلُ ، ولم يَكُنْ ممَّن يُحافِظُ على الصَّلَواتِ ، ولا يَصومُ مع الناسِ ، ومع هذا كان كثيرٌ مِن العَوامِّ وغيرِهم يَعْتَقِدونه ! تُوُفِّى يومَ الأحدِ سابعَ جُمادَى الأولى ، ودُفِن بتربةِ المُوَلَّهِين بسفحِ قاسِيونَ عندَ الشيخِ يوسُفَ القَمِينِىِّ(٣) ، وقد تُوُفِّى الشيخُ يوسُفُ قبلَه بمدةٍ ، وكان الشيخُ يوسُفُ يَسْكُنُ قَمِينَ حمامِ نورِ الدينِ الشهيدِ بالبُزُورِيِّين ، وكان يَجْلِسُ على النَّجاساتِ والقَذَرِ ، وكان يَلْبَسُ ثيابًا بَداوِيةً تَجْحَفُ على النجاساتِ فى الأَزِقَّةِ ، وكان له قَبولٌ مِن الناسِ ومحبةٌ وطاعةٌ ، وكان العَوامُّ يُغالُون فى محبتِه واعْتقادِه ، وكان لا يُصَلِّى ولا يَتَّقِى نَجاسةً ، ومَن جاءه زائرًا جلَس عندَه بالقَمِينِ على النجاسةِ ، وكان العَوامُّ يَذْكُرون له مُكاشَفاتٍ

---

(١) فى الأصل : « الغلامى » . ولعله تصحيف ، وفى م : « الغلابى » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١١٩، والعبر ٥/ ٣٢٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣١٠، وتذكرة النبيه ١/ ٦٧، والسلوك ١/ ٦٨٧، ٧٠٤ (القسم الثالث) ، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٧.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٠٠- وفيه : « المولد المعروف بجيفانة » - والعبر ٥/ ٣٢٨، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٨، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٦.

(٣) فى م : « القيمينى » . وتقدمت ترجمته فى صفحة ٣٩٠ فى وفيات سنة سبع وخمسين وستمائة .

وكَراماتٍ ، وكلُّ ذلك خُرافاتٌ مِن خُرافاتِ العَوامِّ وأهلِ الهَذَيانِ ، كما يَعْتَقِدون ذلك فى غيرِه مِن المَجانينِ والمُوَلَّهِين . ولما مات الشيخُ يوسفُ القَمِينىُّ خرَج فى جِنازتِه خلقٌ كثيرٌ مِن العَوامِّ وغيرِهم ، وكانت جنازتُه حافلةً بهم ، وحُمِل على أعْناقِ الرجالِ إلى سفحِ قاسِيونَ ، وبينَ يديه غَوْغاءُ وغوشٌ كثيرٌ وتَهْليلٌ وأمورٌ لا تَجوزُ مِن فعلِ العَوامِّ ، حتى جاءوا به إلى تربةِ المُوَلَّهين بقاسِيونَ فدفَنوه بها ، وقد اعْتَنَى بعضُ العَوامِّ بقبرِه ، فعمِل عليه حِجارةً مَنْقوشةً ، وعمِل على قبرِه سَقْفًا مُقَرْنصًا[(١)] بالدِّهانِ وأنواعِه ، وعمِل عليه مَقْصورةً وأبوابًا ، وغالَى فيه مُغالاةً زائدةً ، ومكَث هو وجماعةٌ مُجاوِرون عندَ قبرِه مدةً فى قراءةٍ وتَهْليلٍ ، ويُطبَخُ لهم الطَّبيخُ فيأْكُلون ويَشْرَبون هناك . والمقصودُ أن الشيخَ إبراهيمَ الجَيْعانةَ لما مات الشيخُ يوسفُ القَمِينىُّ جاء مِن الشاغورِ إلى بابِ الصغيرِ فى جماعةٍ مِن أتْباعِه ، وهم فى صُراخٍ وضَجَّةٍ وغوشٍ كثيرٍ ، وهم يقولون : أُذِن لنا فى دخولِ البلدِ ، أُذِن لنا فى دخولِ البلدِ . يُكَرِّرون ذلك ، فقيل له فى ذلك ، فقال : لى عشرون سنةً ما دخَلْتُ داخلَ سُورِ[(٢)] دمشق ؛ لأنى كلما أتَيْتُ بابًا[١٠/٩٤و] مِن أبوابِها أَجِدُ هذا السَّبُعَ رابضًا بالبابِ ، فلا أَسْتَطِيعُ الدخولَ خوفًا منه ، فلما مات أُذِن لنا فى الدخولِ . وهذا كلُّه تَرْويجٌ على الطَّغامِ والعَوامِّ مِن الهَمَجِ الرَّعاعِ ، الذين هم أتباعُ كلِّ ناعقٍ ، وقيل : إن الشيخَ يوسفَ كان يُرسلُ إلى الجيعانةِ مما يأتيه من الفتوحِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ بأحوالِ عبادِه ، وإليه المُنْقَلَبُ والمآبُ ، وعليه الحِسابُ .

---

(١) سقف مقرنس - بالسين - عُمِل على هيئة السُّلَّم . تاج العروس (قرنس ، قرنص) .
(٢) فى الأصل : « صور » .

وقد ذكَرْنا أنه اسْتُشْهِد فى وَقْعةِ حِمْصَ جَماعةٌ مِن الأمراءِ منهم **الأميرُ عزُّ الدينِ أَزْدَمُر السِّلَحْدارُ**[1] عن نحوٍ مِن ستين سنةً ، وكان مِن خِيارِ الأمراءِ ، وله همَّةٌ عاليةٌ يَنْبَغى أن يَنالَ بها مكانًا عاليًا فى الجنةِ .

قاضى القُضاةِ تَقىُّ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ رَزِينِ بنِ موسى العامرىُّ الحَمَوىُّ الشافعىُّ[2] ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وستِّمائةٍ ، وقد سمِع الحديثَ ، وانْتَفَع بالشيخِ تَقىِّ الدينِ بنِ الصلاحِ ، وأَمَّ بدارِ الحديثِ مدةً ، ودرَّس بالشاميةِ ، وولِى وَكالةَ بيتِ المالِ بدمشقَ ، ثم سار إلى مصرَ ، فدرَّس بها بعدةِ مَدارسَ ، وولِى الحكمَ بها ، وكان مَشكورًا ، تُوُفِّى ليلةَ الأحدِ ثالث رجبٍ منها ، ودُفِن بالمُقَطَّمِ .

وفى يومِ السبتِ الرابعِ والعشرين مِن ذى القَعْدةِ تُوُفِّى **الملكُ الأشْرَفُ مُظَفَّرُ الدينِ موسى** بنُ الملكِ الزاهرِ مُحْيِى الدينِ داودَ بنِ الملكِ المُجاهِدِ[3] أسدِ الدينِ شِيرْكُوه بنِ الناصرِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ أسدِ الدينِ شِيرْكُوه بنِ شاذى بنِ صاحبِ حمصَ ، ودُفِن بتربتِهم بقاسِيونَ .

وفى ذى القَعْدةِ **تُوُفِّى الشيخُ جمالُ الدينِ الإسْكَنْدرىُّ الحاسبُ بدمشقَ** ، وكان له مكتبٌ تحتَ مَنارةِ فيروزَ[4] ، وقد انْتَفَع به خلقٌ كثيرٌ ، وكان شيخَ

---

(١) فى م : « السلحدارى » . وتقدم فى صفحة ٥٧٦ أنه جَمَدار . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٠٥، ونهاية الأرب ٣١/ ٣٧، والعبر ٥/ ٣٢٨، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٧٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٦.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٤، والعبر ٥/ ٣٣١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٥، والوافى بالوفيات ٣/ ١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٤٦، والسلوك ١/ ٧٠٤ (القسم الثالث) ، والدليل الشافى ٢/ ٦١٦.

(٣) بعده فى م : « بن » . وانظر مصادر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٨، وعقد الجمان ٢/ ٢٩١.

(٤) فى م : « كيروز » .

الحِسابِ فى وقتِه ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ عَلَمُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ الإمامِ أبى علىٍّ الحسينِ بنِ عتيقِ[1] **ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَشِيقٍ الرَّبَعىُّ المالكىُّ المصرىُّ** ، ودُفِن بالقَرافةِ ، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ ، وقد كان فَقيهًا مُفْتِيًا ، سمِع الحديثَ ، وبلَغ خمسًا وثمانين سنةً .

وفى يومِ الاثنين الخامسِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ تُوُفِّى **الصَّدْرُ الكبيرُ** [(2)] **شمسُ الدينِ** [2)] **أبو الغَنائمِ المُسْلِمُ بنُ**[3] **محمدِ بنِ المُسْلِمِ بنِ**[3] **مَكِّىِّ بنِ خلفِ بنِ عَلّانَ**[4] **القَيْسىُّ الدمشقىُّ** ، مَوْلدُه سنةَ أربعٍ وتسعين ، وكان مِن الرُّؤساءِ الكِبارِ وأهلِ البُيوتاتِ ، وقد ولِى نظرَ الدواوينِ بدمشقَ وغيرَ ذلك ، ثم ترَك ذلك كلَّه ، وأقْبَل على العبادةِ وكتابةِ الحديثِ ، وكان يَكْتُبُ سَريعًا ؛ يَكْتُبُ فى اليومِ الواحدِ ثلاثَ كَرارِيسَ ، وقد أسْمَع « مسندَ الإمامِ أحمدَ » ثلاثَ مراتٍ ، وحدَّث « بصحيحِ مسلمٍ » و « جامعِ الترمذىِّ » وغيرِ ذلك ، وسمِع منه البِرْزالىُّ والمِزِّىُّ وابنُ تَيْمِيةَ ، ودُفِن مِن يومِه بسفحِ قاسِيونَ عن ستٍّ وثمانين سنةً ، رحِمهم اللَّهُ جميعًا .

الشيخُ صَفِىُّ الدِّينِ [(5)] **أبو القاسمِ** [5)] **بنُ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ محمدٍ التَّمِيمىُّ الحنفىُّ** ، شيخُ الحنفيةِ بِبُصْرَى ، ومدرسُ الأَمِينيةِ بها مدةَ سِنينَ كثيرةٍ ، كان

---

(1) فى الأصل ، م ، وعقد الجمان ٢/ ٢٩١: « عيسى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ نهاية الأرب ٣١/ ٨٤، والوافى بالوفيات ٣/ ١٩، والديباج المذهب ٢/ ٣٢٢، والدليل الشافى ٢/ ٦١٦.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر مصادر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٥، والعبر ٥/ ٣٣٢، وتذكرة النبيه ١/ ٦٩، والسلوك ١/ ٧٠٥ (القسم الثالث) ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٩.

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « غيلان » .

(٥ - ٥) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٠: « القاسم » . وانظر ترجمته أيضا فى الجواهر المضية ٤/ ١١٣.

بارعًا فاضلًا عالمًا عابدًا مُنْقَطِعًا عن الناسِ ، وهو والدُ قاضى القُضاةِ صدرِ الدينِ علىٍّ ، وقد عُمِّر دهرًا طويلًا ، فإنه وُلِد فى سنةِ (1) ثلاثٍ وثمانين وخمسِمائةٍ (1) ، وتُوُفِّى ليلةَ نصفِ شعبانَ مِن هذه السنةِ عن سبعٍ (2) وتسعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

(1 - 1) فى ذيل مرآة الزمان 4/ 120: «ثمان وستمائة».
(2) فى الأصل، م: «تسع». والمثبت من الجواهر المضية.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة[1]

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله، والسلطان الملك المنصور قلاوون.

[١٠/٩٤ظ] وفيها أرسل ملك التتر أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقن الدماء فيما بينهم، وجاء فى الرسلية الشيخ قطب الدين الشيرازى أحد تلاميذ النصير الطوسى، فأجاب المنصور إلى ذلك، وكتبت المكاتبات إلى ملك التتر بذلك.

وفى مستهل صفر قبض السلطان على الأمير الكبير بدر الدين بيسرى السعدى، وعلى الأمير علاء الدين السعدى الشمسى أيضا.

وفيها[2] درس القاضى بدر الدين بن جماعة بالقيمرية، والشيخ شمس الدين ابن الصفى الحريرى بالفرخشاهية[3]، وعلاء الدين بن الزملكانى بالأمينية.

وفى يوم الاثنين الحادى عشر من رمضان وقع حريق باللبادين[4] عظيم، وحضر نائب السلطنة إذ ذاك الأمير حسام الدين لاجين السلحدار وجماعة كثيرة

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/١٤١ - ١٤٩، ونهاية الأرب ٣١/٨٧، ٩٢، وكنز الدرر ٨/٢٤٩ - ٢٦٠، والعبر ٥/٣٣٣، وتذكرة النبيه ١/٧٢ - ٧٥، والسلوك ١/٧٠٦ - ٧١١ (القسم الثالث).

(٢) الدارس ١/ ١٩١، ٥٦٤.

(٣) فى م: «بالسرحانية».

(٤) اللبادين: موضع بدمشق مشرف على باب جيرون. معجم البلدان ٤/ ٣٤٥.

مِن الأمراءِ، وكانت ليلةً هائلةً جدًّا وقَى اللَّهُ تعالى شرَّها، واسْتَدْرَك بعدَ ذلك أمْرَها القاضى محيى[1] الدينِ بنُ النَّحَّاسِ ناظرُ الجامعِ، فأصْلَح الأمرَ، وسدَّ وأعاد البناءَ أحسنَ مما كان، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الشيخُ الصالحُ بَقيةُ السلفِ بُرْهانُ الدينِ أبو إسحاقَ بنُ الشيخِ صَفِيِّ الدينِ أبى الفِدا إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ يحيى بنِ علوى بنِ الرَّضِيِّ الحَنَفىُّ[2]، إمامُ العِزِّيَّةِ[3] بالكُشْكِ. وسَمِع مِن جَماعةٍ منهم الكِنْدىُّ و ابنُ الحَرَسْتانىِّ، ولكن لم يَظْهَرْ سَماعُه منهما إلا بعدَ وفاتِه، وقد أجاز له أبو جعفرٍ[4] الصَّيْدَلانىُّ وعَفِيفةُ الفارِقانيةُ وابنُ المُنادِى، وكان رجلًا صالحًا مُحِبًّا لإسْماعِ الحديثِ، كثيرَ البِرِّ بالطلبةِ له، وقد قرَأ عليه الحافظُ جَمالُ الدينِ المِزِّىُّ «مُعْجَمَ الطَّبَرانىِّ الكبيرَ»، وسمِعه منه بقراءةِ الحافظِ البِرْزالىِّ وجَماعةٌ كثيرون. وكان مولدُه فى سنةِ تسعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ، وتُوُفِّى يومَ الأحدِ سابع صفرٍ، وهو اليومُ الذى قدِم فيه الحُجَّاجُ إلى دمشقَ مِن الحجازِ، وكان هو معهم، فمات بعدَ اسْتِقْرارِه بدمشقَ.

القاضى أمينُ الدينِ الأَشْتَرِىُّ[5] **أبو العباسِ أحمدُ بنُ شمسِ الدينِ أبى**

---

(١) فى م: «نجم».

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٨، والعبر ٥/ ٣٣٥، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٢٧، والجواهر المضية ١/ ٧٢، والمنهل الصافى ١/ ٣٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٦.

(٣) فى م: «المعزية». والمراد بالعزية: المدرسة العزية الجوانية، نسبة إلى عز الدين أيبك المعظمى. انظر الدارس ١/ ٥٥٥.

(٤) فى م: «نصر».

(٥) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٦٥، والعبر ٥/ ٣٣٤، والوافى بالوفيات ٧/ ١٢٤، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٤٥٤، والدليل الشافى ١/ ٥٥.

بكرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الجبَّارِ بنِ طَلْحةَ الحلَبىُّ ، المعروفُ بالأَشْتَرِىِّ ، الشافعىُّ المُحَدِّثُ ، سمِع الكثيرَ وحصَّل ، ووقَف أجْزاءً بدارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ . (١تُوُفِّى بالخانَقاه الأندلسيةِ يومَ الخميسِ الرابعِ والعشرين من ربيعٍ الأولِ عن ستٍّ وستين سنةً١) ، وكان الشيخُ مُحْيِى الدينِ النَّووىُّ يُثْنى عليه ، ويُرْسِلُ إليه الصِّبْيانَ ليَقْرَءوا عليه فى بيتِه ؛ لأمانتِه عندَه وصيانتِه ودِيانتِه .

الشيخُ بُرْهانُ الدينِ أبو الثَّناءِ محمودُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ المَراغىُّ الشافعىُّ[٢] ، مُدَرِّسُ الفَلَكيةِ ، كان فاضلًا بارعًا ، عُرِض عليه القَضاءُ فلم يَقْبَلْ ، تُوُفِّى يومَ الجمعةِ الثالثِ والعشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ عن ستٍّ وسبعين سنةً ، وسمِع الحديثَ وأسْمَعه ، ودرَّس بعدَه بالفَلَكيةِ القاضى بَهاءُ الدينِ بنُ الزَّكِىِّ .

القاضى الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ القُرَّاءِ زَيْنُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ السلامِ ابنُ علىِّ بنِ عمرَ الزَّوَاوِىُّ المالكىُّ[٣] ، قاضى قُضاةِ المالكيةِ بدمشقَ ، وهو أولُ مَن باشَر القَضاءَ بها ، وعزَل نفسَه عنه تَوَرُّعًا وزَهادةً ، واسْتَمَرَّ بلا وِلايةٍ ثمانَ سنينَ ، ثم كانت وفاتُه ليلةَ الثلاثاءِ ثامنَ رجبٍ منها عن ثلاثٍ وثمانين سنةً ، وقد سمِع الحديثَ ، واشْتَغل [١٠/٩٥و] على السَّخاوىِّ وابنِ الحاجبِ .

الشيخُ صَلاحُ الدينِ محمدُ بنُ القاضى شمسِ الدينِ علىِّ بنِ محمودِ بنِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٧٧، والعبر ٥/ ٣٣٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٦٩، وتذكرة النبيه ١/ ٧٧، والسلوك ٧١١/١ (القسم الثالث)، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٦، والدارس ١/ ٢٢٢، ٤٣٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٧٣، ونهاية الأرب ٣١/ ٩٢، والعبر ٥/ ٣٣٥، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٣١، ومرآة الجنان ٤/ ١٩٧،وتذكرة النبيه ١/ ٧٦، والدليل الشافى ١/ ٤١٣، وغاية النهاية ١/ ٣٨٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٤.

عليٍّ[1] **الشَّهْرُزُورِىُّ** ، مدرسُ القَيْمُريةِ وابنُ مُدَرِّسِها ، تُوُفِّى فى أواخِرِ رجبٍ ، وتُوُفِّى أخوه شرفُ الدينِ بعدَه بشهرٍ ، ودرَّس بالقَيْمُريةِ بعدَ الصلاحِ المذكورِ القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ .

ابنُ خَلِّكانَ قاضى القُضاةِ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أبى بكرِ بنِ خَلِّكانَ الإرْبِلىُّ الشافعىُّ[2] ، أحدُ الأئمةِ الفُضلاءِ ، والسادةِ العلماءِ ، والصدورِ الرؤساءِ ، وهو أولُ مَن جُدِّد فى أيامِه قَضاءُ القُضاةِ مِن سائرِ المذاهبِ ، فاستَقلُّوا[3] بالأحكامِ بعدَ ما كانوا نُوابًا له ، وقد كان المَنْصِبُ بينَه وبينَ ابنِ الصائغِ دُوَلًا ؛ يُعْزَلُ هذا تارةً ويُوَلَّى هذا ، ويُعْزَلُ هذا ويُوَلَّى هذا ، وقد درَّس ابنُ خَلِّكانَ فى عِدةِ مدارسَ لم تُجْمَعْ لغيرِه ، ولم يَبْقَ معه فى آخرِ وقتِه سوى الأمِينيةِ ، وبيدِ ابنِه كَمالِ الدينِ موسى النَّجِيبيةُ . تُوُفِّى ابنُ خَلِّكانَ بالمدرسةِ النَّجِيبيةِ المذكورةِ بإيوانِها يومَ السبتِ آخِرَ النهارِ ، فى السادسِ والعشرين مِن رجبٍ ، ودُفِن مِن الغدِ بسفحِ قاسِيونَ عن ثلاثٍ وسبعين سنةً ، وقد كان يَنْظِمُ نَظْمًا حسنًا رائقًا ، وقد كانت مُحاضَرتُه فى غايةِ الحسنِ ، وله التاريخُ المُفِيدُ الذى رسمَه « بوَفَياتِ الأعْيانِ » مِن أبْدَعِ المُصَنَّفاتِ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

---

(١) بعده فى الأصل : « بن محمود بن » وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٧٥، والوافى بالوفيات ٤/ ١٩٠، والدارس ١/ ٤٤٣.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٩، ونهاية الأرب ٣١/ ٩٣، وكنز الدرر ٨/ ٢٦٠، والعبر ٥/ ٣٣٤، وفوات الوفيات ٢/ ٤٢٠، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٠٨، ومرآة الجنان ٤/ ١٩٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٣، والسلوك ٧١١/١ (القسم الثالث)، والدارس ١/ ١٩١.

(٣) فى م : « فاشتغلوا » .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وثمانين وستّمائةٍ

فيها[1] قدِم الملكُ المنصورُ إلى دمشقَ فى يومِ الجمعةِ سابع رجبٍ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وكان يومًا مشهودًا .

وفيها ولِى الخَطابةَ بدمشقَ الشيخُ عبدُ الكافى بنُ عبدِ الملكِ بنِ عبدِ الكافى ، عِوَضًا عن مُحْيى الدينِ بنِ الحَرَسْتانىِّ الذى تُوُفِّى فيها كما سيَأْتى ، وخطَب يومَ الجمعةِ الحادى والعشرين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ . وفى هذا اليومِ قبلَ الصلاةِ احْتِيط على القاضى عزِّ الدينِ بنِ الصائغِ بالقلعةِ ، وأَثْبَت ابنُ الحُصْرىِّ نائبُ الحنفىِّ مَحْضَرًا يَتَضَمَّنُ أن عندَه وَدِيعةً بمِقْدارِ ثمانيةِ آلافِ دينارٍ مِن جهةِ ابنِ الإسْكافِ ، وكان الذى أثار ذلك شخصٌ قدِم مِن حلبَ يُقالُ له : تاجُ الدينِ بنُ السِّنْجارىِّ . وولِى القَضاءَ بعدَه بَهاءُ الدينِ يوسفُ بنُ مُحْيى الدينِ بنِ الزَّكىِّ ، وحكَم يومَ الأحدِ ثالث وعشرين رجبٍ ، ومنَع الناسَ مِن زيارةِ ابنِ الصائغِ ، وسعَى فى إثباتِ مَحْضَرٍ آخَرَ أن عندَه وَدِيعةً بقيمةِ خمسةٍ وعشرين ألفَ دينارٍ للصالحِ إسماعيلَ بنِ أسدِ الدينِ ، وقام فى ذلك ابنُ الشاكرىِّ والجَمالُ بنُ الحَمَوىِّ وآخرون ، وتكَلَّموا فى قضيةٍ ثالثةٍ ، ثم عُقِد له مجلسٌ نالَه فيه شدةٌ شديدةٌ ، وتعَصَّبوا عليه ، ثم أُعِيد إلى اعْتِقالِه ، وقام فى صفِّه نائبُ السَّلْطنةِ حُسامُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١٧٩/٤ - ١٨٢، ونهاية الأرب ٩٥/٣١ - ١١٣، وكنز الدرر ٨/ ٢٦١، ودول الإسلام ٢/ ١٨٥، وتذكرة النبيه ١/ ٨٠، ٨١، والسلوك ٧١٢/١ (القسم الثالث).

الدينِ لاجِين وجَماعةٌ مِن الأمراءِ، فكلَّموا فيه السلطانَ، فأطْلَقه وخرَج إلى منزلِه، وجاء الناسُ إلى تهنئتِه يومَ الاثنينِ الثالث والعشرين مِن شعبانَ، وانْتَقَل مِن العادليةِ إلى دارِه بدَرْبِ النَّقَّاشةِ، وكان عامَّةُ جلوسِه فى المسجدِ تُجاهَ دارِه.

وفى رجبٍ باشر حسبةَ دمشقَ جمالُ الدينِ بنُ صَصْرَى.

وفى شعبانَ درَّس الخطيبُ جَمالُ الدينِ بنُ عبدِ الكافى بالغَزَّاليةِ عِوَضًا عن الخطيبِ بنِ الحَرَسْتانىِّ، وأُخِذ منه [١٠/٩٥ظ] الدَّوْلَعيةُ لكَمالِ الدينِ بنِ النَّجَّارِ، الذى كان وَكيلَ بيتِ المالِ، ثم أخَذ شمسُ الدينِ الإرْبلىُّ تَدْريسَ الغَزَّاليةِ مِن ابنِ عبدِ الكافى المذكورِ.

وفى آخرِ شعبانَ باشَر نيابةَ الحكمِ عن ابنِ الزَّكىِّ شرفُ الدينِ أحمدُ بنُ نِعْمةَ المقدسىُّ أحدُ أئمةِ الفُضلاءِ وساداتِ العلماءِ المُصَنِّفين، ولما تُوُفِّى أخوه شمسُ الدينِ محمدٌ فى شوالٍ ولِى مكانَه تدريسَ الشاميةِ البَرَّانيةِ، وأُخِذَت منه العادليةُ الصغيرةُ، فدرَّس فيها القاضى نجمُ الدينِ أحمدُ بنُ صَصْرَى التَّغْلِبىُّ فى ذى القَعْدةِ، وأُخِذَت مِن شرفِ الدينِ أيضًا الرَّواحيةُ، فدرَّس فيها نجمُ الدينِ البيانىُّ نائبُ الحكمِ، رحِمهم اللَّهُ أجْمَعين.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الصدرُ الكبيرُ عمادُ الدينِ أبو الفضلِ[1] محمدُ بنُ القاضى شمسِ الدينِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٩٨، ونهاية الأرب ٣١/ ١١٣، ودول الإسلام ٢/ ١٨٥، والوافى بالوفيات ١/ ٢٠١، وتذكرة النبيه ١/ ٨٢، والسلوك ٧١٨/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣١١، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨٠.

أبى نصرِ محمدِ بنِ هبةِ اللّهِ بنِ الشِّيرازىِّ، صاحبُ الطَّريقةِ المَنْسوبةِ فى الكِتابةِ، سمِع الحديثَ، وكان مِن رؤساءِ دمشقَ وأعْيانِها، تُوُفِّى فى صَفَرٍ منها.

شيخُ الجبلِ الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ الإسلامِ شمسُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ الشيخِ أبى عمرَ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قُدامةَ الحَنْبلىُّ[1]، أولُ مَن ولِى قَضاءَ الحَنابلةِ بدمشقَ - ثم تركَه وتولَّاه ابنُه نَجْمُ الدينِ - وتَدْريسَ الأشْرفيةِ بالجبلِ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ، وكان مِن علماءِ الناسِ وأكثرِهم دِيانةً فى عصرِه وأمانةً، مع هَدْىٍ صالحٍ وسَمْتٍ حسنٍ، وخُشوعٍ ووَقارٍ. تُوُفِّى ليلةَ الثلاثاءِ سَلْخَ ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ، عن خمسٍ وثمانين سنةً، ودُفِن فى مَقْبرةِ والدِه، رحِمهم اللّهُ.

ابنُ جَعْوانَ[2] **العلَّامةُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللّهِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ عباسِ ابنِ جَعْوانَ الأنْصارىُّ الدمشقىُّ**، المُحَدِّثُ الفَقيهُ الشافعىُّ البارعُ فى النحوِ واللغةِ، سمِعْتُ شيخَنا تَقِىَّ الدينِ ابنَ تَيْمِيةَ وشيخَنا الحافظَ أبا الحَجّاجِ المِزِّىَّ يقولُ كلٌّ منهما للآخَرِ: إن هذا الرجلَ قرَأ «مسندَ الإمامِ أحمدَ» - وهما يَسْمَعان - فلم نَضْبِطْ عليه لَحْنَةً مُتَّفَقًا عليها. وناهِيك بهذين ثَناءً على هذا، وهما هما.

---

(1) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٨٦، ونهاية الأرب ٣١/ ١١٦، والوافى بالوفيات ١٨/ ٢٤١، وتذكرة النبيه ١/ ٨١، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٠٤، والسلوك ١/ ٧٢٠ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣١١، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٨، والدارس ١/ ٤٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٦.

(2) فى م: «ابن أبى جفوان». وانظر مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٩٧، والوافى بالوفيات ١/ ٢٠٣، وتذكرة النبيه ١/ ٨٤، وعقد الجمان ٢/ ٣١٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٠، وبغية الوعاة ١/ ٢٢٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨١.

الخطيبُ مُحْيِى الدينِ محمدُ[1] **بنُ الخطيبِ قاضى القُضاةِ عِمادِ الدينِ عبدِ الكريمِ بنِ قاضى القُضاةِ جَمالِ الدينِ بنِ الحَرَسْتانىِّ الشافعىُّ** ، خطيبُ دمشقَ ومدرسُ الغَزَّاليةِ ، كان فاضلًا بارعًا ، أفْتَى ودرَّس وولِى الخِطابةَ والغَزَّاليةَ بعدَ أبيه ، وحضَر جِنازتَه نائبُ السلطنةِ وخلقٌ كثيرٌ ، تُوُفِّى فى جُمادَى الآخِرةِ عن ثمانٍ وستين سنةً ، ودُفِن بقاسِيونَ .

وفى خامسِ رجبٍ تُوُفِّى **الأميرُ الكبيرُ ملكُ عربِ آلِ مِرَى**[2] **أحمدُ بنُ حَجِّى** بمدينةِ بُصْرَى ، وصُلِّى عليه بدمشقَ صلاةُ الغائبِ .

الشيخُ الإمامُ العالمُ شِهابُ الدينِ عبدُ الحَليمِ بنُ الشيخِ الإمامِ العَلَّامةِ مَجْدِ الدينِ (3)**عبدِ السلامِ**(3) **بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى القاسمِ بنِ تَيْمِيةَ الحَرَّانىُّ** ، والدُ شيخِنا العَلَّامةِ العَلَم تَقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيةَ ، مُفْتِى الفِرَقِ ، الفارقُ بينَ الفِرَقِ ، كانت له فضيلةٌ حسنةٌ ، ولديه فوائدُ كثيرةٌ ، وكان له كُرْسِىٌّ بجامعِ دمشقَ يَتَكَلَّمُ عليه عنْ ظهرِ قلبِه ، ولِى مَشْيخةَ دارِ الحديثِ السُّكَّرِيةِ بالقَصَّاعِين ، وبها كان مسكنُه ، ثم درَّس ولدُه الشيخُ تَقىُّ الدينِ بها بعدَه فى السنةِ الآتيةِ ، كما سيَأْتى ، ودُفِن بمقابرِ [١٠/٩٦و] الصُّوفيةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى الأصل ، م : « يحيى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٩٦، والعبر ٥/ ٣٤٠، الوافى بالوفيات ٣/ ٢٨٢، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٤٤٧، وتذكرة النبيه ١/ ٨٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٠، والدليل الشافى ٢/ ٧٧٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨٠.

(٢) فى م : « مثرى » ، وانظر مصادر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٨٣، ونهاية الأرب ٣١/ ١١٧، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٠٤، والسلوك ٧٢١/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢/ ٣١٤- وفيه : « مرين » - والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٧، والمنهل الصافى ١/ ٢٦٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٦.

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « عبد الله » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٨٥، والعبر ٥/ ٣٣٨، وتذكرة النبيه ١/ ٨٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣١٠، وعقد الجمان ٢/ ٣١٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٠، والدارس ١/ ٧٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٦.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وثمانين وستّمائةٍ[1]

فى يومِ الاثنين ثانى المحرمِ منها درَّس الشيخُ الإمامُ العالمُ العَلَّامةُ العَلَمُ تَقىُّ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ الحَليم بنِ عبدِ السلامِ ابنُ تَيْمِيةَ الحَرَّانىُّ بدارِ الحديثِ السُّكَّريةِ التى بالقَصَّاعِين، وحضَر عندَه قاضى القُضاةِ بهاءُ الدينِ بنُ الزَّكِيِّ الشافعىُّ، والشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ شيخُ الشافعيةِ، والشيخُ زَيْنُ الدينِ ابنُ المُرَحِّلِ، وزَيْنُ الدينِ بنُ المُنَجَّا الحنبلىُّ، وكان درسًا هائلًا حافلًا، وقد كتَبه الشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ بخطِّه لكثرةِ فَوائدِه، وكثرةِ ما اسْتَحْسَنه الحاضِرون، وقد أطْنَب الحاضِرون فى شكرِه على حَداثةِ سنِّه وصغرِه، فإنه كان عمرُه إذ ذاك عشرين سنةً وسنتين. ثم جلَس الشيخُ تقىُّ الدينِ المذكورُ أيضًا يومَ الجمعةِ عاشرَ صفرٍ بالجامعِ الأُمويِّ بعدَ صلاةِ الجمعةِ على مِنْبرٍ قد هُيِّئَ له لتفسيرِ القرآنِ العزيزِ، فابْتَدَأ مِن أولِه فى تفسيرِه، وكان يَجْتَمِعُ عندَه الخلقُ الكثيرُ والجَمُّ الغَفيرُ، ومِن كثرةِ ما كان يُورِدُ مِن العلومِ المُتَنَوِّعةِ المُحَرَّرةِ مع الدِّيانةِ والزَّهادةِ والعِبادةِ، سارَت بذكرِه الرُّكْبانُ فى سائرِ الأَقاليمِ والبُلْدانِ، واسْتَمَرَّ على ذلك مدةَ سنينَ مُتَطاوِلةٍ.

وفيها قدِم السلطانُ إلى دمشقَ مِن مصرَ يومَ السبتِ ثانى عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ، فجاء صاحبُ حَماةَ الملكُ المنصورُ إلى خدمتِه، فتَلقاه السلطانُ فى موكبِه وأكْرَمه. فلما كان ليلةُ الأربعاءِ الرابعِ والعشرين مِن شعبانَ وقَع مطرٌ عظيمٌ

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٠١/٤ - ٢٠٦، ونهاية الأرب ١١٩/٣١ - ١٢٤، وكنز الدرر ٢٦٢/٨ - ٢٦٧، وتذكرة النبيه ٨٨/١ - ٩٠، وعقد الجمان ٣٢٣/٢ - ٣٣١.

بدمشقَ ، ورَعْدٌ وبَرْقٌ ، وجاء سيلٌ عظيمٌ جدًّا حتى كسَر أقْفالَ بابِ الفَراديسِ ، وارْتَفَع الماءُ ارْتفاعًا كثيرًا ، بحيث أَغْرَق خلقًا كثيرًا ، وأخَذ جِمالَ الجيشِ المصرىِّ وأثْقالَهم ، فخرَج السلطانُ إلى الديارِ المصريةِ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ ، وتولَّى شَدَّ الدَّواوينِ الأميرُ شمسُ الدينِ سُنْقُرُ عِوَضًا عن الدَّواداريِّ عَلَمِ الدينِ سَنْجَرَ .

وفيها اخْتَلَف التَّترُ فيما بينَهم على ملكِهم السلطانِ أحمدَ ، فعزَلوه عنهم وقتَلوه ، وملَّكوا عليهم السلطانَ أرغون بنَ أَبْغَا ، ونادَوْا بذلك فى جيشِهم ، وتأطَّدَت أحْوالُهم ، ومشَت أمورُهم على ذلك ، وبادَت دولةُ السلطانِ أحمدَ ، وقامت دولةُ أرغون بنِ أَبْغَا .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ طالبٌ الرِّفاعىُّ[1] ، بقصرِ حَجَّاجٍ ، وله زاويةٌ مشهورةٌ به ، وكان يَزُورُ بعضَ المُرِيدِين فمات .

القاضى الإمامُ عزُّ الدينِ أبو المَفاخِرِ محمدُ بنُ شرفِ الدينِ عبدِ القادرِ بنِ عَفِيفِ الدينِ عبدِ الخالقِ بنِ خَليلٍ الأنْصاريُّ الدمشقىُّ[2] ، ولِى قضاءَ القَضاةِ بدمشقَ مرتين، عُزِل به ابنُ خَلِّكانَ ، [3]ثم عُزِل بابنِ خلكانَ[3] ، ثم عُزِل ابنُ خَلِّكانَ به ثانيةً ، ثم عُزِل وسُجِن ووُلِّى بعدَه بَهاءُ الدينِ ابنُ الزَّكىِّ ، وبقِى مَعْزولًا إلى أن تُوُفِّى ببُسْتانِه فى تاسعِ ربيعٍ الأولِ ، وصُلِّى عليه بسوقِ الخيلِ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، وكان مولدُه سنةَ ثمانٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، وكان مَشْكورَ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢١٤، وعقد الجمان ٢/ ٣٣٥.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٣٢، والعبر ٥/ ٣٤٤، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٧٤، وتذكرة النبيه ١/ ٩١، وعقد الجمان ٢/ ٣٣٣.

(٣ - ٣) سقط من: م.

السِّيرةِ ، له عَقْلٌ وتَدْبيرٌ واعْتِقادٌ كثيرٌ فى الصالحين ، وقد سمِع الحديثَ ، (١ وخرَّج ١) له ابنُ بَلَبانَ مَشْيَخةً قرَأها ابنُ جعوانَ[٢] عليه ، ودرَّس بعدَه بالعذراويةِ الشيخُ زَيْنُ الدينِ عمرُ بنُ مَكِّيِّ بنِ المُرَحِّلِ ، وكيلُ بيتِ المالِ ، ودرَّس ابنُه مُحْيى الدينِ أحمدُ بالعِماديةِ وزاويةِ الكَلَّاسةِ مِن جامعِ دمشقَ ، ثم تُوُفِّى ابنُه أحمدُ هذا بعدَه فى يومِ الأربعاءِ ثامن رجبٍ ، فدرَّس بالدماغيةِ والعماديةِ [١٠/٩٦ظ] الشيخُ زينُ الدينِ ابنُ الفارِقِيِّ شيخُ دارِ الحديثِ ، نِيابةً عن أولادِ القاضى عزِّ الدينِ بنِ الصائغِ بدرِ الدينِ وعلاءِ الدينِ .

وفيها تُوُفِّى : **الملكُ السعيدُ فتحُ الدينِ عبدُ الملكِ بنُ الملكِ الصالحِ أبى الحسنِ إسماعيلَ ابنِ الملكِ العادلِ**[٣] - وهو والدُ الملكِ الكاملِ ناصرِ الدينِ محمدٍ - فى ليلةِ الاثنين ثالث رمضانَ ، ودُفِن مِن الغدِ بتربةِ أُمِّ الصالحِ ، وكان مِن خِيارِ الأمراءِ مُحْتَرَمًا كَبيرًا رئيسًا ، روَى « المُوَطَّأَ » عن يحيى بنِ بُكَيْرٍ ، عن مُكْرَمِ بنِ أبى الصَّقْرِ ، وسمِع ابنَ اللَّتِّيِّ[٤] وغيرَه .

القاضى نجمُ الدينِ عمرُ بنُ نصرِ بنِ مَنْصورٍ البَيْسانىُّ[٥] الشافعىُّ ، تُوُفِّى فى شوالٍ منها ، وكان فاضلًا ، ولِىَ قَضاءَ زُرْعَ ، ثم قَضاءَ حَلَبَ ، ثم ناب فى دمشقَ ، ودرَّس بالرَّواحيةِ ، وباشَرها بعدَه شمسُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ نوحٍ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « جفوان » .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٢٤، ونهاية الأرب ٣١/ ١٢٢، وتذكرة النبيه ١/ ٩٤، وعقد الجمان ٢/ ٣٣٥، والدليل الشافى ١/ ٤٢٩.

(٤) فى م ، وعقد الجمان : « الليثى » .

(٥) فى الأصل ، م : « البيانى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تذكرة النبيه ١/ ٩٤، والسلوك ٧٢٧/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢/ ٣٣٤، والدارس ١/ ٢٦٨.

المَقْدسيُّ ، يومَ عاشرِ شوالٍ .

وفى هذا اليومِ تُوُفِّى بحَماةَ ملكُها **الملكُ المنصورُ ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ محمودِ بنِ عمرَ بنِ شاهِنْشاه**[1] **بنِ أيوبَ** ، وُلِد سنةَ [2]ثنتين و[2] ثلاثين وستِّمائةٍ ، وتملَّك حَماةَ سنةَ ثنتين وأربعين وله عشرُ سنينَ ، فمكَث فى الملكِ أَزْيَدَ مِن أربعين سنةً ، وكان له بِرٌّ وصَدَقاتٌ ، وقد أَعْتَق فى مرضِ موتِه خلقًا مِن الأَرِقَّاءِ ، وقام فى الملكِ بعدَه ولدُه الملكُ المُظَفَّرُ بتَقْليدِ الملكِ المنصورِ له بذلك .

القاضى جمالُ الدينِ أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ الزواوىُّ[3] ، قاضى قُضاةِ المالكيةِ ، ومُدَرِّسُهم بعدَ القاضى زَيْنِ الدينِ الزَّواوىِّ الذى عزَل نفسَه ، وقد كان يَنُوبُ عنه ، فاسْتَقَلَّ بعدَه بالحكمِ ، تُوُفِّى فى الخامسِ مِن ذى القَعْدةِ وهو فى طريقِ الحجازِ ، وكان عالمًا فاضلًا ، قليلَ التَّكْليفِ والتَّكَلُّفِ ، وقد شغَر المنصبُ بعدَه ثلاثَ سنينَ ، ودرَّس بعدَه للمالكيةِ الشيخُ جمالُ الدينِ الشَّرِيشىُّ ، وبعدَه أبو إسحاقَ اللَّوْرىُّ[4] ، وبعدَه بدرُ الدينِ أبو بكرٍ التونسىُّ[5] ، ثم لما وصَل القاضى جمالُ الدينِ بنُ سليمانَ حاكمًا درَّس بالمدارسِ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، م : « ملكشاه » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٣٦، والعبر ٥/ ٣٤٥، والوافى بالوفيات ٥/ ١١، وتذكرة النبيه ١/ ٨٨، والسلوك ٧٢٦/١ (القسم الثالث) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل ، م : « الرازى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٣٩، ونهاية الأرب ١٢٣/٣١، وعقد الجمان ٢/ ٣٣٤، والدليل الشافى ٢/ ٨٠٢، والدارس ٢/ ٥.

(٤) فى الأصل ، وإحدى نسخ الدارس : « الكورى » . وانظر المشتبه ٢/ ٥٦٠.

(٥) فى م : « البريسى » .

ثم دخلت سنةُ أربعٍ وثمانين وستّماتةٍ[1]

في أواخرِ المحرمِ قدِم الملكُ المنصورُ إلى دمشقَ ومعه الجيوشُ، وجاء إلى خدمتِه صاحبُ حَماةَ الملكُ المُظَفَّرُ بنُ المنصورِ، فتلَقَّاه بجَميعِ الجيوشِ، وخلَع عليه خِلْعةَ الملوكِ، ثم سافَر السلطانُ بالعَساكرِ المصريةِ والشاميةِ، فنزَل المَرْقَبَ، ففتَحه اللَّهُ عليهم في يومِ الجمعةِ ثامِنَ عشَرَ صفرٍ، وجاءَت البِشارةُ بذلك إلى دمشقَ، فدَقَّت البَشائرُ، وزُيِّنَت البلدُ، وفرِح المسلمون بذلك؛ لأن هذا الحصنَ كان مَضَرَّةً على المسلمين، ولم يَتَّفِقْ فتحُه لأحدٍ مِن الملوكِ لا لصلاحِ الدينِ، ولا للظاهرِ، وفتَح حولَه بُلُنْيَاسَ ومَرَقِيَّةَ[2]، وهي بَلْدةٌ صغيرةٌ إلى جانبِ البحرِ عندَ حصنٍ منيعٍ جدًّا، لا يَصِلُ إليه سهمٌ ولا حجرُ مَنْجَنيقٍ، فأرْسَل إلى صاحبِ طَرابُلُسَ، فهدَمه تقرُّبًا إلى السلطانِ الملكِ المنصورِ، واستَنْقَذ المنصورُ خلقًا كثيرًا مِن أُسارَى المسلمين الذين كانوا عندَ الفِرنْجِ، وللَّهِ الحمدُ، ثم عاد المنصورُ إلى دمشقَ، ثم سافَر بالعَساكرِ المصريةِ إلى القاهرةِ.

وفي أواخرِ جُمادَى الآخِرةِ وُلِد للمنصورِ ولدُه الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوُون.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٢٣٩ - ٢٥٩، ونهاية الأرب ٣١/١٢٥ - ١٢٨، وكنز الدرر ٨/٢٦٨ - ٢٧٦، وتذكرة النبيه ١/٩٦، ٩٧، وعقد الجمان ٣٣٧ - ٣٤٢.

(٢) في م: «مرقب». وانظر معجم البلدان ٤/ ٥٠١.

وفيها عُزِل مُحْيى الدينِ بنُ النَّحَّاسِ عن نظرِ الجامعِ ، ووَلِيَه عزُّ الدينِ بنُ محيى الدينِ بنِ الزَّكيِّ ، [١٠/٩٧و] وباشَر ابنُ النَّحَّاسِ الوِزارةَ عِوَضًا عن التَّقيِّ تَوْبَةَ التَّكْريتيِّ ، وطُلِب التَّقيُّ تَوْبَةُ إلى الديارِ المصريةِ ، وأُحِيط على أموالِه وأملاكِه .

وعُزِل سيفُ الدينِ طوغان عن وِلايةِ المدينةِ ، وباشَرها عزُّ الدينِ بنُ أبى الهَيْجاءِ .

ومِمَّنْ تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ عزُّ الدينِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ إبراهيمَ بنِ شَدَّادٍ(١) ، تُوُفِّى فى صفرٍ ، وكان فاضلًا مشهورًا ، له كتابُ « سِيرةِ الملكِ الظاهرِ » ، وكان مُعْتَنِيًا بالتاريخِ .

(٢) **البُنْدُقْدارُ**(٣) ، أستاذُ الملكِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ ، وهو الأميرُ الكبيرُ عَلاءُ الدينِ أَيْدِكِين(٢) البُنْدُقْدارُ الصالحيُّ ، كان مِن خِيارِ الأمراءِ ، سامَحه اللَّهُ ، تُوُفِّى فى ربيعٍ الآخِرِ منها ، وقد كان الصالحُ نجمُ الدينِ صادَر البُنْدُقْدارَ هذا ، وأخَذ منه مملوكَه بَيْبَرْسَ ، فأضافه إليه لشَهامتِه ونهضتِه ، فتقَدَّم عندَه على أُسْتاذِه وغيرِه .

الشيخُ الصالحُ العابدُ الزاهدُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ إسماعيلَ الإخْمِيمِىُّ(٤) ، كانت له جِنازةٌ هائلةٌ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٧٠، ونهاية الأرب ٣١/ ١٢٨، والعبر ٥/ ٣٤٩، والوافى بالوفيات ٤/ ١٨٩، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٣، واسمه فى ذيل مرآة الزمان والعبر : « محمد بن إبراهيم بن على » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٦٢، ونهاية الأرب ٣١/ ١٢٨، والعبر ٥/ ٣٤٨، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٩١، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٦، والمنهل الصافى ٣/ ١٥٥.

(٤) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٧١، والعبر ٥/ ٣٥٠- وفيه : « محمد بن محمد بن حسن » - والوافى بالوفيات ٢/ ٣٥٣، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨٩.

ابنُ عامرٍ المُقْرِئ[١] ، الذى يُنْسَبُ إليه المِيعادُ الكبيرُ ، الشيخُ الصالحُ المُقْرِئُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عامرِ بنِ أبى بكرٍ الغسوليُّ الحنبليُّ ، سمِع الحديثَ مِن الشيخِ مُوَفَّقِ الدينِ بنِ قُدامةَ وغيرِه ، وكان يَعْمَلُ الميعادَ ليلةَ الأحدِ ، فإذا فرَغوا مِن ذلك دعا بهم ثم وعَظهم . تُوُفِّى يومَ الأربعاءِ حادى عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ ، ودُفِن بالقربِ مِن تربةِ الشيخِ عبدِ اللَّهِ الأرْمَنىِّ .

القاضى عِمادُ الدينِ داودُ بنُ يحيى بنِ كاملٍ القُرشىُّ البُصْرَوىُّ[٢] **الحنفىُّ** ، مدرسُ العِزِّيَّةِ بالكُشْكِ ، وناب فى الحكمِ عن مَجْدِ الدينِ بنِ العَديمِ ، وسمِع الحديثَ ، وتُوُفِّى ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ ، وهو والدُ الشيخِ نجمِ الدينِ القَحْفازىِّ[٣] ، شيخِ الحنفيةِ ، وخطيبِ جامعِ تَنْكِز .

الشيخُ حسنٌ الرومىُّ[٤] ، شيخُ سعيدِ السُّعداءِ بالقاهرةِ[٥] ، وقد وليها بعدَه شمسُ الدينِ الأَيْكِىُّ[٦] .

الرَّشيدُ سعيدُ بنُ علىِّ بنِ سعيدٍ ، الشيخُ رَشيدُ الدينِ الحنفىُّ[٧] ، مدرسُ

---

(١) العبر ٥/ ٣٥٠، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨٩.

(٢) فى م : « النصروى » . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ١٣/ ٤٩٨، والجواهر المضية ٢/ ١٩٧، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٤، والدليل الشافى ١/ ٢٩٧، والدارس ١/ ٥٥٦.

(٣) فى م ، والدليل الشافى : « القجقارى » .

(٤) عقد الجمان ٢/ ٣٤٤.

(٥) سعيد السعداء : هو خانَقاه للصوفية ، كان أولا دارًا لأستاذ من خدام قصر المستنصر العبيدى الفاطمى ، كان يلقب بسعيد السعداء ، وقد قتل سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقد وقفها الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - بعد أن تملك مصر وأزال الدولة العبيدية - على الصوفية . انظر خطط المقريزى ٣/ ٤٠١ - ٤٠٤ .

(٦) فى الأصل ، م : « الأتابكى » . والمثبت من عقد الجمان . وستأتى ترجمته فى صفحة ٧٠٦ ضمن وفيات سنة سبع وتسعين وستمائة .

(٧) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٦٥ ، والعبر ٥/ ٣٤٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ٢٤٦، وتذكرة النبيه ١/ ٩٩، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٤، والمنهل الصافى ٥/ ٣٩٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٦، وبغية الوعاة ١/ ٥٨٥،=

الشِّبْلِيةِ ، وله تَصانيفُ مُفيدةٌ كثيرةٌ ، ونظمٌ حسنٌ ، فمِن ذلك قولُه[1] :

قُـلْ لِمَن يَـحْـذَرُ أن تُـدْرِكَـهُ　　نَكَباتُ الدهرِ لا يُغْنِى الحَذَرْ
أذْهَـب الحُزْنَ اعْـتِـقـادى أنَّـه　　كـلٌّ شـىءٍ بـقَـضـاءٍ وقَـدَرْ

ومِن شعرِه قولُه[2] :

إلهى لك الحمدُ الذى أنت أهلُه　　على نِعَمٍ منها الهِدايةُ للحمدِ
صحيحًا خلَقْتَ الجسمَ منى مسلَّمًا　　ولُطْفُك بى مازال مذ كنتُ فى المَهْدِ
وكنتُ يتيمًا قد أحاط بىَ الرَّدَى　　فآوَيتَ واسْتَنْقَذْتَ مِن كلِّ ما يُرْدِى
وهَبْتَ لىَ العقلَ الذى بضِيائِه　　إلى كلِّ خيرٍ يَهْتَدِى طالبُ الرُّشْدِ
ووفَّقْتَ للإسلامِ قلبى ومَنْطِقى　　فيا نعمةً قد جلَّ موقعُها عندى
ولو رُمْتُ جَهْدى أن أُجازِى فضيلةً　　فَضَلْتَ بها لم يَجزِ أطرافَها جِدِّى[3]
ألستَ الذى أرجو جَنابَك[4] عندما　　يُخَلِّفُنى الأهلون وحْدىَ فى لَحدى
فجُدْ لى بلُطْفٍ منك يَهْدِى سَريرتى　　وقلبى ويُدْنينى إليك [5]من البُعْدِ[5]

تُوُفِّى يومَ السبتِ ثالث رمضانَ ، وصُلِّى عليه بعدَ[6] العصرِ بالجامعِ المُظَفَّرىِّ ، ودُفِن بالسفحِ .

= والطبقات السنية ٤/ ٣٧.
(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٢٦٧ .
(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/٢٦٦ .
(٣) فى م : « جهدى » .
(٤) فى الأصل : « جنانك » ، وفى م : « حنانك » . والمثبت من المصدر السابق .
(٥ - ٥) فى م : « بلا بعد » .
(٦) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل المرآة ٤/٢٦٥ ، وعقد الجمان .

أبو القاسمِ عليُّ بنُ بَلَبانَ بنِ عبدِ اللَّهِ الناصريُّ[1] ، المُحَدِّثُ المُفِيدُ الماهرُ ، تُوُفِّى يومَ الخميسِ مُسْتَهَلَّ رَمضانَ .

الأميرُ مُجِيرُ الدينِ محمدُ بنُ يعقوبَ بنِ عليٍّ[2] ، المعروفُ بابنِ تَمِيمٍ الحَمَوىُّ الشاعرُ ، صاحبُ الدِّيوانِ فى الشعرِ ، فمِن شعرِه قولُه :

عايَنْتُ وردَ الرَّوْضِ يَلْطِمُ خَدَّه ... ويقولُ قولًا فى البَنَفْسَجِ يُحْنَقُ

لا تَقْرَبوه وإن تَضَوَّعَ نَشْرُه ... ما بينكم فهُو العدوُّ الأزرقُ

الشيخُ العارفُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الشيخِ عثمانَ بنِ عليٍّ الروميُّ[3] ، [١٠/٩٧ظ] ودُفِن بتربتِهم بسفحِ قاسِيونَ ، ومِن عندِهم خرَج الشيخُ جَمالُ الدينِ محمدٌ الساوجى[4] ، وحلَق ودخَل فى زِىِّ الجواليقيةِ ، وصار شيخَهم ومُقَدَّمَهم .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٦٩، والعبر ٥/ ٣٤٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٠١، والسلوك ١/ ٧٣٠ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٥.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٧٧، والعبر ٥/ ٣٥٠، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٢٨، وتذكرة النبيه ٤/ ١٠٠، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٥، والدليل الشافى ٢/ ٧١٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٧٤، والعبر ٥/ ٣٥٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٨٦، وتذكرة النبيه ١/ ٩٨، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٥.

(٤) فى م : « الساوحى » .

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وثمانين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهلَّت والخليفةُ الحاكمُ أبو العباسِ أحمدُ، والسلطانُ الملكُ المنصورُ قَلَاوُون، ونائبُه بالشامِ الأميرُ حسامُ الدينِ لاجين السِّلَحْدارُ المنصوريُّ، والأميرُ بدرُ الدينِ الصَّوابِيُّ مُحاصِرٌ مدينةَ الكَرَكِ فى أواخرِ السنةِ الماضيةِ، وقدِم عليه مِن مصرَ عَسْكرٌ صُحْبَةَ الأميرِ حُسامِ الدينِ طُرُنْطاى، فاجْتَمَعوا على حِصارِ الكَرَكِ حتى أنْزَلوا منها صاحبَها الملكَ المسعودَ خَضِرَ بنَ الملكِ الظاهرِ، فى مُسْتَهَلِّ صفرٍ، وجاءت البِشارةُ بذلك إلى دمشقَ، فدَقَّت البَشائرُ ثلاثةَ أيامٍ، وعاد طُرُنْطاى بالملكِ خَضِرٍ وأهلِ بيتِه إلى الديارِ المصريةِ، كما فعَل الملكُ الظاهرُ أبوه بأهلِ الملكِ المُغيثِ عمرَ بنِ العادلِ، كما تقَدَّم ذلك. واسْتَناب فى الكَرَكِ نائبًا عن أمرِ المنصورِ، ورتَّب أمورَها، وأجْلَوْا منها خلقًا مِن الكَرَكِيِّين، واسْتَخْدموا بقلعةِ دمشقَ. ولما اقْتَرب دخولُ آلِ الظاهرِ إلى القاهرةِ تلَقَّاهم المنصورُ، فأكْرَم لُقْياهم، وأحْسَن إلى الأخوَيْن نجمِ الدينِ خَضِرٍ وبدرِ الدينِ سَلَامُش، وجعَلَهما يَرْكَبان مع ابنيه علىٍّ والأشرفِ خليلٍ، وجعَل عليهما عُيونًا يَرْصُدون ما يَفْعَلان[2]، وأُنْزِلا الدُّورَ بالقلعةِ، وأُجْرِىَ عليهم مِن الرَّواتِبِ والنَّفَقاتِ ما يَكْفِيهم وزيادةٌ كثيرةٌ.

وكتَب الأميرُ بدرُ الدينِ بَكْتُوتُ العَلائىُّ، وهو مُجرَّدٌ بحمصَ إلى نائبِ دمشقَ لاجين، أنه قد انْعَقَدَت زَوْبَعةٌ فى يومِ الخميسِ سابعِ صفرٍ بأرضِ حمصَ،

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٨١، ٢٨٢، ونهاية الأرب ١٢٩/٣١ - ١٣٣، وكنز الدرر ٨/ ٢٧٦-٢٧٩، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٢، ١٠٣، وعقد الجمان ٣٤٨/٢ - ٣٥٤.

(٢) فى الأصل: «يقولان».

ثم ارْتَفَعَت فى السماءِ كهيئةِ العمودِ والحيَّةِ العظيمةِ ، وجعَلَت تَخْتَطِفُ الحِجارةَ الكِبارَ ، فتصْعَدُ بها فى الجَوِّ كأنها سهامُ النُّشَّابِ ، وحمَلَت شيئًا كثيرًا مِن الجِمالِ بأحْمالِها ، والأثاثِ والخيامِ والدَّوابِّ ، ففَقد الناسُ مِن ذلك شيئًا كثيرًا من الرحالِ والأمتعةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفى هذا اليومِ وقَع مطرٌ عظيمٌ بدمشقَ ، وجاء سيلٌ كثيرٌ ولا سيَّما بالصالحيةِ .

وفيها أُعِيد عَلَمُ الدينِ الدَّوَاداريُّ إلى شَدِّ الدَّواوِينِ بدمشقَ ، والصاحبُ تَقِيُّ الدينِ تَوْبَة إلى الوِزارةِ بدمشقَ .

وفيها توَلَّى قَضاءَ المالكيةِ بمصرَ زَيْنُ الدينِ بنُ أبى مَخْلوفٍ النُّوَيرِيُّ[1] عِوَضًا عن القاضى تَقِيِّ الدينِ [2]بنِ شاسٍ[2] الذى تُوُفِّى بها .

وفيها درَّس بالغَزَّاليةِ بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ ، انْتَزَعها مِن يدِ شمسِ الدينِ إمامِ الكَلَّاسةِ الذى كان يَنُوبُ عن شمسِ الدينِ الأيكيِّ ، والأيكيُّ شيخُ سعيدِ السُّعَداء ، باشَرها شهرًا ، ثم جاء مرسومٌ بإعادتِها إلى الأيكيِّ ، وقد اسْتَناب عنه جَمالَ الدينِ الباجُرْبَقيَّ ، فباشَرها الباجُرْبَقيُّ فى ثالثِ رجبٍ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ شَيْبانَ بنِ تَغْلِبَ الشَّيْبانيُّ[3] ، أحدُ مَشايخِ الحديثِ المُسْنِدِين

---

(١) فى الأصل : « البربرى » ، وفى م : « البريدى » ، وفى عقد الجمان : « التبريزى » . والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ١٣٤. وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « برساس » . والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ١٣٣، والسلوك ١/ ٧٣٢ (القسم الثالث) .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٨٢، والعبر ٥/ ٣٥١، والوافى بالوفيات ٦/ ٤١٧، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٥.

المُعَمَّرِين بدمشقَ ، تُوُفِّى فى صفرٍ عن ثمانٍ وثمانين سنةً ، ودُفِن بقاسِيونَ .

الشيخُ الإمامُ العالمُ البارِعُ جَمالُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سُحْمانَ البَكْرِىُّ الشَّرِيشِىُّ المالكىُّ[1] ، ولد بشَرِيش سنةَ إحدى وستِّمائةٍ ، ورحَل إلى العراقِ ، فسمِع بها الحديثَ مِن المشايخِ ؛ القَطِيعىِّ وابـنِ زوربةَ وابنِ اللَّتِّىِّ وغيـرِهم ، واشْتَغل وحصَّل ، وساد أهلَ زمانِه ، ثم عاد إلى [٩٨/١٠و] مصرَ ، فدرَّس بالفاضليةِ ، ثم أقام بالقدسِ شيخَ الحَرَمِ ، ثم جاء إلى دمشقَ ، فولِى مَشْيخَةَ الحديثِ بتُرْبةِ أمِّ الصالحِ ، ومَشْيَخةَ الرِّباطِ الناصرىِّ بالسفحِ ، ومَشْيَخةَ المالكيةِ ، وعُرِض عليه القضاءُ فلم يَقْبَلْ . تُوُفِّى يومَ الاثنين الرابعِ والعشرين مِن رجبٍ بالرِّباطِ الناصرىِّ بقاسِيونَ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ تُجاهَ الناصريةِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً جدًّا .

قاضى القُضاةِ أبو الفضلِ يوسفُ بنُ قاضى القضاةِ مُحْيِى الدينِ أبى الفضلِ يَحْيَى بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ (٢بنِ الوليدِ بنِ القاسمِ بنِ الوليدِ بنِ عبدِ الرحمنِ٢) بنِ أبانِ بنِ عثمانَ بنِ عفانَ القرشىُّ الدمشقىُّ المعروفُ بابنِ الزَّكِىِّ الشافعىُّ ، كان فاضلًا مُبَرِّزًا ، وهو آخِرُ مَن تولَّى القَضاءَ مِن بنى الزَّكِىِّ إلى يومِنا هذا ، وُلِد فى سنةِ أربعين ، وسمِع الحديثَ ، تُوُفِّى ليلةَ الاثنين حادىَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، وتوَلَّى بعدَه ابنُ الخُوَيِّىِّ شِهابُ الدينِ .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٩٢، والعبر ٥/ ٣٥٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٧، والديباج المذهب ٢/ ٣١٩، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٥.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٠٧. انظر مصادر ترجمته : ونهاية الأرب ٣١/ ١٣٤، والعبر ٥/ ٣٥٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٦٥، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٦.

وتقدمت ترجمة أبيه فى وفيات سنة سبع وستين وستمائة، وفى نسبه بعض الاختلاف .

الشيخُ مجدُ الدينِ يوسفُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ المِصْرىُّ ثم الدمشقىُّ الشافعىُّ الكاتبُ المعروفُ بابنِ المِهْتارِ[1] ، كان فاضلًا فى الحديثِ والأدبِ ، يَكْتُبُ كتابةً حسنةً جدًّا ، وتوَلَّى مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ النُّوريةِ ، وقد سمِع الكثيرَ ، وانْتَفَع الناسُ به وبكتابتِه ، تُوُفِّى عاشرَ ذى الحِجَّةِ ، ودُفِن ببابِ الفَرادِيسِ .

الشاعرُ الأديبُ شِهابُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ المُنْعِمِ بنِ محمدٍ المعروفُ بابنِ الخَيِّمىِّ[2] ، كانت له مُشارَكةٌ فى علومٍ كثيرةٍ ، ويدٌ طُولَى فى النَّظْمِ الرائقِ الفائقِ ، جاوَز الثمانين ، وقد تَنازَع هو ونجمُ الدينِ بنُ إسرائيلَ فى قصيدةٍ بائيةٍ[3] ، فتَحاكَما إلى ابنِ الفارضِ ، فأمَرَهما بنَظْمِ أبياتٍ على وزنِها ، فنظَم كلٌّ منهما فأحْسَن ، ولكن لابنِ الخَيِّمىِّ يدٌ طُولَى عليه ، وكذلك فعَل ابنُ خَلِّكانَ ، وامْتَدَحه على وزنِها بأبياتٍ حِسانٍ ، وقد أطال ترجمتَه الجَزَرىُّ فى كتابِه .

وفيها كانت **وفاةُ الحاجِّ شَرَفِ بنِ مِرَى**[4] ، والدِ الشيخِ مُحْيى الدينِ النَّوَوىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(1) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٠٧، والعبر ٥/ ٣٥٦، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٤.

(2) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٠٠، ونهاية الأرب ٣١/ ١٣٥، والعبر ٥/ ٣٥٤، والوافى بالوفيات ٤/ ٥٠، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٦، وفوات الوفيات ٢/ ٤٥٨، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٦.

(3) فى الأصل : « تائية » . وأورد القصيدة اليونينى فى مرآة الزمان والصفدى فى الوافى بالوفيات ، ومطلعها :

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب إليك آل التقصى وانتهى الطلب

(4) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٨٤- وفيه أنه توفى سنة ثنتين وثمانين وستمائة - والدليل الشافى ١/ ٣٤٣.

يعقوبُ بنُ عبدِ الحقِّ ، أبو يوسُفَ المَرينىُّ[1] ، سلطانُ بلادِ المغربِ ، خرَج على الواثقِ باللَّهِ [2]أبى دَبُّوسٍ[2] ، فسلَبه الملكَ بظاهرِ مَرَّاكُشَ ، واسْتَحْوَذَ على بلادِ الأنْدَلُسِ والجزيرةِ الخَضْراءِ فى سنةِ ثمانٍ وستين وستِّمائةٍ ، واسْتَمَرَّت أيامُه إلى مُحَرَّمِ هذه السنةِ ، وزالَت على يديه دولةُ المُوَحِّدِين بها .

البَيْضاوىُّ صاحبُ التَّصانيفِ : هو القاضى الإمامُ العَلَّامةُ ناصرُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ الشِّيرازىُّ[3] ، قاضيها وعالِمُها وعالمُ أَذْرَبِيجانَ وتلك النَّواحى ، مات بتِبْريزَ سنةَ خمسٍ وثمانين وستِّمائةٍ ، ومِن مُصَنَّفاتِه « المنهاجُ فى أصولِ الفقهِ » ، وهو مشهورٌ ، وقد شرَحه غيرُ واحدٍ ، وله « شرحُ التَّنْبيهِ » فى أربعِ مُجَلَّداتٍ ، وله « الغايةُ القُصْوَى فى دِرايةِ الفَتْوَى » ، و « شرحُ المُنْتَخَبِ » و « الكافيةُ فى المَنْطِقِ » ، وله « الطَّوالعُ » و « شرحُ المَحْصولِ » أيضًا ، وله غيرُ ذلك مِن التَّصانيفِ المُفيدةِ ، وقد أَوْصَى إلى القُطْبِ الشِّيرازىِّ أن يُدْفَنَ بجانبِه بتِبْرِيزَ .

واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، م : « المدينى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ دول الإسلام ٢/ ١٨٧، والسلوك ١/ ٧٣٣ (القسم الثالث) ، والدليل الشافى ٢/ ٧٩٠، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٤.

(٢ - ٢) فى الأصل : « إلى ربوس » .

(٣) الوافى بالوفيات ١٧/ ٣٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٤، والسلوك ١/ ٧٣٣ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٧، والدليل الشافى ١/ ٣٨٨، وبغية الوعاة ٢/ ٥٠ وطبقات المفسرين للداوودى ١/ ٢٤٢.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وثمانين وستّمائةٍ[1]

فى أولِ المُحَرَّمِ ركِبَت العَساكرُ صُحْبَةَ نائبِ الشامِ حُسامِ الدينِ لاجين إلى مُحاصَرةِ صِهْيَوْنَ وحصنِ بَرْزَيَه ، فمانَعَهم الأميرُ سيفُ الدينِ سُنْقُرُ الأشْقَرُ ، فلم يَزالوا به [١٠/٩٨ظ] حتى اسْتَنْزَلوه ، وسلَّمهم البلادَ ، وسار إلى خدمةِ السلطانِ الملكِ المنصورِ ، فتَلقَّاه بالإكْرامِ والاحْتِرامِ ، وأعْطاه تَقْدُمةً ألفَ فارسٍ ، ولم يَزَلْ مُعَظَّمًا فى الدولةِ المنصوريةِ إلى آخرِها ، وانْقَضَت تلك الأحوالُ .

وفى النصفِ مِن المحرمِ حكَم القاضى جَلالُ الدينِ الحَنَفىُّ نِيابةً عن أبيه حُسامِ الدينِ الرازىِّ .

وفى الثالثَ عشَرَ مِن ربيعِ الأولِ قدِم القاضى شِهابُ الدينِ محمدُ بنُ القاضى شمسِ الدينِ بنِ الخَليلِ الخُوَيِّىُّ مِن القاهرةِ على قَضاءِ قُضاةِ دمشقَ ، وقُرِئَ تَقْليدُه يومَ الجمعةِ مُسْتَهَلَّ ربيعِ الآخِرِ ، واسْتَمَرَّ بنِيابةِ شرفِ الدينِ المَقْدِسىِّ .

وفى يومِ الأحدِ ثالثِ شوالٍ درَّس بالرَّواحيةِ الشيخُ صَفِىُّ الدينِ الهِنْدىُّ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ ، وعَلَمُ الدينِ الدُّواداريُّ ، وتوَلَّى قَضاءَ قُضاةِ القاهرةِ تَقىُّ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ بنتِ الأعَزِّ ، عِوَضًا عن بُرْهانِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣١٤/٤ - ٣١٦، ونهاية الأرب ١٤٥/٣١ - ١٥١، وكنز الدرر ٢٨٠/٨، ٢٨١، وتذكرة النبيه ١٠٨/١- ١١٠، وعقد الجمان ٣٥٨/٢ - ٣٦٣.

الدينِ الخَضِرِ بنِ الحسنِ السِّنْجاريِّ ، وقد كان وَلِيَها شهرًا بعدَ ابنِ الخُوَيِّيِّ ، فاجْتَمَع حينَئذٍ لابنِ بنتِ الأعَزِّ بينَ القَضاءِ كلِّه بالديارِ المصريةِ ، وذلك فى أوائلِ صفرٍ منها .

وفيها اسْتُدْعِي سيفُ الدينِ السامَرِّيُّ مِن دمشقَ إلى الديارِ المصريةِ ليُشْتَرَى منه رِيعُ حَرْزَما[1] الذى اشْتَراه مِن بنتِ الملكِ الأشرفِ موسى ، فذكَر لهم أنه وقَفه ، وكان المُتَكَلِّمَ فى ذلك عَلَمُ الدينِ الشُّجاعيُّ[2] ، وكان قد اسْتَنابه الملكُ المنصورُ بديارِ مصرَ ، وجعَل يَتَقَرَّبُ إليه بتَحْصيلِ الأموالِ ، ففتَق لهم ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ المَقْدِسيُّ أن السامَرِّيَّ اشْتَرَى هذا مِن بنتِ الأشرفِ وهى غيرُ رَشيدةٍ ، وأَثْبَت سَفَهَها علىٌّ زَيْنُ الدينِ بنُ مَخْلوفٍ[3] ، وأبْطَل البيعَ مِن أصلِه ، واسْتَرْجَع على السامَرِّيِّ بمغَلِّ مدةِ عشرين سنةً مائتَىْ ألفِ درهمٍ ، وأخَذوا منه حِصَّةً مِن الزَّنْبَقيةِ قيمتُها سبعون ألفًا ، وعشَرةَ آلافٍ مُكَمِّلةً ، وترَكوه فقيرًا على برْدِ الديارِ ، ثم أثْبَتوا رُشْدَها ، واشْتَرَوْا منها تلك الحِصَص بما أرادوه ، ثم أرادوا أن يَسْتَدْعُوا بالدَّماشقةِ واحدًا بعدَ واحدٍ ويُصادِرُونهم ، وذلك أنه بلَغَهم أن مَن ظَلم بالشامِ لا يُفْلِحُ ، ومَن ظلَم بمصرَ أفْلَح وطالَت مدتُه ، فكانوا يَطْلُبونهم إلى مصرَ أرضِ الفَراعِنةِ والظلمِ ، فيَفْعَلون معهم ما أرادوا .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ قُطْبُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الشيخِ الإمامِ أبى

---

(١) فى م : « جزرماء » . وحرزم : اسم بليدة فى واد ذات نهر جار وبساتين بين ماردين ودنيسر . معجم البلدان ٢/ ٢٣٩.

(٢) بعده فى م : « وكان ظالما » .

(٣) بعده فى م : « الجائر الجاهل » .

العباسِ أحمدَ بنِ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ المَيْمونُ القَيْسيُّ التَّوْزَرِيُّ[1] المصريُّ ثم المكِّيُّ[2] ، الشافعيُّ المعروفُ بالقَسْطَلّانيِّ ، شيخُ دارِ الحديثِ الكامليةِ بالقاهرةِ ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، ورحَل إلى بغدادَ فسمِع الكثيرَ ، وحصَّل علومًا ، وكان يُفْتِى على مذهبِ الشافعيِّ ، وأقام بمكةَ مدةً طويلةً ، ثم صار إلى مصرَ ، فولِى مَشْيَخةَ الحديثِ ، وكان حسنَ الأخْلاقِ ، مُحَبَّبًا إلى الناسِ ، تُوُفِّى فى آخِرِ المحرمِ ، ودُفِن بالقَرافةِ الكبرى ، وله شعرٌ حسنٌ ، أوْرَد منه ابنُ الجزَرِيِّ قطعةً صالحةً .

عمادُ الدينِ محمدُ بنُ عباسٍ الدُّنَيْسَرِيُّ[3] ، الطَّبيبُ الماهرُ ، والحاذِقُ الشاعرُ ، خدَم الأكابرَ والوزراءَ ، وعُمِّرَ ثمانين سنةً ، تُوُفِّى فى صفرٍ مِن هذه السنةِ بدمشقَ .

قاضى القُضاةِ بُرْهانُ الدينِ الخَضِرِ بنُ الحسنِ[4] بنِ عليٍّ السِّنْجاريُّ ، تولَّى الحكمَ بالديارِ المصريةِ [١٠/٩٩و] غيرَ مرةٍ ، وولِى الوِزارةَ أيضًا ، وكان رئيسًا وَقورًا مَهيبًا ، وقد باشَر القَضاءَ بعدَه تَقِيُّ الدينِ ابنُ بنتِ الأعَزِّ .

---

(١) فى الأصل ، م : « النورى » . وفى ذيل مرآة الزمان : « النوريزى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٣٠، ونهاية الأرب ٣١/ ١٥٠، ودول الإسلام ٢/ ١٨٧، والوافى بالوفيات ٢/ ١٣٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٤٣، وتذكرة النبيه ١/ ١١٠، والسلوك ٧٣٨/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٥/ ٣٩٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٣.

والتوزرى : نسبة إلى توزر مدينة بأقصى إفريقية . معجم البلدان ١/ ٨٩٢.

(٢) فى الأصل ، م والسلوك : « المالكى » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٧٦١، وذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢٨، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٠٠، وتذكرة النبيه ١/ ١١٢، وعقد الجمان ٢/ ٣٦٥.

(٤) فى م : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣١٩، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٤٣، والسلوك ٧٣٨/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢/ ٣٦٥، والدليل الشافى ١/ ٢٨٨.

شرفُ الدينِ سليمانُ بنُ بُنَيْمان[1] ، الشاعرُ المشهورُ ، له دِيوانٌ ، مات فى صفرٍ منها .

الشيخُ الصالحُ عزُّ الدينِ عبدُ العَزيزِ بنُ عبدِ المُنْعِمِ بنِ الصَّيْقَلِ الحَرَّانىُّ[2] ، وُلِد سنةَ أربعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، ثم اسْتَوْطَن مصرَ حتى تُوُفِّى بها فى رابعَ عَشَرَ رجبٍ ، وقد جاوَز التِّسعين ، وقد سمِع منه الحافظُ عَلَمُ الدينِ البِرْزالىُّ لما رحَل إلى مصرَ فى سنةِ أربعٍ وثمانين ، وحكَى عنه أنه شهِد جِنازةً ببغدادَ فتبِعهم نَبَّاشٌ ، فلما كان الليلُ جاء إلى ذلك القبرِ ففتَح عن الميتِ ، وكان الميتُ شابًّا قد أصابَتْه سَكْتةٌ ، فلما فتَح القبرَ نهَض ذلك الشابُّ الميتُ جالسًا ، فسقَط النَّبَّاشُ ميتًا فى القبرِ ، وخرَج الشابُّ مِن قبرِه [3]إلى أهلِه[3] .

وحكَى له قال : كنتُ مرةً بقَلْيُوبَ ، وبينَ يدىَّ صُبْرةُ قمحٍ ، فجاء زُنْبُورٌ فأخَذ واحدةً ثم ذهَب بها ، ثم جاء فأخَذ أخرى ثم ذهَب بها ، ثم جاء فأخَذ واحدةً أخرى أربعَ مراتٍ . قال : فاتَّبَعْتُه ، فإذا هو يَضَعُ الحَبَّةَ فى فمِ عُصْفورٍ أعْمَى بينَ تلك الأشجارِ التى هناك .

قال : وحكَى لىَ الشيخُ عبدُ الكافى أنه شهِد مرةً جِنازةً ، فإذا عبدٌ أسودُ معنا ، فلما صلَّى الناسُ عليها لم يُصَلِّ ، فلما حضَرْنا الدفنَ نظَر إلىَّ وقال : أنا

---

(1) فى الأصل ، م : « عثمان » . والمثبت من مصادر ترجمته : الوافى بالوفيات ١٥/ ٣٥٦، وفوات الوفيات ٢/ ٥٧، والسلوك ٧٣٨/١ (القسم الثالث) ، والمنهل الصافى ٦/ ٢٤. وجاء اسمه فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢١، وتذكرة النبيه ١/ ١١١، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٥: « سليمان بن بليمان » .

(2) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢٨، ودول الإسلام ٢/ ١٨٧، والوافى بالوفيات ١٨/ ٥٢٣، وتذكرة النبيه ١/ ١١٣، وعقد الجمان ٢/ ٣٦٦، والمنهل الصافى ٧/ ٢٨١، والدليل الشافى ١/ ٤١٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٦.

(3 - 3) فى م : « ودفن فيه النباش » .

عملُه . ثم أَلْقَى نفسَه فى قبرِ ذلك الميتِ . قال : فنظَرْتُ فلم أَرَ شيئًا .

الحافظُ أبو اليُمْنِ أَمِينُ الدينِ عبدُ الصَّمَدِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عَساكرَ الدمشقيُّ[1] ، ترَك الرِّياسةَ والأَمْلاكَ ، وجاوَر بمكةَ ثلاثين سنةً ، مُقْبِلًا على العبادةِ والزَّهادةِ ، وقد حصَل له قَبولٌ مِن الناسِ شاميِّهم ومصريِّهم وغيرِهم ، تُوُفِّى بالمدينةِ النبويةِ فى ثانى رجبٍ منها .

---

(١) الوافى بالوفيات ١٨/ ٤٤٧، وفوات الوفيات ٢/ ٣٢٨، والسلوك ٧٤٦/١ (القسم الثالث) - وفيهم أنه توفى سنة سبع وثمانين وستمائة - وعقد الجمان ٢/ ٣٦٧، والعقد الثمين ٥/ ٤٣٢، والمنهل الصافى ٧/ ٢٦٦، والدليل الشافى ١/ ٤١٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٥.

ثم دخلت سنةُ سبعٍ وثمانين وستّمائةٍ

فيها[1] قدِم الشُّجاعىُّ مِن مصرَ إلى الشامِ بنِيَّةِ المُصادَرةِ لأرْبابِ الأموالِ مِن أهلِ الشامِ.

وفى أواخِرِ رَبيعِ الآخِرِ قدِم الشيخُ ناصرُ الدينِ عبدُ الرحمنِ المَقْدِسىُّ مِن القاهرةِ على وَكالةِ بيتِ المالِ ونَظَرِ الأوْقافِ ونَظَرِ الخاصِّ، ومعه تَقاليدُ وخِلَعٌ، فترَدَّد الناسُ إلى بابِه، وتكَلَّم فى الأمورِ، وآذَى كثيرًا من الناسِ، وكانت وِلايتُه بسِفارةِ الأميرِ عَلَمِ الدينِ الشُّجاعىِّ المُتَكَلِّمِ فى الديارِ المصريةِ، توَسَّل إليه بالشيخِ شمسِ الدينِ الأيكىِّ وبابنِ الوَجيهِ[2] الكاتبِ، وكانا عندَه لهما صُورةٌ، وقد طلَب جَماعةً مِن أعيانِ الدَّماشقةِ فى أولِ هذه السنةِ إلى الديارِ المصريةِ، فطُولِبوا بأموالٍ كثيرةٍ، فدافَع بعضُهم بعضًا، وهذا مما يُخَفِّفُ عُقوبتَه مِن ظلمِهم، وإلا فلو صبَروا لعُوجِل الظالمُ بالعقوبةِ، ولَزال عنهم ما يَكْرَهون سريعًا. ولما قدِم ابنُ المَقْدِسىِّ إلى دمشقَ كان يَحْكُمُ بتربةِ أمِّ الصالحِ، والناسُ يَتَرَدَّدون إليه ويَخافون شرَّه، وقد اسْتَجَدَّ باشُورةً[3] ببابِ الفَرادِيسِ ومَساطِبَ بابِ الساعاتِ للشُّهودِ، وجدَّد بابَ الجابيةِ الشماليَّ ورفَعه وكان مُتَواطِئًا، وأصْلَح الجسرَ الذى تحتَه،

---

(١) نهاية الأرب ١٥٣/٣١ - ١٦٥، وكنز الدرر ٨/ ٢٨١، ٢٨٢، وتذكرة النبيه ١/ ١١٥، وعقد الجمان ٢/ ٣٦٩، والسلوك ١/ ٧٣٩- ٧٤٦ (القسم الثالث).

(٢) فى م: «الوحيد».

(٣) الباشورة: سد من التراب يمنع وصول الخيالة والرجالة والسهام إلى مواضع المحاربين. السلوك ١/ ١٥٠ (القسم الأول) حاشية (٤).

وكذلك أَصْلَح جسرَ بابِ الفَرادِيسِ تحتَ السُّوَيْقةِ التى جدَّدها عليه مِن الجانبَيْن . وهذا مِن أحسنِ ما عمِله ابنُ المَقْدِسىِّ ، وقد كان مع ذلك كثيرَ الأذِيةِ للناسِ ظَلُومًا غَشُومًا ، ويَفْتَحُ على الناسِ أبوابًا مِن الظلمِ لا حاجةَ إليها .

وفى عاشرِ [١٠/٩٩ظ] جُمادَى الأولى قدِم مِن الديارِ المصريةِ أيضًا قاضى القُضاةِ حُسامُ الدينِ الحَنَفىُّ ، والصاحبُ تَقىُّ الدينِ تَوْبَةُ التَّكْريتىُّ ، وقاضى القُضاةِ جَمالُ الدينِ محمدُ بنُ سليمانَ الزَّواوىُّ المالكىُّ على قَضاءِ المالكيةِ بعدَ شُغورِه عن حاكمٍ بدمشقَ ثلاثَ سنين ونصفٍ ، فأقام شِعارَ المَنْصِبِ ، ودرَّس ونشَر المذهبَ ، وكان له سُؤْدُدٌ ورِياسةٌ .

وفى ليلةِ الجمعةِ رابع شعبانَ تُوُفِّى الملكُ الصالحُ عَلاءُ الدينِ بنُ الملكِ المنصورِ قَلاوُون بالدُّوسَنْطاريَّةِ[(١)] فوَجَدَ عليه أبوه وَجْدًا شديدًا ، وقد كان عهِد إليه بالأمرِ مِن بعدِه ، وخُطِب له معه على المَنابرِ مِن مدةِ سنينَ ، فدفَنه فى تربتِه ، وجعَل ولايةَ العَهْدِ مِن بعدِه إلى ابنِه الأشرفِ خَليلٍ ، [(٢)] وكتَب بذلك إلى الآفاقِ ، ولما جاءت البريديةُ فى شوالٍ بولايةِ الأشرفِ خليلٍ [(٢)] مِن بعدِ أبيه ، خُطِب له على المَنابرِ مِن بعدِ ذِكْرِ أبيه يومَ الجمعةِ ، ودَقَّت البَشائرُ ، وزُيِّنتِ البلدُ سبعةَ أيامٍ ، ولبِس الجيشُ الخِلَعَ وركِبوا ، وأظْهَر الناسُ سُرورًا لشَهامتِه[(٣)] .

وفى رمضانَ باشَر حِسْبةَ دمشقَ شمسُ الدينِ بنُ السَّلْعُوسِ عِوَضًا عن شَرَفِ الدينِ بنِ الشَّيْرَجِىِّ[(٤)] .

---

(١) فى الأصل : « بالبيطارية » ، وفى م : « بالسنطارية » . والمثبت من نهاية الأرب وعقد الجمان .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) بعده فى م : « مع ما فى قلوبهم على أبيه لأجل ظلم الشجاعى » .
(٤) فى الأصل : « الشيرازى » ، وفى م : « الشيزرى » ، وفى نهاية الأرب : « الشيرحى » ، وفى السلوك : « السيرجى » . والمثبت من ترجمته فى السلوك ٢٧٨/٢ (القسم الأول) ، والنجوم الزاهرة ٢٦٧/٨ .
وابن الشيرجى هو أبو الفتح أحمد بن عيسى بن مظفر بن محمد ، توفى سنة ست وعشرين وسبعمائة .

وفيه توَجَّه الشيخُ بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ إلى خَطابةِ القدسِ بعدَ موتِ خَطيبِه قُطْبِ الدينِ، فباشَر بعدَه تَدْريسَ القَيْمُريةِ عَلاءُ الدينِ أحمدُ بنُ القاضى تاجِ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ (١أخو قاضى مِصرَ، ثم بعد ثلاثِ سنين أخَذ ابنُ جَماعةَ قضاءَ الديارِ المصريةِ عِوَضًا عن ابنِ بنتِ الأعزِّ١).

وفى شهرِ رمضانَ كُبِس نَصْرانىٌّ وعندَه مُسلمةٌ، وهما يَشْرَبان الخمرَ فى نَهارِ رمضانَ، فأمَر نائبُ السَّلْطنةِ حُسامُ الدينِ لاجين بتَحْريقِ النَّصْرانىِّ، فبذَل فى نفسِه أمْوالًا جَزيلةً، فلم يُقْبَلْ منه، وأُحْرِق بسوقِ الخيلِ، وعمِل الشِّهابُ محمودٌ فى ذلك أبياتًا فى قَصيدةٍ مَليحةٍ[٢].

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الخطيبُ الإمامُ قُطْبُ الدينِ أبو الزَّكاءِ عبدُ المُنْعِمِ بنُ يحيى بنِ إبراهيمَ بنِ علىِّ بنِ جعفرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ سعدِ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ عوفٍ القرشىُّ الزُّهْرىُّ[٣]، خطيبُ بيتِ المقدسِ أربعين سنةً، وكان مِن الصُّلحاءِ الكِبارِ، مجموعًا عن الناسِ، حسَنَ الهَيْئةِ مَهيبًا، عَزيزَ النفسِ، يُفْتى الناسَ، ويَذْكُرُ التَّفْسيرَ مِن حفظِه فى المِحْرابِ بعدَ صلاةِ الصبحِ، وقد سمِع الكثيرَ، وكان مِن الأخْيارِ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وستِّمائةٍ، وتُوُفِّى ليلةَ الثلاثاءِ سابعَ رمضانَ عن أربعٍ وثمانين سنةً.

الشيخُ الصالحُ العابدُ إبراهيمُ بنُ مِغضادِ بنِ شَدَّادِ بنِ ماجدٍ الجَعْبَرىُّ،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) بعده فى م: «وأما المرأة فجلدت الحد».

(٣) تذكرة النبيه ١/ ١١٩، والسلوك ٧٤٦/١ (القسم الثالث) - وفيهما: «أبو الذكاء» - وعقد الجمان ٣٧٣/٢ - وفيه: «أبو الوفا» - والمنهل الصافى ٧/ ٣٦٦، والدليل الشافى ٤٣٠/١ - وفيهما: «أبو البركات» - والنجوم الزاهرة ٣٧٨/٧، والأنس الجليل ١٣٦/٢ - وفيه: «أبو الذكا».

تَقىُّ الدينِ أبو إسحاقَ[1] ، أصلُه مِن قلعةِ جَعْبَرٍ ، ثم أقام بالقاهرةِ ، فكان يَعِظُ الناسَ ، وكان الناسُ يَنْتَفِعون بكلامِه كثيرًا ، تُوُفِّى بالقاهرةِ يومَ السبتِ الرابعِ والعشرين مِن المحرمِ ، ودُفِن فى تربتِه بالحُسَيْنيةِ ، وله نَظْمٌ حسنٌ ، وكان من الصُّلَحاءِ المشهورين ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الصالحُ ياسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُقرِئُ الحَجَّامُ[2] ، شيخُ الشيخِ مُحْيِى الدينِ النَّواويُّ ، وقد حجَّ عشرين حَجَّةً ، وكانت له أحْوالٌ وكَراماتٌ .

الخُونْدَه غازِيَةُ خاتون بنتُ الملكِ المنصورِ قَلاوُون[3] ، زوجةُ الملكِ السعيدِ .

الحكيمُ الرئيسُ عَلاءُ الدينِ علىُّ بنُ أبى الحَزْمِ بنِ نَفِيسٍ[4] ، شرَح « القانونَ » لابنِ سِينا ، [١٠/١٠٠و] وصنَّف « المُوجَزَ » وغيرَه مِن الفَوائدِ ، وكان يَكْتُبُ مِن حفظِه ، وكان اشْتِغالُه على ابنِ الدَّخْوَارِىِّ ، وتُوُفِّى بمصرَ فى ذى القَعْدةِ .

الشيخُ بدرُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الشيخِ جَمالِ الدينِ بنِ مالكٍ النَّحْوىُّ[5] ، شارحُ « الألفيةِ » التى عمِلها أبوه ، وهو مِن أحْسَنِ الشُّروحِ وأكثرِها فَوائدَ ، وكان لطيفًا ظريفًا فاضلًا ، تُوُفِّى يومَ الأحدِ الثامنَ مِن المحرمِ ، ودُفِن مِن الغدِ ببابِ الصغيرِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) دول الإسلام ٢/ ١٨٨، والوافى بالوفيات ٦/ ١٤٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٢٣، وتذكرة النبيه ١/ ١١٦، والدليل الشافى ١/ ٢٩، والسلوك ٧٤٦/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣٧٣.

(٢) مرآة الجنان ٤/ ٢٠٦، وعقد الجمان ٢/ ٣٧٥، والدليل الشافى ٢/ ٧٧١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٣.

(٣) نهاية الأرب ٣١/ ١٥٩، وعقد الجمان ٢/ ٣٧٨.

(٤) دول الإسلام ٢/ ١٨٨، ومسالك الأبصار ٩/ ٣٤٩، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠٥، وتذكرة النبيه ١/ ١١٥، والسلوك ٧٤٦/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣٧٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٧، ومعجم الأطباء ص ٢٩٢. وهو المعروف بابن النفيس.

(٥) الوافى بالوفيات ١/ ٢٠٤، وتذكرة النبيه ١/ ١١٠، والسلوك ٧٣٨/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣٦٥، وبغية الوعاة ١/ ٢٢٥، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٨. وفيهم أنه توفى سنة ست وثمانين وستمائة.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وثمانين وستّمائةٍ

فيها[1] كان فَتْحُ مدينةِ طَرابُلُسَ، وذلك أن السلطانَ قَلاوُون قدِم بالجيوشِ المنصورةِ المصريةِ فى صُحْبتِه إلى دمشقَ فدخَلها فى الثالثَ عَشَرَ من صفرٍ، ثم صار بهم وبجيشِ دمشقَ وصُحْبتُه خلقٌ كثيرٌ مِن المُطَّوِّعةِ، منهم القاضى نجمُ الدينِ الحَنْبلىُّ قاضى الحَنابلةِ، وخَلْقٌ مِن المَقادِسةِ وغيرِهم، فنازَل طَرابُلُسَ يومَ الجمعةِ مُسْتَهَلَّ ربيعِ الأولِ، وحاصَرها بالمجانِيقِ حِصارًا شديدًا، وضيَّقوا على أهلِها تَضْييقًا عظيمًا، ونصَب عليها تسعةَ عشَرَ مَنْجَنِيقًا، فلما كان يومُ الثلاثاءِ [2]رابعُ ربيعِ الآخِرِ[2] فُتِحَت طَرابُلُسُ فى الساعةِ الرابعةِ مِن النهارِ عَنْوةً، وشمِل القتلُ والأسْرُ جميعَ مَن فيها، وغرِق كثيرٌ مِن أهلِ الميناءِ ونُهِبت الأموالُ، وسُبِيَت النساءُ والأطفالُ، وأُخِذَت الذَّخائرُ والحَواصلُ، وقد كان لها فى أيْدِى الفِرنجِ مِن سنةِ ثلاثٍ وخمسِمائةٍ إلى هذا التاريخِ [3]كان المَلِكُ صنجيلُ[4] الفِرنْجِ حاصَرها سبعَ سنين حتى ظفِر بها كما ذكَرنا[3]، وقد كانت قبلَ ذلك فى أيدى

---

(1) نهاية الأرب ١٦٣/٣١ - ١٦٥، وكنز الدرر ٢٨٢/٨ - ٣٠٠، والعبر ٣٥٦/٥ - ٣٦٠، وتذكرة النبيه ١٩٢/١ - ١٩٤، وعقد الجمان ٢/ ٢٧٩- ٢٨٩.

(٢ - ٢) فى الأصل، م، عقد الجمان: «رابع جمادى الآخرة». وفى كنز الدرر: «رابع عشر ربيع الآخر». والمثبت من نهاية الأرب والعبر. وجاء فى تذكرة النبيه أن الحصار دام ثلاثة وثلاثين يوما.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) فى الأصل: «صحيل». والمثبت من الكامل ١٠/ ٤١١، ٤٧٥، وكنز الدرر، وعقد الجمان.

المسلمين مِن زمانِ مُعاويةَ ، فقد فتَحها سفيانُ بنُ مُجيبٍ[1] لمعاويةَ ، فأسْكَنها مُعاويةُ اليهودَ ، ثم كان عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ جدَّد عِمارتَها ، وحصَّنها وأسْكَنها المسلمينَ ، وصارَت آمِنةً عامرةً مُطْمَئِنَّةً ، وبها ثِمارُ الشامِ ومصرَ ، فإن بها الجَوْزَ والمَوْزَ والثَّلْجَ والقَصَبَ ، والمياهُ جاريةٌ فيها تَصْعَدُ إلى أمكنةٍ عاليةٍ ، وقد كانت قبلَ ذلك ثلاثَ مدنٍ مُتقاربةٍ ، ثم صارت بلدًا واحدًا ، ثم حُوِّلَت مِن موضعِها كما سيأْتى الآن . ولمّا وصَلَت البِشارةُ إلى دمشقَ دَقَّت البشائرُ ، وزُيِّنَت البلادُ ، وفرِح الناسُ فرحًا شديدًا ، ولِلَّهِ الحمدُ والمنةُ .

ثم أمَر السلطانُ الملكُ المنصورُ قَلاوُون أن تُهْدَمَ البلدُ بما فيها مِن العَمائرِ والدُّورِ والأسْوارِ الحصينةِ التى كانت عليها ، وأن يُبْنَى على مِيلٍ منها بَلْدةٌ غيرُها أمْكَنُ منها وأحْسَنُ ، ففُعِل ذلك ، فهى هذه البَلْدةُ التى يقالُ لها : طَرابُلُسُ[2] التى جعَلها اللَّهُ تعالى دارَ أمانٍ وإيمانٍ .

ولما فرَغ السلطانُ [من][3] فَتْحِ طرابُلُسَ[2] عاد إلى دمشقَ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا مسرورًا مَحْبورًا ، فدخَلها يومَ النصفِ مِن جُمادَى الآخِرةِ ، ولكنه فوَّض الأمورَ والكلامَ فى الأموالِ إلى عَلَمِ الدينِ الشُّجاعىِّ ، فصادَر جَماعةً وجمعَ أموالًا كثيرةً ، وحصَل بسببِ ذلك أذَى الخلقِ ، وبئْسَ هذا الصَّنيعُ ؛ لأن ذلك تَعْجيلٌ لدَمارِ الظالمِ وهَلاكِه ، فلم يُغْنِ عن المنصورِ ما جمَع له الشُّجاعىُّ مِن الأموالِ شيئًا ، فإنه لم يَعِشْ بعدَ ذلك إلا اليَسيرَ حتى أخَذه اللَّهُ ، كما سيأْتى . ثم سافَر السلطانُ فى ثانى شعبانَ بجيشِه إلى الديارِ المصريةِ ، فدخَلَها فى أواخِرِ شعبانَ .

---

(١) فى الأصل ، م ، عقد الجمان : « نجيب » . والمثبت من أسد الغابة ٢/ ٤٠٧ . وانظر الإكمال ١/ ٢١٠، ٢١١.
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) سقط من : الأصل . وأضفناها لتستقيم العبارة .

وفيها فُتِحَت قِلاعٌ كثيرةٌ [١٠/١٠٠ظ] بناحيةِ حلبَ ؛ كَرْكَرُ[(١)] وتلك النَّواحى ، وكُسِرَت طائفةٌ مِن التَّتَرِ هناك ، وقُتِل ملكُهم خَرْبَندا نائبُ التَّتَرِ على مَلَطْيَةَ .

وفيها توَلَّى الحِسْبَةَ بدمشقَ جَمالُ الدينِ يوسفُ بنُ التَّقىِّ تَوْبَةَ التَّكْريتىِّ ، ثم أخَذَها بعدَ شهورٍ تاجُ الدينِ الشِّيرازىُّ .

وفيها وُضِع منبرٌ عندَ مِحْرابِ الصَّحابةِ بسببِ عِمارةٍ كانت فى المَقْصورةِ ، فصلَّى بُرْهانُ الدينِ الإسْكَنْدرىُّ نائبُ الخطيبِ بالناسِ هناك مدةَ شهرِ الجماعاتِ والجُمُعاتِ ، ابْتَدَءوا ذلك مِن يومِ الجمعةِ الثانى والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخةُ فاطمةُ بنتُ الشيخِ إبراهيمَ [(٢)] **بنتُ الرُّعَيْنىِّ** [(٢)] ، زوجةُ النَّجْمِ بنِ إسرائيلَ ، كانت مِن بيتِ الفقرِ ، لها سَلْطنةٌ وإقدامٌ وترجمةٌ وكلامٌ فى طريقةِ الحريريةِ وغيرِهم ، وحضَر جِنازتَها خلقٌ كثيرٌ ، ودُفِنَت عندَ الشيخِ رَسلان .

العلمُ ابنُ الصاحبِ الماجنُ ، هو الشيخُ الفاضلُ عَلَمُ الدينِ أحمدُ بنُ يوسُفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ شُكْرٍ[(٣)] ، كان مِن بيتِ علمٍ ورِياسةٍ ، وقد درَّس فى بعضِ المدارسِ ، وكانت له وَجاهةٌ ورِياسةٌ ، ثم ترَك ذلك كلَّه ، وأقْبَل على الحرفشةِ وصُحْبةِ الحَرافِيشِ[(٤)] والتَّشَبُّهِ بهم فى اللِّباسِ والطريقةِ ، وأَكَل الحَشيشَ

---

(١) كركر : حصن قرب ملطية . معجم البلدان ٤/ ٢٦٢.

(٢ - ٢) سقط من : م . انظر ترجمتها فى عقد الجمان ٢/ ٣٩١، وفيه : «الزعيبى» .

(٣) العبر ٥/ ٣٥٧، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٩٢، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٧، وعقد الجمان ٢/ ٣٨٩، والمنهل الصافى ٢/ ٢٧٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٨، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٣.

(٤) الحرافيش مفردها حرفوش وهم الرعاع .

(1) واسْتَعْمَل ما(1) كان مِن إلْفِهِم فى الخَلاعةِ والمجُونِ والزَّوائدِ الرائقةِ الفائقةِ التى لا يُلْحَقُ فى كثيرٍ منها، وقد كان له أولادٌ فُضَلاءُ يَنْهَوْنه عن ذلك، فلا يَلْتَفِتُ إليهم، ولم يَزَلْ ذلك دَأْبَه حتى تُوُفِّى ليلةَ الجمعةِ الحادى والعشرين مِن ربيعٍ الأولِ.

ولما وَلِى القُضاةُ الأربعةُ كان ابنُ خالتِه تاجُ الدينِ ابنُ بنتِ الأعَزِّ مُسْتَقِلًّا فى القَضاءِ قبلَ ذلك، فقال له ابنُ الصاحبِ المذكورُ: ما مِتُّ حتى رأيْتُك صاحبَ رُبْعٍ(2). فقال له: تَسْكُتُ وإلا خلَّيْتُهم يَسْقُونك السُّمَّ. فقال له: فى قلةِ دينِك تَفْعَلُ، وفى قلةِ عُقولِهم يَسْمَعوا منك.

وقال يَمْدَحُ الحَشيشةَ الخَسيسةَ:

فى خُمارِ الحَشيشِ معنى مَرامِى	يا أُهَيْلَ العقولِ والأفْهامِ
حرَّموها عن غيرِ عقلٍ ونقلٍ	وحَرامٌ تَحْريمُ غيرِ الحَرامِ

وله أيضًا:

يا نَفْسُ مِيلى إلى التَّصابى	فاللَّهْوُ منه الفَتَى يَعِيشُ
ولا تَمَلِّى مِن سُكْرِ يومٍ	إن أعْوزَ الخمرُ فالحشيشُ

وله أيضًا:

جمَعْتُ بينَ الحَشيشِ والخَمْرِ	فرُحْتُ لا أَهْتَدِى مِن السُّكْرِ
يا مَن يُرِينى لباب مدرستى	يَرْبَحُ واللَّهُ غايةُ الأجْرِ

(1 - 1) فى م: «واستعمله».

(2) الربع: الحكم. انظر الوسيط (ر ب ع).

وقال يَهْجُو الصاحبَ بَهاءَ الدينِ بنَ الحِنَّا[1] :

اقْـعُـدْ بـهـا وتَـهَـنَّـا   لابـدَّ أن تـتـعَـنَّـى
تَكْتُبْ على ابنِ محمدْ[2]   من أين لكْ يا بنَ حِنّا

فاسْتَدْعاه فضرَبه ، ثم أمَر به إلى المارَسْتانِ ، فمكَث فيه سنةً ، ثم أُطْلِق .

شمسُ الدينِ الأصْبَهانيُّ شارحُ « المَحْصولِ » محمدُ بنُ محمودِ بنِ محمدِ ابنِ عَبّادٍ السَّلْمانيُّ العَلّامةُ[3] ، قدِم دمشقَ بعدَ الخمسين وستِّمائةٍ ، وناظَر الفُقَهاءَ ، واشْتَهَرت فَضائِلُه ، وسمِع الحديثَ ، وشرَح « المَحْصولَ » للرازيِّ ، وصنَّف القَواعدَ فى أربعةِ فُنونٍ ؛ أصولِ الفقهِ ، وأصولِ الدينِ ، والمَنْطِقِ ، والخِلافِ ، وله معرفةٌ جيدةٌ بالمَنْطِقِ والنحوِ والأدبِ ، وقد رحَل إلى مصرَ ، فدرَّس بمشهدِ الحسينِ والشافعيِّ وغيرِهما ، ورحَل إليه الطَّلَبةُ ، تُوُفِّى فى العشرين مِن رجبٍ فى القاهرةِ ، عن ثنتين وسبعين سنةً .

الشمسُ[4] **محمدُ بنُ العَفيفِ سليمانَ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ التِّلْمِسانيُّ** ، الشاعرُ المُطَبِّقُ ، كانت وفاتُه فى حياةِ أبيه ، فتألَّم له ، ووجَد عليه وَجْدًا شديدًا ، [١٠١/١٠و] ورثاه بأشعارٍ كثيرةٍ ، تُوُفِّى يومَ الأربعاءِ الرابعَ عشَرَ مِن

---

(١) لم نقف على هذه الأبيات .

(٢) فى الأصل : « بحر » .

(٣) العبر ٥/ ٣٥٩، والوافى بالوفيات ٥/ ١٢، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٥، والسلوك ٧٥٠/١ (القسم الثالث) ، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٦.

(٤) بعده فى الأصل : « بن » . وانظر مصادر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٥٩، والوافى بالوفيات ٣/ ١٢٩، وفوات الوفيات ٣/ ٣٧٢، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٦، والسلوك ١/ ٧٥٠ (القسم الثالث) ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٥.

رجبٍ ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، ودُفِن بالصُّوفيةِ . فمِن رائقِ شعرِه قولُه :

وإنَّ ثَنايَاه نجومٌ لِبَدْرِهِ ... وهنَّ لعِقدِ الحُسْنِ فيه فَرائدُ
وكم يَتَجافَى خَصْرُه وهْو ناحِلٌ ... وكم يَتَحَلَّى ثغرُه وهْو بارِدُ

وله يَذُمُّ الحَشِيشةَ :

ما للحَشِيشةِ فضلٌ عندَ آكلِها ... لكنه غيرُ مَصْروفٍ إلى رَشَدِهْ
صفراءُ فى وجهِهِ خَضْراءُ فى فمِهِ ... حمراءُ فى عينِهِ سوداءُ فى كبِدِهْ[1]

ومِن شعرِه أيضًا :

بدا وجهُه مِن فوقِ ذابلِ قَدِّه[2] ... وقد لاح مِن سُودِ الذَّوائِبِ فى جُنْحِ
فقلت عجيبٌ كيف لم يَذْهَبِ الدُّجَى ... وقد طلَعَت شمسُ النَّهارِ على رُمْحِ

وله مِن جُملةِ أبياتٍ[3] :

ما أنت عندى والقَضيـ ... ـبُ اللَّدْنُ فى حدٍّ سَوَا
هذاك حرَّكه الهَوا ... ءُ وأنت حرَّكْتَ الهَوَى

الملكُ المنصورُ شِهابُ الدينِ محمودُ بنُ الملكِ الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ[4] ، تُوُفِّى يومَ الثلاثاءِ ثامنَ عشَرَ شعبانَ ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، ودُفِن مِن يومِه بتربةِ جدِّه ، وكان ناظرَها ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وكان يُحِبُّ أهلَه ، وكان فيه لُطْفٌ وتَواضُعٌ .

---

(1) فى الأصل : « جسده » .

(2) فى الأصل ، م : « خده » . والمثبت من فوات الوفيات ٣/ ٣٧٨.

(3) انظر عقد الجمان ٢/ ٣٨٩.

(4) نهاية الأرب ٣١/ ١٦٥، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٤، وعقد الجمان ٢/ ٣٩٠.

الشيخُ فخرُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ يوسُفَ البَعْلَبَكِّيُّ الحنْبليُّ[1] ، شيخُ دارِ الحديثِ النُّوريةِ ومشهدِ ابنِ عُرْوةَ ، وشيخُ الصَّدْريةِ ، كان يُفْتى ويُفِيدُ الناسَ مع دِيانةٍ وصَلاحٍ وزَهادةٍ وعِبادةٍ ، وُلِد سنةَ إحدى عشْرَةَ[2] وستِّمائةٍ ، وتُوُفِّى فى رجبٍ منها .

---

(١) العبر ٥/ ٣٥٨، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣١٩، وعقد الجمان ٢/ ٣٨٩، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٤.

(٢) فى الأصل : « وعشرين » .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وثمانين وستّمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ الملكِ المنصورِ قَلاوُون ، وكان الخليفةُ الحاكمَ العباسىَّ ، ونائبُ مصرَ حُسامَ الدينِ طُرُنْطاى[2] ، ونائبُ الشامِ حُسامَ الدينِ لاجِين ، وقُضاةُ الشامِ شِهابَ الدينِ بنَ الخويِّىِّ الشافعىَّ ، وحُسامَ الدينِ الحَنَفىَّ ، ونجمَ الدينِ بنَ شيخِ الجبلِ الحنبلىَّ[3] ، وجَمالَ الدينِ الزَّواوىَّ المالكىَّ .

وجاء البريدُ بَطَلَبِ شمسِ الدينِ سُنْقُرَ الأعسرِ[4] إلى الديارِ المصريةِ ، فأكْرَمه السلطانُ وقوّاه ، وشدَّ يدَه ، وأمَرَه باستِخْلاصِ الأموالِ ، وزاده شدَّ الجيوشِ ، والكلامَ على الحُصونِ إلى البِيرَةِ وكختا وغيرِ ذلك ، فقوِيَت نفسُه ، وزاد تجَبُّرُهُ ، ولكن كان يَرْجِعُ إلى مُروءةٍ وسَتْرٍ ، ويَنْفَعُ مَن يَنْتَمِى إليه ، وذلك مَودةٌ فى الدنيا فى أيامٍ قَلائلَ .

وفى جُمادَى الآخِرةِ جاء البَريدُ بالكشفِ على ناصرِ الدينِ بنِ المَقْدِسىِّ وكيلِ بيتِ المالِ وناظرِ الخاصِّ (5والأوقافِ5) ، فظهَرت عليه مَخازٍ مِن أكلِ الأوْقافِ وغيرِها ، فرُسِم عليه بالعَذْراويةِ ، وطُولِب بتلك الأموالِ ، وضُيِّق عليه ،

---

(١) نهاية الأرب ٣١/١٦٧ - ١٨٤، وكنز الدرر ٨/٣٠٠ - ٣٠٥، وتذكرة النبيه ١/ ١٣٦، وعقد الجمان ٣/ ١٠- ٤٠، والسلوك ١/٧٥١ - ٧٥٩ (القسم الثالث) .

(٢) فى م : « طرقطاى » . وانظر المصادر السابقة .

(٣) سقط من : م . وانظر المصادر السابقة .

(٤) فى م : « الأشقر » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

وعمِل فيه سيفُ الدينِ أبو العباسِ السامَرِّىُّ قَصيدةً يَتَشَفَّى فيها لِما كان أسْدَى إليه مِن الظلمِ والإيذاءِ، مع أنه راح إليه، وتغَمَّم له وتَمازَحا هنالك، ثم جاء البريدُ بطلبِه إلى الديارِ المصريةِ، فخاف النُّوَّابُ مِن ذَهابِه، (1إليها وفُضولِه وشرِّه1)، فأَصْبَح يومَ الجمعةِ (1ثالث شعبانَ1) وهو مَشْنوقٌ بالمدرسةِ العَذْراويةِ، فطُلِبَت القُضاةُ والشُّهودُ، فشاهَدوه كذلك، ثم جُهِّز وصُلِّى عليه بعدَ الجمعةِ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيةِ عندَ أبيه، وكان مدرسًا بالرَّواحِيةِ وتُرْبةِ أمِّ الصالحِ، مع الوِكالتَيْن والنَّظَرِ.

وجاء البريدُ بعملِ مَجانِيقَ لحِصارِ عَكَّا، فركِب الأعْسَرُ إلى أراضى بَعْلَبَكَّ لِما هنالك مِن الأخشابِ العظيمةِ التى لا يُوجَدُ مثلُها بدمشقَ، وهى تَصْلُحُ لذلك، فكثُرَت الجِناياتُ والجِبايَاتُ والسُّخْرُ، وكلَّفوا الناسَ تَكْليفًا كثيرًا، وأخَذوا أخَشابَ الناسِ، وحُمِلَت إلى دمشقَ بكُلْفةٍ عظيمةٍ وشدةٍ كثيرةٍ، فإنا للَّهِ [١٠/١٠١ظ] وإنا إليه راجِعون.

وفاةُ الملكِ المنصورِ قلاوُون، بينما الناسُ فى هذا الهَمِّ والمُصادَراتِ وأمثالِ ذلك إذ ورَدتْ بريديةٌ، فأخبَروا بوَفاةِ الملكِ المنصورِ يومَ السبتِ سادس ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ، بالمُخَيَّمِ ظاهرَ القاهرةِ، ثم حُمِل إلى قلعةِ الجبلِ ليلًا، وجلَس بعدَه ولدُه الملكُ الأشْرَفُ خَليلٌ بوِلايةِ العهدِ له، وحلَف له جميعُ الأمراءِ، وخُطِب له على المَنابرِ، وركِب فى أُبَّهةِ المُلكِ، والعَسكرُ كلُّهم فى خدمتِه مُشاةً مِن قلعةِ الجبلِ إلى المَيْدانِ الأسْودِ الذى هو سوقُ الخيلِ، وعلى الأمراءِ والمُقَدَّمين الخِلَعُ وعلى القُضاةِ والأعْيانِ، ولما جاءت الأخْبارُ بذلك حلَف

(١ - ١) سقط من: م.

له الأُمراءُ بالشامِ، وقبَض على حُسامِ الدينِ طُرُنطاى نائبِ أبيه، وأخَذ منه أموالًا جَزيلةً جدًّا، فأنْفَق منها على العَسكرِ.

وفيها ولِى خطابةَ دمشقَ زَيْنُ الدينِ عمرُ بنُ مَكِّيِّ بنِ المُرَحِّلِ عِوَضًا عن جَمالِ الدينِ بنِ عبدِ الكافى، وكان ذلك بمُساعدةِ الأعْسَرِ، وتوَلَّى نظرَ الجامعِ الرئيسُ وَجيهُ الدينِ بنُ المُنَجَّا الحَنْبلىُّ، عِوَضًا عن ناصرِ الدينِ بنِ المَقْدِسىِّ، وثمَّر وَقْفَه وعمَّره، وزاد مائةً وخمسين ألفًا.

وفيها احْتَرَقَت دارُ صاحبِ حَماةَ، وذلك أنه وقَع فيها نارٌ فى غَيْبتِه، فلم يَتَجاسَرْ أحدٌ يَدْخُلُها، فعمِلَت النارُ فيها يومين، فاحْتَرَقَت واحْتَرَق كلُّ ما فيها.

وفى شَوَّالٍ درَّس بتربةِ أمِّ الصالحِ بعدَ ابنِ المَقْدسىِّ القاضى إمامُ الدينِ القُونَوِىُّ.

وفيها باشَر الشَّرَفُ حسنُ[1] بنُ أحمدَ بنِ الشيخِ أبى عمرَ قَضاءَ الحَنابلةِ عِوَضًا عن ابنِ عمِّه نجمِ الدينِ بنِ شيخِ الجبلِ، عن مَرْسومِ الملكِ المنصورِ قبلَ وفاتِه.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مِن الشامِ الأميرُ بدرُ الدينِ [2]بَكْتُوت الزوباسىُّ[2]، وحجَّ قاضى القُضاةِ شِهابُ الدينِ بنُ الخُوَيِّىِّ، وشمسُ الدينِ بنُ السَّلْعُوسِ، ومُقَدَّمُ الرَّكْبِ الأميرُ عُتْبةُ، فتوَهَّم منه أبو نُمَىٍّ، وكان بينَهما عَداوةٌ، فأغْلَق أبوابَ مكةَ، ومنَع الناسَ مِن دخولِها، فأحْرق البابُ، وقُتِل جماعةٌ، ونُهِبَتْ بعضُ الأماكنِ، وجرَت خُطوبٌ فَظيعةٌ، ثم أرْسَلوا القاضىَ ابنَ

---

(١) فى الأصل، م: «حسين». والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ١٧٢، وعقد الجمان ٣/ ٤٦، والسلوك ١/ ٧٥١ (القسم الثالث). وستأتى ترجمته فى صفحة ٦٨٩ ضمن وفيات سنة خمس وتسعين وستمائة.

(٢ - ٢) فى م: «بكتوت الدوباسى»، وفى عقد الجمان ٣/ ٤٠: «بكتاش الزومانتى».

الخُوَيِّيّ ليُصْلِحَ بينَ الفريقَيْن ، ولما اسْتَقَرَّ عندَ أبى نُمَىٍّ رحيلُ الرُّكوبِ[1] ، وبقِى هو فى الحَرَمِ وحْدَه ، أرْسَل معه أبو نُمَىٍّ مَن ألْحَقه بهم سالمًا مُعَظَّمًا . وجاء الخبرُ بموتِ المنصورِ إلى الناسِ وهم بعَرَفاتٍ ، وهذا شىءٌ عجيبٌ ، وجاء كتابٌ يَسْتَحِثُّ الوزيرَ ابنَ السَّلْعُوسِ فى المَسيرِ إلى الديارِ المصريةِ ، وبينَ الأسْطُرِ بخطِّ الملكِ الأشرفِ : يا شقير ، يا وجهَ الخير ، احْضُرْ لتتسَلَّمَ الوِزارةَ . فساق إلى القاهرةِ ، فوصَلها يومَ الثلاثاءِ عاشر المحرمِ ، فتسَلَّم الوِزارةَ كما قال السلطانُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

السلطانُ الملكُ المنصورُ قَلاوُون بنُ عبدِ اللهِ التُّرْكىُّ الصالحىُّ الأَلْفىُّ[2] ، اشْتَراه الملكُ الصالحُ نجمُ الدينِ أيوبُ بنُ الملكِ الكاملِ محمدِ بنِ العادلِ أبى بكرِ ابنِ أيوبَ بألفِ[3] دينارٍ ، وكان مِن أكابرِ الأمراءِ عندَه وبعدَه ، ولما تزَوَّج الملكُ السعيدُ بنُ الظاهرِ بابنتِه غازِيَةَ خاتون ، عظُم شأنُه جدًّا عندَ الظاهرِ ، وما زال يَرْتفِعُ فى الدولةِ حتى صار أتابِكَ سَلَامُش بنِ الظاهرِ ، ثم رفَعه مِن البَيْنِ ، واسْتَقَلَّ بالمُلْكِ فى [4]سنةِ ثمانٍ وسبعين ، وكسَر التتارَ على حمصَ فى سنةِ ثمانين ، فأحبَّه الناسُ ، وفتَح المَرْقَبَ فى[4] سنةِ أربعٍ وثمانين ، وفتَح طَرابُلُسَ سنةَ ثمانٍ وثمانين ، وعزَم على فتحِ [١٠٢/١٠و] عَكَّا وبرَز لها ، فعاجَلَته المَنِيَّةُ فى السادسِ والعشرين مِن ذى القَعْدةِ ، ودُفِن بتربتِه بمدرستِه الهائلةِ التى أنْشأها بينَ

---

(١) الركوب : جمع الرَّكْب .

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ١٧٣، وكنز الدرر ٨/ ٣٠١، والعبر ٥/ ٣٦٣، وفوات الوفيات ٣/ ٢٠٣، وتذكرة النبيه ١/ ١٣٥، والسلوك ٧٥٤/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ١٢، والدليل الشافى ٢/ ٥٤٨.

(٣) فى م : « بألفى » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

القَصْرَيْن ، التى ليس بديارِ مصرَ ولا بالشامِ مثلُها ، وفيها دارُ حديثٍ ومارَسْتانٌ ، وعليها أوْقافٌ دارَّةٌ كثيرةٌ عظيمةٌ ، مات عن قريبٍ مِن ستين سنةً[1] ، وكانت مدةُ ملكِه اثنتى عشْرةَ سنةً ، وكان حسنَ الصورةِ مَهِيبًا ، عليه أُبَّهةُ السَّلْطنةِ ومَهابةُ المُلْكِ ، تامَّ القامةِ ، حسنَ اللحيةِ ، عالىَ الهِمَّةِ ، شُجاعًا وَقورًا ، سامَحه اللّهُ .

الأميرُ حسامُ الدينِ طُرُنْطاى[2] ، نائبُ السلطنةِ المنصوريةِ بمصرَ ، أخَذه الأشْرَفُ فسَجَنه بقلعةِ الجبلِ ثم قتَله ، وبقِى ثمانيةَ أيامٍ لا يُدْرَى به ، ثم لُفَّ فى حَصيرٍ وأُلْقى على مَزْبَلةٍ ، وحَنَّ[3] عليه بعضُ الناسِ ، فكُفِّن كآحادِ الفُقَراءِ بعدَ النَّعيمِ الكثيرِ ، والدنيا المُتَّسِعةِ ، والكلمةِ النافذةِ ، وقد أخَذ السلطانُ مِن حَواصِلِه ستَّمائةِ ألفِ دينارٍ وسبعين قِنْطارًا بالمصرىِّ فِضَّةً ، ومِن الجواهِرِ شيئًا كثيرًا ، سوى الخيلِ والبِغالِ والجِمالِ والأمْتِعةِ والبُسُطِ الجِيادِ ، والأسلحةِ المُثَمَّنةِ ، وغيرِ ذلك مِن الحَواصِلِ والأمْلاكِ بمصرَ والشامِ ، وترَك ولدَيْن أحدُهما أعْمَى ، وقد دخَل هذا الأعْمى على الأشرفِ ، فوضَع المِنْديلَ على وجهِه وقال : شىءٌ للّهِ . وذكَر له أن لهم أيامًا لا يَجِدون شيئًا يَأْكُلونه ، فرقَّ لهم وأطْلَق لهم الأمْلاكَ يَأْكُلون مِن رِيعِها ، فسبحانَ اللّهِ المُتَصَرِّفِ فى خلقِه بما يَشاءُ ، يُعِزُّ مَن يَشاءُ ويُذِلُّ مَن يَشاءُ .

الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ رَشِيدُ الدينِ عمرُ بنُ إسماعيلَ بنِ مسعودٍ الفارقىُّ الشافعىُّ[4] ، مدرسُ الظاهريةِ ، تُوُفِّى بها وقد جاوَز التسعين ، وُجِد مَخْنوقًا فى

---

(١) بعده فى الأصل : « وقيل ثمانين سنة » .

(٢) فى م : « طرقطاى » . وانظر ترجمته فى : نهاية الأرب ٣١/ ١٨٠، والعبر ٥/ ٣٦١، المنهل الصافى ٦/ ٣٨٦، وعقد الجمان ٣/ ٢٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٣.

(٣) فى م : « حزن » .

(٤) نهاية الأرب ٣١/ ١٧٢، والعبر ٥/ ٣٦٣، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٤٣١، وفوات الوفيات =

المُحَرَمِ ، ودُفِن بالصوفيةِ ، وقد سمِع الحديثَ ، وكان منفردًا فى فنونٍ مِن العلومِ كثيرةٍ ، منها النحوُ والأدبُ وحَلُّ المُتَرْجَمِ والكِتابةُ والإنشاءُ وعلمُ الفَلَكِ والنُّجومِ وضربُ الرَّمْلِ والحسابُ وغيرُ ذلك ، وله نَظْمٌ حسنٌ .

الخطيبُ جَمالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الكافى بنُ عبدِ الملكِ بنِ عبدِ الكافى الرَّبَعىُّ[(1)] ، تُوُفِّى بدارِ الخَطابةِ ، وحضَر الناسُ الصلاةَ عليه يومَ السبتِ سَلْخَ جُمادَى الأولى ، وحُمِل إلى السفحِ ، فدُفِن إلى جانبِ الشيخِ يوسُفَ الفُقَاعِىِّ .

فخرُ الدينِ (2)**أبو الطاهرِ**(2) **إسماعيلُ بنُ عِزِّ القُضاةِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ أبى اليُمْنِ** ، الشيخُ الزاهدُ المُتَقَلِّلُ مِن مَتاعِ الدنيا ، تُوُفِّى فى العشرين مِن رمضانَ ، وصُلِّى عليه فى الجامعِ ، ودُفِن بتربةِ بنى الزَّكىِّ بقاسِيونَ مَحَبَّةً فى مُحْيِى الدينِ بنِ عَرَبىٍّ ؛ فإنه كان يَكْتُبُ مِن كلامِه كلَّ يومٍ ورقتَيْن ، ومِن الحديثِ ورقتَيْن ، وكان مع هذا يَحْسُنُ الظَّنُّ به ، وكان يُصَلِّى مع الأئمةِ كلِّهم بالجامعِ ، وقد أخْبَر عنه بعضُ العلماءِ أنه رأَى بخطِّه :

وفى كلِّ شىءٍ له آيةٌ ... تَدُلُّ على أنه عينُهُ

وقد صَحَّح على « عينُه » ، وإنما الصحيحُ المَرْوِىُّ عمن أنْشَد هذا الشعرَ أولًا :

* تَدُلُّ على أنه واحدُ[(3)] *

= ٢/٢٠٣ - وفيه أنه توفى سنة سبع وثمانين وستمائة - وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٣١، وعقد الجمان ٣/ ٤١، والدارس ١/ ٣٥١، وبغية الوعاة ٢/ ٢١٦.

(١) العبر ٥/ ٣٦٣، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٨٠، وتذكرة النبيه ١/ ١٣١، وعقد الجمان ٣/ ٤٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٦.

(٢ - ٢) فى م : « أبو الظاهر » . وانظر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٦١، وفوات الوفيات ١/ ١٧٩، والوافى بالوفيات ٩/ ١٦٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٣٠، وعقد الجمان ٣/ ٤٤، والمنهل الصافى ٢/ ٤٠٨.

(٣) وهو لأبى العتاهية . انظر التمثيل والمحاضرة ص ١١.

وله شعرٌ فمنه :

(1) والنهرُ قد (2) جُنَّ بالغصونِ هوًى ... فراح فى قلبِه يمثِّلُها (1)

فغار منه النَّسيمُ عاشِقُها ... فجاء عن وصلِه يُميِّلُها

وله أيضًا :

لما تَحَقَّق بالإمكانِ فوقَكمُ ... وقد بدا حكمُه فى عالمِ الصُّوَرِ

[١٠٢/١٠ ظ] تميَّزَ (3) الجمعُ عنه وهْو مُتَّحِدٌ ... فلاحَ فوقَكمُ (4) فى عالمِ الصورِ

وله :

لى سادةٌ لا أَرَى سِواهمْ ... هم عينُ مَعْناىَ عينُ (5) جَوْفى

لقد أحاطوا بكلِّ جزءٍ ... منِّى وعزُّوا عن دَرْكِ طَرْفى

هم نظَروا فى عمومِ فَقْرى ... وطولِ ذُلِّى وفَرْطِ ضَعْفى

فعامَلونى ببَحْتِ جودٍ ... وصَرْفِ برٍّ ومَحضِ لُطْفِ

فلا تَلُمْ إن جررْتُ ذَيْلى ... فخرًا بهم أو ثَنَيتُ عِطْفِى

وله :

مواهبُ ذى الجَلالِ لدىَّ تَتْرَى ... فقد أخْرَسْنَنى ونَطَقْنَ شُكْرا

(1 - 1) فى الأصل :

« وللدهر منذ حسر بالغصون هوى ... فصار برانا قبلته يمثلها »

(2) فى م : « مذ » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(3) فى م : « فميز » .

(4) فى م : « فرقكم » .

(5) فى الأصل : « غير » .

فنُعْمى إثرَ نُعمى إثرَ نُعْمى (١وبُشرى بعدَ بُشرى بعدَ بُشرى١)

لها بَدْءٌ وليس لها انْتِهاءٌ يَعُمُّ مزيدُها دنيا وأخرى

الحاجُّ طَيْبَرْسُ بنُ عبدِ اللهِ، عَلاءُ الدينِ الوزيريُّ[٢]، صِهْرُ الملكِ الظاهرِ، كان مِن أكابرِ الأمراءِ ذوِى الحَلِّ والعَقْدِ، وكان دَيِّنًا، كثيرَ الصَّدَقاتِ، له خانٌ بدمشقَ أوْقَفه، وله فى فِكاكِ الأسْرَى وغيرِ ذلك، وأوْصَى عندَ موتِه بثلاثِمائةِ ألفٍ تُصْرَفُ على الجُنْدِ بالشامِ ومصرَ، فحصَل لكلِّ جنديٍّ خمسون درهمًا، وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ، ودُفِن بتربتِه بسفحِ المُقَطَّمِ.

قاضى القُضاةِ نجمُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ[٣] **بنُ الشيخِ شمسِ الدينِ بنِ أبى عمرَ المقدسىُّ**، تُوُفِّى ثانى عشَرَ (٤جمادى الآخرةِ منها، وحضَر جنازتَه خلقٌ كثيرٌ ونائبُ السلطنةِ، ودُفِن بقاسِيونَ، وله أربعون سنةً سواءً٤)، وكان فاضلًا بارعًا خطيبًا مُدَرِّسًا، درَّس بأكثرِ المدارسِ، وهو شيخُ الحَنابلةِ وابنُ شيخِهم، وتولَّى بعدَه القضاءَ الشيخُ شرفُ الدينِ حسنُ[٥] بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبى عمرَ. واللهُ أعلمُ.

(١ - ١) فى الأصل: «ويسرا بعد يسرا بعد يسرا».

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ١٨٥، وعقد الجمان ٣/ ٤٩، والدليل الشافى ١/ ٣٧٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٥.

(٣) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: العبر ٥/ ٣٦٠، والوافى بالوفيات ٧/ ٤٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٩، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٢٢، وعقد الجمان ٣/ ٤٥، والمنهل الصافى ١/ ٣٣٠.

(٤ - ٤) فى م: «رجب بسوا».

(٥) فى الأصل، م: «حسين». وانظر ما تقدم فى صفحة ٦٢٥.

ثم دخلت سنةُ تسعين وستّمائةٍ من الهجرةِ[1]

فيها فُتِحَت عَكّا وبقيةُ السَّواحِلِ التى كانت بأيدى الفِرِنْجِ مِن مُدَدٍ مُتطاوِلةٍ ، ولم يَبْقَ لهم فيها حجرٌ واحدٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أبو العباسِ العباسيُّ ، وسلطانُ البلادِ الملكُ الأشرفُ خَليلُ بنُ المنصورِ قَلاوُون ، ونائبُه بمصرَ وأعمالِها بدرُ الدينِ بَيْدَرا ، ووَزيرُه ابنُ السَّلْعُوسِ الصاحبُ شمسُ الدينِ ، ونائبُه بالشامِ حُسامُ الدينِ لاجِين السِّلَحْدارُ المنصوريُّ ، وقُضاةُ الشامِ هم المَذْكورون فى التى قبلَها ، وصاحبُ اليمنِ الملكُ المُظَفَّرُ شمسُ الدينِ يوسفُ بنُ المنصورِ نورِ الدينِ عمرَ بنِ عليِّ بنِ رسولٍ ، وصاحبُ مكةَ نجمُ الدينِ أبو نُمَيٍّ محمدُ بنُ إدْريسَ بنِ عليِّ بنِ قَتادةَ الحَسَنيُّ ، وصاحبُ المدينةِ عزُّ الدينِ جَمَّازُ بنُ شِيحَةَ الحُسَيْنيُّ ، وصاحبُ الرومِ غِياثُ الدينِ كَيْخُسرو بنُ رُكْنِ الدينِ قِلِيج أرْسَلان السَّلْجوقيُّ[2] ، وصاحبُ حَماةَ الملكُ المظفَّرُ تَقيُّ الدينِ[3] محمودُ بنُ الملكِ المنصورِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ الملكِ المُظَفَّرِ تَقيِّ الدينِ محمدٍ ، وسلطانُ بلادِ العراقِ وخُراسانَ وتلك

---

(١) نهاية الأرب ١٨٧/٣١ - ٢٢٣، وكنز الدرر ٣٠٥/٨ - ٣٢١، وتذكرة النبيه ١٣٧/١ - ١٤٣، والسلوك ٧٦٠/١ - ٧٧٥ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ٥٠ - ٨٩.

(٢) جاء فى أحداث سنة ثنتين وثمانين وستمائة فى مختصر أخبار البشر ٢/ ١٧، وعقد الجمان ٢/ ٣١٩، والسلوك ٧١٨/١ (القسم الثالث) أن غياث الدين قتله أرغون ملك التتر ، وتولى بعده مسعود بن عز الدين كيكاوس بن كيخسر وبن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان ، وأن مسعودا هذا كان آخر من سمى بالسلطان من السلجوفية ، وتوفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

(٣) بعده فى الأصل: « محمد بن » .

النَّواحي أرْغون بنُ أَبْغَا بنِ هُولَاكُو بنِ تُولى بنِ جِنْكِزْخان .

وكان أولَ هذه السنةِ يومُ الخميسِ ، وفيه تُصُدِّق عن الملكِ المنصورِ بأموالٍ كثيرةٍ جدًّا مِن الذهبِ والفضةِ ، وأُنْزِل السلطانُ إلى تربتِه فى ليلةِ الجمعةِ ، فدُفِن بها تحتَ القُبَّةِ ، ونزَل فى قبرِه بدرُ الدينِ بَيْدَرا وعَلَمُ الدينِ الشُّجاعيُّ ، وفُرِّقَت صَدَقاتٌ كثيرةٌ حينَئذٍ ، ولما قدِم الصاحبُ شمسُ الدينِ بنُ السَّلْعُوسِ مِن الحجازِ [١٠/١٠٣و] خُلِع عليه للوِزارةِ ، وكتَب تَقْليدَه بها القاضى مُحْيى الدينِ بنُ عبدِ الظاهرِ كاتبُ الإنْشا بيدِه ، وركِب الوزيرُ فى أُبَّهةِ الوِزارةِ إلى دارِه وحكَم .

ولما كان يومُ الجمعةِ قُبِض على شمسِ الدينِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ وسيفِ الدينِ جرمك الناصريِّ ، وأُفْرِج عن الأميرِ زَيْنِ الدينِ كَتْبُغَا ، وكان قد قُبِض عليه مع طُرُنْطاى(١) ، ورُدَّ عليه إقْطاعَه ، وأُعِيد التَّقيُّ تَوْبَةُ إلى وِزارةِ دمشقَ مرةً أخرى .

وفيها(٢) أثْبَت ابنُ الخُوَيِّيِّ مَحْضَرًا يَتَضَمَّنُ أن يَكونَ تَدْريسُ الناصريةِ للقاضى الشافعيِّ ، وانْتَزَعها مِن زينِ الدينِ الفارِقيِّ .

ذكرُ فتحِ عكَّا وبقيةِ السَّواحلِ(٣)

وفيها جاء البَريدُ إلى دمشقَ فى مُسْتَهَلِّ ربيعٍ الأولِ لتَجْهيزِ آلاتِ الحِصارِ

---

(١) فى م : « طرقطاى » .

(٢) الدارس ١/ ٤٦٠.

(٣) نهاية الأرب ٣١/١٩٥ - ٢٠٠، وكنز الدرر ٨/٣٠٨ - ٣١١، وتذكرة النبيه ١/ ١٣٧، وعقد الجمان ٣/ ٥٤، ٥٧ - ٦٥.

لعَكًا ، ونُودِى فى دمشقَ : الغَزاةَ فى سبيلِ اللَّهِ إلى عَكًا . وقد كان أهلُ عَكًا فى هذا الحِينِ عدَوْا على مَن عندَهم مِن تُجارِ المسلمين ، فقتَلوهم وأخَذوا أموالَهم ، فأُبْرِزَت المجَانيقُ إلى ناحيةِ الجُسُورةِ ، وخرَجَت العامَّةُ والـمُطَّوِّعَةُ يَجُرُّون فى العَجَلِ ، حتى الفُقهاءُ والمدرسون والصُّلَحاءُ ، وتولَّى سياقتَها الأميرُ عَلَمُ الدينِ الدَّواداريُّ ، وخرَجَت العَساكرُ بينَ يدى نائبِ الشامِ ، وخرَج هو فى آخِرِهم ، ولحِقَه صاحبُ حَماةَ الملكُ المُظَفَّرُ ، وخرَج الناسُ مِن كلِّ صَوْبٍ ، واتَّصَل بهم عَسْكرُ طَرابُلُسَ ، وركِب الأشرفُ مِن الديارِ المصريةِ بعساكرِه قاصدًا عَكًا ، فتوافَت الجُيوشُ هنالك ، فنازَلهم يومَ الخميسِ رابع[(١)] ربيعٍ الآخِرِ ، ونُصِبَت عليها المجَانيقُ مِن كلِّ ناحيةٍ يُمْكِنُ نَصْبُها عليها ، واجْتَهَدوا غايةَ الاجْتِهادِ فى مُحاربتِها والتَّضْييقِ على أهلِها ، واجْتَمَع الناسُ بالجَامعِ لقراءةِ « صحيحِ البخاريِّ » ، فقرَأه الشيخُ شَرَفُ الدينِ الفَزاريُّ ، وحضَر القُضاةُ والفقهاءُ والأعيانُ ، وفى أثْناءِ مُحاصَرةِ عكا وقَع تَخْبيطٌ مِن نائبِ الشامِ حُسامِ الدينِ لاجِين ، فتوَهَّم أن السلطانَ يُرِيدُ مَسْكَه ، وكان قد أخْبَرَه بذلك الأميرُ الذى يُقالُ له : أبو خُرُص[(٢)] . فركِب هاربًا ، فردَّه عَلَمُ الدينِ الدَّواداريُّ بالمسابه ، وجاء به إلى السلطانِ ، فطيَّب قلبَه ، وخلَع عليه ، ثم أمْسَكَه بعدَ ثلاثةِ أيامٍ ، وبعَثه إلى قلعةِ صَفَدَ ، واحْتاط على حَواصِلِه ، ورسَم على أُسْتَدارِه بدرِ الدينِ بكداش ، وجرَى ما لا يَليـقُ وقوعُه هنالك ، إذ الوقتُ وقتُ عُسْرٍ وضِيقٍ وحِصارٍ ، وصمَّم السلطانُ على الحِصارِ ، فرتَّب الكُوساتِ ثلاثَمائةِ حِمْلٍ ، ثم زَحَف يومَ الجمعةِ سابعَ عشَرَ

---

(١) فى المصادر : « ثالث » .

(٢) فى الأصل : « خوص » .

جُمادَى الأولى، ودَقَّت الكُوساتُ جُملةً واحدةً عندَ طُلُوعِ الشمسِ، وطلَع المسلمون على الأسْوارِ مع طُلوعِ الشمسِ، ونُصِبَت السَّناجِقُ الإسلاميةُ فوقَ أسْوارِ البلدِ، فولَّت الفِرِنْجُ عندَ ذلك الأدْبارَ، ورَكِبوا هارِبِين فى مَراكِبِ التُّجارِ، وقُتِل منهم عددٌ لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ تعالى، وغنِموا مِن الأمْتِعةِ والرَّقيقِ والبَضائعِ شيئًا كثيرًا جدًّا، وأمَر السلطانُ بهَدْمِها وتَخْريبِها، بحيث لا يُنْتَفَعُ بها بعدَ ذلك، فيسَّر اللَّهُ فتْحَها نَهارَ جمُعةٍ، كما أخَذَتها الفِرِنْجُ مِن المسلمين فى يومِ الجمعةِ، وسَلَّمَتْ صُورُ وصَيْدَا قِيادَهما إلى الأشرفِ، فاسْتَوْسَق الساحلُ للمسلمين، وتنَظَّف مِن الكافرين، وقُطِع دابرُ القومِ الذين ظلَموا، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين.

وجاءت البِطاقةُ إلى دمشقَ بذلك، ففرِح المسلمون، ودَقَّت البَشائرُ فى جميعِ الحُصونِ، وزُيِّنَت البلادُ ليَتَنَزَّهَ [١٠٣/١٠ظ] فيها الناظِرون والمُتَفَرِّجون، وأرْسَل السلطانُ إلى صُورَ أميرًا، فهدَم أسْوارَها، وعفا آثارَها، وقد كان لها فى أيدى الفِرِنْجِ مِن سنةِ ثمانِ عَشْرةَ وخمسِمائةٍ. وأما عَكَّا فقد كان الملكُ الناصرُ يوسفُ بنُ أيوبَ أخَذَها مِن أيدى الفِرِنْجِ، ثم إن الفِرِنْجَ جاءوا فأحاطوا بها بجيوشٍ كثيرةٍ، ثم جاء صلاحُ الدينِ بالجيوشِ ليُمانِعَهم عنها مدةَ سبعةٍ وثلاثين شهرًا، ثم فى آخرِ ذلك اسْتَمْلكوها، وقتَلوا مَن كان فيها مِن المسلمين، كما تقَدَّم ذلك.

ثم إن السلطانَ الملكَ الأشرفَ خَليلَ بنَ المنصورِ قَلاوُون سار مِن عَكَّا قاصدًا دمشقَ فى أُبَّهةِ المُلْكِ وحُرْمةٍ وافرةٍ، وفى صُحبتِه وزيرُه ابنُ السَّلْعُوسِ والجيوشُ المنصورةُ، وفى هذا اليومِ اسْتَناب بالشامِ الأميرُ عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الشُّجاعىُّ، وسكَن بدارِ السَّعادةِ، وزِيد فى إقْطاعِه حَرَسْتَا، ولم تُقْطَعْ لغيرِه، وإنما كانت

لِمَصالحِ حَواصِلِ القلعةِ ، وجُعِل له فى كلِّ يومٍ ثلاثُمائةٍ على دارِ الطُّعْمِ[1] ، وفُوِّض إليه أن يُطْلِقَ مِن الخزانةِ ما يُرِيدُ مِن غيرِ مُشاوَرةٍ ولا مُراجَعةٍ ، وأرْسَله السلطانُ إلى صَيْدَا ؛ لأنه كان قد بقِى بها بُرْجٌ عاصٍ ، ففتَحه ودقَّت البَشائرُ بسببِه ، ثم عاد سريعًا إلى السلطانِ فودَّعه ، وسار السلطانُ نحوَ الديارِ المصريةِ فى أواخِرِ رجبٍ ، وبعَثه إلى بيروتَ ليَفْتَحَها ، فسار إليها ففتَحها فى أقْربِ وقتٍ ، وسُلِّمَت عَثْلِيثُ[2] وأَنْطَرْطُوسُ وجُبَيْلٌ . ولم يَبْقَ بالسواحلِ - ولِلّهِ الحمدُ - مَعْقِلٌ للفِرِنجِ إلا بأيدى المسلمين ، وأراح اللّهُ منهم البلادَ والعِبادَ ، ودخَل السلطانُ إلى القاهرةِ فى تاسعِ شعبانَ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ جدًّا ، وكان يومًا مشهودًا ، وأفْرَج عن بدرِ الدينِ بَيْسَرِى بعدَ سَجْنٍ تسعَ[3] سِنينَ ، وردَّ عليه إقطاعَه ، ورجَع عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الشُّجاعىُّ نائبُ دمشقَ إلى دمشقَ فى سابعِ عشرين الشهرِ المذكورِ ، وقد نظَّف السَّواحلَ مِن الفِرِنجِ بالكليةِ ، ولم يَبْقَ لهم بها حَجَرٌ .

وفى رابعِ رمضانَ أفْرَج عن حُسامِ الدينِ لاجِين مِن قلعةِ صَفَدَ ، ومعه جَماعةُ أُمراءَ ، وردَّ إقْطاعاتِهم إليهم ، وأحْسَن إليهم وأكْرَمهم .

وفى أوائلِ رمضانَ طُلِب القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ مِن القدسِ الشريفِ - وهو حاكمٌ به وخطيبٌ فيه - على البَريدِ إلى الديارِ المصريةِ ، فدخَلها فى رابعَ عشَرَةَ ، وأفْطَر ليلتَئذٍ عندَ الوزيرِ ابنِ السَّلْعُوسِ ، وأكْرَمه جدًّا واحْتَرَمه ،

---

(١) فى م : « الطعام » . ودار الطعم : دار بدمشق بمثابة الوكالة بالديار المصرية . انظر صبح الأعشى ١٨٧/٤.

(٢) فى م : « عثلية » . وعثليث : اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر . معجم البلدان ٦١٦/٣.

(٣) فى الأصل ، م : « سبع » . والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ٨٨، ٢١٤، ٢١٥، وكنز الدرر ٨/ ٣١٢. وتقدم فى حوادث سنة إحدى وثمانين وستمائة أن السلطان المنصور قلاوون قبض عليه .

وكانت ليلةَ الجمعةِ ، فصرَّح الوزيرُ بعَزْلِ تقىِّ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ وتَوْليةِ ابنِ جَماعةَ بالديارِ المصريةِ قَضاءَ القُضاةِ ، وجاء القُضاةُ إلى تهنئتِه ، وأصْبَح الشُّهودُ فى خدمتِه ، ومع القَضاءِ خَطابةُ الجامعِ الأزهرِ ، وتَدْريسُ الصالحيةِ ، وركِب فى الخِلْعةِ والطَّرْحَةِ ، ورسَم لبقيةِ القُضاةِ أن يَسْتَمِرُّوا بلُبْسِ الطَّرَحاتِ ، وذهَب فخطَب بالجامعِ الأزهرِ ، وانْتَقل إلى المدرسةِ الصالحيةِ ، ودرَّس بها فى الجمعةِ الأخرى ، وكان درسًا حافلًا ، ولما كان يومُ الجمعةِ رسَم السلطانُ للحاكمِ بأمرِ اللَّهِ أن يَخْطُبَ هو بنفسِه الناسَ يومَئذٍ ، وأن يَذْكُرَ فى خطبتِه أنه قد ولَّى السَّلْطنةَ للأشْرفِ خَليلِ بنِ المنصورِ ، فلبِس خِلْعةً سوداءَ ، وخطَب الناسَ بالخطبةِ التى كان خطَب بها فى الدولةِ الظاهريةِ ، وكانت مِن إنْشاءِ الشيخِ شرفِ الدينِ المقدسىِّ فى سنةِ ستين وستِّمائةٍ ، [١٠٤/١٠و] فيَكونُ بينَ الخطبتَيْن أَزْيَدُ مِن ثلاثين سنةً ، وذلك بجامعِ قلعةِ الجبلِ ، ثم اسْتَمَر ابنُ جَماعةَ يَخْطُبُ بالقلعةِ عندَ السلطانِ ، وكان يَسْتَنيبُ فى الجامعِ الأزهرِ .

وأما ابنُ بنتِ الأعَزِّ فناله مِن الوزيرِ إخْراقٌ ومُصادَرةٌ وإهانةٌ بالغةٌ ، ولم يَتْرُكْ له مِن مَناصِبِه شيئًا ، وكان بيدِه سبعةَ عشَرَ مَنْصِبًا ؛ منها القَضاءُ ، والخَطابةُ ، ونَظَرُ الأحْباسِ ، ومَشْيَخةُ الشيوخِ ، ونظرُ الخزانةِ ، وتَداريسُ كِبارٌ ، وصادَرَه بنحوٍ مِن أربعين ألفًا ، غيرَ مَراكبِه وأشياءَ كثيرةٍ ، ولم يَظْهَرْ منه اسْتِكانةٌ له ولا خُضوعٌ ، ثم عاد فرضِى عنه ، وولَّاه تَدْريسَ الشافعىِّ .

وعُمِلَت خَتْمةٌ عندَ قبرِ الملكِ المنصورِ فى ليلةِ الاثنينِ رابع ذى القَعْدةِ ، وحضَرها القُضاةُ والأمراءُ ، ونزَل السلطانُ ومعه الخليفةُ إليهم وقتَ السَّحَرِ ، وخطَب الخليفةُ بعدَ الخَتْمةِ خُطْبةً بَليغةً ، حرَّض الناسَ فيها على غَزْوِ بلادِ العراقِ ، واسْتِنْقاذِها مِن أيدى التتَرِ ، وقد كان الخليفةُ قبلَ ذلك مُحْتَجِبًا ، فرآه

النَّاسُ جَهْرَةً ، ورَكِب فى الأسواقِ بعدَ ذلك .

وعمِل أهلُ دمشقَ خَتْمةً عظيمةً بالمَيْدانِ الأخضرِ إلى جانبِ القصرِ الأبْلَقِ ، فقُرِئَت خَتَماتٌ كثيرةٌ ، ثم خطَب الناسَ بعدَها الشيخُ عزُّ الدينِ الفارُوثيُّ [1] ، ثم ابنُ البُزُوريِّ ، ثم تكَلَّم مَن له عادةٌ بالكلامِ ، وجاءَت البَريديةُ بالتَّهَيُّؤِ لغَزْوِ العراقِ ، ونُودِى فى الناسِ بذلك ، وعُمِلَت سَلاسِلُ عِظامٌ بسببِ الجُسورةِ على دِجْلةِ بغدادَ ، وحُصِّلَت الأُجورُ على المقصودِ ، وإن لم يَقَعِ المقصودُ ، وحصَل لبعضِ الناسِ أذًى بسببِ ذلك .

وفيها نادَى نائبُ الشامِ الشُّجاعيُّ أن لا تَلْبَسَ امرأةٌ عِمامةً كبيرةً ، وخرَّب الأبْنيةَ التى على نهرَىْ بانِيَاسَ والجَداولَ كلَّها والمَسالحَ والسِّقاياتِ التى على الأنهارِ كلِّها ، وأخْرَب جِسْرَ الزلابيةِ وما عليه مِن الدَّكاكينِ ، ونادَى أن لا يَمْشِىَ أحدٌ بعدَ العِشاءِ الآخِرةِ ، ثم أطْلَق لهم هذه فقط ، وأخْرَب الحَمَّامَ الذى كان بناه الملكُ السعيدُ ظاهرَ بابِ النصرِ ، ولم يَكُنْ بدمشقَ أحْسَنُ منه ، ووسَّع المَيْدانَ الأخْضرَ مِن ناحيةِ الشَّمالِ مِقْدارَ سدسِه ، ولم يَتْرُكْ بينَه وبينَ النهرِ إلا مِقْدارًا يَسِيرًا ، وعمِل هو بنفسِه والأُمراءُ فى حِيطانِه .

وفيها حُبِس الأميرُ جَمالُ الدينِ آقوشُ الأفْرَمُ المَنْصوريُّ وأميرٌ [2] آخرُ معه فى القَلْعةِ .

وفيها حُمِل الأميرُ عَلَمُ الدينِ الدَّواداريُّ إلى الديارِ المصريةِ مُقَيَّدًا .

وقد نظَم الشيخُ شِهابُ الدينِ محمودٌ قَصيدةً فى فتحِ عَكَّا [3] :

---

(١) فى م : « القارونى » .

(٢) هو الأمير سيف الدين قرار سلان المنصورى ، انظر السلوك ٧٧٤/١ (القسم الثالث) .

(٣) نهاية الأرب ٢٠٣/٣١ - ٢٠٨.

الحمدُ للّهِ زالَت دولةُ الصُّلُبِ ... وعَزَّ بالتُّركِ دينُ المُصْطَفَى العَرَبى
هذا الذى كانت الآمالُ لو طلَبَت ... رؤياه فى النومِ لاسْتَحْيت مِن الطَّلَبِ
ما بعدَ عَكَّا وقد هُدَّت قَواعدُها ... فى البحرِ للشركِ[1] عندَ البَرِّ مِن أَرَبِ
لم يَبْقَ مِن بعدِها للكفرِ إذ خَرِبت ... فى البرِّ والبحرِ ما يُنْجِى سِوَى الهربِ
أُمُّ الحروبِ فكم قد أنْشَأَتْ فتنًا ... شابَ الوليدُ بها هولًا ولم تَشِبِ
يا يومَ عَكَّا لقد أنْسَيْتَ ما سبقَت ... به الفتوحُ وما قد خُطَّ فى الكتُبِ
لم يَبْلُغِ النُّطْقُ حدَّ الشكرِ فيكَ فما ... عسى يَقُومُ به ذو الشِّعرِ والأدبِ
أَغْضَبْتَ عُبَّادَ عيسى إذ أبَدْتَهمُ ... [2]للّهِ أىُّ[2] رضًى فى [١٠/١٠٤ظ] ذلك الغضبِ
وأشْرَف المصطفى الهادى البَشيرُ على ... ما أسْلَفَ الأشرفُ السلطانُ مِن قُرَبِ
فقرَّ عَيْنًا لهذا الفتحِ وابْتَهَجَت ... ببُشْرِه الكعبةُ الغَرّاءُ فى الحُجُبِ
وسار فى الأرضِ سيرًا قد سمِعْتُ به ... فالبَرُّ فى طربٍ والبحرُ فى حَرَبِ[3]

وهى طويلةٌ جدًّا، وله ولغيرِه فى فتحِ عكا أشعارٌ كثيرةٌ.

ولما رجَع البريدُ أخبَر بأن السلطانَ لما عاد إلى مصرَ خلَع على وزيرِه ابنِ السَّلْعُوسِ جميعَ ملابسِه التى كانت عليه، ومَرْكوبَه الذى كان تحته، فركِبه ورسَم له بثمانيةٍ وسبعين ألفًا مِن خِزانةِ دمشقَ، ليَشْتَرِىَ له بها قريةَ قَرَحْتا[4] مِن بيتِ المالِ.

وفى هذه السنةِ انْتَهَت عِمارةُ قلعةِ حَلَبَ بعدَ الخَرابِ الذى أصابَها مِن هُولَاكُو وأصحابِه عامَ ثمانٍ وخمسين.

---

(١) فى م: «للترك».
(٢ - ٢) فى الأصل: «فرب راى».
(٣) فى كنز الدرر ٨/٣١٧: فالبَرُّ فى طَلَبٍ والبحر فى هَرَبِ.
(٤) قرحتا: من قرى دمشق. معجم البلدان ٤/ ٥٣.

وفى شوالٍ منها شُرِع فى عِمارةِ قلعةِ دمشقَ وبناءِ الدُّورِ السُّلْطانيةِ والطارمةِ والقُبَّةِ الزَّرقاءِ، حسَبَ ما رسَم به السلطانُ الأشْرفُ خَليلُ بنُ قَلاوُون لنائبه عَلَمِ الدينِ سَنْجَرَ الشُّجاعىِّ.

وفيها فى رمضانَ أُعِيد إلى نِيابةِ القلعةِ الأميرُ أرجواش، وأُعْطِى إقْطاعاتٍ سَنيةً.

وفيها أُرْسِل الشيخُ الرجيحىُّ مِن ذريةِ الشيخِ يونُسَ مُضَيَّقًا عليه، مَحْصورًا إلى القاهرةِ.

وفيها درَّس عزُّ الدينِ الفارُوثىُّ[1] بالمدرسةِ النَّجِيبيةِ عِوَضًا عن كمالِ الدينِ ابنِ خَلِّكانَ، وفى ذلك اليومِ درَّس نجمُ الدينِ مَكِّىٌّ بالرَّواحيةِ عِوَضًا عن ناصرِ الدينِ بنِ المَقْدسىِّ، وفيه درَّس كَمالُ الدينِ الطَّبيبُ بالمدرسةِ الدَّخْوارِيَّةِ الطِّبِّيةِ.

وفى هذا الشهرِ درَّس الشيخُ جَلالُ الدينِ الخَبَّازِىُّ[2] بالخاتونيةِ البَرَّانيةِ، وجَمالُ الدينِ بنُ الباجُرْبَقىِّ بالقِليجةِ[3]، وبُرْهانُ الدينِ الإسْكَنْدرىُّ بالقُوصِيةِ التى بالجامعِ، والشيخُ نجمُ الدينِ الدمشقىُّ بالشَّريفيةِ عندَ حارةِ الغرباءِ.

وفيها أُعِيدَت الناصريةُ إلى الفارِقىِّ، وفيه درَّس بالأمينيةِ القاضى نجمُ الدينِ ابنُ صَصْرَى بعدَ ابنِ الزَّمْلكانىِّ، وأُخِذَت منه العادليةُ الصغيرةُ لكَمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلكانىِّ.

---

(١) فى م: «القارونى».
(٢) فى الأصل: «الحناوى». وانظر ترجمته فى صفحة ٦٥٥ فى وفيات السنة الآتية.
(٣) فى الأصل، م: «بالفتحية». والمثبت من عقد الجمان ٣/ ٨٧، والدارس ١/ ٥٠٤.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أَرْغُون بنُ أَبْغَا ملكُ التَّترِ[(١)] ، كان شَهْمًا شُجاعًا سَفَّاكًا للدماءِ ، قتَل عمَّه السلطانَ أحمدَ بنَ هولاكو ، فعظُم فى أعْيُنِ المَغُولِ ، فلما كان فى هذه السنةِ مات مِن شَرابٍ شرِبه فيه سُمٌّ ، فاتَّهَمَت المَغولُ اليَهودَ به - وكان وزيرُه سعدُ الدولةِ بنُ الصَّيْفِى[(٢)] يَهُوديًّا - فقتَلوا مِن اليهودِ خلقًا كثيرًا ، ونهَبوا منهم أموالًا عظيمةً جدًّا فى جميعِ مَدائنِ العراقِ ، ثم اخْتَلَفوا فيمَن يُقِيمونه بعدَه ، فمالت طائفةٌ إلى كَيْخَتُو ، فأَجْلَسُوه على سَريرِ المَمْلكةِ ، فبقِى مدةً ، قيل : سنةً . وقيل أقلَّ مِن ذلك . ثم قتَلوه وملَّكوا بعدَه بَيْدَرَا[(٣)] ، وجاء الخبرُ بوفاةِ أَرْغُون إلى الملكِ الأشرفِ وهو مُحاصِرٌ عَكَّا ، ففرِح بذلك كثيرًا ، وكانت مدةُ مُلْكِ أَرْغُون ثمانَ سنينَ ، وقد وصَفه بعضُ مُؤَرِّخِى العراقِ بالعدلِ والسِّياسةِ الجيدةِ .

المُسْنِدُ المُعَمَّرُ الرُّحَلَةُ [١٠/١٠٥و] **فخرُ الدينِ بنُ البخارىِّ**[(٤)] ، وهو أبو الحسنِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الواحدِ المَقْدسىُّ الحَنْبلىُّ المعروفُ بابنِ البُخارىِّ ، وُلِد فى سَلْخِ [(٥)]سنةِ خمسٍ[(٥)] أو مستَهَلِّ سنةِ ستٍّ وتسعين[(٦)] وخمسِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، ورحَل مع أهلِه ، وكان رجلًا صالحًا عابدًا زاهدًا وَرِعًا ناسِكًا ، تفرَّد

---

(١) نهاية الأرب ٢٧/ ٤٠٤، وكنز الدرر ٨/ ٣٢٢، والعبر ٥/ ٣٦٦، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٥٠، وتذكرة النبيه ١/ ١٤١، وعقد الجمان ٣/ ١٠٤، والمنهل الصافى ٢/ ٣١٠، وشذرات الذهب ٥/ ٤١١.

(٢) فى م: «الصفى».

(٣) فى الأصل: «بندر».

(٤) فى م: «النجار». وانظر ترجمته فى: العبر ٥/ ٣٦٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٤، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٢٥، وعقد الجمان ٣/ ٩٠، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤١٤.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر الترجمة.

(٦) فى م: «وسبعين».

برواياتٍ كثيرةٍ لطولِ عمرِه، وخُرِّجَتْ له مَشْيَخاتٌ، وسمِع منه الخلقُ الكثيرُ والجَمُّ الغَفيرُ، وكان منصوبًا لذلك حتى كبِر وأَسَنَّ وضعُف عن الحركةِ، وله شعرٌ حسنٌ، منه قولُه[1]:

تكَرَّرَت السِّنون علىَّ حتى بَلِيتُ وصِرْتُ مِن سَقَطِ المَتاعِ
وقلَّ النَّفْعُ عندى[2] غيرَ أنِّى أعلِّلُ بالروايةِ والسَّماعِ
فإن يَكُ خالصًا فله جَزاءٌ وإن يَكُ مالِقًا[3] فإلى ضَياعِ

وله أيضًا:

إليك اعْتِذارى مِن صلاتىَ قاعدًا وعَجْزِىَ عن سَعْيِى إلى الجُمُعاتِ
وتَرْكى صلاةَ الفَرْضِ فى كلِّ مسجدٍ تَجَمَّع فيه الناسُ للصَّلَواتِ
فيا ربِّ لا تَمْقُتْ صَلاتى ونَجِّنى مِن النارِ واصْفَحْ لى عن الهَفَواتِ

تُوُفِّى ضُحَى نَهارِ الأَرْبِعاءِ ثانى ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ عن خمسٍ وتسعين سنةً، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ، ودُفِن عندَ والدِه الشيخِ شمسِ الدينِ أحمدَ بنِ عبدِ الواحدِ بسفحِ قاسِيونَ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ، **عبدُ الرحمنِ بنُ**[4] **إبراهيم بنِ**[4] **سِباعِ بنِ ضِياءٍ تاجُ الدينِ أبو محمدٍ الفَزارىُّ**، الإمامُ العَلَّامةُ العَلَمُ، شيخُ الشافعيةِ فى زمانِه، حاز قَصَبَ السَّبْقِ دونَ أَقرانِه، وهو والدُ شيخِنا العَلَّامةِ بُرْهانِ الدينِ. كان مولدُ

---

(١) الأبيات فى ذيل طبقات الحنابلة، وعقد الجمان، وشذرات الذهب.
(٢) فى الأصل: «منى».
(٣) فى الأصل: «مايقا»، وفى ذيل طبقات الحنابلة وشذرات الذهب: «مانعا».
(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصدر ترجمته؛ العبر ٥/ ٣٦٧، والوافى بالوفيات ١٨/ ٩٦، وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٦٣، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٣، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٣.

الشيخِ تاجِ الدينِ فى سنةِ ثلاثين وستِّمائةٍ[1] ، وتُوُفِّى ضُحَى يومِ الاثنينِ خامسِ جُمادَى الآخِرةِ بالمدرسةِ الباذَرائيَّةِ ، وصُلِّى عليه بعدَ الظهرِ بالأُمويِّ ، تقَدَّم للصَّلاةِ عليه قاضى القُضاةِ شِهابُ الدينِ بنُ الخُوَيِّيِّ ، ثم صَلَّى عليه عندَ جامعِ جراحِ الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارِقيُّ ، ودُفِن عندَ والدِه ببابِ الصغيرِ ، وكان يومًا شديدَ الزِّحامِ ، وقد كان مِمَّن اجتَمعت فيه فُنونٌ كثيرةٌ مِن العلومِ النافعةِ ، والأَخْلاقِ اللطيفةِ ، وفَصاحةِ المَنْطِقِ ، وحُسْنِ التَّصْنيفِ ، وعُلُوِّ الهِمَّةِ ، وفقهِ النَّفْسِ ، وكتابُه « الإقْليدُ » الذى جمَعه على أبوابِ « التَّنْبيهِ » وصَل فيه إلى بابِ الغَصْبِ ، دليلٌ على فقهِ نفسِه وعُلُوِّ قَدْرِه ، وقُوةِ هِمَّتِه ، ونُفوذِ نظرِه ، واتِّصافِه بالاجْتِهادِ الصحيحِ فى غالبِ ما سَطَّره ، وقد انْتَفَع به الناسُ ، وهو شيخُ أكابرِ مَشايخِنا هو والشيخُ مُحْيِى الدينِ النوويُّ ، وله « اخْتِصارُ المَوْضُوعاتِ » لابنِ الجوزيِّ ، وهو عندى بخطِّه ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وحضَر عندَ ابنِ[2] الزَّبيديِّ « صحيحَ البُخاريِّ » ، وسمِع مِن ابنِ اللَّتِّيِّ وابنِ الصلاحِ ، واشْتَغَل عليه وعلى ابنِ عبدِ السَّلامِ ، وانْتَفَع بهما ، وخرَّج له الحافظُ عَلَمُ الدينِ البِرْزالِيُّ أحدُ تَلاميذِه مَشْيَخةً فى عشَرةِ أجزاءٍ عن مائةِ شيخٍ ، فسمِعها عليه الأَعْيانُ ، وكان له شعرٌ جيدٌ ، فمنه قولُه :

للَّهِ أيامُ جَمْعِ الشَّمْلِ ما برِحتْ ... بها الحوادثُ حتى أصبحتْ سَمَرا
ومُبْتَدَا الحُزْنِ مِن تاريخِ مَسْأَلتى ... عنكم فلم أَلْقَ لا عينًا ولا أثَرا
يا راحلين قَدَرْتُمْ فالنَّجاةُ لكمْ ... ونحن للعَجْزِ لا نَسْتَعْجِزُ القَدَرا

---

(١) فى مصادر الترجمة أنه ولد سنة أربع وعشرين وستمائة .
(٢) سقط من : الأصل .

وقد ولِي الدرسَ بعدَه بالباذَرائيةِ والحَلْقةِ والفُتْيا بالجامعِ ولدُه شيخُنا بُرْهانُ الدينِ ، فمشَى على طريقةِ والدِه وهَدْيِه ودَلِّه وسَمْتِه ، رحِمه اللَّهُ .

وفى ثالثِ شعبانَ تُوُفِّى **الطَّبيبُ الماهرُ عزُّ الدينِ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طَرْخانَ** [١٠/١٠٥ظ] **السُّوَيْدِيُّ الأنصاريُّ**[1] ، ودُفِن بالسفحِ عن تسعين سنةً ، وروَى شيئًا مِن الحديثِ ، وفاق أهلَ زمانِه فى صناعةِ الطبِّ ، وصنَّف كتبًا[2] فى ذلك ، وكان يُرْمَى بقلةِ الدينِ ، وتَرْكِ الصَّلَواتِ ، وانْحِلالٍ فى العقيدةِ ، وإنْكارِ أمورٍ كثيرةٍ مما يَتَعَلَّقُ باليومِ الآخِرِ ، واللَّهُ يَحْكُمُ فيه وفى أمثالِه بأمرِه العَدْلِ الذى لا يَجُورُ ولا يَظْلِمُ . وفى شعرِه ما يَدُلُّ على قلةِ عقلِه ودينِه وعدمِ إيمانِه ، واعْتراضِه على تَحريمِ الخمرِ ، وأنه قد طال رمضانُ عليه فى تركِها ، وغيرِ ذلك .

الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ عَلاءُ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ ابنُ[3] **الإمامِ العَلَّامةِ كَمالِ الدينِ عبدِ الواحدِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ خَلَفٍ الأنصاريُّ الزَّمْلَكانيُّ** ، [4]مدرسُ الأمينيةِ ، وهو والدُ شيخِنا الإمامِ العلّامةِ كمالِ الدينِ بنِ أبى المعالى محمدِ بنِ علىٍّ الزَّمْلَكانيِّ[4] ، وقد درَّس بعدَ أبيه المذكورِ بالأَمينيةِ ، وكانت وفاةُ والدِه هذا ليلةَ الثلاثاءِ التاسع والعشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ[5] بالأَمينيةِ ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيةِ عندَ والدِه .

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٧٥٩، والوافى بالوفيات ٦/ ١٢٣، وفوات الوفيات ١/ ٤٨، والمنهل الصافى ١/ ١٤٢.

(٢) فى الأصل : « كتابا » .

(٣) بعده فى الأصل : « الحسن » . وانظر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٦٩، والوافى بالوفيات ٢١/ ٢٩١، ومرآة الجنان ٤/ ٢١٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ١٣، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤١٧.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى طبقات الشافعية للإسنوى : « الأول » .

الأميرُ الكبيرُ بدرُ الدينِ بيمكُ[1] **بنُ عبدِ اللَّهِ الناصريُّ**، ناظرُ الرِّباطِ بالصالحيةِ عن وصيةِ أُستاذِه، وهو الذى ولَّى الشيخَ شَرَفَ الدِّينِ الفَزاريَّ مَشْيَخةَ الرِّباطِ بعدَ ابنِ الشَّرِيشيِّ جَمالِ الدينِ، وقد دُفِن بالتربةِ الكبيرةِ داخلَ الرِّباطِ المذكورِ.

الشيخُ الإمامُ أبو حفصٍ عمرُ بنُ يحيى بنِ عمرَ الكَرَجيُّ[2]، صِهْرُ الشيخِ تَقِيِّ الدينِ بنِ الصَّلاحِ، وأحدُ تلاميذِه، وُلِد سنةَ تسعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ، ومات يومَ الأربعاءِ ثانى ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ، ودُفِن إلى جانبِ ابنِ الصَّلاحِ.

الملكُ العادلُ [3]**بدرُ الدينِ**[3] **سَلامُش بنُ الظاهرِ**، الذى كان قد بُويِع بالـمُلْكِ بعدَ أخيه الملكِ السعيدِ، وجُعِل الملكُ المنصورُ قَلاوُون أتابِكَه، ثم اسْتَقَلَّ قَلاوُون بالملكِ، وأرْسَلهم إلى الكَرَكِ، ثم أعادهم إلى القاهرةِ، ثم سفَّرَهم الأشْرَفُ خَليلٌ فى أولِ دولتِه إلى بلادِ الأَشْكُرِيِّ مِن ناحيةِ إصْطَنْبُول، فمات سَلامُش هناك، وبَقِىَ أخوه نجمُ الدينِ خَضِرٌ وأهْلُوهم بتلك الناحيةِ، وقد كان سَلامُش مِن أحسنِ الشبابِ شكلًا وأبْهاهم منظرًا، وقد افْتَتَن به خلقٌ كثيرٌ [4]مِن الناسِ[4]، وشبَّب به الشعراءُ، وكان عاقلًا رئيسًا مَهِيبًا وَقُورًا.

---

(١) فى م: «على». وانظر ترجمته فى: نهاية الأرب ٣١/ ٢٢٣، وعقد الجمان ٣/١٠٣ والمنهل الصافى ٤/ ١٥٥- وفيهما: «تنكر» - وورد ذكر اسمه فى كنز الدرر ٨/٢٤٥ فى حوادث سنة ثمانين وستمائة، وفى السلوك ١/٦٧٥ (القسم الثالث) حوادث سنة تسع وسبعين وستمائة.

(٢) فى م: «الكرخى». والكرجى: نسبة إلى الكَرَج، وهى مدينة بين همذان وأصبهان. معجم البلدان ٤/ ٢٥٠، ٢٥١. وانظر ترجمته فى: العبر ٥/ ٣٦٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٤٤، وعقد الجمان ٣/٩٥ والنجوم الزاهرة ٨/٣٣ - وفيهما أيضًا: «الكرخى» - وشذرات الذهب ٥/ ٤١٧.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته فى: العبر ٥/ ٣٦٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٢٦، ومرآة الجنان ٤/ ٢١٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٢، والمنهل الصافى ٦/ ١٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤١١.

(٤ - ٤) فى م: «واللوطية الذين يحبون المردان».

العَفِيفُ التِّلْمِسانىُّ ، أبو الربيعِ سليمانُ بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ ياسينَ العابدىُّ الكوفىُّ[1] ثم التِّلْمِسانىُّ ، الشاعرُ المُتْقِنُ فى علومٍ ؛ منها النحوُ والأدبُ والفقهُ والأصولُ ، وله فى ذلك مُصَنَّفاتٌ ، وله شرحُ « مَواقِفِ النِّفَّرِىِّ » ، و « شرحُ أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى » ، وله دِيوانٌ مشهورٌ ، ولولدِه محمدٍ دِيوانٌ آخَرُ ، وقد نُسِب هذا الرجلُ إلى عَظائمَ فى الأقوالِ والاعْتِقادِ فى الحُلولِ والاتحادِ والزَّنْدقةِ والكفرِ المحْضِ ، وشهرتُه تُغْنى عن الإطْنابِ فى ترجمتِه ، تُوُفِّى يومَ الأربعاءِ خامس رجبٍ ، ودُفِن بالصوفيةِ ، ويُذْكَرُ عنه أنه عمِل أربعين خَلْوةً ، كلُّ خَلْوةٍ أربعين يومًا مُتَتابِعةً . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « الكركى » ، وفى م : « الكومى » . والمثبت من مصادر ترجمته : العبر ٥/ ٣٦٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٠٨، وفوات الوفيات ٢/ ٧٢، ومرآة الجنون ٤/ ٢١٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٧، وعقد الجمان ٣/ ٩٥، والمنهل الصافى ٦/ ٣٨، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٩، وشذرات الذهب ٥/ ٤١٢.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وتسعين وستّمائةٍ

فيها[1] فُتِحَت قلعةُ الرومِ ، وسلطانُ البلادِ مِن دُنْقُلَةَ إلى مصرَ إلى أقْصَى بلادِ الشامِ بكَمالِه وسَواحِلِه [١٠/١٠٦و] وبلادِ حلبَ وغيرِ ذلك الملكُ الأشرفُ خَليلٌ ، ووزيرُه شمسُ الدينِ بنُ السَّلْعوسِ ، وقُضاتُه بالشامِ ومصرَ هم المَذْكورون فى التى قبلَها ، ونائبُ مصرَ بدرُ الدينِ بَيْدارُ ، ونائبُ الشامِ عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الشُّجاعىُّ ، وسلطانُ التَّترِ بَيْدو[2] بنُ أَرْغُون بن أبغا ، والعمارةُ [3]فى الطَّارِمَةِ ، وفى الدورِ السلطانيةِ بالقلعةِ .

وفى رابعِ عشرين المحرمِ وقَع حريقٌ عظيمٌ بقلعةِ الجبلِ ببعضِ[3] الخَزائنِ ، أتْلَف شيئًا كثيرًا مِن الذَّخائرِ والنَّفائسِ والكُتبِ .

وفى التاسعِ والعشرين مِن ربيعِ الأولِ خطَب الخليفةُ الحاكمُ ، وحثَّ فى خُطْبتِه على الجهادِ والنَّفيرِ ، وصلَّى بهم الجمعةَ ، وجهَر بالبَسْملةِ .

وفى ليلةِ السبتِ ثالثَ عشَرَ صفرٍ جِىء بهذا الجُرْزِ[4] الأحمرِ الذى ببابِ البرادةِ مِن عَكَّا ، فوُضِع فى مكانِه .

---

(١) نهاية الأرب ٢٢٥/٣١ - ٢٤٦، ودول الإسلام ١٩٣/٢ ، ١٩٤، وتذكرة النبيه ١٤٩/١ - ١٥٩، والسلوك ٧٧٧/٣ - ٧٨٢ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ١١٠/٣ - ١٣٥.

(٢) فى م : « بيدار » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل : « الجرن » . والجُرْز والجُرُز : العمود من الحديد . والجُرْن : حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به . اللسان (ج ر ز) ، (ج ر ن) .

وفى ربيعِ الأولِ كمَل بناءُ الطارمةِ وما عندَها مِن الآدُرِ[1] والقُبَّةِ الزَّرْقاءِ، وجاءت فى غايةِ الحسنِ والكَمالِ والارْتفاعِ.

وفى يومِ الاثنينِ ثانى جُمادَى الأولى[2] ذكَر الدرسَ بالظاهريةِ الشيخُ صَفىُّ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ الأُرْمَوِىُّ، عِوَضًا عن عَلاءِ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ، وفى هذا اليومِ درَّس بالدَّوْلَعيةِ كمالُ الدينِ بنُ الزكىِّ.

وفى يومِ الاثنينِ سابعِ جُمادَى الآخرةِ درَّس بالنَّجيبيةِ الشيخُ ضِياءُ الدينِ عبدُ العزيزِ الطُّوسىُّ، بمُقْتَضَى نُزولِ الفاروثىِّ له عنها.

فتحُ قلعةِ الرومِ

وفى ربيعِ الآخرِ[3] توَجَّه السلطانُ الأشْرفُ بالعساكرِ نحوَ الشامِ، فقدِم دمشقَ، ومعه وزيرُه ابنُ السَّلْعوسِ، فاسْتَعْرَض الجيوشَ، وأنْفَق فيهم أموالًا جَزيلةً، ثم سار بهم نحوَ بلادِ حلبَ، ثم سار إلى قلعةِ الرومِ، فافْتَتَحها بالسيفِ قهرًا فى يومِ السبتِ حادى عشَرَ رجبٍ، وجاءت البِشارةُ بذلك إلى دمشقَ، وزُيِّنَت البلدُ سبعةَ أيامٍ، وبارَك اللَّهُ [4]لخميسِ المسلمين فى سبتِهم[4]، وكان يومُ السبتِ ألْبًا على أهلِ يومِ الأحدِ، وكان الفتحُ بعدَ حِصارٍ عظيمٍ جدًّا، مدةَ ثلاثةٍ وثلاثين يومًا، وكانت المَنْجنيقاتُ تَزيدُ على ثلاثين مَنْجنيقًا،

---

(١) فى م: «الدور». والآدر: جمع الدار. اللسان (د و ر).

(٢) انظر الدارس ١/ ٢٤٤، ٣٥٢.

(٣) فى م: «الأول منها».

(٤ - ٤) فى م: «لجيش المسلمين فى سعيهم». والخميس: الجيش الجرّار.

واسْتُشْهِد مِن الأمراءِ شَرَفُ الدينِ بنُ الخَطِيرِ ، وقد قُتِل مِن أهلِ البلدِ خلقٌ كثيرٌ ، وغنِم المسلمون منها شيئًا كثيرًا ، ثم عاد السلطانُ إلى دمشقَ ، وترَك الشُّجاعيَّ بقلعةِ الرومِ يُعَمِّرون ما وَهَى مِن قلعتِها ؛ بسببِ رَمْيِ المَنْجَنيقاتِ عليها وقتَ الحِصارِ ، وكان دخولُه إلى دمشقَ بُكْرةَ يومِ الثلاثاءِ تاسعَ عشَرَ شعبانَ ، فاحْتَفل الناسُ لدخولِه ، ودعَوْا له وأحَبُّوه ، وكان يومًا مشهودًا ، بُسِط له كما يُبْسَطُ له إذا قدِم مِن الديارِ المصريةِ ، وإنما كان ذلك بإشارةِ ابنِ السَّلْعوسِ ، فهو أولُ مَن بسَط له ، وقد كسَر أبوه التَّتَرَ على حِمْصَ ، ولم يُبْسَطْ له ، وكذلك الملكُ الظاهرُ كسَر التَّتَرَ والرومَ على البُلُسْتَيْن وفى غيرِ مَوْطنٍ ولم يُبْسَطْ له ، وهذه بِدْعةٌ شَنْعاءُ قد أحْدَثها هذا الوزيرُ للمُلوكِ ، وفيها إسْرافٌ وضَياعُ مالٍ وأَشَرٌ وبَطَرٌ ورِياءٌ وتَكْليفٌ للناسِ ، وأخْذُ أموالٍ ووضْعُها فى غيرِ مَواضعِها ، واللَّهُ سبحانه سائلُه عنها ، وقد ذهَب وترَكها يَتَوارَثُها الملوكُ والناسُ عنه ، وقد حصَل للناسِ بسببِ ذلك ظلمٌ عظيمٌ ، فلْيَتَّقِ العبدُ ربَّه ، ولا يُحْدِثْ فى الإسلامِ بسببِ هَواه ومُرادِ نفسِه ما يَكونُ [١٠٦/١٠ظ] سببَ مَقْتِ اللَّهِ له ، وإعراضِه عنه ، فإن الدنيا لا تَدُومُ لأحدٍ ، ولا يَدُومُ أحدٌ فيها . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

وكان ملكُ قلعةِ الرومِ مع السلطانِ أسيرًا ، وكذلك رُءوسُ أصحابِه ، فدخَل بهم دمشقَ ، وهم يَحْمِلون رءوسَ أصحابِهم على رءوسِ الرماحِ ، وجهَّز السلطانُ طائفةً مِن الجيشِ نحوَ جبلِ كَسْروانَ والجرد[(١)] بسببِ مُمالأتِهم للفِرنْجِ قديمًا على المسلمين ، وكان مُقَدَّمُ العَساكرِ بَيْدَرا[(٢)] ، وفى صحبتِه سُنْقُرُ الأشْقَرُ ، وقَراسُنْقُر

---

(١) فى م : « الجزر » .
(٢) هنا وفيما يأتى فى م : « بندار » .

المَنْصوريُّ الذى كان نائبَ حَلَبَ ، فعزَله عنها السلطانُ ، وولّى مكانَه سيفَ الدينِ بَلبانَ الطَّباخِيَّ[1] المنصوريَّ ، وجماعةٌ آخرون مِن الأمراءِ الكبارِ ، فلما أحاطوا بالجبلِ ، ولم يَبْقَ إلا دَمارُ أهلِه ، حمَلوا فى الليلِ إلى بيدْرا حِمْلًا كثيرًا ، ففتَر فى قضيتِهم ، ثم انْصَرَف بالجُيوشِ عنهم ، وعادوا إلى السلطانِ ، فتلَقَّاهم السلطانُ ، وترَجَّل السلطانُ للأميرِ بيدرا ، وهو نائبُه على مصرَ ، ثم إن ابنَ السَّلْعوسِ نبَّه السلطانَ على ما فعَل بيدرا ، فلامَه وعنَّفه ، فمرِض من خوفِه مِن ذلك مَرَضًا شديدًا أشْفَى به على الموتِ ، حتى قيل : إنه مات . ثم عُوفِىَ ، فعمِل خَتْمةً عظيمةً بجامعِ دمشقَ حضَرها القُضاةُ والأعْيانُ ، وأشْعَل الجامعَ نَظيرَ ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ ، وكان ذلك ليلةَ العَشْرِ الأوَّلِ مِن رمضانَ ، وأطْلَق السلطانُ أهلَ الحبُوسِ ، وترَك بقيةَ الضَّمانِ عن أربابِ الجِهاتِ السُّلْطانيةِ ، وتصَدَّق عنه بشىءٍ كثيرٍ ، ونزَل هو عن ضَماناتٍ كثيرةٍ ، وكان قد حاف فيها على أربابِها ، وقد امْتَدَح الشِّهابُ محمودٌ الملكَ الأشرفَ خليلًا على فتحِه قلعةَ الرومِ بقصيدةٍ هائلةٍ فاضلةٍ ، أولُها[2] :

لك الرايةُ الصَّفراءُ يَقْدُمُها النصرُ ... فمَن كَيْقُباذُ إن رآها وكَيْخُسْرُو
إذا خفقَتْ فى الأرضِ[3] هدَّت بنودُها ... هَوَى الشركِ واسْتَعْلى الهُدَى وانْجلَى الثغرُ
وإن نُشِرتْ مثلَ الأصائلِ فى وَغًى ... جلا النَّقْعَ مِن لألاءِ طلعتِها البدرُ
وإن يَمَّمَتْ زُرْقَ العِدى سار تحتَها ... كتائبُ خُضْرٌ دَوحُها البِيضُ والسُّمْرُ

(١) فى الأصل ، م : « البطاحى » . والمثبت من المصادر ، وانظر ترجمته فى الوافى بالوفيات ١٠/ ٢٨٢.
(٢) القصيدة بتمامها فى كنز الدرر ٨/ ٣٣٤. ومختصرة فى فوات الوفيات ١/٤١٤، ٤١٥.
(٣) فى م ، وكنز الدرر : « الأفق » .

كأن مُثارَ النَّقعِ ليلٌ وخفقَها ... بُروقٌ وأنت البدرُ والفَلَكُ الجَثْرُ[1]

وفتحٌ أتَى فى إثرِ فتحٍ كأنَّما ... سماءٌ بدَت تَتْرَى كواكبُها الزُّهرُ

فكم قطَمت[2] طوعًا وكَرْهًا مَعاقلًا ... مضى الدهرُ عنها وهْى عانسةٌ بكرُ

بذَلْتَ لها عزمًا فلولا مهابةٌ ... كساها الحيا جاءَتْك تَسْعَى ولا مَهْرُ

قَصَدتَ حمًى مِن قلعةِ الرومِ لم يُتَحْ ... لغيرِك إذ غرَّتهمُ المُغْلُ فاغْتَرُّوا

ووالُوهمُ سرًّا ليُخفوا أذاهمُ ... وفى آخرِ الأمرِ اسْتَوَى السرُّ والجَهْرُ

صرَفْتَ إليهم همةً لو صرَفْتَها ... إلى البحرِ لاسْتَوْلَى على مدِّه الجزرُ[3]

وما قلعةُ الرومِ التى حُزْتَ فتحَها ... وإن عظُمَت إلا إلى غيرِها جِسرُ

طليعةُ ما يَأْتى مِن الفتحِ بعدَها ... كما لاح قبلَ الشمسِ فى الأُفْقِ الفَجْرُ

فصبَّحْتَها بالجيشِ كالروضِ بَهْجةً ... صوارمُه أنْهارُه والقنا الزُّهرُ

وأَبْعَدْتَ بل كالبحرِ والبيضُ مَوْجُه ... وجُرْدُ المَذاكى السفْنُ والخُوَذُ الدُّرُ

وأغربتَ بل كالليلِ عُوجُ سيوفِهِ ... أهِلَّتُهُ والنَّبْلُ أنجمُهُ الزهرُ

وأخطأتَ لا بل كالنهارِ شموسُه ... مُحيّاك والآصالُ راياتُك الصفرُ

[١٠/١٠٧و] لُيوثٌ مِن الأتراكِ آجامُها القَنا ... لها كلَّ يومٍ فى ذَوِى[4] ظُفُرٍ ظُفْرُ

فلا الريحُ تَجْرِى بينَهم لاشْتِباكِها ... عليهم ولا يَنْهَلُّ مِن فوقِهم قَطْرُ

عيونٌ[5] إذا الحربُ العوانُ[6] تعرَّضَتْ ... لخُطَّابها بالنفسِ لم يَغْلُها مهرُ

---

(١) فى الأصل: «الجبر». وفى م: «الحتر». وفى كنز الدرر وإحدى نسخ الفوات: «الجتر». وفى الفوات: «البحر». والجثر: الواسع. تاج العروس (ج ث ر).

(٢) فى م: «فطمت». وفى المصدرين: «وطئت».

(٣) فى الأصل: «الزجر».

(٤) فى م، والمصدرين: «ذرى».

(٥) يقال: حربٌ عوان: قوتل فيها مرة بعد أخرى. الوسيط (ع و ن).

(٦) فى الأصل: «غيوث».

ترى الموتَ معقودًا بهُدبِ نِبالِهم … إذا ما رماها القَوْسُ والنظرُ الشَّزْرُ

ففى كلِّ سرجٍ غُصْنُ بانٍ مُهَفْهَفٌ … وفى كلِّ قوسٍ مَدَّه ساعدٌ بدرُ

إذا صدَموا شُمَّ[1] الجبالِ تزَلْزَلَتْ … وأصبح سهلًا تحتَ خيلِهمُ الوعرُ

ولو ورَدَتْ ماءَ الفراتِ خيولُهم … لقيل هنا قد كان فيما مضَى نهرُ

أداروا بها سُورًا فأضْحت [2]كخِنْصَرٍ … لَدَى خاتَمٍ[2] أو تحتَ مِنْطَقةٍ خَصْرُ

وأَرْخَوْا إليها مِن [3]بحارِ أَكُفِّهِمْ[3] … سحابَ رَدًى لم يَخْلُ مِن قَطْرِهِ قُطْرُ

كأن المجَانِيقَ التى قُمن حولَها … رواعِدُ سُخْطٍ وَبْلُهَا النارُ والصخرُ

أقامت صلاةَ الحربِ ليلًا صخورُها … فأَكْثرُها شفعٌ وأكثرُها[4] وِتْرُ

ودارَت بها تلك النقوبُ فأشْرَفَت[5] … وليس عليها فى الذى فَعَلَتْ حَجْرُ[6]

فأضْحت بها كالصَّبِ يُخفِى غرامَه … حذارِ أعاديه وفى قلبِه جمرُ

وشبَّت بها النِّيرانُ حتى تمَزَّقَت … وباحت بما أخْفَتْه وانْهَتَك السِّتْرُ

فلاذوا بذيلِ العَفْوِ منك فلم يَخِبْ … رَجاهُم ولو لم يَشُبْ[7] قصدَهم مكرُ

وما كَرِه المُغْلُ اشتغالَك عنهمُ … بها عندَما فرُّوا ولكنهمْ سُرُّوا

فأحْرَزْتَها بالسيفِ قسْرًا وهكذا … فُتوحُك فيما قد مضَى كلُّه قَسْرُ

وأضْحت بحمدِ اللّهِ ثَغْرًا مُمَنَّعًا … تَبِيدُ الليالى والعِدَى وهْو مُفْتَرُّ

فيا أشرفَ الأمْلاكِ فُزْتَ بغزْوةٍ … تحَصَّل منها الفتحُ والذكرُ والأجرُ

---

(١) فى كنز الدرر والفوات : « صم » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « كخاتم لذى خنصر » . وفى م « كخاتم لدى خنصر » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « أكف بحارهم » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٤) فى م : « أكبرها » . وفى كنز الدرر : « أقتلها » .

(٥) فى م : « فأسرفت » .

(٦) فى الأصل : « هجر » .

لِيَهْنِكَ عندَ المُصْطَفَى أنَّ دينَه ... تَوالَى له فى يُمْنِ دولتِك النصرُ
وبُشْراكَ أرْضَيْتَ المسيحَ وأحمدًا ... وإن غضِب النَّقْفورُ[1] مِن ذاك والكفرُ
فسِرْ حيث ما تَخْتارُ فالأرضُ كلُّها ... بِحُكْمِكَ والأمْصارُ أجمعُها مِصْرُ
ودُمْ وابْقَ للدنيا ليَحْيَى بك الهُدَى ... ويُزْهَى على ماضى العصورِ بك العصرُ

حذَفْتُ منها أشْياءَ كثيرةً .

وفيها تولَّى خَطابةَ دمشقَ الشيخُ عزُّ الدينِ أحمدُ الفاروثىُّ الواسطىُّ بعدَ وفاةِ زَيْنِ الدينِ بنِ المُرَحِّلِ ، وخطَب واسْتَسْقَى بالناسِ فلم يُسْقَوْا ، ثم خطَب مرةً ثانيةً بعدَ ذلك بأيامٍ عندَ مسجدِ القدمِ[2] فلم يُسْقَوْا ، ثم ابْتَهَل الناسُ مِن غيرِ دُعائه واستسقائه فسُقُوا ، ثم عُــزِل الفاروثىُّ بعدَ أيامٍ بالخطيبِ مُوَفَّقِ الدينِ أبى[4] المَعالى محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ المُنْعِمِ بنِ حسنٍ المِهْرانىِّ الحَمَوىِّ ، كان خطيبَ حَماةَ ، ثم انتقل إلى دمشقَ فى هذه السنةِ ، فقام وخطَب ، وتألَّم الفاروثىُّ لذلك ، ودخَل على السلطانِ ، واعْتَقَدَ أن الوزيرَ عزَله مِن غيرِ علمِه ، فإذا هو قد شعَر بذلك ، واعْتَذَرَ بأنه إنما عزَله لضعفِه ، فذكَر له أنه يُصَلِّى ليلةَ النصفِ مائةَ ركعةٍ بمائةِ « قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ » ، فلم يَقْبَلوا ذلك منه واسْتَمَرُّوا بالحَمَوىِّ . وهذه دَناءةٌ بَشِعةٌ وقلةُ عقلٍ وعدمُ إخْلاصٍ مِن الفاروثىِّ ، [١٠/١٠٧ظ] وأصاب السلطانُ فى عزلِه .

وفى هذا اليومِ قبَض السلطانُ على الأميرِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ وغيرِه ، فهرَب هو

---

(١) فى الأصل ، م : « اليعفور » ، وفى كنز الدرر : « التكفور » . والنقفور : لقب ملك الأرمن .
(٢) فى الأصل : « بن » .

والأميرُ حُسامُ الدينِ لاجِين السِّلَحْدارُ ، فنادَت عليه المُنادِيةُ بدمشقَ : مَن أحْضَره فله ألفُ دينارٍ ، ومَن أخْفاه شُنِق . ورِكب السلطانُ ومَماليكُه فى طلبِه ، وصلَّى الخطيبُ بالناسِ فى المَيْدانِ الأخضرِ ، وعلى الناسِ كآبَةٌ بسببِ تَفَرُّقِ الكلمةِ واضْطِرابِ الجيشِ ، واخْتبَط الناسُ ، فلما كان سادسُ شوالٍ أمْسَكت العربُ سُنْقُرَ الأشْقَرَ ، فردُّوه على السلطانِ ، فأرْسَله مُقَيَّدًا إلى مصرَ .

وفى هذا اليومِ ولَّى السلطانُ نِيابةَ دمشقَ لعزِّ الدينِ أيْبَك الحَمَوىِّ ، عِوَضًا عن الشُّجاعىِّ ، وقدِم الشُّجاعىُّ مِن الرومِ فى هذا اليومِ الثانى من عزلِه ، فتلقَّاه الفاروثىُّ وقال : قد عُزِلْنا مِن الخطابةِ . فقال : ونحن مِن النِّيابةِ . فقال الفاروثىُّ : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٩] . فلما بلَغ ابنَ السَّلْعوسِ تغضَّب عليه ، وكان قد عيَّن له القَيْمُرية فترَك ذلك ، وسافَر السلطانُ عاشرَ شوالٍ إلى مصرَ ، فدخَلَها فى أُبَّهةِ المُلْكِ ، وفى يومِ دُخولِه أقْطَع قَراسُنْقُرَ مائةَ فارسٍ بمصرَ عِوَضًا عن نيابةِ حلبَ .

وفى هذه السنةِ اشْتَرَى الأميرُ سيفُ الدينِ طغاى الأشْرفىُّ[1] قَيْسارِيَّةَ القطنِ المعروفةَ بإنْشاءِ الملكِ المُعَظَّمِ بنِ العادلِ مِن بيتِ المالِ ، بمَرْسومٍ مِن السلطانِ ، وكان حَظِيًّا عندَه ، ونقَل سوقَ الحَرِيريِّين تلك المدةَ ، وكان السلطانُ قد أفْرَج عن علمِ الدينِ الدَّوَادارىِّ بعدَ رجوعِه مِن قلعةِ الرومِ ، واسْتَحْضَره إلى دمشقَ ، وخلَع عليه ، واسْتَصْحَبه معه إلى القاهرةِ ، وأقْطَعه مائةَ فارسٍ ، وولَّاه مُشِدَّ الدواوينِ مُكْرَهًا .

---

(١) فى م : « الأشقرى » .

وفى ذى القَعْدةِ اسْتَحْضَر السلطانُ سُنْقُرَ الأشْقَرَ وطُقُصُوا، فعاقَبَهما فاعْتَرَفا بأنهما أرادا قتْلَه، فسألَهما عن لاجِين فقالا: لم يَكُنْ معنا ولا عِلْمَ له بهذا. فخَنَقَهما، وأطْلَقه بعدَما جعَل الوَتَرَ فى حَلْقِه، وكان قد بقِى له مدةٌ لابد أن يَبْلُغَها، وقد ملَك بعدَ ذلك كما سنَذْكُرُه، إن شاء اللَّهُ تعالى.

وفى ذى الحِجَّةِ عقَد الشيخُ بُرْهانُ الدينِ بنُ الشيخِ تاجِ الدينِ عقْدَه على بنتِ قاضى القُضاةِ شِهابِ الدينِ ابنِ الخُوَيِّىِّ بالباذَرائيةِ، وكان حافلًا.

وفيها دخَل الأميرُ سُنْقُرُ الأعْسَرُ على بنتِ الوزيرِ شمسِ الدينِ بنِ السَّلْعُوسِ على صَداقِ ألفِ دينارٍ، وعجَّل لها خمسَمائةٍ.

وفيها قفَز جَماعةٌ مِن التَّتَرِ نحوٌ مِن ثلاثِمائةٍ إلى الديارِ المصريةِ، فأُكْرِموا.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الخطيبُ زَيْنُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ مَكِّىِّ بنِ عبدِ الصَّمَدِ الشافعىُّ المعروفُ بابنِ المُرَحِّلِ[1]، وهو والدُ الشيخِ صَدْرِ الدينِ بنِ الوَكيلِ، سمِع الحديثَ، وبرَع فى الفقهِ وفى علومٍ شَتَّى، منها علمُ الهَيْئةِ، وله فيه مصنَّفٌ، تولَّى خطابةَ دمشقَ، ودرَّس وأفْتَى، تُوُفِّى ليلةَ السبتِ الثالث والعشرين مِن ربيعٍ الأولِ، وصُلِّى عليه مِن الغدِ ببابِ الخَطابةِ.

الشيخُ عزُّ الدينِ الفارُوثِىُّ[2]، ولِى الخطابةَ قليلًا، ثم عُزِل، ثم مات، ودُفِن

---

(١) العبر ٥/ ٣٧٣، ومرآة الجنان ٤/ ٢١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٤٢، وتذكرة النبيه ١/ ١٥٥، وعقد الجمان ٣/ ١٣٦، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٦.

(٢) العبر ٥/ ٣٨١، والوافى بالوفيات ٦/ ٢١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٨٣، وغاية النهاية ١/ ٣٤، والسلوك ١/ ٨١١ (القسم الثالث)، والذى فى هذه المصادر أن وفاته كانت سنة أربع وتسعين وستمائة.

بباب الصَّغيرِ ، عفا اللَّهُ عنا وعنه .

الصاحبُ فتحُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ [١٠/١٠٨و] **محمدُ بنُ مُحْيِى الدينِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الظاهرِ**[١] ، كاتبُ الأسْرارِ فى الدولةِ المنصوريةِ بعدَ ابنِ لُقْمانَ ، وكان ماهرًا فى هذه الصناعةِ ، وحظِى عندَ المنصورِ ، وكذا عندَ ابنِه الأشرفِ ، وقد طلَب منه ابنُ السَّلْعوسِ أن يَقْرَأَ عليه كلَّ ما يَكْتُبُه ، فقال : هذا لا يُمْكِنُ ، فإن أسْرارَ المُلوكِ لا يَطَّلِعُ عليها غيرُهم ، وأبْصِروا لكم غيرى يَكُونُ معكم بهذه المَثابةِ . فلما بلَغ ذلك الأشرفَ أعْجَبه منه ، وازْدادَت عندَه منزلتُه . تُوُفِّى يومَ السبتِ نصفَ رمضانَ ، وأُخْرِجَت فى تَرِكتِه قَصيدةٌ قد رَثَى[٢] بها تاجَ الدينِ بنَ الأثيرِ ، وكان قد تَشَوَّش فاعْتَقَد أنه يَموتُ ، فعُوفىَ فبقِيَت عنده ، وتوَلَّى ابنُ الأثيرِ بعدَه ، ورثاه تاجُ الدينِ كما رثاه ، وتُوُفِّى ابنُ الأثيرِ بعدَه بشهرٍ وأربعةِ أيامٍ .

يونُسُ بنُ علىِّ بنِ رضوانَ بنِ بِرْقِشٍ[٣] **الأميرُ عمادُ الدينِ** ، كان أحدَ الأمراءِ الطَّبْلَخانةِ فى الدولةِ الناصريةِ ، ثم خَمَل ، وبطَّل الجُنْديةَ بالكليةِ فى الدولةِ المُظَفَّريةِ ، وهَلُمَّ جرًّا إلى هذه السنةِ ، وكان الظاهرُ يُكْرِمُه ، تُوُفِّى فى شوالٍ ، ودُفِن عندَ والدِه بتربةِ الخزيميين .

جَلالُ الدينِ الخَبَّازِىُّ[٤] **عمرُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ ، أبو محمدٍ الخُجَنْدىُّ** ،

---

(١) نهاية الأرب ٣١/ ٢٤٥، والعبر ٥/ ٣٧٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٦٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٥٦، والسلوك ١/ ٧٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ١٤٤، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٥.

(٢) فى الأصل، م: «رثاه». والمثبت موافق لما فى الوافى بالوفيات.

(٣) عقد الجمان ٣/ ١٤٦. وفيه: «قرقس».

(٤) فى الأصل: «الحناوى». وانظر ترجمته فى: الجواهر المضية ٢/ ٦٦٨، وعقد الجمان ٣/ ١٣٦، والدليل الشافى ١/ ٥٠٥، وشذرات الذهب ٥/ ٤١٩.

أحدُ مَشايخِ الحَنَفيةِ الكِبارِ ، أصلُه مِن بلادِ ما وراءَ النهرِ ، مِن بلدٍ يقالُ لها : خُجَنْدَةُ . واشْتَغل هناك ودرَّس بخُوارَزْم ، وأعاد ببغدادَ ، ثم قدِم دمشقَ فدرَّس بالعِزِّيةِ والخاتونيةِ البَرَّانيةِ ، وكان فاضلًا بارعًا مُنْصِفًا ، مُصَنِّفًا فى فُنونٍ كثيرةٍ ، تُوُفِّى لخمسٍ بقِين مِن ذى الحِجَّةِ منها ، وله ثِنْتان وستون سنةً ، ودُفِن بالصوفيةِ .

الملكُ المُظَفَّرُ قَرَا أَرْسَلان الأرتقِيُّ[1] ، صاحبُ مارِدِينَ ، تُوُفِّى وله ثمانون سنةً ، وقام من بعدِه ولدُه شمسُ الدينِ داودُ ، ولُقِّب بالملكِ السعيدِ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

---

(١) فى م : «الأفريقى» . وانظر ترجمته فى : دول الإسلام ٢/ ١٩٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٥٩، والدليل الشافى ٢/ ٥٣٦، والسلوك ١/ ٧٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ١٤٨.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة[1]

في تاريخ ظهير الدين الكازروني[2] : ظهرت نارٌ بأرض المدينةِ النبويةِ في هذه السنةِ ، نَظيرُ ما كان في سنةِ أربعٍ وخمسين على صفتِها ، إلا أن هذه النارَ كان يَعْلُو لَهِيبُها كثيرًا ، وكانت تُحْرِقُ الصخرَ ، ولا تُحْرِقُ السَّعَفَ ، واسْتَمَرَّت ثلاثةَ أيامٍ .

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ [3]والدولةُ المذكورون هم الذين كانوا في التي قبلَها[3] .

وفي جُمادَى الآخِرةِ قدِم الأشْرفُ دمشقَ ، فنزَل في القصرِ الأَبْلَقِ والمَيْدانِ الأخْضَرِ ، وجهَّز الجُيوشَ ، وتهَيَّأَ لغَزْوِ بلادِ سِيسَ ، وقدِم في غُبونِ ذلك رُسُلُ صاحبِ بلادِ سِيسَ يَطْلُبون الصُّلحَ ، فشفَع الأمراءُ فيهم ، فسلَّموا بَهَسْنا[4] وتَلَّ حَمْدونَ ومَرْعَشَ ، وهي أكبرُ بلادِهم وأحْسنُها وأحْصَنُها ، وهي في فَمِ الدَّرْبَنْدِ .

ثم ركِب السلطانُ في ثاني رجبٍ نحوَ سَلَمْيَةَ بأكثرِ الجيشِ ، صُورةَ أنه يُرِيدُ أن يُصِيبَ الأميرَ حُسامَ الدينِ لاجِين ، فأضافه الأميرُ مُهَنَّا بنُ عيسى ، فلما

---

(1) نهاية الأرب ٢٤٧/٣١ - ٢٥٧، وكنز الدرر ٣٤٠/٨ - ٣٤٤، وتذكرة النبيه ١٦٠/١ - ١٦٦، والسلوك ٧٨٢/١ - ٧٨٧ (القسم الثالث).

(2) انظر عقد الجمان ٣/ ١٤٩.

(٣ - ٣) في م: «والخليفة الحاكم العباسي وسلطان البلاد الملك الأشرف بن المنصور ونائبه بمصر بدر الدين بيدرا وبالشام عز الدين أيبك الحموي وقضاة مصر والشام هم الذين كانوا في التي قبلها والوزير شمس الدين بن السلعوس».

(4) بهسنا : قلعة حصينة بقرب مرعش وسميساط ، وهي اليوم من أعمال حلب . انظر معجم البلدان ١/ ٧٧٠.

انْقَضَت الضِّيافةُ أُمْسِكَ له حُسامُ الدينِ لاجِين ، وكان عندَه ، فجاء به ، فسجَنه في قلعةِ دمشقَ ، وأمْسَك مُهَنَّا بنَ عيسى[1] ، وولَّى مكانَه محمدَ بنَ عليِّ بنِ حُذيفةَ[2] ، ثم أرْسَل السلطانُ جُمهورَ الجيشِ بينَ يديه إلى الديارِ المصريةِ صُحْبةَ نائبِه بَيدرا ، ووزيرِه ابنِ السَّلْعُوسِ ، وتأَخَّر هو في خاصَّكِيتِه ، ثم لحِقهم .

وفي المحرمِ منها حكَم القاضي حُسامُ الدينِ الرازيُّ الحنفيُّ بالتَّشْريكِ بينَ العَلَويِّين والجَعْفَرِيِّين [١٠/١٠٨ظ] في الدِّباغةِ التي كانوا يَتنازَعونها مِن مدةِ مائتَيْ سنةٍ ، وكان ذلك يومَ الثلاثاءِ سادسَ عشرين المحرمِ ، بدارِ العدلِ ، ولم يُوافِقْه ابنُ الخُوَيِّيِّ ولا غيرُه ، وحكَم للأعناكيين بصحةِ نسَبِهم إلى جعفرٍ الطَّيَّارِ .

وفيها رسَم الأشرفُ بتَخْريبِ قلعةِ الشَّوْبَكِ فهُدِمت ، وكانت مِن أحْصنِ القِلاعِ وأمْنَعِها وأنْفعِها ، وإنما خرَّبها عن رأيِ عُتْبةَ العَقَبيِّ ، ولم يَنْصَحْ للسلطانِ فيها ولا للمسلمين ؛ لأنها كانت شَجًا في حُلوقِ الأعْرابِ الذين هناك .

وفيها أرْسَل السلطانُ الأميرَ عَلَمَ الدينِ الدَّوَاداريَّ إلى صاحبِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وإلى أولادِ بَرَكَة ، ومع الرسولِ تحفٌ كثيرةٌ جدًّا ، فلم يَتَّفِقْ خُروجُه حتى قُتِل السلطانُ ، فعاد إلى دمشقَ .

وفي عاشرِ جُمادَى الأولى درَّس القاضي إمامُ الدينِ القَزْوِينيُّ بالظاهريةِ البَرَّانيةِ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعْيانُ .

---

(١) كذا في الأصل ، م . وفي المصادر أن السلطان قبض على الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وأرسله إلى دمشق صحبة حسام الدين لاجين .

(٢) كذا في الأصل ، م ، ونهاية الأرب . وفي كنز الدر وتذكرة النبيه والسلوك : « حُدَيْثة » .

وفى الثانى والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ يومَ الاثنينِ[1] طهَّر الملكُ الأشرفُ أخاه الملكَ الناصرَ محمدًا وابنَ أخيه الملكَ المُعَظَّمَ مُظَفَّرَ الدينِ موسى بنَ الصالحِ علىِّ ابنِ المنصورِ، وعُمِل مُهِمٌّ عظيمٌ، ولعِب الأشرفُ بالقَبَقِ[2]، وتمَّت لهم فرحةٌ هائلةٌ، كانت كالوداعِ لسلطنتِه مِن الدنيا.

وفى أولِ المحرمِ درَّس الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ غانمٍ بالعَصْرُونيةِ، وفى مُسْتَهَلِّ صفرٍ درَّس الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلكانىِّ بالرَّواحيةِ عِوَضًا عن نجمِ الدينِ بنِ مَكِّىٍّ؛ بحكمِ انْتقالِه إلى حلبَ وإعْراضِه عن المدرسةِ المذكورةِ.

ودخَل الرَّكْبُ الشامىُّ فى خامسِ[3] صفرٍ، وكان ممَّن حجَّ فى هذه السنةِ الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ، رحِمه اللَّه، وكان أميرَهم الباسطىُّ، ونالَهم فى مَعَانَ[4] ريحٌ شديدةٌ جدًّا مات بسببِها جَماعةٌ، وحمَلَت الريحُ جِمالًا عن أماكنِها، وطارَت العَمائمُ عن الرءوسِ، واشْتَغَلَ كلُّ أحدٍ بنفسِه.

وفى صفرٍ منها وقَع بدمشقَ بَرْدٌ عظيمٌ أفْسَد شيئًا كثيرًا مِن المُغَلَّاتِ، بحيث أُبِيع القمحُ كلُّ عشْرِ أواقٍ بدرهم، ومات شىءٌ كثيرٌ مِن الدَّوابِّ، وفيه زُلْزِلَت ناحيةُ الكَرَكِ، وسقَط مِن قلْعتِها[5] أماكنُ كثيرةٌ.

---

(1) عقد الجمان ٣/ ١٧٠.

(2) القبق: عبارة عن خشبة عالية جدا تنصب فى بَرَاح من الأرض، ويعمل بأعلاها دائرة من خشب، وتقف الرعاة بقسيها وترمى بالسهام جوف الدائرة، لكى تمر داخلها إلى غرض هناك؛ تمرينا لهم على إحكام الرمى، ويعبر عن هذا بالقبق فى لغة الترك. السلوك ٥١٨/١ (القسم الثانى) حاشية (٦).

(3) فى م: «آخر». والخبر فى عقد الجمان ١٩٠/٣ بدون ذكر التاريخ.

(4) فى عقد الجمان ٣/ ١٩٠: «مكة». ومعان: مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء. معجم البلدان ٤/ ٥٧١.

(5) فى الأصل: «تلقيتا»، وتَلْفيتا من قُرى سَنِير من أعمال دمشق. معجم البلدان ١/ ٨٩٨.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ الأُرْمَوِىُّ ، الشيخُ الصالحُ القُدْوةُ العارفُ ، أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ الشيخِ الصالحِ أبى محمدٍ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسُفَ بنِ يونُسَ بنِ إبراهيمَ بنِ سَلْمانَ (١ **بنِ البنكو** ١) **الأُرْمَوِىُّ** ، المُقِيمُ بزاويتِه بسفحِ قاسِيونَ ، كان فيه عِبادةٌ وانْقِطاعٌ ، وله أَوْرادٌ وأذْكارٌ ، وكان مُحَبَّبًا إلى الناسِ ، تُوُفِّى بالمحرمِ ، ودُفِن عندَ والدِه بالسفحِ .

ابنُ الأَعْمَى صاحبُ « المقامةِ » (٢ **كمالُ الدينِ علىُّ بنُ** ٢) **الشيخِ ظَهيرِ الدينِ محمدِ بنِ المُبارَكِ بنِ سالمِ بنِ أبى الغَنائمِ الدِّمشقىُّ** ، المعروفُ بابنِ الأعْمَى ، وُلِد سنةَ عشرٍ وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، وكان فاضلًا بارعًا ، له قَصائدُ يَمْتَدِحُ بها رسولَ اللَّهِ ﷺ ، سمَّاها الشفعيةَ ، عددُ كلِّ قَصيدةٍ اثنان وعشرون بيتًا . قال البِرْزالىُّ : سمِعْتُه ، وله « المقامةُ البحريةُ » المشهورةُ . تُوُفِّى فى المحرمِ ، ودفِن بالصوفيةِ .

الملكُ الزاهرُ مُجيرُ الدينِ ، أبو سليمانَ داودُ بنُ الملكِ المجاهدِ أسدِ الدينِ شِيرْكُوه صاحبِ حمصَ ابنِ ناصرِ الدينِ [١٠/١٠٩و] **محمدِ بنِ الملكِ المُعَظَّمِ** (٣) ، تُوُفِّى ببستانِه عن ثمانين سنةً ، وصُلِّى عليه بالجامعِ المُظَفَّرِى ، ودُفِن بتربتِه بالسفحِ ، وكان دَيِّنًا ، كثيرَ الصلاةِ فى الجامعِ ، وله إجازةٌ مِن المُؤَيَّدِ

(١ - ١) سقط من : م . وفى الأصل : « السكن » . والمثبت من : الوافى بالوفيات ٦/ ٣٦، والمقفى الكبير ١/ ٢٣٨. وانظر بقية مصادر ترجمته : العبر ٥/ ٣٧٥، ومرآة الجنان ٤/ ٢٢٠، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٣، والسلوك ٧٨٧/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ١٩١.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ العبر ٥/ ٣٧٦، وفوات الوفيات ٣/ ٨٧، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٢٩، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٥، والسلوك ٧٨٨/١ (القسم الثالث) - وفيه : « على بن على بن محمد ...» - وعقد الجمان ٣/ ١٩٢.

(٣) نهاية الأرب ٣١/ ٢٥٥، والوافى بالوفيات ١٣/ ٤٧١، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٣، وعقد الجمان ٣/ ١٩٨.

الطُّوسىِّ وزَيْنبَ الشَّعْرِيةِ وأبى رَوْحٍ وغيرِهم ، تُوُفِّى فى جُمادَى الآخِرةِ .

الشيخُ تَقىُّ الدينِ الواسطىُّ ، أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ فضلٍ الواسطىُّ ثم الدمشقىُّ الحنبلىُّ ، تقىُّ الدينِ[1] ، شيخُ الحديثِ بالظاهريةِ بدمشقَ ، تُوُفِّى يومَ الجمعةِ آخِرَ النهارِ رابع عشرين جُمادَى الآخِرةِ عن تسعين سنةً ، وكان رجلًا صالحًا عابدًا ، تفرَّد بعُلُوِّ الرِّوايةِ ، ولم يَخْلُفْ بعدَه مثلَه ، وقد تفقَّه ببغدادَ ، ثم رحَل إلى الشامِ ، ودرَّس بالصاحِبةِ[2] مدةَ عشرين سنةً ، وبمدرسةِ أبى عمرَ ، وولِى فى آخرِ عمرِه مَشْيخةَ الحديثِ بالظاهريةِ بعدَ سفرِ الفارُوثىِّ ، وكان داعيةً إلى مذهبِ السلفِ والصدرِ الأولِ ، وكان يَعودُ المَرْضَى ، ويَشْهَدُ الجَنائزَ ، ويَأْمُرُ بالمعروفِ ، ويَنْهَى عن المنكرِ ، وكان مِن خيارِ عبادِ اللَّهِ تعالى ، وقد درَّس بعدَه بالصاحِبةِ[2] الشيخُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ القَوىِّ المَرْداوىُّ ، وبدارِ الحديثِ الظاهريةِ شرفُ الدينِ عمرُ بنُ خَوَاجَا ، إمامُ الجامعِ المعروفُ بالناصحِ .

ابنُ صاحبِ حَماةَ ، الملكُ الأفْضَلُ نورُ الدينِ علىُّ بنُ الملكِ المُظَفَّرِ تَقىِّ الدينِ محمودِ بنِ الملكِ المنصورِ محمدِ بنِ الملكِ المُظَفَّرِ تَقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ[3] ، تُوُفِّى بدمشقَ ، وصُلِّى عليه بجامِعِها ، وخُرِج به مِن بابِ الفَرادِيسِ مَحْمولًا إلى مدينةِ أبيه وتربتُهم بها ، وهو والدُ الأميرَيْن الكبيرين بدرِ الدينِ حسنٍ وعمادِ الدينِ إسماعيلَ الذى تَمَلَّك حَماةَ بعدَ جدِّه[4] .

---

(١) العبر ٥/ ٣٧٥، والوافى بالوفيات ٦/ ٦٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٢، والمنهل الصافى ١/ ٢٢، وعقد الجمان ٣/ ١٩٤.

(٢) فى م : « بالصالحية » . وهى المدرسة الصاحبة والصاحبية . انظر الدارس ٢/ ٧٩.

(٣) نهاية الأرب ٣١/ ٢٥٧، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٨٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٢، والسلوك ١/ ٧٨٧ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ١٩٩.

(٤) فى م : « مدة » .

ابنُ عبدِ الظاهرِ مُحْيى الدينِ[1] **عبدُ اللَّهِ بنُ رَشيدِ الدينِ عبدِ الظاهرِ بنِ نَشْوانَ بنِ عبدِ الظاهرِ بنِ عليٍّ بنِ نَجْدَةَ السَّعْدىُّ**، كاتبُ الإنْشاءِ بالديارِ المصريةِ، وآخِرُ مَن برَز فى هذا الفنِّ على أهلِ زمانِه، وسبَق سائرَ أقرانِه، وهو والدُ الصاحبِ فتحِ الدينِ النَّديمِ، وقد تقَدَّم ذكرُ وفاتِه قبلَ والدِه، وقد كانت له مُصَنَّفاتٌ، منها «سِيرةُ الملكِ الظاهرِ»، وكان ذا مُروءةٍ، وله النَّظْمُ الفائقُ والنَّثْرُ الرائقُ، تُوُفِّى يومَ الثلاثاءِ رابعَ رجبٍ، وقد جاوَز السبعين، ودُفِن بتربتِه التى أنْشَأها بالقَرافةِ.

الأميرُ عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الحلبىُّ[2]، الذى كان نائبَ قُطُز على دمشقَ، فلما جاءَتْه بَيْعةُ الظاهرِ دعا إلى نفسِه، فبُويِع وتَسَمَّى بالملكِ المُجاهِدِ، ثم حُوصِر وهرَب إلى بَعْلَبَكَّ، فحُوصِر فأجاب إلى خدمةِ الظاهرِ، فسجَنه مدةً وأطْلَقه، وسجَنه المنصورُ مدةً، وأطْلَقه الأشرفُ، واحْتَرَمه وأكْرَمه، بلَغ الثمانين سنةً، وتُوُفِّى فى هذه السنةِ.

---

(١) بعده فى الأصل، م: «بن». والمثبت كما فى مصادر ترجمته؛ نهاية الأرب ٣١/ ٢٥٦، والعبر ٥/ ٣٧٦، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٥٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٤، والمنهل الصافى ٧/ ٩٨، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٨.

(٢) الوافى بالوفيات ١٥/ ٤٧٣، وكنز الدرر ٨/ ٣٤٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٦١، وعقد الجمان ٣/ ١٩٩، والمنهل الصافى ٦/ ٧٦.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

فى أولِها كان مَقْتَلُ الأشْرَفِ ، وذلك أنه خرَج إلى الصيدِ فى ثالثِ المحرمِ ، فلما كان بأرضِ تَرُوجَةَ[2] بالقربِ مِن الإسْكَنْدَريةِ ثانى عشَرَ المحرمِ ، حمَل عليه جَماعةٌ مِن الأمراءِ الذين اتَّفَقوا على قتلِه حينَ انْفَرَد عن جُمهورِ الجيشِ ، فأولُ مَن ضرَبه نائبُه بَيْدَرا ، وتـمَّم عليه لاجِينُ المَنْصوريُّ ، ثم اخْتَفَى إلى رمضانَ ، وظهَر يومَ العيدِ ، وكان ممَّن شارَك فى قتلِ الأشْرفِ بدرُ الدينِ بَيْسَرِى وشمسُ الدينِ قَرَاسُنْقُرُ المَنْصوريُّ ، فلمَّا قُتِل الأشْرفُ اتَّفَق الأمراءُ على تَمْليكِ بَيْدَرا ، وسمَّوْه الملكَ القاهرَ [١٠/١٠٩ظ] أو الأوْحَدَ ، فلم يَتِمَّ له ذلك ، فقُتِل فى اليومِ الثانى بأمْرِ كَتْبُغَا ، ثم اتَّفَق زَيْنُ الدينِ كَتْبُغا ، وعَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الشُّجاعىُّ على أن يُمَلِّكوا أخاه محمدًا الملكَ الناصرَ بنَ قَلَاوُون ، وكان عمرُه إذ ذاك ثمانِ سِنِيـنَ وشهورًا ، فأجْلَسوه على سَريرِ المَمْلَكةِ يومَ الرابعَ عشَرَ مِن المحرمِ ، وكان الوزيرُ ابنُ السَّلْعُوسِ بالإسْكَنْدَريةِ ، وكان قد خرَج فى صُحْبةِ السلطانِ ، وتقَدَّم هو إلى الإسْكَنْدَريةِ ، فلم يَشْعُرْ إلا وقد أحاط به البَلاءُ ، وجاءه العَذابُ مِن كلِّ ناحيةٍ ، وذلك أنه كان يُعامِلُ الأمراءَ الكِبارَ مُعاملةَ الصِّغارِ ، فأخَذوه ، وتوَلَّى عُقوبتَه مِن

---

(١) نهاية الأرب ٢٥٩/٣١ - ٢٧٩، وكنز الدرر ٣٤٥/٨ - ٣٥٦، وتذكرة النبيه ١٦٧/١- ١٦٩، والسلوك ٧٨٨/١ - ٨٠٤ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢٠١/٣ - ٢٤٦.

(٢) فى م: «بروجه». وتروجة: قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. معجم البلدان ٨٤٥/١.

بينهم الشُّجاعىُّ ، فضُرِب ضربًا عظيمًا ، وقُرِّر على الأموالِ ، ولم يَزالوا يُعاقِبونه حتى كانت وفاتُه فى عاشِرِ صفرٍ بعدَ أن احْتِيط على حَواصلِه كلِّها . وأُحْضِر جسدُ الأشْرفِ ، فدُفِن بتربتِه ، وتألَّم الناسُ لفقدِه ، وأعْظَموا قتلَه ، وقد كان شَهْمًا شُجاعًا ، عالىَ الهمةِ ، حسنَ النظَرِ[1] ، كان قد عزَم على غَزْوِ العراقِ واسْتِرْجاعِ تلك البلادَ مِن أيدى التَّتارِ ، واسْتَعَدَّ لذلك ، ونادَى به فى بلادِه ، وقد فتَح فى مدةِ ملكِه - وكانت ثلاثَ سِنين - عَكَّا وسائرَ السَّواحلِ ، ولم يَتْرُكْ للفِرنْجِ فيها مَعْلَمًا ولا حَجَرًا ، وفتَح قلعةَ الرومِ وبَهَسْنا وغيرَها .

فلما جاءَت بيعةُ الملكِ الناصرِ إلى دمشقَ خُطِب له بها على المَنابرِ ، واسْتَقَرَّ الحالُ على ذلك ، وجُعِل الأميرُ كَتْبُغا أتابَكَه ، والشُّجاعىُّ مُشاوِرًا كبيرًا ، ثم قُتِل[2] بعدَ أيامٍ بقلعةِ الجبلِ ، وحُمِل رأسُه إلى كَتْبُغا ، فأُمِر أن يُطافَ به فى البلدِ ، ففرِح الناسُ بذلك فرحًا شديدًا ، وأعْطَوُا الذين حمَلوا رأسَه مالًا ، ولم يَبْقَ لكَتْبُغا مُنازِعٌ ، ومع هذا كان يُشاوِرُ كبارَ الأمراءَ تَطْيِيبًا لقُلوبِهم .

وفى صفرٍ ، بعدَ موتِ ابنِ السَّلْعُوسِ ، عُزِل بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ عن القَضاءِ ، وأُعِيد تَقِىُّ الدينِ ابنُ بنتِ الأعَزِّ ، واسْتَمَرَّ ابنُ جَماعةَ مُدَرِّسًا بمصرَ فى كِفايةٍ ورِياسةٍ ، وتَوَلَّى الوِزارةَ بمصرَ الصاحبُ تاجُ الدينِ بنُ الحِنَّا ، وفى ظهرِ يومِ الأرْبعاءِ الحادى والعشرين مِن صفرٍ رُتِّب إمامٌ بمِحْرابِ الصَّحابةِ ، وهو كمالُ الدينِ[3] عبدُ الرحمنِ بنُ القاضى مُحْيِى الدينِ بنِ الزَّكِىِّ ، وصلَّى يومئذٍ بعدَ الخطيبِ ، ورُتِّب بالمكتبِ الذى ببابِ الناطفانيين إمامٌ أيضًا ، وهو ضِياءُ الدينِ بنُ

---

(١) فى م : « المنظر » .

(٢) أى علم الدين سنجر الشجاعى كما سيأتى .

(٣) بعده فى الأصل : « بن » . لم نجد ترجمة كمال الدين هذا .

بُرْهانِ الدينِ الإسْكَنْدرىُّ ، وباشَر نظرَ الجامعِ الشريفِ زَيْنُ الدينِ حسينُ بنُ محمدِ بنِ عَدْنانَ ، وعاد سُوقُ الحَريريِّين إلى سُوقِه ، وأَخْلَوْا قَيْسارِيَةَ القطنِ الذى كان نوابُ طُقْجِى[1] أَلْزَمُوهم بسُكْناها ، وولى خطابةَ دمشقَ الشيخُ العَلَّامةُ شرفُ الدينِ أحمدُ بنُ جَمالِ الدينِ أحمدَ بنِ نِعْمةَ بنِ أحمدَ المَقْدسىُّ ، بعدَ عَزْلِ مُوَفَّقِ الدينِ الحَمَوىِّ ، دعوه إلى حَماةَ ، فخطَب المقدسىُّ يومَ الجمعةِ نصفَ رجبٍ ، وقُرِئَ تَقْليدُه ، وكانت وِلايتُه بإشارةِ تاجِ الدينِ بنِ الحِنَّا الوزيرِ بمصرَ ، وكان فَصيحًا بَليغًا عالمًا بارعًا .

وفى أواخِرِ رجبٍ حلَف الأمراءُ للأميرِ زَيْنِ الدينِ كَتْبُغا مع الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون ، وسارَت البَيْعةُ بذلك فى سائرِ المدنِ والمعاقلِ .

واقعةُ عسَّافٍ النَّصرانىّ

كان هذا الرجلُ مِن أهلِ السُّوَيْداءِ قد شهِد عليه جماعةٌ أنه سبَّ النبىَّ ﷺ ، وقد استَجار عَسَّافٌ [١٠/ ١١٠و] هذا بابنِ أحمدَ بنِ حجِّى أميرِ آلِ علىٍّ ، فاجْتَمَع الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ ، والشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارِقىُّ شيخُ دارِ الحديثِ ، فدخَلا على الأميرِ عزِّ الدينِ أيْبَك الحَمَوىِّ نائبِ السلطنةِ ، فكَلَّماه فى أمرِه ، فأجابَهما إلى ذلك ، وأرْسَل ليُحْضِرَه ، فخرَجا مِن عندِه ومعهما خلقٌ كثيرٌ مِن الناسِ ، فرأَى الناسُ عَسَّافًا حينَ قدِم ومعه رجلٌ مِن العربِ ، فسبُّوه وشتَموه ، فقال ذلك الرجلُ البَدَوىُّ : هو خيرٌ منكم . يَعْنى النَّصْرانىَّ ، فرجَمهما الناسُ بالحجارةِ ، وأصابَت عَسَّافًا ، ووقَعت خَبْطةٌ قويةٌ ، فأرْسَل النائبُ ، فطلَب

---

(١) فى م : « طغجى » .

الشيخَيْن ابنَ تَيْمية والفارِقىَّ ، فضرَبَهما بينَ يديه ، ورسَم عليهما فى العَذْراويةِ ، وقدِم النصرانىُّ ، فأسْلَم وعُقِد مَجْلسٌ بسببِه ، وأثْبَت بينَه وبينَ الشهودِ عَداوةً ، فحقَن دمَه ، ثم اسْتَدْعَى بالشيخَيْن ، فأرْضاهما وأطْلَقَهما ، ولحِق النَّصرانىُّ بعدَ ذلك ببلادِ الحجازِ ، فاتَّفَق قتلُه قريبًا مِن مدينةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قتَله ابنُ أخيه هنالك ، وصنَّف الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ فى هذه الواقعةِ كتابَه « الصارمَ المَسْلولَ على سابِّ الرسولِ » .

وفى شعبانَ[1] منها ركِب الملكُ الناصرُ فى أُبَّهةِ الملكِ ، وشقَّ القاهرةَ ، وكان يومًا مشهودًا ، وكان هذا أولَ رُكوبِه ، ودقَّت البَشائرُ بالشامِ ، وجاء المرسومُ مِن جهتِه ، فقُرِئ على المنبرِ بالجامعِ فيه الأمرُ بنشرِ العدلِ وطَىِّ الظلمِ ، وإبْطالِ ضَمانِ الأوْقافِ والأمْلاكِ إلا برِضَا أصحابِها .

وفى اليومِ الثانى والعشرين مِن شعبانَ[2] درَّس بالمَسْروريةِ القاضى جمالُ الدينِ القَزْوينىُّ ، أخو إمامِ الدينِ ، وحضَر أخوه وقاضى القُضاةِ شِهابُ الدينِ بنُ الخُوَيِّىِّ ، والشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ ، وكان درسًا حافلًا .

قال البِرْزالىُّ[3] : وفى شعبانَ اشْتهَر أن فى الغَيطةِ بجِسْرِينَ تِنِّينًا عظيمًا ابْتَلَع رأسًا مِن المَعْزِ كبيرًا صحيحًا .

وفى أواخرِ رمضانَ ظهَر الأميرُ حُسامُ الدينِ لاجِين ، وكان مُخْتَفِيًا منذ قتَل الأشرفَ ، فاعْتُذِر له عندَ السلطانِ ، فقبِلَه وخلَع عليه وأكْرَمه ، ولم يَكُنْ قتله باخْتِيارِه .

---

(١) السلوك ١/٨٠٣ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٢٤٥.

(٢) الدارس ١/ ٤٥٦.

(٣) انظر عقد الجمان ٣/ ٢٤٥.

وفى شوالٍ منها[(١)] اشْتَهَر أن مُهَنَّا بنَ عيسى خرَج عن طاعةِ السلطانِ الناصرِ، وانْحاز إلى التَّتَرِ.

وفى يومِ الأربعاءِ ثامنَ ذى القَعْدةِ[(٢)] درَّس بالغَزَّاليةِ الخطيبُ شرفُ الدينِ المقدسىُّ عِوَضًا عن قاضى القُضاةِ شِهابِ الدينِ بنِ الخُوَيِّىِّ - لَمَّا[(٣)] تُوُفِّى - وترَك الشاميةَ البَرَّانيةَ، وقدِم على قَضاءِ الشامِ القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ يومَ الخميسِ الرابعَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ، ونزَل العادليةَ، وخرَج نائبُ السَّلْطنةِ والجيشُ بكمالِه لتَلَقِّيه، وامْتَدَحه الشُّعراءُ، واسْتَناب تاجَ الدينِ الجعبرىَّ نائبَ الخَطابةِ، وباشَر تَدْريسَ الشاميةِ البَرَّانيةِ - عِوَضًا عن شرفِ الدينِ المقدسىِّ - الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارِقىُّ[(٤)] وانْتُزِعَت مِن يدِه الناصريةُ، فدرَّس بها ابنُ جَماعةَ، وبالعادليةِ فى العشرين مِن ذى الحِجَّةِ.

وفى هذا الشهرِ أخْرَجوا الكِلابَ مِن دمشقَ إلى ظاهرِ الفَلاةِ بأمْرِ واليها جَمالِ الدينِ أقباى، وشُدِّد على الناسِ والبوَّابين فى ذلك.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الملكُ الأشرفُ خَليلُ بنُ قَلاوُون المنصورِ[(٥)]، وبَيْدَرا[(٦)] [١٠/ ١١٠ظ]

---

(١) عقد الجمان ٣/ ٢٤٥.

(٢) الدارس ١/ ٣٦٣، ٣٦٤.

(٣) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الدارس.

(٤) فى م: «الفاروثى».

(٥) نهاية الأرب ٣١/ ٣٥٩، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٢٩، وكنز الدرر ٨/ ٣٤٥، والعبر ٥/ ٣٧٨، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٣٩، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٧، وعقد الجمان ٣/ ٢٠١، والنجوم الزاهرة ٨/ ٤٠، والمنهل الصافى ٥/ ٢٧٠، والمقفى الكبير ٣/ ٧٩٣.

(٦) نهاية الأرب ٣١/ ٢٦٣، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٣٠، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٦، وعقد الجمان ٣/ ٢١٦، والمنهل الصافى ٣/ ٤٩٣، والمقفى الكبير ٢/ ٥٦٢.

والشُّجاعىُّ[1] ، **وشمسُ الدينِ بنُ السَّلْعُوسِ**[2] .

الشيخُ الإمامُ العَلامةُ تاجُ الدينِ موسى بنُ محمدِ بنِ مسعودٍ المَرَاغىُّ[3] ، **المعروفُ** [4]**بأبى الجَوّابِ**[4] **الشافعىُّ** ، درَّس بالإقْباليةِ وغيرِها ، وكان مِن فُضلاءِ الشافعيةِ ، له يدٌ فى الفقهِ والأصولِ والنحوِ ، وفهمٌ جيدٌ ، تُوُفِّى فَجأَةً يومَ السبتِ ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، وقد جاوَز السبعين .

الخاتون مُؤنسةُ بنتُ السلطانِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ[5] ، وتُعْرَفُ [6]بالدارِ القطبيةِ ، وبدارِ إقبالٍ[6] ، وُلِدَت سنةَ ثلاثٍ وستِّمائةٍ ، وروَت بالإجازةِ عن عفيفةَ الفارِفانيةِ[7] ، وعن عينِ الشمسِ بنتِ أحمدَ بنِ أبى الفرجِ الثَّقَفيةِ ، تُوُفِّيَت فى ربيعِ الآخرِ بالقاهرةِ ، ودُفِنَت ببابِ زويلةَ .

الصاحبُ الوزيرُ فخرُ الدينِ ، أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ لُقْمانَ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ الشَّيْبانىُّ[8] **المصرىُّ** ، رأسُ الموقعين ، وأستاذُ الوُزراءِ المشهورين ، وُلِد

---

(١) نهاية الأرب ٣١/ ٢٧٣، وكنز الدرر ٨/ ٣٥٣، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٧٥، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٢، وعقد الجمان ٣/ ٢٣٤، والمنهل الصافى ٦/ ٨٠.

(٢) ستأتى ترجمته آخر وفيات هذه السنة .

(٣) عقد الجمان ٣/ ٢٤٧، والدليل الشافى ٢/ ٧٥٢، والدارس ١/ ١٦١.

(٤ - ٤) كذا فى الأصل ، م . وفى عقد الجمان والدليل الشافى : « بابن الحيوان » ، وفى الدارس : « بابن الجواب » .

(٥) عقد الجمان ٣/ ٢٥٦، والدليل الشافى ٢/ ٧٥٥.

(٦ - ٦) فى الأصل : « بالدار القطينة بدار إقبال » .

(٧) فى الأصل ، م ، والعقد : « الفارقانية » وفى الدليل الشافى : « الفارقية » . والمثبت من ترجمتها فى العبر ٥/ ١٧. وهى عفيفة بنت أحمد بن عبد الله بن محمد أم هانئ الفارفانية نسبة إلى فارفان : قرية من قرى أصبهان . وانظر معجم البلدان ٣/ ٨٣٩.

(٨) فى الأصل ، م : « البنانى » . والمثبت من مصادر الترجمة ؛ نهاية الأرب ٣١/ ٢٧٩، والوافى =

سنةَ ثنتَىْ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، وروَى الحديثَ ، تُوُفِّى فى آخِرِ جُمادَى الآخِرةِ فى القاهرةِ .

الملكُ الحافظُ غِياثُ الدينِ[1] **محمدُ بنُ الملكِ السعيدِ مُعِينِ الدينِ شاهنشاه بنِ الملكِ الأمْجدِ بَهْرام شاه بنِ المُعِزِّ عِزِّ الدينِ فَرُّخْشاه بنِ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ** ، وكان فاضلًا بارعًا ، سمِع الحديثَ ، وروَى « البُخارىَّ » ، وكان يُحِبُّ العلماءَ والفُقراءَ ، تُوُفِّى يومَ الجمعةِ سادسَ شَعبانَ ، ودُفِن عندَ جدِّه لأمِّه ابنِ المُقَدَّمِ ، ظاهرَ بابِ الفَرادِيسِ .

قاضى القُضاةِ شِهابُ الدينِ بنُ الخُوَيِّىِّ ، أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ قاضى القُضاةِ شمسِ الدينِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ خَليلِ بنِ سعادةَ بنِ جعفرِ بنِ عيسى ابنِ محمدٍ الشافعىُّ[2] ، أصلُهم مِن خُوَىٍّ ، اشْتَغل وحصَّل علومًا كثيرةً ، وصنَّف كتبًا كثيرةً ، منها كتابٌ فيه عشرون فنًّا ، وله « نَظْمُ علومِ الحديثِ » و « كِفايةُ المُتَحفِّظِ » وغيرُ ذلك ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وكان مُحِبًّا له ولأهلِه ، وقد درَّس وهو صغيرٌ بالدماغيةِ ، ثم ولِى قَضاءَ القدسِ ثم المحلَّة ، ثم بَهْسَنا ، ثم ولِى قَضاءَ حلبَ ، ثم عاد إلى المحلةِ ، ثم ولِى قَضاءَ القاهرةِ ، ثم قدِم على قَضاءِ الشامِ

= بالوفيات ٦/ ٩٧، وفوات الوفيات ١/ ٤٣، والسلوك ١/ ٨٠٤ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٢٥٤، والنجوم الزاهرة ٨/ ٥٠، والمنهل الصافى ١/ ١٣٦، والمقفى الكبير ١/ ٢٦٠.

(١) بعده فى م : « بن » . وانظر ترجمته فى : نهاية الأرب ٣١/ ٢٨٠، والوافى بالوفيات ٣/١٤٧ - وفيه أن وفاته كانت سنة ثلاث وثمانين وستمائة - ومرآة الجنان ٤/ ٢٢٢، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٢، وعقد الجمان ٣/ ٢٥٤، والمقفى الكبير ٥/ ٧١٦.

(٢) العبر ٥/ ٣٧٩، والوافى بالوفيات ٢/ ١٣٧، وفوات الوفيات ٣/ ٣١٣، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٠١، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٠، والدليل الشافى ٢/ ٥٩١، والمقفى الكبير ٥/ ١٦٦، وبغية الوعاة ١/ ٢٣.

مع تَدْريسِ العادليةِ والغَزَّاليةِ وغيرِهما ، وكان مِن حَسَناتِ الزمانِ وأكابرِ العلماءِ الأعلامِ ، عَفِيفًا نَزِهًا بارعًا مُحِبًّا للحديثِ وعلمِه وعلمائِه ، وقد خرَّج له شيخُنا الحافظُ المِزِّىُّ أربعين حديثًا مُتَبايِنةَ الإسْنادِ ، وخرَّج له تَقىُّ الدينِ بنُ عُتْبَةَ الإسْعِرْدِىُّ مَشْيخةً على حُروفِ المُعْجَمِ ، اشْتَمَلَت على مائتين وستةٍ وثلاثين شيخًا . قال البِرْزالىُّ : وله نحوُ ثلاثِمائةِ شيخٍ لم يُذْكَروا فى هذا المُعْجَمِ . تُوُفِّى يومَ الخميسِ الخامسِ والعشرينَ مِن رمضانَ ، عن سبعٍ وستين سنةً ، وصُلِّى عليه ودُفِن مِن يومِه بتربةِ والدِه بسفحِ قاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الأميرُ عَلاءُ الدينِ الأعْمَى(١) ، ناظرُ القدسِ ، وبانى كثيرٍ مِن معالمِه اليومَ ، وهو الأميرُ الكبيرُ عَلاءُ الدينِ أَيْدِكِينُ بنُ عبدِ اللَّهِ الصالحىُّ النَّجْمىُّ ، كان مِن أكابرِ الأمراءِ ، فلما أضَرَّ أقام بالقدسِ الشريفِ وولِى نظَرَه ، فعمَّره وثمَّره ، وكان مَهِيبًا لا تُخالَفُ مَراسِيمُه ، وهو الذى بنَى المَطْهرةَ قريبًا مِن مسجدِ النبىِّ ﷺ ، فانْتَفَع الناسُ بها فى الوُضوءِ وغيرِه ، ووجَد الناسُ بها تَيْسيرًا ، وأنشأ بالقدسِ رُبُطًا كثيرةً ، وآثارًا حسنةً ، وكان يُباشِرُ [١٠/ ١١١و] الأمورَ بنفسِه ، وله حُرْمةٌ وافرةٌ ، تُوُفِّى فى شوالٍ منها .

الوزيرُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى الرجالِ التَّنُوخىُّ(٢) ، المعروفُ بابنِ السَّلْعوسِ ، وزيرُ الملكِ الأشرفِ ، مات تحتَ الضَّرْبِ الذى جاوَز ألفَ

---

(١) الوافى بالوفيات ٩/ ٤٨٥، ونكت الهميان ص ١٢٣، وعقد الجمان ٣/ ٢٥٣، والمنهل الصافى ٣/ ١٦٣، والأنس الجليل ٢/ ٢٧٠.

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ٢٧٠، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٣١، والعبر ٥/ ٣٨٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٨٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٣، وعقد الجمان ٣/ ٢٢٧، والمقفى الكبير ٦/ ٢٠٤، والمقفى الكبير ٦/ ٢٠٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٤.

مِقرعةٍ ، فى عاشِرِ صفرٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بالقَرافةِ[1] ، وقيل : إنه نُقِل إلى الشامِ بعدَ ذلك . وكان ابْتِداءَ أمْرِه تاجرًا ، ثم ولِى الحِسْبةَ بدمشقَ بسِفارةِ تَقىِّ الدينِ تَوْبَةَ ، ثم كان يُعامِلُ الملكَ الأشرفَ قبلَ السلطنةِ ، فظهَر منه على عَدْلٍ وصدقٍ ، فلما ملَك بعدَ أبيه المنصورِ اسْتَدْعاه مِن الحجِّ فولَّاه الوِزارةَ ، وكان يَتَعاظَمُ على أكابرِ الأمراءِ ، ويُسَمِّيهم بأسْمائِهم ، ولا يَقومُ لهم ، فلما قُتِل أستاذُه الأشرفُ تسلَّموه بالضَّرْبِ والإهانةِ وأخْذِ الأموالِ ، حتى أعْدَموه حياتَه وصَبَروه ، وأسْكَنوه الثرى بعدَ أن كان عندَ نفسِه قد بلَغ الثُّرَيَّا ، ولكنَّ حقًّا على اللَّهِ أنه ما رفَع شيئًا إلا وضَعه .

---

(١) فى الأصل : « بالقاهرة » .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ، وسلطانُ البلادِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قَلاوُون، وعمرُه إذ ذاك اثْنَتا عشْرةَ سنةً وأشهرًا، ومُدَبِّرُ المَمالِك وأتابِكُ العَساكرِ الأميرُ زَيْنُ الدينِ كَتْبُغا، ونائبُ الشامِ الأميرُ عزُّ الدينِ أيْبَك الحَمَويُّ، والوزيرُ بدمشقَ تَقيُّ الدينِ تَوْبةُ التَّكْريتيُّ، وشادُّ الدواوينِ شمسُ الدينِ الأعْسَرُ، وقاضي الشافعيةِ ابنُ جَماعةَ، والحَنَفيةِ حُسامُ الدينِ الرازيُّ، والمالكيةِ جَمالُ الدينِ الزَّواويُّ، والحَنابلةِ شرفُ الدينِ حسنٌ، والمُحْتَسِبُ شِهابُ الدينِ الحنفيُّ، ونقيبُ الأشْرافِ زَيْنُ الدينِ بنُ عَدْنانَ، ووكيلُ بيتِ المالِ وناظرُ الجامعِ تاجُ الدينِ الشِّيرازيُّ، وخَطيبُ البلدِ شرفُ الدينِ المَقْدسيُّ.

فلما كان يومُ عاشُوراءَ نهَض جماعةٌ مِن مَماليكِ الأشْرَفِ، وخرَقوا حرمةَ السلطانِ، وأرادوا الخروجَ عليه، وجاءوا إلى سوقِ السلاحِ، فأخَذوا ما فيه، ثم احْتِيط عليهم، فمنهم مَن صُلِب، ومنهم مَن شُنِق، وقُطِع أيدي آخَرين منهم وألسنتُهم، وجرَت خَبْطةٌ عظيمةٌ جدًّا، وكانوا قريبًا مِن ثلاثِمائةٍ أو يَزِيدُون.

---

(1) نهاية الأرب ٢٨١/٣١ - ٢٨٨، وكنز الدرر ٣٥٦/٨ - ٣٦٢، والعبر ٥/ ٣٨٠.

ذكرُ سلطنةِ الملكِ العادلِ كَتْبُغا

وأصبَح الأميرُ كَتْبُغا فى اليومِ (١الحادى عشَرَ١) مِن المحرمِ، فجلَس على سَريرِ المَمْلكةِ، وخلَع الملكَ الناصرَ محمدَ بنَ المنصورِ، وألْزَمه بيتَ أهلِه، وأن لا يَخْرُجَ منه، وبايَعه الأمراءُ على ذلك وهنَّأوه، ومدَّ سِماطًا حافلًا، وسارَت البَريديةُ بذلك إلى الأقاليم، فبُويِع وخُطِب له مُسْتَقِلًّا، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِه، وتمَّ الأمرُ، وزُيِّنَت البلادُ، ودقَّت البَشائرُ، ولُقِّب بالملكِ العادلِ، وكان عمرُه إذ ذاك نحوًا مِن خمسين سنةً، فإنه مِن سَبْيِ وَقْعةِ حِمْصَ الأولى التى كانت فى أيامِ الملكِ الظاهرِ بعدَ وقعةِ عَينِ جالوتَ، وكان مِن العُوَيْراتِيَّةِ[٢]، وهم طائفةٌ مِن التَّترِ، واسْتَناب فى مصرَ الأميرَ حُسامَ الدينِ لاجِين السِّلَحْدار المنصوريَّ، وكان بينَ يديه مُدَبِّرَ المَمالكِ. وقد ذكَرَ ابنُ الجَزَرىِّ فى «تاريخِه»[٣] عن بعضِ الأمراءِ أنه شهِد هُولَاكُوقان قد سأَل مُنَجِّمَه أن يَسْتَخْرِجَ له مِن هؤلاء المُقَدَّمِين فى عَسْكرِه الذى يَمْلِكُ الدِّيارَ المصريةَ، فضرَب وحسَب، وقال له: أَجِدُه رجلًا يَمْلِكُها اسمُه كَتْبُغا. فظنَّه كَتْبُغانُوين، وكان صِهْرَ هولاكو، فقدَّمه على العَساكرِ، فلم يَكُنْ هو، فقُتِل فى عَينِ جالوتَ كما ذكَرْنا، وإنما الذى [١٠/ ١١١ظ] ملَك مصرَ هذا الرجلُ، وكان مِن خِيارِ الأمراءِ وأجْودِهم سِيرةً ومَعْدَلَةً وقَصْدًا فى نُصْرةِ الإسلامِ.

وفى يومِ الأربعاءِ مُسْتَهَلِّ ربيعِ الأولِ ركِب كَتْبُغا فى أُبَّهةِ الملكِ، وشقَّ القاهرةَ، ودعا له الناسُ، وعزَل الصاحبَ تاجَ الدينِ بنَ الحِنَّا عن الوِزارةِ، وولَّى

(١ - ١) فى كنز الدرر ٨/ ٣٥٧: «يوم الخميس ثالث عشر».

(٢) فى م: «الغويرانية». وانظر السلوك ١/ ٨٠٧ (القسم الثالث) حاشية (٣).

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٨/ ٥٥.

فخرَ الدينِ بنَ الخَلِيليِّ ، واسْتَسْقَى الناسُ بدمشقَ عندَ مسجدِ القدمِ ، وخطَب بهم تاجُ الدينِ صالحٌ الجعبرىُّ نِيابةً عن مستخلفِه الشيخِ شرفِ الدينِ المقدسىِّ ، وكان مريضًا ، فعزَل نفسَه عن القَضاءِ ، وخطَب الناسَ بعدَ ذلك ، وذلك يومَ الأربعاءِ خامس جُمادَى الأولى ، فلم يُسْقَوْا ، ثم اسْتَسْقَوْا مرةً أخرى يومَ السبتِ سابعِ جُمادَى الآخِرةِ بالمكانِ المذكورِ ، وخطَب بهم شرفُ الدينِ المقدسىُّ ، وكان الجمعُ أكثرَ مِن الأولِ ، فلم يُسْقَوْا .

وفى رجبٍ حكَم كمالُ[1] الدينِ بنُ الشَّرِيشىِّ نِيابةً عن القاضى بدرِ الدينِ ابنِ جَماعةَ .

وفيه درَّس بالمُعَظَّميةِ القاضى شمسُ الدينِ بنُ العِزِّ ، انْتَزَعَها مِن عَلاءِ الدينِ بنِ الدَّقَّاقِ .

وفيه ولِى القدسَ والخَليلَ الملكُ الأوحدُ ابنُ الملكِ الناصرِ داودَ ابنِ المُعَظَّمِ .

وفى رمضانَ رُسِم للحَنابلةِ أن يُصَلُّوا قبلَ الإمامِ الكبيرِ ، وذلك أنهم كانوا يُصَلُّون بعدَه ، فلما أُحْدِث [(2)] مِحرابُ الصَّحابةِ [(2)] كانوا يُصَلُّون جَميعًا فى وقتٍ واحدٍ ، فكان يحصُلُ تَشْويشٌ بسببِ ذلك ، فاسْتَقَرَّت القاعدةُ على أن يُصَلُّوا قبلَ الإمامِ الكبيرِ ، فى وقتِ صلاةِ مَشْهَدِ علىٍّ بالصَّحْنِ عندَ محرابِهم فى الرواقِ الثالثِ الغربىِّ .

قلتُ : وقد تغَيَّرَت هذه القاعدةُ بعدَ العشرين وسبعِمائةٍ كما سيأتى .

وفى أواخِرِ رمضانَ قدِم القاضى نجمُ الدينِ بنُ صَصْرَى مِن الديارِ المصريةِ

---

(1) فى م : « جمال » . وانظر الدارس ١/ ٢٧.

(٢ - ٢) فى م : « لمحراب الصحابة إمام » .

على قَضاءِ العَساكرِ بالشامِ .

وفى ظهرِ يومِ الخميسِ خامسِ شوالٍ صلَّى القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ بمِحْرابِ الجامعِ إمامًا وخطيبًا عِوَضًا عن الخطيبِ المُدَرِّسِ شرفِ الدينِ المَقْدسىِّ ، ثم خطَب مِن الغدِ ، وشُكِرَت خُطْبتُه وقراءتُه ، وذلك مُضافٌ إلى ما بيدِه مِن القَضاءِ وغيرِه .

وفى أواخِرِ[1] شوالٍ قدِمَت مِن الديارِ المصريةِ تَواقِيعُ شَتَّى ؛ منها تدريسُ الغَزَّاليةِ لابنِ صَصْرَى عِوَضًا عن الخطيبِ المقدسىِّ ، وتوقيعٌ بتَدْريسِ الأمِينيةِ لإمامِ الدينِ القَزْوينىِّ عِوَضًا عن نجمِ الدينِ بنِ صَصْرَى ، ورُسِم لأخيه جَلالِ الدينِ بتَدْريسِ الظاهريةِ البَرَّانيةِ عوضًا عنه .

وفى شوالٍ كَمَلَت عِمارةُ الحمامِ الذى أنْشَأه عزُّ الدينِ الحَمَوىُّ بمسجدِ القَصَبِ ، وهو مِن أحسنِ الحَمَّاماتِ ، وباشَر مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ النُّوريةِ الشيخُ عَلاءُ الدينِ بنُ العَطَّارِ عِوَضًا عن شرفِ الدينِ المَقْدسىِّ .

وحجَّ فيها الملكُ المُجاهِدُ أنسُ بنُ الملكِ العادلِ كَتْبُغا ، وتصَدَّقوا بصَدَقاتٍ كثيرةٍ فى الحرمَيْن وغيرِهما .

ونُودِى بدمشقَ يومَ عرفةَ أن لا يَرْكَبَ أحدٌ مِن أهلِ الذِّمَّةِ خيلًا ولا بِغالًا ، ومَن رأَى مِن المسلمين أحدًا مِن أهلِ الذِّمَّةِ قد خالَف ذلك فله سَلْبُه .

وفى أواخِرِ هذه السنةِ والتى تَلِيها حصَل بديارِ مصرَ غَلاءٌ شديدٌ ، هلَك

---

(١) فى م : « أوائل » .

بسببِه خلقٌ كثيرٌ ، هلَك فى شهرِ ذى الحِجَّةِ نحوٌ مِن عشرين ألفًا .

وفيها ملَك التَّترَ قازان بنُ أَرْغُون بنِ أَبْغَا بنِ تولى بنِ جِنْكِزْخان ، فأسْلَم وأظْهَر الإسلامَ على يدِ الأميرِ نَوْروزَ[1] ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ودخَلَت التَّترُ أو أكثرُهم فى الإسلامِ ، ونُثِر الذهبُ والفضةُ واللؤلؤُ على رءوسِ الناسِ يومَ إسلامِه ، وتسَمَّى بمحمودٍ ، وشهِد الجمعةَ والخُطْبةَ ، وخرَّب كَنائسَ كثيرةً ، وضرَب عليهم [١٠/ ١١٢و] الجِزْيةَ ، وردَّ مَظالمَ كثيرةً ببغدادَ وغيرِها مِن البلادِ ، وظهَرَت السُّبَحُ والهَياكلُ مع التَّترِ ، والحمدُ للَّهِ وحدَه .

وفيها تُوُفِّى مِن الأعْيان :

الشيخُ أبو الرجالِ المَنِينىُّ : الشيخُ الصالحُ الزاهدُ العابدُ أبو الرجالِ بنُ مِرى[2] بنِ بُحترِ المَنِينىُّ ، كانت له أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ ، وكان أهلُ دمشقَ والبلادِ يَزُورُونه فى قريةِ مَنِينَ ، وربما قدِم هو بنفسِه إلى دمشقَ فيُكْرَمُ ويُضَافُ ، وكانت له زاويةٌ ببلدِه ، وكان بَريئًا مِن هذه السَّماعاتِ الشَّيطانيةِ ، وكان تلميذَ الشيخِ جَنْدَلٍ ، وكان شيخُه الشيخُ جَنْدَلٌ مِن كبارِ الصالحين ، سالكًا طريقَ السَّلَفِ أيضًا ، وقد بلَغ الشيخُ أبو الرجالِ ثمانين سنةً ، وتُوُفِّى بمَنِينَ فى منزلِه فى عاشرِ المُحَرَّمِ ، وخرَج الناسُ مِن دمشقَ إلى جِنازتِه ، فمنهم مَن أدْرَكها ، ومِن الناسِ مَن لم يُدْرِكْ فصلَّى على القبرِ ، ودُفِن بزاويتِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى م : « توزون » . وانظر كنز الدرر ٨/ ٣٦١.

(٢) فى م : « مرعى » . وانظر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٨٥، ومسالك الأبصار ٨٠/ ١٧٥، ومرآة الجنان ٤/ ٢٢٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٨٠، وعقد الجمان ٣/ ٢٨٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٨.

وفيها فى أواخرِ ربيعِ الأولِ جاء الخبرُ بأن **عَسَّافَ بنَ أحمدَ بنِ حَجِّى**[1] الذى كان قد أجار ذلك النَّصْرانىَّ الذى سبَّ الرسولَ عليه السلامُ قُتِل، ففرِح الناسُ بذلك.

الشيخُ الصالحُ العابدُ الزاهدُ الوَرِعُ بقيةُ السَّلَفِ، جَمالُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الصَّمَدِ بنُ الحَرَسْتانىِّ بنِ قاضى القُضاةِ وخطيبِ الخُطَباءِ عِمادِ الدينِ عبدِ الكريمِ بنِ جَمالِ الدينِ عبدِ الصمدِ[2]، سمِع الحديثَ وناب عن أبيه فى الإمامةِ وتَدْريسِ الغَزَّاليةِ، ثم ترَك المَناصِبَ والدنيا، وأقْبَل على العِبادةِ، وكان للناسِ فيه اعْتِقادٌ حسنٌ صالحٌ، يُقَبِّلون يدَه ويَسْأَلونه الدعاءَ، وقد جاوَز الثمانين، ودُفِن بالسفحِ عندَ أهلِه فى أواخرِ ربيعِ الآخِرِ.

الشيخُ مُحِبُّ الدينِ الطَّبَرىُّ المكِّىُّ الشافعىُّ[3]، سمِع الكثيرَ وصنَّف فى فُنونٍ كثيرةٍ، مِن ذلك كتابُ «الأحكامِ» فى مجلداتٍ كثيرةٍ مفيدةٍ، وله كتابٌ على ترتيبِ «جامعِ المسانيدِ» أسْمَعَه لصاحبِ اليمنِ، وكان مولدُه يومَ الخميسِ السابعِ والعشرين مِن جُمادَى الآخِرةِ [3]من سنةِ خمسَ عشْرَةَ وستِّمائةٍ[3]، ودُفِن بمكةَ، وله شعرٌ جيدٌ، فمنه قَصيدتُه فى المَنازِلِ التى بينَ مكةَ والمدينةِ تَزِيدُ على ثلاثِمائةِ بيتٍ، كتَبها عنه الحافظُ شرفُ الدينِ الدِّمْياطىُّ فى «مُعْجَمِه».

الملكُ المُظَفَّرُ صاحبُ اليمنِ، يوسفُ بنُ المنصورِ نورِ الدينِ عمرَ بنِ علىٍّ

---

(١) عقد الجمان ٣/ ٣٩٦، والنجوم الزاهرة ٨/ ٧٤.

(٢) العبر ٥/ ٣٨٣، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٤٦، وعقد الجمان ٣/ ٢٨٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٦.

(٢) العبر ٥/ ٣٨٢، والوافى بالوفيات ٧/ ١٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٦، وعقد الجمان ٣/ ٢٨٤، والمقفى الكبير ١/ ٥١٦، والمنهل الصافى ١/ ٣٤٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٥.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «منها». والمثبت من مصادر ترجمته عدا عقد الجمان وفيه: «عشر وستمائة».

ابنِ رَسُولٍ[1] ، أقام فى مَمْلكةِ اليمنِ بعدَ أبيه سبعًا وأربعين سنةً ، وعُمِّر ثمانين سنةً ، وكان أبوه قد ولِى أزيدَ مِن مدةِ عشرين سنةً بعدَ الملكِ أَقْسِيسَ بنِ الكاملِ محمدٍ ، وكان عمرُ بنُ رَسُولٍ مُقَدَّمَ عَساكرِ أَقْسِيسَ ، فلما مات أَقْسِيس وثَب على المُلكِ ، فتمَّ له الأمْرُ ، وتسَمَّى بالملكِ المنصورِ ، واسْتَمَرَّ أزْيَدَ مِن عشرين سنةً ، ثم ابنُه المُظَفَّرُ سبعًا وأربعين سنةً ، ثم قام مِن بعدِه فى الملكِ ولدُه الملكُ الأشرفُ مُمهِّدُ الدِّينِ ، فلم يَمْكُثْ سنةً حتى مات ، ثم قام أخوه المُؤَيَّدُ هِزَبْرُ[2] الدينِ داودُ بنُ المُظَفَّرِ ، فاسْتَمَرَّ فى الملكِ مدةً ، وكانت وفاةُ الملكِ المُظَفَّرِ المذكورِ فى رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وقد جاوَز الثمانين ، وكان يُحِبُّ الحديثَ ويَسْمَعُه ، وجمَع لنفسِه أربعين حديثًا .

شرفُ الدِّينِ المَقْدسىُّ ، الشيخُ الإمامُ الخطيبُ المدرسُ المُفْتِى : شرفُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الشيخِ كَمالِ الدينِ أحمدَ بنِ نِعْمةَ بنِ أحمدَ بنِ جعفرِ بنِ حسينِ بنِ حمادٍ المقدسىُّ الشافعىُّ[3] ، [١٠/١١٢ظ] وُلِد سنةَ ثنتين وعشرين وستِّمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، وكتَب حَسَنًا ، وصنَّف فأجاد وأفاد ، وولِى القَضاءَ نِيابةً بدمشقَ والتَّدريسَ والخَطابةَ بدمشقَ ، وكان مدرسَ الغَزَّاليةِ ودارِ الحديثِ النُّوريةِ مع الخَطابةِ ، ودرَّس فى وقتٍ بالشاميةِ البَرَّانيةِ ، وأَذِن فى الإفْتاءِ لجَماعةٍ مِن الفُضَلاءِ ؛ منهم الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ الإسلامِ أبو العباسِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ، وكان يَفْتَخِرُ بذلك ويَفْرَحُ به ، ويقولُ : أنا أَذِنْتُ لابنِ تَيْمِيَّةَ بالإفْتاءِ . وكان يُتْقِنُ فُنونًا

---

(١) نهاية الأرب ٣١/ ٢٨٩، والعبر ٥/ ٣٨٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٦، وعقد الجمان ٣/ ٢٩٣، والنجوم الزاهرة ٨/ ٧١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٧.

(٢) فى الأصل، م: «عز». والمثبت من نهاية الأرب وعقد الجمان. وانظر ترجمته فى: المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٩١، وكنز الدرر ٩/ ٣٠٧، والوافى بالوفيات ١٣/ ٥٠١، وفوات الوفيات ١/ ٤٢٨.

(٣) العبر ٥/ ٣٨٠، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٣١، وفوات الوفيات ١/ ٥٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٨، وعقد الجمان ٣/ ٢٨٥، والمقفى الكبير ١/ ٣٦١، والمنهل الصافى ١/ ٢٢٩، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٤.

كثيرةً مِن العلومِ ، وله شعرٌ حسنٌ ، وصنَّف كتابًا فى أُصولِ الفقهِ جمَع فيه شيئًا كثيرًا ، وهو عندى بخطِّه الحسنِ ، تُوُفِّى يومَ الأحدِ سابعَ عشَرَ رمضانَ ، وقد جاوَز السبعينَ ، ودُفِن بمقابرِ بابِ كَيْسانَ عندَ والدِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ورحِم أباه . وقد خطَب بعدَه يومَ العيدِ الشيخُ شرفُ الدينِ الفَزاريُّ خطيبُ جامعِ جراحٍ ، ثم جاء المرسومُ لابنِ جَماعةَ بالخَطابةِ . ومِن شعرِ الخطيبِ شرفِ الدينِ ابنِ نِعْمَةَ المقدسىِّ :

احجُجْ إلى الزَّهْرِ لتَسْعَى به   وارْمِ جِمارَ الهَمِّ مُسْتَنْفِرا[1]

مَن لم يَطُفْ بالزَّهرِ فى وقتِه   مِن قبلِ أن يَخلِقَ قد قصَّرا

واقفُ الجَوْهريةِ الصدرُ نجمُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ عَيَّاشٍ[2] **بنِ أبى المكارمِ التَّميمى الجوهرىُّ**، واقفُ الجَوْهريةِ على الحنفيةِ بدمشقَ، تُوُفِّى ليلةَ الثلاثاءِ تاسعَ عشَرَ شوالٍ ، ودُفِن بمدرستِه ، وقد جاوَز الثمانين ، وكانت له خِدمٌ على المُلوكِ فمَن دونَهم .

الشيخُ الإمامُ العالمُ المُفْتِى الخطيبُ الطَّبيبُ ، مَجْدُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الوَهَّابِ بنُ أحمدَ بنِ أبى الفتحِ بنِ سُحْنُونٍ التَّنوخىُّ الحنفىُّ[3] ، خَطيبُ النَّيْرَبِ ومدرسُ الدماغيةِ للحَنَفيةِ ، وكان طبيبًا ماهرًا حاذقًا ، تُوُفِّى بالنَّيْرَبِ ، وصُلِّى عليه بجامعِ الصالحيةِ ، وكان فاضلًا ، وله شعرٌ حسنٌ ، وروَى شيئًا مِن الحديثِ ، تُوُفِّى

---

(١) فى فوات الوفيات ، والمنهل الصافى : « مستهترا » .

(٢) فى العبر ٥/ ٣٨٥، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٨: « عباس » . وانظر عقد الجمان ٣/ ٢٩٢، والدارس ١/ ٤٩٨.

(٣) العبر ٥/ ٣٨٣، وفوات الوفيات ٢/ ٤١٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٨١، والدليل الشافى ١/ ٤٣٢، والطبقات السنية فى تراجم الحنفية ٤/ ٤٠٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٦، ومعجم الأطباء ص ٢٨١.

ليلةَ السبتِ خامسِ ذى القَعْدةِ عن خمسٍ وسبعين سنةً .

الفارُوثِىُّ الشيخُ الإمامُ العابدُ الزاهدُ الخطيبُ عزُّ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ ابنُ الشيخِ مُحْيى الدينِ إبراهيمَ بنِ عمرَ بنِ الفرجِ بنِ سابُور بنِ علىِّ بنِ غُنَيْمَةَ الفاروثِىُّ الواسطِىُّ[1] ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، ورحَل فيه ، وكانت له فيه يدٌ جيدةٌ ، وفى التَّفْسيرِ والفقهِ والوَعْظِ والبَلاغةِ ، وكان دَيِّنًا وَرِعًا زاهدًا ، قدِم إلى دمشقَ فى دولةِ الظاهرِ ، فأُعْطِى تَدْريسَ الجاروخِيَّةِ[2] وإمامَةَ مسجدِ ابنِ هشامٍ ، ورُتِّب له فيه[3] شىءٌ على المَصالحِ ، وكان فيه إيثارٌ ، وله أحْوالٌ صالحةٌ ، ومُكاشَفاتٌ كثيرةٌ ؛ تَقَدَّم يومًا فى مِحْرابِ مسْجدِ ابنِ هشامٍ ليُصَلِّىَ بالناسِ ، فقال قبلَ أن يُكَبِّرَ للإحْرامِ - والْتَفَت عن يَمينِه - فقال : اخْرُجْ فاغْتَسِلْ . فلم يَخْرُجْ أحدٌ ، ثم كرَّر ذلك ثانيةً وثالثةً ، فلم يَخْرُجْ أحدٌ ، فقال : يا عثمانُ ، اخْرُجْ فاغْتَسِلْ . فخرَج رجلٌ مِن الصفِّ ، فاغْتَسَل ثم عاد ، وجاء إلى الشيخِ يَعْتَذِرُ إليه ، وكان الرجلُ صالحًا فى نفسِه ، ذكَر أنه أصابه فَيْضٌ مِن غيرِ أن يَرَى شخصًا ، فاعْتَقَد أنه لا يَلْزَمُه غُسْلٌ ، فلما قال الشيخُ ما قال اعْتَقَد أنه يُخاطِبُ غيرَه ، فلما عيَّنه باسمِه عَلِم أنه المرادُ .

ثم قدِم الفارُوثِىُّ مرةً أخرى فى أواخِرِ أيامِ المنصورِ قَلاوُون ، [١٠/١١٣و] فخطَب بجامعِ دمشقَ مدةَ شهورٍ ، ثم عُزِل بمُوفَّقِ الدينِ بنِ الحَمَوِىِّ ، وتقَدَّم ذكْرُ

---

(١) معرفة القراء الكبار ٢/ ٥٥٢، والعبر ٥/ ٣٨١، والوافى بالوفيات ٦/ ٢١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٨٣، وغاية النهاية ١/ ٣٤، وعقد الجمان ٣/ ٢٩٠، والمقفى الكبير ١/ ٣٥٠، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٥.

(٢) فى م : « الجاروضية » . وانظر الدارس ١/ ٢٢٥.

(٣) فى الأصل : « فيها » .

ذلك ، وكان قد درَّس بالنَّجِيبيَّةِ وبدارِ الحديثِ الظاهريةِ ، فترَك ذلك كلَّه ، وسافَر إلى وطنِه ، فمات به بُكْرةَ يومِ الأربعاءِ مُسْتَهَلَّ ذى الحِجَّةِ ، وكان يومُ موتِه يومًا مشهودًا بواسِطِ ، وصُلِّى عليه بدمشقَ وغيرِها ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وكان قد لبِس خِرْقةَ التصوفِ مِن السُّهْرَوَرْدِىِّ ، وقرَأ القِراءاتِ العشْرةَ ، وخلَّف ألْفَىْ مجلدٍ ومائتَىْ مجلدٍ ، وحدَّث بالكثيرِ ، وسمِع منه البِرْزالىُّ كثيرًا « صحيحَ البُخارىِّ » ، و « جامعَ التِّرْمذىِّ » ، و « سننَ ابنِ ماجه » ، و « مُسْنَدَ الشافعىِّ » ، و « مُسْنَدَ عبدِ ابنِ حُمَيْدٍ » ، و « مُعْجَمَ الطَّبَرانىِّ الصغيرَ » ، و « مُسْنَدَ الدَّارمىِّ » ، و « فَضائلَ القرآنِ » لأبى عُبَيْدٍ ، وثمانين جزءًا وغيرَ ذلك .

الجَمالُ المُحَقِّقُ أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ الدمشقىُّ[1] ، اشْتَغل بالفقهِ على مذهبِ الشافعىِّ ، وبرَع فيه ، وأفْتَى وأعاد ، وكان فاضلًا فى الطبِّ ، وقد ولِى مَشْيَخةَ الدَّخْواريةِ لتَقَدُّمِه فى صِناعةِ الطِّبِّ على غيرِه ، وعاد المَرضَى بالمارَسْتانِ النُّورىِّ على قاعدةِ الأطِبَّاءِ ، وكان مدرسًا للشافعيةِ بالفَرُّخْشاهيةِ[2] ، ومُعِيدًا بعدَّةِ مدارسَ ، وكان جيدَ الذهنِ ، مُشارِكًا فى فُنونٍ كثيرةٍ ، سامَحه اللَّهُ تعالى .

الستُّ خاتون بنتُ الملكِ الأشرفِ موسى بنِ العادلِ[3] ، زوجةِ ابنِ عمِّها المنصورِ بنِ الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ ، وهى التى أُثْبِت سَفَهُها زمنَ المنصورِ قَلاوُون حتى اشْتَرَى منها حَرَزَمًا ، وأخَذَت الزَّنْبَقِيةَ مِن زَيْنِ الدينِ السَّامَرِّىِّ[4] .

---

(١) العبر ٥/ ٣٨٢، والوافى بالوفيات ٧/ ١٣٦، وعقد الجمان ٣/ ٢٩١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٦، ومعجم الأطباء ص ١٠٩.

(٢) فى الأصل، م: « بالفرخشانية ». والمثبت من الوافى بالوفيات. وانظر الدارس ١/ ٥٦١.

(٣) نهاية الأرب ٣١/ ٢٩١، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٣٧.

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ٦٠٨.

الصدرُ جَمالُ الدينِ يوسفُ بنُ عليٍّ بنِ مُهاجِرٍ التَّكْريتيُّ ، أخو الصاحبِ **تَقيِّ الدينِ تَوْبَةَ**[1] ، ولِي حِسْبَةَ دمشقَ فى وقتٍ ، ودُفِن بتربةِ أخيه بالسفحِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، وكان له عقلٌ وافرٌ وتَواضُعٌ وثَرْوةٌ ومُروءةٌ ، وخلَّف ثلاثَ بنيـنَ ؛ شمسُ الدينِ محمدٌ ، وعَلاءُ الدينِ عليٌّ ، وبدرُ الدينِ حسنٌ .

---

(١) عقد الجمان ٣/ ٢٩١.

ثم دخلت سنة خمسٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت وخليفةُ الوقتِ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ العَبَّاسىُّ ، وسلطانُ البلادِ الملكُ العادلُ زَيْنُ الدينِ كَتْبُغا ، ونائبُه بمصرَ الأميرُ حُسامُ الدينِ لاجِين السِّلَحْدار المنصورىُّ ، ووزيرُه فخرُ الدينِ بنُ الخَليلىِّ ، وقُضاةُ مصرَ والشامِ هم المذْكورون فى التى قبلَها ، ونائبُ الشامِ عزُّ الدينِ الحَمَوىُّ ، ووزيرُه تَقىُّ الدينِ تَوْبَةُ ، وشادُّ الدَّواوينِ الأَعْسَرُ ، وخطيبُ البلدِ وقاضيها ابنُ جَماعةَ .

وفى المحَرَّمِ ولِى نظرَ الأيْتامِ نَجمُ[2] الدينِ بنُ هلالٍ عِوَضًا عن شرفِ الدينِ بنِ الشِّيرَجىِّ .

وفى مُسْتَهَلِّ هذه السنةِ كان الغَلاءُ والفَناءُ بديارِ مصرَ شديدًا جدًّا ، وقد تَفانَى الناسُ إلا القليلَ ، وكانوا يَحْفِرون الحَفِيرةَ ، فيَدْفِنون فيها الفِئامَ مِن الناسِ ، والأَسْعارُ فى غايةِ الغَلاءِ ، والأَقْواتُ فى غايةِ القلةِ والغَلاءِ ، والموتُ عَمَّالٌ ، فمات بها فى شهرِ صفرٍ مائةُ ألفٍ ونحوٌ مِن ثلاثين ألفًا ، ووقَع غَلاءٌ بالشامِ ، فبلَغَت الغِرَارةُ إلى مائتين ، وقدِمَت طائفةٌ مِن التَّتَرِ العُوَيْراتِيَّةِ لما بلَغَهم سلطنةُ كَتْبُغا إلى الشامِ ؛ لأنه منهم ، فتَلَقَّاهم الجيشُ بالرُّحْبِ والسَّعَةِ ، ثم سافَروا إلى الديارِ المصريةِ مع الأميرِ قَرَاسُنْقُرَ المنصورىِّ .

---

(١) نهاية الأرب ٢٩٣/٣١ - ٣٠٩، والمختصر فى أخبار البشر ٣٣/٤، وكنز الدرر ٣٦٢/٨ - ٣٦٦، وتذكرة النبيه ١٨٤/١ - ١٩٢، وعقد الجمان ٢٩٩/٣ - ٣٢٢.

(٢) فى م : « برهان » .

وجاء الخبرُ باشْتِدادِ الغَلاءِ والفَناءِ بمصرَ، حتى قيل: إنه بِيعَ الفَرُّوجُ [١٠/١١٣ظ] بالإسْكَنْدَرِيةِ بستةٍ وثلاثين درهمًا، وبالقاهرةِ بتسعةَ عشَرَ، والبَيْضُ كلُّ ثلاثةٍ بدرهمٍ، وأُفْنِيَت الحُمُرُ والخيلُ والبِغالُ والكلابُ مِن أَكْلِ الناسِ لها، ولم يَبْقَ شيءٌ مِن هذه الحيواناتِ يَلُوحُ إلا أكَلُوه.

وفى يومِ السبتِ الثانى عشَرَ مِن جُمادَى الأُولى ولى قَضاءَ القُضاةِ بمصرَ الشيخُ العَلَّامةُ تَقِيُّ الدينِ بنُ دَقِيقِ العِيدِ عِوَضًا عن تَقِيِّ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ، ثم وقَع الرُّخْصُ بالديارِ المصريةِ، وزال الضُّرُّ والجُوعُ فى جُمادَى الآخِرةِ، ولِلَّهِ الحمدُ.

وفى يومِ الأربعاءِ ثانى شهرِ رجبٍ درَّس القاضى إمامُ الدينِ بالقَيْمُريةِ عِوَضًا عن صدرِ الدينِ بنِ رَزِينٍ الذى تُوُفِّى.

قال البِرْزالىُّ: وفيها وقَعَت صاعقةٌ على قُبَّةِ زَمْزَمَ، فقتَلَت الشيخَ علىَّ بنَ محمدِ بنِ عبدِ السلامِ مؤذنَ المسجدِ الحرامِ، كان يُؤَذِّنُ على سَطْحِ القُبَّةِ المذكورةِ، وكان قد روَى شيئًا مِن الحديثِ.

وفيها قدِمَت امرأةُ الملكِ الظاهرِ أمُّ سَلَامُش مِن بلادِ الأشكرىِّ إلى دمشقَ فى أواخِرِ رمضانَ، فبعَث إليها نائبُ البلدِ بالهَدايا والتُّحَفِ، ورَتَّب لها الرَّواتبَ والإقاماتِ، وكان قد نفاهم خَليلُ بنُ المَنْصورِ لما وَلِى السَّلْطنةَ.

قال ابنُ الجَزَرىُّ: وفى رجبٍ درَّس كَمالُ الدينِ بنُ القَلَانِسىِّ (١) بالظاهريةِ البرّانيةِ (١) عِوَضًا عن جَلالِ الدينِ القَزْوِينىِّ.

وفى يومِ الأربعاءِ سابعَ عشَرَ شعبانَ درَّس الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ الإسلامِ

(١ - ١) سقط من: م. وانظر الدارس ١/ ٣٤٥.

تَقِيُّ الدينِ بنُ تَيْمِيةَ الحَرَّانيُّ بالمدرسةِ الحَنْبليةِ عِوَضًا عن الشيخِ زَيْنِ الدينِ بنِ المُنَجَّا ، تُوُفِّي إلى رحمةِ اللَّهِ ، ونزَل ابنُ تَيْمِيةَ عن حلقةِ العمادِ بنِ المُنَجَّا لشمسِ الدينِ بنِ الفخرِ البَعْلَبَكِّيِّ .

وفى أواخرِ شوالٍ ناب القاضى جَمالُ الدينِ الزُّرَعِيُّ الذى كان حاكمًا بزُرْعَ - وهو سليمانُ بنُ عمرَ بنِ سالمٍ الأَذْرَعِيُّ - عن ابنِ جَماعةَ بدمشقَ ، فشُكِرَت سِيرتُه .

وفيها خرَج السلطانُ كَتْبُغا مِن مصرَ قاصدًا الشامَ فى أواخرِ شوالٍ ، ولما جاء البريدُ بذلك ضَرَبَت البَشائرُ بالقلعةِ ، ونزَلوا بالقلعةِ ؛ السلطانُ ونائبُه لاجين ووزيرُه ابنُ الخَليليِّ .

وفى يومِ الأحدِ سادسَ عشَرَ ذى القَعْدةِ(*) وَلِى قَضاءَ الحَنابلةِ الشيخُ تَقِيُّ الدينِ سليمانُ بنُ حمزةَ المقدسيُّ عِوَضًا عن شرفِ الدينِ ، مات رحِمه اللَّهُ ، وخُلِع عليه وعلى بقيةِ الحكامِ وأربابِ الولاياتِ الكِبارِ وأكابرِ الأمراءِ ، ووَلِى نجمُ الدينِ بنُ أبى الطَّيِّبِ وِكالةَ بيتِ المالِ عوضًا عن ابنِ الشِّيرازيِّ ، وخلِع عليه مع الجماعةِ . ورُسِم على الأعْسَرِ وجماعةٍ مِن أصحابِه وخلقٍ مِن الكَتَبةِ والوُلاةِ ، وصُودِرُوا بمالٍ كثيرٍ ، واحْتِيط على أموالِهم وحَواصلِهم ، وعلى بيتِ ابنِ السَّلْعوسِ وابنِ عَدْنانَ وخلقٍ ، وجرَت خَبْطةٌ عظيمةٌ . وقدِم ابنا الشيخِ عليٍّ الحَريريِّ ؛ حسنٌ وشِيثٌ(1) مِن بُسْرَ لزيارةِ السلطانِ ، فحصَل لهما منه رِفْدٌ

(*) من هنا يبدأ القسم الثانى من الجزء الرابع من النسخة المصرية التى يرمز لها بـ (ص) .

(1) فى الأصل : « سبت » ، وفى ص : « شبيب » ، وستأتى ترجمته فى صفحة ٦٩٩.

وإسْعافٌ ، وعادا إلى بلدِهما[1] . وضيَّفَت القلندريةُ[2] السلطانَ بسفحِ جبلِ المِزَّةِ[3] ، فأعْطاهم نحوًا مِن عشَرةِ آلافٍ . وقدِم صاحبُ حَماةَ إلى خدمةِ السلطانِ ، ولعِب معه الكرةَ بالمَيْدانِ . واشْتَكَت الأشْرافُ مِن نَقيبِهم زينِ الدينِ ابنِ عَدْنانَ ، فرفَع الصاحبُ يدَه عنهم ، وجعَل أمرَهم إلى القاضى الشافعىِّ .

[١٠/١١٤و] فلما كان يومُ الجمعةِ الثامِن[4] والعشرين مِن ذى القَعْدةِ صلَّى السلطانُ الملكُ العادلُ كَتْبُغا بمَقْصورةِ الخَطابةِ ، وعن يمينِه صاحبُ حَماةَ ، وتحتَه بدرُ الدينِ أمير سلاحٍ ، وعن يسارِه أولادُ الحَرِيرىِّ حسنٌ وأخواه ، وتحتَهم نائبُ المملكةِ حُسامُ الدينِ لاجِين ، وإلى جانبِه نائبُ الشامِ عزُّ الدينِ الحَمَوىُّ ، وتحتَه بدرُ الدينِ بَيْسَرِى ، وتحتَه قَرَاسُنْقُر ، وإلى جانبِه الحاجُّ بَهادُر ، وخلفَهم أُمراءُ كبارٌ ، وخلَع على الخطيبِ بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ خِلْعةً سَنيةً ، ولما قُضِيَت الصلاةُ سلَّم على السلطانِ ، وزار السلطانُ المصحفَ العُثمانىَّ ، ثم أصْبَح يومَ السبتِ ، فلعِب الكرةَ بالمَيْدانِ على العادةِ .

وفى يومِ الاثنينِ ثانى ذى الحِجَّةِ عُزِل الأميرُ عزُّ الدينِ الحَمَوىُّ عن النيابةِ ، وعاتَبه السلطانُ عِتابًا كثيرًا على أشياءَ صَدَرَت منه ، ثم عفا عنه ، وأمَره بالمَسيرِ معه إلى مصرَ ، واسْتَناب بالشامِ الأميرَ سيفَ الدينِ غرلو[5] العادلىَّ ، وخلَع على

---

(١) بعده فى ص : « بحوران » .

(٢) القلندرية : طائفة تنتمى إلى الصوفية ، نشأت بإيران وامتد أثرها إلى الشام ومصر منذ زمن الأيوبيين ، فكان أربابها من الأعاجم على أنهم لم يتقيدوا بآداب المجالسات ولم يحفلوا بالصوم والصلاة والتزموا ألا يدخروا شيئا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا ، وزعموا أنهم قنعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى ولم يتطلعوا إلى طلب مزيد ويعتبرون طيب القلب رأس مالهم . نهاية الأرب ٣٠٨/٣١ حاشية (٣)

(٣) فى ص : « قاسيون » .

(٤) فى الأصل ، م : « الثانى » . وانظر عقد الجمان ٣/ ٣١٠.

(٥) فى نهاية الأرب ٣٠٦/٣١، وعقد الجمان ٣/ ٣١٠: « أغرلوا » . وانظر تذكرة النبيه ١/ ١٨٥.

المُوَلَّى وعلى المَعْزولِ أيضًا ، وحضَر السلطانُ دارَ العدلِ ، وحضَر عندَه الوزيرُ والقُضاةُ والأمراءُ ، وكان عادلًا كما سُمِّىَ .

(١) وفيه تولَّى الوِزارَةَ شهابُ الدينِ الحنفىُّ عوضًا عن التَّقِىِّ ابن البَيِّعِ التَّكريتىِّ ، ووَلِى تقىُّ الدينِ بنُ شهابِ الدينِ الحِسْبَةَ عوضًا عن أبيه وخلَع عليهما (١) .

ثم سافَر السلطانُ فى ثانى عشَرَ ذى الحِجَّةِ واجْتاز على جُوسِيَةَ (٢) ، ثم أقام بالبَرِّيَّةِ أيامًا ، ثم عاد فنزَل حمصَ ، وجاء إليه نُوابُ البلادِ . وجلَس الأميرُ سيفُ الدينِ غرلو بدارِ العدلِ ، فحكَم وعدَل ، وكان محمودَ السِّيرةِ ، سَديدَ الحكمِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ زيـنُ الدينِ بنُ مُنَجَّا : هو الإمامُ العالمُ العَلَّامةُ مُفْتِى المسلمين الصدرُ الكاملُ زَيْـنُ الدينِ أبو البركاتِ (٣) المُنَجَّا بنُ الصدرِ عزِّ الدينِ أبى عمرٍو (٤) عثمانَ بنِ أسْعَدَ بنِ المُنَجَّا بنِ بركاتِ بنِ المُؤَمَّلِ التَّنوخىُّ ، شيخُ الحَنابلةِ وعالمُهم ، وُلِد سنةَ إحدى وثلاثين وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ وتفَقَّه ، فبرَع فى فُنونٍ كثيرةٍ مِن الأُصولِ والفروعِ والعربيةِ والتَّفْسيرِ وغيرِ ذلك ، وانْتَهَت إليه رِياسةُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى الأصل ، م : « حرستا » . وفى ص : « حرسته » . والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ٣٠٨، المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٣٣، وعقد الجمان ٣/ ٣١٠. وجُوسِيَة : قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير . معجم البلدان ٢/ ١٥٤.

(٣) بعده فى الأصل ، م : « بن » . وانظر مصادر ترجمته ؛ تذكرة النبيه ١/ ١٩٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٢، وعقد الجمان ٣/ ٣٢٣، والدليل الشافى ٢/ ٧٤٣، والدارس ٢/ ٧٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٣.

(٤) فى م ، ص : « عمر » .

المذهبِ ، وصنَّف فى الأصولِ ، وشرَح « المُقْنِعَ » ، وله تَعالِيقُ فى التَّفسيرِ ، وكان قد جُمِع له بينَ حُسْنِ الشكلِ والسَّمْتِ والدِّيانةِ والعلمِ والوَجاهةِ وصحَّةِ الذهنِ والعقيدةِ والمُناظَرةِ وكثرةِ الصدقةِ ، ولم يَزَلْ يُواظِبُ الجامعَ للاشْتغالِ مُتبَرِّعًا حتى تُوُفِّى فى يومِ الخميسِ رابع شعبانَ ، وتُوُفِّيَت معه زوجتُه أمُّ محمدٍ ستُّ البهاءِ بنتُ صدرِ الدينِ الخُجَنْدىِّ ، وصُلِّى عليهما بعدَ الجمعةِ بجامعِ دمشقَ ، وحُمِلا جميعًا إلى سفحِ قاسِيونَ شمالىَّ الجامعِ المُظَفَّرىِّ تحتَ الرَّوْضةِ ، فدُفِنا فى تربةٍ واحدةٍ ، رحِمَهما اللَّهُ تعالى . وهو والدُ قاضى القُضاةِ عَلاءِ الدينِ ، وكان شيخَ المسماريةِ ، ثم ولِيَها بعدَه ولداه شرفُ الدينِ وعَلاءُ الدينِ ، وكان شيخَ الحَنْبليةِ ، فدرَّس بها بعدَه الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ تيميّةَ ، كما ذكَرْنا فى الحوادثِ .

المَسْعودىُّ صاحبُ الحَمَّامِ بالمِزَّةِ : هو الأميرُ الكبيرُ بدرُ الدينِ لُؤْلُؤُ بنُ عبدِ اللَّهِ المسعودىُّ[1] ، أحدُ كبارِ الأمراءِ المشهورين بخدمةِ الملوكِ ، تُوُفِّى ببستانِه بالمِـزَّةِ يومَ السبتِ سابع عشرين من شعبانَ ، ودُفِن صبحَ يومِ الأحدِ بتربتِه بالـمِزَّةِ ، وحضَر نائبُ السلطنةِ جِنازتَه ، وعُمِل عَزاؤُه تحتَ النَّسْرِ بجامعِ دمشقَ ، [١٠/١١٤ظ] رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الخالدىُّ : الشيخُ الصالحُ إسرائيلُ بنُ علىِّ بنِ حسينٍ الخالدىُّ[2] ، له زاويةٌ خارجَ بابِ السَّلامةِ ، يُقْصَدُ فيها للزيارةِ ، وكان مُشْتَمِلًا على عِبادةٍ وزَهادةٍ ، لا يَقُومُ لأحدٍ مِن الناسِ ، ولو كان مَن كان ، وعندَه سُكونٌ ومعرفةٌ ، لا يَخْرُجُ مِن منزلِه إلا للجمعةِ ، حتى كانت وفاتُه فى النصفِ من رمضانَ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) عقد الجمان ٣/ ٣٣٧، والدليل الشافى ٢/ ٥٦٨.

(٢) عقد الجمان ٣/ ٣٢٣، والمنهل الصافى ٢/ ٣٦٧، والدليل الشافى ١/ ١١٨.

الشرفُ حسنٌ[1] المَقْدِسىُّ: هو قاضى القُضاةِ شرفُ الدينِ أبو الفضل الحسنُ بنُ الشيخِ الإمامِ الخطيبِ شرفِ الدينِ أبى بكرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ الشيخِ أبى عمرَ المقدسىُّ، سمِع الحديثَ وتفقَّه، وبرَع فى الفُروعِ والنحوِ واللغةِ، وفيه أدبٌ وحسنُ مُحاضَرةٍ، مَلِيحُ الشكلِ، توَلَّى القَضاءَ بعدَ نجمِ الدينِ بنِ الشيخِ شمسِ الدينِ فى أواخرِ سنةِ تِسعٍ[2] وثمانين، ودرَّس بدارِ الحديثِ الأشْرفيةِ بالسفحِ، وكانت وفاتُه ليلةَ الخميسِ الثانى والعشرين مِن شوالٍ، وقد قارَب الستين، ودُفِن مِن الغدِ بمقبرةِ جدِّه بالسفحِ، وحضَر نائبُ السلطنةِ والقُضاةُ والأعْيانُ جِنازتَه، وعُمِل مِن الغدِ عَزاؤُه بالجامعِ المُظَفَّرىِّ، وباشَر القَضاءَ بعدَه تَقىُّ الدينِ سليمانُ بنُ حمزةَ، وكذا مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ الأشْرفيةِ بالسفحِ، وقد وليها شهابُ الدينِ العابرُ[3] الحنبلىُّ النابُلُسىُّ مدةَ شهورٍ، ثم صُرِف عنها، واسْتَقَرَّت بيد قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ المقدسىِّ.

الشيخُ الصالحُ الإمامُ العالمُ البارِعُ الناسكُ أبو محمدِ بنُ أبى حمزةَ[4] المَغربىُّ المالكىُّ، تُوُفِّى بالديارِ المصريةِ فى ذى القَعْدةِ، وكان قَوَّالًا بالحقِّ، أمَّارًا بالمعروفِ نَهَّاءً عن المنكرِ، رحِمه اللَّهُ.

الصاحبُ مُحْيِى الدينِ بنُ النَّحَّاسِ، أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ بدرِ الدينِ

---

(1) فى الأصل، م: «حسين». وانظر مصادر ترجمته: الوافى بالوفيات ١٢/ ٩٣، وتذكرة النبيه ١/ ١٨٩، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٤، وعقد الجمان ٣/ ٣٢٤، والدليل الشافى ١/ ٢٦٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٠، والدارس ١/ ٥١.

(2) فى النسخ: «سبع». والمثبت من عقد الجمان. وانظر ما تقدم فى صفحة ٦٢٥.

(3) سقط من: ص. وانظر مصدرى ترجمته؛ عقد الجمان ٣/٣٢٤ - وفيه: «جمره» - وبدائع الزهور ١/٣٩٠ (القسم الأول).

(4) فى م، ص: «الغابر». وستأتى ترجمته فى صفحة ٧٠٧.

يعقوبَ بنِ إبراهيمَ بنِ (١هِبَةِ اللَّهِ١) بنِ طارقِ بنِ سالمِ بنِ النَّحّاسِ الأسَدىُّ الـحَلَبىُّ الحَنفىُّ ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ بحلبَ ، واشْتَغل وبرَع وسمِع الحديثَ ، وأقام بدمشقَ مدةً ، ودرَّس بها بمدارسَ كبارٍ ؛ منها الظاهريةُ والزنجاريةُ[2] ، وولِى القضاءَ بحلبَ ، والوزارةَ بدمشقَ ، ونظَرَ الخزانةِ ، ونظَرَ الدواوينِ والأوْقافِ ، ولم يَزَلْ مُكرَّمًا مُعظَّمًا مَعْروفًا بالفَضيلةِ والإنْصافِ فى المُناظَرةِ ، مُحِبًّا للحديثِ وأهلِه على طريقةِ السلفِ ، وكان يُحِبُّ الشيخَ عبدَ القادرِ وطائفتَه وطريقتَه ، وكانت وفاتُه ببُسْتانِه بالمِزَّةِ عشيةَ الاثنينِ سَلْخَ ذى الحِجَّةِ ، وقد جاوَز الثمانين ، ودُفِن يومَ الثلاثاءِ مُسْتَهَلَّ المحرَّمِ سنةَ ستٍّ وتسعين بمَقْبَرةٍ له بالمِزَّةِ ، وحضَر جِنازتَه نائبُ السَّلْطنةِ والقُضاةُ .

قاضى القُضاةِ تَقىُّ الدينِ ، أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ أبى محمدٍ عبدِ الوَهّابِ ابنِ بنتِ القاضى الأعَزِّ أبى القاسمِ خلَفِ بنِ بدرٍ ، العَلائىُّ الشافعىُّ[3] ، تُوُفِّى فى جُمادَى الأولى ، ودُفِن بالقَرافةِ بتربتِهم ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) فى النسخ : «عبد اللَّه» . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ الوافى بالوفيات ٥/ ٢٢٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٩٠، والجواهر المضية ٣/ ٤٠١، وعقد الجمان ٣/ ٣٢٥، والدليل الشافى ٢/ ٧١٢، والدارس ١/ ٥٢٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٢.

(٢) فى م : «الزنجانيه» .

(٣) فوات الوفيات ٢/ ٢٧٩، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٧٢، وتذكرة النبيه ١/ ١٩٢، وعقد الجمان ٣/ ٣٢٦، والنجوم الزاهرة ٨/ ٨٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣١.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وتسعين وستمائةٍ[1]

استَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ العباسيُّ ، وسلطانُ البلادِ الملكُ العادلُ زَيْنُ الدين كَتْبُغا وهو فى نواحى حِمْصَ يتَصَيَّدُ ، ومعه نائبُ الديارِ المصريةِ حسامُ الدينِ لاجين السِّلَحْدارىُّ المنصورىُّ ، وأكابرُ الأمراءِ ، ونائبُ الشامِ بدمشقَ الأميرُ سيفُ الدينِ غرلو العادلىُّ ، [2]وقضاةُ الشامِ هم المذكورون فى التى قبلَها غيرَ الحنبلىِّ فإنه تقىُّ الدينِ سليمانُ بنُ حمزةَ ، والوزيرُ شهابُ الدين الحنفىُّ وابنُه المحتسبُ وخطيبُ البلدِ قاضى القضاةِ بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ الشافعىُّ[2] ، فلما كان يومُ الأربعاءِ [١٠/١١٥و] ثانى المحرمِ دخَل السلطانُ الملكُ العادلُ كَتْبُغا ضُحىً إلى دمشقَ من نواحى حِمْصَ ، وصلَّى الجمعةَ بالمقصورةِ ، وزار قبرَ هُودٍ ، وصلَّى عندَه ، وأخَذ مِن الناسِ قُصَصَهم بيدِه ، وجلَس بدارِ العدلِ يومَ السبتِ ، ووقَّع على القُصَصِ هو ووزيرُه فخرُ الدينِ الخَليلىُّ .

وفى هذا الشهرِ حضَر شِهابُ الدينِ ابنُ مُحيى الدينِ بنِ النَّحَّاسِ فى مدرسَتَىْ أبيه[3] ؛ الريحانيةِ[4] والظاهريةِ ، وحضَر الناسُ عندَه ، ثم حضَر السلطانُ دارَ العدلِ يومَ الثلاثاءِ ، وجاء إلى صلاةِ الجمعةِ ، فصلَّى بالمقصورةِ ثم صعِد فى

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٣١١ - ٣٢٧، وكنز الدرر ٣٦٦ - ٣٦٩ ، وتذكرة النبيه ١/١٩٣ - ٢٠١.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، م.

(٣) فى ص : « ابنه » .

(٤) فى الأصل : « الزنجانية » .

هذا اليومِ إلى مَغارةِ الدمِ وزارها ، ودعا[1] هنالك ، وتصَدَّق بجملةٍ مِن المالِ ، وحضَر الوزيرُ فخرُ الدينِ بنُ الخَليليِّ ليلةَ الأحدِ ثالثَ عشَرَ المحرمِ إلى الجامعِ بعدَ العشاءِ ، فجلَس عندَ شُبَّاكِ الكامليةِ ، وقرَأ القُرّاءُ بينَ يديه ، ورسَم بأن يُكَمَّلَ داخلُ الجامعِ بالفُرُشِ ، ففعَلوا ذلك ، واسْتَمَرَّ ذلك نحوًا مِن شهرين ، ثم عاد إلى ما كان عليه .

وفى صَبيحةِ هذا اليومِ درَّس القاضى شمسُ الدينِ بنُ الحَريريِّ بالقَيْمازيةِ عوضًا عن ابنِ النَّحّاسِ باتفاقٍ منهم ، وحضَر عندَه جماعةٌ ، ثم صلَّى السلطانُ الجمعةَ بالمقصورةِ ، ومعه وزيرُه ابنُ الخَليليِّ ، وهو ضعيفٌ مِن مرضٍ أصابه ، وفى سابعَ [2]عشَرَ المحرمِ[2] أُمِر للملكِ الكاملِ بنِ الملكِ السعيدِ بنِ الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ بطبلخانةٍ ولُبْسِ الشَّرْبُوشِ ، ودخَل القلعةَ ، وضُرِبت الكُوساتُ على بابِه ، وخرَج السلطانُ الملكُ العادلُ كَتْبُغا بالعساكرِ المنصورةِ مِن دمشقَ بُكْرةَ يومِ الثلاثاءِ [3]ثانى عشرين[4] المحرمِ ، وخرَج بعدَه الوزيرُ[3] ، فاجْتاز بدارِ الحديثِ ، وزار الأثرَ النبويَّ ، وخرَج إليه الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارِقيُّ ، وشافَهه بتدريسِ الناصريةِ ، وترَك زَيْنُ الدينِ تَدْريسَ الشاميةِ البَرّانيةِ ، فوليها القاضى كمالُ الدينِ بنُ الشَّرِيشيِّ ، وذُكِر أن الوزيرَ أعْطَى الشيخَ [5]زينَ الدينِ[5] شيئًا مِن حُطامِ الدنيا فقبِله ، وكذلك أعْطَى خادمَ الأثرِ [6]وهو المَعِينُ[6] خَطَّابٌ . وخرَج الأعْيانُ والقضاةُ مع الوزيرِ لتَوْديعِه . ووقَع فى هذا اليومِ مطرٌ جيدٌ اسْتَشْفَى الناسُ به ،

---

(١) فى الأصل : « عاد » .
(٢ - ٢) فى ص : « عاشر » .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) فى الأصل : « عشر » .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .
(٦ - ٦) فى ص : « والعين » .

وغسَل آثارَ العَساكرِ مِن الأوْساخِ وغيرِها ، وعاد التَّقىُّ تَوْبةُ مِن تَوْديعِ الوزيرِ ، وقد فوَّض إليه نظرَ الخزانةِ ، وعزَل عنها شِهابَ الدينِ بنَ النَّحّاسِ ، ودرَّس الشيخُ زَيْنُ[1] الدينِ بالناصريةِ الجَوّانيةِ عوضًا عن القاضى بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ فى يومِ الأربعاءِ آخرِ يومٍ مِن المحرمِ .

وفى هذا اليومِ تحَدَّث الناسُ فيما بينَهم بوُقوعِ تَخْبيطٍ بيـنَ العسكرِ وخُلْفٍ وتَشْويشٍ ، فغُلِّق بابُ القلعةِ الذى يَلى المدينةَ ، ودخَل الصاحبُ شِهابُ الدينِ إليها مِن بابِ الخَوْخَةِ ، وتهَيَّأ النائبُ والأمراءُ ، وركِب طائفةٌ مِن الجيشِ على بابِ النصرِ وُقوفًا هنالك ، فلما كان وقتُ العصرِ وصَل السلطانُ الملكُ العادلُ كَتْبُغَا إلى القلعةِ فى خمسةِ أنْفُسٍ أو ستةٍ مِن مَماليكِه ، فدخَل القلعةَ ، فجاء إليه الأمراءُ ، وأَحضَر ابنَ جَماعةَ وحسامَ الدينِ الحَنفىَّ ، وتجدَّد تحليفُ الأمراءِ ثانيةً فحلَفوا له ، وخلَع عليهم ، وأمَر بالاحْتِياطِ على نُوّابِ الأميرِ حُسامِ الدينِ لاجين وحَواصِلِه ، وأقام العادلُ بالقلعةِ هذه الأيامَ ، وكان الخُلْفُ الذى وقَع بينَهم بوادى فَحْمَةَ[2] يومَ الاثنينِ الثامنِ[3] والعشرين مِن المحرمِ ، وذلك أن الأميرَ حُسامَ الدينِ لاجِين كان قد واطَأ جَماعةً مِن الأمراءِ فى الباطنِ على العادلِ ، وتوَثَّق منهم ، وأشار على العادلِ حيـنَ [١٠/١١٥ظ] خرَجوا مِن دمشقَ أن يَسْتَصْحِبَ معه الخزانةَ ؛ وذلك لئلا يَبْقَى بدمشقَ شىءٌ مِن المالِ يَتَقَوَّى به العادلُ إن فاتهم ورجَع إلى دمشقَ ، ويَكونُ قوةً له هو فى الطريقِ على ما عزَم عليه مِن الغدرِ ، فلما كانوا

---

(١) فى الأصل ، م : « ناصر » . وانظر الدارس ١/ ٤٦١ .

(٢) فحمة : مركز من مراكز البريد بين قاقون وجينين . انظر صبح الأعشى ١٤/ ٣٧٩ .

(٣) فى م : « التاسع » . وانظر النجوم الزاهرة ٨/ ٦٣.

بالمكانِ المذكورِ قتَل لاجينُ الأميرَ سيفَ الدينِ بَتْخاص وبَكْتُوت الأَزْرق العادليَّيْن ، وأخَذ الخزانةَ من بينِ يديه والعَسْكرَ ، وقصَد الديارَ المصريةَ ، فلما سمِع العادلُ بذلك خرَج من الدِّهْليزِ ، وساق جَريدةً إلى دمشقَ ، فدخَلَها كما ذكَرْنا ، وتراجَع بعضُ مَماليكِه كزَيْنِ الدينِ غلبك وغيرِه ، ولزِم شِهابُ الدينِ الحنفيُّ القلعةَ لتدبيرِ المملكةِ ، ودرَّس كمالُ الدين بنُ الشَّريشيِّ بالشاميةِ البَرَّانيةِ بُكْرَةَ يومِ الخميسِ مُسْتَهَلِّ صفرٍ ، وتقَلَّبَت أمورٌ كثيرةٌ فى هذه الأيامِ ، ولزِم السلطانُ القلعةَ لا يَخرُجُ منها ، وأَطْلَق كثيرًا مِن المُكوسِ ، وكتَب بذلك تَواقِيعَ ، وقُرِئَت على الناسِ ، وغلا السعرُ جدًّا ، فبلَغَت الغِرارةُ مائتين ، واشْتَدَّ الحالُ وتَفاقَم الأمْرُ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون .

سَلْطَنَةُ الملكِ المنصورِ لاجينَ السِّلَحْدارِ[1]

وذلك أنه لما اسْتاق الخزانةَ ، وذهَب بالجيوشِ إلى الديارِ المصريةِ دخَلها فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وقد اتَّفَق معه جُمهورُ الأمراءِ الكِبارِ ، وبايَعوه وملَّكوه عليهم ، وجلَس على سَريرِ الملكِ يومَ الجمعةِ عاشرَ صفرٍ ، ودقَّت بمصرَ البَشائرُ ، وزُيِّنَت البلدُ ، وخُطِب له على المَنابرِ وبالقدسِ والخَليلِ ، ولُقِّب بالملكِ المنصورِ ، وكذلك بالكَرَكِ ونابُلُسَ وصَفَدَ ، وذهَبَت إليه طائفةٌ مِن أمراءِ دمشقَ ، وقدِمَت الجريدةُ[2] مِن جهةِ الرَّحْبةِ صُحْبةَ الأميرِ سيفِ الدينِ كُجْكُن ، فلم يَدْخُلوا البلدَ بل نزَلوا

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٣١٣ - ٣١٦، والسلوك ١/٨٢٠ - ٨٢٧ (القسم الثالث) ، وتذكرة النبيه ١/ ١٩٤، وعقد الجمان ٣/ ٣٤٥.

(٢) فى الأصل ، م : « التجريدة » .

بمَيْدانِ الحصى[1]، وأظْهَروا [2]مُخالَفةَ العادلِ وطاعةَ[2] المنصورِ لاجِين بمصرَ، وركِب إليه الأُمراءُ طائفةً بعدَ طائفةٍ، وفَوْجًا بعدَ فَوْجٍ، فضعُف أمرُ العادلِ جدًّا. فلما رأَى انْحِلالَ أمْرِه قال للأمراءِ: هو خُشْداشِي، وأنا وهو شيءٌ واحدٌ، وأنا له سامعٌ مُطيعٌ، وأنا أَجْلِسُ فى أىِّ مَكانٍ مِن القلعةِ أراد، حتى تُكاتِبوه وتَنْظُروا ما يقولُ. وجاءت البَريديةُ بالمُكاتَباتِ بأمرِ الاحْتِياطِ على القلعةِ وعلى الملك العادلِ، وبقِى الناسُ فى هَرْجٍ وأقوالٍ مختلفةٍ، وأبوابُ القلعةِ مُغَلَّقةٌ، وأبوابُ المدينةِ سوى بابِ النصرِ إلا الخَوْخةَ، والعامَّةُ حولَ القلعةِ قد ازْدَحَموا حتى سقَطَ طائفةٌ منهم فى الخَنْدَقِ، فمات بعضُهم، وأمْسَى الناسُ عَشيةَ السبتِ وقد أُعْلِن باسمِ الملكِ المنصورِ لاجِين، ودقَّت البَشائرُ بذلك بعدَ العصرِ، ودعا له المُؤَذِّنون فى سَحَرِ ليلةِ الأحدِ بجامعِ دمشقَ، وتلَوْا قولَه تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأصْبَح الناسُ يومَ الأحدِ، فاجْتَمَع القُضاةُ والأُمراءُ، وفيهم غرلو العادليُّ بدارِ السَّعادةِ، فحلَفوا للمنصورِ لاجين، ونُودِى بذلك فى البلدِ، وأن يَفْتَحَ الناسُ دَكاكينَهم، واخْتَفَى الصاحبُ شِهابُ الدينِ وأخوه زَيْنُ الدينِ المُحْتَسِبُ، فعمِل الوالى ابنُ النشابيِّ[3] حِسْبةَ البلدِ، ثم ظهَر زَيْنُ الدينِ، فباشَرها على عادتِه. وكذلك ظهرَ أخوه شِهابُ الدينِ، وسافَر الأميرُ سيفُ الدين غرلو وسيفُ الدينِ جاغان إلى الديارِ المصريةِ يُعْلِمان السلطانَ بوُقوعِ التَّحْليفِ على ما رسَم به،

---

(١) فى م، ص: «الحصن».

(٢ - ٢) فى ص: «مملكة».

(٣) فى عقد الجمان: «الشهابى».

وجاء كتابُ السلطانِ أنه جلَس على السَّريرِ يومَ الجمعةِ عاشرَ صفرٍ ، وشقَّ القاهرةَ فى سادسَ عشَرَه فى أُبَّهةِ المُلْكِ وعليه الخِلْعةُ الخَليفيةُ ، [١١٦/١٠و] والأمراءُ بينَ يديه مُشاةً ، وأنه قد اسْتَناب بالديارِ المصريةِ الأميرَ شمسَ[(١)] الدينِ قراسُنْقُرَ المَنْصوريَّ ، وخُطِب للمنصورِ لاجين بدمشقَ أولَ يومٍ من رَبيعِ الأولِ ، وحضَر المَقْصورةَ القُضاةُ وشمسُ الدينِ الأعْسَرُ وكُجْكُن ، وأَسَنْدَمُر[(٢)] وجَماعةٌ مِن أمراءِ دمشقَ ، وتوَجَّه القاضى إمامُ الدينِ القَزْوينىُّ وحُسامُ الدينِ الحنفىُّ وجَمالُ الدينِ المالكىُّ إلى الديارِ المصريةِ مَطْلوبِين ، وقدِم الأميرُ حُسامُ الدينِ أستاذدارِ السلطانِ ، وسيفُ الدينِ جاغان مِن جهةِ السلطانِ ، فحُلِّف الأمراءُ ثانيةً ، ودخَلوا على العادلِ إلى القلعةِ ، ومعهم القاضى بدرُ الدينِ ابنُ جَماعةَ وكُجْكُن ، فحلَّفوه أيمانًا مُؤَكَّدةً بعدَ ما طال بينَهم الكلامُ بالتُّركىِّ ، وذكَر فى حَلِفِه أنه راضٍ بما يُعَيِّنُه له مِن البُلْدانِ أىَّ بلدٍ كان ، فوقَع التَّعْيينُ بعدَ اليمينِ على قلعةِ صَرْخَدَ ، وجاءَت المَراسِيمُ بالوِزارةِ لتقىِّ الدينِ تَوْبةَ ، وعَزْلِ شِهابِ الدينِ الحنفىِّ ، وبالحِسْبةِ لأمينِ الدينِ يوسُفَ الأَرْمَنىِّ الرومىِّ صاحبِ شمسِ الدينِ الأيكىِّ ، عوضًا عن زينِ الدينِ الحنفىِّ ، (٣)أخى شهابِ الدينِ الذى كان وزيرًا(٣) ودخَل الأميرُ سيفُ الدينِ قَبْجق المنصورىُّ على نيابةِ الشامِ إلى دمشقَ بُكْرةَ السبتِ السادسَ عشَرَ مِن ربيعِ الأولِ[(٤)] ، ونزَل دارَ السَّعادةِ عوضًا عن غرلو العادلىِّ ، وقد خرَج الجيشُ بكَمالِه لتَلَقِّيه ، وحضَر يومَ الجمعةِ إلى المقصورةِ ، فصلَّى بها ، وقُرِئَ بعدَ الجمعةِ

---

(١) فى الأصل ، م : « سيف » .

(٢) فى م ، ص : « استدمر » ، وفى عقد الجمان : « أزدمر » ، وانظر النجوم الزاهرة ٨/ ٦٢.

(٣ - ٣) زيادة من : ص .

(٤) فى ص : « الآخر » .

كتابُ السلطانِ بإبطالِ الضَّماناتِ مِن الأوْقافِ والأمْلاكِ بغيرِ رِضَا أصحابِها ، قرَأه القاضى مُحْيى الدينِ بنُ فَضْلِ اللَّهِ صاحبُ دِيوانِ الإنشاءِ ، ونُودِى فى البلدِ : مَن له مَظْلِمةٌ فلْيَأْتِ يومَ الثلاثاءِ إلى دارِ العدلِ . وخلَع على الأمراءِ والمُقَدَّمِين وأربابِ المَناصبِ مِن القُضاةِ والكَتَبةِ وغيرِهم ، وخلَع على ابنِ جَماعةَ خِلْعَتَيْن ؛ واحدةً للقَضاءِ والأخرى للخَطابةِ .

ولما كان فى شهرِ جُمادَى الآخِرةِ وصَل البريدُ فأخْبَر بتوليةِ القاضى إمامِ الدينِ القَزْوينىِّ قَضاءَ القضاةِ بالشامِ عوضًا عن بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ ، وإبْقاءِ ابنِ جَماعةَ على الخَطابةِ ، وأضيف إليه تَدْريسُ القَيْمُريةِ التى كانت بيدِ إمامِ الدينِ ، وجاء كتابُ السلطانِ بذلك ، وفيه احْتِرامٌ وإكْرامٌ له ، فدرَّس بالقَيْمُريةِ يومَ الخميسِ ثانى رجبٍ ، ودخَل إمامُ الدينِ إلى دمشقَ عَقيبَ صلاةِ الظهرِ يومَ الأربعاءِ الثامنَ مِن رجبٍ ، فجلَس بالعادليةِ ، وحكَم بينَ الخصومِ وامْتَدَحه الشُّعراءُ بقَصائدَ ، منها قَصيدةٌ لبعضِهم[1] يقولُ فى أولِها :

تبَدَّلَتِ الأيامُ مِن عُسْرِها يُسْرَا فأضْحَتْ ثُغورُ الشامِ تَفْتَرُّ بالبُشْرَى

وكانَ حالَ دُخولِه عليه خِلْعةُ السلطانِ ، ومعه القاضى جَمالُ الدينِ الزَّواوىُّ قاضى قُضاةِ المالكيةِ وعليه خِلْعةٌ أيضًا ، وقد شكَر سِيرةَ إمامِ الدينِ فى السفرِ ، وذكَر مِن حُسْنِ أخلاقِه ورِياضتِه ما هو حسنٌ جميلٌ ، ودرَّس بالعادليةِ بُكْرةَ الأربعاءِ منتصفِ رجبٍ ، وأشْهَد عليه بعدَ الدرسِ بتوليةِ أخيه جَلالِ الدينِ نِيابة

(١) يعنى كمال الدين بن الزملكانى . انظر نهاية الأرب ٣٢٣/٣١ ، ٣٢٤ .

الحكمِ ، وجلَس فى الإيوانِ[1] الصغيرِ وحكَم ، وألبسه أخوه خلعةً وجاء الناسُ يُهَنِّئُونه ، وقُرِئَ تَقْليدُه يومَ الجمعةِ بالشُّبَّاكِ الكَمالىِّ بعدَ الصلاةِ بحَضْرةِ نائبِ السلطنةِ وبقيةِ القُضاةِ ، قرَأه شرفُ الدينِ الفَزارىُّ .

وفى شعبانَ وصَل الخبرُ بأن شمسَ الدينِ الأعْسَرَ توَلَّى بالديارِ المصريةِ شدَّ الدواوينِ والوِزارةَ ، وباشَر المَنْصِبَيْن جميعًا ، وباشَر نظرَ الدَّواوينِ بدمشقَ فخرُ الدينِ بنُ الشِّيرَجىِّ عوضًا عن (٢نجمِ[3] الدينِ بنِ صَصْرَى ، ثم عُزِل بعدَ قليلٍ بشهرٍ أو أقلَّ بأمينِ الدينِ٢) بنِ هلالٍ ، وأُعِيدَت الشاميةُ البَرَّانيةُ إلى الشيخِ زَيْنِ الدينِ الفارقىِّ مع الناصريةِ بسببِ غَيْبةِ كمالِ الدينِ بنِ الشَّريشىِّ بالقاهرةِ [١٠/ ١١٦ظ] (٤ودرَّس فيها فى شهرِ رمضانَ يومَ اثنين بعدَ العصْرِ٤) .

وفى الرابعَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ مُسِك الأميرُ شمسُ الدينِ قَراسُنْقُر المنصورىُّ نائبُ الديارِ المصريةِ للاجينَ هو وجماعةٌ مِن الأمراءِ معه ، واحْتِيط على حَواصلِهم وأمْوالِهم بمصرَ والشامِ ، وولَّى السلطانُ نيابةَ مصرَ الأميرَ سيفَ الدينِ مَنْكُوتَمُر الحُسامىَّ ، وهؤلاء الأمراءُ الذين مسَكهم هم الذين كانوا قد أعانوه وبايَعوه على العادلِ كَتْبُغا ، وقدِم الشيخُ كَمالُ الدينِ بنُ الشَّريشِىِّ من الديارِ المصريةِ ومعه تَوْقيعٌ بتَدْريسِ الناصريةِ عوضًا عن الشاميةِ البَرَّانيةِ (٤ودرَّس فيها يومَ السبتِ يومَ عرفةَ٤) ، وأُمْسِك الأميرُ شمسُ الدينِ سُنْقُر الأعْسَرُ وزيرُ مصرَ وشادُّ الدَّواوينِ يومَ السبتِ الثالثَ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ ، واحْتِيط على أموالِه وحَواصلِه بمصرَ والشامِ أيضًا ، ونُودِى بمصرَ فى ذى الحِجَّةِ أن لا يَرْكَبَ أحدٌ مِن أهلِ الذِّمَّةِ فرسًا

---

(١) فى م : « الديوان » .
(٢ - ٢) فى ص : « أمين الدين » .
(٣) فى الأصل ، م : « زين » ، وفى ص : « أمين » . والمثبت من النجوم الزاهرة ٨/ ١٢٣، والدارس ١/ ٣٦٥.
(٤ - ٤) زيادة من : ص .

ولا بغلًا ، ومَن وُجِد منهم راكبًا ذلك أُخِذ منه .

وفيها ملَك اليمنَ السلطانُ الملكُ المُؤَيَّدُ هِزَبْرُ الدينِ داودُ بنُ الملكِ المُظَفَّرِ المُتَقَدِّمِ ذكرُه فى التى قبلَها .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

قاضى قضاةِ الحَنابلةِ بمصرَ عزُّ الدينِ عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ (١**عمرَ بنِ عِوَضٍ**١) **الـمَقْدسىُّ الحَنْبلىُّ**[٢] ، سمِع الحديثَ ، وبرَع فى المذهبِ ، وحكَم بالديارِ المصريةِ ، وكان مَشْكورًا فى سِيرتِه وحُكْمِه ، تُوُفِّى فى صفرٍ ، ودُفِن بالمُقَطَّمِ ، وتولَّى بعدَه شرفُ الدينِ عبدُ الغَنىِّ بنُ يحيى بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ نصرٍ الحَرَّانىُّ بديارِ مصرَ .

الشيخُ الإمامُ الحافظُ القُدْوةُ ، عَفِيفُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ السلامِ بنُ محمدِ بنِ مَزْروعِ بنِ أحمدَ بنِ عَزَّازٍ المصرىُّ الحنبلىُّ[٣] ، تُوُفِّى بالمدينةِ النبويةِ فى أواخِرِ صفرٍ ، وُلِد سنةَ خمسٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، وسمِع[٤] الكثيرَ ، وجاوَر بالمدينةِ النبويةِ خمسين سنةً ، وحجَّ فيها أربعين حَجَّةً مُتَواليةً ، وصُلِّى عليه بدمشقَ صلاةَ الغائبِ ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ شِيثُ[٥] **بنُ الشيخِ علىٍّ الحَرِيرىُّ** ، تُوُفِّى بقريةِ بُسْرَ مِن حَوْرانَ يومَ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٥، والسلوك ١/ ٨٣٠ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٣٦٩، والدليل الشافى ١/ ٤٩٨، والنجوم الزاهرة ٨/ ١١١.

(٣) تذكرة النبيه ١/ ١٩٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٤، والسلوك ٨٣١/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٣٧٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٥.

(٤) فى ص : « صنف » ، وبعده فى م : « الحديث » .

(٥) فى الأصل : « سبت » ، وفى ص : « شنبث » . ولم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

الجمعةِ ثالثَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ ، وتوَجَّه أخوه حسنٌ والفُقراءُ مِن دمشقَ إلى هناك لتَعْزيةِ أخيهم حسنٍ الأكبرِ فيه .

الشيخُ الصالحُ المُقْرِئُ جمالُ الدينِ عبدُ الواحدِ بنُ كَثيرِ بنِ[1] ضِرغامٍ المِصْرىُّ ، ثم الدمشقىُّ ، نَقِيبُ السُّبْعِ الكبيرِ والغَزَّاليةِ ، كان قد قرأ على السخاوىِّ وسمِع الحديثَ ، توفى فى أواخرِ رجبٍ وصُلِّى عليه بالجامعِ الأُموىِّ ، ودُفِن بالقُربِ مِن قُبَّةِ الشيخِ رَسْلانَ .

واقفُ السامَرِّيَّةِ الصَّدْرُ الكبيرُ سيفُ الدينِ ، أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ جعفرٍ البَغْدادىُّ السامَرِّىُّ[2] ، واقفُ السامَرِّيةِ التى إلى جانبِ الكَرَوَّسيةِ بدمشقَ ، وكانت دارَه التى يَسْكُنُ بها ، ودُفِن بها ، ووقَفها دارَ حديثٍ وخانْقاه ، وكان قد انْتَقَل إلى دمشقَ ، وأقام بها بهذه الدارِ مدةً ، وكانت قديمًا تُعْرَفُ بدارِ ابنِ قوامٍ ، بناها مِن حجارةٍ مَنْحوتةٍ كلِّها ، وكان السامَرِّىُّ كثيرَ الأموالِ ، حسنَ الأخلاقِ ، مُعَظَّمًا عندَ الدولةِ ، جميلَ المُعاشَرةِ ، له أشْعارٌ رائقةٌ ومُبْتَكراتٌ فائقةٌ ، تُوُفِّى يومَ الاثنينِ ثامنَ عشَرَ شعبانَ[3] . وقد كان ببغدادَ له حُظْوةٌ عندَ الوزيرِ ابنِ العَلْقَمىِّ ، وامْتَدَح المُسْتَعْصِمَ ، وخلَع عليه خِلْعةً سوداءَ سَنِيةً ، ثم قدِم دمشقَ فى أيامِ الناصرِ صاحبِ حلبَ ، فحظِى عندَه أيضًا ، فسعَى فيه أهلُ الدولةِ ، فصنَّف فيهم أُرْجوزةً فتَح عليهم بسببِها بابًا فصادَرهم الملكُ بعشرين ألفَ دينارٍ ، فعظَّموه جدًّا ، وتوَسَّلوا به [١٠/١١٧و] إلى أغراضِهم ، وله قَصيدةٌ فى مدحِ النبىِّ ﷺ ، وقد كتَب عنه الحافظُ الدِّمْياطىُّ شيئًا مِن شعرِه .

---

(١) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : عقد الجمان ٣/ ٣٦٩.

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ٣٢٧، والوافى بالوفيات ٨/ ٦٦، وفوات الوفيات ١/ ١٣٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٩٩، وعقد الجمان ٣/ ٣٧٠، والمنهل الصافى ٢/ ١٤٨.

(٣) بعده فى ص : « بداره وصلى عليه بالجامع الأموى ثم أعيد إلى داره فدفن بها رحمه تعالى » .

واقفُ النَّفِيسِيةِ التي بالرصيفِ : الرئيسُ نَفِيسُ الدينِ أبو الفِداءِ إسماعيلُ ابنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ إسماعيلَ بنِ سَلَّامةَ[1] **بنِ عليِّ بنِ صَدَقةَ الحَرَّانيُّ**، كان أحدَ [2]عُدولِ القسمةِ[2] بدمشقَ، وولى نظرَ الأيْتامِ فى وقتٍ، وكان ذا ثَرْوةٍ مِن المالِ، وُلِد سنةَ ثمانٍ وعشرين وستِّمائةٍ، وسمِع الحديثَ، ووقَف دارَه دارَ حديثٍ، تُوُفِّى يومَ السبتِ بعدَ الظهرِ الرابعِ مِن ذى القَعْدةِ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ بُكْرةَ يومِ الأحدِ بعدَ ما صُلِّى عليه بالأُمويِّ.

الشيخُ أبو الحسنِ المعروفُ بالشاروتِ[3] **الدمشقيُّ، يُلَقَّبُ بنجمِ الدينِ**، ترْجَمه الحَرِيرىُّ فأطْنَب، وذكَر له كَراماتٍ وأشْياءَ مِن علمِ الحروفِ وغيرِها. واللَّهُ أعلمُ بحالِه.

وفيها[4] قتَل قازانُ الأميرَ نورُوز الذى كان إسلامُه على يديه، كان نُورُوز هذا هو الذى اسْتَسْلَمه، ودعاه للإسلامِ، فأسْلَم وأسْلَم معه أكثرُ التَّتَرِ، فإن التَّتَرَ شوَّشوا خاطرَ قازان عليه، واسْتَمالوه منه وعنه، فلم يَزَلْ به حتى قتَله وقتَل جميعَ مَن يُنْسَبُ إليه، وكان نورُوز هذا مِن خِيارِ أمراءِ التَّتَرِ عندَ قازان، وكان ذا عِبادةٍ وصدقٍ فى إسلامِه وأذْكارِه وتطوعاتِه، وقصدِه الجيدِ، رحِمه اللَّهُ وعفا عنه، ولقد أسْلَم على يديه منهم خلقٌ كثيرٌ لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ، واتَّخذوا السُّبَحَ والهَياكلَ، وحضَروا الجُمَعَ والجَماعاتِ، وقرَءُوا القرآنَ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) فى م: «سلام»، وفى ص: «سلامش». وانظر ترجمته فى: الوافى بالوفيات ٩/ ٢١٢، وعقد الجمان ٣/ ٣٧٢، والمنهل الصافى ٢/ ٤٢٨، والدارس ١/ ١١٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٥.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «شهود القيمة».

(٣) فى الأصل، م: «الساروب»، وفى ص: «الساروت». والمثبت من مصدر ترجمته: عقد الجمان ٣/ ٣٨٠.

(٤) انظر السلوك ١/ ٨٣٧، ٨٧٤ (القسم الثالث)، والنجوم الزاهرة ٨/ ٧١.

ثم دخلت سنة سبعٍ وتسعين وستمائةٍ[1]

استهلَّت والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ العباسىُّ ، وسلطانُ البلادِ الملكُ المنصورُ حسامُ الدينِ لاجينُ السِّلَحدارُ المنصورىُّ ، ونائبُه بمصرَ منكوتَمُر ، وبدمشقَ سيفُ الدين قَبْجَق[2] ، وقاضى الشافعيةِ إمامُ الدينِ القَزوينىُّ ، وقاضى الحنفيةِ حسامُ الدينِ الرازىُّ ، ثم وَلِى ابنُه جلالُ الدينِ مكانَه بدمشقَ فى عاشرِ صفرٍ ، وركِب بالخِلْعةِ والطَّرحةِ ، وهنَّأَه الناسُ ، وكُتِبَ فى الإسْجالاتِ قاضى القضاةِ . وقاضى المالكيةِ جمالُ الدينِ الزواوىُّ ، وقاضى الحنابلةِ تقىُّ الدينِ سليمانُ بنُ حَمزةَ بنِ الشيخِ أبى عمرَ ، وخطيبُ البلدِ بَدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ ، وطُلب قاضى القضاةِ حسامُ الدينِ الرازىُّ إلى الديارِ المصريةِ ، فأقام عندَ السلطانِ لاجين ، وولَّاه قضاءَ القضاةِ الحنفيةِ بمصرَ عوضًا عن شمسِ الدينِ[3] السَّرُوجىِّ ، واسْتَقَرَّ ولدُه جلالُ الدينِ بالقضاءِ فى الشامِ بدمشقَ قاضىَ قُضاةِ الحنَفيةِ ، ودرَّس بمدرستى أبيه الخاتونيةِ والمُقَدَّميةِ ، وترَك مدرسةَ القَصّاعِين والشِّبْليةِ .

وجاء الخبرُ على يدى البريدِ بعافيةِ السلطانِ مِن الوَقْعةِ التى كان وقَعها ، فدَقَّت البَشائرُ وزُيِّنَت البلدُ ، فإنه سقَط عن فرسِه وهو يَلْعَبُ بالكرةِ ، فكان كما

---

(١) نهاية الأرب ٣٢٩/٣١ - ٣٥٠، وكنز الدرر ٣٦٩/٨ - ٣٧٢، وتذكرة النبيه ٢٠٢/١ - ٢١١، وانظر عقد الجمان ٣٨٣/٣ - ٤٢٠.

(٢) فى ص : « ققجاق » .

(٣) بعده فى ص : « بن » .

قال الشاعرُ[1] :

حوَيتَ بَطْشًا وإحسانًا ومعرفةً   وليس يَحْمِلُ هذا كلَّه الفرسُ

وجاء التقْليدُ والخِلْعةُ لنائبِ السَّلْطنةِ ، فقُرِىء التَّقْليدُ ، وباس العَتَبةَ ، وكان يومًا مشهودًا .

وفى ربيعِ الأولِ[2] درَّس بالجَوْزيةِ عزُّ الدينِ بنُ قاضى القُضاةِ تَقىِّ الدينِ سليمانَ ، وحضَر عندَه إمامُ الدينِ الشافعىُّ وأخوه جَلالُ الدينِ وجَماعةٌ مِن الفُضلاءِ ، وبعدَ التَّدْريسِ جلَس وحكَم عن أبيه بإذنِه له فى ذلك .

وفى ربيعِ الأولِ[3] غضِب قاضى القُضاةِ تَقىُّ الدينِ بنُ دَقيقِ العيدِ ، وترَك الحكمَ بمصرَ أيامًا ، ثم استُرْضِى وعاد ، وشُرِط عليه أن لا يَسْتَنِيبَ ولدَه المُحِبَّ .

وفى يومِ الجمعةِ عاشرِ ربيعِ الآخِرِ[4] أُقيمَت الجمعةُ بالمدرسةِ المُعَظَّميةِ ، وخطَب فيها مدرسُها القاضى شمسُ الدينِ بنُ العِزِّ الحَنَفىُّ . واشْتَهَر فى هذا الحينِ القَبْضُ على بدرِ الدينِ بَيْسَرِى بالديارِ المصريةِ ، واحْتِيط على أموالِه بديارِ مصرَ[5] . وأرْسَل السلطانُ بجرَيدةٍ صُحْبةَ عَلَمِ الدينِ الدَّواداريِّ إلى تَلِّ حَمْدونَ ، ففُتِحت بحمدِ اللَّهِ ومنِّه ، وجاء الخبرُ بذلك إلى دمشقَ فى الثانى عشرَ مِن

---

(١) كنز الدرر ٨/ ٣٧١.

(٢) انظر الدارس ٢/ ٣٧.

(٣) السلوك ١/ ٨٤٨، ٨٤٩ (القسم الثالث)، وعقدالجمان ٣/ ٣٨٤ - ٣٨٦.

(٤) نهاية الأرب ٣١/ ٣٣٦، والسلوك ١/ ٨٣٦ (القسم الثالث)، والدارس ١/ ٥٨٦.

(٥) بعده فى ص : « والشام » .

رمضانَ [١٠/١١٧ظ] ، وضُرِبَت[1] به الخَليليةُ ، وأُذِّن بها الظهرُ ، وكان أخْذُها يومَ الأربعاءِ سابع رمضانَ ، ثم فُتِحت مَرْعَشُ بعدَها ، فدَقَّت البَشائرُ ، ثم انْتَقل الجيشُ إلى قلعةِ حموصَ[2] ، فأُصِيب جماعةٌ مِن الجيشِ ، منهم الأميرُ عَلَمُ الدين سَنْجَرُ طُقْصُبا ، أصابه زَيَارٌ[3] فى فخِذِه ، وأصاب الأميرَ عَلَمَ الدينِ الدَّواداريَّ حَجَرٌ فى رجلِه .

ولما كان يومُ الجمعةِ سابعَ[4] عشَرَ شوالٍ عمِل الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمية مِيعادًا فى الجهادِ ، وحرَّض فيه ، بالَغ فى أجورِ[5] المُجاهِدين ، وكان وقتًا مشهودًا وميعادًا جَليلًا .

وفى هذا الشهرِ[6] عاد الملكُ المسعودُ نجمُ الدينِ خَضِرُ بنُ الظاهرِ ، مِن بلادِ الأشْكُرِىِّ إلى ديارِ مصرَ بعدَ أن مكَث هناك مِن زمنِ الأشرفِ بنِ المنصورِ ، وتلَقَّاه السلطانُ بالموكبِ ، وأكْرَمه وعظَّمه ، وحجَّ الأميرُ خَضِرُ بنُ الظاهرِ فى هذه السنةِ مع المصريين ، وكان فيهم الخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ العَباسىُّ .

وفى شهرِ شوالٍ جلَس المُدرِّسون بالمدرسةِ التى أنْشَأها نائبُ السَّلْطنةِ بمصرَ ، وهى الـمَنْكُوتَمُريةُ داخلَ بابِ القَنْطَرةِ .

---

(١) فى م : « خربت » .

(٢) فى دول الإسلام : « حميمص » . وانظر نهاية الأرب ٣١/٣٤٠ ، والسلوك ١/٨٤٠ (القسم الثالث) .

(٣) الزيار أو الزيارة : جمعه زيارات ، آلة حربية كالقوس الذى يرمى به البندق . السلوك ١/٥٣٦ (القسم الثانى) حاشية (٢) نقلا عن معجم DOZY . وانظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى الملحق بكتاب العصر المماليكى فى مصر والشام.

(٤) فى الأصل، ص: «ثامن». وانظر الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٥) فى ص : « إمداد » .

(٦) نهاية الأرب ٣١/ ٣٢٩، وكنز الدرر ٨/ ٣٧١، والسلوك ١/ ٨٣١ (القسم الثالث).

وفيها[1] دَقَّت البَشائرُ لأجلِ أخْذِ قَلْعَتَىْ حُميْصَ ونُجَيْمَةَ مِن بلادِ سِيسَ .

وفيها وصَلَت الجَريدةُ[2] مِن بلادِ مصرَ قاصِدِين بلادَ سِيسَ مَدَدًا لأصحابِهم ، وهم نحوٌ مِن ثلاثةِ آلافِ مُقاتِلٍ ، ولِلَّهِ الحمدُ .

وفى منتصفِ ذى الحِجَّةِ[3] أُمْسِكَ الأميرُ عِزُّ الدينِ أَيْبَكُ الحَمَوِىُّ الذى كان نائبَ الشامِ هو وجمَاعةٌ مِن أهلِه وأصحابِه مِن الأمراءِ .

وفيها قلَّت المياهُ بدمشقَ جدًّا حتى بقِى ثَوْرَا فى بعضِ الأماكنِ لا يَصِلُ إلى رُكْبةِ الإنسانِ ، وأما بَرَدَى فإنه لم يَبْقَ فيه مُسْكةُ ماءٍ ، ولا يَصِلُ إلى جسرِ جِسْرِينَ[4] ، وغلا سعرُ الثلجِ بالبلدِ ، وأما نِيلُ مصرَ فإنه كان فى غايةِ الزِّيادةِ والكَثْرةِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ حسنُ بنُ الشيخِ علىٍّ الحَرِيرِىُّ[5] ، تُوُفِّى فى ربيعٍ الآخِرِ[6] بقريةِ بُسْرَ[7] ، وكان أكبرَ الطائفةِ ، وللناسِ إليه مَيْلٌ لحُسْنِ أخلاقِه وجَوْدةِ مُعاشَرتِه ، وُلِد سنةَ إحدى وعشرين وستِّمائةٍ .

الصدرُ الكبيرُ شِهابُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى الرَّجاءِ بنِ أبى الزُّهْرِ التَّنوخىُّ ، المعروفُ بابنِ السَّلْعوسِ[8] ، أخو الوزيرِ شمسِ الدينِ ، قرَأ

---

(١) دول الإسلام ٢/ ٢٠٠.

(٢) فى الأصل، ص: «التجريدة»، وانظر نهاية الأرب ٣١/ ٣٢٧، وكنز الدرر ٨/ ٣٦٩، ودول الإسلام ٢/ ٢٠٠.

(٣) دول الإسلام ٢/ ٢٠٠.

(٤) جسرين: قرية من قرى غُوطة دمشق. معجم البلدان ٢/ ٨٢.

(٥) الوافى بالوفيات ١٢/ ١٦٢، وتذكرة النبيه ١/ ٢٠٧، وعقد الجمان ٣/ ٢١٥، والنجوم الزاهرة ٨/ ١١٣.

(٦) فى الأصل، م: «الأول».

(٧) بسر: قربى من أعمال حوران من أراضى دمشق. معجم البلدان ١/ ٦٢١ .

(٨) الوافى بالوفيات ٧/ ١٧٩، والمنهل الصافى ١/ ٣٨٧، والدليل الشافى ١/ ٥٩، والدرر الكامنة ١/ ٢١٢.

الحديثَ ، وسمِع الكثيرَ ، وكان مِن خِيارِ عبادِ اللَّهِ ، كثيرَ الصدقةِ والبِرِّ ، تُوُفِّى بدارِه فى جُمادَى الأولى ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ ، وعُمِل عَزاؤُه بمسجدِ ابنِ هشامٍ ، وقد ولِى فى وقتٍ نَظَرَ الجامعِ ، وشُكِرت سِيرتُه ، وحصَل له وَجاهةٌ (١ عظيمةٌ عَريضةٌ ١) أيامَ وِزارةِ أخيه ، ثم عاد إلى ما كان عليه قبلَ ذلك حتى تُوُفِّى ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وشهِد جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ مِن الناسِ .

الشيخُ شمسُ الدينِ الأَيْكىُّ : محمدُ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدٍ الفارسىُّ [٢] ، المَعْروفُ بالأَيْكىِّ ، أحدُ الفُضَلاءِ الحَلَّالِين للمُشْكلاتِ ، المُفَسِّرين [٣] المُعْضِلاتِ ، لاسيَّما فى علمِ الأصلَيْن و[٤] المَنْطِقِ وعلمِ الأوائلِ ، باشَر فى وقتٍ مَشْيَخةَ الشيوخِ بمصرَ ، وأقام مدرسَ الغَزَّاليةِ قبلَ ذلك [٥] ، تُوُفِّى بقريةِ المِزَّةِ يومَ جمعةٍ ، ودُفِن يومَ السبتِ (٦ بعدَما صُلِّى عليه بجامعِ المِزَّةِ ٦) ، ومشَى الناسُ فى جِنازتِه ، منهم قاضى القُضاةِ إمامُ الدينِ القَزْوينىُّ ، [١١٨/١٠و] وذلك فى الرابعِ مِن رمضانَ ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيةِ إلى جانبِ الشيخِ شَمْلَةَ ، وعُمِل عَزاؤُه بخانْقاه السُّمَيْساطِيَّةِ ، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ ، وكان مُعَظَّمًا فى نفوسِ كثيرٍ مِن العلماءِ وغيرِهم .

الصدرُ ابنُ عُقْبةَ : إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ عُقْبةَ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ عطاءٍ البُصْراوىُّ

(١ - ١) زيادة من : م ، ص .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١١٤، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٥٨، وتذكرة النبيه ١/ ٢٠٩، والسلوك ١/٨٥١ (القسم الثالث)، وحسن المحاضرة ١/ ٥٤٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٩.

(٣) فى ص : « وميسرين » ، وفى م: « الميسرين » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) بعده فى ص : « وبعده » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل، م .

الحنفىُّ[1] ، درَّس وأعاد ، وولى فى وقتٍ قَضاءَ حلبَ ، ثم سافَر قبلَ وفاتِه إلى مصرَ ، فجاء بتَوْقيعٍ فيه قَضاءُ حلبَ ، فلما اجْتاز بدمشقَ تُوُفِّى بها فى رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وله سبعٌ وثمانون سنةً .

« يَشِيبُ المَرْءُ ويَشِبُّ معه خَصْلتانِ ؛ الحِرْصُ ، وطُولُ الأملِ »[2] .

الشَّهابُ العابرُ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ المُنْعِمِ بنِ نِعْمةَ المَقْدسىُّ الحنبلىُّ[3] ، الشيخُ شِهابُ الدينِ عابرُ الرُّؤْيا ، سمِع الكثيرَ ، وروَى الحديثَ ، وكان عَجَبًا فى تَفْسيرِ المَناماتِ ، وله فيه اليدُ الطُّولَى ، وله تَصْنيفٌ فيه ، ليس كالذى يُؤْثَرُ عنه مِن الغَرائبِ والعَجائِبِ ، وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وعشرين وستّمائةٍ ، وتُوُفِّى فى ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ٥/ ٣١١، والجواهر المضية ١/ ٦٧، وتذكرة النبيه ١/ ٢٠٥، وعقد الجمان ٣/ ٤١٥، والمنهل الصافى ١/ ٣١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٨.

(٢) ورد بلفظ « يهرم ابن آدم ...» فى صحيح مسلم (١٠٤٧) ، والترمذى (٢٣٣٩) ، وابن ماجة (٤٢٣٤) كلهم من حديث أنس ، وانظر كشف كشف الخفا (٣٢٥٤) .

(٣) الوافى بالوفيات ٧/ ٤٨، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٠، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٦، والسلوك ١/ ٨٥٠ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٤١٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٧.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

[2]استَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ العباسيُّ ، وسلطانُ البلادِ المنصورُ لاجِين ، ونائبُه بمصرَ مملوكُه سيفُ الدينِ مَنْكوتَمُر ، وقاضى الشافعيةِ الشيخُ تَقيُّ الدينِ بنُ دَقيقِ العيدِ ، والحَنَفيُّ [3]حُسامُ الدينِ الرازىُّ ، والمالكيُّ والحنبليُّ كما تقدَّم ، ونائبُ الشامِ[3] سيفُ الدينِ قَبْجَق[4] المَنصوريُّ ، وقُضاةُ الشامِ هم المَذْكورون فى التى قبلَها ، والوزيرُ تَقيُّ الدينِ تَوْبةُ ، والخطيبُ بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ[2] .

ولما كان فى أثناءِ المحَرَّمِ رَجَعَت طائفةٌ مِن الجيشِ مِن بلادِ سِيسَ بسببِ المرضِ الذى أصاب بعضَهم ، فجاء كتابُ السلطانِ بالعَتْبِ الأَكيدِ والوَعيدِ الشديدِ لهم ، وأن الجيشَ يَخْرُجُ جميعُه صُحْبةَ نائبِ السَّلْطنةِ قَبْجَق إلى هناك ، ونصَب مَشانِقَ لمَن تأَخَّر بعُذْرٍ أو غيرِه ، فخرَج نائبُ السَّلْطنةِ الأميرُ سيفُ الدينِ قَبْجَق[4] ، وصُحْبتُه الجيوشُ ، وخرَج أهلُ البلدِ للفُرْجةِ على الأَطْلابِ على ما جرَت به العادةُ ، فبرَز نائبُ السَّلْطنةِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ وتجمُّلٍ هائلٍ ، فدعَت له العامَّةُ ، وكانوا يُحِبُّونه ، واسْتَمَرَّ الجيشُ سائرِين قاصِدِين بلادَ سِيسَ ، فلما وَصَلوا إلى حمصَ بلَغ الأميرَ سيفَ الدينِ قَبْجَق وجَماعةً مِن الأمراءِ معه أن السلطانَ مُتَقَلِّبُ الخاطِرِ عليهم بسببِ سَعْيِ مَنْكُوتَمُر فيهم ، وعلِموا أن السلطانَ لا يُخالِفُه لمحبَّتِه

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٣٥١ - ٣٨١، وكنز الدرر ٨/٣٠٠ - ٣٠٥، وتذكرة النبيه ١/٢١٢ - ٢١٩ وانظر العبر ٥/ ٣٨٦.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) فى ص : « قفجق » .

له ، فاتَّفَق جَماعةٌ منهم على الدخولِ إلى بلادِ التَّتارِ والنَّجاةِ بأنفسِهم ، فساقوا مِن حمصَ فيمَن أطاعهم ، وهم قَبْجَق وبزلى[1] وبَكْتَمُر السِّلَحْدارُ ألْبَكى[2] ، واسْتَمَروا ذاهبِين ، فرجَع كثيرٌ مِن الجيشِ إلى دمشقَ ، وتخَبَّطَت الأمورُ ، وتأَسَّفت العوامُّ على قَبْجَق لحسنِ سِيرتِه فيهم ، وذلك فى ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

ذكرُ مَقْتَلِ المنصورِ لاجين وعَوْدِ المُلْكِ إلى الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون

لما كان يومُ السبتِ التاسعَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ وصلَ جَماعةٌ مِن البَرِيديةِ ، وأخْبَروا بمَقْتَلِ السلطانِ الملكِ المنصورِ لاجِين ونائبِه سيفِ الدينِ مَنْكُوتَمُر ، وأن ذلك كان ليلةَ الجمعةِ حادى عشَرَه ، على يدِ الأميرِ سيفِ الدينِ كُرْجِى الأشْرفيِّ ومَن وافَقه ، وذلك بحُضورِ القاضى حُسامِ الدينِ الحنفيِّ وهو جالسٌ فى خدمتِه يَتَحدَّثان ، وقيل : كانا يَلْعَبان بالشِّطْرَنْجِ . فلم يَشْعُرا إلا وقد دخَل عليهما ، فبادَروا إلى السلطانِ [١٠/١١٨ظ] بسرعةٍ جَهْرةً ليلةَ الجمعةِ ، فقتَلوه وقُتِل نائبُه صَبْرًا صَبيحةَ يومِ الجمعةِ ، وأُلْقِى على مَزْبَلةٍ ، واتَّفَق الأمراءُ على إعادةِ ابنِ أُستاذِهم الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون ، فأرْسَلوا وراءَه ، وكان بالكَرَكِ ، ونادَوْا له بالقاهرةِ ، وخُطِب له على المَنابرِ قبلَ قُدومِه ، وجاءت الكتبُ إلى نائبِ الشامِ سيفِ الدينِ قَبْجَق ، فوجَدوه قد فرَّ خوفًا مِن غائلةِ لاجين ، فسارت البَرِيديةُ

---

(١) فى ص : « برلاز » .

(٢) فى الأصل ، ص : « الأيكى » ، وفى م : « الأيلى » . والمثبت من مصادر ترجمته : الوافى بالوفيات ٩/ ٣٥٢، والمقفى الكبير ٢/ ٢٧٥، والمنهل الصافى ٣/ ٣٧، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٠٤.

وراءَه ، فلم يُدْرِكوه إلا وقد لحِق بالمُغولِ عندَ رأسِ العَيْنِ ، مِن أعمالِ مارِدِينَ ، وتفارَط الحالُ ، ولا قوةَ إلا باللَّهِ .

وكان الذى شمَّر العَزْمَ وراءَهم ، وساق ليَرُدَّهم الأميرُ سيفُ الدينِ بَلَبَان ، وقام بأعْباءِ البلدِ نائبُ القلعةِ عَلَمُ الدينِ أَرْجُواش والأميرُ سيفُ الدينِ جاغان ، واحْتاطوا على كلِّ مَنْ كان له اخْتِصاصٌ بتلك الدولةِ ، فكان منهم جَمالُ الدينِ يوسُفُ الرُّوميُّ مُحْتَسِبُ البلدِ وناظرُ المارَسْتانِ ، ثم أُطْلِق بعدَ مدةٍ ، وأُعِيد إلى وَظائفِه ، واحْتِيط أيضًا على سيفِ الدينِ جاغان وحسامِ الدينِ لاجِين والى البرِّ ، وأُدْخِلا القلعةَ ، وقُتِل بمصرَ الأميران[(1)] سيفُ الدينِ طُغْجِى - وكان قد ناب عن الناصرِ أربعةَ أيامٍ - وكُرْجِى الذى توَلَّى قتْلَ لاجِين ، فقُتِلا وأُلْقِيا على المَزابِلِ ، وجعَل الناسُ مِن العامَّةِ وغيرِهم يَتَأَمَّلُون صُورةَ طُغْجِى ، وكان جَميلَ الصورةِ جدًّا ، [(2)] ثم بعدَ الدَّلالِ والمالِ والملكِ وارَتهم هناك قبورٌ[(2)] ، فدفِن السلطانُ لاجِين ، وعندَ رجليه نائبُه ومملوكُه سيفُ الدينِ مَنْكُوتَمُر ، ودُفِن الباقون فى مَضاجعِهم هنالك .

وجاءَت البَشائرُ بدُخولِ الملكِ السلطانِ الناصرِ إلى مصرَ يومَ السبتِ رابع جُمادَى الأولى ، وكان يومًا مشهودًا ، وضَربَت البَشائرُ ، ودخَل القُضاةُ وأكابرُ الدولةِ إلى القلعةِ ، وبُويِع بحَضْرةِ عَلَمِ الدينِ أَرْجُواش ، وخُطِب له على المَنابرِ بدمشقَ وغيرِها بحَضْرةِ أكابرِ العلماءِ والقُضاةِ والأمراءِ ، ثم جاء الخبرُ بأنه قد ركِب وشقَّ القاهرةَ ، وعليه خِلْعةُ الخليفةِ ، والجيشُ معه مُشاةً [(3)] بينَ يديه ، وكان يومًا مشهودًا[(3)] ، وضرَبَت البشائرُ أيضًا . وجاءت مَراسِيمُه ، فقُرِئَت على السُّدَّةِ ،

---

(1) فى م ، ص : «الأمير» .

(٢ - ٢) هذا كلام مأخوذ من قول الشاعر عدى بن زيد العِبادى :

ثم بعد الفلاح والملك والإمة وارتهم هناك القبور

والفلاح : البقاء . والإمة : النعمة . أمالى ابن الشجرى ١/١٣٧، ١٥٥ .

(٣ - ٣) زيادة من : ص .

وفيها الرِّفْقُ بالرَّعايا والأمْرُ بالإحْسانِ إليهم ، فدعَوْا له ، وقدِم الأميرُ جمالُ الدينِ آقوش الأفْرَمُ نائبًا على دمشقَ ، فدخَلَها يومَ الأرْبعاءِ قبلَ العصرِ ثانى عشرين من جُمادَى الأولى ، فنزَل بدارِ السَّعادةِ على العادةِ ، وفرِح الناسُ بقُدومِه ، وأشْعَلُوا له الشُّموعَ ، وكذلك يومَ الجمعةِ أشْعَلوا له لما جاء إلى صلاةِ الجمعةِ بالمقصورةِ ، وبعدَ أيامٍ أُفْرِج عن جاغان ولاجين والى البرِّ مِن القلعةِ ، وعادا إلى ما كانا عليه ، واسْتَقرَّ الأميرُ حُسامُ الدينِ الأُسْتادارُ أتابكًا للعَساكرِ المصريةِ ، والأميرُ سيفُ الدينِ سَلَّار نائبًا بمصرَ ، وأُخْرِج الأعْسَرُ فى رمضانَ مِن الحَبْسِ ، ووَلِى الوِزارةَ بمصرَ ، وأُخْرِج قَرَاسُنْقُر المنصوريُّ مِن الحبسِ أيضًا ، وأُعْطِى نِيابةَ الصُّبَيْبةِ ، ثم لما مات صاحبُ حَماةَ الملكُ المُظَفَّرُ نُقِل قَرَاسُنْقُرُ إليها .

وكان قد وقَع فى أواخِرِ دولةِ لاجين بعدَ خُروجِ قَبْجَق مِن البلدِ مِحْنةٌ للشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيةَ ؛ قام عليه جَماعةٌ مِن الفُقهاءِ ، وأرادوا إحْضارَه إلى مجلسِ القاضى جَلالِ الدينِ الحنفىِّ ، فلم يَحْضُرْ ، فنُودِى فى البلدِ فى العَقيدةِ التى كان قد سأَله عنها [١٠/١١٩و] أهلُ حَماةَ المُسَمَّاةِ « بالحَمويةِ » ، فانْتَصَر له الأميرُ سيفُ الدينِ جاغان ، وأرْسَل يَطْلُبُ الذين قاموا عليه[(١)] ، فاخْتَفَى كثيرٌ منهم ، وضُرِب جَماعةٌ ممَّن نادَى على العَقيدةِ ، فسكَت الباقون ، فلما كان يومُ الجمعةِ عمِل الشيخُ تَقِىُّ الدينِ الميعادَ بالجامعِ على عادتِه ، وفسَّر فى قولِه تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، ثم اجْتَمَع بالقاضى إمامِ الدينِ [(٢)] القَزْوينىِّ صَبيحةَ[(٢)] يومِ السبتِ ، واجْتَمَع عندَه جَماعةٌ مِن الفُضَلاءِ ، وبحَثوا فى « الحَمويةِ » وناقَشوه

---

(١) فى م : « عنده » .
(٢ - ٢) زيادة من : ص .

فى أماكنَ منها ، فأجاب عنها بما أسْكَتَهم بعدَ كلامٍ كثيرٍ ، ثم قام الشيخُ تَقىُّ الدينِ ، وقد تمَهَّدَت الأُمورُ ، وسكَنَت الأحْوالُ ، وكان القاضى إمامُ الدينِ مُعْتَقَدُه حسنٌ ومَقْصِدُه صالحٌ .

وفيها وقَف عَلَمُ الدينِ سَنْجَر الدَّوَادار رِواقَه داخلَ بابِ الفرجِ مدرسةً ودارَ حديثٍ ، وولَّى مَشْيَخَته الشيخَ علاءَ الدينِ بنَ العطَّارِ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعْيانُ ، وعمِل لهم ضِيافةً ، (١ وأفْرِج عن قَرَاسُنْقُر ١) .

وفى يومِ السبتِ حادى عشَرَ شوالٍ فُتِح مَشْهَدُ عثمانَ الذى جدَّده ناصرُ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ ناظرُ الجامعِ ، وأضاف إليه مَقْصورةَ الخُدَّامِ مِن شَماليِّه ، وجعَل له إمامًا راتبًا ، وحاكَى به مشهدَ علىِّ بنِ الحسينِ زَيْنِ العابدِين .

وفى العَشْرِ الأُوَلِ مِن ذى الحِجَّةِ عاد القاضى حُسامُ الدينِ الرازىُّ الحنفىُّ[٢] إلى قَضاءِ الشامِ ، وعُزِل عن قَضاءِ مصرَ ، وعُزِل ولدُه عن قَضاءِ الشامِ . وكثُرَت الأراجِيفُ فى ذى الحِجَّةِ بقَصْدِ التتارِ بلادَ الشامِ ، وباللَّهِ المُسْتَعانُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ نِظامُ الدينِ أحمدُ بنُ الشيخِ جَمالِ الدينِ محمودِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ السلامِ الحَصِيرىُّ[٣] الحنفىُّ ، مدرسُ النُّوريةِ ، تُوفِّى ثامنَ المحرمِ ، ودُفِن فى تاسعِه يومَ الجمعةِ فى مَقابرِ الصُّوفيةِ ، كان مُفْتِيًا فاضلًا ، ناب فى الحكمِ فى وقتٍ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى النسخ : « الحصرى » . والمثبت من مصادر ترجمته : العبر ٥/ ٣٨٧، والوافى بالوفيات ٨/ ١٦٥، والجواهر المضية ١/ ٣٢٥، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٣، والمنهل الصافى ٢/ ٢١٠، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤١.

ودرَّس بالنُّوريـةِ بعدَ أبيه ، ودرَّس بعدَه بها الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ الصدرِ سليمانَ (١ في يومِ الأربعاءِ رابعَ عشرَ المحرمِ ١) .

ابنُ النَّقِيبِ المُفَسِّرُ ، الشيخُ الإمامُ العالمُ الزاهدُ جَمالُ الدينِ (٢ أبو عبدِ اللَّهِ ٢) محمدُ بنُ سليمانَ بنِ الحسنِ بنِ الحسينِ البَلْخيُّ ، ثم المقدسيُّ الحنفيُّ ، وُلِدَ في النصفِ مِن شعبانَ سنةَ إحدى عشْرةَ وستِّمائةٍ بالقدسِ ، واشْتَغل بالقاهرةِ ، وأقام مدةً بالجامعِ الأزْهَرِ ، ودرَّس في بعضِ المدارسِ هناك ، ثم انْتَقل إلى القدسِ ، فاسْتَوْطَنه إلى أن مات في المحرمِ منها ، وكان شيخًا فاضلًا في التَّفْسيرِ ، وله فيه مُصَنَّفٌ حافلٌ كبيرٌ ، جمَع فيه خمسين مُصَنَّفًا مِن التَّفاسيرِ ، وكان الناسُ يَقْصِدون زيارتَه بالقدسِ الشريفِ ، ويَتَبَرَّكون به .

الشيخُ أبو يعقوبَ المَغرِبيُّ المُقِيمُ بالقدسِ (٣) ، كان الناسُ يَجْتَمِعون به وهو مُنْقَطِعٌ بالمسجدِ الأقْصَى ، وكان الشيخُ تَقيُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ يقولُ فيه : هو على طريقةِ ابنِ عَرَبي وابنِ سَبْعِين . تُوُفِّي في المحرمِ مِن هذه السنةِ .

التَّقِيُّ تَوْبَةُ الوزيرُ (٤) ، (١ الصاحبُ الكبيرُ الصدرُ الوزيرُ ١) تَقيُّ الدينِ تَوْبةُ بنُ عليِّ بنِ مُهاجِرِ بنِ شُجاعِ بنِ تَوْبَةَ الرَّبَعيُّ التَّكْرِيتيُّ ، وُلِد سنةَ عشرين وستِّمائةٍ يومَ

(١ - ١) زيادة من : ص .

(٢ - ٢) في الأصل ، م : « عبد اللَّه بن » . وانظر ترجمته في : العبر ٥/ ٣٨٩، والوافي بالوفيات ٣/ ١٣٦، والجواهر المضية ٣/ ١٦٥، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٥، والسلوك ٨٨١/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٤، وطبقات المفسرين للداودى ٢/ ١٤٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٢.

(٣) عقد الجمان ٣/ ٤٧٤.

(٤) نهاية الأرب ٣١/ ٣٨٠، والعبر ٥/ ٣٨٧، والوافي بالوفيات ١٠/ ٤٣٨، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٧، والمقفى الكبير ٢/ ٦٢٢، والسلوك ٨٨١/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٥، والمنهل الصافى ٤/ ١٧٩.

عَرفةَ بعرَفةَ ، وتنقل فى الخدَمِ إلى أن صار وزيرًا بدمشقَ مراتٍ عديدةً ، حتى تُوُفِّى ليلةَ الخميسِ ثانى جُمادَى الآخِرةِ ، وصُلِّى عليه غُدْوةً بالجامعِ وسوقِ الخيلِ ، ودُفِن بتربتِه تُجاهَ دارِ الحديثِ الأشْرفيةِ بالسَّفْحِ ، وحضَر جِنازتَه القُضاةُ والأعْيانُ ، رحِمه اللَّهُ ، وباشَر بعدَه نَظَرَ الدَّواوينِ فخرُ الدينِ بنُ الشَّيْرَجِيِّ ، [١٠/١١٩ظ] وأخَذ أمينُ الدينِ بنُ الهِلالِ نظَرَ الخزانةِ .

الأميرُ الكبيرُ شمسُ الدينِ بَيْسَرِى[1] ، كان مِن أكابرِ الأمراءِ المُقَدَّمِين فى خدمةِ الملوكِ مِن زمنِ قَلاوُون وهَلُمَّ جَرًّا ، تُوُفِّى فى السِّجْنِ بقلعةِ مصرَ[2] ، وعُمِل له عَزاءٌ بالجامعِ الأُمَوىِّ ، وحضَره نائبُ السَّلْطنةِ الأَفْرَمُ والقُضاةُ والأعْيانُ .

السلطانُ الملكُ المُظَفَّرُ تَقىُّ الدينِ محمودُ بنُ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ تَقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شاهِنشاه بنِ أيوبَ[3] ، صاحبُ حَماةَ ، وابنُ مُلوكِها كابرًا عن كابِرٍ ، تُوُفِّى يومَ الخميسِ الحادى والعشرين مِن ذى القَعْدةِ ، ودُفِن ليلةَ الجمعةِ .

الملكُ الأَوْحَدُ نجمُ الدينِ يوسُفُ بنُ الملكِ الناصرِ داودَ بنِ المُعَظَّمِ[4] ، ناظرُ القدسِ الشريفِ ، تُوُفِّى به ليلةَ الثلاثاءِ (٥)الرابع مِن ذى الحِجَّةِ(٥) ودُفِن برباطِه عندَ

---

(١) نهاية الأرب ٣١/ ٣٧٧، والعبر ٥/ ٣٨٧، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٤، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٤، والمقفى الكبير ٢/ ٥٧٦، والسلوك ١/ ٨٨٠ (القسم الثالث)، والمنهل الصافى ٣/ ٥٠٠.

(٢) فى ص : «القاهرة».

(٣) نهاية الأرب ٣١/ ٣٧٩، والعبر ٥/ ٣٨٩، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٤، والسلوك ١/ ٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٥، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٢.

(٤) نهاية الأرب ٣١/ ٣٧٩، والعبر ٥/ ٣٩٠، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٨، والسلوك ١/ ٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ٤٨٣، والأنس الجليل ٢/ ٢٧١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٣.

(٥ - ٥) فى الأصل، م: «رابع ذى القعدة».

بابِ حِطة[1] عن سبعين سنةً ، وحضَر جنازتَه خلقٌ كثيرٌ ، وكان مِن خِيارِ أبناءِ الملوكِ دِينًا وفَضيلةً وإحسانًا إلى الضُّعفاءِ ، رحِمه اللَّهُ .

القاضى شِهابُ الدينِ يوسُفُ بنُ [2]الصاحبِ مُحْيِى[2] الدينِ بنِ النَّحَّاسِ ، أحدُ رُؤساءِ الحنَفيةِ ، ومُدَرِّسُ الرَّيْحانيةِ[3] والظاهريةِ ، [4]وقد ولِى نظرَ الخزانةِ ونظرَ الجامعِ فى وقتٍ ، وكان صدرًا كبيرًا كافيًا[4] ، تُوُفِّى ببُسْتانِه بالمِزَّةِ ثالثَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ ، ودرَّس بعدَه بالرَّيْحانيةِ[3] القاضى جلالُ الدينِ بنُ حُسامِ الدينِ .

الصدرُ الكبيرُ الرئيسُ الصاحبُ أمينُ[5] الدينِ أبو الغَنائِمِ ، سالمُ بنُ محمدِ ابنِ سالمِ [6]بنِ الحسنِ[6] بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ مَحْفوظِ بنِ صَصْرَى التَّغْلِبىُّ ، كان أسنَّ[7] مِن أخيه القاضى نجمِ الدينِ بنِ صَصْرَى ، وقد سمِع الحديثَ وأسْمَعَه ، وكان صدْرًا مُعَظَّمًا ، ولِى نظرَ الدَّواوِينِ ونظرَ الخزانةِ ، ثم ترَك المَناصِبَ وحج وجاوَر بمكةَ ، ثم قدِم دمشقَ ، فأقام بها دونَ السنةِ ومات ، تُوُفِّى يومَ الجمعةِ الثامن والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ ، وصُلِّى عليه بعدَ الجمعةِ بالجامعِ ، ودُفِن بتُرْبتِهم بسفحِ قاسِيونَ ، وعُمِل عَزاؤُه بالصاحبيةِ .

---

(1) فى ص : « خطه » . وانظر مسالك الأبصار ١/ ١١٦، والأنس الجليل ٢/ ٢٧١.

(٢ - ٢) فى م: « الصالح محب » وانظر ترجمته فى الجواهر المضية ٣/ ٦٣٩، والسلوك ٨٨٢/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٤، والدليل الشافى ٢/ ٨٠٦.

(3) فى الأصل ، م : « الزنجابية » . وانظر الدارس ١/ ٥٢٥.

(٤ - ٤) زيادة من : ص .

(5) فى الأصل : « نصير » ، وفى م : « نصر » . وانظر مصادر ترجمته : الوافى بالوفيات ١٥/ ٩٠، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٦، والمنهل الصافى ٥/ ٣٨٠، والسلوك ٨٨٢/١ (القسم الثالث) .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م .

(7) فى الأصل ، م : « أحسن » ، وبعده فى م : « حالًا » .

ياقوتُ بنُ عبدِ اللّهِ، أبو الدُّرِّ المُستَعصِميُّ الكاتبُ[1] ، لَقَبُه جَمالُ الدينِ ، وأصلُه رُوميٌّ ، كان فاضلًا ، مَليحَ الخَطِّ ، مَشْهورًا بذلك ، كتَب خِتَمًا حِسانًا ، وكتَب الناسُ عليه ببغدادَ ، وتُوُفِّي بها في هذه السنةِ ، وله شعرٌ رائقٌ ، فمنه ما أوْرَده البِرْزاليُّ في « تاريخِه » عنه :

تُجَدِّدُ الشمسُ شَوْقى كلما طَلَعَتْ ... إلى مُحَيَّاك يا سَمْعى ويا بَصَرِى

وأَسْهَرُ الليلَ فى أُنْسٍ بلا وَنَسٍ ... إذ طِيبُ ذِكْراك فى ظُلْماتِه يَسْرِى

وكلُّ يومٍ مضَى لا أراك به ... فلستُ مُحْتَسِبًا ماضيه مِن عُمُرِى

ليلى نَهارٌ إذا ما دُرْت فى خَلَدى ... لأن ذِكْرَك نورُ القلبِ والبصرِ

---

(١) العبر ٥/ ٣٩٠، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٩، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٩، والنجوم الزاهرة ٨/ ١٨٧، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٣.

ثم دَخلت سنةُ تسعٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

وفيها كانت وَقْعةُ قازان ، وذلك أن هذه السنةَ اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ العباسىُّ ، وسلطانُ البلادِ الشاميةِ والمصريةِ وما يَتْبَعُها من الممالكِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوون ، ونائبُ مصرَ سَلَّار ، وبالشامِ جمالُ الدينِ آقوش الأَفْرَمُ ، والقضاةُ بالدِّيارِ المصريةِ والبلادِ الشاميةِ هم المَذْكُورون فى التى قبلَها ، وقد تَواتَرَت الأَخْبارُ بقصدِ التَّترِ إلى بلادِ الشامِ ، وقد خاف الناسُ مِن ذلك خوفًا شديدًا ، وجفَل الناسُ مِن بلادِ حَلَبَ وحَماةَ ، وبلَغ كِراءُ الجملِ مِن حَماةَ إلى دمشقَ نحوَ المائتَىْ درهمٍ ، فلما كان يومُ الثلاثاءِ ثانى المحرمِ ضَرَبَت البَشائرُ بسببِ خُروجِ السلطانِ مِن الديارِ المصريةِ قاصدًا الشامَ ، فلما كان يومُ الجمعةِ ثامن ربيعِ الأولِ دخَل السلطانُ [١٠/١٢٠و] إلى دمشقَ ، وقد أقام بغَزَّةَ قريبًا مِن شهرَيْن ، وذلك لما بلَغَه قُدومُ التَّترِ إلى الشامِ ، تهَيَّأ لذلك ، وجاء فدخَل دمشقَ فى اليومِ الذى ذكرْنا فى مطرٍ شديدٍ ووحَلٍ كثيرٍ ، ومع هذا خرَج الناسُ لتلقِّيه والدعاءِ له ، فنزَل بالطارمةِ ، وزُيِّنَت له البلدُ ، وكثُرَت له الأدْعِيةُ ، وكان وقتًا شديدًا ، وحالًا صعبًا ، وامْتلأَ البلدُ مِن الجافِلِين النازِحِين عن بلادِهم ، وجلَس الأَعْسَرُ وزيرُ الدولةِ ، وطالَب العُمالَ ، واقْتَرضوا أموالَ الأيْتامِ وأموالَ الأسْرَى لأجلِ تقويةِ الجَيشِ ، وخرَج السلطانُ بالجيشِ مِن دمشقَ يومَ الأحدِ سابعَ عشَرَ ربيعِ الأولِ ، ولم يَتَخَلَّفْ أحدٌ مِن الجيوشِ ، وخرَج معهم خلقٌ كثيرٌ مِن المُطَّوِّعةِ ، وأخَذ الناسُ فى الدعاءِ والقُنوتِ فى الصلواتِ بالجامعِ وغيرِه ، وتضَرَّعوا واسْتَغاثوا وابْتَهَلوا إلى اللهِ بالأدْعيةِ .

---

(١) نهاية الأرب ٣٨٣/٣١ - ٤٠٨، وكنز الدرر ١٣/٩ - ٤٠، وتذكرة النبيه ٢٢٠/١ - ٢٢٤، وعقد الجمان ٧/٤ - ٨٧ .

وقعةُ قازان

لما وصَل السلطانُ إلى وادى الخَزَنْدار عند وادى سَلَمْيَةَ ، الْتَقَى التَّتَارَ هنالك يومَ الأربعاءِ السابع[1] والعشرين مِن ربيعِ الأولِ ، فالْتَقَوْا معهم ، فكسَروا المسلمين ، وولَّى السلطانُ هاربًا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، وقُتِل جَماعةٌ مِن الأمراءِ وغيرِهم ومِن العوامِّ خَلقٌ كثيرٌ ، وفُقِد فى المعركةِ قاضى الحنفيةِ [2]حسامٌ الرازىُّ[2] ، وقد صبَروا ، وأبْلَوْا بَلاءً حسنًا ، ولكن كان أمرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدورًا ، فولَّى المسلمون لا يَلْوِى أحدٌ على أحدٍ ، ثم كانت العاقبةُ بعدَ ذلك للمُتَّقِين ، غيرَ أنه رجَعَت العَساكرُ على أعقابِها إلى الديارِ المصريةِ ، واجْتاز كثيرٌ منهم على دمشقَ ، وأهلُها فى خوفٍ شديدٍ على أنفسِهم وأهاليهم وأموالِهم[3] ، ثم إنهم اسْتَكانوا واسْتَسْلَموا للقَضاءِ والقَدَرِ ، وماذا يُجْدِى الحَذَرُ إذا نزَل القَدَرُ ، ورجَع السلطانُ فى طائفةٍ مِن الجيشِ على ناحيةِ بَعْلَبَكَّ[4] ، وأبوابُ دِمشقَ مُغَلَّقةٌ ، والقلعةُ مُحَصَّنةٌ ، والغَلاءُ شديدٌ ، والحالُ ضيقٌ ، وفرجُ اللَّهِ قريبٌ ، وقد هرَب جَماعةٌ مِن أعيانِ البلدِ وغيرِهم إلى الديارِ المصريةِ ، كالقاضى إمامِ الدينِ الشافعىِّ ، وقاضى المالكيةِ [5]جمالِ الدينِ[5] الزَّواوىِّ ، وتاجِ الدينِ بنِ[6] الشِّيرازىِّ ، وعَلَمِ الدينِ الصَّوَابىِّ والى البرِّ ، وجَمالِ الدينِ بنِ النَّحّاسِ والى المدينةِ ، والمُحْتَسِبِ وغيرِهم مِن التُّجارِ والعوامِّ ، وبقِى البلدُ شاغرًا ليس فيه

---

(١) فى نهاية الأرب ٣١/ ٣٨٤: «الثامن».

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، م.

(٣) بعده فى ص : «فما شاء الله كان ومالم يشأ ربنا لم يكن».

(٤) بعده فى الأصل، م: «والبقاع».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م وفى ص: «جمال الدين بن» والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ٣٨٧.

(٦) سقط من: الأصل، م.

حاكمٌ ولا زاجرٌ ولا رادِعٌ سوى نائبِ القلعةِ (١علمِ الدينِ أَرجواش، وهو مشغولٌ عن البلدِ بالقلعةِ١).

وفى ليلةِ الأحدِ ثانى ربيعِ الآخِرِ(٢) كسَر المحْبُوسون بحَبْسِ بابِ الصغيرِ بابَ السِّجْنِ وخرَجوا منه قريبًا مِن مائتَى رجلٍ، فنهَبوا ما قدَرُوا عليه، وجاءوا إلى بابِ الجابيةِ، فكسَروا أقْفالَ البابِ (١الجوّانىِّ وأخذوا مِن الباشورةِ ما شاءوا، ثم كسَروا أقفال البابِ١) البرّانىِّ، وخرَجوا منه على حَمِيَّةٍ، فتفرَّقوا حيث شاءوا لا يَقْدِرُ أحدٌ على ردِّهم ولا صَدِّهم، وعاثَت الحَرافِشةُ فى ظاهرِ البلدِ، فكسَروا أبوابَ البَساتينِ، وقلَعوا مِن الأبوابِ والشَّبابيكِ وغيرِ ذلك شيئًا كثيرًا، وباعوه بأرْخَصِ الأثْمانِ.

هذا وسلطانُ التتارِ قد قصَد دمشقَ بعدَ الوَقْعةِ، فاجْتَمَع أعيانُ البلدِ والشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْميةَ فى مشهدِ علىٍّ، واتَّفَقوا [١٢٠/١٠ظ] على المَسيرِ إلى قازان لتَلَقِّيه، وأخْذِ الأمانِ منه لأهلِ دمشقَ، فتوَجَّهوا يومَ الاثنينِ ثالث ربيعِ الآخِرِ، فاجْتَمَعوا به عندَ النَّبْكِ(٣)، وكلَّمه الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ كلامًا قويًّا شديدًا، فيه مَصْلحةٌ عظيمةٌ عاد نفعُها على المسلمين، وللَّهِ الحمدُ. ودخَل المسلمون ليلتَئذٍ مِن جهةِ قازان، فنزَلوا الباذَرائيةَ، وغُلِّقَتْ أبوابُ البلدِ سوى بابِ تُومَا، وخطَب الخطيبُ يومَ الجمعةِ بالجامعِ، ولم يَذْكُرْ سلطانًا فى خطبتِه، وبعدَ الصلاةِ قدِم الأميرُ إسماعيلُ ومعه جَماعةٌ مِن الرسلِ، فنزَلوا ببُسْتانِ الظاهرِ عندَ

(١ - ١) سقط من: الأصل، م.

(٢) فى الأصل، م: «الأول».

(٣) النبك: قرية بذات الذخائر بين حمص ودمشق. معجم البلدان ٤/ ٧٣٩.

الطرنِ . وحضَر الفَرْمانُ بالأمانِ ، وطِيف به فى البلدِ ، وقُرِئَ يومَ السبتِ ثامن الشهرِ بمقصورةِ الخَطابةِ ، ونُثِر شىءٌ مِن الذهبِ والفضةِ . وفى [(1] اليومِ الثالثِ [1)] مِن المُناداةِ بالأمانِ طُلِبَت الخُيولُ والسِّلاحُ والأموالُ المُخَبَّأَةُ عندَ الناسِ مِن جهةِ الدولةِ ، وجلَس دِيوانُ الاسْتِخْلاصِ إذ ذاك بالمدرسةِ القَيْمُريةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، وفى يومِ الاثنين عاشر الشهرِ قدِم الأميرُ سيفُ الدينِ قَبْجَق المنصوريُّ ، فنزَل بالمَيْدانِ ، واقْتَرَب جيشُ التتارِ ، وكثُر العَيْثُ فى ظاهرِ البلدِ ، وقُتِل جَماعةٌ ، وغلَت الأسعارُ بالبلدِ جدًّا ، وضاق الحالُ عليهم ، وأرْسَل قَبْجَق إلى نائبِ القلعةِ ليُسلِّمَها إلى التتارِ ، فامْتَنَع أَرْجُواش مِن ذلك أشدَّ الامْتِناعِ ، فجمَع له قَبْجَق أعْيانَ البلدِ ، فكلَّموه أيضًا ، فلم يُجِبْهم إلى ذلك ، وصمَّم على تَرْكِ تَسْليمِها إليهم وفيها عينٌ تَطْرِفُ ، فإن الشيخَ تقيَّ الدينِ ابنَ تَيْمية أرْسَل إلى نائبِ القلعةِ يقولُ له ذلك ، [(2] فاشْتَدَّ عَزْمُه على ذلك ، وقال له [2)] : لو لم يَبْقَ فيها إلا حجرٌ واحدٌ ، فلا تُسلِّمْهم ذلك إن اسْتَطَعْتَ . وكان فى ذلك مَصْلَحةٌ عظيمةٌ لأهلِ الشامِ ، فإن اللَّهَ تعالى حفِظ لهم هذا الحصنَ والمَعْقِلَ الذى جعَله اللَّهُ حِرْزًا لأهلِ الشامِ التى لا تَزالُ دارَ أمانٍ وسُنَّةٍ ، حتى يَنْزِلَ بها عيسى ابنُ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ .

وفى يومِ دُخولِ قَبْجَق إلى دمشقَ دخَل السلطانُ ونائبُه سَلَّار إلى مصرَ كما جاءت البطائقُ بذلك إلى القلعةِ ، ودَقَّت بها البَشائرُ ، فقوِى جأْشُ الناسِ بعضَ الشىءِ ، ولكن الأمرُ كما يقالُ :

(1 - 1) فى الأصل ، م : «ثانى يوم» .

(2 - 2) سقط من : م .

كيف السبيلُ إلى سُعادَ ودونَها ... قُلَلُ الجبالِ ودونَهن حُتوفُ
الرِّجلُ حافِيةٌ وما لىَ مَرْكَبٌ ... والكفُّ صِفْرٌ والطريقُ مَخُوفُ

وفى يومِ الجمعةِ رابعَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ خُطِب لقازانَ على مِنْبرِ دمشقَ بحُضورِ المَغولِ بالمَقْصورةِ ، ودُعِى له على السُّدَّةِ بعدَ الصلاةِ ، وقُرِئَ عليها مَرْسومٌ بنيابةِ قَبْجَق على الشامِ ، وذهَب إليه الأعْيانُ فهنَّئُوه بذلك ، فأظْهَر الكرامةَ ، وأنه فى تعبٍ عظيمٍ مع التَّتارِ ، (١ثم شرَع فى طَلَبِ الخيولِ التى عندَ الناسِ والأموالِ لأجلِ النَّفَقَةِ على التتارِ١) ، ونزَل شيخُ المَشايخِ نظامُ الدينِ محمودُ بنُ علىٍّ الشَّيْبانىُّ بالمدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ .

وفى يومِ السبتِ النصف مِن ربيعِ الآخِرِ شرَعَت التَّتارُ وصاحبُ سِيسَ فى نَهْبِ الصالحيةِ (٢فوجدوا فيها شيئًا كثيرًا مِن الغلّاتِ ، وقلَّعوا الأبوابَ والشبابيكَ وخرَّبوا أماكنَ كثيرةً ؛ كالرباطِ الناصِرىِّ وغيرِه مِن الأماكنِ الحسنةِ ، والمارَسْتانِ بالصالحيةِ٢) ومسجدِ الأسَديةِ ومسجدِ خاتون ودارِ الحديثِ الأشْرفيةِ بها ، واحْترَق جامعُ (٣التَّوبةِ بالعَقِيبَةِ٣) ، وكان [١٠/ ١٢١و] هذا مِن جهةِ الكُرْجِ (٤والأرْمَنِ مِن النصارَى الذين هم مع التَّتارِ ، قبَّحهم اللَّهُ تعالى٤) ، وسبَوْا مِن أهلِها خلقًا كثيرًا وجَمًّا غَفيرًا ، ولجأ أكثرُ الناسِ إلى رِباطِ الحَنابلةِ ، فاحْتاطَ به التَّتارُ ، فحماه منهم شيخُ الشيوخِ المذكورُ ، وأُعْطِى فى الساكنِ مالٌ له صورةٌ ، ثم قَحَموا عليه ، فسبَوْا منه خلقًا كثيرًا مِن بناتِ المَشايخِ وأولادِهم ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣ - ٣) فى ص : « العقبة » . وانظر الدارس ٢/ ٤٢٦ .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(١) ولما نُكِب دَيْرُ الحَنابلةِ فى ثانى جُمادَى الأُولى قتَلوا خلقًا مِن الرجالِ ، وسَبَوْا مِن النساءِ كثيرًا ، ونال قاضىَ القُضاة تقىَّ الدين منهم أذًى كثيرٌ ، يُقالُ : إنهم قتَلوا مِن أهلِ الصالحيةِ قريبًا مِن أربعمائةٍ ، وأَسَروا نحوًا مِن أربعةِ آلافِ أسيرٍ ، ونُهِبَت كتبٌ كثيرةٌ مِن الرِّباطِ الناصرىِّ والضِّيائيةِ ، وخِزانةِ ابنِ البُزُورىِّ ، فكانت تُباعُ وهى مَكتوبٌ عليها الوَقْفِيَّةُ (١) ، وفعَلوا بالمِزَّةِ مثلَ ما فعَلوا بالصالحيةِ ، وكذلك بدَارَيَّا وغيرِها ، وتحَصَّن الناسُ منهم فى الجامعِ بدارَيَّا ، ففتَحوه قَسْرًا ، وقتَلوا منهم خلقًا ، وسبَوْا نساءَهم وأولادَهم ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون (٢) .

وخرَج الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ فى جَماعةٍ مِن أصحابِه يومَ الخميسِ العشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ إلى ملكِ التَّتارِ ، وعاد بعدَ يومين ، ولم يَتَّفِقِ اجتماعُه بقازَانَ ، حجَبه عنه الوزيرُ سعدُ الدينِ والرَّشيدُ مُشيرُ (٣) الدولةِ المَسْلَمانىُّ بنُ يَهُودى ، والْتَزَما له بقَضاءِ الشغلِ ، وذكَرا له أن التتارَ لم يَحْصُلْ لكثيرٍ منهم شىءٌ إلى الآن ، ولابدَّ لهم مِن شىءٍ .

واشْتَهَر بالبلدِ أن التَّتَرَ يُرِيدون دُخولَ دمشقَ ، فانْزَعَج الناسُ لذلك ، وخافوا خوفًا شديدًا ، وأرادوا الخروجَ منها والهربَ ، وأين ؟ ولات حينَ مَناصٍ ! وقد أُخِذ مِن البلدِ فوقَ العشَرةِ آلافِ فت أموالٌ كثيرةٌ على البلدِ مُوَزَّعةً على أهلِ الأسْواقِ ، كلُّ سوقٍ بحسَبِه مِن المالِ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) بعده فى ص : « ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » .

(٣) فى ص : « سيد » .

باللَّهِ . وشرَع التترُ فى عملِ مَجانِيقَ بالجامعِ ليَرْمُوا بها القلعةَ مِن الصَّحْنِ ، وغُلِّقَت أبوابُه ، ونزَل التَّترُ فى مَشاهدِه يَحْرُسون أخشابَ المجَانِيقِ ، ويَنْهَبون ما حولَه مِن الأسواقِ ، وأَحْرَق أرجواش ما حولَ القلعةِ مِن الأَبْنيةِ ؛ كدارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ وغيرِ ذلك ، إلى حدِّ العادليةِ الكبيرةِ ودارِ السَّعادةِ ؛ لئلا يَتَمكَّنوا مِن مُحاصَرَةِ القلعةِ مِن أعاليها ، ولزِم الناسُ منازلَهم لئلا يُسَخَّروا فى طَمِّ الخَنْدقِ ، وكانت الطُّرقاتُ لا يُرَى بها أحدٌ إلا القليلُ ، والجامعُ لا يُصَلِّى فيه أحدٌ إلا اليَسيرُ ، ويومُ الجمعةِ لا يَتَكامَلُ فيه الصفُّ الأولُ وما بعدَه إلا بجَهْدٍ جَهيدٍ ، ومَن خرَج مِن منزلِه فى ضَرورتِه يَخْرُجُ (1بثيابِ زِيِّهم1) ، ثم يَعودُ سريعًا ، ويَظُنُّ أنه لا يَعودُ إلى أهلِه ، وأهلُ البلدِ قد أذاقهم اللَّهُ لِباسَ الجُوعِ والخوفِ بما كانوا يَصْنَعون ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون .

والمُصادَراتُ والتَّراسِيمُ والعُقوباتُ عَمَّالةٌ فى أكابرِ أهلِ البلدِ ليلًا ونَهارًا ، حتى أُخِذ منهم شىءٌ كثيرٌ مِن الأموالِ والأوْقافِ ، كالجامعِ وغيرِه ، ثم جاء مَرْسومٌ بصيانةِ الجامعِ وتوفيرِ أوقافِه وصَرْفِ ما كان يُؤْخَذُ [١٢١/١٠ظ] لخَزائنِ السلاحِ إلى الحجازِ ، وقُرِئَ ذلك المرسومُ بعدَ صلاةِ الجمعةِ بالجامعِ فى (2تاسعَ عشَرَ2) جُمادَى الأولى . وفى ذلك اليومِ توَجَّه السلطانُ قازان إلى بلادِه ، وترَك نُوابَه بالشامِ فى ستين ألفَ مُقاتِلٍ ، نحوَ بلادِ العراقِ ، وجاء كِتابُه : إنا قد ترَكْنا نوابَنا بالشامِ فى ستين ألفَ مُقاتِلٍ ، ومن عزْمِنا العَوْدُ إليها فى زمنِ الخَريفِ ، والدخولُ إلى الديارِ المصريةِ وفَتْحُها . وقد أَعْجَزَتهم القلعةُ أن يَصِلوا إلى حجرٍ منها وللَّهِ الحمدُ ، وخرَج الأميرُ سيفُ الدينِ قَبْجَق لتَوْديعِ قُطْلُوشاه نائبِ

(1 - 1) فى الأصل : « بتبان زيهم » ، وفى ص : « بثياب رثة » .

(2 - 2) فى ص : « تاسع عشرين » . وانظر نهاية الأرب ٣٩٨/٣١ .

قازان، وسار وراءَه، وضَرَبت البَشائرُ بالقلعةِ فرحًا لرحيلِهم، ولم تُفْتَحِ القلعةُ، وأرْسَل أَرْجُواش ثانىَ[1] يومٍ مِن خُروجِ قَبْجَق لتوديعِ قُطْلُوشاه - القَلْعيَّةَ إلى الجامعِ، فكسَروا أخْشابَ المَنْجنيقاتِ المنصوبةِ به، وعادوا إلى القلعةِ سَريعًا سالمين آمنين، واسْتَصْحَبوا معهم جماعةً ممَّن كانوا يَلُوذون بالتّتارِ قَهْرًا إلى القلعةِ، منهم الشريفُ القُمِّيُّ، وهو شمسُ الدينِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ ابنِ أبى القاسمِ المُرْتَضَى العَلَويُّ، وجاءَت الرسلُ مِن قَبْجَق إلى دمشقَ، فنادَوْا بها: طَيِّبوا قلوبَكم، وافْتَحُوا دَكاكينَكم، وتهيَّئوا غدًا لتَلَقِّى سلطانِ الشامِ سيفِ الدينِ قَبْجَق. فخرَج الناسُ إلى أماكنِهم، فأشْرَفوا عليها، فرَأَوْا ما بها مِن الفسادِ والدمارِ، وانْفَكَّ رُؤساءُ البلدِ مِن التَّراسِيمِ بعدما وُزِنوا شيئًا كثيرًا.

وقال الشيخُ عَلَمُ الدينِ البِرْزاليُّ[2]: ذكَر لى الشيخُ وَجيهُ الدينِ بنُ المُنَجَّا أنه حُمل إلى خِزانةِ قازان ثلاثةُ آلافِ ألفٍ وستُّمائةِ ألفِ درهمٍ، سوى ما تَمَحَّقَ[3] مِن التَّراسيمِ والبَراطيلِ[4]، وما أخَذ غيرُه مِن الأمراءِ والوُزراءِ، وأن شيخَ المَشايخِ حصَل له نحوٌ مِن ستِّمائةِ ألفِ درهمٍ، والأَصِيلَ بنَ النَّصِيرِ الطُّوسيَّ مائتا[5] ألفٍ، والصَّفِيَّ السِّنجاريَّ ثمانون ألفًا، وعاد الأميرُ سيفُ الدين قَبْجَق إلى دمشقَ يومَ الخميسِ بعدَ الظهرِ الخامس والعشرين من جُمادَى

---

(١) فى ص: «فى ثامن». وانظر نهاية الأرب ٣١/ ٣٩٩.

(٢) انظر كنز الدرر ٩/ ٣٣.

(٣) فى ص: «يمحق». وفى كنز الدرر: «لحق».

(٤) البراطيل: جمع بِرْطِيل، وهو الرشوة. الوسيط (برطل).

(٥) فى النسخ: «مائة». والمثبت من مصادر التخريج.

الأولى ، ومعه الألبكى[1] وجَماعةٌ ، وبينَ يديه السيوفُ مُسَلَّلةٌ ، وعلى رأسِه عِصابةٌ ، فنزَل بالقصرِ ، ونُودِى بالبلدِ : إن نائبَكم سيفَ الدينِ قَبْجَق قد جاء فافْتَحوا دَكاكِينَكم ، واعْمَلوا مَعاشَكم ، ولا يُغَرِّرْ أحدٌ بنفسِه . هذا والأسعارُ فى غايةِ الغلاءِ والقلةِ ، قد بلَغت الغِرارةُ إلى أربعِمائةٍ ، واللحمُ الرَّطلُ بنحوِ العشَرةِ ، والخبزُ كلُّ رَطْلٍ بدرهمين ونصفٍ ، والعشَرةُ الدقيقِ بنحوِ الأربعين ، والجبنُ الأُوقيةُ بدرهمٍ ، والبَيْضُ كلُّ خمسةٍ بدرهمٍ ، ثم فُرِّج عنهم فى أواخرِ الشهرِ ، ولما كان فى أواخرِ الشهرِ نادَى قَبْجق بالبلدِ أن يَخْرُجَ الناسُ إلى قُراهم ، وأمَّرَ جَماعةً ، وانْضاف إليه خَلْقٌ مِن الأجْنادِ ، وكَثُرَت الأراجيفُ على بابِه ، وعظُم شأنُه ، ودَقَّت البَشائرُ بالقلعةِ وعلى بابِ قَبْجق يومَ الجمعةِ رابع جُمادَى الآخِرَةِ ، وركِب قَبْجَق بالعَصائبِ فى البلدِ ، والشاويشِيَّةُ بينَ يديه ، وجهَّز نحوًا مِن ألفِ فارسٍ نحوَ خَرِبةِ اللُّصوصِ ، ومشَى مَشْىَ الملوكِ فى الوِلاياتِ وتَأْميرِ الأُمراءِ والمَراسيمِ العاليةِ النافذةِ ، وصار كما قال الشاعرُ[2] :

يا لكِ مِن قُنْبَرةٍ بمَعْمَرِ
خلا لكِ الجوُّ فبِيضى واصْفِرِى
ونقِّرى ما شئتِ أن تُنَقِّرِى

ثم إنه ضمِن الخَمَّاراتِ [١٠/١٢٢و] ومواضعَ الزنَى مِن الحاناتِ وغيرِها ، وجُعِلَت دارُ ابنِ جَرادةَ خارجَ بابِ تُومَا خَمَّارةً وحانةً أيضًا ، وصار له على ذلك فى كلِّ يومٍ ألفُ درهمٍ . وهى التى دمَّرَته ، ومحَقت آثارَه ، وأخَذ أموالًا

---

(١) فى الأصل : « الأيبكى » ، وفى م : « الأليكى » .
(٢) تقدم فى ١١/٤٩٦.

أُخَرَ مِن أوقافِ المدارسِ وغيرِها، ورجَع بُولَاى مِن جهةِ الأغْوارِ، وقد عاث فى الأرضِ فسادًا، ونهَب البلادَ وسبى وخرَّب، ومعه طائفةٌ كبيرةٌ مِن التترِ، وقد خرَّبوا قُرًى كثيرةً، وقتَلوا مِن أهلِها خلقًا، وأسروا مِن أطفالِها جماعاتٍ، وجُبِى لبُولاى مِن أهلِ دمشقَ أيضًا جِبايةٌ أخرى، وخرَج طائفةٌ مِن القلعةِ، فقتَلوا طائفةً مِن التترِ ونهَبوهم، وقُتِل جماعةٌ مِن المسلمين فى غُبونِ ذلك، وأخَذوا طائفةً ممَّن كان يَلوذُ بالتَّترِ، ورسَم قَبْجَق لخَطيبِ البلدِ وجَماعةٍ معه مِن الأعيانِ أن يَدْخُلوا القلعةَ، فيتَكَلَّموا مع نائبِها فى المُصالحةِ، فدخَلوا عليه يومَ الاثنينِ ثانى عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ، فكلَّمـوه وبالَغوا معه، فلم يُجِبْ إلى ذلك، وقد أجاد وأحْسَن[1].

وفى ثانى[2] رجبٍ طلَب قَبْجَق القُضاةَ والأعْيانَ، فحلَّفهم على المُناصَحةِ للدولةِ المحموديةِ - يعنى قازان - فحلَفوا له. وفى هذا اليومِ خرَج الشيخُ تَقِىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ إلى مُخَيَّمِ بُولاى، فاجْتَمَع به فى فِكاكِ مَن معه مِن أُسارَى المسلمين، فاسْتَنْقَذ كثيرًا منهم مِن أيديهم، وأقام عندَه ثلاثةَ أيامٍ ثم عاد، ثم راح إليه جماعةٌ مِن أعيانِ دمشقَ، ثم عادوا مِن عندِه، فشُلِّحوا عندَ بابِ شرقِى، وأُخِذت ثيابُهم وعَمائمُهم، ورجَعوا فى شرِّ حالةٍ، ثم بعَث فى طلبِهم، فاخْتَفَى أكثرُهم، وتغَيَّبوا عنه، ونُودِى بالجامعِ بعدَ الصلاةِ ثالثَ رجبٍ مِن جهةِ نائبِ القلعةِ بأن العَساكرَ المصريةَ قادمةٌ إلى الشامِ، وفى عَشيةِ يومِ السبتِ رحَل بُولاى وأصحابُه مِن التترِ، وانْشَمَروا عن دمشقَ، وقد أراح اللَّهُ منهم، وساروا مِن على

(١) بعده فى م، ص: «وأرجل فى ذلك، بيض الله وجهه».
(٢) فى م، ص: «ثامن». وانظر كنز الدرر ٩/ ٣٥.

عَقَبةِ دُمَّرَ[1] ، فعاثوا فى تلك النَّواحى فسادًا ، ولم يَأْتِ سابعُ الشهرِ وفى حَواشِى البلدِ منهم أحدٌ ، وقد أزاح اللَّهُ عز وجل شرَّهم عن العِبادِ والبلادِ ، ونادَى قَبْجَق فى الناسِ : قد أمِنَت الطُّرُقاتُ ، ولم يَبْقَ بالشامِ مِن التترِ أحدٌ . وصلَّى قَبْجق يومَ الجمعةِ عاشر رجبٍ بالمقصورةِ ، ومعه جَماعةٌ من أصحابِه ، عليهم لَأْمَةُ الحربِ مِن السيوفِ والقِسِىِّ والتراكِيشِ فيها النُّشَّابُ ، وأمِنَت البلدُ ونواحيها ، وخرَج الناسُ للفُرْجةِ فى غياضِ السَّفَرْجَلِ على عادتِهم ، فعاثَت عليهم طائفةٌ مِن التتارِ ، فلما رأَوْهم رجَعوا إلى البلدِ هارِبِين مُسْرِعين ، ونهَب بعضُ الناسِ بعضًا ، ومنهم مَن ألْقَى نفسَه فى النهرِ ، وإنما كانت تلك الطائفةُ مُجْتازِين ليس لهم قَرارٌ ، وتقَلَّق قَبْجَق مِن البلدِ ، ثم إنه خرَج منها فى جَماعةٍ مِن رُؤُسائها - منهم عزُّ الدينِ بنُ القَلانسىِّ - لتلقِّى الجيشِ المصرىِّ ، وذلك أنهم خرَجوا إلى الشامِ فى تاسعِ رجبٍ ، وجاءت البَرِيديةُ بذلك ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وبقِى البلدُ ليس به أحدٌ ، ونادَى أرْجُواش فى البلدِ أن احْفَظوا الأسْوارَ ، وأخْرِجوا ما كان عندَكم مِن الأسلحةِ ، ولا تُهْمِلوا الأسوارَ والأبوابَ ، ولا يَبِيتَنَّ أحدٌ إلا على السورِ ، ومَن بات فى دارِه شُنِق . فاجْتَمَع الناسُ [١٠/ ١٢٢ظ] على الأسوارِ لحفظِ البلدِ ، وكان الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيمية يَدورُ كلَّ ليلةٍ فوقَ الأسْوارِ يُحَرِّضُ الناسَ على الصبرِ والقتالِ ، ويَتْلو عليهم آياتِ الجهادِ والرِّباطِ .

وفى يومِ الجمعةِ سابعَ عشَرَ رجبٍ أُعِيدتَ الخُطبةُ بجامعِ دمشقَ لصاحبِ مصرَ السلطانِ الناصرِ محمدِ بنِ قلاوون ، ففرِح الناسُ بذلك ، وكان يُخْطَبُ لقازان بدمشقَ وغيرِها مِن بلادِ الشامِ مائةَ يومٍ سَواءً . وفى بُكْرةِ يومِ الجمعةِ

---

(١) دمر : عقبة تطل على غُوطة دمشق . معجم البلدان ٢/ ٥٨٧.

المذكورِ دار الشيخ تقيُّ الدينُ ابنُ تَيْمية ، رحِمه اللَّهُ ، وأصحابُه على الخَمَّاراتِ والحاناتِ ، فكسَروا آنيةَ الخمورِ ، وشقوا الظُّروفَ ، وأراقوا الخُمورَ ، وعزَّروا جَماعةً مِن أهلِ الحاناتِ المُتَّخذَةِ لهذه الفَواحشِ ، ففرِح الناسُ بذلك ، ونُودِى يوم السبتِ ثامنَ عشَرَ رجبٍ بأن تُزَيَّنَ البلدُ لقدومِ العَساكرِ المصريةِ ، وفُتِح بابُ الفَرَجِ مُضافًا إلى بابِ النصرِ يومَ الأحدِ تاسعَ عشَرَ رجبٍ ، ففرِح الناسُ بذلك وانْفَرَجوا ؛ لأنهم لم يَكونوا يَدْخُلون إلا مِن بابِ النصرِ ، وقدِم الجيشُ الشاميُّ صُحْبةَ نائبِ دمشقَ جَمالِ الدينِ آقوشَ الأفرمِ إلى دمشقَ يومَ السبتِ عاشرِ شَعبانَ ، وثانىَ يومٍ دخَل بقيةُ العَساكرِ ، وفيهم الأَميران شمسُ الدينِ قَرَاسُنْقُرُ المَنْصوريُّ وسيفُ الدين قطلبك فى تجَمُّلٍ .

وفى هذا اليومِ فُتِح بابُ الفراديسِ . وفيه[1] درَّس القاضى جَلالُ الدينِ القَزْوينيُّ بالمدرسةِ الأَمِينيةِ عِوَضًا عن أخيه قاضى القُضاةِ إمامِ الدينِ ، تُوُفِّى بالديار المصريةِ ، كما سيأتى بيانُه .

وفى يومِ الاثنينِ والثلاثاءِ والأربعاءِ تَكامَل دُخولُ العَساكرِ المصريةِ صُحْبةَ نائبِ مصرَ سيفِ الدينِ سَلَّار ، وفى خدمتِه الملكُ العادلُ كَتْبُغا ، وسيفُ الدينِ الطبَّاخىُّ[2] فى تجَمُّلٍ باهرٍ ، ونزَلوا بالمَرْجِ ، وكان السلطانُ قد خرَج عازمًا على المجىءِ ، فوصَل إلى الصالحيةِ ، ثم عاد إلى مصرَ .

وفى يومِ الخميسِ النصف مِن شَعبانَ أُعِيد القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ إلى

---

(١) الدارس ١/ ١٩٦.

(٢) فى الأصل ، م : « الطراخى » .

قَضاءِ القُضاةِ بدمشقَ مع الخَطابةِ بعدَ إمامِ الدينِ ولبِس الخِلعةَ ، ولبِس معه فى هذا اليومِ أمينُ الدينِ العَجَمىُّ خِلْعةَ الحِسْبةِ ، وفى يومِ السبتِ سابعَ عشَرِه لبِس خِلْعةَ نَظَرِ الدَّواوين الصدرُ تاجُ الدينِ بنُ الشِّيرازىِّ عِوَضًا عن فخرِ الدينِ بنِ الشِّيرَجىِّ ، ولبِس (١أقجبا خلعةَ١) شدِّ الدَّواوينِ فى بابِ الوزيرِ شمسِ الدينِ سُنْقُرَ الأعْسَرِ(٢) ، وباشَر الأميرُ عزُّ الدينِ أَيْبَك الدَّوادارَ النَّجِيبىُّ وِلايةَ البرِّ ، بعدَ ما جُعِل مِن أُمراءِ الطَّبلخاناه .

ودرَّس الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانىِّ بأمِّ الصالحِ عِوَضًا عن جَلالِ الدينِ القَزْوينىِّ يومَ الأحدِ الحادى والعشرين مِن شعبانَ ، وفى هذا اليومِ ولِى قَضاءَ الحنفيةِ شمسُ الدينِ بنُ الصَّفِىِّ الحَريرىُّ ، عوضًا عن حُسامِ الدينِ الرازىِّ ، فُقِد يومَ المعركةِ ، (٣وجاءَه بعدَ ذلك تدريسُ الخاتونيةِ عِوَضًا عن حسامِ الدينِ الرازىِّ٣) فى ثانى رمضانَ ، ورُفِعَت السَّتائرُ عن القلعةِ فى ثالثِ رمضانَ .

وفى مُسْتَهَلِّ رمضانَ جلس الأميرُ سيفُ الدين سَلَّار بدارِ العدلِ فى المَيْدانِ الأخْضَرِ ، وعندَه القُضاةُ والأمراءُ يومَ السبتِ ، وفى السبتِ الآخَرِ خلَع على عزِّ الدينِ بنِ القَلَانِسىِّ خِلْعةً سَنِيةً ، وجعَل ولدَه عمادَ الدينِ عبدِ العزيزِ شاهدًا فى الخِزانةِ . وفى هذا اليومِ رجَع سَلَّار بالعَساكرِ إلى مصرَ ، وانْصَرفَت العَساكرُ الشاميةُ إلى مواضعِها وبُلْدانِها .

وفى يومِ الاثنينِ عاشر رمضانَ درَّس صدرُ الدينِ علىُّ بنُ [١٢٣/١٠و] الصَّفِىِّ ابنِ أبى القاسمِ البُصْراوىُّ الحنفىُّ بالمدرسةِ المقدَّميةِ .

(١ - ١) فى م : « أقبجا » . وانظر نهاية الأرب ٣١/ ٤٠٦، والسلوك ١/ ٩٠١ (القسم الثالث) .
(٢) فى ص : « الأشقر » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

وفى شوالٍ منها عُرِفَت جماعةٌ ممَّن كان يَلُوذُ بالتَّترِ ويُؤْذِى المسلمين ، فشُنِق منهم طائفةٌ ، وسُمِر آخرون ، وكُحِل بعضُهم ، وقُطِعَت ألْسُنٌ ، وجرَت أمورٌ كثيرةٌ .

وفى منتصفِ شوالٍ درَّس بالدَّوْلَعيةِ قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ الزُّرَعىُّ نائبُ الحُكْمِ عوضًا عن جَمالِ الدينِ بنِ الباجُرْبَقىِّ .

وفى يومِ الجمعةِ العشرين من شوالٍ ركِب نائبُ السَّلْطنةِ جَمالُ الدينِ آقوشُ الأفرمُ فى جيشِ دمشقَ إلى جبالِ الجَرَدِ وكسروانَ ، وخرَج الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمية ، ومعه خلقٌ كثيرٌ مِن المُطَّوِّعةِ والحوارنةِ لقتالِ أهلِ تلك الناحيةِ ، بسببِ فسادِ دينِهم وعقائدِهم وكفرِهم وضلالِهم ، وما كانوا عامَلوا به العَساكرَ لما كسَرهم التَّترُ وهرَبوا ؛ حينَ اجْتازوا ببلادِهم وثَبوا عليهم ونهَبوهم ، وأخَذوا أسلحتَهم وخيولَهم ، وقتَلوا كثيرًا منهم ، فلما وصَلوا إلى بلادِهم جاء رؤساؤُهم إلى الشيخِ تَقىِّ الدينِ بنِ تيميةَ ، فاسْتَتابهم ، وبيَّن لكثيرٍ منهم الصوابَ ، وحصَل بذلك خيرٌ كثيرٌ ، وانْتصارٌ كبيرٌ على أولئك المُفْسِدِين ، والْتَزَموا بردِّ ما كانوا أخَذوه مِن أموالِ الجيشِ ، وقرَّر عليهم أموالًا كثيرةً يَحْمِلونها إلى بيتِ المالِ ، وأُقْطِعَت أراضيهم وضِياعُهم ، ولم يَكُونوا قبلَ ذلك يَدْخُلون فى طاعةِ الجندِ ولا يَلْتَزِمون أحكامَ المِلَّةِ ، ولا يَدِينون دينَ الحقِّ ، ولا يُحَرِّمون ما حرَّم اللَّهُ ورسولُه . وعاد نائبُ السَّلْطنةِ يومَ الأحدِ ثالثَ عشَرَ ذى القَعْدةِ ، وتلَقَّاه الناسُ بالشُّموعِ إلى طريقِ بَعْلَبَكَّ وسَطَ النهارِ .

وفى يومِ الأربعاءِ سادسَ عشَرِه نُودِى بالبلدِ أن يُعَلِّقَ الناسُ الأسلحةَ بالدَّكاكينِ ، وأن يَتَعَلَّمَ الناسُ الرَّمْىَ ، فعُمِلَت الآماجاتُ[1] فى أماكنَ كثيرةٍ مِن

---

(١) الآماجات : جمع آماج ، وهو الهدف . انظر المعجم الذهبى ص ٤٧.

البلدِ ، وعُلِّقَت الأسْلحةُ بالأسواقِ ، ورسَم قاضى القُضاةِ بدرُ الدينِ بنُ جماعةَ بعملِ الآماجاتِ فى المدارسِ ، وأن يَتَعَلَّمَ الفُقهاءُ الرَّمْىَ ، ويَسْتَعِدُّوا لقتالِ العدوِّ إن حضَر ، وباللَّهِ المستعانُ .

وفى الحادى والعشرين مِن ذى القَعْدةِ اسْتَعْرَض نائبُ السَّلْطنةِ أهلَ الأسواقِ بينَ يديه ، وجعَل على كلِّ سُوقٍ مُقَدَّمًا ، وحولَه أهلُ سوقِه ، وفى يومِ الخميسِ الرابعِ والعشرين عُرِضَت الأشْرافُ مع نَقيبِهم نِظامِ المُلْكِ الحُسَيْنِىِّ بالعِدَدِ والتَّجَمُّلِ الحسنِ ، وكان يومًا مشهودًا .

ومما كان مِن الحوادثِ فى هذه السنةِ أنه جُدِّد إمامٌ راتبٌ عندَ رأسِ قبرِ زكريا ، وهو الفقيهُ شَرَفُ الدينِ أبو بكرٍ الحَمَوىُّ ، وحضَر عندَه ظهرَ[1] يومِ عاشُوراءَ القاضى إمامُ الدينِ الشافعىُّ ، وحُسامُ الدينِ الحَنَفىُّ وجماعةٌ ، ولم تَطُلْ مدتُه إلا شهورًا ، ثم عاد الحَمَوىُّ إلى بلدِه ، وبطَلَت[2] هذه الوظيفةُ إلى الآن ، وللَّهِ الحمدُ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

القاضى حُسامُ الدينِ أبو الفَضائلِ الحسنُ بنُ القاضى تاجِ الدينِ أبى المَفاخِرِ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ[3] أَنُوشِرْوان الرازىُّ الحنفىُّ ، ولِى قَضاءَ مَلَطْيَةَ مدةَ عشرين سنةً ، ثم قدِم دمشقَ ، فولِيها مدةً ، ثم انْتَقَل إلى مصرَ ، فولِيَها مدةً ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « شغرت » .

(٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٩٧، ومعجم شيوخ الذهبى ص ١٦٨، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٩٧، والجواهر المضية ١/ ١٥٦، وتذكرة النبيه ١/ ٢٢٧، وعقد الجمان ٤/ ٨٩، والمقفى الكبير ٣/ ٣٠٣، والمنهل الصافى ٥/ ٦٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٦.

وولدُه جَلالُ الدينِ بالشامِ ، ثم صار إلى الشامِ ، فعاد إلى الحكمِ بدمشقَ ، ثم لما خرَج الجيشُ إلى لقاءِ قازان بوادى الخَزَنْدار [١٠/١٢٣ظ] عندَ وادى سَلَمْيَة خرَج معهم ، ففُقِد مِن الصفِّ ، ولم يُدْرَ ما خبرُه ، وقد قارَب السبعين ، وكان فاضلًا بارعًا رئيسًا ، له نَظْمٌ حسنٌ ، ومولدُه بأَقْسرا[1] مِن بلادِ الرومِ فى المحرمِ سنةَ إحدى وثلاثين وستِّمائةٍ ، فُقِد يومَ الأربعاءِ الرابعِ والعشرين مِن ربيعِ الأولِ منها ، وقد قُتِل يومَئذٍ عِدَّةٌ مِن مَشاهيرِ الأمراءِ ، ثم ولِى بعدَه القَضاءَ شمسُ الدينِ الحَريرىُّ .

القاضى الإمامُ العالى إمامُ الدينِ أبو المَعالى عمرُ بنُ القاضى سعدِ الدينِ أبى القاسمِ عبدِ الرحمنِ بنِ الشيخِ إمامِ الدينِ أبى حَفْصٍ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ القَزْوينىُّ الشافعىُّ[2] ، قدِم دمشقَ هو وأَخوه جَلالُ الدينِ ، فقُرِّرا فى تَداريسَ ، ثم انْتَزَع إمامُ الدينِ قَضاءَ القُضاةِ بدمشقَ مِن بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ كما تقَدَّم فى [3]سنةِ ستٍّ وتسعين[3] ، وناب عنه أخوه ، وكان جَميلَ الأخلاقِ ، كثيرَ الإحسانِ ، قليلَ الأذى ، ولما أزِف قدومُ التَّتارِ سافَر إلى مصرَ ، فلما وصَل إليها لم يُقِمْ بها سوى أسبوعٍ وتُوُفِّى ، ودُفِن بالقربِ مِن قُبَّةِ الشافعىِّ عن ستٍّ وأربعين سنةً ، وصار المَنْصِبُ إلى بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ كما كان ، مُضافًا إلى ما بيدِه مِن الخَطابةِ وغيرِها ، ودرَّس أخوه بعدَه بالأَمينيةِ .

المُسْنِدُ المُعَمَّرُ الرُّحَلةُ ، شرفُ الدينِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ هِبةِ اللَّهِ

---

(١) فى الأصل ، م : « بأقسيس » .

(٢) العبر ٥/ ٤٠٢ ، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٥٠٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣١٠ ، وتذكرة النبيه ١/ ٢٢٦ ، وعقد الجمان ٤/ ٩٠ ، والدارس ١/ ١٩٥ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « سنة سبع وسبعين » ، وفى ص ، وعقد الجمان ٣/ ٣٥٣ : السنة السابعة والتسعين » . والمثبت من الوافى بالوفيات . وانظر ما تقدم صفحة ٦٩٧ .

(١ابنِ أحمدَ بنِ محمدِ١) بنِ الحسنِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ[٢] بنِ عَساكرَ الدمشقيُّ ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ وروَى ، تُوُفِّى خامسَ عشَرَ جُمادَى الأولى عن خمسٍ وثمانين سنةً .

الخطيبُ الإمامُ العالمُ مُوَفَّقُ الدينِ أبو المَعالى ، محمدُ بنُ محمدِ بنِ المُفضَّلِ[٣] البَهْرَانيُّ[٤] القُضاعيُّ الحَمَوِيُّ ، خطيبُ حَماةَ ، ثم خطَب بدمشقَ عِوَضًا عن الفارُوثيِّ كما ذكرنا ، ودرَّس بالغَزَّاليةِ ، ثم عُزِل بابنِ جَماعةَ ، وعاد إلى بلدِه ، ثم قدِم دمشقَ عامَ قازان ، فمات بها .

الصدرُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ سلمانَ[٥] بنِ حمائلَ بنِ عليٍّ المقدسيُّ المعروفُ بابنِ غانمٍ ، وكان مِن أعْيانِ الناسِ وأكثرِهم مُروءةً ، ودرَّس بالعَصْرونيةِ ، توفِّى وقد جاوَز الثمانين ، كان مِن الكُتابِ المشهورين المَشْكورين ، وهو والدُ الصدرِ عَلاءِ الدينِ بنِ غانمٍ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م . وانظر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٩٥، ومعجم شيوخ الذهبى ص ٨٣، وعقد الجمان ٤/ ٩١، وغاية النهاية ١/ ١٤٦، والمنهل الصافى ٢/ ٢٥٤، والنجوم الزاهرة ٨/ ١٩٠، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٥.

(٢) فى الأصل ، م : « الحسن » .

(٣) فى الأصل ، م : « الفضل » . وانظر ترجمته فى : معجم شيوخ الذهبى ص ٥٦٩، والعبر ٥/ ٤٠٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٨٨، وعقد الجمان ٤/ ٩٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤٥٣، وفى المصادر الثلاثة الأخيرة : « الفضل » .

(٤) فى الأصل ، م ، وشذرات الذهب : « النهروانى » ، وفى ص : « المهرانى » ، وفى تذكرة الحفاظ : « النهرانى » . والمثبت من معجم شيوخ الذهبى ، العبر ، وعقد الجمان . والبهرانى نسبة إلى بهراء وهى قبيلة من قضاعة كما ذكر ذلك السمعانى فى الأنساب ١/ ٤٢٠.

(٥) فى النسخ والدارس ١/ ٤٠٣: « سليمان » . والمثبت من مصادر ترجمته : معجم شيوخ الذهبى ص ٤٩٨، والعبر ٥/ ٤٠٢، وعقد الجمان ٤/ ٩٢، والمقفى الكبير ٥/ ٦٨٥، والنجوم الزاهرة ١/ ١٩٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٥١.

الشيخُ جَمالُ الدينِ أبو محمدٍ ، عبدُ الرحيمِ بنُ عمرَ بنِ عثمانَ الباجُرْبَقيُّ الشافعيُّ[1] ، أقام مدةً بالموصلِ يَشْتَغِلُ ويُفْتِى ، ثم قدِم دمشقَ عامَ قازان ، فمات بها ، وكان قد أقام بها مدةً كذلك ، ودرَّس بالفَتْحيةِ[2] والدَّوْلَعيةِ ، وناب فى الخَطابةِ ، ودرَّس بالغَزَّاليةِ نِيابةً عن الشمسِ الأيكيِّ ، وكان قليلَ الكلامِ ، مَجْموعًا عن الناسِ ، وهو والدُ الشمسِ محمدٍ المنسوبِ إلى الزَّنْدَقةِ والانحلالِ ، وله أتباعٌ يُنْسَبون إلى ما يُنْسَبُ إليه ، ويَعْكُفون على ما كان يَعْكُفُ عليه ، وقد حدَّث جمالُ الدينِ المَذْكورُ بـ « جامعِ الأُصولِ » عن بعضِ أصحابِ مُصَنِّفِه ابنِ الأَثيرِ ، وله نَظْمٌ ونَثْرٌ حسنٌ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

---

(١) العبر ٥/ ٤٤٩، والوافى بالوفيات ١٨/ ٣٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٩٠، وتذكرة النبيه ٩/ ٢٢٨، وعقد الجمان ٤/ ٩٣، والمقفى الكبير ٦/ ٦٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٩.

(٢) فى م: « القليجية » . وانظر الدارس ١/ ٤٢٩.

ثم دَخلَت سنةُ سبعِمائةٍ مِن الهجرةِ النبويةِ[1]

اسْتَهَلَّت والخليفةُ [2]والسلطانُ ونوابُ البلادِ والحُكامُ بها هم المذكورون فى التى قبلَها، غيرَ الشافعىِّ والحنفىِّ[2]. ولما كان ثالثُ المحرمِ جلَس المُسْتَخْرِجُ لاسْتِخْلاصِ أجرةِ أربعةِ أشهرٍ من جميعِ أملاكِ الناسِ وأوْقافِهم بدمشقَ، فهرَب أكثرُ الناسِ مِن البلدِ، وجرَت [١٠/١٢٤و] خَبْطةٌ قويةٌ وشقَّ ذلك على الناسِ مشقةً عظيمةً جدًّا.

وفى مُسْتَهَلِّ صفرٍ ورَدَت الأخبارُ بقصدِ التَّتارِ بلادَ الشامِ، وأنهم عازِمون على دُخولِ مصرَ، فانْزَعَج الناسُ لذلك وازْدادوا ضعفًا على ضعفِهم، وطاشَت عقولُهم وألبابُهم، وشرَع الناسُ فى الهربِ إلى بلادِ مصرَ والكَرَكِ والشَّوْبَك والحصونِ المَنيعةِ، فبلَغَت المَحَارَةُ[3] إلى مصرَ خمسَمائةٍ، وبِيعَ الجَمَلُ بألفٍ، والحِمارُ بخمسِمائةٍ، وبِيعَت الأمْتِعةُ والثِّيابُ والغلاتُ بأرخصِ الأثمانِ، وجلَس الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تيميةَ فى ثانى صفرٍ بمَجْلِسِه فى

---

(١) نهاية الأرب ٤١١/٣١ - ٤٤٣، وكنز الدرر ٤١/٩ - ٦٤، وتذكرة النبيه ٢٣٣/١ - ٢٣٨.

(٢ - ٢) فى ص: «الحاكم العباسى وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ونائب مصر الأمير سيف الدين رسلان، وقضاء مصر القاضى تقى الدين بن دقيق العيد الشافعى والحنفى [ ] ونائب الشام الأمير جمال الدين آقوش الأفرم. وقاضى الشافعية بها بدر الدين بن جماعة والوزير شمس الدين سنقر الأعسر».

(٣) فى م: «الحمارة»، والمحارة: المَرْجِع. انظر الوسيط (م ح ر). ويعنى بالمحارة هنا تكلفة الرجوع إلى مصر.

الجامعِ ،وحرَّض الناسَ على القتالِ ، وساق لهم الآياتِ والأحاديثَ الواردةَ فى ذلك ، ونهَى عن الإسْراعِ فى الفِرارِ ، ورغَّب فى إنْفاقِ الأموالِ فى الذَّبِّ عن المسلمين وبلادِهم وأموالِهم ، وأن ما يُنْفَقُ فى أجرةِ الهربِ إذا أُنْفِق فى سبيلِ اللَّهِ تعالى كان خيرًا ، وأَوْجَب جِهادَ التَّتَرِ حَتْمًا فى هذه الكَرَّةِ ، وتابَع المجَالسَ فى ذلك ، ونُودِى فى البلدانِ : لا يُسافِرْ أحدٌ إلا بمرسومٍ وورقةٍ . فتوَقَّف الناسُ عن السيرِ ، وسكَن جَأْشُهم ، وتحدَّث الناسُ بخروجِ السلطانِ مِن القاهرةِ بالعَساكرِ المنصورةِ ودَقَّت البَشائرُ لخروجِه[1] ، لكن كان قد خرَج جماعةٌ مِن بُيوتاتِ دمشقَ كبيتِ ابنِ صَصْرَى وبيتِ ابنِ فضلِ اللَّه وابنِ مُنَجًّا وابنِ سُوَيْدٍ وابنِ الزَّمْلَكانىِّ وابنِ جَماعةَ .

وفى أولِ ربيعِ الآخِرِ قوِى الإرْجافُ بأمرِ التَّتارِ ، وجاء الخبرُ بأنهم قد وصَلوا إلى البِيرةِ ، ونُودِى فى البلدِ أن تَخْرُجَ العامَّةُ مع العَسْكرِ ، وجاء مَرْسومُ النائبِ مِن المَرْجِ بذلك ، فاسْتُعْرِضوا فى أثناءِ الشهرِ ، فعُرِض نحوٌ من خمسةِ آلافٍ مِن العامَّةِ بالعُدَّةِ والأسْلحةِ على قدرِ طاقتِهم ، وقنَت الخطيبُ ابنُ جَماعةَ فى الصلواتِ كلِّها ، واتَّبَعه أئمةُ المساجدِ ، وأشاع المُرْجِفون بأن التَّتارَ قد وصَلوا إلى حَلَبَ ، وأن نائبَ حلبَ تقَهْقَر إلى حَماةَ ، ونُودِى فى البلدِ بتَطْييبِ قُلوبِ الناسِ وإقْبالِهم على مَعايشِهم ، وأن السلطانَ والعساكرَ واصلةٌ ، وأُبْطِل دِيوانُ المُسْتَخْرِجِ وأُقِيموا ، ولكن كانوا قد اسْتَخْرَجوا أكثرَ مما أُمِروا به ، وبقِيَت بواقٍ على الناسِ الذين قد اخْتَفَوْا ، فعُفِى عما بقِى ، ولم يُرَدَّ ما سلَف ، لا جَرَمَ أن عَواقبَ هذه الأفعالِ خُسْرٌ ونُكْرٌ ، وأن أصحابَها لا يُفْلِحون ، ثم جاءت الأخبارُ بأن سلطانَ

---

(١) فى ص : « لخروج السلطان من ديار مصر إلى الشام » .

مصرَ رجَع عائدًا إلى مصرَ (١ بعدَ أن خرَج منها قاصدًا الشامَ ١) ، فكثُر الخوفُ ، واشْتَد الحالُ ، وكثُرَت الأمطارُ جدًّا ، وصار بالطُّرُقاتِ مِن الأَوْحالِ والسُّيولِ ما يَحُولُ بينَ المَرْءِ وبينَ ما يُريدُه مِن الانْتِشارِ فى الأرضِ والذَّهابِ فيها ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وخرَج كثيرٌ مِن الناسِ خِفافًا وثِقالًا يَتَحَمَّلون بأهاليهم وأولادِهم ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعْلَمون ، وجعَلوا يَحْمِلون الصِّغارَ فى الوَحَلِ الشديدِ والمَشَقَّةِ على الدوابِّ والرِّقابِ ، وقد ضعُفَت الدَّوابُّ مِن قلةِ العَلَفِ مع كثرةِ الأمْطارِ والزَّلْقِ والبردِ الشديدِ والجوعِ وقلةِ الشىءِ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العلىِّ العظيمِ ، واسْتَهَل جُمادَى الأولى ، والناسُ على خُطَّةٍ صعبةٍ مِن الخوفِ ، وتأخُّرِ السلطانِ واقْتِرابِ العدوِّ ، وشدةِ الأمرِ والحالِ ، وخرَج الشيخُ تَقِىُّ الدينِ ابنُ تيميةَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، فى مُسْتَهَلِّ هذا الشهرِ ، وكان [١٠/١٢٤ظ] يومَ السبتِ ، إلى نائبِ الشامِ وعساكرِه بالمَرْجِ ، فثبَّتهم وقوَّى جَأْشَهم ، وطيَّب قلوبَهم ، ووعَدهم بالنصرِ والظَّفَرِ على الأعداءِ ، وتلا قولَه تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [الحج : ٦٠] . وبات عندَ العَسْكرِ ليلةَ الأحدِ ، ثم عاد إلى دمشقَ ، وقد سأَله النائبُ والأمراءُ أن يَرْكَبَ على البَريدِ إلى مصرَ يَسْتَحِثُّ السلطانَ على المَجِىءِ ، فساق وراءَ السلطانِ ، وكان السلطانُ قد وصَل إلى الساحلِ ، فلم يُدْرِكْه إلا وقد رجَع إلى القاهرةِ ، وتفارَط الحالُ ، ولكنه اسْتَحَثَّهم على تَجْهيزِ العَســاكرِ إلى الشامِ

(١ - ١) فى ص : «من الزلزلة التى كان بها فى نواحى الساحل» .

(١) إن كان لهم به حاجةٌ، وقال لهم فيما قال: إن كنتم أعْرَضْتُم عن الشامِ وحمايتِه، أقَمْنا له سلطانًا يَحُوطُه ويَحْمِيه، ويَسْتَغِلُّه فى زمنِ الأمنِ. ولم يَزَلْ بهم حتى جُرِّدَت العَساكرُ إلى الشامِ، ثم قال: لو قُدِّر أنكم لستم حُكّامَ الشامِ ولا مُلوكَه واسْتَنْصَركم أهلُه وجَب عليكم النصرُ، فكيف وأنتم حُكامُه وسَلاطينُه، وهم رَعاياكم وأنتم مسئولون عنهم. وقوَّى جَأْشَهم، وضمِن لهم النصرَ هذه الكَرَّةَ، فخرَجوا إلى الشامِ (١)، فلما تواصَلَت العَساكرُ إلى الشامِ فرِح الناسُ فَرَحًا شديدًا، بعدَ أن كانوا قد يَئِسوا مِن أنفسِهم وأهْلِيهم وأموالِهم، ثم قوِيَت الأَراجِيفُ بوصولِ التَّتارِ وتحقَّق أهلُ الشامِ عَوْدَ السلطانِ إلى مصرَ، ونادَى ابنُ النَّحّاسِ مُتَوَلِّى دمشقَ فى الناسِ: مَن قدَر على السفرِ فلا يَقْعُدْ بدمشقَ. فتَصايحَ النِّساءُ والوِلدانُ، ورهِق الناسَ ذِلَّةٌ عظيمةٌ وخَمْدةٌ، وزُلْزِلوا زِلْزالًا شديدًا، وغُلِّقَت الأسْواقُ، وتيقَّن الناسُ أن لا ناصرَ لهم إلا اللَّهُ عز وجل، وأن نائبَ الشامِ لما كان فيه قوةٌ مع السلطانِ عامَ أولَ لم يَقْوَ على الْتِقاءِ جيشِ التَّتارِ فكيف به الآن وقد عزَم على الهربِ؟ ويَقُولون: ما بقِى أهلُ دمشقَ إلا طُعْمةَ العدوِّ. (٢) ودخَل كثيرٌ من الناسِ القلعةَ، وامتنعَ الناسُ من النومِ والقَرارِ، وخرج (٢) كثيرٌ مِن الناسِ إلى البَرارِىِّ والقِفارِ بأهاليهم مِن الكِبارِ والصغارِ، ونُودِى فى الناسِ: مَن كانت نيتُه الجهادَ فلْيَلْحَقْ بالجيشِ؛ فقد اقْتَرَب وُصولُ التَّتارِ. ولم يَبْقَ بدمشقَ مِن أكابرِها إلا القليلُ، وسافَرَ القاضى ابنُ جَماعةَ وشمسُ الدينِ بنُ الحَرِيرىِّ ونجمُ الدين ابنُ صَصْرَى ووجيهُ الدينِ ابنُ مُنَجَّا، وقد سبَقتهم بيوتُهم إلى الديارِ المصريةِ، وجاءت الأخبارُ بوصولِ

(١ - ١) سقط من: ص.
(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

التَّتارِ إلى سَرْمِينَ[1] ، وخرَج الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارقىُّ والشيخُ إبراهيمُ الرَّقِّىُّ وابنُ قِوامٍ[2] وشرفُ الدينِ ابنُ تيميةَ وابنُ خبارةَ[3] إلى نائبِ السلطنةِ الأفْرمِ ، فقَوَّوا عزمَه على مُلاقاةِ العدوِّ ، واجْتَمَعوا بمُهَنَّا أميرِ العربِ ، فحرَّضوه على قتالِ العدوِّ ، فأجابهم بالسمعِ والطاعةِ ، وقوِيَت نِياتُهم على ذلك ، وخرَج طُلْبُ سَلَّار مِن دمشقَ إلى ناحيةِ الجيشِ بالمَرْجِ ، واسْتَعَدوا للحربِ والقتالِ بنياتٍ صادقةٍ .

ورجَع الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تيميةَ مِن الديارِ المصريةِ فى السابعِ والعشرين مِن جُمادَى الأولى على البريدِ ، وقد أقام بقلعةِ مصرَ ثمانيةَ أيامٍ واجْتَمع بالسلطانِ والوزيرِ وأعْيانِ الدولةِ ، وحثَّهم وحرَّضهم ، فأجابوه . وقد غلَت الأسعارُ بدمشقَ جدًّا ، حتى أنه أُبيع خرُوفانِ بخمسِمائةِ درهمٍ ، واشْتَدَّ الحالُ جدًّا ، [١٠/١٢٥و] ثم جاءَت الأخبارُ بأن ملكَ التَّتارِ قد خاض الفُراتَ راجعًا عامَه ذلك ؛ لضعفِ جيشِه وقلةِ مددِه ، فطابَت النفوسُ بذلك ، وسكَن الناسُ ، وعادوا إلى منازِلِهم مُنْشَرِحِين آمِنِين مُسْتَبْشِرِين ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين . ولما جاءَت الأخبارُ بعدمِ وصولِ التَّتارِ إلى الشامِ فى جُمادَى الآخِرةِ تراجَعَت أنفسُ الناسِ إليهم ، وعاد نائبُ السَّلْطنةِ إلى دمشقَ ، وكان مُخَيِّمًا فى المَرْجِ مِن مدةِ أربعةِ أشهرٍ مُتَتابِعةٍ ، وكان هذا مِن أعظمِ الرِّباطِ ، وتراجَع الناسُ إلى أوْطانِهم .

وكان الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارقىُّ قد درَّس بالناصريةِ لغَيْبةِ مدرسِها كمالِ الدينِ بنِ الشَّريشىِّ بالكَرَكِ هاربًا ، ثم عاد إليها فى رمضانَ ، وفى أواخِرِ الشهرِ

---

(١) فى الأصل ، م : « سرقين » . وسرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب . معجم البلدان ٣/ ٨٣.

(٢) فى ص : « قرام » .

(٣) فى ص : « حيازة » وفى عقد الجمان : « حبان » .

درَّس ابنُ الزَّكيِّ بالدَّوْلَعيةِ عِوَضًا عن القاضى جَمالِ الدينِ الزُّرَعيِّ لغَيْبتِه ، وفى يوم الاثنينِ قُرِئَت شُروطُ الذِّمَّةِ عليهم ، وأُلْزِموا بها ، واتَّفَقَت الكلمةُ على عزلِهم عن الجهاتِ ، وأُخِذوا بالصَّغارِ ، ونُودِى بذلك فى البلدِ ، وأُلْزِم النَّصارى بالعَمائمِ الزُّرْقِ ، واليهودُ بالصُّفْرِ ، والسَّامِرَةُ بالحُمْرِ ، فحصَل بسببِ ذلك خيرٌ كثيرٌ ، وتَميَّزوا عن المسلمين . وفى عاشرِ رمضانَ جاء المَرْسومُ بالمُشارَكةِ بينَ أَرْجُواش والأميرِ سيفِ الدينِ أقجبا فى نِيابةِ القلعةِ ، وأن يَرْكَبَ كلٌّ واحدٍ منهما يومًا ، ويَكُونَ الآخَرُ بالقلعةِ يومًا ، فامْتَنع أَرْجُواش مِن ذلك .

وفى شوالٍ درَّس بالإقْباليةِ الشيخُ شِهابُ الدينِ بنُ المَجْدِ عِوَضًا عن عَلاءِ الدينِ القُونوِىِّ[1] بحكمِ إقامتِه بالقاهرةِ ، وفى يومِ الجمعةِ الثالثِ والعشرين مِن ذى القَعْدةِ عُزِل شمسُ الدينِ بنُ الحَرِيرىِّ عن قَضاءِ الحنفيةِ بالقاضى جَلالِ الدينِ ابنِ حُسامِ الدينِ على قاعدتِه وقاعدةِ أبيه ، وذلك باتِّفاقٍ مِن الوزيرِ الأميرِ شمسِ الدينِ سُنْقُر الأعْسَرِ ، ونائبِ السلطنةِ جمالِ الدينِ آقوش الأفْرَمِ .

وفيها وصَلَت رسلُ ملكِ التَّتارِ إلى دمشقَ فى أواخرِ الشهرِ ، فأُنْزِلوا بالقَلْعةِ ، ثم ساروا إلى مصرَ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ الصالحُ حسنٌ الكُرْدىُّ[2] ، المقيمُ بالشاغورِ فى بُسْتانٍ له ، يَأْكُلُ مِن غَلَّتِه ، ويُطْعِمُ مَن ورَد عليه ، وكان يُزارُ ، ولما احْتُضِر اغْتَسَل ، وأخَذ مِن شعرِه ، واسْتَقْبَل القِبلةَ ، وركَع رَكَعاتٍ ، ثم تُوُفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، يومَ الاثنينِ الرابع مِن

---

(١) فى الأصل : « القزوينى » .

(٢) الوافى بالوفيات ١٢/٣١٣، وعقد الجمان ٤/١٤٧، والمنهل الصافى ٥/١٤٦، والدليل الشافى ١/ ٢٧٢.

جُمادَى الأولى ، وقد جاوَز المائةَ سنةٍ .

الطَّواشِى صَفِىُّ الدينِ جَوْهَرٌ التَّفْلِيسىُّ المُحَدِّثُ[1] ، اعْتَنى بسَماعِ الحديثِ وتحْصيلِ الأجْزاءِ ، وكان حسنَ الخُلقِ ، ليِّنَ الجانبِ ، وكان رجلًا جيدًا مباركًا صالحًا ، وأوقَف أجْزاءَه التى ملَكها على المُحَدِّثين .

الأميرُ عزُّ الدينِ محمدُ بنُ أبى الهَيْجاءِ بنِ محمدٍ الهذبانىُّ الإِرْبِلىُّ[2] ، مُتَوَلِّى دمشقَ ، كان لديه فَضائلُ كثيرةٌ فى التاريخِ والشعرِ ، وربما جمَع شيئًا فى ذلك ، وكان يَسْكُنُ بدربِ سقون[3] فعُرِف به ، فيقالُ : دربُ ابنِ أبى الهَيْجاءِ . وهو أولُ منزلٍ نزَلْناه حينَ قدِمْنا دمشقَ فى سنةِ ستٍّ وسبعِمائةٍ ، ختَم اللَّهُ لنا بخيرٍ فى عافيةٍ آمِين ، وكانت وفاةُ ابنِ أبى الهَيْجاءِ فى طريقِ مصرَ ، وله ثمانون سنةً ، وكان مَشْكورَ السِّيرةِ ، حسَنَ المُحاضَرةِ .

الأميرُ جَمالُ الدينِ آقوشُ الشَّرِيفىُّ[4] ، والى الوُلاةِ بالبلادِ القِبْلِيةِ ، تُوُفِّى فى شوالٍ ، وكانت له هَيْبةٌ وسَطْوةٌ [١٠/١٢٥ظ] وحُرْمةٌ .

---

(١) عقد الجمان ٤/ ١٥٦، والمنهل الصافى ٥/ ٤٥، والدليل الشافى ١/ ٢٥٥ وفيه : « النفيسى » .

(٢) الوافى بالوفيات ٥/ ١٧٠، والسلوك ١/ ٩١٨ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٤/ ١٥٥، والدرر الكامنة ٥/ ٤٩، والدليل الشافى ٢/ ٧١٠.

(٣) فى الأصل : « سقور »، وفى م : « سحور »، وفى عقد الجمان : « سعود » .

(٤) كنز الدرر ٩/ ٦٣، وعقد الجمان ٤/ ١٥٥، والسلوك ١/ ٩١٧ (القسم الثالث) .



فهرس

الجزء السابع عشر من « البداية والنهاية »

الموضـوع | الصفحة

تم بحمد الله وتوفيقه

الجزء السابع عشر ويليه الجزء

الثامن عشر ، وأوله : ثم دخلت سنة إحدى وسبعمائة

رقم الإيداع 98/13307

I . S . B . N : 977 - 256 - 187 - 5

هجـر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة

☎ ٣٢٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٢٥١٧٥٦

المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء – ☎ ٣٢٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة